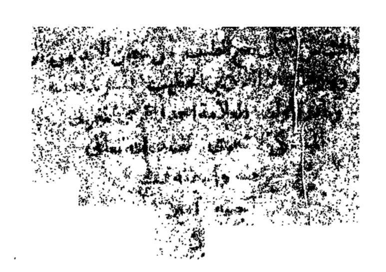
[illegible]



الطبعة الأولى



بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الثاني من الكتاب

الباب الاول

[illegible]

[illegible] الطيب [illegible] وكان من [illegible]

[illegible] والرضا [illegible]

[illegible] في القسم تلك الابواب [illegible] تلك الاولى [illegible]

[illegible]

[illegible] الأول [illegible]

[illegible]

[illegible] بالقول [illegible]

[illegible]

[illegible] فإن ذلك [illegible]

[illegible] الكلام [illegible] المروزي [illegible] الرقاق [illegible]

[illegible] الشيخ [illegible]

[illegible] المتوكل على الله [illegible]

[illegible] على الله [illegible]

[illegible] السلطان [illegible] على [illegible]

[illegible]

[illegible] الأعمال [illegible]

[illegible] السلطان [illegible]

[illegible] الأعمال [illegible]

[illegible] السلطان [illegible]

[illegible] أهل [illegible]

[illegible] بعض [illegible]

[illegible] كتاب [illegible]

[illegible] أهل [illegible]

[illegible] الرواية [illegible]

[illegible] الأعمال [illegible] أهل [illegible]

[illegible] أهل الكوفة [illegible]

[illegible] أهل المدينة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الأولى [illegible]

[illegible] إنما لا [illegible]

[illegible]

[illegible] والقول [illegible]

[illegible]

[illegible] إلا الله [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] إلا [illegible]

[illegible]

لا يخف راسيه ولا يعرى كاسيه وسكونا لا يطرق جانبه ولا يرهب غالبه وحلما لا ترزل حصاته ولا تهمل وصاته وانقباضا لا يتعدى رسمه ولا يتجاوز حكمه ونزاهة لا ترخص قيمتها ولا تلين عزيمتها وديانة لا تحسر أذيالها ولا يشفسر بالها وادرا كالا يفل نصله ولا يدرك خصله وذهنا لا يخبو نوره ولا ينبو مطروره وفهما لا يخفى فلقه ولا يهزم فيلقه ولا يلحق بحره ولا يعطل نحره وتحصيلا لا يفلت قنيصه ولا يسام حريصه بل لا يحل عقاله ولا يصدأ صقاله وطلبا لا تحد فنونه ولا تتعين عيونه بل لا تحصر معارفه ولا تقصر مصارفه يقوم اتم قيام على النحو على طريقة متأخري النحاة جامعا بين القياس والسماع وتوجيه الاقوال البصرية واستحضار الشواهد الشعريه واستظهار اللغات والاعربة واستبصارا في مذاهب المعربة محليا أجياد تلك الاعاريب من علمي البديع والبيان بجواهر اسلاك وبجليا في آفاق تلك الاساليب من فوائد هذين الفنين زواهر افلاك الى ما يتعلق بذلك من قافية للعروض وميزان وما للشعر من بحور وأوزان تضلع بالقرا آت أكمل اضطلاع مع التحقيق والاطلاع فيقنع ابن الباذش من اقناعه ويشرح لابن شريح ما أشكل من اوضاعه ويقصر عن رتبته الداني ويحرز صدرا المنصة من حرز الاماني ويشارك في المنطق واصول الفقه والعدد والفرائض والاحكام مشاركة حسنة ويتقدم في الادب نظما ونثرا وكتبا وشعرا الى براعة الخط واحكام الرسم واتقان بعض الصنائع العملية كتفسير الكتب وتنزيل الذهب وغيرهما نشأ بالحضرة العلية لا يغيب عن حلقات المشيخة ولا يريم عن مظان الاستفادة ولا يفتر عن المطالعة والتقييد ولا يسأم من المناظرة والتحصيل مع المحافظة التي لا تخرم ولا تنكسر والمفاوضة في الادب ونظم القريض والفكاهة التي لا تقدح في وقار انتهى ملخصا* وقد أطال في تعريفه باوراق عدة ثم قال مولده في الربع الثالث من يوم الخميس ثاني عشر جمادى الاولى من عام ستين وسبعمائة كما نقلته من خط ابنه ثم قال وله مسائل متعددة في فنون شتى ضمنها كل سديد من البحث وصحيح النظر وأما كتبه فالدر النفيس والياقوت الثمين والروض الانف والزهر النضير نصاعة لفظ واصابة غرض وسهولة تركيب ومتانة اسلوب انتهى ثم ذكر مشيخته وأطال ثم سرد تآليفه الارجوزة المسماة بتحفة الحكام والارجوزة المسماة بمهيع الوصول في علم الاصول أصول الفقه والارجوزة الصغرى المسماة بمرتقى الوصول للاصول كذلك والارجوزة المسماة بنيل المنى في اختصار الموافقات والقصيدة المسماة بايضاح المعاني في القرا آت الثماني والقصيدة المسماة بالامل المرقوب في قراءة يعقوب والقصيدة المسماة بكنز المفاوض في علم الفرائض والارجوزة المسماة بالموجز في النحو حاذى بها رجز ابن مالك في غرض البسط له والمحاذاة لقصده والكتاب المسمى بالحدائق في أغراض شتى من الآداب والحكايات * توفي بين العصر والمغرب يوم الخميس حادى عشر شوال عام تسعة وعشرين وثمانمائة انتهى كلام الوزير ابن عاصم وانما ذكرته لان أهل الاندلس يقولون في حقه انه ابن الخطيب الثاني ولولا خوف الاطالة لذكرت بعض انشائه ونظمه فانه في الذروة العليا وقد ذكرت جملة من ذلك في ازهار الرياض في اخبار

لم يلهه عمره عين يفجرها ولا النخيل ولا ركض البراذين

ولعمر رحمة الله عليه خطب وأخبار حسان غير ما ذكرنا في هذا الكتاب في الزهد وغيره وقد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا والحمد لله رب العالمين

(ذكر أيام يزيد بن عبد الملك بن مروان)

وملك يزيد بن عبد الملك في اليوم الذي توفي فيه عمر ابن عبد العزيز وهو يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة ويكنى أبا خالد وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وتوفي يزيد بن عبد الملك باربد من أرض البلقاء من أعمال دمشق يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة وهو ابن سبع وثلاثين سنة فكانت ولايته أربع سنين وشهرا ويومين

(ذكر لمع من أخباره وسيره وما كان في أيامه)

كان الغالب على يزيد بن عبد الملك حب جارية يقال لها سلامة القس وكانت لسهيل بن عبد الرحمن ابن عوف الزهري فاشتراها يزيد بثلاثة آلاف دينار فاعجب بها وغلبت على أمره وفيها يقول عبد الله بن قيس الرقيات

عياض وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض * ولنرجع الى الترجمة المقصودة فنقول والسلماني نسبة الى سلمان باسكان اللام على الصحيح قال ابن الاثير والمحدثون يفتحون اللام وسلمان حي من مراد من عرب اليمن القحطانيين دخل الاندلس منهم جماعة من الشأم وسلف لسان الدين رحمه الله تعالى ينتسبون اليهم كما سبق في كلامه وهو مشهور الى الآن بالمغرب بابن الخطيب السلماني ولذلك خاطبه شيخه شيخ الكتاب الرئيس أبو الحسن بن الجياب حين حل مالقة بقوله

أيا كتابي اذا ماجئت مالقة * دار المكارم من مثنى ووحدان
فلا تسلم على ربع لذي سلم * بها وسلم على ربع لسلمان

فاجابه لسان الدين رحم الله تعالى الجميع بقوله

ياليت شعري هل يقضي تألفنا * ويثني الشوق عن غاياته الثاني
أوهل يحن على نفسي معذبها * أوهل يرق لقلبي قلبي الثاني

وعلى ذكر نسبة ابن الخطيب لسلمان فقد تذكرت هنا بيتا أنشدنيه لنفسه صاحبنا الوزير الشهير الكبير البليغ صاحب القلم الاعلى سيدي أبو فارس عبد العزيز القشتالي صب الله تعالى عليه شآبيب رحماه من قصيدة نونية مدح بها سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وتخلص الى مدح مولانا السلطان المنصور بالله أبي العباس أحمد الحسني أمير المؤمنين صاحب المغرب رحمه الله تعالى وهو

أولئك فخري ان فخرت على الورى * ونافس بيتي في الولاية بيت سلمان

واراد كما أخبرني بيت سلمان القبيلة التي منها لسان الملة والدين بن الخطيب رحمه الله تعالى أشار الى ولاء الكتابة للخلافة كما كان لسان الدين السلماني رحمه الله تعالى كذلك وفيه مع ذلك تورية بسلمان الفارسي رضي الله عنه وأرضاه * وقد رأيت أن اسرد هنا هذه القصيدة الفريدة لبلاغتها التي بذت شعر اليتيمة والخريدة ولان شجون الحديث الذي جرّ اليها شوّقتني الى معاهدي المغربية التي أكثر البكاء عليها بحضرة المنصور بالله الامام سقى الله تعالى عهادها صوب الغمام حيث الشباب غض يانع والمؤمل لم يحجبه مانع والسلطان عارف بالحقوق والزمان وهو أبو الورى لم يشب برّه بالعقوق والليالي مسالمة غير راميه من البين بنبال والغربة الجالبة للكربة لم تخطر ببال ورؤساء الدولة الحسنية السنية ساعون فيما يوافق الغرض ويلائم والايام ثغورها بواسم وأوقاتها أعياد ومواسم وأفراح وولائم فلله فيها عيش مانسيناه وعز ما اقتبسناه والمدى من طور سيناه

مضى ما مضى من حلو عيش ومره * كأن لم يكن الا كاضغاث أحلام

وهذا نص القصيدة

هم سلبوني الصبر والصبر من شاني * وهم حرموا من لذة الغمض أجفاني
وهم أخفروا في مهجتي ذمم الهوى * فلم يذنهم عن سفكها حي الجاني
لئن أترعوا من قهوة البين اكوسي * فشوقهم أضحى سميري وندماني

فاحتالت ام سعيد العثمانية جدته بشراء جارية يقال لها حبابة قد كان في نفس يزيد بن عبد الملك قديما منها شيء فغلبت عليه ووهب سلامة لام سعيد فعذله مسلمة بن عبد الملك لما عم الناس من الظلم والجور باحتجابه واقباله على الشرب واللهو وقال انما مات عمر أمس وكان من عدله ما قد علمت فينبغي أن تظهر للناس العدل وترفض هذا اللهو فقد اقتدى بك عمالك في سائر افعالك وسيرتك فارتدع عما كان عليه واظهر الاقلاع والندم وأقام على ذلك مدة مديدة فغلظ ذلك على حبابة فبعثت الى الاحوص الشاعر ومعبد المغني انظرا ما أنتما صانعان فقال الاحوص في أبيات له

الا لا تلمه اليوم أن يتبلدا
فقد غلب المحزون أن يتجلدا
اذا كنت لا تعشق ولم تدر ما الهوى
فكن حجرا من يابس الصلد جلمدا
فما العيش الا ما تلذ وتشتهي
وان لام فيه ذو الشنان وفندا

وغناه معبد وأخذته حبابة

فلما دخل عليها يزيد قالت يا أمير المؤمنين اسمع مني صوتا واحدا ثم افعل ما بدا لك وغنته فلما فرغت منه جعل يردد وان

وان غادرتني بالعراء حمولهم * لفي ان قلبي جاهد اثر أظعان
قف العيس واسأل ربعهم أية مضوا * ألجزع سار وامدلجين أم البان
وهل باكروا بالسفح من جانب اللوى * ملاعب آرام هناك وغزلان
وأين استقلوا هل بهضب تهامة * أناخوا المطايا أم على كثب نعمان
وهل سال في بطن المسيل تشوقا * نفوس ترامت للحمى قبل جثمان
واذ جروها بالعشي فهل ثنى * ازمتها الحادي الى شعب بوان
وهل عرسوا في دير عبدون أم سروا * يؤم بهم رهبانهم دير نجران
سروا والدجى صبغ المطارف فانثني * باحداجهم شتى صفات وألوان
وأدلج في الاسحار بيض قبابهم * فلحن نجوما في معارج كثبان
لك الله من ركب برى الارض خطوة * اذا زمها بدنا نواعم أبدان
أرحها مطايا قد تمشي بها الهوى * تمشي الحميا في مفاصل نشوان
و يمم بها الوادي المقدس بالحمى * به الماء صدا والكلا نبت سعدان
وأهد حلول الحجر منه تحية * تفاوح عرفا ذاكي الرند والبان
لقد نفحت من شيح يثرب نفحة * فهاجت مع الاسحار شوقي وأشجاني
وفتت منها الشرق في الغرب مسكة * سحبت بها في أرض دارين أرداني
وأذكرني نجدا وطيب عراره * نسيم الصبا من نحو طيبة حياني
أحن الى تلك المعاهد انها * معاهد اطلاقي و روحي وريحاني
وأهفو مع الاشواق للوطن الذي * به صح لي أنسي المني وسلواني
وأصبو الى أعلام مكة شائقا * اذا لاح برق من شمام وثهلان
أهيل الحمى ديني على الدهر زورة * أحث بها شوقا لكم عزمي الواني
متى يشتفي جفني القريح بلحظة * ترج بها في نوركم عين انساني
ومن لي بان يدنو لقاكم تعطفا * ودهري عني دائما عطفه ثاني
سقى عهدهم بالخيف عهد تعهده * سوافح دمع من شؤوني هتان
وأنعم في شط العقيق اراكة * بافيائها ظل المنى والهوى داني
وحيى ربوعا بين مروة والصفا * تحية مشتاق لها الدهر حيران
ربوعا بها تتلو الملائكة العلا * افانين وحي بين ذكر وقرآن
وأول أرض باكرت عرصاتها * وطرزت البطحا سحائب ايمان
وعرس فيها للنبوة موكب * هو البحر طام فوق هضب وغيطان
و أدى بها الروح الامين رسالة * أفادت بها البشرى سدائح عنوان
هنالك فص ختمه أشرف الورى * وفخر نزار من معد بن عدنان
محمد خير العالمين بأسرها * وسيد أهل الارض من انس والجان
ومن بشرت في بعثه قبل كونه * نوامس كهان وأحبار رهبان
وحكمة هذا الكون لولاه ما سمت * سماء ولا غاضت طوافح طوفان

وعاد بعد ذلك الى لهوه وقصفه ورفض ما كان عليه وذكر اسحق بن ابراهيم الموصلي قال حدثني ابن سلام قال ذكر يزيد قول الشاعر

صفحنا عن بني ذهل
وقلنا القوم اخوان
عسى الايام أن يرجع
ن قوما كالذي كانوا
فلما صرح الشر
فأمسى وهو عريان
مشينا مشية الليث
غدا والليث غضبان
بضرب فيه توهين
وتخضيع واقران
وطعن كفم الزق
وهي والزق ملآن
وفي الشر نجاة حي
ن لا ينجيك احسان

وهو شعر قديم يقال انه للفند في حرب البسوس فقال لحبابة غنيني به بحياتي فقالت يا أمير المؤمنين هذا شعر لا أعرف أحدا يغني به الا الاحول المكي فقال نعم قد كنت سمعت ابن عائشة يعمل فيه ويترك قالت انما أخذه عن فلان ابن أبي لهب وكان حسن الاداء فوجه يزيد الى صاحب مكة اذا أتاك كتابي هذا فادفع الى فلان بن أبي لهب ألف دينار لنفقة طريقه واحمله على ما شاء من دواب البريد ففعل فلما قدم عليه قال غنني

الغناء فقال يا أمير المؤمنين أخذته عن أبي وأخذه أبي عن أبيه فقال لو لم ترث إلا هذا الصوت لكان أبو لهب قد ورثكم خيرا كثيرا فقال يا أمير المؤمنين إن أبا لهب مات كافرا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد أعلم ما تقول ولكني دخلتني له رقة إذ كان مجيدا للغناء ووصله وكساه ورده إلى بلده مكرما وكان في عهد عمر إلى يزيد إذا أمكنتك القدرة بالعزة فاذكر قدرة الله عليك وقيل إن هذا الكلام كتب به عمر إلى بعض عماله وفيه زيادة على ما ذكره الزبير بن بكار وهي إذا أمكنتك القدرة من ظلم العباد فاذكر قدرة الله عليك بما تأتي عليهم واعلم أنك لا تأتي عليهم أمرا إلا كان زائلا عنهم باقيا عليك وإن الله يأخذ للمظلوم من الظالم ومهما ظلمت من أحد فلا تظلمن من لا ينتصر عليك إلا بالله تعالى واعتلت حبابة فأقام يزيد أياما لا يظهر للناس ثم ماتت فأقام أياما لا يدفنها جزعا عليها حتى جيفت فقيل إن الناس يتحدثون بجزعك وإن الخلافة تجل عن ذلك

ولا زخرفت من جنة الخلد أربع * تسبح فيها الحور رمع جمع ولدان
ولا طلعت شمس الهدى غب دجية * تجهم من ديجورها الليل كفران
ولا أحدقت بالمذنبين شفاعة * يذودبها عنهم زبانى نيران
له معجزات أخرست كل جاحد * وسلت على المرتاب صارم برهان
له انشق قرص البدر شقين وارتوى * بماء همى من كفه كل ظمآن
وأنطقت الأوثان نطقا تبرأت * إلى الله فيه من زخارف ميان
دعا سرحة عجما فلبت وأقبلت * تجر ذيول الزهر ما بين أفنان
وضاءت قصور الشأم من نوره الذي * على كل أفق لاح للقطر والداني
وقد بهج الأنوا بدعوته التي * كست أوجه الغبراء بهجة نيسان
وإن كتاب الله أعظم آية * بها افتضح المرتاب وابتأس الشاني
وعدى على شأو البليغ بيانه * فهيهات منه سجع قس وسحبان
نبي الهدى من أطلع الحق أنجما * محا نورها أسداف إفك وبهتان
لعزتها ذل الأكاسرة الألى * هم سلبوا تيجانها آل ساسان
وأحرز للدين الحنيفي بالقنا * تراث الملوك الصيد من عهد يونان
وتم من سمر القنا السمر قيصرا * تجرعه منه مجاجة ثعبان
وأضحت ربوع الكفر والشك بلقعا * يناغي الصدى فيهن هاتف شيطان
وأصبحت السمحا ترف نضارة * ووجه الهدى بادي الصباحة للراني
أيا خير أهل الأرض بيتا ومحتدا * وأكرم كل الخلق عجم وعربان
فمن للقوافي أن تحيط بوصفكم * ولو ساجلت سبقا مدائح حسان
إليك بعثناها أماني أجدبت * لتسقى بمزن من أياديك هتان
أجرني إذا أبدى الحساب جرائمي * وأثقلت الأوزار كفة ميزاني
فأنت الذي لولا وسائل عزه * لما فتحت أبواب عفو وغفران
عليك سلام الله ما هبت الصبا * وماست على كثبانها ملد قضبان
وحمل في جيب الجنوب تحية * يفوح بمسراها شذا كل توقان
إلى العمرين صاحبيك كليهما * وتلوهما في الفضل صهرك عثمان
وحيا عليا عرفها وأريجها * ووالى على سبطيك أوفر رضوان
إليك رسول الله صممت عزمة * إذا أزمعت فالشحط والقرب سيان
وخاطبت مني القلب وهو مقلب * على جمرة الأشواق فيك فلباني
فيا ليت شعري هل أزم قلائصي * إليك بدارا أو أقلقل كيراني
وأطوي أديم الأرض نحوك راحلا * نواجي المهاري في صحاصح قيعان
يرنحها فرط الحنين إلى الحمى * إذا فرد الحادي بهن وغناني
وهل تمحون عني خطايا اقترفتها * خطاي في تلك البقاع وأوطان
وماذا عسى يثني عناني وإن لي * بأ... للنجاها صهوة العز أمطاني

فدفنها وأقام على قبرها فقال: فإن تسل عنك النفس أو تدع الهوى * فباليأس تسلو النفس لا بالتجلد

اذا نأى عن زوارك البأس والعنا * يجود ابنك المنصور أحمد أغانى
عمادى الذى أوطا السماكين أخمصا * وأوفى على السبع الطباق فأدنانى
متوج املاك الزمان وان سطا * أحل سيوفا فى معاقد تيجان
وقارى أسود الغاب بالصيد مثلها * اذا اضطرب الخطى من فوق جدران
هزبر اذا زار البلاد زئيره * تضاءل فى أخياسها أسد خفان
وان اطلعت غيم القتام جيوشه * وأرزم فى مركومه رعد نيران
صببن على أرض العداة صواعقا * اسلن عليهم بحر خسف ورجفان
كتائب لو يعلون رضوى لصدعت * صفاه الجياد الجرد تعدو بعقبان
عديد الحصا من كل أروع معلم * وكل كمى بالردينى طعان
اذا جن ليل الحرب عنهم على العدا * هدتهم الى أوداجها شهب خرصان
من اللاء جرعن العدا غصص الردى * وعفرن فى وجه الثرى وجه بستان
وفتحن أقطار البلاد فاصبحت * تؤدى الخراج الجزل أملاك سودان
امام البرايا من على نجاره * ومن عترة سادوا الورى آل زيدان
دعائم ايمان وأركان سودد * ذووهمم قد عرست فوق كيوان
هم العلويون الذين وجوههم * بدور اذا ما أحلكت شهب ازمان
وهم آل بيت شيد الله سمكه * على هضبة العلياء ثابت أركان
وفيهم فشا الذكر الحكيم وصرحت * بفضلهم آيات ذكر وفرقان
فروع ابن عم المصطفى ووصيه * فناهيك من فخرين قربى وقربان
ودوحة مجد معشب الروض بالعلا * يجود بأمواه الرسالة ريان
بمجدهم الاعلى الصريح تشرفت * معد على العرباء عاد وقحطان
أولئك فخرى ان فخرت على الورى * ونافس بيتى فى الولاء بيت سلمان
اذا اقتسم المداح فضل فخارهم * فقسمى بالمنصور ظاهر رجحان
امام له فى جبهة الدهر ميسم * ومن عزه فى مفرق الملك تاجان
سما فوق هامات النجوم بهمة * يحوم بها فوق السموات نسران
وأطلع فى أفق المعالى خلافة * عليها وشاح من علاء وسمطان
اذا ما احتبى فوق الاسرة وارتدى * على كبرياء الملك نخوة سلطان
توسمت لقمان الحجا وهو ناطق * وشاهدت كسرى العدل فى صدر ايوان
وان هزه حر الثناء تدفقت * أنامله عرفا تدفق خلجان
أيا ناظر الاسلام شم بارق المنى * وبا كر روض فى ذرا المجد فينان
قضى الله فى علياك أن تملك الدنا * وتفتحها ما بين سوس وسودان
وأنك تطوى الارض غير مدافع * فمن أرض سودان الى أرض بغدان
وتعلو هاعبد لا يرف لواؤه * على الحرمين أو على رأس غمدان
فكم هنأت أرض العراق بك العلا * ووافت بك البشرى لاطراف عمان

ثم أقام بعدها أياما قلائل ومات حدث أبو عبد الله محمد بن ابراهيم عن أبيه عن اسحق الموصلي عن أبي الحويرث الثقفي قال لما ماتت حبابة [illegible] عليها يزيد بن عبد الملك [illegible] حزنا شديدا وضم اليه جوارى كانت تحدثها فكان [illegible] معه فتمثلت الجارية يوما

كفى حزنا للهائم الصب أن يرى
منازل من يهوى معطلة قفرا

فبكى حتى كاد أن يموت ولم تزل تلك الجويرية معه يتذكر بها حبابة حتى مات وكان يزيد ذات يوم فى مجلسه وقد غنته حبابة وسلامة فطرب طربا شديدا ثم قال أريد أن أطير فقالت له حبابة يا مولاى فعلى من تدع الامة وتدعنا وكان أبو حمزة الخارجى اذا ذكر بنى مروان وعابهم ذكر يزيد ابن عبد الملك فقال أقعد حبابة عن يمينه وسلامة عن يساره ثم قال اريد أن اطير فطار الى لعنة الله وأليم عذابه (قال المسعودى) وقد كان يزيد بن المهلب ابن أبى صفرة هرب من سجن عمر بن عبد العزيز حين أثقل وذلك فى سنة احدى ومائة وصار الى البصرة وعليها عدى بن ارطاة الفزارى فاخذه يزيد بن المهلب فاوثقه ثم خرج يزيد الكوفة مخالفا على يزيد بن عبد الملك وحشدت له الازد وأحلافها وانحاز اليه أهله وخاصته وعظم أمره واشتدت

فلو شارفت شرق البلاد سيوفكم * أتاك استلابا تاج كسرى وخاقان
ولو نشر الاملاك دهرك أصبحت * عيالا على علياك أبناء مروان
وشايعك السفاح يقتاد طائعا * برايته السوداء أهل خراسان
فيا مجد الامارفعت سماكه * على عمدى سمر الطوال ومران
وهاتيك أبكار القوافي جليتها * تغازلهن الحور في دار رضوان
أتتك أمير المؤمنين كأنها * لطائم مسك أو خمائل بستان
تعاظمن حسنا أن يقال شبيهها * فرائد در أو قلائد عقيان
فلا زلت للدنيا تحوط جهاتها * وللدين تحميه بملك سليمان
ولا زلت بالنصر العزيز مؤزرا * تقاد لك الاملاك في زي عبدان

انتهت القصيدة التي في تغزلها شرح الحال وأعرب عما في ضمير الغربة والارتحال ولنعززها باختها في البحر والروي قصيدة القاضي الشهير الذكر الاديب الذي سلبت النهى كواعب شعره اذا برزها من خدور الفكر الشيخ الامام سيدي أبو الفتح محمد بن عبد السلام المغربي التونسي نزيل دمشق الشام صب الله على ضريحه سجال الرحمة والانعام فانها نفث مصدور غريب وبث مغدور أديب فارق مثلي أوطانه وما سلاها وقرأ آيات الشجو وتلاها وتمنى أن يجود له الدهر برؤيته تجتلاها وهي قوله رحمه الله وأنشأها بدمشق عام واحد وخمسين وتسعمائة

سلوا البارق النجدي عن سحب أجفاني * وعما بقلبي من لواعج نيران
ولا تسألوا غير الصبا عن صبابتي * وشدة أشواقي اليكم وأشجاني
فمالي سواها من رسول اليكم * سريع السرى في سيره ليس بالواني
فياطالما بالاسحار ماقد تكفلت * بانعاش محزون وايقاظ وسنان
وتنفيس كرب عن كئيب متيم * يحن الى أهل ويصبو لاوطان
فلله ما أذكى شذا نسمة الصبا * صباحا اذا مرت على الرند والبان
وسارت مسير الشمس وهنا فأصبحت * من الشرق نحو الغرب تجري بحسبان
وقد وقفت بالشام وقفة حامل * نوافح مسك من ظباء خراسان
لترتاض في تلك الرياض هنيأة * وتزداد من أزهارها طيب أردان
وما غربت حتى تضاعف نشرها * بواسطتي روح هناك وريحان
فكم نحوكم حملتها من رسالة * مدونة في شرح حالي ووجداني
وناشدتها بالله الا تفضلت * بتبليغ أحبابي السلام وجيراني
تحية مشتاق الى ذلك الحمى * وسكانه والنازحين باظعان
سقى الله هاتيك الديار وأهلها * سحائب تحكي صوب مدمعي القاني
وحيا ربوع الحي من خير بلدة * تخيرها قدما أفاضل يونان
هي الحضرة العليا مدينة تونس * أنيسة انسان رآها بانسان
لها الفخر والفضل المبين بما حوت * من الانس والحسن المنوط باحسان

شوكته فبعث اليه أخاه مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك في جيش عظيم فلما شارفاه رأى يزيد بن المهلب في عسكره اضطرابا فقال ما هذا الاضطراب قيل جاء مسلمة والعباس قال فوالله ما مسلمة الا جرادة صفراء وما العباس الا اسطوس ابن اسطوس وما أهل الشأم الا طغام قد حشدوا ما بين فلاح وزراع ودباغ وسفلة فأعيروني أكفكم ساعة تصفعون بها خراطيمهم فما هي الا غدوة أو روحة حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الظالمين علي بفرسي فأتي بفرس أبلق فركب غير متسلح فالتقى الجيشان فاقتتلوا قتالا شديدا وولى أصحاب يزيد عنه فقتل يزيد في المعركة وصبر اخوته أنفسهم فقتلوا جميعا ففي ذلك يقول الشاعر

كل القبائل بايعوك على الذي * تدعوا اليه طائعين وساروا
حتى اذا حضر الوغى وجعلتهم * نصب الاسنة أسلموك وطاروا
ان يقتلوك فان قتلك لم يكن * عارا عليك وبعض قتل عار

فلما ورد الخبر على يزيد بن عبد الملك استبشر وأخذ الشعراء جميعا يهجون آل المهلب الا كثيرا فانه امتنع من ذلك فقال له يزيد حركتك الرحم يا أبا صخر لانهم يمانيون لقد

لقد حل منها آل حفص ملوكها * مراتب تسمو فوق هامة كيوان
وسادوا بها كل الملوك وشيدوا * بها من مباني العز أفخر بنيان
وكان لهم فيها بهاء وبهجة * وحسن نظام لا يعاب بنقصان
وكان لهم فيها عساكر جمة * تصول بأسياف وتسطو بعمران
جيوش وفرسان يضيق بها الفضا * وتحجم عنها الفرس من آل ساسان
وكان لأهليها المفاخر والعلا * وكان بها حصنا أمان وإيمان
وكان على الدنيا جمال بحسنها * وحسن بنيها من ملوك وأعيان
وكانت لطلاب المعارف قبلة * لما في حماها من أئمة عرفان
وكان لأهل العلم فيها وجاهة * وجاه وعز مجده ليس بالفاني
وكان بواديها المقدس فتية * تقدس باريها بذكر وقرآن
ومن أدباء النظم والنثر معشر * تفوق بناديها بلاغة سحبان
وكانت على الأعداء في حومة الوغى * تطول بأبطال وتسطو بشجعان
وما برحت فيها محاسن جمة * وفي كل نوع أهل حذق وإتقان
إلى أن رمتها الحادثات بأسهم * وسلت عليها سيف بغي وعدوان
فيا ليت تلك المحاسن أن عفت * وأقفر ربع الأنس من بعد سكان
وشتت ذاك الشمل من بعد جمعه * كما انتثرت يوما قلائد عقيان
فأعظم برزء خص خير مدينة * وخير أناس بين عجم وعربان
لعمري لقد كادت عليها قلوبنا * تضرم من خطب عراها بنيران
وقد عمنا غم بعظم مصابها * وإن خصني منه الضر بجثماني
وما بقيت فيما علمناه بلدة * من الشرق إلا ألبست ثوب أحزان
فصبرا أخي صبرا على المحنة التي * رمتك بها الأقدار ما بين إخوان
فما الدهر إلا هكذا فاصطبر له * رزية مال أو تفرق خلان
أأحبابنا إن فرق الدهر بيننا * وطال مغيبي عنكم منذ أزمان
فإني على حفظ الوداد وحقكم * مقيم وما هجر الأحبة من شاني
ووالله والله العظيم ألية * على صدقها قامت شواهد برهان
لقد زاد وجدي واشتياقي إليكم * وبرح بي طول البعاد وأضناني
فلا تحسبوا أني تسليت بعدكم * بشيء من الدنيا وزخرفها الفاني
ولا أنني يوما تناسيت عهدكم * بحال ولا أن التكاثر ألهاني
ولا راقني روض ولا هش مسمعي * لنغمة أطيار ورنة عيدان
ولا حل في فكري سوا كم بخلوة * ولا جلوة ما بين حور وولدان
ولا اختلجت يوما ضمائر مهجتي * لغيركم في سر سري وإعلاني
ولولم أسل النفس بالقرب واللقا * لأدرج جسمي في مقاطع أكفاني
فما أنا من عودي إليكم بآيس * فما اليأس إلا من علامة كفران

يا رب قوم وقوم حاسدين لكم
ما فيهم بدل منكم ولا خلف
آل المهلب جز الله دابرهم
أمسوا رمادا فلا أصل ولا طرف
ما نالت الأزد من دعوى مضلهم
إلا المعاجيم والأعناق تختطف
والأزد قد جعلوا المنتوف قائدهم
فقتلتهم جنود الله وانتسفوا

وهي طويلة وفي ذلك يقول جرير أيضا ليزيد من كلمة

لقد تركت فلا تعدمك إذ كفروا
آل المهلب عظما غير مجبور
يا ابن المهلب إن الناس قد علموا
أن الخلافة للشم المغاوير

وبعث يزيد هلال بن أحوز المازني في طلب آل المهلب وأمره أن لا يلقى منهم من بلغ الحلم إلا ضرب عنقه فاتبعهم حتى قندابيل من أرض السند وأتى هلال بغلامين من آل المهلب فقال لأحدهما أدركت قال نعم ومد عنقه فكان الآخر أشفق عليه فعض شفته لئلا يظهر جزعا فضرب عنقه وأثخن القتل في آل المهلب حتى كاد أن يفنيهم فذكر أن آل المهلب مكثوا بعد إيقاع هلال بهم عشرين سنة يولد فيهم الذكور فلا يموت منهم أحد وفي مدح

عليكم سلام الله في كل ساعة * تحية صب لايدين بسلوان
مدى الدهر ماناحت مطوقة وما * تعاقب بين الخافقين الجديدان انتهت

ولصاحب الترجمة لسان الدين بن الخطيب قصيدة طنانة بهذا الوزن والقافية مدح بها السلطان أبا سالم المريني حين فتح تلمسان وقد رأيت ايرادها في هذا الباب لما اشتمل عليه آخرها من شرح أمر الأعراب الذي حير الالباب وللمناسبة أسباب لاتخفى على من له فكر مصيب *وكل غريب للغريب نسيب*وهي

أطاع لساني في مديحك احساني * وقد لهجت نفسي بفتح تلمسان
فأطلعتها تفتر عن شنب المنى * وتسفر عن وجه من السعد حياني
كما ابتسم النوار عن أدمع الحيا * وجف بخد الورد عارض نيسان
كما صفقت ريح الشمال شمولها * فمال ارتياح السكر في غصن البان
تهنيك بالفتح الذي معجزاته * خوارق لم تدخر سوى الانسان
خفقت اليها والجفون ثقيلة * كما خف شثن الكف من أسد خفان
وقدت الى الاعداء فيها مبادرا * ليوث رجال في مناكب عقبان
عمد بنود النصر منهم ظلالها * على كل مطعام العشيات مطعان
جحاجحة غر الوجوه كأنما * عمائمهم فيها معاقد تيجان
أمدك فيها الله بالملا العلا * فجيشك مهما حقق الامر جيشان
لقد جليت منك البلاد لخاطب * لقد جنيت منك الغصون الى جاني
لقد كست الاسلام بيعتك الرضا * وكانت على اهليه بيعة رضوان
ولله من ملك سعيد ونصبه * قضى المشترى فيها بمنزلة كيوان
وسجل حكم العدل بين بيوتها * وقوفا مع المشهور من رأى يونان
فلم تخش سهم القوس صفحة بدرها * ولم تلك فيها الشمس من نحس ميزان
ولم يعترض مبتزها قطع قاطع * ولانازعت نوبهرها كف عدوان
تولى اختيار الله حسن اختيارها * فلم يحتج الفرغان فيها الفرغان
ولاصر فت فيها دقائق نسبة * ولو خففت فيها طوالع بلدان
وجوه القضايا في كمالك شانها * وجوب اذا خصت سواك بامكان
ومن قاس منك الجود بالبحر والحيا * فقد قاس تمويها قياس سفسطاني
وطاعتك العظمى بشارة رحمة * وعصيانك المحذور نزغة شيطان
وحبك عنوان السعادة والرضا * ويعرف مقدار الكتاب بعنوان
ودين الهدى جسم وذاتك روحه * وكم وصلة مابين روح وجثمان
تضن بك الدنيا وتحرسك العلا * كأنك منها بين لحظ وأجفان
بنيت على آساس أسلافك العلا * فلا هدم المبنى ولا عدم الباني
وصاحبت بك العليا فلم تلك غافلا * ونادت بك الدنيا فلم تك بالواني
ولم تك في خوض البحار بهائب * ولم تك في نيل الفخار بكسلان

اخاف على نفسي ابن احوزانه
جلا كل هم في النفوس وأسفرا
جعلت لقبر بالخيار ومالك
وقبر عدي بالمقابر اقبرا
فلم يبق منهم راية تعرفونها
ولم يبق من آل المهلب عسكرا
وهي ابيات وقد كان يزيد ابن عبد الملك حين ولي عمر ابن هبيرة الفزاري العراق واضاف اليه خراسان واستقام امره هنالك بعث ابن هبيرة الى الحسن بن ابي الحسن البصري وعامر بن شرحبيل الشعبي ومحمد بن سيرين وذلك في سنة ثلاث ومائة فقال اللهم ان يزيد بن عبد الملك خليفة الله استخلفه على عباده وأخذ ميثاقهم بطاعته وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة وقد ولاني ماترون يكتب الي بالامر من أمره فأنفذه وأقلده مايقلده من ذلك فماترون فقال ابن سيرين والشعبي قولا فيه تقية فقال عمر ماتقول ياحسن فقال الحسن ياابن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله ان الله يمنعك من يزيد وان يزيد

لايمنعك من الله وأوشك أن يبعث اليك ما يكافيز يلك عن سريرك و يخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك لقد

لقد هز منك العزم لما انتضيته * ذوائب رضوى أو منا كب ثهلان
ولله عينا من رآها محـــلة * هي الحشر لا تحصى بعد وحسبان
وتنـور عزم فار في اثر دعوة * يعم الاقاصي والاداني بطوفان
عجـائب أقطـار وما ألف شـارد * وأفلاذ آفاق وموعـد ركبان
اذا ما سرحت اللحظ في عرصاتها * تبلد منك الذهن في العالم الثـاني
جناحان والنصر العزيز اهتصاره * اذا انتظمت بالقلب منها جناحان
فمن سحب لاحت بها شهب القنا * ومن كثب بيض بدت فوق كثبان
مضارب في البطحاء بيض قبابها * كما قلبت للعين أزهـار سوسـان
وما ان رأى الرائون في الدهر قبلها * قرارة عز في مـدينـة كتان
تفوت التفات الطرف حال اقتبالها * كانك قـد سخرت جن سـليمان
فقد أطرقت من خوفها كل بيعة * وطأطأ من اجلالهـا كل ايوان
وقد ذعرت خولان بين بيوتها * غـداة بدت منها البيوت بخولان
فلو رميت مصر بها وصعيدها * لأضحت خـلاء بلقعا بعد عمران
ولو يممت سيف بن ذي يزن لما * تقرر ذاك السيف في غمد غمدان
تراع بها الاوثان في أرض رومة * اذا خيمت شرقا على طرق أوثان
وتجفل اجفال النعام ببرقة * ليوث الشرى ما بين ترك وعربان
وعرضا كيوم العرض أذهل هوله * عياني وأعياني تعـدد أعيان
وجيشا كقطع الليل للخيل تحته * اذا صهلت مقتنـة رجع ألحان
فيومض من بيض الظبا ببوارق * ويقذف من سمر الرماح بشهبان
ويمطر من ودق السهام بحاصب * سحائبـه من كل عوجاء مرنان
وجردا اذا ما ضمـرت يوم غاية * تعجبت من ريح تقاد بارسـان
تسابق ظلمان الفـلاة بمثلهـا * وتذعر غزلان الرمال بغـزلان
ودون مهب العزم منك قواضب * أبي النصر يوما أن تسـلم بأجفان
تطـررت اليهـا والنجيع لباسها * فقلت سيوف أم شـقائق نعـمان
تفتح ورد اخـدها حـين جردت * ولا ينكر الاقـوام خجـلة عريان
كأن الوغى نادت بهـا وليمـة * قد احتفلت أوضاعها منذ أزمان
فان طمعت بالنصر كان وضوءها * نجيعا ووافاها الغبار باشـنان
لقـد خلصت لله منـك سجية * جزاك على الاحسان منك باحسان
فسـيفك للفتح المبين مصاحب * وعزمك والنصر المؤزر الفان
فرح واغد للرحمن تحت كلاءة * وسرحان في غاب العدا كل سرحان
ودم والمنى تدني اليك قطافهـا * ميسر أوطار ممهـــد أوطـان
وكن واثقـا بالله مسـتنصرا به * فسلطانه يعلو على كل سلطان
كفاك العدا كاف للملك كافل * فضدك نضو ميت بين اكفان

ثم لا يعجبك الاعمال يا ابن هبيرة انى أحذرك ان تعصى الله فانما جعل الله هذا السلطان ناصرا لدين الله وعباده فلا تركن دين الله وعباده بسلطان الله فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وحكي في هذا الخبر أن ابن هبيرة أجازهم وأضعف جائزة الحسن فقال الشعبي سفسفنا فسفسف لنا وذكر أن يزيد بن عبد الملك بلغه أن أخاه هشام ابن عبد الملك ينتقصه ويتمنى موته ويعيب عليه لهوه بالقينات فكتب اليه يزيد أما بعد فقد بلغني استثقالك حياتي واستبطاؤك موتي ولعمري انك بعدي لواهي الجناح أجذم الكف وما استوجبت منك ما بلغني عنك فاجابه هشام اما بعد فان أمير المؤمنين متى فرغ سمعه لقول اهل الشنآن واعداء النعم يوشك ان يقدح ذلك في فساد ذات البين وتقطع الارحام وامير المؤمنين بفضله وما جعله الله اهلا له أولى ان يتغمد ذنوب اهل الذنوب فأما أنا فمعاذ الله أن أستثقل حياتك او استبطئ وفاتك فكتب اليه نحن مغتفرون ما كان منك ومكذبون ما بلغنا عنك فاحفظ وصية عبد الملك ايانا وقوله لنا في ترك التباغي والتخاذل وما امر به وحض عليه من صلاح ذات البين واجتماع الاهواء فهو خير لك وأملك بك

رضا الوالد المولى أبيك عرفته * وقد أنكر المعروف من بعد عرفان
فكم دعوة أولاك عند انتقاله * الى العالم الباقى من العالم الفانى
فعرفت فى السراء نعمة منعم * وألحفت فى الضراء رحمة رحمان
عجبت لمن يبغى الفخار بدعوة * مجردة من غير تحقيق برهان
وسنة ابراهيم فى الفخر قد أتت * بكل صحيح عن على وعثمان
ومن مثل ابراهيم فى ثبت موقف * اذا ما التقى فى موقف الحرب صفان
اذا هم لم يلفت بلحظة هائب * وان من لم ينفث بلفظة منان
فصاحة قس فى سماحة حاتم * واقدام عمرو تحت حكمة لقمان
شمائل ميمون النقيبة أروع * له قصبات السبق فى كل ميدان
محبته فرض على كل مسلم * وطاعته فى الله عقدة ايمان
هنيأ أمير المسلمين بنعمة * حبيت بها من مطلق الجود منان
لزينت أجياد المنابر بالتى * اتاح لها الرحمن فى آل زيان
قلائد فخ هن لكن قدرها * ترفع أن يدعى قلائد عقيان
أمولاى حى فى علاك وسيلتى * ولطفك بى دأبا يعد حك أغرانى
أياديك لا أنسى على بعد المدى * نعوذ بك اللهم من شر نسيان
فلا جحد ما خولتنى من سجيتى * ولا كفر نعماك العميمة من شانى
ومهما انتحلت الحقوق لاهلها * فانك مولاى الحقيق وسلطانى
وركنى الذى لما نبا بى منزلى * اجاب ندائى بالقبول وآوانى
وعالج أيامى وكانت مريضة * بحكمة من لم ينتظر يوم بحران
فأمننى الدهر الذى ند أخافنى * وجدد لى السعد الذى كان أبلانى
وخولنى الفضل الذى هو أهله * وشيكا وأعطانى فافعم أعطانى
تخوننى صرف الحوادث فانثنى * يقبل أردانى ومن بعد أردانى
وأزعجنى من منشئى ومبوأئى * ومعهد أحبابى ومألف جيرانى
بلادى التى فيها عقدت تمائمى * وجم بها وفرى وجل بها شانى
تحدثنى عنها الشمال فتنثنى * وقد عرفت منى شمائل نشوان
وآمل أن لا استفيق من الكرى * اذا الحلم أوطانى بها ترب أوطانى
تلون اخوانى على وقد جنت * على خطوب جمة ذات ألوان
وما كنت أدرى قبل أن يتنكروا * بأن خوانى كان مجمع خوانى
وكانت وقد حم القضاء صنائعى * على بما لا ارتضى شر أعوانى
فلولاك بعد الله يا مالك العلا * وقد دفت ما ألفيت من يتلافانى
تداركتنى بالشفاعة منعما * برئ أرماه الدهر فى موقف الجانى
فان عرف الاقوام حقك وقروا * وان جهلوا باؤا بصفقة خسران
وان خلطوا عرفا بنكر وقصروا * وزنت بقسطاس قويم وميزان

وانى لا أكتب اليك وأعلم انك كما قال الاول وانى على أشياء منك تريبنى * قديما لذو صفح على ذاك مجمل
ستقطع فى الدنيا اذا ما قطعتنى
يمينك فانظر اى كف تبدل
وان أنت لم تنصف أخاك وجدته
على طرف الهجران ان كان يعقل
فلما أتى الكتاب هشاما ارتحل اليه فلم يزل فى جواره مخافة أهل البغى والسعاية حتى مات يزيد وممن مات فى أيام يزيد بن عبد الملك عطاء بن يسار مولى ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ويكنى أبا محمد وهو ابن أربع وثمانين سنة وذلك فى سنة ثلاث ومائة وفيها مات مجاهد بن جبر مولى قيس بن السائب المخزومى ويكنى أبا الحجاج وهو ابن أربع وثمانين سنة وجابر بن زيد مولى الازد من أهل البصرة ويكنى أبا الشعثاء ويزيد بن الاصم من أهل الرقة وهو ابن اخت ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ويحيى بن وثاب الاسدى مولى بنى كنانة ثم كان وأبو بردة بن أبى موسى الاشعرى واسمه عامر كوفى وفى سنة أربع ومائة مات وهب ابن منبه ويقال مات سنة عشر ومائة وفى سنة أربع ومائة هذه أيضا مات طاوس وفى سنة خمس ومائة مات عبد الله بن جبير مولى العباس بن عبد المطلب

وحمة

وحرمة هذا العيد الى كالها * هضيمة رد أو حطيطة نقصان
وقد غضت عن امرى ونبهت همة * تحدق من علو الى صرح هامان
اذا دانت الله النفوس وأملت * اقالة ذنب أو انالة غفران
فمولاك يا مولاى قبلة وجهتى * وعهدة اسرارى وحجة اعلانى
وقفت على مثواه نفسى قائما * بترديد ذكر أو تلاوة قرآن
ولو كنت أدرى فوقها من وسيلة * الى ملك الارض لشمرت أردانى
وأبلغت نفسى جهدها غير أننى * طلابى ما بعد النهاية أعيانى
قرأت كتاب الحمد فيك لعاصم * فصحح أدائى واقتدائى واتقانى
فدونكها من بحر فكرى لؤلؤا * يفصل من حسن النظام بمرجان
وكان رسول الله بالشعر يعتنى * ولم حجة فى شعر كعب وحسان
ووالله ما وفيت قدرك حقه * ولكنه وسعى ومبلغ امكانى

وكتب لسان الدين رحمه الله قبل هذه القصيدة نثرا من انشائه يخاطب به السلطان أبا سالم المذكور وذلك أنه ورد على لسان الدين وهو بشالة سلا كتاب السلطان المذكور بفتح تلمسان وكان وروده يوم الخميس سابع عشر شعبان عام واحد وستين وسبعمائة ونص ما كتب به لسان الدين مولاى فتاح الاقطار والامصار فائدة الازمان والاعصار أثير هبات الله الآمنة من الاعتصار قدوة أولى الايدى والابصار ناصر الحق عند قعود الانصار مستصرخ الملك الغريب من وراء البحار مصداق دعاء الاب المولى فى الاصائل والاسحار أبقاكم الله سبحانه لا تقف ايالتكم عند حد ولا تحصى فتوحات الله تعالى عليكم بعد ولا تفيق أعداؤكم من كد ميسرا على مقامكم ما عسر على كل اب كريم وجد عبدكم الذى خلص ابريز عبوديته لملك ملككم المنصور المعترف لادنى رحمة من رحماتكم بالعجز عن شكرها والقصور الداعى الى الله سبحانه أن يقصر عليكم سعادة العصور و يذلل بعز طاعتكم أنف الاسد الهصور ويبقى الملك فى عقبكم وعقب عقبكم الى يوم ينفخ فى الصور فلان من الضريح المقدس بشالة وهو الذى تعددت على المسلمين حقوقه وسطع نوره وتلألأ شروقه وبلغ مجده السماء لما بسقت فروعه ووشجت عروقه وعظم بيوتكم فخرا فاق فوق البسيطة فخر يفوقه حيث الجلال قد رست هضابه والملك قد كسيت بأستار الكعبة الشريفة قبابه والبيت العتيق قد ألحفت الملاحف الامامية أثوابه والقرآن العزيز ترتل أحزابه والعمل الصالح يرتفع الى الله ثوابه والمستخبر يخفى بالهيبة سؤاله فيجهر بنعرة العز جوابه وقد تفيأ من اوراق الذكر الحكيم حديقه وتجيلة أنيقه وحط بجودى الجود نفسا فى طوفان الضر غريقه والتحف رفرف الهيبة التى لا تهتدى النفس فيها الا بهداية الله تعالى طريقه * واعتز بعزة الله وقد توسط جيش الحرمة المرينية حقيقه اذ جعل المولى المقدس المرحوم أبا الحسن مقدمة وأباه وجده وثيقه يرى بركم بهذا اللحد الكريم قد طنب عليه من الرضا فسطاطا وأعلق به يد العناية المرينية اهتماما واغتباطا وضمن له حسن العقبى التزاما

ست ومائة وصلى عليه هشام بن عبد الملك وفى سنة سبع ومائة مات سليمان بن يسار مولى ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وهو أخو عطاء بن يسار و يكنى أبا أيوب وهو ابن ثلاث وسبعين سنة بالمدينة وقيل انه مات فى سنة مائة وفى سنة ثمان ومائة مات القاسم بن محمد ابن أبى بكر الصديق ومات الحسن بن ابى الحسن البصرى ويكنى أبا سعيد فى سنة عشر ومائة واسم أبيه يسار مولى لامرأة من الانصار مات وله تسع وثمانون سنة وقيل تسعون سنة وكان أكبر من محمد ابن سيرين ومات محمد بعده بمائة ليلة فى هذه السنة و هو ابن احدى وثمانين سنة وقيل ابن ثمانين وكان أولاد سيرين خمسة اخوة محمد وسعيد ويحيى وخالد وانس بن سيرين وسيرين مولى أنس بن مالك والخمسة قد رووا السنن ونقلت عنهم ووجدت أصحاب التواريخ متباينين ومختلفين غير متفقين فى وفاة وهب ابن منبه ويكنى أبا عبد الله فمنهم من ذكر وفاته على

حسب ما قدمنا فى هذا الباب ومنهم من رأى أنه مات سنة عشر ومائة بصنعاء وكان من الابناء وهو ابن

واشتراطا وقد عقد البصر بطريقة رحمتكم المنتظرة المرتقبه ومد اليد الى لطائف شفاعتكم التي تكفل بعتق المال كما تكفلت بعتق الرقبه وشرع في المراح بعيدان نعمتكم بعد اقتحام هذه العقبه لما شنفت الاذن البشرى التي لم يبق طائر الاسجع بها وصدح ولا شهاب دجنة الاقبس من نورها واقتدح ولا صدر الا انشرح ولا غصن عطف الا سرح بشرى الفتح القريب وخبر النصر الصحيح الحسن الغريب فتح تلمسان الذى قلد المنابر عقود الابتهاج ووهب الاسلام منحة النصر غنية عن الانتهاج وألحف الخلق ظلا ممدودا وفتح باب الحج وكان مسدودا وأقر عيون أولياء الله الذين يذكرون الله قياما وقعودا وأضرع بسيف الحق جباها أبية وخدودا وملككم حق أبيكم الذى أهان عليه الاموال وخاض من دونه الاهوال وأخلص فيه الضراعة والسؤال من غير كد يغمز عطف المسره ولا جهد يكدر صفو النعم الثره ولا حصر يفض به المجنيق ذؤابته ويظهر بتكرار الركوع انابته فالحمد لله الذى أقال العثار ونظم بدعوتكم الانتثار وجعل ملككم يجدد الآثار ويأخذ الثار والعبد يهنئ مولاه بما انعم الله تعالى به عليه واولاه فاذا اجال العبيد قداح السرور فللعبد المعلى والرقيب واذا استهموا حظوظ الجذل فلى القسم الوافر والنصيب واذا اقتسموا فريضة شكر الله فلى الحظ والتعصيب لتضاعف اسباب العبودية قبلي وترادف النعم التي عجز عنها قولى وعملى وتقاصر في ابتغاء مكافاتها وجدى وان تطاول أملى فمقامكم المقام الذى نفس الكربه وآنس الغربه ورعى الوسيلة والقربه وأنعش الارماق وفك الوثاق وادر الارزاق وأخذ على الدهر بالاستقالة العهد والميثاق وان لم يباشر العبد اليد العالية بهذا الهناء ويمثل بين يدى الخلافة العظيمة السنى والسناء ويمد بسبب اليد الى تلك السماء فقد باشر به اليد التي يحق مولاى لتذكر تقبيلها ويكمل فروض المجد بتوفية حقوقها الاوبة وتكميلها ووقفت بين يدى ملك الملوك الذى أجال عليها القداح ووصل في طلب وصالها امساء الصباح وكان فتحها ايامها أباعذرة الافتتاح وقلت يهنيك يامولاى رد ضالتك المنشوده وجبر لقطتك المعرفة المشهوده ورد أمتك المودوده فقد استحقها وارثك الارضى وسيفك الامضى وقاضى دينك وقرة عينك مستنقذ دارك من يد غاصبها ورادر تبتك الى مناصبها وعامر المثوى الكريم وساتر الاهل والحريم مولاى هذه تلمسان قد طاعت وأخبار الفتح على ولدك الحبيب اليك قد شاعت والامم الى هنائه قد تداعت وعدوك وعدوه قد شردته المخافه وانضاف الى عرب الصحراء فخفضته الاضافه وعن قريب تحكم فيه يد احتكامه وتسلمه السلامة الى حمامه فلتطب يامولاى نفسك وليستبشر رمسك فقد عمت بركتك وزكا غرسك نسأل الله أن يورد على ضريحك من أنباء نصره ما تفتح له أبواب السماء قبولا ويترادف اليك مددا موصولا وعددا آخرته خير لك من الاولى ويعرفه بركة رضاك طعنا وحلولا ويضفى عليك منه سترا مسدولا ولم يقنع العبد بخدمة النثر حتى اجهد القريحة التي ركضها الدهر فأنضاها واستشفها الحادث الجلل فتقاضاها فلفق من خدمة المنظوم ما يتغمد حلمكم تقصيره

رباح وفي سنة ثلاث وعشرين ومائة مات أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى وذكر الواقدى أنه مات سنة أربع وعشرين ومائة وليزيد بن عبد الملك أخبار حسان لما كان في أيامه من الكوائن والاحداث وقد أتينا على مبسوط ذلك في كتابينا أخبار الزمان والاوسط وانما ذكرنا وفاة من سمينا من أهل العلم ونقلة الآثار وحملة الاخبار لكون ذلك زيادة في فائدة الكتاب فتكون فوائده عامة اذ كان الناس في أغراضهم متباينين وفيما يثبتونه من ماخذ العلم مختلفين فمنهم طالب خبر ومقلد لاثر ومنهم ذو بحث ونظر ومنهم صاحب حديث ومنقر عن علل ومراع لوفاة مثل من ذكرنا فجعلنا فيه لكل ذى رأى نصيبا وبالله التوفيق

(ذكر أيام هشام بن عبد الملك بن مروان)

وبويع هشام بن عبد الملك في اليوم الذى توفى فيه أخوه يزيد بن عبد الملك وهو يوم الجمعة لخمس بقين من شوال سنة خمس ومائة وقبض يزيد وله يومئذ ثمان وثلاثون سنة وقيل أربعون وتوفى هشام بن عبد الملك بالرصافة من

تقصيره ويكون اغضاؤكم اذا التى معرة العتب وليه ونصيره واحالة مولاى على الله فى نفسى جبرها ووسيلة عرفها بجده فما أنكرها وحرمة بضريح مولاى والده شكرها و يطلع العبد منه على كمال أمله ونجح عمله وتسويغ مقترحه وتتميم جذله أطاع لسانى فى مدحك احسانى الى آخر القصيدة التى تقدمت وحيث اقتضت المناسبة جلب هذه النونيات فلنضف اليها قصيدة أديب الاندلس الفقيه عمر صاحب الازجال اذ هو من فرسان هذا المجال وقد وطأ لها بنثر وجعل الجميع مقامة ساسانية سماها تسريح النصال الى مقاتل الفصال ونصها يا عماد السالكين ومحط المستفيدين والمتبركين وثمال الضعفاء والمساكين المتروكين فى طر يقك يتنافس المتنافس وعلى أعطافك تزهى العباآت وتروق الدلافس وبكتابك تحيي جوامد الافهام وبعذبتك تشرد ذئاب الاوهام وفى زنبيلك يدس التالد والطارف وبعصاك يهش على بدائع المعارف الله الله فى سالك ضاقت عليه المسالك وشاد رمى بابعاد أدركته متاعب الحرفه وأقيم من صف أهل الصفه فلا يجد نشاطا على ما يتعاطى ولا يلفى اغتباطا ان حل زاوية أو نزل رباطا أقصى عن أهل القرب والتخصيص وابتلى بثقل حالة برصيص فاحمل عليك وتوقفت اقالته على توبه بين يديك فكاتبك استدعاء واستوهب منك هداية ودعاء ليسير على ماسويت ويتحمل عنك أشتات ما رويت فيلقى الاكفاء الظرفاء عزيزا ويباهى بك كل من خاطبك مستجيزا فاصرف الى محيا الرضا وعد من ايناسك للعهد الذى مضى ولا تلقنى معرضا ولا معترضا وأصخ لى سمعك كما قدر الله تعالى وقضى

تعال نجددها طريقة ساسان * نقص عليها ما تولى الجديدان

ونصرف اليها من مثار عزائم * ونحلف عليها من مؤكد أيمان

ونعقد على حكم الوفاء هواءنا * لنأمن من أقوال زور وبهتان

ونقسم على أن لا نصدق واشيا * يروح ويغدو بين اثم وعدوان

يطوف حوالينا ليفسد بيننا * بمنطق انسان وخدعة شيطان

على أننا من عالم كلما بدا * تعوذ منه عالم الانس والجان

وحاشاك أن تلوى عن الصلح معرضا * الى الصلح آلت حرب عبس وذبيان

وانى أهمتنى شؤن كثيرة * وصلحك أولى ما أقدم من شانى

فأنت امامى ان كلفت بمذهب * وأنت دليلى ان صدعت ببرهان

سأرعاك فى أهل العباآت كلما * رأيتك فى أهل الطيالس ترعانى

ويا لابسى تلك العباآت انها * لباس امام فى الطريقة دهقان

تفرقت الالوان منها اشارة * بأنك تأتى من حلالك بألوان

ويا بابى الفصال شيخ طريقة * خلوب لالباب لعوب بأذهان

اذا جاء فى الثوب المحبر خلته * زنيبرة قد مد منها جناحان

فما تأمن الابدان آفة لسعها * وان أقبلت فى سابغات وأبدان

سأدعوك فى حالات كيدى وكديتى * بشيخى ساسان وعمى هامان

أرض قنسرين يوم الاربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فكانت ولايته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر واحدى عشرة ليلة

(ذكر لمع من أخباره وسيره)

وكان هشام أحول خشنا فظا غليظا يجمع الاموال ويعمر الارض ويستجيد الخيل وأقام الحلبة فاجتمع له فيها من خيله وخيل غيره أربعة آلاف فرس ولم يعرف ذلك فى جاهلية ولا اسلام لاحد من الناس وقد ذكرت الشعراء ما اجتمع له من الخيل واستجاد الكسى والفرش وعدد الحرب ولامتها واصطنع الرجال وقوى الثغور واتخذ القنى والبرك بطريق مكة وغير ذلك من الآثار التى أتى عليها داود بن على فى صدر الدولة العباسية وفى أيامه عمل الخز والقطف الخز فسلك الناس جميعا فى أيامه مذهبه ومنعوا ما فى أيديهم فقل الافضال وانقطع الرفد ولم ير زمان أصعب من زمانه وفى أيامه استشهد زيد بن على بن الحسين بن على كرم الله وجهه وذلك فى سنة احدى وعشرين ومائة

وقيل فى سنة اثنتين وعشرين ومائة وقد كان زيد بن على شاور أخاه أبا جعفر بن على بن الحسين بن على

فان كان في الانساب منا تباين * فما تنكر الآداب أنا نسيبان
الا فادع لي في جنح ليلك دعوة * لتنجح آمالي ويرجح ميزاني
لك الطائر الميمون في كل وجهة * سريت اليها غير نكس ولا واني
فكم من فقير بائس قد عرفته * فرقت عليه نعمة ذات أفنان
وكم من رفيع الجاه واليت أنسه * فعاش قرير العين مرتفع الشان
فلو كنت للفتح بن خاقان صاحبا * لما خانه المقدور في ليلة الخان
ولو كنت للصابي صديقا ملاطفا * لما قبلت فيه مقالة بهتان
ولو كنت من عبد الحميد مقربا * لما هزم السفاح أشياع مروان
ولو كنت قد أرسلتها دعوة على * أبي مسلم ما حاز أرض خراسان
ولو كنت في يوم الغبيط مراسلا * لبسطام لم تهزم به آل شيبان
ولو كنت في حرب الامين لطاهر * لما هام في يوم اللقاء ابن ماهان
ولو كنت في مغزى أبي يوسف لما * رماه بغدر عبده في تلمسان
ولو أن كسرى يزدجرد عرفته * لما لاح مقتولا على يد طحان
ولو أن لذريقا وطئت بساطه * لما أثرت فيه مكيدة اليان
وفيما مضى في فاس أوضح شاهد * غني لدينا عن بيان وتبيان
ولما اعتنى منك السعيد بكاتب * رأى ما ابتغى من عز ملك وسلطان
فلا تنسني من أهل ودك انني * أخاف الليالي أن تطول فتنساني
ولا خير أن تجعل كفاء قصيدتي * كفاء ابن دراج على مدح خيران
فديدنا نير ولا تكن التي * ألم بها الكندي في شعب بوان
فجودك فينا الغيث في رمل عالج * وفضلك فينا الخبز في دار عثمان
وما زلت من قبل السؤال مقابلا * مرادي باحساب وقصدي باحسان
ولا تنس أياما تقضت كريمة * بزاوية المحروق أو دار همدان
وتاليفنا فيها لقبض اتاوة * واغرام مسنون وقسمة حلوان
وقد جلس الطرقون بالبعد مطرقا * يقول نصيبي أو أبوح بكتمان
عريني بلحاني اذا ما أتيته * ولم أنصرف عنكم بواجب ألحان
وقد جمعت تلك الطريقة عندنا * أئمة حساب وأعلام كهان
اذا استنزلوا الارواح باسم تبادرت * طوائف ميمون وأشياع برقان
وان بخروا واعتند الحلول تأرجت * مباخرهم عن زعفران ولوبان
وان فتحوا الدارات في رد آبق * ثنت عزمه أوهام خوف وخذلان
فيحسب أن الارض حيث ارتمت به * وكائبه سرعان رجل وركبان
وقد عاشرتنا اسرة كيموية * أقامت لدينا في مكان وامكان
فلله من أعيان قوم تألفوا * على عقد سحر أو على قلب أعيان
ونحن على ما يغفر الله انما * تروح ونغدو من رباط الى خان

فاشار عليه بان لا يركن الى أهل الكوفة اذ كانوا أهل غدر ومكر وقال له بها قتل جدك علي وبها طعن
عمك الحسن وبها قتل أبوك
الحسين وفيها وفي أعمالها
شتمنا أهل البيت وأخبره
بما كان عنده من العلم في
مدة بني مروان وما يتعقبهم
من الدولة العباسية فأبى
الا ما عزم عليه من المطالبة
بالحق فقال له اني أخاف
عليك يا أخي أن تكون
غدا المصلوب بكناسة
الكوفة وودعه أبو جعفر
وأعلمه انهما لا يلتقيان وقد
كان زيد دخل على هشام
بالرصافة فلما مثل بين
يديه لم ير موضعا يجلس فيه
فجلس حيث انتهى به
مجلسه وقال يا أمير المؤمنين
ليس أحد يكبر عن تقوى
الله ولا يصغر دون تقوى
الله فقال هشام اسكت
لا أم لك أنت الذي
تنازعك نفسك في الخلافة
وأنت ابن أمة قال يا أمير
المؤمنين ان لك جوابا
ان أحببت أجبتك به وان
أحببت أسكت عنه فقال
بل أجب قال ان الامهات
لا يقعدن بالرجال عن
الغايات وقد كانت أم
اسمعيل أمة لام اسحق
صلى الله عليهما وسلم فلم
يمنعه ذلك أن بعثه الله نبيا
وجعله للعرب أبا فأخرج
من صلبه خير البشر محمدا
صلى الله عليه وسلم فتقول لي هذا وأنا ابن فاطمة وابن علي وقام وهو يقول

شرده الخوف وأزرى به * كذاك من يكره حر الجلاد مخرق الكفين يشكو الجوى * تنكثه أطراف مرو حداد

مع الصبح نصفيها لعباءة صفة * وبالليل نلويها زنانير رهبان
أتذكر في سفح العقاب مبيتكم * ثمانين شخصا من اناث وذكران
لديكم من الالوان مالم يجيء به * طهور ابن ذنون ولا عرس بوران
وكم شائق منكم الى عقد تكة * وكم هائم فيكم على حل هميان
فأطفأت قنديل المكان تعمدا * وأومأت فانقضوا كامثال عقبان
وناديت في القوم الركوب فاسرعوا * فريق لنسوان وقوم لذكران
فأقسم بالايمان لولا تعفف * عن السوء لانحلت عقيدة ايماني
فعد للذي كنا عليه فان لي * على الغيران صاحبته حقد غيران
فمن يوم اذ صيرت ودي جانبا * واعرضت عني ماتناطح عنزان
ولاروت الكتاب بعد نفارنا * محاورة من ثعلبان لسرحان
وماهو قصدي منك الا الاجازة * تخولني التفضيل مابين خلاني
وانك ان سفرت لي وأجزتني * لنعم ولي صان ودي وجازاني
ولم لاتروي وأنت أجل من * سقاني من قبل الرحيق فرواني
الا فأجزني ياامام بكل ما * رويت لمدغليس أولابن قزمان
ولاتنس للدباغ نظما عرفته * فانكما في ذلك النظم سيان
ومزدوجات ينسبون نظامها * الى ابن شجاع في مديح ابن بطان
والمم بشيء من خرافات عنتر * وألمع ببعض من حكايات سوسان
وان كنت طالعت اليتيمة واسني * بلامية في الفحش من نظم واساني
أجزني بكشف الدك أرضى وسيلة * وخير جليس في بساط ودكان
وناولني المصباح فهو لغربتي * مسراع راضي ورائد سلواني
والحق به شمس المعارف انني * أسائل عن اسناده كل انسان
وقد كنت قبل اليوم عرفتني به * ولكنني أنسيته بعد عرفان
ولا بدما أستاذ من أن تجيزني * ببدء ابن سبعين وفصل ابن رضوان
وكتب ابن أحلى كيف كانت فانها * لوزن رقيق القول اكرم ميزان
ولاتنس ديوان الصبابة والصفا * لاخوان صدق في الصباح خير اخوان
وزهر رياض في صنوف أضاحك * وجيد كساء في مكايد نسوان
كذاك فناولني كتاب حبائب * وزدني تعريفا بها وبسبرجان
ولي أمل في أن أروي رسالة * مضمنة أخبار حي بن يقظان
وحبس على الكوز والكاس والعصا * فانك مثر من عصي وكيزان
وصير لي الدلفاس أرفع لبسة * فقد جل قدري عن حرير وكتان
وقد رق طبعي واعترتني خشية * تكاد بها روحي تفارق جثماني
وخل مفاتيح الطريقة في يدي * وسوغ لهم حكمي مزيدي ونقصاني
فاني لم أخدمك الا بنية * واني لم أتبعك الا باحسان

قد كان في الموت له راحة
والموت حتم في رقاب العباد
ان يحدث الله له دولة
يترك آثار العدا كالرماد
فمضى عليها الى الكوفة
وخرج عنها ومعه القراء
والاشراف فحاربه يوسف
ابن عمر الثقفي فلما قامت
الحرب انهزم أصحاب زيد
وبقي في جماعة يسيرة فقاتلهم
أشد قتال وهو يقول
متمثلا
أذل الحياة وعز الممات
وكلا أراه طعاما وبيلا
فان كان لابد من واحد
فسيري الى الموت سيرا جميلا
وحال المساء بين الفريقين
فراح زيد مثخنا بالجراح
وقد أصابه سهم في جبهته
فطلبوا من ينزع النصل
فاتي بحجام من بعض القرى
فاستكتموه أمره فاستخرج
النصل فمات من ساعته
فدفنوه في ساقية ماء
وجعلوا على قبره التراب
والحشيش وأجري الماء
على ذلك وحضر الحجام
مواراته فعرف الموضع
فلما أصبح مضى الى يوسف
متنصحا فدله على موضع
قبره فاستخرجه يوسف
وبعث برأسه الى هشام
فكتب اليه هشام أن
اصلبه عريانا فصلبه يوسف
كذلك في ذلك يقول بعض شعراء بني أمية يخاطب آل أبي طالب وشيعتهم من أبيات

فكن لى بالاسرار أفصح معلن * فانى قد أخلصت سرى واعلانى

وليس قصدى علم الله تخلف هذه القصيدة مافيها من المجون بل مافيها من التلميحات التى يرغب فى مثلها أهل الأدب والحديث شجون على أن أمثال هؤلاء الاعلام لا يقصدون بمثل هذا الكلام الا مجرد الاحماض فينبغى أن ينظر كلامهم الواقف عليه بعين الاغضاء عن النقد والاغماض ولا يبادر بالاعتراض من لم يعلم فى الاصول برهان القطع والافتراض والله سبحانه المسئول فى التجاوز عن الزلات والنجاة من الامور المضلات فعفوه سبحانه وراء جميع ذلك والله تعالى المطلع على أسرار الضمائر والخبير بما هنالك لا رب غيره ولا خير الا خيره وحيث ذكرنا هذه القصائد النونية التى اتفق فيها البحر والروى وجرت من البلاغة على النهج السوى فلا بأس أن نعززها بقصيدة الرئيس الوزير أبى عبد الله بن زمرك سامحه الله تعالى وهى قصيدة ميلادية أنشدها سلطان الاندلس عام خمسة وستين وسبعمائة وجعلها مكفرة لما مر فى قصيدة الفقيه عمر من المجون ومبلغة للناظرين فى هذا التأليف ما يرجون والحديث شجون وهى قوله

لعل الصبا ان صافحت روض نعمان * تؤدى أمان القلب عن ظبية البان
وماذا على الارواح وهى طليقة * لو احتملت أنفاسها حاجة العانى
وماحال من يستودع الريح سره * ويطلبها وهى النموم بكتمان
وكالطيف أستقريه فى سنة الكرى * وهل تنقع الاحلام غلة ظمآن
أسائل عن نجد وومى صبابتى * ملاعب غزلان الصريم بنعمان
وأبدى اذا ريح الشمال تنفست * شمائل مرتاح المعاطف نشوان
عرفت بهذا الحب لم أدر سلوة * وأنى لمسلوب الفؤاد بسلوان
فيا صاحبى نجواى والحب غاية * فمن سابق جلى مداه ومن وانى
وراء كما ما اللوم يثنى مقادتى * فانى عن شان الملامة فى شان
وانى وان كنت الابى قياده * ليأمرنى حب الحسان وينهانى
ومارات أرعى العهد فمن يضيعه * وأذكر الفى ماحييت وينسانى
فلا تنكرا ماسامنى مضض الهوى * فمن قبل ما أودى بقيس وغيلان
لى الله اما أومض البرق فى الدجى * أقلب تحت الليل أجفان وسنان
وان سل من غمد الغمام حسامه * برى كبدى الشوق الملم وأضنانى
تراءى باعلام الثنية باسما * فأذكرنى العهد القديم وأبكانى
أسامر نجم الافق حتى كأننا * وقد سدل الليل الرواق حليفان
ومما أناجى الافق أعديه بالجوى * فأرعى له سرح النجوم ويرعانى
ويرسل صوب القطر من فيض أدمعى * ويقدح زند البرق من نار أشجانى
وضاعف وجدى رسم دار عهدتها * مطالع شهب أو مراتع غزلان
على حين شرب الوصل غير مصرد * وصفو الليالى لم يكدر بهجران
لئن أنكرت عينى الطلول فانها * نمت الى قلبى بذكر وعرفان

وبى تحت خشبته عمود دائم كتب هشام الى يوسف باحراقه وذروه فى الرياح (قال المسعودى) وحكى الهيثم بن عدى الطائى عن عمرو بن هانئ قال خرجت مع عبد الله بن على لنبش قبور بنى أمية فى أيام أبى العباس السفاح فانتهينا الى قبر هشام فاستخرجناه صحيحا مافقدنا منه الا خثمة أنفه فضربه عبد الله بن على ثمانين سوطا ثم أحرقه واستخرجنا سليمان من أرض دابق فلم نجد منه شيأ الا صلبه وأضلاعه ورأسه فأحرقناه وفعلنا ذلك بغيرهما من بنى امية وكانت قبورهم بقنسرين ثم انتهينا الى دمشق فاستخرجنا الوليد بن عبد الملك فما وجدنا فى قبره قليلا ولا كثيرا واحتفرنا عن عبد الملك فما وجدنا الا شؤن رأسه ثم احتفرنا عن يزيد ابن معاوية فما وجدنا فيه الا عظما واحدا ووجدنا مع لحده خطا اسود كأنما خط بالرماد فى الطول فى لحده ثم اتبعنا قبورهم فى جميع البلدان فاحرقنا ما وجدنا فيها منهم وانما ذكرنا هذا الخبر فى هذا الموضع

قتل هشام زيد بن على وما نال هشاما من المثلة بما فعل بسلفه من الاحراق كفعله بزيد بن على وقد ذكر أبو بكر

ولم أر مثل الدمع في عرصاتها * سقى تربها حين استهل وأظماني
وعاشعاني أن سرى الركب موهنا * تقاذبه هوج الرياح بأرسان
غوارب في بحر السراب تخالها * وقد سبحت فيه مواخر غربان
على كل نضو مثله فكأنما * رمى منهما صدر المفازة سهمان
ومن زاجر كوماء مخطفة الحشا * توسد منها فوق عوجاء مرنان
نشاوى غرام يستميل رؤسهم * من النوم والشوق المبرح سكران
أجابوا نداء البين طوع غرامهم * وقد تبلغ الاوطار فرقة أوطان
يؤمون من قبر الشفيع مثابة * تطلع منها جنة ذات أفنان
اذا نزلوا من طيبة بجواره * فاكرم مولى ضم أكرم ضيفان
بحيث علا الايمان وامتد ظله * وزان حلى التوحيد تعطيل أوثان
مطالع آيات مثابة رحمة * معاهد أملاك مظاهر ايمان
هنالك تصفو للقبول موارد * يسقون منها فضل عفو وغفران
هنالك تؤدى للسلام أمانة * يحييهم عنها بروح وريحان
يناجون عن قرب شفيعهم الذى * يؤمله القاصى من الخلق والدانى
لئن بلغوا دونى وخلفت انه * قضاء جرى من مالك الارض ديان
وكم عزمة مليت نفسى صدقها * وقد عرفت منى مواعد ليان
الى الله نشكوها نفوسا أبية * تحيد عن الباقى وتغتر بالفانى
ألا ليت شعرى هل تساعدنى المنى * فأترك أهلى فى رضاه وجيرانى
وأقضى لبانات الفؤاد بأن أرى * أعفر خدى فى ثراه وأجفانى
اليك رسول الله دعوة نازح * خفوق الحشا رهن المطامع هيمان
غريب بأقصى الغرب قيد خطوه * شباب تقضى فى مراح وخسران
يحن اشتياقا للعقيق وبانه * ويصبو اليها ما استجد الجديدان
وان أومض البرق الحجازى موهنا * يردد فى الظلماء أنة لهفان
فيا مولى الرحمى ويا مذهب العمى * ويا منجى الغرقى ويا منقذ العانى
بسطت يد المحتاج يا خير راحم * وذنبى الجانى الى موقف الجانى
وسيلتى العظمى شفاعتك التى * يلوذ بها عيسى وموسى بن عمران
فأنت حبيب الله خاتم رسله * وأكرم مخصوص بزلفى ورضوان
وحسبك أن سماك أسماءه العلا * وذلك كمال لا يشاب بنقصان
وأنت لهذا الكون علة كونه * ولولاك ما امتاز الوجود بأكوان
ولولاك للافلاك لم تجل نيرا * ولا قلدت لبّاتهن بشهبان
خلاصة صفو المجد من آل هاشم * ونكتة سر الفخر من آل عدنان
وسيد هذا الخلق من نسل آدم * وأكرم مبعوث الى الانس والجان
وكم آية أطلعت فى أفق الهدى * يبين صباح الرشد منها ليقظان

سترا من الله له وذلك بالكناسة بالكوفة فلما كان فى أيام الوليد بن يزيد ابن عبد الملك وظهر ابنه يحيى بن زيد بخراسان كتب الوليد الى عامله بالكوفة أن أحرق زيدا بخشبته ففعل به ذلك وأذرى فى الرياح على شاطئ الفرات وقد أتينا فى كتابنا المقالات فى أصول الديانات على السبب الذى من أجله سميت الزيدية بهذا الاسم وان ذلك بخروجهم مع زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم هذا وقد قيل غير ذلك مما قد أتينا عليه فيما سلف من كتبنا والخلاف فى الزيدية والامامية والفرق بين هذين المذهبين وكذلك غيرهم من فرق الشيعة وغيرهم كأبى عيسى محمد ابن هرون الوراق وغيره فقلنا ان الزيدية كانت فى عصرهم ثمانية فرق أولها الفرقة المعروفة بالجارودية وهم أصحاب أبى الجارود زياد بن المنذر العبدى وذهبوا الى أن الامامة مقصورة فى ولد الحسن والحسين دون غيرهما ثم الفرقة الثانية المعروفة بالمرئية ثم الفرقة الثالثة المعروفة بالابرقية ثم الفرقة الرابعة المعروفة باليعقوبية وهم أصحاب يعقوب بن على الكوفى ثم الفرقة

وما الشمس يجلوها النهار لمبصر * باجلى ظهورا وباوضح برهان
وأكرم بآيات تحدى تابها * ولا مثل آيات لمحكم فرقان
وماذا عسى يثنى البليغ وقد أتى * ثناؤك فى وحى كريم وقرآن
فصلى عليك الله ما انسكب الحيا * وما سجعت ورقاء فى غصن البان
وأيد مولانا ابن نصر فانه * لأشرف من ينمى لملك وسلطان
أقام كما يرضيك مولدك الذى * به سفر الاسلام عن وجه جذلان
سمى رسول الله ناصر دينه * معظمه فى حال سر واعلان
ووارث سر المجد من آل خزرج * وأكرم من تنمى قبائل قحطان
ومرسلها ملء الفضاء كتائبا * تدين لها غلب الملوك باذعان
حدائق خضر والدروع غدائر * وما أنبتت الا ذوابل مران
تجاوب فيها الصاهلات وترتمى * جوانبها بالاسد من فوق عقبان
حسن كل خوار العنان قدارتمى * به كل مطعام العشيات مطعان
ومورد هاظما أى الكعوب ذوابلا * ومصدرها من كل أملد ريان
ولله منها والربوع مواحل * غمام ندى كفت المحل كفان
اذا أخلف الناس الغمام وأمحلوا * فان نداه والغمام لسيان
امام أعاد الملك بعد ذهابه * اعادة لا نابى الحسام ولا وانى
فغادر أطلال الضلال دوارسا * وجدد للاسلام أوفع بنيان
وشيدها والمجد يشهد دولة * محافلها نزهى بيمن وايمان
وراق من الثغر الغريب ابتسامه * وهزله الاسلام أعطاف مردان
لك الخير ما أسنى شمائلك التى * يقصر عن ادراكها كل انسان
ذكاء اياس فى سماحة حاتم * واقدام عمرو فى بلاغة سحبان
أمولاى ما أسنى مناقبك التى * هى الشهب لا تحصى بعد وحسبان
فلازلت باغوث البلاد وأهلها * مبلغ أوطار ممهد أوطان

ولابن زمرك المذكور ترجمة نأتى بها فى هذا التأليف ان شاء الله تعالى فى محلها وهو من تلامذة لسان الدين ومن عداد خدامه فخين نيابه الزمان وتعوض الخوف بعد الامان كان أحد الساعين فى قتله كما ستذكره وصرح بذمه وهجوه بعد أن كان ممن يشكره وهكذا عادة بنى الدنيا يدورون معها حيث دارت ويسيرون حيث سارت ويشربون من الكأس التى ادارت وقد تولى المذكور الوزارة عوضا عن ابن الخطيب وصدح طير عزه بعده على فنن من الاقبال رطيب ثم آل الامر به الى القتل كما سعى فى قتل لسان الدين وكان الجزاء له من جنس عمله والمرء يدان بما كان به يدين وعفو الله سبحانه مرجو للجميع فى الآخرة وهو سبحانه وتعالى المسؤل أن ينيلنا واياهم المراتب الفاخرة فانه لا يتعاظمه ذنب وليس للكل غيره من رب *(رجع الى ما كنا بسبيله)* وأما الوشة التى ينسب اليها لسان الدين فقد تقدم من كلام ابن خلدون أنها على مرحلة من حضرة غرناطة

ابن جنى ثم الفرقة السابعة المعروفة بالجريرية وهم أصحاب سليمان بن جرير ثم الفرقة الثامنة المعروفة باليمانية وهم أصحاب محمد بن اليمان الكوفى وقد زاد هؤلاء فى المذهب وفرعوا مذاهب على ما سلف من أصولهم وكذلك فرق أهل الامامة فكانوا على ماذكر من سلف من أصحاب الكتب ثلاثا وثلاثين فرقة وقد ذكرنا تنازع القطعية بعد مضى الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وما قالت الكيسانية وما تباينت فيه وغيرها من سائر طوائف الشيعة وهم ثلاث وسبعون فرقة دون ما تباينوا فيه من التفريع وتنازعوا فيه من التأويل والعلة أيضا ثمان فرق المحمدية منهم أربع والمعتزلة أربع وهم العلوية ولولا أن كتابنا هذا كتاب خبر لبسطنا من مذاهبهم ووصفنا من آرائهم ما تقدم قبلنا وحدث فى وقتنا هذا وما قالوه من دلائل ظهور المنتظر الموعود بظهوره وما ذهب اليه كل فريق منهم فى ذلك من أصحاب الدور والسروة والتشريق وغيرهم من أهل الامامة *وعرض

غرناطة في الشمال من البسيط الذي في ساحتها المسمى بالمرج وقد أجرى ذكرها لسان الدين في الاحاطة وقال انها بنت الحضرة يعني غرناطة وقال ذلك في ترجمة ابن مرج الكحل ولنذكر الترجمة بكمالها تتميما للغرض فنقول قال رحمه الله مانصه محمد بن ادريس بن علي ابن ابراهيم بن القاسم من أهل جزيرة شقر يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن مرج الكحل كان شاعرا مفلقا غزلا بارع التوليد رقيق الغزل وقال الاستاذ أبو جعفر شاعر مطبوع حسن الكتابة ذاكر للادب متصرف فيه قال ابن عبد الملك وكانت بينه وبين طائفة من أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها اجادته وكان مبتذل اللباس على هيئة أهل البادية ويقال انه كان أميا *(من أخذ عنه) روى عنه أبو جعفر بن عثمان الوراد وأبو الربيع بن سالم وأبو عبد الله بن الابار وابن عسكر وابن أبي البقاء وأبو محمد بن عبد الرحمن بن برطلة وأبو الحسن الرعيني *(شعره ودخوله غرناطة) قال في عشية بنهر الغنداق من خارج بلد نالوشة بنت الحضرة والمحسوب من دخلها أنه دخل البيرة وقد قيل ان نهر الغنداق من احواز برجة وهذا الخلاف داع لذكره

عرج بمنعرج الكثيب الاعفر * بين الفرات وبين شط الكوثر
ولتغتبقها قهوة ذهبية * من راحتي أحوى المراشف أحور
وعشية كم كنت أرقب وقتها * سمحت بها الايام بعد تعذر
قلنا بهذا مالنا في روضة * تهدي لناشقها شميم العنبر
والدهر من ندم يسفه رأيه * فيما مضى فيه بغير تكدر
والورق تشدو والاراكة تنثني * والشمس ترفل في قميص أصفر
والروض بين مفضض ومذهب * والزهر بين مدرهم ومدنر
والنهر مرقوم الاباطح والربا * بمصندل من زهره ومعصفر
وكأنه وكأن خضرة شطه * سيف يسل على بساط أخضر
وكأنما ذاك الحباب فرنده * مهما طفا في صفحة كالجوهر
وكأنه وجهاته محفوفة * بالآس والنعمان خد معذر
نهر يهيم بحسنه من لم يهم * ويجيد فيه الشعر من لم يشعر
ما اصفر وجه الشمس عند غروبها * الا لفرقة حسن ذاك المنظر

ولا خفاء ببراعة هذا الشعر وقال منها

أرأيت جفونك مثله من منظر * ظل وشمس مثل خد معذر
وجداول كاراقم حصباؤها * كبطونها وحبابها كالاظهر

وهذا تتميم عجيب لم يسبق اليه ثم قال منها

وقرارة كالعشر بين خميلة * سالت مذانبها بها كالاسطر
فكأنها مشكولة بمصندل * من يانع الازهار أو بمعصفر
أمل بلغناه بهضب حديقة * قد طرزته يد الغمام الممطر
فكأنه والزهر تاج فوقه * ملك تجلى في بساط أخضر

هشام يوما الجند بحمص فربه رجل من أهل حمص وهو على فرس نفور فقال له هشام ما حملك على أن تربط فرسا نفورا فقال الحمصي لا والرحمن الرحيم يا أمير المؤمنين ماهو بنفور ولكنه أبصر حولتك فظن أنها عين غزوان البيطار فقال له هشام تنح فعليك وعلى فرسك لعنة الله وكان غزوان البيطار نصرانيا ببلاد حمص كأنه هشام في حولته وكشفته وبينما هشام ذات يوم جالسا خاليا وعنده الابرش الكلبي اذ طلعت وصيفة لهشام عليها حلة فقال للابرش مازحها فقال لها هبي لي حلتك فقالت له لانت أطمع من أشعب فقال لها هشام ومن أشعب فقالت كان مضحكا بالمدينة وحدثته بعض أحاديثه فضحك هشام وقال اكتبوا الى ابراهيم بن هشام وكان عامله على المدينة في حمله الينا فلما ختم الكتاب أطرق هشام طويلا ثم قال يا أبرش هشام يكتب الى بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحمل اليه مضحك لا ها الله ثم تمثل

اذا أنت طاوعت الهوى قادك الهوى * الى بعض ما فيه عليك مقال

وأوقف الكتاب وذكر أن هشاما أهدى له رجل طائرين فأعجب بهما فقال له الرجل جائزتي يا أمير المؤمنين قال وما جائزة طائرين قال له ما شئت قال خذ أحدهما فقصد الرجل

راق النواظر منه رائق منظر * يصف النضارة عن جنان الكوثر
كم قاد خاطر خاطر مستوفز * وكم استفز جماله من مبصر
لولاح لي فيما تقادم لم أقل * عرج بمعرج الكثيب الاعفر

قال أبو الحسن الرعيني وأنشدني لنفسه

وعشية كانت قنيصة فتية * ألفوا من الادب الصريح شيوخا
فكأنما العنقاء قد نصبوا لها * من الانحناء الى الوقوع فخوخا
شملتهم آدابهم فتجاذبوا * سر السرور محدثا ومصيخا
والورق تقرأ سورة الطرب التي * ينسيك منها ناسخ منسوخا
والنهر قد صفعت به نارنجة * فتيممت من كان فيه منيخا
فخالهم خلل السماء كواكبا * قد قارنت بسعودها المريخا
خرق العوائد في السرور نهارهم * فجعلت أبياتي له تاريخا

ومن أبياته في البديهة قوله

وعندي من مراشفها حديث * يخبر أن ريقتها مدام
وفي أجفانها السكرى دليل * وماذقنا ولا زعم الهمام
تعالى الله ما أجرى دموعي * اذا عنت لمقلتي الخيام
وأشجاني اذا لاحت بروق * وأطربني اذا غنت حمام

ومن قصيدة

مذ برى من الآمال خابت قصودها * ونال التجزيل الحظ منها الاخابث
وقالوا ذكرنا بالغنى فأجبتهم * خمولا وما ذكر مع البخل ماكث
يهون علينا أن يبيد أثاثنا * وتبقى علينا المكرمات الاثايث
وما ضر أصلا طيبا عدم الغنى * اذا لم يغيره من الدهر حادث

وله يتشوق الى عمرو بن أبي غياث

أباعمرو متى تقضي الليالي * بلقيا كم وهن قصصن ريشي
أبت نفسي هوى الاشريشا * ويا بعد الجزيرة من شريش

وله من قصيدة

طفل المساء وللنسيم تضوع * والانس يجمع شملنا ويجمع
والزهر يضحك من بكاء غمامة * ريعت لشيم سيوف برق تلمع
والنهر من طرب يصفق موجه * والغصن يرقص والحمامة تسجع
فانعم أباعمران والله بروضة * حسن المصيف بها وطاب المربع
ياشادن البان الذي دون النقا * حيث التقى وادي الحمى والاجرع
الشمس يغرب نورها ولربما * كسفت ونورك كل حين يسطع
ان غاب نور الشمس لسنا نتقي * بسناك ليل تفرق يتطلع
أفلت فناب سناك عن اشراقها * وجلا من الظلماء ما يتوقع

لاحسنهما فاخذه فقال له هشام ونختار أيضا قال نعم والله أختار فقال دعه وأمر له بدرب بهمات ودخل هشام بستانا له ومعه ندماؤه فطافوا به وبه من كل الثمار فجعلوا يأكلون ويقولون بارك الله لامير المؤمنين فقال وكيف يبارك لي فيه وأنتم تأكلونه ثم قال ادع قيمه فدعا به فقال له اقلع شجره واغرس فيه زيتونا حتى لا يأكل منه أحد شيأ وكتب اليه ابنه سليمان ان بغلتي قد عجزت فان رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بدابة فكتب اليه أمير المؤمنين قد فهم كتابك وما ذكرت من ضعف دابتك وقد ظن أن ذلك من قلة تعاهدك لعلفها وضياع العلف فقم عليها بنفسك واعمل أمير المؤمنين يرى رأيه في حملانك ونظر هشام الى رجل على برذون طخاري فقال من أين لك هذا قال حملني عليه الجنيد بن عبد الرحمن قال وقد كثرت الطخارية حتى ركبها العامة لقد مات عبد الملك وفي مربطه برذون واحد طخاري فتنافس فيه ولده حتى ظن من فاته أن الخلافة فاتته قال الرجل فحدثني اباه وقد كان أخوه مسلمة مازحه قبل أن يلي الامر فقال له ياهشام اتؤمل الخلافة وأنت جبان بخيل فقال والله اني عليم حليم (وذكر الهيثم بن عدي والمدائني وغيرهما) أن السواس من بني أمية

فامنت

فامنت يا موسى الغروب ولم أقل * فوددت يا موسى لوانك يوشع

وقال

ألا بشروا بالصبح منى باكيا * اضر به الليل الطويل مع البكا
فنى الصبح للصب المتيم راحة * اذا الليل أجرى دمعه واذا شكا
ولا عجب أن يمسك الصبح عبرتى * فلم يزل الكافور للدم ممسكا

ومن بديع مقطوعاته قوله

مثل الرزق الذى تطلبه * مثل الظل الذى يمشى معك
أنت لا تدركه متبعا * واذا وليت عنه تبعك

وقال

دخلتم فافسدتم قلوبا بملكها * فانتم على ماجاء فى سورة النمل
وبالجود والاحسان لم تتخلقوا * فانتم على ماجاء فى سورة النحل

وقال أبو بكر محمد بن محمد بن جهور رأيت لابن مرج الكحل مرجا أحمر قد أجهد نفسه فى خدمته فلم يجب فقلت

يامرج كحل ومن هذى المروج له * ماكان أحوج هذا المرج للكحل
ماحمرة الارض من طيب ومن كرم * فلا تكن طمعا فى رزقها العجل
فان من شانها اخلاف آملها * فما تفارقها كيفية الخجل

فقال مجيبا

ياقائلا اذرأى مرجى وحمرته * ماكان أحوج هذا المرج للكحل
هو احمرار دماء الروم سيلها * بالبيض من مرمن آبائى الاول
أحببته أن حكى من قد فتنت به * فى حمرة الخد أو اخلافه أملى

*(وفاته) توفى ببلده يوم الاثنين للياتين خلتا من شهر ربيع الاول عام أربعة وثلاثين وستمائة ودفن فى اليوم بعده انتهى مافى الاحاطة فى شان ابن مرج الكحل * وكتب أبو الحسن على بن لسان الدين على أول ترجمته مانصه شاعر جليل القدر من مشايخ شعراء الاندلس من أهل بلنسية وسكن جزيرة شقر انتهى * وكتب على قوله والنهر قوم الاباطح ماصورته لم يصف أحد النهر بارق ديباجة ولا أظرف من هذا الامام رحمة الله عليه اه كلام ابن لسان الدين (قلت) ومارأيت رائية تقرب من التى لابن مرج الكحل السابقة التى اولها عرج بمنعرج الكثيب الاعفر الا رائية شمس الدين بن الكوفى الواعظ وهى قوله

روح الزمان هو الربيع فبكر * وانهض الى اللذات غير منكر
هذا الربيع يبيح من لذاته * اصناف ماتهوى فاين المشترى
فافرح به فلفرحة بقدومه * رفل الشقائق فى القباء الاحمر
والكون مبتهج وخفاق الصبا * يحيى القلوب ببشره المتعطر
والغيم يبكى والاقاحى باسم * لبكائه كتبسم المستبشر
والسرو وان عبث النسيم فهز أعطاف الغصون يميس ميس موقر
وكانما القداح فستق فضة * يهدى اليك اريج مسك اذفر

اموره وتدبيره وسياسته متبعا لهشام فى افعاله لكثرة كشفه عن أخبار هشام وسيره وقد أتينا على غرر أخباره وسيره وسياساته وماحفظ من اشعاره وخطبه وماكان فى أيامه فى كتابينا أخبار الزمان والاوسط وكذلك ذكرنا بدء الكلام الذى أثار تصنيف الكتاب المعروف بكتاب الواحدة فى مناقب العرب ومثالبها مفردة لايشاركها فيها غيرها وما أضيف الى كل حى من العرب من قحطان وغيرهم من نزار وماجرى فى مجلس هشام فى أوقات مختلفة بين الابرش الكلبى والعباس ابن الوليد بن عبد الملك وخالد بن مسلمة المخزومى والنضر بن مريم الحميرى وماأورده الحميرى من مناقب قومه من نزار بن معد بن عدنان وماذكره كل واحد منهم من المثالب فيما عدا قومه وبان عن عشيرته ورهطه وقد قيل ان هذا الكتاب ألفه أبو عبيدة معمر بن المثنى مولى آل تيم بن مرة بن كعب ابن لؤى على لسان من ذكرنا وعزاه الى من وصفنا أو غيره من الشعوبية

(ذكر أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان) وبويع الوليد بن يزيد فى اليوم الذى توفى فيه هشام

وكأنما المنشور في أثوابه * ألوان ياقوت أنيق المنظر
وترى البهار كعاشق متخوف * منشوق بادوجهه أصفر
وكأنما النارنج في أوراقه الـ قنديل والاوراق شبه مسحر
وكأنما الخشخاش قوم جاءهم * خمر يسرهم بطيب المخبر
فتنوا ملابسهم لفرط سرورهم * كي يخلعوا فرحا بقول المخبر
فتعلقت أذيالها بكفهم * وتعلقت أزياقها بالمنحر
والطل من فوق الرياض كأنه * درر نثرن على بساط أخضر
وترى الربا بالنور بين متوج * ومدملج ومخلخل ومسور
ورياضها بالزهر بين مقرطق * ومطوق ومنطق ومزنر
والورد بين مضعف ومشنف * ومكنف وملطف لم يهصر
والزهر بين مفضض ومذهب * ومرصع ومسدرهم ومدنر
والنثر بين مطيب وممسك * ومعطر ومصندل ومعنبر
والورق بين مرجع وموجع * ومفجع ومسجع في منبر
ومغرد ومردد ومعدد * ومبدد في الخدماء المحجر

ولكن قصيدة ابن مرج الكحل اعذب مذاقا وكل منهما لم يقصر رحمهما الله تعالى فلقد أجادا فيما قالاه الى الغاية وليس الخبر كالعيان * ومن نظم ابن مرج الكحل قوله

الشمس تغرب نورها ولربما * كسفت ونورك كل حين يسطع
أفلت فناب سناك عن اشراقها * وجلا من الظلماء ما يتوقع
فأمنت ياموسى الغروب ولم أقل * فوددت ياموسى لو انك يوشع

ولمح بهذه الابيات الى قول الرصافي الاندلسي البلنسي يخاطب من اسمه موسى بقصيدة اولها

ما مثل موضعك ابن رزق موضع * زهر يرف وجدول يتدفع
ومنها وعشية لبست ثياب شحوبها * والجو بالغيم الرقيق مقنع
بلغت بنا أمد السرور تألفا * والليل نحو فراقنا يتطلع
فابلل بها ريق الغبوق فقد أتى * من دون قرص الشمس ما يتوقع
سقطت ولم يملك نديمك ردها * فوددت ياموسى لو انك يوشع انتهى

(قلت) ومن نثر ابن مرج الكحل المذكور ما كتبه الى أديب الاندلس أبي بحر صفوان ابن ادريس مراجعا له بعد نظم ونص الجميع

يا من تبوأ في العلياء منزلة * جداه قد اسساها أي تأسيس
لم يتر كالي العلا حظا لملتمس * سيان هذا وهذا ابن ادريس
وافى كتابكم فارتد لي جذلي * واعتضت من فرط أشواقي بتأنيس
وللنوى لوعة تطفو فيطفئها * مسك المداد وكافور القراطيس

حرس الله سناك وسناك وأظفر بمنالك يمناك وذي الاسلام كما تعلم وعهدى الاقدم لم تزل

لليلتين بقيتا من شهر جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة فكانت ولايته سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما وقتل وهو ابن أربعين سنة والموضع الذي قتل فيه دفن فيه وهي قرية من قرى دمشق تعرف بالبحراء على ما ذكرنا وقد أتينا على خبر مقتله في كتابنا الاوسط

(ذكر لمع من أخباره وسيره)

ظهر في أيام الوليد بن يزيد يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام بالجوزجان من بلاد خراسان منكرا للظلم وما عم الناس من الجور فسير اليه نصر بن سيار وسلم بن أحوز المازني فقتل يحيى في المعركة بقرية يقال لها أرعونة ودفن هنالك وقبره مشهور مزور الى هذه الغاية وليحيى وقائع كثيرة وقتل في المعركة بسهم أصابه في صدغه فولي أصحابه عنه يومئذ واحتز رأسه فحمل الى الوليد وصلب جسده بالجوزجان فلم يزل مصلوبا الى أن خرج أبو مسلم صاحب الدولة العباسية فقتل أبو مسلم سلم بن أحوز وأنزل جثة يحيى فصلى عليها ودفنت هنالك وأظهر أهل خراسان النياحة على يحيى

له قدم وأنا دام عزكم ان أتفق معكم انتسابا فلم آتق في شأو الادب باعا ولا قاربتكم طباعا
وانطباعا بل بذلك الاتفاق تشرفت وسموت الى ذروة العلا واستشرفت واقررت بذلك
الفضل واعترفت وكرعت في مناهله واغترفت ولقد وافى كتابكم فقلت وقد نثر الدر
فيه من فيه و بلغ نفسي ما كانت تنويه من التنويه

حديث لو ان الميت نودي ببعضه * لاصبح حيا بعد ماضمه القبر

ولولا ما طالعني وجه من رضا لم وسيم وسقاني مزن اهتبالكم ما أروى به وأسيم وحياني
منكم روض ونسيم لما ساعدني الفكر بتقسيم لازلتم في ظل من العيش وارف مرتدين
رداء المعارف والسلام انتهى

وكانت مخاطبة صفوان له التي أجاب عنها ما نصه

ياقاطع البيد يطويها وينشرها * الى الجزيرة ينضي بدن العيس
الثم بها عن اخي حب وذي كلف * يد العلا والقوافي وابن ادريس

وأبلغها اليه تحية كالمسك صدرا ووردا وكالماء الزلال عذوبة وبردا يسري بها الى
دار ابن نسيم وسفر منها بجزيرة شقر وجه وسيم وهي وان كانت تذيب المسك خجلا
وتستفز بصوتها وجلا فاهي الاخائفة تترقب وسافرة تكاد تتنقب عشي على استحياء
وتعثر من التقصير في ذيل اعياء هذا الا انها جلبت الى هجر تمرا والى شبام وبيت رأس
خمرا ولكن على المجد أن يبدي في قبول عذرها و يعيد لعلمه أنه تيمم من لم يجد الا الصعيد
فله الفضل أن لا يلحقها بنار النقد ولا يعرضها على ماهنالك من الحل والعقد والله يبقى
ذكره في مقلة الادب حورا وفي قلب الحسود خورا و بديه والقوافي طوع قريحته
والاغراض الجميلة ملء تعريضته وتصريحته وزهر البيان طالع في سماء جنانه وزهر
التبيان يونع في أنداء جنانه وعذرا اليه فاني كنت والحامل عسك زمامه و يلتفت في
البيداء أمامه والسلام انتهى ومن انشاء صفوان خطبة نكاح نصها الحمد لله الذى
تطول بالاحسان من غير جزاء ولا ثواب وألبس المخلوقات من فواضله سوابغ المطارف
و كواسي الاثواب وجاؤا على أقدام الرجاء الى محال نوافله فوجدوها مفتحة لهم الابواب
وسألوه كفاية المؤنة فكان الفعل بدل القول والاسعاف بدل الجواب خلق البرية من غير
افتقار ولا اضطرار و نقلهم من الطفولية الى غيرها نقل البدر من التمام الى السرار وشرف
هذه الطبقة الانسانية فرزقها الادراكات العقليه والابانات اللسانيه فضرب سرادق
اعتنائه عليها وانشأها من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها ومع صنعه
الرفيق بهم اللطيف وتنويهه الحافل بأرجائهم المطيف رزقهم أحسن الصور الحيوانية
وأجلها وأتاح لهم أتم أقسام الاعتناء وأكملها و بعث اليهم الرسل صلوات الله عليهم
صنعا منه جميلا ورباء للصنيعة لديهم وتكميلا فبشروا وأنذروا وأمنوا وحذروا
وباينوا بين الحرام والحلال مباينة ادراك البصير بين الكدر والزلال ودلوا على
السمت الاهدى ونصبوا أعلام التوفيق والهدى ولم يدعوا شيأ سدى بل توازنت
بهم مقادير الاقوال والاعمال وكانت اشاراتهم شمال الهداية وأي شمال فآب بكل

ابن زيد سبعة أيام في سائر أعمالها في حال أمنهم على أنفسهم من سلطان بني امية ولم يولد في تلك
السنة بخراسان مولود الا وسمى بيحيى او بزيد لما داخل أهل خراسان من الجزع والحزن عليه وكان ظهور يحيى في آخر سنة خمس وعشرين وقيل أول سنة ست وعشرين ومائة وقد أتينا على أخباره وما كان من حروبه في الكتاب الاوسط وفي غيره مما سلف من كتبنا فأغنى ذلك عن اعادته وكان يحيى يوم قتل يكثر من التمثل بشعر الخنساء

نهين النفوس وهون النفو * س يوم الكريهة أوفى لها

وكان الوليد بن يزيد صاحب شراب ولهو وطرب وسماع للغناء وهو أول من حمل المغنين من البلدان اليه وجالس الملهين وأظهر الشرب والملاهي والعزف وفي أيامه كان ابن سريج المغني ومعبد والغريض وابن عائشة وابن محرز وطويس ودحمان وغلبت عليه شهرة الغناء في أيامه وعلى الخاص والعام واتخذ القيان وكان متهتكا ماجنا خليعا وطرب الوليد لليلتين خلتا من ملكه وأرق فأنشأ يقول

طال ليلي وبت أسقى السلافه * وأتاني نعي من بالرصافه
وأتاني ببرده وقضيب * وأتاني بخاتم للخلافه

ومن مجونه قوله عند وفاة هشام وقد أتاه البشير بذلك

متصعب الى الارتباط وشد كل موفق على الاعتلاق بحالهم يد الاغتباط فصلوات الله الزاكية عليهم ونوافح رحمته النامية تغدو وتروح اليهم وأتم الصلاة والسلام على علم أولئك الاعلام الداعي على بصيرة الى دار السلام السراج المنير البشير النذير محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تؤل بهم الى فسيح رضوانه ورحبه بعثه الله رحمة للعالمين عامه وأرسله نعمة للناس موفورة تامه فاخذ بحجز مصدقيه عن التهافت في مداحض الاقدام والتتابع في مزلات الجراءة على العصيان والاقدام فاقام الحجه وأوضح المحجه ودل على المقامات التي تعصم الاولياء وافصح عن الكرامات التي تنقذ الاتقياء وقال وأهلا به من قائل تناكحوا فاني مكاثر بكم الانبياء حرصا منه صلوات الله عليه على الزيادة في اهل الاسلام والنماء ودفعا في صدر الباطل بواضح الحق الصادع غيهب الظلماء وحض على ذات الدين الحصان واغرى بالاعتصام والاحصان ونصب أعلام النكاح مشيدة المباني وجاء بها سنة عذبة المجاني وقال من تزوج فقد كمل نصف دينه فليتق الله في النصف الثاني وأمر بالنكاح الذي توافقت فيه الطبيعة والشريعة ولبته النفوس وهي سريعه واخصبت به ربوة التناسل فهي مروضة مريعه وسدت به عن اتباع الهوى وارتكاب المحارم الذريعه وحفظت به الانسال والانساب وفاض به نهر الالتئام السلسال المنساب اذ لا سبيل لان يستغنى بذاته من كان أسير هواه ومأمور لذاته وانما الانفراد والاستغنا لمن له الكمال والغنى ولا يجوز أن يتعاقب عليه الانا لا اله الا هو له السناء والسنا وان فلانا لما ارتقت همته الى اتباع الصالحات وسمت ووسمته النجابة من أعلامها اللائحة بما وسمت رأى أن الاعتصام بالنكاح أولى ما حمى به دينه ووقاه وأهم ما رفع اليه اعتناءه ورقاه فخطب الى فلان ابنته فلانة خطبة تظافر فيها اليمن والقبول ونفعت بها شمال من الجد المصمم وقبول وارتقى بها الى اللوح المحفوظ والديوان المكنون عمل مقبول وتلقى فلان خطبته بالاجابه لما توسم فيه من مخايل النجابه حرصا منه على المساعدة والعون واغتباطا بمباشرة أهل الرشد والصون وانعقد النكاح بينهما على بركة الله التي يتضاعف بها العدد القليل ويتزيد ويمنه الذي ينتهض به من اعتمده ويتأيد وحسن توفيقه الذي يرتبط به من أخلص ضميره ويتقيد على أن أصدقها كذا تزوجها بكلمة الله التي علت الكلمات وبهرتها وعلى سنة نبيه التي أحيت الحنيفية وأظهرتها وأنقت الملة من أرجاس الجاهلية وطهرتها وهداية مهديه التي غابت الاباطيل وقهرتها ولتكون عنده بامانة الله التي هي جنة واعتصام وعهدته للزوجات على أزواجهن التي ليس لعروتها انفصام وعلى امساك بمعروف او تسريح باحسان وتسلسل في ميدان التناصف وارسان وله عليها من حسن العشرة التي هي بحقيق الاتفاق عائده مثل ذلك ودرجة زائده والله تعالى يمهد لهما مهاد نعمته الوثير ويخلف منهما الطيب الكثير ويرزقهما التوفيق الباعث لطول المرافقة المثمر بمنه ونعمته انتهت

* وله رحمه الله من رسالة عتاب أدام الله سبحانه مدة الاخ الذي أستديم اخاءه وان واجهني زعازعه أرتقب رخاءه وتجاوزت عن يومه لامسه وأغضيت عن ظلامه لشمسه أني واعتنا

وسلم عليه بالخلافة اني سمعت خليلي * نحو الرصافة رنه أقبلت أسحب ذيلي * أقول ما حالهنه اذا بنات هشام يندبن والدهنه يدعون ويلا وعولا والويل حل بهنه أنا المخنث حقا ان لم أنيكنهنه و قيل للوليد ما بقي من لذاتك قال محادثة الاخوان في الليالي القمر على الكثبان العفر وبلغ الوليد عن شراعة بن الزيدبود حسن عشرة وحلاوة مجالسة فبعث في احضاره فلما دخل اليه قال اني ما بعثت اليك لاسألك عن كتاب ولا سنة قال ولست من أهلها قال انما أسألك عن القهوة قال سل عن أي ذلك شئت يا أمير المؤمنين قال ما تقول في الشراب قال عن أيه تسال قال ما تقول في الماء قال يشاركني فيه البغل والحمار قال فنبيذ الزبيب قال خمار وأذى قال فنبيذ التمر قال ضراط كله قال فالخمر قال شقيقة روحي وأليفة نفسي قال فما تقول في السماع قال يبعث مع التأني على ذكر الاشجان ويجدد اللهو على مواقع الاحزان ويؤنس الخل الوحيد ويسر العاشق الفريد ويبرد غليل القلوب ويثير من خواطر الضمائر خطرة ليست من الملاهي لغيره يسرع ترقيها وانذارا

وانذارا واعذارا ورحم الله من اعتمد على الافهام وعصى أوامر الاوهام ورأى الخليقة فى المعقول لا فى المختلف المنقول وبعد فانه وصل كلامك بل ملامك وكتابك بل عتابك ورسالتك بل بسالتك أسمعتنى بألفاظك العذاب سوء العذاب وأريتنى لمعان الحسام من فقرك الوسام (وقال) صفوان رحمه الله اجتمعت مع ابن مرج الكحل يوما فاشتكى الى ما يجد لفراقى وأطال عتب الزمان فى اشتمه واعراقى فقلت اذا تفرقنا والنفوس مجتمعه فما يضر أن الجسوم للرحيل مزمعه ثم قلت له

أنت مع العين والفؤاد * دنوت أو كنت ذا بعاد

فقال وهو من بارع الاجازة

وأنت فى القلب فى السويدا * وأنت فى العين فى السواد

انتهى * واذجرى ذكر صفوان فلا حرج أن نترجمه فنقول

قال فى الاحاطة ما ملخصه صفوان بن ادريس بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى بن ادريس التجيبى المرسى أبو بحر كان أديبا حسيبا ممتعا من الظرف ريان من الادب حافظا سريع البديهة ترف النشأة على تصاون وعفاف جلا سريا ممن تساوى حظه فى النظم والنثر على تباين الناس فى ذلك روى عن أبيه وخاله ابن عم أبيه القاضى أبى القاسم ابن ادريس وأبى بكر بن مغاور وأبى رجال بن غلبون وأبى العباس بن مضا سمع عليه صحيح مسلم وأبى القاسم بن حبيش وابن حوط الله وأبى الوليد بن رشد وأجازله ابن بشكوال وروى عنه أبو اسحق بن اليابرى وأبو الربيع بن سالم وابن عيشون وله تواليف أدبية منها زاد المسافر وكتاب الرحلة وكتاب العجالة سفران يتضمنان من نظمه ونثره أدبا لا كفاء له وانفرد من تأبين الحسين وبكاء أهل البيت بما ظهرت عليه بركته من حكايات كثيرة ثم سرد لسان الدين جملة من نظمه الى أن قال وقال فى غرض الرثاء فى من وصف بلده وذكر اخوانه يساجله فى الغرض والروى عقب رسالة سماها طراد الجياد فى الميدان وتنازع اللذات والاخدان فى تقديم مرسية على غيرها من البلدان

لعل رسول البرق يغتنم الاجرا * فينثر عنى ماء عبرته نثرا
معاملة أربى بها غير مذنب * فأقضيه دمع العين عن نقطة بحرا
ليسقى من تدمير قطرا محببا * يقر بعين القطر أن تشرب القطرا
ويقرضه ذوب اللجين وانما * توفيه عينى من مدامعها تبرا
وماذاك تقصيرا بها غير انه * سجية ماء البحر أن يذوى الزهرا
خليلى قوما فاحبسا طرق الصبا * مخافة أن يحمى بزفرتى الحرا
فان الصبا ريح على كريمة * بآية ماتسرى من الجنة الصغرى
خليلى أعنى أرض مرسية المنى * ولولا توخى الصدق سميتها الكبرى
محلى بل جوى الذى عبقت به * نواسم آدابى معطرة نشرا
ووكرى الذى منه درجت فليتنى * فجعت بريش العزم كى ألزم الوكرا
ومار وضة الخضراء قد مثلت بها * مجرتها نهرا وأنجمها زهرا

من غير أن يتأتى فيه أذى قال فما تقول فى الطعام قال ليس لصاحب الطعام اختيار ما وجده أكله فاتخذه الوليد نديما ومن مليح قوله فى الشراب من أبيات

وصفراء فى الكأس كالزعفران * سباها لنا التجر من عسقلان
تريك القذاة وعرض الانا * ء ستر لها دون مس البنان
لها حبب كلما صفقت * تراها كلمعة برق يمانى

ومن مجونه أيضا على شرابه قوله لساقيه

اسقنى يا يزيد بالقرقاره * قد طربنا وحنت الزماره
اسقنى اسقنى فان ذنوبى * قد أحاطت فمالها كفاره

وأخبرنا أبو خليفة الفضل ابن الحباب الجمحى القاضى عن محمد بن سلام الجمحى قال حدثنى رجل عن شيوخ أهل الشام عن أبيه قال كنت سميرا للوليد بن يزيد فرأيت ابن عائشة القرشى عنده وقد قال له غنى فغناه

انى رأيت صبيحة النفر * حورا نعين عزيمة الصبر
مثل الكواكب فى مطالعها * عند العشاء أطفن بالبدر
وخرجت أبغى الاجر محتسبا * فرجعت موقورا من الوزر

فقال له الوليد أحسنت والله يا أمير المؤمنين أعد بحق عبد شمس فأعاد فقال

بابهج منها والخليج مجرة * وقد فضت ازهارساحتها الزهرا
وقد أسكرت أعطاف أغصانها الصبا * وماكنت أعددت الصبا قبلها خمرا
هنالك بين الغصن والقطر والصبا * وزهر الربا ولدت آدابي الغرا
اذا نظم الغصن الحيا قال خاطري * تعلم نظام النثر من ههنا شعرا
وان نثرت ريح الصبا زهر الربا * تعلمت حل الشعر أسبكه نثرا
فوائد أسحار هنالك اقتبستها * ولم أر روضا غيره يقرئ السحرا
كأن هزيز الريح يمدح روضها * فملأ فاها من ازاهره درا
امار نقات الحسن هل فيك نظرة * من الجرف الاعلى الى السكة الغرا
فأنظر من هذى لتلك كأنما * أغير اذغازلتها أختها الاخرى
هى الكاعب الحسناء تم حسنها * وقدت لها أوراقها حللا خضرا
اذا خطبت أعطت دراهم زهرها * وما عادة الحسناء أن تنقد المهرا
وقامت بعرس الانس قينة ايكها * اغاريدها تسترقص الغصن النضرا
فقل فى خليج يلبس الحوت درعه * ولكنه لا يستطيع بها نصرا
اذا مابدا فيها الهلال رأيته * كصفحة سيف وسمها قبعة صفرا
وان لاح فيها البدر شبهت متنه * بشط لجين ضم من ذهب عشرا
وفى جرف روض هنالك تجافيا * بنهر يود الافق لو زاره فخرا
كأنهما خلا صفاء تعاتبا * وقد بكيا من رقة ذلك النهرا
وكم لى بأبيات الحديد عشية * من الانس ما فيه سوى أنه مرا
عشيات كأن الدهر غضا بحسنها * فأجلت بساط البرق افراسها شقرا
عليهن أجرى خيل دمعى بوجنتى * اذا ركبت حمرا ميادينها الصفرا
أعهدى بالغرس المنعم دوحه * سقتك دموعى انها مزنة شكرا
فكم فيك من يوم أغر محجل * تقضت أمانيه فخلدتها ذكرا
على مذنب كالبحر من فرط حسنه * تود الثريا أن يكون لها نحرا
سقت أدمعى والقطر أيهما انبرى * نقا الرملة البيضاء فالنهر فالجسرا
واخوان صدق لو قضيت حقوقهم * لما فارقت عينى وجوههم الزهرا
ولو كنت أقضى حق نفسى ولم أكن * لما بت أستحلى فراقهم المرا
وما اخترت هذا البعد الا ضرورة * وهل تستجيز العين أن تفقد الشفرا
قضى الله أن تنأى بى الدار عنهم * أراد بذلك الله أن أعتب الدهرا
ووالله لو نلت المنى ما حمدتها * وما عادة المشغوف أن يحمد الهجرا
أيأنس باللذات قلبى ودونهم * مرام يجد الكرب فى طيها شهرا
ويصحب هادى الليل راء وحرفه * وصادا ونونا قد تقدس واصفرا
فديتهم بانوا وضنوا بكتبهم * فلا خبرا منهم لقيت ولا خبرا
ولولا علا هماتهم لعتبتهم * ولكن عراب الخيل لا تحمل الزجرا

أعد فأعاد فجعل يتخطى من أب الى أب و يأمره بالاعادة حتى بلغ نفسه أحسنت والله بحق أمية فقال أعد بحياتى فأعاد فقام الى ابن عائشة فأكب عليه ولم يبق عضوا من أعضائه الا قبله وأهوى الى أيره فجعل ابن عائشة يضم ذكره بين فخذيه فقال الوليد والله لا زلت حتى أقبله فقبل رأسه وقال واطرباه واطرباه ونزع ثيابه فألقاها على ابن عائشة وبقى مجردا الى أن أتوه بثياب غيرها ودعا له بألف دينار فدفعت اليه وحمله على بغلة وقال اركبها على بساطى وانصرف فقد تركتنى على أحر من جمر الغضى (قال المسعودى) وقد كان ابن عائشة غنى بهذا الشعر يزيد بن عبد الملك أباه فاطربه وقيل انه ألحد وكفر فى طربه وكان فيما قال لساقيه اسقنا بالسماء الرابعة فكأن الوليد بن يزيد قد ورث الطرب فى هذا الشعر عن أبيه والشعر لرجل من قريش والغناء لابن سريج وقيل لمالك على حسب ما فى كتب الاغانى من الخلاف فى ذلك مما ذكره اسحق بن ابراهيم الموصلى فى كتابه فى الاغانى وابراهيم بن المهدى المعروف بابن شكلة فى كتابه فى الاغانى أيضا وغيرهما ممن صنف فى هذا المعنى والوليد بن يزيد خليع بنى مروان وقرأ ذات

ضربت غبار البيد في مهرق السرى * بحيث جعلت الليل في ضربه حبرا
وحققت ذاك الضرب جمعا وعدة * وطرحا وتحميلا فأخرج لي صفرا
كأن زماني حاسب متعسف * يطارحني كسرا وما يحسن الجبرا
فكم عارف بي وهو يحسن رتبتي * فيمدحني سرا ويشتمني جهرا
لذلك ما أعطيت نفسي حقها * وقلت لسرب الشعر لا ترم الذكرا
فأبرحت فكري عذارى قصائدي * ومن خلق العذراء أن تألف الخدرا
ولست وإن طاشت سهامي بآيس * فإن مع العسر الذي يتقى يسرا

وقال يراجع أبا الربيع بن سالم عن أبيات مثلها

سقى مضرب الخيمات من علمي نجد * أسح غمامي ادمعي والحيا الرغد
وقد كان في دمعي كفاء وإنما * يجفف فها ما بالضلوع من الوقد
فإن فترت نار الضلوع هنيهة * فسوف ترى تفسيره للعيا العد
وإن ضن صوب المزن يوما فأدمعي * تنوب كما ناب الجميع عن الفرد
وإن هطلا يوما بساحتها معا * فأرواهما ما صاب من منتهى الود
أرى زفرتي تذكي ودمعي يهمي * تقضين قاما بالصلاء وبالورد
فهل بالذي أبصرتم أو سمعتم * غمام بلا افق وبرق بلا رعد
لي الله كم اهذي بنجد وأهلها * ومالي بها الا التوهم من عهد
ومالي الى نجد نزوع ولا هوى * خلا أنهم شنوا القوافي على نجد
وجاؤا بدعوى حسن الشعر زورها * فصارت لهم في مصحف الحب كالجحد
شغلنا بأبناء الزمان عن الهوى * وللدرع وقت ليس يحسن للبرد
الى الله أشكو ريب دهري يغص في * نوائبه قد أنحت السن العد
لقد صرفت حكم الفؤاد الى الهوى * كما فوضت أمر الجفون الى السهد
أما تتوقى ويحها أن أصيبها * بدعوة مظلوم على جورها يعدي
أما راعها أن زحزحت عن أكارم * فراقهم دل القلوب على حدى
أعاتبها فيهم فتزداد قسوة * أجدك هل عاينت للعصر الصلد
أما علمت أن القساوة نافرت * طباع بني الآداب الامن الرد
اذا وعدت يوما بتأليف شملنا * فلم بعرقوب وما سن من وعد
وإن عاهدت أن لا تؤلف بيننا * تذكرت آثار السموأل في العهد
خليلي أعني النظم والنثر أرسلا * جيادا كما في حلبة الشكر والحمد
فقد ساعدا أني انه حق صاحب * برئ جمام الكتم من كدر الحقد
بآية ما قيدتما ألسن الورى * بذكرى فيا ويح الكناني والكندي
فأين بياني أو فأين فصاحتي * اذا لم أعد ذكر الاكارم أو أبدي
فيا خاطري وف الثناء حقوقه * وصفه كما قالوا سوار على زند
ولا تلزمني بالتكاسل حجة * تشب بها نار الحياء على خدي

للشباب وأقبل يرميه وهو يقول

أتوعد كل جبار عنيد
فها أنا ذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم حشر
فقل يا رب مزقني الوليد

وذكر محمد بن يزيد المبرد أن الوليد ألحد في شعر له ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم وأن الوحي لم يأته عن ربه كذب أخزاه الله ومن ذلك في الشعر

تلعب بالخلافة هاشمي
بلا وحي أتاه ولا كتاب
فقل لله يمنعني طعامي
وقل لله يمنعني شرابي

فلم يمهل بعد قوله الا أياما حتى قتل وأم الوليد بن يزيد أم الحجاج بنت محمد ابن يوسف الثقفية ويكنى أبا العباس وقد كان حمل اليه جفنة من البلور وقيل من الحجر المعروف بالبشب وقد ذهب جماعة من الفلاسفة الى أن من شرب فيه الخمر لا يسكر وقد ذكرنا خاصية ذلك في كتاب القضايا والتجارب وأن من وضع تحت رأسه منه قطعة أو كان فص خاتمه منه لم ير الاروءيا حسنة فأمر الوليد فملئت خمرا وطلع القمر وهو يشرب وندماؤه معه فقال أين القمر الليلة

فقال بعضهم في البرج الفلاني فقال له آخر منهم بل هو في الجفنة وقد كان القمر تبين في شعاع الجوهر

تكلت القوافى وهى أبناء خاطرى * وغيبها الافهام عنى فى لحد
لئن لم أصغ زهر النجوم قلادة * وآتى بدر التم واسطة العقد
الى أن يقول السامعون لرقتى * نعم طار ذاك السقط عن ذلك الزند
أحيى برياها جناب ابن سالم * فيقرع فيه الباب فى زمن الورد

وهى طويلة ومن مقطوعاته قوله

يا قمرا مطلعه اضلعى * له سواد القلب فيها غسق
وربما استوقد نار الهوى * فساب فيها الونها عن شفق
ملكتنى فى دولة من صبا * وصدتنى فى شرك من حدق
عندى من حبك مالو سرت * فى البحر منه شعلة لاحترق

وقال

قد كان لى قلب فلما فارقوا * سوى جناحا للغرام وطارا
وجرت سحاب للدموع فاوقدت * بين الجوانح لوعة وأوارا
ومن العجائب أن فيض مدامعى * ماء ويثمر فى ضلوعى نارا

وشعره الرمل والقطر كثرة فلنختمه بقوله

قالوا وقد طال بى مدى خطئى * ولم أزل فى تجرمى ساهى
أعددت شيأ ترجو النجاة به * فقلت أعددت رحمة الله

وكتب يهنئ قاضى الجماعة أبا القاسم بن بقى برسالة منها الان محله دام عمره وامتثل نهيه الشرعى وأمره أعلى رتبة وأكرم محلا من أن يحلى بخطة هى به تحلى كيف يهنأ بالقعود لسماع دعاوى الباطل والمعاناة لانصاف المطول من الماطل والتعب فى المعادلة بين ذوى المجادلة أما لو علم المتشوقون الى خطة الاحكام المستشرفون الى مالها من التبسط والاحتكام ما يجب لها من اللوازم والشروط الجوازم كبسط الكنف ورفع الجنف والمساواة بين العدو ذى الذنب والصاحب بالجنب وتقديم ابن السبيل على ذى الرحم والقبيل وايثار الغريب على القريب والتوسع فى الاخلاق حتى لمن ليس له من خلاق الى غير ذلك مما علم قاضى الجماعة احصاه واستعمل خلقه الفاضل أدناه وأقصاه لجعلوا نحو لهم مأمولهم وأضربوا عن ظهورهم فنبذوه وراء ظهورهم اللهم الامن أوتى بسطة فى العلم ورسا طودا فى ساحة الحلم وتساوى ميزانه فى الحرب والسلم وكان كونا لا فى المماثلة بين أجناس الناس فقصاراه أن يتقلد الاحكام للاجر لا للتعنيف والزجر ويتولاها للثواب لا للغلظة فى رد الجواب ويأخذها بحسن الجزاء لا القبح الاستهزاء ويلتزمها لجزيل الذخر لا للازراء والسخر فاذا كان كذلك وسلك المتولى هذه المسالك وكان مثل قاضى الجماعة ولا مثل له ونفع الحق به علله ونقع غلله فيومئذ تهنى به خطة القضاء وتعرف ما لله تعالى عليها من اليد البيضاء انتهت

(ورحل) الى مراكش فى جهاز بنت بلغت التزويج وقصد دار الخلافة مادحا فما تيسر له شئ من أمله ففكر فى خيبة قصده وقال لو كنت أملت الله سبحانه ومدحت نبيه صلى الله عليه وسلم وآل بيته الطاهرين لبلغت أملى بمحمود عملى ثم استغفر الله تعالى من اعتماده فى

هفت هفته وهذا كلام فارسى تفسيره لأصطبحن سبعة أسابيع فدخل عليه بعض حجابه فقال يا أمير المؤمنين ان بالباب جمعا من وفود العرب وغيرهم من قريش والخلافة تجل عن هذه المنزلة وتبعد عن هذه الحال فقال اسقوه فابى فوضع فى فمه قمع وجعلوا يسقونه حتى خر ما يعقل سكرا وقد كان أبوه أراد ان يعهد اليه فلاستصغاره لسنه عهد الى أخيه هشام ثم الى الوليد من بعده وكان الوليد مغرى بالخيل وحبها وجمعها واقامة الحلبة وكان السندى فرسه جواد زمانه وكان يسابق به فى أيام هشام وكان يقصر عن فرس هشام المعروف بالزائد وربما ضامه وربما جاء مصليا وهاك مراتب السوابق من الخيل اذا جرت فاولها السابق ثم المصلى وذلك أن رأسه عند صلا السابق ثم الثالث والرابع وكذلك الى التاسع والعاشر السكيت مسدد وما جاء بعد ذلك لم يعتد به والفسكل الذى يجيء فى الحلبة آخر الخيل وأجرى الوليد الخيل بالرصافة وأقام الحلبة وهى يومئذ ألف قارح ووقف بها ينتظر الزائد ومعه سعيد

توجهه الاول وعلم أن ليس على غير الثاني معول فلم يك الا أن صوب نحو هذا المقصد سهمه وأمضى فيه عزمه وأدابه قد وجه عنه فادخل على الخليفة فسأله عن مقصده فأخبره مفصحا به فانفذه وزاده عليه وأخبره أن ذلك لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم بأمر بقضاء حاجته فانفصل موفى الاغراض واستمر في مدح أهل البيت عليهم السلام حتى اشتهر بذلك وتوفى سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وسنه دون الاربعين وصلى عليه أبوه فانه كان بمكان من الفضل والدين رحمهم الله تعالى أجمع انتهى كلام ابن الخطيب في حق المذكور ملخصا ولا بأس أن نزيد عليه ما حضر فنقول قال ابن سعيد وغيره ولد صفوان سنة ستين وخمسمائة أو في التي بعدها قال وديوان شعره مشهور بالمغرب انتهى ومن نظمه قوله

أومض ببرق الاضلع * واسكب غمام الادمع
واحزن طويلا واجزع * فهو مكان الجزع
وانثر دماء المقلتين * تألما على الحسين
وابك بدمع دون عين * ان قل فيض الادمع

وهذا من قصيدة عارض بها الحريري في قوله خل ادكار الاربع وله أيضا مطلع قصيدة فيه

يا عين سحى ولا تشحى * ولو بدمع يحذف عين

وقال ابن الابار توفي صفوان بمرسية ليلة الاثنين السادس عشر من شوال سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وثكله أبوه وصلى عليه وهو دون الاربعين اذ مولده سنة احدى وستين وخمسمائة وكان من جلة الكتاب البلغاء ومهرة الادباء الشعراء ناقدا فصيحا مدركا جليل القدر متقدما في النظم والنثر ممن جمع ذلك وله رسائل بديعة وقصائد جليلة وخصوصا في مراثي الحسين رضي الله تعالى عنه وقد ذكرت هنا قول ناهض بن محمد الاندلسي الوادي آشي في رثاء الحسين رضي الله تعالى عنه

امرنة سجعت بعود أراك * قولى مولهة علام بكاك
أجفاك الفك ام بليت بفرقة * أم لاح برق بالحمى فشجاك
لو كان حقا ما ادعيت من الجوى * يوما لما طرق الجفون كراك
أو كان روعك الفراق اذا لما * ضنت بماء جفونها عيناك
ولما ألفت الروض يأرج عرفه * وجعلت بين فروعه مغناك
ولما اتخذت من الغصون منصة * ولما بدت مخضوبة كفاك
ولما ارتديت الريش بردا معلما * ونظمت من قزح سلوك طلاك
لو كنت مثلي ما أفقت من البكا * لاتحسبي شكواي من شكواك
ايه حمامة خبريني انني * أبكي الحسين وأنت ما أبكاك
أبكي قتيل الطف فرع نبينا * أكرم بفرع للنبوة زاكي
ويل لقوم غادروه مضرجا * بدمائه نضو اصريع شكاك
متعفرا قد مزقت أشلاؤه * فريا بكل مهند فتاك

خيلي ورب الكعبة المحرمه
سبقن أفراس الرجال اللؤمه
كما سبقناهم وحزنا المكرمه
فاقبل فرس ابن الوليد ويقال له الوضاح أمام الخيل فلما دنا صرع فارسه وأقبل المصباح فرس سعيد يتلوه وعليه فارسه وهو فيما يرى سعيد بعد سابقا فقال سعيد

نحن سبقنا اليوم خيل اللؤمه
وصرف الله الينا المكرمه
كذلك كنا في الدهور المتقدمه
أهل العلا والرتب المعظمه

فضحك الوليد لما سمعه وخشى أن تسبق فرس سعيد فركض فرسه حتى ساوى الوضاح فقذف بنفسه عليه ودخل سابقا فكان الوليد أول من فعل ذلك وسنه في الحلبة ثم تلاه في الفعل كذلك المهدى في أيام المنصور والهادى في أيام المهدى ثم عرضت على الوليد الخيل في الحلبة الثانية فر به فرس لسعيد فقال لا نسابقك أبا عنبسة وأنت القائل

نحن سبقنا اليوم خيل اللؤمه

فقال سعيد ليس كذا قلت يا أمير المؤمنين وانما قلت

نحن سبقنا اليوم خيلا لؤمه

فضحك الوليد وضمه الى نفسه وقال لا عدمت قريش أخا مثلك ولوليد بن يزيد أخبار حسان في جمعه الخيول في الحلبة فانه

أيزيد لو راعيت حرمة جده * لم تقتنص ليث العرين الشاكى
أو كنت تصغى اذ نقرت بثغره * قرعت صماخك أنة المسواك
أتروم ويك شفاعة من جده * هيهات لا ومدبر الافلاك
ولسوف تنبذ فى جهنم خالدا * ماالله شاء ولات حين فكاك

وتوفى ناهض المذكور بوادى آش سنة ٦١٥ * (رجع الى أخبار صفوان بن ادريس رحمه الله تعالى) فنقول ومن شعر صفوان قوله

قلنا وقد شام الحسام مخوفا * رشأ بعادية الضراغم عابث
هل سيفه من طرفه أم طرفه * من سيفه أم ذا لطرف ثالث

وقوله

غيرى يروع بسيفه * رشأ تشاجع ساخرا
ان كف عنى طرفه * فالسيف أضعف ناصرا

وقال صفوان المذكور رحمه الله تعالى حييت بعض أصحابنا بزهرة سوسن فقال

* حيا بسوسنة أبو بحر * فقلت مجيزا * نضراء تفضح يانع الزهر *
عجبا لها لم تذوها يده * من طول ما مكثت على الصدر

وقال أيضا ماشيت الوزير الكاتب أبا محمد بن حامد يوما فاتفق أن قال لامر تذكره

بين الكثيب ومنبت السدر * ريم غدا مثواه فى صدرى

فقلت أجيزه

لو شاحه قلق بلا ألم * ولقرطه خفق بلا ذعر
لو كنت قد أنصفت مقلته * برأت هاروت من السحر
أو كنت أقضى حق مرشفه * أعرضت لا ورعا عن الخمر

وناولته يوما وردة مغلقة فقال

ومحمرة تختال فى ثوب سندس * كوجنة محبوب أطل عذاره

فقلت أجيزه

كتطريف كف قد أحاطت بنانها * بقلب محب ليس يخبو أواره

وقال رآنى الوزير أبو اسحق وأنا أقيد أشعارا من ظهر دفتر فقال

* ماذا الذى يكتب الوزير * فقلت * بدائع مالها نظير *

فقال در ولكنه نظيم * من خير أسلاكه السطور
فقلت من أظهر الكتب أقتنيها * وخل ما تحتوى البحور
بتلك تزهو النحور لكن * بهذه تزدهى الصدور

ولكن الانصاف واجب هو قال المعنى الاخير نثرا وأنا سبكته نظما وقال جلسنا بعض العشايا بالوجهة خارج مرسية والنسيم يهب على النهر فقال أبو محمد بن حامد

هب النسيم وماء النهر يطرد * فقلت على جهة المداعبة لا الاجازة
ونار شوقى فى الاحشاء تتقد * فقال أبو محمد ما الذى يجمع بين هذا العجز وذاك الصدر فقلت

قد برزا فى الجرى على خيول زمانهما وقد ذكر ذلك جماعة من الاخباريين وأصحاب التواريخ مثل ابن عفير والاصمعى وأبى عبيدة وجعفر بن سليمان وقد أتينا على الغرر من أخباره فى أخبار الخيل وأخبار الحلبات وخبر الفرس المعروف بالزائد والسندى وأشقر مروان وغير ذلك من أخبار من سلف من الامويين ومن تأخر فى كتابنا المترجم بالاوسط وانما الغرض من هذا الكتاب ايراد جوامع تاريخهم ولمع من أخبارهم وسيرهم وكذلك أتينا على ذكر ما يستحب من معرفة خلق الخيل وصفاتها من سائر أعضائها وعيونها وخلقها والشاب منها والهرم ووصف ألوانها ودوائرها وما يستحسن من ذلك ومقادير أعمارها ومنتهى بقائها وتنازع الناس فى اعداد هذه الدوائر والمحمودة منها والمذمومة ومن رأى انها ثمانى عشرة أو أقل من ذلك أو أكثر على حسب ما أدركه من طرق العادات بها والتجارب ووصف السوابق من الخيل وغير ذلك مما تكلم الناس به فى شأنها وأعراقها فيما سلف من كتبنا وفى أيام

أنا أجمع بينهما ثم قلت

فصاغ من مائه درعا مفضضة * وزاد قلبي وقد اللذ يجمد
وإنما شب أحشائي لحاجته * اذ ليس دون لهيب يصنع الزرد

وخطرنا بعقفت على غرة تهزها الريح فقال أبو محمد

وسرحة كاللواء تهفو * بعطفها هبة الرياح
فقلت كأن أعطافها سقتها * كف الندامى كؤوس راح
فقال إذا اتحاها النسيم هزت * أعطافها هزة السماح
فقلت كأن أغصانها كرام * تقابل الضيف بارتياح

ولصفوان رحمه الله

تحية الله وطيب السلام * على رسول الله خير الأنام
على الذي فتح باب الهدى * وقال للناس ادخلوا بالسلام
بدر الهدى غيم الندى والسدى * وما عسى أن يتناهى الكلام
تحية تهزأ أنفاسها * بالمسك لا أرضى بمسك الختام
تخصه مني ولا تنثني * عن أهله الصيد السراة الكرام
وقدرهم أرفع لكنني * لم ألف أعلى لفظة من كرام

وقال

يقولون لي لما ركبت بطالتي * ركوب فتى جم الغواية معتدي
أعندك شيء ترتجي أن تناله * فقلت نعم عندي شفاعة أحمد

صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم وبارك وأنعم ووالى وكمل وأتم

(الباب الثاني)

في نشأته وترقيه ووزارته وسعادته ومساعدة الدهر له ثم قلبه له ظهر المجن على عادته في مصافاته ومنافاته وارتباكه في شباكه وما لقي من أحن الحاسد ذي المذهب الفاسد ومحن الكائد المستأسد وذكر قصوره وأمواله وغير ذلك من أحواله في تقلباته عندما قابله الزمان بأهواله في بدئه وإعادته إلى وفاته

أقول كان مولد الوزير لسان الدين بن الخطيب رحمه الله كما في الإحاطة في الخامس والعشرين من شهر رجب عام ثلاثة عشر وسبعمائة وقال الرئيس الأمير أبو الوليد بن الأحمر رحمه الله نشأ لسان الدين بن الخطيب على حالة حسنة سالكا سبيل أسلافه فقرأ القرآن على المكتب الصالح أبي عبد الله بن عبد المولى العواد تكتيبا ثم حفظا ثم تجويدا ثم قرأ القرآن أيضا على أستاذ الجماعة أبي الحسن القيجاطي وقرأ عليه العربية وهو أول من انتفع به وقرأ على الخطيب أبي القاسم بن جزي ولازم قراءة العربية والفقه والتفسير على الشيخ الإمام أبي عبد الله بن الفخار البيري شيخ النحويين لعهده وقرأ على قاضي الجماعة أبي عبد الله بن بكر وتأدب بالرئيس أبي الحسن بن الجياب وروى عن كثير من الأعيان وسرد ابن الأحمر المذكور هنا جملة أعلام من مشايخ لسان الدين سيأتي ذكرهم إن شاء الله تعالى ثم قال وأخذ الطب والتعاليم وصناعة التعديل عن الإمام أبي زكريا يحيى بن هذيل ولازمه انتهى

الوليد بن يزيد كانت وفاة أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وقد تنوزع في ذلك فمن الناس من رأى أن وفاته كانت في أيام هشام وذلك سنة عشر ومائة ومن الناس من رأى أنه مات في أيام يزيد بن عبد الملك وهو ابن سبع وخمسين سنة بالمدينة ودفن بالبقيع مع أبيه علي بن الحسين وغيره من سلفه عليهم السلام مما سنورد ذكرهم فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى والله ولي التوفيق

(ذكر أيام يزيد وإبراهيم ابني الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان)

ولي يزيد بن الوليد بدمشق ليلة الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة فبايعه الناس بعد قتل الوليد بن يزيد وتوفي يزيد بن الوليد بدمشق يوم الأحد هلال ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة فكانت ولايته من مقتل الوليد بن يزيد إلى أن مات خمسة أشهر وليلتين وقد كان إبراهيم بن الوليد أخوه قام بالأمر من بعده فبايعه الناس بدمشق أربعة أشهر وقيل شهرين ثم خلع وكانت أيامه عجيبة الشأن من كثرة الهرج والاختلاط واختلاف الكلمة وسقوط الهيبة وفيه يقول بعض أهل ذلك العصر

نبايع إبراهيم في كل جمعة * ألا إن أمرا أنت واليه ضائع

ست وأربعين سنة

(ذكر لمع مما كان في أيامهما)

كان يزيد بن الوليد أحول وكان يلقب بيزيد الناقص ولم يكن ناقصا في جسمه ولا عقله وانما نقص بعض الجند من أرزاقهم فقالوا يزيد الناقص وكان يذهب الى قول المعتزلة وما يذهبون اليه في الاصول الخمسة من التوحيد والعدل والوعد والوعيد والاسماء والاحكام وهو القول بالمنزلة بين المنزلتين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتفسير قولهم فيما ذهبوا اليه من الباب الاول وهو باب التوحيد هو ما اجتمعت عليه المعتزلة من البصريين والبغداديين وغيرهم وان كانوا في غير ذلك من فروعهم متباينين من أن الله عز وجل لا كالاشياء وانه ليس بجسم ولا عرض ولا عنصر ولا جزء ولا جوهر بل هو الخالق للجسم والعرض والعنصر والجزء والجوهر وأن شيأ من الحواس لا تدركه في الدنيا ولا في الآخرة وأنه لا يحصره المكان ولا تحويه الاقطار بل هو الذي لم يزل ولا زمان ولا مكان ولا نهاية ولا حد وانه الخالق للاشياء المبدع لها لا من شئ قالوا

وقال بعضهم في حق لسان الدين هو الوزير العلامة المتحلي باجل الشمائل وأفضل المناقب المتميز في الاندلس بارفع المراقي وأعلى المراتب علم الاعلام ورئيس أرباب السيوف والاقلام جامع أشتات الفضائل والمربي بحسن سياسته وعظيم رياسته على الاواخر والاوائل حائز رتبة رياسة السيف والقلم والقائم بتدبير الملك على أرسخ قدم صاحب القلم الاعلى الوارد من البراعة المنهل الاحلى صاحب الاحاديث التي لا تمل على كثرة ما تتلى والمحاسن التي صورها على منصة التنويه تجلى انتهى *وقال لسان الدين في الاحاطة بعد ذكر سلفه رحمهم الله تعالى ما لخصه وخلفني يعني أباه عبد الله عالي الدرجة شهير الخطة مشمولا بالقبول مكنوفا بالعناية فقلدني السلطان سره ولما يستكمل الشباب ويجتمع السن معززة بالقيادة ورسوم الوزارة واستعملني في السفارة الى الملوك واستنابني بدار ملكه ورمى الى يدي بخاتمه وسيفه وائتمنني على صوان حضرته وبيت ماله وسجوف حرمه ومعقل امتناعه ولما هلك السلطان ضاعف ولده حظوتي وأعلى مجلسي وقصر المشورة على نعمي الى أن كانت عليه الكائنة فاقتدى في أخوه المتغلب على الامر به فسجل الاختصاص وعقد القلادة ثم حمله أهل الشحناء من أعوان ثورته على القبض علي فكان ذلك وتقبض علي ونكث ما أبرم من أماني واعتقلت بحال ترفيه وبعد أن كبست المنازل والدور واستكثر من الحرس وختم على الاعلاق وابردا الى ماناء واستؤصلت نعمة لم تكن بالاندلس من ذوات النظائر ولا ربات الامثال في تبحر الغلة وفراهة الحيوان وغبطة العقار ونظافة الآلات ورفعة الثياب واستجادة العدة ووفور الكتب الى الآنية والفرش والماعون والزجاج والطيب والذخيرة والمضارب والابنية واكتسحت السائمة وثيران الحرث وظهر الحمولة وقوام الفلاحة والخيل فاخذ ذلك البيع وتناهبتها الاسواق وصاحبها البخس ورزأتها الخونة وشمل الخاصة والاقارب الطلب واستخلصت القرى وأعملت الحيل وطوقت الذنوب أمد الله تعالى بالعون وأنزل السكينة وانصرف اللسان الى ذكر الله تعالى وتعلقت الآمال به وطبقت نكبة مصحفية مطلوبها الذات وسببها المال حسبما قلت عند اقالة العثرة والخلاص من الهفوة

تخلصت منها نكبة مصحفية * لفقداني المنصور من آل عامر

ووصلت الشفاعة في مكتتبة بخط ملك المغرب وجعل خلاصي شرطا في العقدة ومسالمة الدولة فانتقلت صحبة سلطاني المكفور الحق الى المغرب وبالغ ملكه في برى منزلا رحبا وعيشا خفضا واقطاعا جما وجراية ماورا هامري وجعلني بمجلسه صدرا ثم اسعف قصدي في تهيؤ الخلوة بمدينة سلا منوه الصكوك مهنأ القرار متفقدا بالالهاء والخلع مخول العقار موفور الحاشية مخلى بيني وبين اصلاح معادي الى أن رد الله تعالى على السلطان أمير المسلمين أبي عبد الله ابن أمير المسلمين أبي الحجاج ملكه وصير اليه حقه فطالبني بوعد ضربته وعمل في القدوم عليه بولده احكمته ولم يوسعني عذرا ولا فسح في الترك مجالا فقدمت عليه بولده وقد ساءه بامساكه رهينة ضده ونغص مسرة الفتح بعده على حال من التقشف والزهد فيما بيده وعزف عن الطمع في ملكه وزهد في رفده حسبما قلت من بعض المقطوعات

قالوا لخدمته دعاك محمد * فأنفتها وزهدت فى التنويه

فاجبتهم أنا والمهيمن كاره * فى خدمة المولى محب فيه

عاهدت الله تعالى على ذلك وشرحت صدرى للوفاء به وجنحت الى الانفصال لبيت الله الحرام نشيدة أملى ومرمى نيتى وعملى فعلق بى وخرج لى عن الضرورة وأرانى أن موازرته ابر القرب وراكننى الى عهد بخطه فسح لعامين امد الثواء واقتدى بشعيب صلوات الله عليه فى طلب الزيادة على تلك النسبة وأشهد من حضر من العلية ثم رمى الى بعد ذلك بمقاليد رأيه وحكم عقلى فى اختيارات عقله وغطى من جفائى بحلمه وحثا فى وجوه شهواته تراب زجرى ووقف القبول على وعظى وصرف هواى فى التحول ثانيا وقصدى واعترف بقبول نصحى فاستعنت الله تعالى وعاملت وجهه فيه من غير تلبس بجراية ولا تشبث بولاية مقتصرا على الكفاية حذرا من النقد خامل المركب معتمدا على المنسأة مستمتعا بخلق النعل راضيا بغير النبيه من الثوب مشفقا من موافقة الغرور هاجر الزخرف صادعا بالحق فى أسواق الباطل كافا عن السخال براثن السباع ثم صرفت الفكر الى بناء الزاوية والمدرسة والتربة بكر الحسنات بهذه الخطة بل بالجزيرة فيما سلف من المدة فأتى بمنة الله تعالى من صلاح السلطان وعفاف الحاشية والامن وروم الثغور وتثمير الجباية وانصاف الحماة والمقاتلة ومقارعة الملوك المجاورة فى ايثار المصلحة الدينية والصدع فوق المنابر ضمانا من السلطان بترياق سم الثورة واصلاح بواطن الخاصة والعامة ما الله تعالى المجازى عليه والمعوض من سهر خلعته على أعطافه وخطر اقتحمته من أجله لا الثريد الاعفر ولا الثرد تمرح فى الارسان ولا البدر تثقل الاكتاد فهو الذى لا يضيع عمل من عمل من ذكر أو أنثى سبحانه وتعالى ومع ذلك فلم أعدم الاستهداف للشرور والاستعراض للمحذور والنظر الشزر المنبعث من خزر العيون شيمة من ابتلاه الله تعالى بسياسة الدهماء ورعاية سفلة ازاق السماء وقتلة الانبياء وعبدة الاهواء ممن لا يجعل لله تعالى ارادة نافذة ولا مشيئة سابقة ولا يقبل معذرة ولا يجمل فى الطلب ولا يتلبس مع الله بادب ربنا لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا والحال الى هذا العهد وهو منتصف عام خمسة وستين وسبعمائة على ما ذكرته ادالة الله بحال السلامة وبفيأة العافية والتمتع بالعبادة وربك يخلق ما يشاء ويختار * وعلى أن أسعى وليس على ادراك النجاح * ولله سبحانه فيناء علم غيب نحن صائرون اليه ألحفنا الله لباس التقوى وختم لنا بالسعادة وجعلنا فى الآخرة من الفائزين نفثت عن [illegible] وتاوهت عن حمى ليظهر بعد المنقلب قصدى ويدل مكتبى على عقدى انتهى بلفظه * وكان رحمه الله تعالى عارفا باحوال الملوك سريع الجواب حاضر الذهن حاد النادرة (ومن حكاياته فى حضور الجواب ماحكاه عن نفسه) قال حضرت يوما بين يدى السلطان أبى عنان فى بعض وفاداتى عليه لغرض الرسالة وجرى ذكر بعض أعدائه فقلت ما أعتقده فى اطراء ذلك العدو وما عرفته من فضله فانكر على بعض الحاضرين ممن لا يحطب الا فى حبل السلطان فصرفت وجهى وقلت أيدكم الله تحقير عدو السلطان بين يديه ليس من السياسة فى شئ بل غير ذلك أحق وأولى فان كان السلطان غالب عدوه كان

وأنه القديم وأن ماسواه محدث (وأما القول بالعدل) وهو الاصل الثانى فهو أن الله لا يحب الفساد ولا يخلق أفعال العباد بل يفعلون ما أمروا به ونهوا عنه بالقدرة التى جعلها الله لهم وركبها فيهم وانه لم يأمر الا بما أراد ولم ينه الا عما كره وانه ولى كل حسنة أمر بها برىء من كل سيئة نهى عنها لم يكلفهم ما لا يطيقونه ولا أراد منهم ما لا يقدرون عليه وأن أحدا لا يقدر على قبض ولا بسط الا بقدرة الله التى أعطاهم اياها وهو المالك لها دونهم يفنيها اذا شاء ويبقيها اذا شاء ولو شاء لجبر الخلق على طاعته ومنعهم اضطرارا عن معصيته ولكان على ذلك قادرا غير أنه لا يفعل اذ كان فى ذلك رفع للمحنة وازالة للبلوى (وأما القول بالوعد) وهو الاصل الثالث فهو أن الله لا يغفر لمرتكب الكبائر الا بالتوبة وانه لصادق فى وعده ووعيده لا مبدل لكلماته (وأما القول بالمنزلة بين المنزلتين) وهو الاصل الرابع فهو أن الفاسق المرتكب للكبائر ليس بمؤمن ولا كافر بل يسمى فاسقا على حسب ما ورد التوقيف بتسميته وأجمع أهل الصلاة على فسوقه (قال المسعودى) وبهذا الباب سميت المعتزلة وهو الاعتزال وهو الموصوف بالاسماء والاحكام مع

قد غلب غير حقير وهو الاولى بفخره وجلالة قدره وان غلبه العدو لم يغلبه حقير فيكون أشد
للعسرة وآكد للفضيحة فوافق رحمه الله تعالى على ذلك واستحسنه وشكر عليه وحمل المعترض
انتهى (وكان) رحمه الله تعالى مبتلى بداء الارق لا ينام من الليل الا النزر اليسير جدا
وقد قال في كتابه الوصول لحفظ الصحة في الفصول العجب مني مع تاليفي لهذا الكتاب
الذي لم يؤلف مثله في الطب وعملي ذلك لا اقدر على مداواة داء الارق الذي بي أو كما قال ولذا
يقال له ذو العمرين لان الناس ينامون في الليل وهو ساهر فيه ومؤلفاته ما كان يصنف غالبها
الا بالليل وقد سمعت بالمغرب بعض الرؤساء يقول لسان الدين ذو الوزارتين وذو العمرين
وذو الميتتين وذو القبرين انتهى وسيأتي ما يعلم منه معنى الاخيرين وقد عرّف رحمه الله
تعالى بالسلطان أبي الحجاج في الاحاطة فقال ما حاصله يوسف بن اسمعيل بن فرج بن اسمعيل
ابن يوسف بن نصر الانصاري الخزرجي أمير المسلمين بالاندلس أبو الحجاج تولى الملك بعد
أخيه بوادي السقائين من ظاهر الخضراء ضحوة يوم الاربعاء ثالث عشر ذي الحجة عام
ثلاثة وثلاثين وسبعمائة وسنه خمسة عشر عاما وثمانية اشهر امه ام ولد وكان له ثلاثة
أولاد كبيرهم محمد أمير المسلمين من بعده وتلوه أخوه اسمعيل محجوره وثالثهم قيس
شقيق اسمعيل وذكر لسان الدين أنه وزر له بعد شيخه ابن الجياب وتولى كتابة سره
مضافة الى الوزارة في أخريات شوال عام تسعة وأربعين وسبعمائة انتهى وقد علم
أنه وزر بعده لابنه محمد كما تقدم ويأتي وأما اسمعيل بن أبي الحجاج فهو الذي تغلب على
الامر وانتهز الفرصة في ملك أخيه محمد كما تقدم وفيه وفي أخيه قيس حين قتلا يقول لسان
الدين * باسمعيل ثم أخيه قيس * البيتين (وقد ذكر ايضا) رحمه الله تعالى حكاية وفاة
السلطان أبي الحجاج ما محصله أنه هجم عليه رجل من عداد الممرورين وهو في الركعة
الاخيرة من صلاة عيد الفطر عام خمسة وخمسين وسبعمائة فطعنه بخنجر وقبض عليه واستفهم
فتكلم بكلام مخلط واحتمل الى منزله على فور ولم يستقر به الا وقد قضى وأخرج
قاتله الى الناس فقتل لحينه وأحرق بالنار ودفن عشية اليوم المذكور في مقبرة قصره
ضجيع والده وولي امره ولده محمد ورثيته في غرض ناء عن الجزالة تختار ولده

العمر نوم والمنى أحلام * ماذا عسى أن يستمر مقام
واذا تحققنا لشيء بداءة * فلهما تقضي العقول تمام
والنفس تجمع في مدى آمالها * ركضا وتأبى ذلك الايام
من لم يصب في نفسه فمصابه * بحبيبه نفذت بذا الاحكام
بعد الشبيبة كبرة ووراءها * هرم ومن بعد الحياة حمام
ولحكمة ما أشرقت شهب الدجى * وتعاقب الاصباح والاظلام
دنياك يا هذا محلة نقلة * ومناخ ركب ما لديه مقام
هذا أمير المسلمين ومن به * وجد السماح وأعدم الاعدام
سر الامانة والخلافة يوسف * غيث الملوك وليثها الضرغام
قصدته عادية الزمان فاقصدت * والعز سام والخميس لهام

ماتقدم من الوعيد في الفاسق من الخلود في النار (وأما القول بوجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) وهو الاصل الخامس فهو أن ماذكر على سائر المؤمنين واجب على حسب استطاعتهم في ذلك بالسيف فما دونه وان كان كالجهاد ولا فرق بين مجاهدة الكافر والفاسق فهذا ما اجتمعت عليه المعتزلة ومن اعتقد ماذكرنا من هذه الاصول الخمسة كان معتزليا فان اعتقد الاكثر أو الاقل لم يستحق اسم الاعتزال فلا يستحقه الا باعتقاده هذه الاصول الخمسة وقد تنوزع فيما عدا ذلك من فروعهم وقد أتينا على سائر قولهم في أصولهم وفروعهم وأقاويلهم وأقاويل غيرهم من فرق الامة من الخوارج والمرجئة والرافضة والزيدية والحشوية وغيرهم في كتابنا المقالات في أصول الديانات وأفردنا بذلك كتابنا المترجم بكتاب الابانة واحتبيناه لانفسنا وذكرنا فيه الفرق بين المعتزلة وأهل الامامة وما بانت به كل فريق منهم عن الآخر اذ كانت المعتزلة وغيرها من الطوائف تذهب الى أن الامامة اختيار من الامة وذلك أن الله عز وجل لم ينص على رجل بعينه وان اختيار ذلك مفوض الى الامة تختار رجلا منها ينفذ فيها أحكامه سواء كان قرشيا

فمن

فجعت به الدنيا وكدر شربها * وشكا العراق مصابه والشام
أسفا على الخلق الجميل كأنما * بدر الدجنة قد جلاه تمام
أسفا على العمر الجديد كأنه * زهر الحديقة زهره بسام
أسفا على الخلق الرضى كأنه * زهر الرياض همى عليه غمام
أسفا على الوجه الذى مهما بدا * طاشت لنور جماله الافهام
يا ناصر الثغر الغريب وأهله * والارض ترجف والسماء قتام
يا صاحب الصدقات فى جنح الدجى * والناس فى فرش النعيم نيام
يا حافظ الحرم الذى بظلاله * ستر الارامل واكتسى الايتام
مولاى هل لك للقصور زيارة * بعد انتزاح الدار او المام
مولاى هل لك للعبيد تذكر * حاشاك أن ينسى لديك ذمام
يا واحد الآحاد والعلم الذى * خفقت بعزة نصره الأعلام
وافاك أمر الله حين تكاملت * فيك النهى والجود والاقدام
ورحلت عنا الركب خير خليفة * اثنى عليك الله والاسلام
نعم الطريق سلكت كان رفيقه * والزاد فيه تهجد وصيام
وكسفت يا شمس المحاسن ضحوة * فاليوم ليل والضياء ظلام
وسقاك عيد الفطر كأس شهادة * فيها من الاجل الوحى هدام
وختمت عمرك بالصلاة فحبذا * عمل كريم سعيه وختام
مولاى كم هذا الرقاد الى متى * بين الصفائح والتراب تنام
أعد التحية واحتسبها قربة * ان كان يمكنك الغداة كلام
تبكى عليك مصانع شيدتها * بيض كما تبكى الهديل حمام
تبكى عليك مساجد عمرتها * فالناس فيها سجد وقيام
تبكى عليك خلائق أمنتها * بالسلم وهى كأنها أنعام
عاملت وجه الله فيما رمته * منها فلم يبعد عليك مرام
لو كنت تفدى أو تجار من الردى * بذلت نفوس من لدنك كرام
لو كنت تمنع بالصوارم والقنا * ما كان ركنك بالغلاب يرام
لكنه أمر الاله ومالنا * الارضا بالحكم واستسلام
والله قد كتب الفناء على الورى * وقضاؤه جفت به الاقلام
ثم فى جوار الله مسرورا بما * قدمت يوم تزلزل الاقدام
واعلم بان سليل ملكك قد غدا * فى مستقر علاك وهو امام
ستر تكنف منه من خلفته * ظل ظليل فهو ليس يضام
كنت الحسام وصرت فى غمد الثرى * ولنصر ملكك سل منه حسام
خلفت أمة أحمد لمحمد * فقضت بسعد الامة الاحكام
فهو الخليفة للورى فى عهده * ترعى العهود وتوصل الارحام

أو غيره من أهل ملة الاسلام وأهل العدالة والايمان ولم يراعوا فى ذلك النسب ولا غيره وواجب على أهل كل عصر أن يفعلوا ذلك والذى ذهب الى أن الامامة قد تجوز فى قريش وغيرهم من الناس هو المعتزلة بأسرها وجماعة من الزيدية مثل الحسن بن صالح بن حى ومن قال بقوله على حسب ما قدمنا من ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار هشام ووافق من ذكرنا على هذا القول جميع الخوارج من الاباضية وغيرهم الا النجدات من فرق الخوارج فزعموا ان الامامة غير واجب نصبها ووافقهم على هذا القول اناس من المعتزلة ممن تقدم وتأخر الا انهم قالوا ان عدلت الامة ولم يكن فيها فاسق لم يحتج الى امام وذهب من قال بهذا القول الى دلائل ذكروها منها قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو ان سالما حى ما داخلنى فيه الظنون وذلك حين فوض الامر الى أهل الشورى قالوا وسالم مولى امرأة من الانصار فلو لم يعلم عمر أن الامامة جائزة فى سائر المؤمنين لم يطلق هذا القول ولم يتأسف على موت سالم مولى أبى حذيفة قالوا وقد صح بذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم أخبار كثيرة منها قوله اسمعوا وأطيعوا ولو لعبد أجدع وقد قال الله عز وجل ان

أبقى رسومك كلها محفوظة * لم ينتثر منها عليك نظام
العدل والشيم الكريمة والتقى * والدار والالقاب والخدام
حسبي بأن أغشى ضريحك لاثما * وأقول والدمع السفوح سجام
يا مدفن التقوى ويا مثوى الهدى * مني عليك تحية وسلام
أخفيت من حزني عليك وفي الحشا * نار لها بين الضلوع ضرام
ولو انني أديت حقك لم يكن * لي بعد فقدك في الوجود مقام
واذا الفتى أدى الذي في وسعه * وأتى بجهد ما عليه ملام

قال لسان الدين وكتبت في بعض معاهده

غبت فلا عين ولا خبر * ولا انتظار منك مرقوب
يا يوسف أنت لنا يوسف * وكلنا في الحزن يعقوب

انتهى ورحمه الله تعالى الجميع بمنه وقد قدمنا ما كتبه لسان الدين على لسان سلطانه الى السلطان أبي عنان في شأن قتل السلطان ابي الحجاج في الباب الثامن من القسم الاول (وقال لسان الدين) في كتابه اللمحة البدرية في الدولة النصرية في ذكر ما يتعلق بخلع سلطانه وقيام أخيه عليه في خلال ذلك ما نصه كان السلطان أبو عبد الله عند تصير الامر اليه قد ألزم أخاه اسمعيل قصرا من قصور أبيه بجوار داره مرفها عليه متممة وظائفه له وأسكن معه امه وأخواته منها وقد استأثرت يوم وفاة والدها بالجم من خزائنه الكائنة في بيتها فوجدت السبيل الى السعي لولدها فجعلت تواصل زيارة ابنتها التي عقد لها الوالد لابن عمه الرئيس ابي عبد الله ابن الرئيس ابي الوليد ابن الرئيس ابي عبد الله المبايع له باندرش ابن الرئيس أبي سعيد جدهم الذي تجمعهم جرثومته وشمر الصهر المذكور عن ساعد عزمه وجده وهو على ما هو من الاقدام ومداخلة ذؤبان الرجال واستعان بمن استفته الدولة وهفت به الاطماع فتألف منهم زهاء مائة قصدوا جهة من جهات القلعة متسنمين شق صعب المرتقى واتخذوا آلة تدرك ذروته لسعود بنية كانت به عن التمام وكسوا حوسيا بأعلاه عما اقتضى صماته فاستووا به ونزلوا الى القلعة سحر الليلة الثامنة والعشرين من شهر رمضان عام ستين وسبعمائة فاستظهروا بالمشاعل والصراخ وعالجوا دار الحاجب رضوان ففضوا أغلاقها ودخلوها فقتلوه بين أهله وولده وانتهبوا ما اشتملت عليه داره وأسرعت طائفة مع الرئيس فاستخرجت الامير المعتقل اسمعيل وأركبته وقرعت الطبول ونودي بدعوته وقد كان اخوه السلطان متحولا بولده الى سكنى الجنة المنسوبة للعريف لصق داره وهي المثل المضروب في الظل الممدود والماء المسكوب والنسيم البليل يفصل بينها وبين معقل الملك السور المنيع والخندق المصنوع فارتاعه الا النداء والعجيج وأصوات الطبول وهب الى الدخول الى القلعة فالفاها قد أخذت دونه شعابها كلها وتقابها وقذفته الحراب ورشقته السهام فرجع أدراجه وسدده الله تعالى في محل الحيرة ودس له عرق الفحول من قومه فامتطى صهوة فرس كان مرتبطا عنده وصار لوجهه فاعيا المتبع وصبح مدينة وادي آش ولم يشعر حافظ قصبتها الا به وقد توج عليها فالتفت به أهلها

واعطوه

أكرمكم عند الله أتقاكم وذهب أبو حنيفة وأكثر المرجئة وأكثر الزيدية من الجارودية وغيرها وسائر فرق الشيعة والرافضة والراوندية الى ان الامامة لا تجوز الا في قريش لقول النبي صلى الله عليه وسلم الامامة في قريش وقوله عليه السلام قدموا قريشا ولا تقدموها ولما احتج المهاجرون به على الانصار يوم سقيفة بني ساعدة من أن الامامة في قريش لانهم اذا ولوا عدلوا ولرجوع كثير من الانصار الى ذلك ولما انفرد به أهل الامامة من أن الامامة لا تكون الا نصا من الله ورسوله على عين الامام واسمه واشتهاره كذلك وفي سائر الاعصار لا تخلو الناس من حجة الله فيهم ظاهرا أو باطنا على حسب استعماله التقية والخوف على نفسه واستدلوا بالنص على أن الامامة في قريش وبدلائل كثيرة من العقول وجوامع من النصوص في وجوبها وفي النص عليهم وفي عصمتهم من ذلك قوله عز وجل مخبرا عن ابراهيم اني جاعلك للناس اماما ومسئلة ابراهيم بقوله ومن ذريتي واجابة الله له بأنه لا ينال عهدي الظالمين قالوا ففيما تلوناه دلائل على أن الامامة نص من الله ولو كان نصها الى الناس ما كان لمسئلة ابراهيم ربه وجه ولما كان الله قد أعلمه أنه

وأعطوه صفقتهم بالذب عنه فكان أملاً بها وتجهزت الحشود الى منازلته وقد جدد أخوه المتغلب على ملكه عقد السلم مع طاغية قشتالة باحتياجه الى سلم المسلمين لجراءة فتنة بينه وبين البرجلونيين من أمته واغتبط به أهل المدينة فذبوا عنه ورضوا بهلاك نعمتهم دونه واستمرت الحال الى يوم عيد النحر من عام التاريخ ووصله رسول صاحب المغرب مستنزلا عنها ومستدعيا الى حضرته لما عجز عن امساكها وراسل ملك الروم فلم يجد عنده من معول فانصرف ثاني يوم عيد النحر المذكور وتبعه الجمع الوافر من أهل المدينة خيلا ورجالا الى مرلة من ساحل أجازته وكان وصوله الى مدينة فاس محفوفا بامن البر والكرامة بما لا مزيد عليه في السادس من شهر محرم فاتح عام أحد وستين وسبعمائة وركب السلطان للقائه ونزل اليه عندما سلم عليه وبالغ في الحفاية به وكنت قد ألحقت به معلقا من شرك النكبة التي استأصلت المال وأوهمت سوء الحال بشفاعة السلطان أبي سالم قدس الله روحه فقمت بين يديه في الحفل المشهود يومئذ وأنشدته

سلا هل لديها من مخبرة ذكر * وهل أعشب الوادي ونم به الزهر
وهل باكر الوسمي دارا على اللوى * عفت آيها الا التوهم والذكر
بلادي التي عاطيت مشمولة الهوا * بأكنافها والعيش فينان مخضر
وجوّي الذي ربي جناحي وكره * فها أنا ذا مالي جناح ولا وكر
نبت بي لا عن جفوة وملالة * ولا نسخ الوصل الهني بها هجر
ولكنها الدنيا قليل متاعها * ولذاتها دأبا تزور وتزور
فمن لي بقرب العهد منها ودوننا * مدى طال حتى يومه عندنا شهر
ولله عينا من رآنا وللاسى * ضرام له في كل جانحة جمر
وقد بددت در الدموع يد النوى * وللشوق أشجان يضيق لها الصدر
بكينا على النهر الشروب عشية * فعاد أجاجا بعدنا ذلك النهر
اقول لاظعاني وقد غالها السرى * وآنسها الحادي واوحشها الزجر
رويدك بعد العسر يسران أبشري * بانجاز وعد الله قد ذهب العسر
ولله فينا سر غيب وربما * اتى النفع من حال ارتد بها الضر
وان تخن الايام لم تخن النهى * وان يخذل الاقوام لم يخذل الصبر
وان عركت مني الخطوب مجربا * تقابا تساوى عنده الحلو والمر
فقد عجمت عودا صليبا على الردى * وعزما كما تمضي المهندة البتر
اذا أنت بالبيضاء قررت منزلي * فلا اللعم حل ما حييت ولا الظهر
زجرنا بابراهيم برء همومنا * فلما رأينا وجهه صدق الزجر
بمنتخب من آل يعقوب كلما * دجا الخطب لم يكذب لعزمته فجر
تناقلت الركبان طيب حديثه * فلما رأته صدق الخبر الخبر
ندى لو حواه البحر لنذ مذاقه * ولم يتعقب مده أبدا جزر
وبأس غدا يرتاع من خوفه الردى * وترفل في أثوابه الفتكة البكر

الامام في نفسه (أن يكون معصوما من الذنوب) لانه ان لم يكن معصوما لم يؤمن أن يدخل فيما يدخل فيه غيره من الذنوب فيحتاج أن يقام عليه الحد كما يقيمه هو على غيره فيحتاج الامام الى امام الى غير نهاية ولم يؤمن عليه أيضا أن يكون في الباطن فاسقا فاجرا كافرا (وأن يكون أعلم الخليقة) لانه ان لم يكن عالما لم يؤمن عليه أن يقلب شرائع الله وأحكامه فيقطع من يجب عليه الحد ويحد من يجب عليه القطع ويضع الاحكام في غير المواضع التي وضعها الله (وأن يكون أشجع الخلق) لانهم يرجعون اليه في الحرب فان جبن وهرب يكون قد باء بغضب من الله (وأن يكون أسخى الخلق) لانه خازن المسلمين وأمينهم فان لم يكن سخيا تاقت نفسه الى أموالهم وشرهت الى ما في أيديهم وفي ذلك الوعيد بالنار وذكروا خصالا كثيرة ينال بها أعلى درجات الفضل لا يشاركه فيها أحد وأن ذلك كله وجد في علي بن أبي طالب وولده رضي الله عنهم في السبق الى الايمان والهجرة والقرابة والحكم بالعدل والجهاد في سبيل الله والورع والزهد وأن الله قد أخبر عن بواطنهم وموافقتها لظواهرهم بقوله عز وجل ووصفه لهم فيما صنعوه من الاطعام للمسكين واليتيم والاسير

اطاعته حتى العصم فى قنن الربا * وهشت الى تاميله الانجم الزهر
قصدناك ياخير الملوك على النوى * لتنصفنا مما جنى عبدك الدهر
كففنا بك الايام عن غلوائها * وقد رابنا منها التعسف والكبر
وعذنا بذاك المجد فانصرم الردى * ولذنا بذاك العزم فانهزم الذعر
ولما أتينا البحر يرهب موجه * ذكرناك الغمر فاحتقر البحر
خلافتك العظمى ومن لم يدن بها * فايمانه لغو وعرفانه نكر
ووصفك يهدى المدح قصد صوابه * اذا ضل فى أوصاف من دونك الشعر
دعتك قلوب المؤمنين وأخلصت * وقد طاب منها السر لله والجهر
ومدت الى الله الاكف ضراعة * فقال لهن الله قد قضى الامر
وألبسها النعمى ببيعتك التى * لها الطائر الميمون والمحتد الحر
فاصبح ثغر الثغر يبسم ضاحكا * وقد كان مما نابه ليس يفتر
وأمنت بالسلم البلاد وأهلها * فلا ظبية تعرى ولا روعة تعرو
وقد كان مولانا أبوك مصرحا * بانك فى ابنائه الولد البر
وكنت حقيقا بالخلافة بعده * على الفور لكن كل شئ له قدر
وأوحشت من دار الخلافة هالة * أقامت زمانا لا يلوح بها البدر
فردعليك الله حقك اذ قضى * بأن تشمل النعمى ويسدل الستر
وقاد اليك الملك رفقا بخلقه * وقد عدموا ركن الامامة واضطروا
وزادك بالتمحيص عزا ورفعة * وأجرا ولولا السبك ما عرف التبر
وأنت الذى تدعى اذا دهم الردى * وأنت الذى ترجى اذا أخلف القطر
وأنت اذا جار الزمان محكم * لك النقض والابرام والنهى والامر
وهذا ابن نصر قد أتى وجناحه * مهيض ومن علياك يلتمس الجبر
غريب يرجى منك ما أنت أهله * فان كنت تبغى الفخر قد جاءك الفخر
ففز يا أمير المسلمين ببيعة * موثقة قد حل عروتها الغدر
ومثلك من يرعى الدخيل ومن دعا * بيا للمرين جاءه العز والنصر
وخذ يا امام الحق بالحق ثاره * ففى ضمن ما تأتى به العز والاجر
وأنت لها يا ناصر الحق فلتقم * بحق فما زيد يرجى ولا عمرو
فان قيل مال مالك الدثر وافر * وان قيل جيش عندك العسكر المجر
يكف بك العادى ويحيا بك الهدى * ويبنى بك الاسلام ما هدم الكفر
اعده الى أوطانه عنك راضيا * وطوقه نعماك التى مالها حصر
وعاجل قلوب الناس فيه بجبرها * فقد صدهم عنه التغلب والقهر
وهم يرقبون الفعل منك وصفقة * تحاولها يمناك ما بعدها خسر
مرامك سهل لا يؤدك كلفة * سوى عرض ما ان له فى العلا خطر
وما العمر الا زينة مستعارة * ترد ولكن الثناء هو العمر

وأن ذلك لوجهه خالصا لا أنهم أبدوه بألسنتهم فقط وأخبر عن أمرهم فى المنقلب وحسن الموئل فى المحشر
ثم فى اخباره عز وجل عما
أذهب عنهم من الرجس
وفعل بهم من التطهير وفى
غير ذلك مما أوردوه دلائل
لما قالوه وأن عليا نص على
ابنه الحسن ثم الحسين
والحسين على على بن الحسين
وكذلك من بعده الى صاحب
الوقت الثانى عشر على حسب
ما ذكرنا وسمينا فى غير هذا
الموضع من هذا الكتاب
ولاهل الامامة من فرق
الشيعة فى هذا الوقت وهو
سنة اثنتين وثلاثين
وثلثمائة كلام كثير فى
الغيبة واستعمال التقية
وما يذكرونه من أبواب
الائمة والاوصياء لا يسعنا
ايراده فى هذا الكتاب
اذ كان كتاب خبر وانما
تغلغل بنا الكلام الى
ايراد لمع من هذه المذاهب
والآراء وكذلك ما عليه
غير أهل الامامة من
أصحاب دين الحيرة والمشورة
وما يراعونه من الظهور
وقد أتينا على جميع ذلك
فيما سلف من كتبنا وما
وصفنا فيها من الاقاويل
فى الظاهر والباطن
والسائر والدائر والوافر
وغير ذلك من أمورهم
وأسرارهم (قال المسعودى)
وكان خرج يزيد بن الوليد بدمشق مع سابقة من المعتزلة وغيرهم من أهل داريا والمزه من غوطة ومن

ومن باع ما يفنى بباق مخلد * فقد أنجح المسعى وقد ربح التجر
ومن دون ما تبغيه يا ملك الهدى * جياد المذاكى والمحجلة الغر
ورادو شقر واضحات شياتها * فأجسامها تبر وأرجلها در
وشهب اذا ما ضمرت يوم غارة * مطهمة غارت بها الانجم الزهر
وأسد رجال من مرين مخيفة * عمائمها بيض وآسالها سمر
عليها من الماذى كل مفاضة * تدافع فى أعطافها اللجج الخضر
هم القوم ان هبوا لكشف ملمة * فلا الملتقى صعب ولا المرتقى وعر
اذا سئلوا أعطوا وان نوزعوا سطوا * وان واعدوا وفوا وان عاهدوا بروا
وان مدحوا اهتزوا ارتياحا كأنهم * نشاوى تمشت فى معاطفهم خمر
وان سمعوا العوراء فروا بأنفس * حرام على هاماتها فى الوغى الفر
وتبسم ما بين الوشيج ثغورهم * وما بين قضب الدوح يبتسم الزهر
أمولاى غاضت فكرتى وتبلدت * طباعى فلا طبع يعين ولا فكر
ولولا حنان منك دار كتنى به * وأحييتنى لم تبق عين ولا اثر
فأوجدت منى فائتا أى فائت * وأنشرت ميتا ضم أشلاءه قبر
بدأت بفضل لم أكن لعظيمه * بأهل فجل اللطف وانفرج الصدر
وطوقتنى النعمى المضاعفة التى * يقل عليها منى الحمد والشكر
وأنت بتتميم الصنائع كافل * الى أن يعود الجاه والعز والوفر
جزاك الذى أسنى مقامك عصمة * يفك بها عان وينعش مضطر
اذا نحن أثنينا عليك بمدحة * فهيهات يحصى الرمل أو يحصر القطر
ولكننا نأتى بما نستطيعه * ومن بذل المجهود حق له العذر

فلا تسأل عن امتعاض وانتعاض وسداد أنحاء فى التأثر لنا وأغراض والله غالب على أمره * وفى صبيحة يوم السبت السابع عشر من شهر شوال عام اثنين وستين وسبعمائة كان انصرافه الى الاندلس وقد ألح صاحب قشتالة فى طلبه وترجح الرأى على قصده فقعد السلطان بقبة العرض من جنة المصارة وبرز الناس وقد أسمعهم البريح واستحضرت البنود والطبول والآلة وألبس خلعة الملك وقيدت له مراكبه فاستقل وقد التف عليه كل من جلا عن الاندلس من لدن الكائنة فى جملة كثيفة ورأى من رقة الناس واجهاشهم وعلو أصواتهم بالدعاء ما قدم به العهد اذ كان مظنة ذلك سكونا وعفافا وقر باقدها لله الله برواق الرحمة وعطف عليه وشائج المحبة الى كونه مظلوم العقد منتزع الحق فتبعته الخواطر وحنت عليه الانفس وانصرف لوجهته وهو الآن برندة مستقل بها وبجهاتها ومقتنع برسم سلطنتها وقد قام له برسم الوزارة الشيخ القائد أبو الحسن على بن يوسف بن كماشة الحضرمى وبكتابته الفقيه أبو عبد الله بن زمرك وقد استفاض عنه من الحزم والتدرب والتيقظ للامور والمعرفة بوجوه المصالح ما لا يشكر كان الله لنا وله بفضله انتهى كلام لسان الدين بن الخطيب فى اللمحة البدرية * وقد علمت أنه بعد هذا التاريخ عاد سلطانه

خبر مقتل الوليد ما قد ذكرناه فيما سلف من كتبنا مفصلا وذكرناه فى هذا الكتاب مجملا وكان يزيد بن الوليد أول من ولى هذا الامر وأمه أم ولد وكانت أمه سارية بنت فيروز وهو الذى يقول فى ذلك

أنا ابن كسرى وأبى مروان
وقيصر جدى وجدى خاقان

وكان يكنى بأبى خالد وأم أخيه ابراهيم أم ولد تدعى بربرة والمعتزلة تفضل فى الديانة يزيد بن الوليد على عمر بن عبد العزيز لما ذكرناه من الديانة وفى سنة سبع وعشرين ومائة أقبل مروان ابن محمد بن مروان من الجزيرة فدخل دمشق وخرج ابراهيم بن الوليد هاربا من دمشق ثم ظفر به مروان فقتله وصلبه وقتل من مالأه ووالاه وقتل عبد العزيز بن الحجاج ويزيد بن خالد القسرى وبدا أمر بنى أمية يؤول الى ضعف وذكر اليحصبى عن الخليل بن ابراهيم السبيعى قال سمعت ابن النحى يقول قال لى العلاء ابن بنت ذى الكلاع انه كان مؤانسا لسليمان بن عبد الملك لا يكاد يفارقه وكان أمر

المسودة بخراسان والمشرق قد بان ودنا من الجبل وقرب من العراق واشتد ارجاف الناس ونطق العدو

الى حضرة غرناطة واستبد بملك الاندلس وعاد لسان الدين اليه حسبما أحسن سياق ذلك لسان الدين رحمه الله تعالى فى كتاب من انشائه على لسان سلطانه الغنى بالله وخاطب به ملك الحرمين ومصر والشام السلطان المنصور بن أحمد بن الناصر بن قلاوون وقد ذكرنا منه ما يتعلق بالاندلس فى الباب الثانى من القسم الاول وقال بعد ذلك فيما يتعلق بالخلع المذكور ما نصه ولما صير الله الينا تراثهم المنى وأمرهم السنى وبناءهم العادى وملكهم الجهادى اجرانا وله الطول على سننهم ورفع أعلامنا فى هضابهم المشرفة وقننهم وجلانا فيهم خير حلل ونظم بنا لهم أى شمل وألبس ايامنا سلما فسح الداره وأحكم الاداره وهنأ الاماره ومكن العماره وأمن فى البحر والبر السيارة والعباره لولا ما طرقهم فينا من تمحيص أجلى عن تخصيص وتعض تسبره بعد تخليص ومرام عويص نبثكم بثه ونوالى لديكم حثه ونجمع منبثه فان فى الحوادث ذكرا ومعروف الدهر لا يؤمن أن يعود نكرا وشر الوجود معاقب بخيره والسعيد من اتعظ بغيره والحزم أفضل ما اليه ينتسب وعقل التجربة بالمرانة يكتسب وهو أن بعضا من ينسب الينا بوشائج الاعراق لا بمكارم الاخلاق ويمت الينا بالقرابة البعيدة لا بالنصبة السعيدة ممن كفلناه يتيما وصناه ذميما اشئيما وبوأناه مبوأ كريما بعد أن نشأ حرفوشا دميما وملعونا لئيما ونوهناه من خمول بالولاية ونسخنا حكم نسجه بآية العناية داخلنا خاءلنا كنا ألزمناه الاقتصار على قصره ولم نجعل أداة تدل على حصره وسامحناه فى كثير من أمره ولم نرتب بزيده ولا عمره واغتررنا برماد علا على جمره فاستدعى له من الصعاليك شيعة كل درب بفك الاغلاق وتسرب أنفاق النفاق وخارق للاجماع والاصفاق وخبير بمكان الخراب ومذاهب الفساق وتسور بهم القلعة من ثلم شرع فى سده بعد هده ولم تكمل الاقدار المبيرة لى الة آثرنا مبيتنا ببعض البساتين خارج قصورنا واستنبنا من يضطلع بامورنا فاستتم الحيلة التى شرعها واقتحم القلعة وافترعها وجدل حرس النوبة وصرعها وكبس محل النائب عنا وجدله ولم ينشب أن جدله واستخرج الاخ البائس فنصبه وشد به تاج الولاية وعصبه وابتز أمرنا وغصبه وتوهم الناس أن الحادثة على ذاتنا قد تمت والدائرة بنا قد ألمت والقدهمت فخذل الناصر وانقطعت الاواصر وأقدم المتقاصر واقتحمت الابهاء والمقاصر وتفرقت الاجزاء وتخلت العناصر وفقد من عين الاعيان النور الباصر فأعطوه طاعة معروفة وأصبحت الوجوه اليه مصروفة وركضنا وسرعان الخيل تقفو اثرنا جنانا والظلام يخفيها وتكفى علينا السماء والله يكفيها الى أن خلصنا الى مدينة وادى آش خلوص القمر من السرار لا نملك الانفسا مسلمة لحكم الاقدار ملقية لله مقادة الاختيار مسلوبة بموجب الاستقرار وناصحنا أهل تلك المدينة فعملوا على الحصار واستبصروا فى الدفاع عنا أتم الاستبصار ورضوا لبيوتهم المصحرة وبساتينهم المستبحرة بفساد الحديد وعيات النار ولم يرضوا لجوارهم بالاخفار ولا لنفوسهم بالعار الى أن كان الخروج عن الوطن بعد خطوب تسبح فيها الاقلام سجاطويلا وتوسعها الشجون شرحا وتأويلا وتلقى القصص منها على الآذان

عما أحب فى بنى أمية وأوليائهم قال العلاء فانى لمع سليمان وهو يشرب حذاء رصافة أبيه وذلك فى آخر أيام يزيد الناقص وعنده حكم الوادى وهو يغنيه بشعر العرجى

ان الحبيب تروحت أجماله
اصلا فدمعك دائم اسباله
افنى الحياة فقد بكيت بعولة
لو كان ينفع باكيا اعواله
يا حبذا تلك الحمول وحبذا
شخص هنالك وحبذا امثاله

فاجاد ما شاء فشرب سليمان بالرطل وشرب بقامعه حتى توسدنا ايدينا فلم أنتبه الا بتحريك سليمان اياى فقمت اليه مسرعا فقلت ما شان الامير فقال لى على رسلك رايت كانى فى مسجد دمشق وكان رجلا فى يده خنجر وعليه تاج ارى بصيص ما فيه من جوهر وهو رافع صوته بهذه الابيات

ابنى اميه قد دنا تشتيتكم
وذهاب ملككم وان لا يرجع
ونيال صفوته عدو ظالم
للمحسنين اليه ثمة يفجع
بعد الممات بكل ذكر صالح
ياويله من فجع ما قد يصنع

فقلت بسل لا يكون ذلك وعجبت من حفظه ولم يكن من اصحاب ذلك فوجم ساعة ثم قال يا حميرى بعيد ما يأتى به الزمان قريب قال فاجتمعنا على شراب بعد ذلك ودخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان من أمر المسودة ومروان بن محمد الجعدى

قولا

قولا ثقيلا وجزنا البحر وضلوع موجه اشفاقا علينا تخفق واكف رياحه حسرة تصفق ونزلنا من جناب سلطان بني مرين على المثوى الذي رحب بناذرعه ودل على كرم الاصول فرعه والكريم الذي وهب فاجزل ونزل لنا عن الصهوة وتنزل وخير وحكم وردعلى الدهر الذي تهكم واستعبر وتبسم وآلى واقسم وبسمل وقدم واستركب لنا واستخدم ولما بدا لمن وراءنا سيئات ما كسبوا وحققوا ما حسبوا وطفا الغثاء ورسبوا ولم ينشب الشقي الخزي أن قتل البائس الذي موه بزيفه وطوقه بسيفه ودل ركب المخافة على خيفه اذا من المضعوف من كيده وجعل ضرغامه بازيا لصيده واستقل على أريكته استقلال الظليم على تريكته حاسر الهامة متنفقا بالشجاعة والشهامة مستظهرا باولي الجهالة والجهامة وساءت في محاولة عدو الدين سيرته ولما حصحص الحق انكشفت سريرته وارتابت لجبنه المستور جيرته وفتح عليه طاغية الروم فه فالتقمه ومد عليه الصليب ذراعه فراعه وشد الكفر عليه يده فاعضده الله ولا أيده وتخرمت ثغور الاسلام بعد انتظامها وشكت اليه باهتضامها وغصت باشلاء عباد الله وعظامها طهور أوضامها ووكلت السنة والجماعة وانقطعت من النجح الطماعة واشتدت المجاعة وطلعت شمس دعوتنا من المغرب فقامت عليها الساعة وركبنا البحر تكاد جهتاه تتقارب تيسيرا ورياحه لا تعرف في غير وجهتنا مسيرا وكأن ماءه ذوب لقي اكسيرا ونهضنا يتقدمنا الرعب ويتقدمنا الدعاء وتحاجئ بنا الاشارة ويخفرنا الاستدعاء وأقصر الطاغية عن البلاد بعد أن ترك ثغورها مهتومة والاخافة عليها محتومة وطوابعها مفضوضة وكانت بنا مختومة وأخذت الخائن الصيحة فاختبل وظهر تهوره الذي عليه جبل فجمع أوباشه السفلة وأوشابه وبهرجه الذي غش به المحض وشابه وعمد الى الذخيرة التي صانتها الاغلاق الحريزة والمعاقل العزيزة فلابها المناطق واستوعب الصامت والناطق والوشح والقراطق واحتمل عدد الحرب والزينة وخرج ليلا عن المدينة واقتضت آراؤه الفائلة ونعامته الشائلة ودولة بغيه الزائلة أن قصد طاغية الروم بقضه وقضيضه وأوجه وحضيضه وطويله وعريضه من غير عهد اقتضى وثيقته ولا أمر عرف حقيقته الا ما أمل اشتراطه من تبديل الكلمة واستئصال الامة المسلمة فلم يكن الا أن تحصل في قبضته ودنا من مضجع ربضته واستشار نصحاءه في أمره وحكم الحيلة في جناية غدره وشهره ببلده وتولى قتله بيده وألحق به جميع من أمده في غيه وظاهره على سوء سعيه وبعث الينا برؤسهم فنصبت بسور غدرها وقلدت لبة تلك البنية بشذرها وأصبحت عبرة للمعتبرين وآية للمستبصرين وأحق الله الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين وعدنا الى أريكة ملكنا كما رجع القمر الى بيته بعد كيته وكينته أو العقد الى جيده بعد انتثار فريده أو الطير الى وكره مفلتا من غول الشرك ومكره ينظر الناس الينا بعيون لم ترو مذ غبنا من محيا رحمة ولا طشت عليها بعدنا غمامة رحمة ولا باتت للسياسة في ذمة ولا ركنت لدين ولا همة فطوينا بساط العتاب طي السكتاب وعاجلنا سطور المؤاخذة بالاضطراب وآنسنا نفوس أولي الاقتراف بالاقتراب وسهلنا الوصول

ما كان وذكر المقري قال سئل بعض شيوخ بني أمية ومحصليها عقيب زوال الملك عنهم الى بني العباس ما كان سبب زوال ملككم قال انا شغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا فظلمنا رعيتنا فيئسوا من انصافنا وتمنوا الراحة منا وتحومل على أهل خراجنا فتخلوا عنا وخربت ضياعنا فخلت بيوت أموالنا ووثقنا بوزرائنا فآثروا مرافقهم على منافعنا وأمضوا أمورا دوننا أخفوا علمها عنا وتأخر عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا واستدعاهم أعادينا فظافروهم على حربنا وطلبنا أعداءنا فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا وكان استتار الاخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا

(ذكر السبب في العصبية بين النزارية واليمانية)

ذكر أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال حدثني أبي قال لما قال الكميت بن زيد الاسدي من أسد مضر بن نزار الهاشميات قدم البصرة فأتى الفرزدق فقال يا أبا فراس انا ابن أخيك قال ومن أنت فانتسب له فقال صدقت فما حاجتك قال نفث على لساني وانت شيخ مضر وشاعرها وأحببت ان اعرض عليك ما قلت فان كان حسنا أمرتني باذاعته وان كان غير ذلك أمرتني

اليناا واستغفرنا الله لنفسنا ولمن جنى علينا فلا تسألوا عما أثار ذلك من استدراك ندم ورسوخ قدم واستمتاع بوجود بعد عدم فسبحان الذي يعص ليثيب و يأمر بالدعاء ليجيب و ينبه من الغفلة و يهيب ويجتبي اليه من يشاء و يهدي اليه من ينيب ورأينا أن نطالع علومكم الشريفة بهذا الواقع تسبيبا للفاتحة المعتمدة وتمهيد الموالاة المجددة فأخبار الاقطار عما تنفقه الملوك على أسمارها وترقم بيدائعه هالات أقمارها وتستفيد منه حسن السير والامان من الغير وتستعين على الدهر بالتجارب وتستدل بالشاهد على الغائب وبلادكم ينبوع الخير وأهله ورواق الاسلام الذي أوى قريبه وبعيده الى ظله ومطلع نور الرسالة وأفق الرحمة المنثالة منه تقدم علينا الكواكب تضرب آباطا افلاكها و تختال مداريها المذهبة غدائر أحلاكها وتستعلي البدور ثم يدعوها الى المغرب الحدور وتطلع الشمس متجردة من كمائم ليلها متهادية في دركات ميلها ثم تسحب الى الغروب فضل ذيلها ومن تلقائكم ورد العلم والعمل وأرعى الهمل فنحن نستوهب من مظان الاجابة لديكم دعاء يقوم لنا مقام المدد و يعدل منه الشيء بالمال والعدد في دعاء المؤمن بظهر الغيب ما فيه مما ورد واياه سبحانه نسأل أن يدفع عنا وعنكم دواعي الفتن وغوائل المحن ويحملنا على سنن السنن ويلبسنا من تقواه أوقى الجنن وهو سبحانه يصل لابونكم ما تستقل لدى قاضي القضاة رسومه فتكتب حقوقه وتكبت خصومه ولا تكلفه الايام ولا تسومه بفضل الله وعزته وكرمه ومنته والسلام الكريم الطيب المبارك بدأ يعد عود وجود اثر جود ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى ولسان الدين بن الخطيب رحمه الله عن سلطانه المذكور كتاب آخر في هذه الكائنة الى كبير الموحدين أبي محمد عبد الله بن تفراجين ولعلنا نذكره ان شاء الله تعالى في الباب الخامس من هذا القسم عند تعرضنا لبعض نثر لسان الدين رحمه الله تعالى وقد ساق هذه القضية قاضي القضاة الشهير الكبير ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي رحمه الله تعالى في تاريخه الكبير في ترجمة السلطان الشهير أبي سالم ابن السلطان أبي الحسن المريني صاحب المغرب ما نصه الخبر عن خلع ابن الاحمر صاحب غرناطة ومقتل رضوان ومقدمه على السلطان لما هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين وسبعمائة ونصب ابنه محمد للامر واستبد عليه رضوان مولى أبيه وكان قد رشح ابنه الاصغر اسمعيل بما ألقى عليه وعلى أمه من محبته فلما عدلوا بالامر عنه حجبوه ببعض قصورهم وكان له صهر من ابن عمه محمد بن اسمعيل ابن ابن الرئيس أبي سعيد فكان يدعوه سرا الى القيام بأمره حتى أمكنته فرصة في الدولة بخروج السلطان الى بعض منتزهاته برياضه فصعد سور الحمراء ليلة سبع وعشرين لرمضان من سنة ستين في أوشاب جمعهم من الطغام لثورته وعمد الى دار الحاجب رضوان فاقتحم عليه الدار وقتله بين حرمه وبناته وقربوا الى اسمعيل فرسه وركب فادخلوه القصر وأعلنوا ببيعته وقرعوا طبولهم بسور الحمراء وفر السلطان من مكانه بمنتزهه فلحق بوادي آش وغدا الخاصة والعامة على اسمعيل فبايعوه واستبد عليه هذا الرئيس ابن عمه فخلعه لاشهر من بيعته واستقل بسلطان الاندلس ولما لحق السلطان أبو عبد الله محمد

طربت وما شوقا الى البيض أطرب
ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب
قال بلى فالعب فقال
ولم يلهني دار ولا رسم منزل
ولم يتطربني بنان مخضب
قال فما يطربك اذا قال
وما أنا ممن يزجر الطير همه
أصاح غراب أو تعرض ثعلب
قال فما أنت ويحك والى من تسمو فقال
ولا السانحات البارحات عشية
أمر سليم القرن أم مر أعضب
قال أما هذا فقد أحسنت فيه فقال
ولكن الى أهل الفضائل والنهى
وخير بني حواء والخير يطلب
قال من هم ويحك قال
الى النفر البيض الذين بحبهم
الى الله فيما نابني أتقرب
قال أرحني ويحك من هؤلاء قال
بني هاشم رهط النبي فانني
بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب
قال لله درك يا بني أصبت فأحسنت اذ عدلت عن الزعانف والأوباش اذا لا يصرد سهمك ولا يكذب قولك ثم مر فيها فقال له أظهر ثم أظهر وكد

بوادى آش بعد مقتل حاجبه رضوان واتصل الخبر بالمولى السلطان أبى سالم امتعض لمهلك رضوان وخلع السلطان رعيا لما سلف له فى جوارهم وازعج لحينه أبا القاسم الشريف من أهل مجلسه لاستقدامه فوصل الى الاندلس وعقد مع أهل الدولة على اجازة المخلوع من وادى آش الى المغرب وأطلق من اعتقالهم الوزير الكاتب أبا عبد الله بن الخطيب كانوا اعتقلوه لاول أمرهم لما كان رديفا للحاجب رضوان وركنا لدولة المخلوع فاوصى المولى أبو سالم اليهم باطلاقه فاطلقوه ولحق مع الرسول أبى القاسم الشريف بسلطانه المخلوع بوادى آش للاجازة الى المغرب وأجاز لذى القعدة من سنته وأقدم على السلطان بفاس وأجل قدومه وركب للقائه ودخل به الى مجلس ملكه وقد احتفل ترتيبه وغص بالمشيخة والعلية ووقف وزيره ابن الخطيب فانشد السلطان قصيدته الرائية يستصرخه لسلطانه ويستحثه لمظاهرته على أمره واستعطف واسترحم بما أبكى الناس شفقة له ورحمة ثم سرد ابن خلدون القصيدة وقد تقدمت (ثم قال بعد ما صورته) ثم انفض المجلس وانصرف ابن الاحمر الى نزله وقد فرشت له القصور وقربت الجياد بالمراكب الذهبية وبعث اليه بالكسا الفاخرة ورتبت الجرايات له ولمواليه من المعلوجى وبطانته من الصنائع وحفظ عليه رسم سلطانه فى الراكب والراجل ولم يفقد من ألقاب ملكه الا الا آلة أدبا مع السلطان واستقر فى جملته الى أن كان من لحاقه بالاندلس وارتجاع ملكه سنة ثلاث وستين ما نحن نذكره انتهى المقصود جلبه من كلام ابن خلدون فى هذه الواقعة وفيه بعض مخالفة لكلام لسان الدين السابق فى اللمعة البدرية اذ قال فيها ان الثورة عليهم كانت ليلة ثمان وعشرين من رمضان وابن خلدون جعلوا ليلة سبع وعشرين منه والخطب سهل وقال فى اللمعة ان انصراف السلطان من وادى آش كان ثانى يوم النحر وقال ابن خلدون فى ذى القعدة ولعله غلط من الكاتب حيث جعل مكان الحجة القعدة ورائية ابن الخطيب التى ذكرها هى من حر كلامه وغرر شعره على أنه كله غرر اذ جمع فيها المطلوب فى ذلك الوقت بأبدع لفظ وأحسن عبارة فى ذلك المحفل العظيم ولم نزل نسمع فى المذاكرات بالمغرب أنه لما انتهى فيها الى قوله * فقد أنجح المسعى وقد ربح التجر قال له بعض من حضر ولعله أراد الغض منه أحسنت يا وزير فيما قلت وفى وصف الحال والسلطان غير أنه بقى عليك شئ وهو ذكر قرابة السلطان موالينا بنى مرين وهم من هم ولا ينبغى السكوت عنهم فارتجل ابن الخطيب حينئذ قوله ومن دون ما تبغيه الى آخره حتى تخلص لمدح بنى مرين أقارب السلطان بما لا مرمى وراءه ثم قال بعد ذلك معتذرا أمولاى غاضت فكرتى الى آخره وهذا ان صح أبلغ مما وقع لابى تمام فى سينيته حيث قال لا تنكروا ضربى له البيتين لان أبا تمام ارتجل بيتين فقط ولسان الدين ارتجل تسعة عشر بيتا مع ما هو عليه من الخروج عن الوطن وذهاب الجاه والمال فاين الحال من الحال وقد ذكر ابن خلدون رحمه الله تعالى فى تاريخه قصة اعتقال لسان الدين وخلع سلطانه فى موضع آخر ولنذكره وان سبق بعضه لاشتماله على منشا الوزير لسان الدين وجملة من أحواله الى قريب من مهلكه فنقول قال رحمه الله تعالى بعد ذكره عبد الله والد لسان الدين وأنه انتقل من لوشة الى غرناطة واستخدم لملوك بنى الاحمر واستعمل على مخازن الطعام ما محصله ونشا ابنه محمد هذا

الاعداء فانت والله أشعر من مضى واشعر من بقى فحينئذ قدم المدينة فأتى أبا جعفر محمد بن على بن الحسين ابن على رضى الله عنهم فأذن له ليلا وأنشده فلما بلغ من الميمية قوله

وقتيل بالطف غودر منهم
بين غوغاء أمة وطغام

بكى أبو جعفر ثم قال يا كميت لو كان عندنا مال لاعطيناك ولكن لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت لا زلت مؤيدا بروح القدس ما ذببت عنا أهل البيت فخرج من عنده فأتى عبد الله بن الحسن بن على فانشده فقال يا أبا المستهل ان لى ضيعة أعطيت فيها أربعة آلاف دينار وهذا كتابها وقد أشهدت لك بذلك شهودا وناوله اياه فقال بأبى أنت وأمى انى كنت أقول الشعر فى غيركم أريد بذلك الدنيا والمال ولا والله ما قلت فيكم الا لله وما كنت لآخذ على شئ جعلته لله مالا ولا ثمنا فألح عبد الله عليه وأبى من اعفائه فاخذ الكميت الكتاب ومضى فمكث أياما ثم جاء الى عبد الله فقال بابى أنت وامى يا ابن رسول الله ان لى حاجة قال وما هى وكل حاجة لك مقضية قال كائنة ما كانت قال نعم قال هذا الكتاب تقبله وترتجع الضيعة ووضع الكتاب بين يديه فقبله عبد الله

يعني لسان الدين بن الخطيب بغرناطة وقرأ وتأدب على مشيختها واختص بصحبة الحكيم
المشهور يحيى بن هذيل وأخذ عنه العلوم الفلسفية وبرز في الطب وانتحل الادب وأخذ عن
أشياخه وامتلأ من حول اللسان نظمه ونثره مع انتقاء الجيد منه ونبغ في الشعر والترسيل
بحيث لا يجاري فيهما وامتدح السلطان أبا الحجاج من ملوك بني الاحمر لعصره وملأ
الدنيا بمدائحه وانتشرت في الآفاق فرقاه السلطان الى خدمته وأثبته في ديوان الكتاب
ببابه مرؤسا بأبي الحسن بن الجياب شيخ العدوتين في النظم والنثر وسائر العلوم الادبية
وكاتب السلطان بغرناطة من لدن أيام محمد المخلوع من سلفه عندما قتل وزيره محمد بن الحكيم
المستبد عليه فاستبد ابن الخطيب برياسة الكتاب ببابه مثناة بالوزارة ولقبه بها فاستقل
بذلك وصدرت عنه غرائب من الترسيل في مكاتبات جيرانهم من ملوك العدوة ثم داخله
السلطان في تولية العمال على يده بالمشارطات فجمع له بها أموالا وبلغ به في المخالصة الى حيث
لم يبلغ بأحد من قبله وسفر عنه الى السلطان ابن عنان ملك بني مرين بالعدوة معزيا بأبيه
السلطان أبي الحسن فجلى في أغراض سفارته ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين
وسبعمائة عدا عليه بعض الزعانف في سجوده للصلاة وطعنه فأشواه وفاظ لوقته وتعاورت
سيوف الموالي المعلوجي هذا القاتل فمزقوه أشلاء وبويع ابنه محمد لوقته وقام بأمره مولاهم
رضوان الراسخ القدم في قيادة عساكرهم وكفالة الاصاغر من ملوكهم واستبد بالدولة
وأفرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لابيه وجعل ابن الخطيب رديفا لرضوان في أمره
ومشاركا في استبداده معه فجرت الدولة على أحسن حال وأقوم طريقة ثم بعثوا الوزير ابن
الخطيب سفيرا الى السلطان أبي عنان مستمدين منه على عدوهم الطاغية على عادتهم مع
سلفه فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه تقدم الوفد الذين معه من وزراء الاندلس
وفقهائها واستأذنه في انشاد شعر قدمه بين يدي نجواه فأذن له وأنشد وهو قائم

خليفة الله ساعد القدر * علاك ما لاح في الدجى قمر
ودافعت عنك كف قدرته * ما ليس يستطيع دفعه البشر
وجهك في النائبات بدر دجى * لنا وفي المحل كفك المطر
والناس طرا بأرض أندلس * لولاك ما أوطنوا ولا عمروا
وجملة الامر انه وطن * في غير عليائك ماله وطر
ومن به مذ وصلت حبلهم * ما جحدوا نعمة ولا كفروا
وقد أهمتهم بأنفسهم * فوجهوني اليك وانتظروا

فاهتز السلطان لهذه الابيات وأذن له في الجلوس وقال له قبل أن يجلس ما ترجع اليهم الا
بجميع طلباتهم ثم أثقل كاهلهم بالاحسان وردهم بجميع ما طلبوه وقال شيخنا القاضي
أبو القاسم الشريف وكان معه في ذلك الوفد لم نسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على
السلطان الا هذا ومكثت دولتهم هذه بالاندلس خمس سنين ثم ثار بهم محمد الرئيس ابن
عم السلطان شركه في جده الرئيس أبي سعيد وتحين خروج السلطان الى منتزهه خارج
الحمراء وتسور دار الملك المعروفة بالحمراء وكبس رضوان في بيته فقتله ونصب للملك اسمعيل

ونهض عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب فأخذ ثوبا جلدا فدفعه الى أربعة من
غلمانه ثم جعل يدخل
دور بني هاشم ويقول
يا بني هاشم هذا الكميت
قال فيكم الشعر حين صمت
الناس عن فضلكم وعرض
دمه لبني أمية فأثيبوه بما
قدر ثم فيطرح الرجل في
الثوب ما قدر عليه من
دنانير ودراهم وأعلم
النساء بذلك فكانت المرأة
تبعث ما أمكنها حتى انها
لتخلع الحلي عن جسدها
فاجتمع من الدنانير
والدراهم ما قيمته مائة
ألف درهم فجاء بها الى
الكميت فقال يا أبا
المستهل أتيناك بجهد
المقل ونحن في دولة عدونا
وقد جمعنا هذا المال وفيه
حلي النساء كما ترى فاستعن
به على دهرك فقال بأبي
أنت وأمي قد أكثرتم
وأطبتم وما أردت بمدحي
اياكم الا الله ورسوله ولم أك
لآخذ لذلك ثمنا من
الدنيا فاردده الى أهله
فجهد به عبدالله أن يقبله
بكل حيلة فأبى فقال ان
أبيت أن تقبل فاني رأيت
أن تقول شيأ تغضب به
بين الناس لعل فتنة
تحدث فيخرج من بين
أصابعها بعض ما تحب
فابتدأ الكميت وقال قصيدته التي يذكر فيها مناقب قومه من مضر بن نزار بن معد وربيعة بن

ابن السلطان أبى الحجاج بما كان صهره على شقيقته وكان معتقلا بالحمراء فاخرجه وبايع له وقام بامره مستبدا عليه واحس السلطان محمد بقرع الطبول وهو بالبستان فركب ناجيا الى وادى آش وضبطها وبعث بالخبر الى السلطان ابى سالم اثر ما استولى على ملك آبائه بالمغرب وقد كان مثواه ايام اخيه ابى عنان عندهم بالاندلس واعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب وضيق عليه فى محبسه وكانت بينه وبين الخطيب ابن مرزوق مودة استحكمت أيام مقامه بالاندلس وكان غالبا على هوى السلطان ابى سالم فزين له استدعاء هذا السلطان المخلوع من وادى آش يعده زبونا على اهل الاندلس ويكف به عادية القرابة المرشحين هنالك متى طمعوا الى ملك المغرب فقبل ذلك منه وخاطب أهل الاندلس فى تسهيل طريقه من وادى آش اليه وبعث من أهل مجلسه الشريف أبا القاسم التلمسانى وحمله مع ذلك الشفاعة فى ابن الخطيب وحل معتقله فاطلق وصحب الشريف أبا القاسم الى وادى آش وسار فى ركاب سلطانه وقدموا على السلطان أبى سالم فاهتز لقدوم ابن الاحمر وركب فى الموكب لتلقيه وأجلسه ازاء كرسيه وأنشد ابن الخطيب قصيدته يستصرخ السلطان لنصرته فوعده وكان يوما مشهودا ثم أكرم مثواه وأرغد نزله ووفر أرزاق القادمين مع ركابه وأرغد عيش ابن الخطيب فى الجراية والاقطاع ثم استأذن السلطان فى التجوال بجهات مراكش والوقوف على أعمال الملك بها فاذن له وكتب الى العمال باتحافه فتباروا فى ذلك وحصل منه على حظ وعند مامر بسلا اثر قفوله من سفره دخل مقبرة الملوك بشالة ووقف على قبر السلطان أبى الحسن وأنشد قصيدة على روى الراء يرثيه ويستجيره فى استرجاع ضياعه بغرناطة مطلعها

ان بان منزله وشطت داره * قامت مقام عيانه أخباره
قسم زمانك عبرة أوعبرة * هذى ثراه وهذه آثاره

فكتب السلطان أبو سالم فى ذلك الى أهل الاندلس بالشفاعة فشفعوه واستقر هو بسلا متبذا عن سلطانه طول مقامه بالعدوة ثم عاد السلطان محمد المخلوع الى ملكه بالاندلس سنة ثلاث وستين وسبعمائة وبعث عن مخلفه بفاس من الاهل والولد والقائم بالدولة يومئذ الوزير عمر بن عبد الله بن على فاستقدم ابن الخطيب من سلا وبعثهم لنظره فسر السلطان لقدومه ورده الى منزلته كما كان مع رضوان كافله وكان عثمان بن يحيى بن عمر شيخ الغزاة وابن أشياخهم قد لحق بالطاغية ملك النصارى فى ركاب أبيه عندما أحس بالشر من الرئيس صاحب غرناطة وأجاز يحيى من هنالك الى العدوة وأقام عثمان بدار الحرب فصحب السلطان فى مثوى اغترابه هنالك وتقلب فى مذاهب خدمته وانحرفوا عن الطاغية عند ما يئسوا من الفتح على يده فتحولوا عنه الى ثغور بلادهم وخاطبوا الوزير عمر بن عبد الله فى أن يمكنهم من بعض الثغور الغربية التى لطاعتهم بالاندلس يرتقبون منها الفتح وخاطبنى السلطان المخلوع فى ذلك وكانت بينى وبين عمر بن عبد الله ذمة مرعية وخاصة متأكدة فوفيت للسلطان بذلك من عمر بن عبد الله وحملته على أن يرد عليه مدينة رندة اذ هى من تراث سلفه فقبل اشارتى فى ذلك وتسوغها السلطان المخلوع ونزل بها وعثمان بن يحيى فى جملته وهو

نزار واياد وافتخار بنى نزار ويكثر فيها من تفضيلهم ويطنب فى وصفهم وأنهم أفضل من قحطان فنصب بها بين اليمانية والنزارية فيما ذكرناه وهى قصيدته التى أولها

الا حييت عنا يا مدينا
وهل ناس تقول مسلمينا

الى أن انتهى الى قوله
تصر بحاو تعريضا باليمن فيما كان من أمر الحبشة وغيرهم فيها وهو قوله

لنا قمر السماء وكل نجم
تشير اليه أيدى المهتدينا
وجدت الله اذ سمى نزارا
وأسكنهم بمكة قاطنينا
لنا جعل المكارم خالصات
وللناس القفا ولنا الجبينا
وما ضربت هجائن من نزار
فوالج من فحول الاعجمينا
وما حملوا الحمير على عتاق
مطهرة فيلفوا مبلغينا
وما وجدت بنات بنى نزار
حلائل أسودين وأحمرينا

وقد نقض دعبل بن على الخزاعى هذه القصيدة على الكميت وغيرها وذكر مناقب اليمن وفضائلها من ملوكها وغيرها وصرح وعرض بغيرهم كما فعل الكميت وذلك فى قصيدته التى أولها

أفيقى من ملامك يا ظعينا
كفاك اللوم مر الاربعينا
ألم تحزنك أحداث الليالى
يشيبن الذوائب والقرونا
أحيى الغر من سروات قومى * لقد حييت عنا يا مدينا
فان يك آل اسرائيل منكم * وكنتم بالاعاجم فاخرينا

المقدم فى بطانته ثم غزوا منها مالقة فكانت ركابا للفتح وملكها السلطان واستولى بعدها على دار ملكه بغرناطة وعثمان بن يحيى متقدم القدم فى الدولة عريق فى المخالصة وله على السلطان دالة واستبداد على هواه فلما وصل ابن الخطيب باهل السلطان وولده واعاده الى مكانه فى الدولة من علو يده وقبول اشارته ادركته الغيرة من عثمان ونكر على السلطان الاستكفاء به واراه التخوف من هؤلاء الاعياص على ملكه فحذره السلطان واخذ فى التدبير عليه حتى نكبه واباه واخوته فى رمضان سنة اربع وستين وسبعمائة واودعهم المطبق ثم غربهم بعد ذلك وخلا لابن الخطيب الجو وغلب على هوى السلطان ودفع اليه تدبير الدولة وخلط بنيه بندمائه واهل خلوته وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد وانصرفت اليه الوجوه وعلقت به الآمال وغشى بابه الخاصة والكافة وغصت به بطانة السلطان وحاشيته فتفننوا فى السعايا فيه وقدهم السلطان عن قبولها ونمى الخبر بذلك الى ابن الخطيب فشمر عن ساعده فى التفويض واستخدم للسلطان عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن ملك العدوة يومئذ فى القبض على ابن عمه عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ابن السلطان أبى على ابن السلطان أبى سعيد ابن السلطان يعقوب بن عبد الحق كانوا قد نصبوه شيخا على الغزاة بالاندلس لما أجاز من العدوة بعد ماجاس خلالها لطلب الملك وأضرم بها نار الفتنة فى كل ناحية وأحسن دفاعه الوزير عمر بن عبد الله القائم حينئذ بدولة بنى مرين فاضطر الى الاجازة الى الاندلس فأجاز هو ووزيره مسعود بن ماساى ونزلوا على السلطان المخلوع أعوام سبع وستين وسبعمائة فاكرم نزلهم وتوفى على بن بدر الدين شيخ الغزاة فقدم عبد الرحمن مكانه وكان السلطان عبد العزيز قد استبد بملكه بعد مقتل الوزير عمر بن عبد الله فغص بما فعله السلطان المخلوع من ذلك وتوقع انتقاض امره منهم ووقف على مخاطبات من عبد الرحمن يسربها فى بنى مرين فجزع لذلك وداخله ابن الخطيب فى اعتقال ابن أبى يفلوسن وابن ماساى واراحة نفسه من شغبهم على أن يكون له المكان من دولته متى نزع اليه فأجابه الى ذلك وكتب له العهد بخطه على يد سفيره الى الاندلس وكاتبه أبى يحيى بن أبى مدين وأغرى ابن الخطيب سلطانه بالقبض على ابن أبى يفلوسن وابن ماساى فقبض عليهما واعتقلهما وفى خلال ذلك استحكمت نفرة ابن الخطيب لما بلغه عن البطانة من القدح فيه والسعاية وربما تخيل أن السلطان مال الى قبولها وأنهم قد أحفظوه عليه فأجمع التحول عن الاندلس الى المغرب واستأذن السلطان فى تفقد الثغور وسار اليها فى لمة من فرسانه وكان معه ابنه على الذى كان خالصة للسلطان وذهب لطيته فلما حاذى جبل الفتح فرضة المجاز الى العدوة مال اليه وسرح اذنه بين يديه فخرج قائد الجبل لتلقيه وقد كان السلطان عبد العزيز اوعز اليه بذلك وجهز له الاسطول من حينه فاجاز الى سبتة وتلقاه ولاتها بانواع التكرمة وامتثال المراسم ثم سار لقصد السلطان فقدم عليه سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمقامه من تلمسان فاهتزت له الدولة وأركب السلطان خاصته لتلقيه وأحله من مجلسه بمحل الامن والغبطة ومن دولته بمكان التنويه والعزة وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى بن أبى مدين سفيرا الى صاحب الاندلس فى طلب أهله وولده فجاء بهم على أكمل حالات الامن والتكرمة ثم أكثر المنافسون له فى شأنه وأغروا سلطانه

فلاتنس الخنازير اللواتى * ومنحن مع القرود الخاسئينا
بايلة والخليج لهم رسوم * وآثار قدمن وما محينا
وما طاب الكميت طلاب وتر
ولكنا النصر تناهجينا
لقد علمت نزار أن قومى
الى نصر النبوة فاخرينا

وهى طويلة ونمى قول الكميت فى النزارية واليمانية وافتخرت نزار على اليمن وافتخرت اليمن على نزار وأدلى كل فريق بماله من المناقب وتحزبت الناس وثارت العصبية فى البدو والحضر فنتج بذلك أمر مروان بن محمد الجعدى وتعصبه لقومه من نزار على اليمن وانحراف اليمن عنه الى الدعوة العباسية وتغلغل الامر الى انتقال الدولة عن بنى أمية الى بنى هاشم ثم ما تلا ذلك من قصة معن بن زائدة باليمن وقتله أهلها تعصبا لقومه من ربيعة وغيرها من نزار وقطعه الحلف الذى كان بين اليمن وربيعة فى القدم وفعل عقبة بن سالم بعمان والبحرين وقتله عبد القيس وغيرهم من ربيعة كيادا لمعن وتعصبا من عقبة بن سالم لقومه من قحطان وغير ذلك مما تقدم وتأخر مما كان بين نزار وقحطان

* (ذكر أيام مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وهو الجعدى) * بويع مروان بن محمد بن

سلطانه بتتبع عثراته وابداء ما كان كامنا فى نفسه من سقطاته واحصاء معايبه وشاع على السنة اعدائه كلمات منسوبة الى الزندقة أحصوها عليه ونسبوها ورفعت الى قاضى الحضرة ابى الحسن بن الحسن فاسترعاها وسجل عليه بالزندقة وراجع صاحب الاندلس رأيه فيه وبعث القاضى ابن الحسن الى السلطان عبد العزيز فى الانتقام منه بتلك السجلات وامضاء حكم الله فيه فصم عن ذلك وأنف لذمته أن تخفر ولجواره أن يرد وقال لهم هلا انتقمتم منه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه وأما أنا فلا يخلص اليه بذلك أحد ما كان فى جوارى ثم وفر الجراية والاقطاع له ولبنيه ولمن جاء من أهل الاندلس فى جملته فلما هلك السلطان عبد العزيز سنة أربع وسبعين وسبعمائة ورجع بنو مرين الى المغرب وتركوا تلمسان سار هو فى ركاب الوزير أبى بكر بن غازى القائم بالدولة فنزل بفاس واستكثر من شراء الضياع وتأنق فى بناء المساكن واغتراس الجنان وحفظ عليه القائم بالدولة الرسوم التى رسمها له السلطان المتوفى واتصلت حاله على ذلك الى أن كان ما نذكره انتهى (وقال) ابن خلدون فى تاريخه ما صورته كان محمد بن الاحمر المخلوع قد رجع من رندة الى ملكه بغرناطة فى جمادى من سنة ثلاث وستين وقتل الطاغية عدوه الرئيس المنتزى على ملكهم بن هرب من غرناطة اليه وفاء بعهد المخلوع واستوى على كرسيه واستقل بملكه ولحق به اتبه وكاتب أبيه محمد بن الخطيب فاستخلصه وعقد له على وزارته وفوض اليه فى القيام لكه فاستولى عليه وملك هواه وكانت عينه ممتدة الى المغرب وسكناه الى أن نزلت به آفة رياسته فكان لذلك يقدم السوابق والوسائل عند ملوكه وكان لا بناء السلطان أبى الحسن بهم غيرة من ولد عمهم السلطان أبى على ويخشونهم على أمرهم ولما لحق الامير عبد الرحمن بن أبى يفلوسن بالاندلس اصطفاه ابن الخطيب واستخلصه لنجواه ورفع فى الدولة رتبته أعلى منزلته وحمل السلطان على أن عقد له على الغزاة المجاهدين من زناته مكان بنى عمه من لاعياص فكانت له آثار فى الاضطلاع بها ولما استبد السلطان عبد العزيز بامره استقل بملكه وكان ابن الخطيب ساعيا فى مرضاته عند سلطانه فدس اليه باعتقال عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ووزيره مسعود بن ماساى وأدار ابن الخطيب فى ذلك مكره وحمل السلطان عليهما الى أن سطا بهما ابن الاحمر واعتقلهما سائر أيام السلطان عبد العزيز فتغير الجو بين ابن الاحمر ووزيره ابن الخطيب وأظلم وتنكر له فنزع عنه الى عبد العزيز بتلمسان المغرب سنة ثنتين وسبعين وسبعمائة لما قدم من الوسائل ومهد من السوابق فقبله السلطان وأحله من مجلسه محل الاصفياء والقرب وخاطب ابن الاحمر فى أهله وولده فبعثهم اليه واستقر فى جملة السلطان ثم تأكدت العداوة بينه وبين ابن الاحمر فرغب السلطان عبد العزيز فى ملك الاندلس وحمله عليه وتواعدوا لذلك عند رجوعه من تلمسان الى المغرب وبلغ ذلك الى ابن الاحمر فبعث الى السلطان عبد العزيز بهدية لم يسمع بمثلها انتقى فيها من متاع الاندلس وماعونها وبغالها الفارهة ومعلوجى السبى وجواريه وأوفد بها رسله يطلب اسلام وزيره ابن الخطيب اليه فأبى السلطان من ذلك ونكره ولما هلك السلطان واستبد الوزير ابن غازى بالامر تحيز اليه ابن الخطيب وداخله وخاطبه ابن الاحمر فيه بمثل

نفسه بمدينة حران من ديار مضر وبويع له بها وامه أم ولد يقال لها ريا وقيل طروبة كانت لمصعب بن الزبير فصارت بعد مقتله لمحمد بن مروان أبيه وكان مروان يكنى أبا عبد الملك واجتمع أهل الشام على بيعته الا سليمان بن هشام ابن عبد الملك وغيره من بنى أمية فكانت أيامه منذ بويع بمدينة دمشق من أرض الشام الى مقتله خمس سنين وعشرة أيام وقيل خمس سنين وثلاثة أشهر وكان مقتله فى أول سنة اثنتين وثلاثين ومائة ومنهم من رأى ان ذلك كان فى المحرم ومنهم من رأى انه كان فى صفر وقيل غير ذلك مما تنازع فيه أهل التواريخ والسير على حسب تنازعهم فى مقدار ملكه فمنهم من ذهب الى ان مدته خمس سنين وثلاثة اشهر ومنهم من قال خمسا وشهرين وعشرة أيام ومنهم من قال خمسا وعشرة أيام وكان مقتله ببوصير قرية من قرى الفيوم بصعيد مصر وقد تنوزع فى مقدار سنه كتنازعهم فى مقدار ملكه فمنهم من زعم انه قتل وهو ابن سبعين سنة ومنهم من قال ابن تسع وستين ومنهم من قال اثنتين وستين ومنهم من قال ثمان وخمسين وانما نذكر هذا

ماخاطب السلطان عبد العزيز بزفلج واستنكف عن ذلك وأقبح الرد وانصرف رسوله اليه
وقد رهب سطوته فاطلق ابن الاحمر لحينه عبد الرحمن بن أبي يفلوسن وأركبه الاسطول
وقذف به الى ساحل بطوية ومعه الوزير مسعود بن ماساى ونهض يعني ابن الاحمر الى جبل
الفتح فنازله بعساكره ونزل عبد الرحمن ببطوية ثم ذكر ابن خلدون كلاما كثيرا تركناه لطوله
وملخصه أن الوزير أبا بكر بن غازى الذى كان تحيز اليه ابن الخطيب ولى ابن عمه محمد بن
عثمان مدينة سبتة خوفا عليها من ابن الاحمر ونهض هو أعنى الوزير الى منازلة عبد الرحمن
ابن أبي يفلوسن ببطوية اذ كانوا قد بايعوه فامتنع عليه وقاتله أياما ثم رجع الى تازا ثم الى
فاس واستولى عبد الرحمن على تازا وبينما الوزير أبو بكر بفاس يدبر الرأى اذ وصله الخبر بان
ابن عمه محمد بن عثمان بايع السلطان أحمد بن أبي سالم وهو المعروف بذى الدولتين وهذه هى
دولته الاولى وذلك أن ابن عم الوزير وهو محمد بن عثمان لما تولى سبتة كان ابن الاحمر قد
طاول حصار جبل الفتح وأخذ بمخنقه وتكررت المراسلة بينه وبين محمد بن عثمان والعتاب
فاستعتب له وقبح ماجاء به ابن عمه الوزير أبو بكر بن غازى من الاستغلاظ له فى شأن ابن
الخطيب وغيره فوجد ابن الاحمر فى ذلك السبيل الى غرضه وداخله فى البيعة لابن السلطان
أبي سالم من الابناء الذين كانوا بطنجة تحت الحوطة والرقبة وأن يقيمه للمسلمين سلطانا
ولا يتركهم فوضى وهملا تحت ولاية الصبى الذى لم يبلغ ولا تصح ولايته شرعا وهو السعيد بن
أبي فارس الذى بايعه الوزير أبو بكر بن غازى بتلمسان حين مات أبوه واستبد عليه واختص
ابن الاحمر أحمد بن أبي سالم من بين أولئك الابناء لما سبق بينه وبين أبيه أبي سالم من المواتاة
وكان ابن الاحمر اشترط على محمد بن عثمان وحزبه شروطا منها أن ينزلوا له عن جبل الفتح
الذى هو محاصر له وأن يبعثوا اليه جميع أبناء الملوك من بنى مرين ليكونوا تحت حوطته
وأن يبعثوا اليه بالوزير ابن الخطيب متى قدروا عليه فانعقد أمرهم على ذلك وتقبل محمد بن
عثمان شروطه وركب من سبتة الى طنجة واستدعى أبا العباس أحمد من مكان اعتقاله
فبايعه وحمل الناس على طاعته واستقدم أهل سبتة للبيعة وكتائبها فقدموا وبايعوا
وخاطب أهل جبل الفتح فبايعوا وأفرج ابن الاحمر عنهم وبعث اليه محمد بن عثمان عن
سلطانه بالنزول له عن جبل الفتح وخاطب أهله بالرجوع الى طاعته فارتحل ابن الاحمر من
مالقة اليه ودخله ومحا دولة بنى مرين مما وراء البحر وأهدى للسلطان أبي العباس وأمده
بعسكر من غزاة الاندلس وحمل اليه مالا للاعانة على أمره ولما وصل الخبر بهذا كله الى
الوزير أبي بكر بن غازى قامت عليه القيامة وكان ابن عمه محمد بن عثمان كتب اليه يموّه
بأن هذا عن أمره فتبرأ من ذلك ولاطف ابن عمه أن ينقض ذلك الامر فاعتل له بانعقاد البيعة
لابى العباس وبينما الوزير أبو بكر ينتظر اجابة ابن عمه الى ما رامه منه بلغه الخبر بانه
أشخص الابناء المعتقلين كلهم للاندلس وحصلوا تحت كفالة ابن الاحمر فوجم وأعرض
عن ابن عمه ونهض الى تازا لمحاصرة عبد الرحمن بن أبي يفلوسن فاهتبل فى غيبته ابن عمه محمد
ابن عثمان ملك المغرب ووصله مدد السلطان ابن الاحمر من رجال الاندلس الناشبة نحو
ستمائة وعسكر أخر من الغزاة وبعث ابن الاحمر رسله الى الامير عبد الرحمن باتصال اليد مع

الخلاف من قولهم لئلا يظن ظان أننا قد أغفلنا ما ذكروه أو تركنا شيأ مما وصفوه عما اليه قصدنا فى كتابينا أخبار الزمان والاوسط وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب جملا من كيفية مقتله وأخباره وجوامع من سيره وحروبه وما كان من أمر الدولتين فى ذلك من الماضية وهى الاموية والمستقبلة فى ذلك الزمان وهى العباسية مع افرادنا بابا نذكر فيه جوامع تاريخ ملك الامويين وهو الباب المترجم بذكر مقدار المدة من الزمان وما ملكت فيه بنو أمية من الاعوام ثم نعقب ذلك بلمع من أخبار الدولة العباسية وأخبار أبي مسلم وخلافة أبي العباس السفاح ومن تلا عصره من خلفاء بنى العباس الى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من خلافة أبي اسحق المتقى لله ابراهيم بن المقتدر بالله ان شاء الله تعالى والله ولى التوفيق

﴿ذكر مقدار المدة من الزمان وما ملكت فيه بنو أمية من الاعوام﴾

كان جميع ملك بنى أمية الى أن بويع أبو العباس السفاح ألف شهر كاملة لا تزيد ولا تنقص لانهم ملكوا تسعين سنة وأحد عشر شهرا او ثلاثة عشر يوما (قال المسعودى) والناس متباينون فى تواريخ أيامهم والمعوّل

ابن

ابن عمه السلطان أحمد ومظاهرته واجتماعهما على ملك فاس وعقد بينهما الاتفاق على أن
يختص عبد الرحمن بملك سلفه متراضيا وزحف محمد بن عثمان وسلطانه الى فاس وبلغ الخبر
الى الوزير أبي بكر بمكانه من تازا فانفض معسكره ورجع الى فاس ونزل بكدية العرائس
وانتهى السلطان أبو العباس أحمد الى زرهون فصمد اليه الوزير بعساكره فاختل مصافه
ورجع على عقبه مفلولا وانتهب عسكره ودخل البلد الجديد وجاء بالعرب اولاد حسين
بعسكر وابالزيتون ظاهر فاس فنهض اليهم الامير عبد الرحمن من تازا بمن كان معه من العرب
الاحلاف وشردهم الى الصحراء وشارف السلطان ابو العباس احمد بجموعه من العرب
وزناتة وبعثوا الى ولي دولتهم ونزمار بن عريف بمكانه من قصره الذي اختطه بملوية فجاءهم
واطلعوه على كامن أسرارهم فأشار عليهم بالاجتماع والاتفاق فاجتمعوا بوادي النجا وتحالفوا
ثم ارتحلوا الى كدية العرائس في ذي القعدة من سنة خمس وسبعين وبرز اليهم الوزير
بعساكره فانهزمت جموعه وأحيط به وخلص الى البلد الجديد بعد غص الريق واضطرب
معسكر السلطان أبي العباس بكدية العرائس ونزل الامير عبد الرحمن بازائه وضربوا على
البلد الجديد سياجا بالبناء للحصار وأنزلوا بها أنواع القتال والارهاب ووصلهم مدد السلطان
ابن الاحمر فأحكموا الحصار وتحكموا في ضياع الوزير ابن الخطيب بفاس فهدموها وعاثوا
فيها ولما كان فاتح سنة ست وسبعين داخل محمد بن عثمان ابن عمه الوزير أبا بكر في النزول
عن البلد الجديد والبيعة للسلطان لكون الحصار قد اشتد به ويئس وأعجزه المال فاجاب
واشترط عليهم الامير عبد الرحمن التجافي له عن أعمال مراكش بدل سجلماسة فعقدوا له
على كره وطووا على المكر وخرج الوزير أبو بكر الى السلطان وبايعه واقتضى عهده بالامان
وتخلية سبيله من الوزارة ودخل السلطان أبو العباس الى البلد الجديد سابع المحرم وارتحل
الامير عبد الرحمن يومئذ الى مراكش واستولى عليها انتهى وقال حفيد السلطان ابن الاحمر
في تاريخه ما صورته لما لحق الرئيس أبو عبد الله بن الخطيب بالمغرب عام اثنين وسبعين
وسبعمائة وكان من وفاة مجيره والمحامي عنه السلطان عبد العزيز ما أنا ذاكره شد الوزير
أبو بكر بن غازي يده على ابن الخطيب بانيا على أشد الاشياء أن لا يسلمه لمولانا جدنا مع توقع
انقضاء واقتدى هذا الوزير بالسلطان عبد العزيز في اعراضه عن العقود الموجهة من
الاندلس بالقدح من موبقات ابن الخطيب ولج في الغلواء وسجل موجبات الوفاء والبواعث
ومولانا جدنا تتزايد والاساطيل تتجهز والآراء بالقصد الخطير يتنقى منها الصواب ويتخير
الى أن خيم مولانا جدنا بظاهر جبل الفتح وكان اذذاك راجعا الى ايالة المغرب فاناخ عليه كلكل
الجيش وأهمهم ثقل الوطاة ولم يسال مولانا جدنا بما أرسلت آناء الليل وأطراف النهار من
صيب الانفاط والجؤار من باب الشطائين قريب والحالة من الثقات مستريب
فنجا من تلك الاهوال من الامر الغريب ولم يبق بغرناطة من له خلوص ولا من تترامى
همته الا واعمل السير الحثيث ولحق به ولا بجدنا لحاق المحب بالحبيب حتى أهل العلم
والرجاحة والحلم ولا كالسيد الامام الاستاذ أبي سعيد قطب الجملة وعميد الملة وهو
الذي بلغنا نظمه في هذه الوجهة وعندما ألقى عصا التسيار في الجهة القريبة من أولى العداوة

على ماثوره وهو الصحيح عند أهل البحث ومن عني باخبار هذا العالم وهو أن (معاوية) بن أبي سفيان ملك عشرين سنة (ويزيد) ابن معاوية ثلاث سنين وثمانية أشهر وأربعة عشر يوما (ومعاوية) بن يزيد شهرا واحد عشر يوما (ومروان) بن الحكم ثمانية أشهر وخمسة أيام (وعبد الملك) بن مروان احدى وعشرين سنة وشهرا وعشرين يوما (والوليد) ابن عبد الملك تسع سنين وثمانية أشهر ويومين (وسليمان) بن عبد الملك سنتين وستة أشهر وخمسة عشر يوما (وعمر) بن عبد العزيز رضي الله عنه سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام (ويزيد) بن عبد الملك أربع سنين وثلاثة عشر يوما (وهشام) بن عبد الملك تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسعة أيام (والوليد) ابن يزيد بن عبد الملك سنة وثلاثة أشهر (ويزيد) بن الوليد بن عبد الملك شهرين وعشرة أيام واسقطنا أيام ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك كاسقاطنا أيام ابراهيم بن المهدي أن يعد في الخلفاء العباسيين (ومروان) ابن محمد بن مروان خمس سنين وشهرين وعشرة أيام الى أن بويع السفاح فتكون الجملة تسعين سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما يضاف الى ذلك

سنة وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما يوضع من ذلك أيام الحسن بن علي وهي خمسة أشهر وعشرة أيام وتوضع أيام عبد الله بن الزبير الى الوقت الذي قتل فيه وهي سبع سنين وعشرة أشهر وثلاثة أيام فيصير الباقي بعد ذلك ثلاثا وثمانين سنة وأربعة أشهر يكون ذلك ألف شهر سواء وقد ذكر قوم أن تأويل قوله عز وجل ليلة القدر خير من ألف شهر ما ذكرناه من أيامهم وقد روي عن ابن عباس أنه قال والله ليملكن بنو العباس ضعف ما ملكته بنو أمية باليوم يومين وبالشهر شهرين وبالسنة سنتين وبالخليفة خليفتين (قال المسعودي) فلملك بنو العباس في سنة اثنتين وثلاثين ومائة وانقضى ملك بني أمية فلبني العباس من وقت ملكهم الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مائتا سنة وذلك أن أبا العباس السفاح بويع له بالخلافة في ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وانتهينا في تصنيفنا من

ومن ذلك قصيدته المشهورة التي أولها

أيا جبل الفتح استملت نفوسنا * فلا قلب الا نحو مغناك قد سبق

فأرسلت انجدنا الدفينا صواعقا * تخال بها جو السماء قد انطبق

وقوله في اجابة السفهاء من الهاتفين بالسور مو طئا مهجا بارحمة الله تعالى عليه

وذموا وما يعنون الا مذمما * وأنت بحمد الله تدعى محمدا

وقول حامل اللواء الآتي ذكره في تضاعيف الاسماء

أمام امسك في عراض البيد * فبلغ ماشئت من مقصود

والهجران ألفته ألسنة العدا * يا باه فضل مقامك المحمود

سحقا لهم سفهاء كل قبيلة * شذت مقالتهم عن المعهود

قد ضلت الاحلام منهم رشدها * هذا ومنك الحلم غير بعيد

مع عزمة لو شئت هدت كل ما * قد أحكموا من معلم ومشيد

الى أن قال الخبر عن اجتماع الاميرين أبي العباس وأبي زيد متصاحبين ومترافقين على استخلاص مدينة فاس من يد الوزير أبي بكر بن غازي بن الكاس وكتب الرئيس أبو عبد الله بن زمرك في مخاص هذه الكائنة حث الوزير محمد بن عثمان السير في وسط عام خمسة وسبعين وسبعمائة وتلاقى بسلطانه أبي العباس مع الامير أبي زيد عبد الرحمن واستقلا بالطائلة وحصلا من التضييق على السعيد الطفل الصغير وعلى وزيره أبي بكر بن غازي في متسع الخطة ورحيب ذرع الخلافة وتصالحا عن رضا وتسلم منهما ومن أشياعهما على تسليم السعيد الى اللحاق بمن كان في طنجة من الامراء واتصل السلطان عبد الرحمن بمراكش فكان ملكها وجابي أموالها وتملك السلطان أبو العباس مدينة فاس وما والى البلاد الساحلة وسواها مما يحتوي عليه ملك المدينة البيضاء براو بحرا وعبر كاتب الدولة عن المدينة وعن الطفل متملكها بقوله والى هذا فقد ارتفع الالتباس واطرد التياس وغير خفي عن ذي عقل سليم وذي تفويض للعق وتسليم أن دار الملك المريني كامة بلازهر وربابن بلاأنهر ان لم يتقمد كرسيها من يزين جيدها ويجدد حليها وآن أوان البشرى لمن يتعصب للدين والآن قلادة التقوى منوطة بقلم اعلام الملوك المهتدين ثم ذكر ما يطول من فصول ورعا اشتملت على فصول وملخصه مثل ما ذكر ابن خلدون ثم ساق قاضي القضاة ابن خلدون بعد ما تقدم جلبه من تاريخه الكلام على محنة لسان الدين بن الخطيب ووفاته مقتولا رحمه الله تعالى (فقال ما صورته) ولما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد دار ملكه فاتح ست وسبعين استقل بسلطانه والوزير محمد بن عثمان مستبد عليه وسليمان بن داود بن اعراب كبير بني عسكر رديفه وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان ابن الاحمر عندما بويع بطنجة على نكبة الوزير ابن الخطيب واسلامه اليه لما نمي اليه عنه أنه كان يغري السلطان عبد العزيز بملك الاندلس فلما زحف السلطان أبو العباس من طنجة ولقيه أبو بكر بن غازي بساحة البلد الجديد فهزمه السلطان ولازمه بالحصار أوى معه ابن الخطيب الى البلد الجديد خوفا على نفسه فلما استولى السلطان على البلد أقام أياما ثم أغراه سليمان بن داود بالقبض على ابن

الخطيب فقبضوا عليه وأودعوه السجن وطيروا بالخبر الى السلطان ابن الاحمر وكان سليمان ابن داود شديد العداوة لابن الخطيب لما كان سليمان قد بايعه السلطان ابن الاحمر على مشيخة الغزاة بالاندلس متى أعاده الله تعالى الى ملكه فلما استقر اليه سلطانه أجاز اليه سليمان سفيرا عن الوزير عمر بن عبد الله ومقتضيا عهده من السلطان فصده الوزير ابن الخطيب عن ذلك محتجا بان تلك الرياسة انما هي لاعياص الملك من بني عبد الحق لا لاهم يعسوب زناتة فرجع سليمان وأثار حقد ذلك لابن الخطيب ثم جاوز الاندلس لمحل امارته من جبل الفتح فكانت تقع بينه وبين ابن الخطيب مكاتبات ينفث كل واحد منهما لصاحبه بما يحفظه مما كمن في صدورهما وحين بلغ خبر القبض على ابن الخطيب الى السلطان ابن الاحمر بعث كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب وهو أبو عبد الله بن زمرك فقدم على السلطان أبي العباس وأحضر ابن الخطيب بالمشور في مجلس الخاصة وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه في المحبة فعظم النكير فيها فوبخ ونكل وامتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملا ثم نقل الى محبسه واشتور وافي قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه وأفتى بعض الفقهاء فيه ودس سليمان بن داود لبعض الاوغاد من حاشيته بقتله فطرقوا السجن ليلا ومعهم زعانفه جاؤا في لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الاحمر وقتلوه خنقا في محبسه وأخرج شلوه من الغد فدفن في مقبرة باب المحروق ثم أصبح من الغد على سافة قبره طريحا وقد جمعت له أعواد وأضرمت عليه نار فاحترق شعره واسود بشره فأعيد الى حفرته وكان في ذلك انتهاء محنته وعجب الناس من هذه الشنعاء التي جاء بها سليمان واعتدوها من هناته وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته والله الفعال لما يريد وكان عفا الله تعالى عنه أيام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت فتجهش هواتفه بالشعر يبكي نفسه ومما قال في ذلك رحمه الله تعالى

بعدنا وان جاورتنا البيوت * وجئنا بوعظ ونحن صموت
وأنفاسنا سكنت دفعة * كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاما فصرنا عظاما * وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلا * غربنا فناحت علينا السموت
فكم جدلت ذا الحسام الظبا * وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سيق للقبر في خرقة * فتى ملئت من كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب * وفات ومن ذا الذي لا يفوت
ومن كان يفرح منهم له * فقل يفرح اليوم من لا يموت

انتهى كلام ابن خلدون في ديوان العبر وقال الحافظ ابن حجر في أنباء الغمر بعد ان ذكر ما قدمناه على سبيل الاختصار ما نصه واشتهر أنه يعني لسان الدين نظم حين قدم للقتل الابيات المشهورة التي يقول فيها

وقل للعداة مضى ابن الخطيب * وفات فسبحان من لا يفوت
فمن كان يشمت منكم به * فقل يشمت اليوم من لا يموت

بعد هذا الوقت من الايام وقد أتينا بحمد الله فيما سلف من كتابينا أخبار الزمان والاوسط على الغرر من أخبارهم والنوادر من أسمائهم والطرائف مما كان في أيامهم وعهودهم ووصاياهم ومكاتباتهم واخبار الحوادث والخوارج في أيامهم من الازارقة والاباضية وغيرهم ومن ظهر من الطالبيين طالبا بحق أو آمرا بمعروف أو ناهيا عن منكر فقتل في أيامهم وكذلك من تلاهم من بني العباس الى خلافة المتقي لله من سنتنا هذه وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وما ذكرنا في هذا الكتاب من جوامع التاريخ قد يخالف ما تقدم بسطه باليوم أو العشرة أو الشهر عند ذكرنا الدولة كل واحد منهم وأيامه وهذا هو المعول عليه من تاريخهم وسنيهم والمفصل من مدتهم والله أعلم ومنه التوفيق

(ذكر الدولة العباسية ولمع من أخبار مروان ومقتله وجوامع من حروبه وسيره)

قد قدمنا في الكتاب الاوسط ما ذكرته الراوندية وهم شيعة ولد العباس بن عبد المطلب من أهل خراسان وغيرهم من أن رسول الله صلى الله عليه

والصحيح في ذلك ما ذكره صديقه شيخنا ولي الدين بن خلدون أنه نظم الابيات المذكورة وهو في السجن لما كان يستشعر من التشديد انتهى ثم حكى ابن حجر عن بعض الاعيان أن ابن الاحمر وجهه الى ملك الافرنج في رسالة فلما أراد الرجوع أخرج له رسالة لابن الخطيب تشتمل على نظم ونثر فلما قرأها قال له مثل هذا كان ينبغي أن يقتل ثم بكى حتى بل ثيابه انتهى كلام الحافظ وبعضه بالمعنى فانظر سدد الله تعالى بكاء العدو الكافر على هذا العلامة وقتل اخوانه في الاسلام له على حظ نفساني ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لا رب غيره (قلت) ورأيت بحضرة فاس حاطها الله تعالى تخميسا لهذه الابيات بديعا منسوبا الى بعض بني الصباغ وزاد في الاصل بعض أبيات على ما ذكره ابن خلدون من هذه القطعة والمزيد يشبه نفس لسان الدين بن الخطيب فلعل ابن خلدون اختصر منها ولم يقف على الزائد ولنثبت جملته تتميما للمقصود فنقول قال رحمه الله تعالى

أيا جاهلا غره ما يفوت * وألهاه حال فليل الثبوت
تأمل لمن بعد انس تفوت * بعدنا وان جاورتنا البيوت
وجئنا بوعظ ونحن صموت

لقد فات من دهرنا رفعة * تقضت كبرق مدى سرعة
فهيهات نرجو لها رجعة * وأصواتنا سكنت دفعة
كجهر الصلاة تلاه القنوت

بدا لي من العز وجه شباب * يؤمل سيبي وبأسي يهاب
فسرعان مزق ذاك الاهاب * ومدت وقد أنكرتنا الثياب
علينا نسائجها العنكبوت

فآها لعز تقضى مناما * نجنا به الجاه قوما كراما
وكنا نسوس امورا عظاما * وكنا عظاما فصرنا عظاما
وكنا نقوت فها نحن قوت

وكنا لدى الملك حلي الطلى * فآها عليه زمانا خلا
تعوض من جده بالبلى * وكنا شموسا سماء العلا
غربنا فناحت علينا السموت

تعودت بالرغم صرف الليالي * وجلت نفسي فوق احتمالي
وأيقنت أن سوف يأتي ارتحالي * ومن كان منتظر الزوال
فكيف يؤمل منه الثبوت

هو الموت يا ماله من نبا * يحوز الجناب الى من أبى
وبألف أخذ سني الخبا * فكم أسلمت ذا الحسام الظبا
وذا البخت كم جدلته البخوت

هو الموت أفصح عن عجمة * وأيقظ بالوعظ من خفقة
وسلى عن الحزن ذا حرقة * وكم سيق للقبر في خرقة

وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وأن الناس اغتصبوه حقه وظلموه أمره الى أن رده الله اليهم وتبرؤا من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وأجازوا بيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه باجازته لها وذلك لقوله يا ابن أخي هلم الى أن أبايعك فلا يختلف عليك اثنان ولقول داود ابن علي على منبر الكوفة يوم بويع لابي العباس يا أهل الكوفة لم يقم فيكم امام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا علي بن أبي طالب وهذا القائم فيكم يعني أبا العباس السفاح وقد صنف هؤلاء كتبا في هذا المعنى الذي ادعوه هي متداولة في ايدي أهلها ومنقولها منها كتاب صنفه عمرو بن بحر الجاحظ وهو المترجم بكتاب امامة ولد العباس يحتج فيه لهذا المذهب ويذكر فعل أبي بكر في فدك وغيرها وقصته مع فاطمة رضي الله عنها ومطالبتها بارثها من أبيها صلى الله عليه وسلم واستشهادها ببعلها وابنيها وأم أيمن وما جرى بينها وبين أبي بكر من المخاطبة وما كثر بينهم من المنازعة وما قالت وما قيل لها عن أبيها عليه السلام من انه قال نحن معاشر الانبياء نرث ولا نورث وما

فتى ملئت من كساه النعوت

تقضي زماني بعيش خصيب * وعندي لذنبي انكسار المنيب
وها الموت قد صبت منه نصيبي * فقل للعدا ذهب ابن الخطيب

وفات ومن ذا الذي لا يفوت

مضى ابن الخطيب كمن قبله * ومن بعده يقتفي سبله
وهذا الردى ناثر شمله * فمن كان يفرح منهم له

فقل يفرح اليوم من لا يموت

هو الموت عم فما للعدا * يسرون في حين ذقت الردى
ومن فاته اليوم يأتي غدا * سبيل الجديد اذا ما المدى

تتابع آحاده والسبوت

أخي توخ طريق النجاة * وقدم لنفسك قبل الممات
وشمر بجد لما هو آت * ولا تغترر بسراب الحياة

فانك عما قريب تموت   انتهى

وقد ذكرني قوله رحمه الله تعالى فمن كان يفرح منهم له الى آخره قول بعض العلماء الشاميين

يا ضاحكا بمن استقل غباره * سيثور عن قدميك ذاك العثير
لا فارس بجنودها منعت حمى * كسرى ولا الروم خلد قيصر
جدد مضت عاد عليه وجرهم * وتلاه كهلان وعقب حمير
وسطا بغسان الملوك وكندة * فلهم دماء عنده لا تثأر
لعبت بهم فكأنهم لم يخلقوا * ونسوا بها فكأنهم لم يذكروا

وما أحسن قول أبي الخطاب بن دحية الحافظ بعد كلام ما صورته وأخذت من طريق خوزستان الى طريق حلوان وقاسيت من الغربة أصناف الالوان ومررت على مدائن كسرى انوشروان وزرت بها قبر صاحب النبي صلى الله عليه وسلم الزاهد العابد المعمر سلمان وأعملت منها السير والاغذاذ الى مدينة بغداذ فنظرت اليها معالم وربوعا وأقمت بها مرة عاما ومرة أسبوعا وأسبوعا وأنا أبدي في ندائهم وأعيد والترب قد علا على منازلهم والصعيد وأسأل عن الخلفاء الماضين وأنشد ولسان الحال يجاوبني وينشد

يا سائل الدار عن اناس * ليس لهم نحوها معاد
مرت كما مرت الليالي * اين جديس وأين عاد

بل أين أبو البشر آدم الذي خلقه بيده الكبير المتعال اين الانبياء من ولده والارسال أهل النبوة والرسالة والوحي من الله ذي الجلالة اين سيدهم محمد الذي فضله عليهم ذو العز والجلال وجعله شفيعهم مع امته والناس في شدائد الاهوال اين القرون الماضية والاجيال اين التبابعة والاقيال اين ملوك همدان اين اولو الارق الفرد أو غمدان اين اولو التيجان والاكاليل اين الصيد والبهاليل بل اين النمارذة وأكبرهم نمرود

احتجت به من قوله عز وجل وورث سليمان داود على أن النبوة لا تورث فلم يبق الا التوارث وغير ذلك من الخطاب ولم يصنف الجاحظ هذا الكتاب ولا استقصى فيه الحجاج للراوندية وهم شيعة ولد العباس لانه لم يكن مذهبه ولا كان يعتقده لكن فعل ذلك تماجنا وتطربا وقد صنف أيضا كتابا استقصى فيه الحجاج عند نفسه وأيده بالبراهين وعضده بالادلة فيما تصور من عقله ترجمه بكتاب العثمانية يحل فيه عند نفسه فضائل علي عليه السلام ومناقبه ويحتج فيه لغيره طلبا لاماتة الحق ومضادة لاهله والله متم نوره ولو كره الكافرون ثم لم يرض بهذا الكتاب المترجم بكتاب العثمانية حتى اعقبه بتصنيف كتاب آخر في امامة المروانية وأقوال شيعتهم ورأيته مترجما بكتاب أمير المؤمنين معاوية ابن أبي سفيان في الانتصار له من علي بن أبي طالب رضي الله عنه وشيعته الرافضة يذكر فيه رجال المروانية ويؤيد فيه امامة بني امية وغيرهم ثم صنف كتابا آخر ترجمه بكتاب مسائل العثمانية يذكر فيه ما فاته ونقضه عند نفسه من فضائل أمير المؤمنين علي ومناقبه فيما ذكرنا وقد نقضت عليه ما ذكرنا من كتبه ككتاب العثمانية وغيره وقد نقضها جماعة من متكلمي الشيعة كأبي عيسى الوراق

ابراهيم الخليل ابن الفراعنة ومن هو بالسحر عليم الذين منهم فرعون موسى الكليم
ابن ملك الهندانية هدد بن بدد الكردي الذي لم يكن غدره بعقد له ولا بجدي وقد أخبر
الحق جل جلاله عنه أنه كان يأخذ كل سفينة غصبا وزعم المؤرخون أنه كان إضاءيلا
القلوب رعبا ويسوم أصحابه قتلا وصلبا مع الطمع في المال وعدم النظر في عقبى
المآل أين الفرس وملوكها وعدلها وعدولها أين دارا بن دارا بن بهمان أين
اسكندر بن فيلبس اليوناني الذي غلبه وملك بلاده في ذلك الزمان وأطاعه جميع ملوك
الاقاليم وقد قدر الله به امتحان الخلق ذلك تقدير العزيز العليم أين كسرى وقيصر
غالهما من الموت الاسد القسور بعد أن أخرجهما من بلادهما أمير المؤمنين أبو حفص
عمر لما ظهرت الملة الحنيفية كما ظهرت الشمس وبدا القمر أين أولاد جفنة وملوك
غسان أين عمائم زياد وحسان أين هرم بن سنان أين الملاعب بالسنان أين
أولاد مضر بن نزار بن معد بن عدنان أين بنو عبد المدان أين أرباب العواصم
أين قيس بن عاصم أين العرب ذات الامة الفاضلة والجماعة المناضلة أين أولو
البأس والحفاظ وذوو الحمية والاحفاظ حيث الوفاء والعهد والحباء والرفد الى علو
الهمم والوفاء بالذمم والعطاء الجزل والضيف والنزل وهبة الافال والبزل وانهما
لاتدين عزا ولا انقياد ولا ترام انفة ولا انقياد أين قريش المعروفة في الجاهلية بالحي اللقاح
والشعب الرقاح أين الماضون من ملوك بني أمية ذوو الالسن الذلق والاوجه الطلق
والحجبة أين خلفاء بني العباس بن عبد المطلب الذين شرفهم بالاصالة وليس اليهم بالمجلب
ذوو الشرف الراسخ والفخر الباذخ والخلافة السنية الرضية والمملكة العامة المرضية
بلغتنا والله وفاتهم ولم يبق الا ذكرهم وصفاتهم قبض ملك الموت أرواحهم قبضا ولم
يترك لهم حراكا ولا نبضا ومزق الدود لحومهم قددا ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك
أحدا الا ما كان من أجساد الانبياء عليهم أفضل الصلاة والتسليم فان الله تعالى حرم على
الارض أن تأكل أجساد الانبياء وقد تكلمت على هذا الحديث وأثبت أنه من الصحيح
لا السقيم وخرجت طرقه في كتابي العلم المشهور بعون من العزيز الرحيم فما أبعد المرء
عن رشده وما أقصاه كم وعظه الدهر وكم وصاه يخلط الحقيقة بالمحال والعاطل بالحال
ولا توبة حتى يشيب الغراب ويألف الدم التراب فيا لهفي لبعد الدار وانقضاض
الجدار وأنت هامة ليل أو نهار وقاعد من عمرك على شفى جرف هار تقرأ العلم وتدعيه
ولا تفهمه ولا تعيه فهو عليك لا لك فأولى لك ثم أولى لك أما آن لليل الغي أن تنجلي
أحلاكه ولنظم البغي أن تنتثر أسلاكه وأن يقطع الجاني جناه ويأسف على ما اقترفه
وجناه وأن يلبس عهاده بتا ويطلق الدنيا بتا ويفر منها فرار الاسد ويتيقن أنه لابد
من مفارقة الروح الجسد نبهنا الله تعالى من سنات غفلاتنا وحسن ما ساء من صنائعنا
الذميمة وسلاتنا وجعل التقوى احصن عددنا وأوثق آلاتنا اللهم اليك المآب
وبيدك المتاب قد واقعنا الخطايا وركبنا الاجرام رواحل ومطايا فتب علينا أجمعين
وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين التائبين وصلى الله على سيد ولد آدم محمد شفيعنا يوم
القيامة

والحسن بن موسى النوبختي وغيرهما من الشيعة ممن ذكر ذلك في كتبه في الامامة مجتمعا ومفترقا وقد نقض على
الجاحظ كتاب العثمانية
أيضا رجل من شيوخ
المعتزلة البغداديين
ورؤسائهم وأهل الزهد
والديانة منهم ممن يذهب
الى تفضيل علي والقول
بامامة المفضول وهو أبو
جعفر محمد بن عبد الله
الاسكافي وكانت وفاته
سنة أربعين ومائتين وفيها
مات أحمد بن حنبل
وسنذكر وفاة الجاحظ
فيما يرد من هذا الكتاب
ووفاة غيره من المعتزلة
وان كنا قد أتينا على ذلك
فيما سلف من كتبنا والذي
ذهب اليه من تأخر من
الراوندية وانتقل وتخير
عن جملة الكيسانية القائلة
بامامة محمد بن الحنفية وهم
الحربانية أصحاب أبي
مسلم عبد الرحمن بن محمد
صاحب الدولة العباسية
وكان يلقب بحربان أن
محمد بن الحنفية هو الامام
بعد علي بن أبي طالب وأن
محمدا أوصى الى ابنه أبي
هاشم وأن أبا هاشم أوصى
الى علي بن عبد الله بن
العباس بن عبد المطلب
وأن علي بن عبد الله أوصى
الى ابنه محمد بن علي وأن
محمدا أوصى الى ابنه ابراهيم
الامام المقتول بحران وأن
ابراهيم أوصى الى أخيه أبي العباس بن عبد الله بن الحارثية المقتول وقد تنوزع في أمر أبي مسلم فمن

القيامة وصاحب الحوض المورود والمقام المحمود والكرامة وعلى آله الطاهرين وأصحابه اهل الرضوان المنتخبين وسلام الله عليه وعليهم الى يوم الدين انتهى وهو آخر كتابه النبراس فى تاريخ بنى العباس وذكرته بطوله لمناسبته (قلت) وقد سلكت هذا المنحى تظما فى خطبة هذا الكتاب كما مر وللسان الدين رحمه الله تعالى كلام قريب من هذا سيأتى فى نثره ان شاء الله تعالى واقول انى قد تذكرت هنا قول القائل

تطوى سبوتا وآحادا وننشرها * ونحن فى الطى بين السبت والاحد
فعد ماشئت من سبت ومن أحد * لابد أن يدخل المطوى فى العدد

وقول الآخر

ألم تر أن الدهر يوم وليلة * يكران من سبت عليك الى سبت
فقل لجديد العيش لابد من بلى * وقل لاجتماع الشمل لابد من شت

واعلم ان لسان الدين لما كانت الايام له مسالمة لم يقدر احد ان يواجهه بما يدنس معاليه او يطمس معالمه فلما قلبت الايام له ظهر مجنها وعاملته بعنفها بعد منحها أومنها اكثر اعداؤه فى شانه الكلام ونسبوه الى الزندقة والانحلال من ربقة الاسلام بتنقص النبى عليه افضل الصلاة والسلام والقول بالحلول والاتحاد والانخراط فى سلك اهل الالحاد وسلوك مذاهب الفلاسفة فى الاعتقاد وغير ذلك مما اثاره الحقد والعداوة والانتقاد مقالات نسبوها اليه خارجة عن السنن السوى وكلمات كدر وا بها منهل عليه الروى ولا يدين بها ويفوه الا الضال الغوى والظن أن مقامه رحمه الله تعالى من لسها برى وجنابه سامحه الله تعالى عن ليسها عرى وكان الذى تولى كبر محنته وقتله تلميذه أبو عبد الله بن زمرك الذى لم يزل مضمر الختله فلقد وقفت على خط ابن لسان الدين على أنه تسبب فى قتل لسان الدين أبيه وسيأتى الالماع بالالمام بابن زمرك المذكور فى تلامذة لسان الدين مع انه أعنى لسان الدين حلاه فى الاحاطة أحسن الحلى وصدقه فيما انتحله من أوصاف العلا وقد سبق فى كلام ولى الدين بن خلدون أنه قدم على السلطان أبى العباس احمد المرينى فى شأن الوزير ابن الخطيب وأخرج الى مجلس الخاصة وامتحن والمجالس بالاعيان غاصة ولا حول ولا قوة الا بالله ومن أعدائه الذين باينوه بعد أن كانوا يسعون فى مرضاته سعى العبيد القاضى أبو الحسن بن الحسن النباهى فكم قبل يده ثم جاهره بعد انتقال الحال وجد فى أمره مع ابن زمرك حتى قتل لسان الدين وانقضت دولته فسبحان من لا يتحول ملكه ولا يبيد وقد سبق فيما جلبناه من كلام ابن خلدون أن القاضى ابن الحسن قدم على السلطان عبد العزيز فى شأن لسان الدين والانتقام منه بسبب تلك السجلات وامضاء حكم الله فيه بمقتضاها فأبى السلطان من ذلك وقال هلا فعلتم أنتم ذلك حين كان عندكم وامتنع لذمته أن يخفره فلما أراد الله نفوذ الامر وعدم نفع زيد وعمرو توفى السلطان عبد العزيز واختلت الاحوال واضطربت بالمغرب نيران الاهوال فقدم فى شأنه الوزير الكاتب ابن زمرك خادمه الذى رباه وصنيعته فكان ما كان مما سبق به الالمام

من قرية يقال لها خرطيمة واليها تضاف الثياب البرسية المعروفة بالخرطيمية وتلك من أعمال الكوفة وسوادها وكان قهرمانا لادريس بن ابراهيم العجلى ثم آل أمره ونمت به الاقدار الى أن اتصل بمحمد بن على ثم بابراهيم بن محمد الامام فأنفذه ابراهيم الى خراسان وأمر أهل الدعوة بالطاعة والانقياد الى أمره ورأيه فقوى أمره وظهر سلطانه وأظهر السواد وصار زينة فى اللباس والاعلام والبنود وكان أول من سوّد من أهل خراسان وأهل بساند وأظهر ذلك فيهم أسيد بن عبد الله ثم عم ذلك فى الاكثر من المدن والكور بخراسان وقوى أمر أبى مسلم وضعف أمر نصر بن سيار صاحب مروان بن محمد الجعدى على بلاد خراسان وكانت له مع أبى مسلم حروب أكثر فيها أبو مسلم الحيل والمكايد من تفريقه بين اليمانية والنزارية بخراسان وغير ذلك مما احتال به على عدوه وقد كان لنصر بن سيار حروب كثيرة مع الكرمانى الى ان قتل

وقد ذكرنا فى الباب الاول قول لسان الدين رحمه الله تعالى فى قصيدته النونية

تلوّن اخوانى علىّ وقد جنت * على خطوب جمة ذات ألوان
وما كنت أدرى قبل أن يتنكروا * بأن خوانى كان مجمع خوانى
وكانت وقد حم القضاء صنائعى * على عمالا ارتضى شر أعوان

ولقد صدق رحمه الله تعالى على أنه قال هذه القصيدة فى النكبة الاولى التى انتقل فيها مع سلطانه الى المغرب كما مر مفصلا وكأنه عبر عن هذه المحنة الاخيرة التى ذهبت فيها نفسه على يد صنائعه الكاتب ابن زمرك والقاضى ابن الحسن سامح الله الجميع ورحم الله أبا اسحق التلمسانى صاحب الرجز فى الفرائض حيث يقول

الغدر فى الناس شيمة سلفت * قد طال بين الورى تصرفها
ما كل من قد سرت له نعم * منك يرى قدرها ويعرفها
بل ربما أعقب الجزاء بها * مضرة عز عنك مصرفها
أما ترى الشمس كيف تعطف بالنـ * ـور على البدر وهو يكسفها

وقال لسان الدين بعد ذكره أن ملك النصارى دن حانجه بن دن الفنش استنصر على أبيه بالسلطان المجاهد أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى ولاذ به ورهن عنده تاجه ذخيرة النصارى ولقيه بصخرة عباد من أحواز رندة فسلم عليه وقال ان أمير المسلمين لما فرغ من ذلك خاطب بلسان زناتة الماء ليغسل يده من قبلة الفنش أو مصافحته مانصه والشئ بالشئ يذكر فاثبت حكاية اتفقت لى بسبب ذلك أستدعى بها الدعاء ممن يحسن عنده موقعها وهى أن اليهودى الحكيم ابن زرزار على عهد ملك النصارى حفيد هذا الفنش المذكور وصل الينا بغرناطة فى بعض حوائجه ودخل الى بدار سكناى بمجاور القصر السلطانى بحمراء غرناطة وعندى القاضى اليوم بغرناطة وغيره من أهل الدولة وبيده كتاب من سلطان المغرب محمد ابن أبى عبد الرحمن ابن السلطان الكبير المولى أبى الحسن وكان محمد هذا قد ريح بصاحب قشتالة واستدعى من قبله الى الملك فسهل له ذلك وشرط عليه ما شاء وربما وصله خطابه بما لم يقنعه فى اطرائه فقال لى مولاى السلطان دن بطره يسلم عليك ويقول لك انظر مخاطبة هذا الشخص وكان بالامس كلبا من كلاب بابه حتى ترى خسارة الكرامة فيه فأخذت الكتاب من يده وقرأته وقلت له أبلغه عنى أن هذا الكلام ما جرّك اليه الا خلوّ بابك من الشيوخ الذين يعرفون بالكلاب وبالاسود عن تغسل الايدى منهم اذا قبلوها فتعلم من الكلب الذى تغسل اليد منه ومن لا وان جد هذا الولد هو الذى قبل جدك يده واستدعى الماء لغسل يده منه بمحضر النصارى والمسلمين ونسبة الجد الى الجد كنسبة الحفيد للحفيد وكونه لجأ الى بلادك ليس بعار عليه وأنت معرض الى اللجا اليه فيكافئك بأضعاف ما عاملته به فقام أبو الحسن المستقضى يبكى ويقبل يدى ويصفى بولى الله وكذلك من حضرنى وتوجه الى المغرب وسولاقة ص على بنى مرين خبر ما شاهده منى وسمعه وبالحضرة اليوم ممن تلقى منه ذلك كثير جعل الله تعالى ذلك خالصا لوجهه انتهى * وقد أثنى لسان الدين فى الاحاطة على القاضى ابن الحسن المذكور كما سيأتى وقال فى ترجمة السلطان ابن الاحمر ما نصه ثم قدم

وما كان بينه وبين سالم بن وغيرهما من الدعاة والمقيمين بخراسان للدعوة العباسية كسليمان ابن كثير وأبى داود خالد بن ابراهيم ونظرائهم وما كان من شعارهم عند اظهار الدعوة وتنادتهم حين الحروب يا محمد يا منصور والسبب الذى له ومن أجله أظهروا استعمال السواد دون سائر الالوان وطالت مكاتبة نصر بن سيار مروان واعلامه بما هو فيه واظهار أمر العباسية وتزايده فى كل وقت فكان فيما كتب به اليه اعلامه بحال أبى مسلم وحال من معه وانه كشف عن أمره وبحث عن حاله فوجده يدعو الى ابراهيم بن محمد ابن على بن عبد الله بن العباس وضمن كتابه أبياتا من الشعر وهى

أرى بين الرماد وميض جمر * ويوشك أن يكون له ضرام
فان النار بالعودين تذكى * وان الحرب أولها الكلام
فان لم تطفؤها تجن حربا * مشمرة يشيب لها الغلام
أقول من التعجب ليت شعرى * أأيقاظ أمية أم نيام
فان يك قومنا أضحوا نياما * فقل قوموا فقد حان القيام
فرى عن رحالك ثم قولى * على الاسلام والعرب السلام

فلما ورد الكتاب على مروان وجده مشتغلا للقضاء

للقضاء الفقيه الحسيب أبا الحسن وهو عين الاعيان عالقة المخصوص برسم الفضلة والقيام بالعقد والحل فسدد وقارب وحل الشكل وأحسن مصاحبة الخطبة والخطة وأكرم المشيخة مع النزاهة ولم يقف في حسن الثاني على غاية فاتفق على رجاحته ولم يقف في النصح عند غاية انتهى * وحين أظلم الجو بينه وبين لسان الدين ذكره في الكتيبة الكامنة عما باين ما سبق ولقبه بالجعسوس ولم يقنعه ذلك حتى ألف فيه خلع الرسن في وصف القاضي ابن الحسن وقد وقفت بفاس المحروسة على كتاب مطوّل كتبه ابن الحسن للسان الدين بعد تحوّله عن الاندلس ونص ما تعلق به الغرض هنا فشرعتم في الشراء وتشييد البناء وتركتم الاستعداد لهاذم اللذات هيهات هيهات تبنون ما لا تسكنون وتدخرون ما لا تأكلون وتؤملون ما لا تدركون أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة فاين المهرب عما هو كائن ونحن انما نتقلب في قدرة الطالب شرقتم أو غربتم والايام تتقاضى الدين وتنادي بالنفس الفرارة الى أين الى أين ونترك الكلام مع الناقد فيما ارتكبه من تزكية نفسه وعدما جلبه من مناقبه ما عداما هدد به من حديد لسانه خشية اندراجه في غط من قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه ولا غيبة فيمن ألقى جلباب الحياء عن وجهه وزجه على ما أبداه أو أهداه من العيوب التي تسبها الاخيه واستراح على قوله بما فيه ونذكره على طريقة نصيحة الدين بالحديث الثابت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع فقال ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فاذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ويعلم الله أن معنى هذا الحديث الثابت عن النذير الصادق هو الذي حملني على نصحكم ومراجعتكم في كثير من الامور منها الاشارة عليكم باذهاب عين ما كتبتم به في التاريخ وأمثاله فانكم تفعتم بما أوقعتم فيه من الغيبة المحرمة أحياء وأمواتا لغير شيء تحصل بيدكم وضررتم نفسكم بما رتبتم لهم من المطالبات بنص الكتاب والسنة قبلكم والرضا بهذه الصفقة الخاسرة أمر بعيد من الدين والعقل وقد قلت لكم غير مرة عن أطراسكم المسودة بما دعوتم اليه من البدعة والتلاعب بالشريعة ان حقها التخريق والتحريق وان من أطراها لكم فقد خدع نفسه وخدعكم والله الشهيد باني نصحتكم وما غششتكم وليس هذا القول وان كان ثقيلا عليكم بمخالف كل المخالفة لما ذنبتم به من تقدم المواجهة بالملاطفة والمعاملة بالمكارمة فليست المداراة بقادحة في الدين بل هي محمودة في بعض الاحوال مستحسنة على ما بينه العلماء اذ هي مقاربة في الكلام او مجاملة باسباب الدنيا لصلاحها او اصلاح الدين وانما المذموم المداهنة وهي بذل الدين لمجرد الدنيا والمصانعة به لتحصيلها ومن خالط للضرورة مثلكم وزايله باخلاقه ونصحه مخاطبة ومكاتبة واستدل له بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحة مقالته فقد سلم والحمد لله من مداهنته وقام لله تعالى بما يجب عليه في حقكم من التحذير والانكار مع الاشفاق والوجل وأكثرتم في كتابكم من المن بما ذكرتم

مروان بعد وقائع كثيرة بين كفرتوثى ورأس العين وكان الضحاك خرج من بلاد شهرزور ونصبت الخوارج بعد قتل الضحاك عليها الحري الشيباني فلما قتل الحري ولت الخوارج عليها أبا الذلفاء شيبان الشيباني وما كان من حروب مروان مع نعيم بن ثابت الجذامي وكان خرج عليه ببلاد طبرية والاردن من بلاد الشام حتى قتله مروان وذلك في سنة ثمان وعشرين ومائة فلم يدر مروان كيف يصنع في أمر نصر بن سيار وخراسان وانحيازه لما هو فيه من الحروب والفتن فكتب اليه مروان مجيبا عن كتابه ان الشاهد يرى ما لا يراه الغائب فاحسم الثؤلات قبلك فلما ورد الكتاب على نصر قال لخواص أصحابه أما صاحبكم فقد أعلمكم أن لا نصر عنده وأقام مروان أكثر أيامه لا يدنو من النساء الى أن قتل وبرزت له جارية من جواريه فقال لها والله لا دنوت منك ولا حللت لك عقدة وخراسان ترجف وتضطرم بنصر بن سيار وأبو مجرم قد أخذ منه بالمخنق وكان مع ما هو فيه

 يديم قراءة سير الملوك وأخبارها في حروبها من الفرس وغيرها من ملوك الامم وعنده بعض أوليائه

انكم صنعتم وعلى تقدير الموافقة لكم ليتكم ما فعلتم فسلمنا من المعرة وسلمتم وجل القائل سبحانه قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم وقلما شاركتم انتم في شئ الا باغراض حاصلة في يدكم ولاغراض دنيوية خاصة بكم فالملام اذن في الحقيقة انما هو متوجه اليكم واما ما أظهرتم بمقتضى حركاتكم وكلامكم من التندم على فراق محلكم والتعلل بأخبار قطركم واهلكم فتناقض منكم وان كنتم فيه بغدركم

اتبكي على ليلى وانت تركتها * فكنت كآت غيه وهو طائع
وما كل ما منتك نفسك خاليا * تلاقي ولا كل له انت تابع
فلا تبكين في اثر شئ ندامة * اذا نزعته من يديك النوازع

وعلى أن تأسفكم لما وقعتم فيه من الغدر لسلطانكم والخروج لا لضرورة غالبة عن أوطانكم من الواجب بكل اعتبار عليكم سيما وقد مددتم الى التمتع بغيرها عينيكم ولولم يكن بهذه الجزيرة الفريدة من الفضيلة الا ما خصت به من بركة الرباط ورحمة الجهاد لكفاها فخرا على ما يجاورها من سائر البلاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه وقال عليه الصلاة والسلام الروحة يروحها العبد في سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما فيها وعلى كل تقدير فاذا لم يكن يا أخي فراركم من الاندلس الى الله وحده بالتوبة المكملة والاستغفار مع الانقطاع في أحد المواطن المكرمة المعظمة بالاجماع وهي طيبة أومكة أوبيت المقدس فقد خسرتم صفقة رحلتكم وتبين أن لغير وجه الله العظيم كانت نية هجرتكم اللهم الا ان كنتم قد لاحظتم مسئلة الرجل الذي قتل مائة نفس وسأل اعلم أهل الارض فاشار عليه بعد ازماع التوبة بمفارقة المواطن التي ارتكب فيها الذنوب واكتسب بها العيوب فأمر آخر مع أن كلام العلماء في هذا الحديث معروف ويقال لكم من الجواب الخاص بكم فعليكم اذا بترك القيل والقال وكسر حربة الجدال والقتال وقصر ما بقي من مدة العمر على الاشتغال بصالح الاعمال ووقعت في مكتوبكم كلمات أوردها النقد في قالب الاستهزاء والازدراء والجهالة بمقادير الاشياء منها ريح صرصر وهو لغة القرآن وقاع قرقر وهو لفظ سيد العرب والعجم محمد صلى الله عليه وسلم ثبت في الصحيح في باب التغليظ فيمن لا يؤدي زكاة ماله قيل يا رسول الله البقر والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيأ تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها الحديث الشهير قال صاحب المعلم بطح لها بقاع قرقر أي ألقي على وجهه والقاع المستوى من الارض والقرقر كذلك هذا ما حضر من الجواب وبقي في مكتوبكم حشو كثير من كلام اقذاع وفحش بعيد من الحشمة والحياء رأيت من الصواب الاعراض عن ذكره وصون اليد عن الاستعمال فيه والظاهر أنه انما صدر منكم وأنتم بحال مرض فلا حرج فيه عليكم أسأل الله تعالى أجلكم ومكن امنكم وسكن وجلكم ومنه جل اسمه تسأل لي ولكم حسن الخاتمة والفوز بالسعادة الدائمة والسلام الاتم يعتمدكم والرحمات والبركات من كاتبه علي بن عبد الله بن الحسن وفقه الله وذلك بتاريخ أخريات جمادي الاولى من عام ثلاثة وسبعين وسبعمائة وقيد رحمه الله تعالى

المؤمنين عبد الملك فقال له الرجل وماذاك يا أمير المؤمنين قال حمل صاحب افريقية اليه جارية ذات بهاء وكمال تامة المحاسن شهية للمتأمل فلما وقفت بين يديه تأمل حسنها وبيده كتاب ورد من الحجاج وهو بدير الجماجم مواقعا لابن الاشعث فرمى بالكتاب عن يده وقال لها أنت والله منية النفس فقالت الجارية ما يمنعك يا أمير المؤمنين اذ كنت بهذا الوصف قال يمنعني والله منك بيت قاله الاخطل

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم
دون النساء ولو باتت باطهار

أ أتلذذ بالعيش وابن الاشعث مصاف لابي محمد وقد هلكت زعماء العرب لا ها الله اذا ثم أمر بصيانتها فلما قتل ابن الاشعث كانت أول جارية خلا بها ولما يئس نصر بن سيار من انجاد مروان كتب الى يزيد ابن عمر بن هبيرة الفزاري عامل مروان على العراق يستمده ويسأله النصرة على عدوه وضمن كتابه أبياتا من الشعر وهي

أبلغ يزيد وخير القول أصدقه
وقد تبينت أن لا خير في الكذب

بان أرض خراسان رأيت بها * بيضا لو افرخ قد حدثت بالعجب فراخ عامين الا انها كبرت *

لما يطرن وقد سترن بالرغب فان يطرن ولم يحتل لمن بها يلهبن نيران حرب أيما لهب

في مدرج على هذا الكتاب مانصه يا أخي ام لحي الله وايا كم بقي من الحديث شئ
الصواب الخروج عنه لكم اذ هذا أوانه وتأخير البيان عن وقت الحاجة فيه ما فيه وليكون
البناء بعد ان كان على أصل صحيح بحول الله وحاصله أنكم عددتم ماشاركتكم فيه بحسب
الاوقات وقطعتم بنسبة الامور كلها الى أنفسكم وأنها انما صدرت عن أمركم وباذنكم من
غير مشارك في شئ منها لكم ثم مننتم بها المن القبيح المبطل لعمل بركم على تقدير التسليم في
فعله لكم ورميتم غيركم بالتقصير في حاله كله طريقة من يبصر القذى في عين أخيه ويدع
الجذع في عينه وأقصى ما تسنى للعب ايام كونكم بالاندلس تقلد كلفة قضاء الجماعة وما كان
الا أن وليتها بقضاء الله وقدره فقد تبين لكل ذي عقل سليم أنه لا موجد الا الله وانه اذا كان
كذلك كان الخير والشر والطاعة والمعصية حاصلا بايجاده سبحانه وتخليقه وتكوينه من غير
عاضد له على تحصيل مراده ولا معين ولكنه جلت قدرته وعد فاعل الخير بالثواب فضلا منه
وأوعد فاعل الشر بالعقاب عدلا منه وكاني بكم تحكون من تقرير هذه المقدمة وما أحوجكم
الى تأملها بعين اليقين فكابدت أيام تلك الولاية النكدة من النكايا باستحقاركم للقضايا
الشرعية وتهاونكم بالامور الدينية ما يعظم الله به الاجر وذلك في جملة مسائل منها مسئلة
ابن الزبير المقتول على الزندقة بعد تقضي موجباته على كره منكم ومنها مسئلة ابن أبي
العيش المثقف في السجن على آرائه المضلة التي كان منها دخوله على زوجه اثر تطليقه اياها
بالثلاث وزعمه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره مشافهة بالاستمتاع بها فحملتم أحد
ناسكم تناول اخراجه من الثقاف من غير مبالاة بأحد ومنها أن أحد الفتيان المتعلقين بكم
توجهت عليه المطالبة بدم قتيل وسيق المدعى عليه للذبح بغير سكين فما وسعني بمقتضى الدين
الا حبسه على ما أحكمته السنة فأنفتم لذلك وسجنتم الطالب ولي الدم وسرحتم الفتى المطلوب
على الفور الى غير ذلك مما لا يسع الوقت شرحه ولا يجمل لي ولا بكم ذكره والمسئلة الاخرى
أنتم توليتم كبرها حتى جرى فيها القدر بما جرى به من الانفصال والحمد لله على كل حال
وأما الرمي بكذا وكذا مما لا علم لنا بسببه ولا عذر لكم من الحق في التكلم به فشئ قلما يقع
مثله من البهتان ممن كان يرجو لقاء ربه وكلامكم في المدح والهجو هو عندي من قبيل
اللغو الذي نمر به كراما والحمد لله فكثروا أو قللوا من أي نوع شئتم أنتم وما ترضونه لنفسكم
وما فهت لكم بما فهت من الكلام الا على جهة الاعلام لا على جهة الانفعال لما صدر
أو يصدر عنكم من الاقوال والافعال فذهي غير مذهبكم وعندي ما ليس عندكم وكذلك
رأيتكم تكثرون في مخاطباتكم من لفظ الرقية في معرض الانكار لوجود نفعها والرمي
بالمنقصة والحق لمستعملها ولو كنتم قد نظرتم في شئ من كتب السنة وسير الامة المسلمة
نظر مصدق لما وسعكم انكار ما أنكرتم وكتبه بخط يدكم فهو قادح كبير في عقيدة دينكم
فقد ثبت بالاجماع في سورة الفلق أنها خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأنه المراد بها هو وآحاد
أمته وفي أمهات الاسلام الخمس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى رقاه
جبريل فقال بسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك ومن شر حاسد اذا حسد ومن شر كل ذي عين
وفي الصحيح أيضا ان ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا في سفر فمروا بحي من

فلم يجبه يزيد بن عمر عن كتابه وتشاغل بدفع فتن العراق ودخلت خوارج اليمن مكة والمدينة وعليهم أبو حمزة المختار بن عوف الازدي و بلج بن عقبة الازدي وهما فيمن معهما يدعون الى عبد الله ابن يحيى الكندي وكان قد سمى نفسه بطالب الحق وخوطب بامير المؤمنين وكان أباضي المذهب من رؤساء الخوارج وذلك في سنة تسع وعشرين ومائة وفي سنة ثلاثين ومائة جهز مروان بن محمد جيشا مع عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي فلقي الخوارج بوادي القرى فقتل بلج وفر أبو حمزة وأكثر من كان معه من الخوارج وسار عبد الملك في جيش مروان من أهل الشام يريد اليمن وخرج عبد الله بن يحيى الكندي الخارجي من صنعاء فالتقوا بناحية الطائف وأرض جرش فكانت بينهم حرب عظيمة قتل فيها عبد الله بن يحيى وأكثر من كان معه من الاباضية ولحق بقية الخوارج ببلاد حضرموت فأكثرها أباضية الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ولا فرق بينهم وبين من بعمان من الخوارج في هذا الوقت وسار عبد الملك في جيش مروان فنزل صنعاء وذلك

أحياء العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم فقالوا هل فيكم راق فان سيد الحي لديغ أو مصاب فقال رجل من القوم نعم فاتاه فرقاه بفاتحة الكتاب فبرئ الرجل فاعطى قطيعا من غنم الحديث الشهير قال أهل العلم فيه دليل على جواز أخذ الاجرة على الرقية والطب وتعليم القرآن وهو قول مالك وأحمد والشافعي وأبي ثور وجماعة من السلف وفيه جواز المقارضة وان كان ضد ذلك أحسن وفي هذا القدر كفاية وما رقيت قط أحدا على الوجه الذي ذكرتم ولا استرقيت والحمد لله وما حملني على تبيين ما بينته الآن لكم في المسئلة الا ارادة الخير التام لجهتكم والطمع في اصلاح باطنكم وظاهركم فاني أخاف عليكم من الافصاح بالطعن في الشريعة ورمي علمائها بالمنقصة على عادتكم وعادة المستخف ابن هذيل شيخكم منكر علم الجزئيات القائل بعدم قدرة الرجل اسمه على جمع الممكنات وأنتم قد انتقلتم الى جوار أناس أعلام قلما تجوز عليهم حفظهم الله المغالطات فتأسركم شهادة العدول التي لا مدفع لكم فيها وتقع الفضيحة والدين النصيحة اعاذنا الله من درك الشقاء وشماتة الاعداء وجهد البلاء وكذلك احذركم من الوقوع بما لا ينبغي في الجناب الرفيع جناب سيد المرسلين وقائد الغر المحجلين صلوات الله وسلامه عليه فانه نقل عنكم في هذا الباب أشياء منكرة يكبر في النفوس التكلم بها أنتم تعلمونها وهي التي زرعت في القلوب ما زرعت من بغضكم وايثار بعدكم مع استشعار الشفقة والوجل من وجه آخر عليكم ولولا انكم سافرتم قبل تقاص ظل السلطنة عنكم لكانت الامة المسلمة امتعاضا لدينها ودنياها قد برزت بهذه الجهات لطلب الحق منكم فليس يعلم أنه صدر عن مثلكم من خدام الدول ما صدر عنكم من العيث في الابشار والاموال وهتك الاعراض وافشاء الاسرار وكشف الاستار واستعمال المكر والحيل والغدر في غالب الاحوال للشريف والمشروف والخادم والمخدوم ولو لم يكن في الوجود من الدلائل على صحة ما رضيتم به لنفسكم من الاتسام بسوء العهد والتجاوز المحض وكفران النعم والركون الى ما تحصل من الحطام الزائل الا عملكم مع سلطانكم مولاكم وابن مولاكم أيده الله بنصره وما ثبت من مقالاتكم السيئة فيه وفي الكثير من أهل قطره لكفاكم وصمة لا يغسل دنسها البحر ولا ينسى عارها الدهر فانكم تركتموه أولا بالمغرب عند تلون الزمان وذهبتم للكدية والاخذ بمقتضى المقامة الساسانية الى أن استدعاه الملك وتخلصت له بعد الجهد الاندلس فسقطتم عليه سقوط الذباب على الحلواء وضربتم وجوه رجاله بعضا ببعض حتى خلا لكم الجو وعكن الامر والنهي فهمزتم ولمزتم وجمعتم من المال ما جمعتم ثم وريتم بتفقد ثغر الجزيرة الخضراء مكرا منكم فلما بلغتم أرض الجبل انحرفتم عن الجادة وهربتم بأثقالكم الهروب الذي أنكره عليكم من بلغه حديثكم او يبلغه الى آخر الدهر في العدوتين من مؤمن وكافر وبر وفاجر فكيف يستقيم لكم بعد المعرفة تبصر فاتكم حازم او يثق بكم في قول او فعل صالح أو طالح ولو كان قد بقي لكم من العقل ما تتفكرون به في الكيفية التي ختمتم بها عملكم بالاندلس من الزيادة في المغرم وغير ذلك مما لكم وزره ووزر من عمل به بعدكم الى يوم القيامة حسبما ثبت في الصحيح لحملكم على مواصلة الحزن وملازمة الاسف والندم على ما أوقعتم فيه نفسكم من الامارة من التورط

واحتوى عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر على بلاد اصطخر وغيرها من أرض فارس الى أن رفع عنها وصار الى خراسان فقبض عليه أبو مسلم وقد ذكرنا من يقول بامامته وينقاد الى دعوته في كتابنا المقالات في أصول الديانات في باب تفرق الشيعة ومذاهبهم وقوى أمر أبي مسلم وغلب على أكثر خراسان وضعف نصر بن سيار من عدم النجدة فخرج عن خراسان حتى أتى الري وخرج عنها فنزل ساوة بين بلاد همذان والري فمات بها كذا وكان نصر بن سيار لما صار بين الري وخراسان كتب كتابا الى مروان يذكر فيه خروجه عن خراسان وأن هذا الامر الذي أزعجه سينمو حتى يملأ البلاد وضمن ذلك أبياتا من الشعر وهي

أنا وما نكتم من أمرنا
كالثور اذ قرب للناخع
أو كالتي يحسبها أهلها
عذراء بكرا وهي في التاسع
كنا نرفيها فقد مزقت
واتسع الخرق على الراقع
كالثوب اذ أنهج فيه البلى
أعيا على ذي الحيلة الصانع

فلم يستتم مروان قراءة هذا الكتاب حتى مثل أصحابه بين يديه ممن كان قد وكل بالطرق رسولا من خراسان

والتنشب

والتذبذب في أشطان الآمال ووساوس الشيطان ونعوذ بالله من شرور الانفس وسيآت الاعمال وأما قولكم عن فلان انه كان حشرة في قلوب اللوز وان فلانا كان برغوثا في تراب الجحول فكلام سفساف يقال لكم من الجواب عليه وأنتم يا هذا أين كنتم منذ خمسين سنة مثلا خلق الله الخلق لا استظهارا بهم ولا استكثارا وأنشأهم كما قدر أحوالا وأطوارا واستخلفهم في الارض بعد أمة أمما وبعد عصر أعصارا وكلفهم شرائعه وأحكامه ولم يتركهم هملا وأمرهم ونهاهم ليبلوهم أيهم أحسن عملا ان أكرمكم عند الله أتقاكم وبكل اعتبار فلا نعلم في نمط الطلبة تدريجا كان أسرع من تدريجكم ونبذة من ذا فانه كان كذا وأكثر أهل زمانه تحملا وتقللا في نفقه بالنسبة الى منصبه كان الشيخ أبو الحسن بن الجياب ولكنه حين علم رحمه الله تعالى من نشأتكم وحالتكم ما لم نبذ مصاهرتكم وصرف عليكم صداقكم وكذلك فعلت بنت جزي زوج الرهوني معكم حسبما هو مشهور في بلدكم وذكرتم انكم ما زلتم من أهل الغنى حيث نقرتم بذكر العرض وهو بفتح العين والراء حطام الدنيا على ما حكى أبو عبيد وقال أبو زيد هو بسكون الراء المال الذى لا ذهب فيه ولا فضة وأي مال خالص يعلم لكم او لابيكم بعد الخروج من الثقاف على ما كان قد تبقى عنده من مجبى قرية متراب ثم من العدد الذى برز قبلكم أيام كانت أشغال الطعام بيدكم على ما شهد به الجمهور من أصحابكم وأما الفلاحة التى أشرتم اليها فلا حق لكم فيها اذ هي في الحقيقة لبيت مال المسلمين مع ما بيدكم على ما تقرر في الفقهيات والمعدوم شرعا كالمعدوم حسا ولو قبل من أهل المعرفة بكم بعض ما لديهم من سقطاتكم في القال والقيل ولم يصرف الى دفع معرتها عنكم وجه التأويل لكانت مسئلتكم ثانية لمسئلة أبي الخير بل أبي الشر الحادثة أيام خلافة الحكم المسطورة في نوازل أبي الاصبغ بن سهل فاعلموا ذلك ولا تهملوا الاشارة عليكم قديما وحديثا بلزوم الصلوات وحضور الجماعات وفعل الخيرات والعمل على التخلص من التبعات ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقلتم في كتابكم ان الخطط المتوارثة عن الآباء والاجداد وقد اذهب الله عنا ببركة الملة المحمدية عيبة الجاهلية في التفاخر بالآباء ولكني أقول لكم على جهة المقابلة لكلامكم ان كانت الاشارة الى الحسب بهذا في المعلوم المتحقق عند أفاضل الناس أنه من حيث الاصالة أحد أماثل قطره قال القاضي أبو عبد الله بن عسكر وقد ذكر في كتابه من سلفي فلان بن فلان ما نصه وبيته بيت قضاء وعلم وجلالة لم يزالوا يرثون ذلك كابرا عن كابر استقضى جده المنصور بن أبي عامر وقاله غيره وغيره ويبدي من عهود الخلفاء وصكوك الامراء المكتتبة بخطوط أيديهم من لدن فتح جزيرة الاندلس الى هذا العهد القريب ما تقوم به الحجة القاطعة للسان الحاسد والجاحد والمنة لله وحده وان كانت الاشارة للغير من الاصحاب في الوقت حفظهم الله فكل واحد منهم اذا نظر اليه بعين الحق وجد أقرب منكم نسبا للخطط المعتبرة وأولى بميراثها بالفرض والتعصيب او مساويا على فرض المسامحة لكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره حرام دمه وماله وعرضه ونرجع الى طريقة أخرى فنقول من كان يا فلان من قومكم في عمود نسبكم نبيها مشهورا او كاتبا قبلكم معروفا او شاعرا مطبوعا او رجلا

من أبي مسلم الى ابراهيم بن محمد الامام يخبره فيه خبره وما آل اليه أمره فلما تأمل مروان كتاب أبي مسلم قال للرسول لا ترع كم دفع لك صاحبك قال كذا وكذا قال فهذه عشرة آلاف درهم لك وانما دفع اليك شيأ يسيرا وامض بهذا الكتاب الى ابراهيم ولا تعلمه بشئ مما جرى وخذ جوابه فائتني به ففعل الرسول ذلك فتأمل مروان جواب ابراهيم الى أبي مسلم بخطه يأمره فيه بالجد والاجتهاد والحيلة على عدوه وغير ذلك من أمره ونهيه فاحتبس مروان الرسول وكتب الى الوليد ابن معاوية بن عبد الملك وهو على دمشق يأمره أن يكتب الى عامل البلقاء فيسير الى القرية المعروفة بالكداد والحميمة ليأخذ ابراهيم بن محمد فيشده وثاقا ويبعث به اليه في خيل كثيفة فوجه الوليد الى عامل البلقاء وهو جالس في مسجد القرية فأخذوه ملففا وحمل الى الوليد فحمله الى مروان فحبسه في السجن شهرين وقد كان جرى بين ابراهيم ومروان خطب طويل حين سأل ابراهيم وأنكر كل ما ذكره له مروان من أمر أبي مسلم فقال له مروان يا منافق أليس هذا كتابك الى أبي مسلم جوابا عن كتابه اليك وأخرج اليه الرسول وقال أتعرف هذا فلما رأى ذلك ابراهيم أمسك وعلم

نبيها مذكورا ولو كان بالوشي وكان لكان من الواجب الرجوع الى التناصف والتواصل والتواضع وترك التحاسد والتباغض والتقاطع ان الله لا ينظر الى صوركم وابدانكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم وكذلك العجب كل العجب من تسميتكم الخربات التي شرعتم في بنائها بدار السلامة وهيهات هيهات المعروف من الدنيا أنها دار بلاء وجلاء وعناء وفناء ولولم يكن من الموعظة الواقعة بتلك الدار في الوقت الاموت سعيد كم عند دخولها الاغنا كم عن العلم اليقين بما آلها وأظهرتم سرورا كثيرا بما قلتم انكم نلتم حيث أتم من الشهوات التي ذكرتم ان منها الاكثار من الاكل والخرق والقعود بازاء جارية الماء على نطع الجلد والامساك أولى بالجواب على هذا الفصل فلا خفاء بما فيه من الخسة والخبائث والخبث وبالجملة فسرور العاقل انما ينبغي أن يكون بما يحمل تقدمه من زاد التقوى للدار الباقية فما العيش كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعيش الآخرة فقدموا ان قبلتم وصاة الحبيب او البغيض بعضا عسى أن يكون لكم ولا تخلفوا كلا يكون عليكم هذا الذي قلته لكم وان كان لدى من يقف عليه من نمط الكثير فهو باعتبار المكان ومامر من الزمان في حيز اليسير وهو في نفسه قول حق وصدق ومستند أكثره كتاب الله وسنة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى سائر أنبيائه فاحمدوا الله العلي العظيم على تذكيركم به اذهو جار مجرى النصيحة الصريحة يسرني الله واياكم لليسرى وجعلنا ممن ذكر فانتفع بالذكرى والسلام انتهى كلام القاضي ابن الحسن النباهي في كتابه الذي خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى وأين هذا الكلام الذي صدر من ابن الحسن في حقه من انشاء لسان الدين رحمه الله تعالى في تولى ابن الحسن المذكور القضاء وهو هذا ظهير كريم انتج مطلوب الاختيار قياسه ودل على مارضي الله عز وجل التماسه وأطلع نور العناية الذي يجلو الظلام نبراسه واعتمد بمثابة العدل من عرف باقتراع هضبتها ناسه وألقى بيد المعتمد به زمام الاعتقاد الجميل تروق أنواعه وأجناسه وشيد مبني العز الرفيع في قبة الحسب المنيع وكيف لا والله بانيه والمجد أساسه أمر به وأمضى العمل بمقتضاه وحسبه أمير المسلمين عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد اسمعيل بن فرج ابن نصر أيد الله أوامره وخلد مفاخره لقاضي حضرته العلية وخطيب حمرائه السنية المخصوص لديه بترفيع المزية المصرف اليه خطاب القضاة بالمملكة النصرية قاضي الجماعة ومصرف الاحكام الشرعية المطاعة الشيخ الكذا أبي الحسن ابن الشيخ الكذا أبي محمد بن الحسن وصل الله سعادته وحرس مجادته وبنى من فضله ارادته عصب منه جبين المجد بتاج الولاية وأجال قداح الاختيار حتى بلغ الغاية وتجاوز النهاية ما ألقى منه بيمين عرابة الراية وأحله منه محل اللفظ من المعنى والاعجاز من الآية وحشر الى مدعاة ترفيعه وجوه البر وأعيان العناية وأنطق بتجليه ألسن أهل جيله بين الافصاح والكناية ولما كان له الحسب الاصيل الذي شهدت به ورقات الدواوين والاصالة التي قامت عليها صحاح البراهين والآباء الذين اعتد بعضاء قضاتهم الدين وطبق مفاصل الحكم بسيوفهم الحق المبين وأزدان بعجالسة وزرائهم السلاطين فمن فارس حكم أو حكيم تدبير

أمية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان والعباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وكان مروان قد خافهما على نفسه وخشي أن يخرجا عليه ومن بني هاشم عيسى بن علي وعبد الله بن علي وعيسى بن موسى فذكر أبو عبيدة التغلبي وكان معهم في الحبس أنه هجم عليهم في الحبس وذلك بحران جماعة من موالي مروان من العجم وغيرهم فدخلوا البيت الذي كان فيه ابراهيم والعباس وعبد الله فأقاموا عندهم ساعة ثم خرجوا وأغلق باب البيت فلما أصبحنا دخلنا عليهم فوجدناهم قد أتى عليهم ومعهم غلامان صغيران من خدمهم كالموتى فلما رأيانا أنسا بنا فسألناهما الخبر فقالا أما العباس وعبد الله فجعل على وجوههما مخاد وقعد فوقهما فاضطربا ثم بردا وأما ابراهيم فانهم جعلوا رأسه في جراب كان معهم فيه نورة مسحوقة فاضطرب ساعة ثم خمد وكان في الكتاب الذي قرأه مروان من ابراهيم الى أبي مسلم أبيات من الرجز بعد

خطب طويل منها دونك أمرا قد بدت أشراطه * ان السبيل واضح صراطه * لم يبق الا السيف واختراطه وقاض

وقاض في الامور الشرعية ووزير أوجامع بينهما جمع سلامة لا جمع تكسير تعدد ذلك واطرد ووجد مشرع المجد عذبا فورد وقصرت النظراء عن مداه فانفرد وفرى الفرى في يد الشرع فأشبه السيف البرد وجاء في أعقابهم محييا المدارس بما حقق ودرس جانيا لما بذر السلف المبارك واغترس طاهر النشأة وقورها محمود السجية مشكورها متحليا بالسكينة حالا من النزاهة بالمكانة المكينة ساحبا أذيال الصون بعيدا عن الاتصاف بالفساد من لدن الكون خطبته الخطط العليه واغتبطت به الجادة الاوليه واستعملته دولته التي ترتاد أهل الفضائل للرتب واستظهرت على المناصب بابناء التقى والحسب والفضل والمجد والادب ممن يجمع بين الطارف والتالد والارث والمكتسب فكان معدودا من عدول قضاتها وصدور نبهائها وأعيان وزرائها وأولي آرائها فلما زان الله تعالى خلاقته بالتمحيص المتجلي من التقصيص وخلص ملكه الاصيل كالذهب الابريز بعد التخليص كان ممن صحب ركابه الطالب للعق بسيف الحق وسلك في مظاهرته أوضح الطرق وجادل من حاده بأمضى من الحداد الذلق واشتهر خبر وفائه في الغرب والشرق وصلى به صلاة السفر والحضر والامن والحذر وخطب به في الاماكن التي بعد بذكر الله عهدها وخاطب عنه أيده الله تعالى المخاطبات التي حمد قصدها حتى استقل ملكه فوق سريره وابتهج منه الاسلام بأميره وابن أميره ونزل الستر على العباد والبلاد بيركة آبائه وعن تدبيره وكان الجليس المقرب المحل والحظي المشاور في العقد والحل والرسول المؤتمن على الاسرار والامين على الوظائف الكبار عزين المجلس السلطاني بالوقار ومتحف الملك بغريب الاخبار وخطيب منبره العالي في الجمعات وقارئ الحديث لديه في المجتمعات ثم رأى أيده الله تعالى أن يشرك رعيته في نفعه ويصرف عوامل الحظوة على مزيد رفعه ويجلسه مجالس الشارع صلوات الله عليه لايضاح شرعه واصله الوثيق وفرعه وقدمه أعلى الله تعالى قدمه وشكر آلاءه ونعمه قاضيا في الامور الشرعية وفاصلا في القضايا الدينية بحضرة غرناطة العلية تقديم الاختيار والانتقاء وأبقى له فخر السلف على الخلف والله سبحانه يمتعه بطول البقاء فليتول ذلك عادلا في الحكم مهتديا بنور العلم مسويا بين الخصوم حتى في لحظه والتفاته متصفا من الحلم بأفضل صفاته مهيبا في الدين رؤفا بالمؤمنين جزلا في الاحكام مجتهدا في الفصل بامضى حسام مراقبا لله عزوجل في النقض والابرام وأوصاه بالمشورة التي تقدح زناد التوفيق والتثبت حتى يتبع قياس التحقيق بارا بمشيخة أهل التوثيق عادلا الى سعة الاقوال عند المضيق سائرا من مشورة المذهب على أهدى طريق وصية اصدرها له مصدر الذكرى التي تنفع ويعلي الله بها الدرجات ويرفع والا فهو عن الوصاة غني وقصده قصد سني والله عزوجل ولي اعانته والحارس من التبعات اكناف ديانته والكفيل بحفظه من الشبهات وصيانته وأمر أيده الله تعالى أن ينظر في الاحباس على اختلافها والاوقاف على شتى أصنافها واليتامى التي أسدلت كفالة القضاة على اضعافها فيذودعنها طوارق الخلل ويجري امورها بما يتكفل لها بالامل وليعلم أن الله عزوجل يراه وأن فلتات الحكم تعاوده

جميع ما قيل في ذلك في الكتاب الاوسط وكذلك ما كان من قحطبة وابن هبيرة على الفرات وغرق قحطبة فيه ودخول ابنه الحسن بن قحطبة الكوفة وسار مروان حتى نزل على الزاب الصغير وعقد عليه الجسر وأتاه عبد الله بن علي في عساكر أهل خراسان وقوادهم وذلك لليلتين خلتا من جمادي الآخرة من سنة اثنتين وثلاثين ومائة فالتقى مروان وعبد الله بن علي وقد كردس مروان خيله كراديس ألفا وألفين فكانت على مروان فانهزم وقتل وغرق من أصحابه خلق عظيم فكان فيمن غرق في الزاب من بني أمية ذلك اليوم ثلثمائة رجل دون من غرق من سائر الناس وكان فيمن غرق في الزاب في ذلك اليوم من بني أمية ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك المخلوع وهو أخو يزيد الناقص وقد قيل في رواية أخرى ان مروان كان قد قتل ابراهيم بن الوليد قبل هذا الوقت وصلبه وكانت هزيمة مروان من الزاب في يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادي الآخرة في سنة اثنتين وثلاثين ومائة ومضى مروان في هزيمته حتى أتى الموصل فمنعه أهلها من

المراجعة فى اخراه فيدرع جنة تقواه وسبحان من يقول ان الهدى هدى الله فعلى من يقف عليه أن يعرف أمر هذا الاجلال صائنا منصبه من الاخلال مبادرا أمره الواجب بالامتثال بحول الله وكتب فى الثالث من شهر الله المحرم فاتح عام اربعة وستين وسبعمائة عرف الله سبحانه فيه هذا المقام العلى عوارف النصر المبين والفتح القريب بمنه وكرمه فهو المستعان لارب غيره انتهى ونظير هذا ما أنشأه لسان الدين على لسان سلطانه للكاتب أبى عبد الله بن زمرك حين تولى كتابة السر ونصه هذا ظهير كريم نصب المعتمد به للامانة الكبرى ببابه فرفعه وأفرده بمتلو العز وجمعه واوتره وشفعه وقربه فى بساط الملك تقريبا فتح له باب السعادة وشرعه وأعطاه لواء القلم الاعلى فوجب على من دون رتبته من أولى صنعته أن يتبعه ورعى له وسيلة السابقة عند استخلاص الملك لما ابتزه الله من يد الغاصب وانتزعه وحسبك من زمام لا يحتاج الى شئ معه أمر به امير المسلمين محمد للكذا الكذا فلان وصل الله سعادته وحرس مجادته أطلع الله تعالى له وجه العناية ابهى من الصبح الوسيم وأقطعه جناب الانعام الجسيم وأنشقه آراج الحظوة عاطرة النسيم ونقله من كرسى التدريس والتعليم الى مرقى التنويه والتكريم والرتبة التى لا يلقاها الا ذوحظ عظيم وجعل اقلامه جياد الاجالة أمره العلى وخطابه السنى فى ميدان الاقاليم ووضع فى يده أمانة القلم الاعلى جاريا من الطريقة المثلى على المنهج القويم واختصه بعزية التفوق على كتاب بابه والتقديم لما كان ناهض الفكر فى طلبة حضرته زمن البداية ولم تزل تظهر عليه لاولى التطميز مخايل هذه العناية فان حضر فى حلق العلم جلى فى حلبة الحفاظ الى الغاية وان نظم اونثر أتى بالقصائد المصقولة والمخاطبات المنقولة فاشتهر فى بلده وغير بلده وصارت أزمة العناية طوع يده بما أوجب له المزية فى يومه وغده وحين رد الله عليه ملكه الذى جبر به جناح الاسلام وزين وجوه الليالى والايام وأدال الضياء من الظلام كان ممن وسمه الوفاء وشهره وعجم الملك عود خلوصه وخبره فحمد أثره وشكر ظاهره ومضمره واستصحب على ركابه الذى صحب اليمن سفره واخلصت الحقيقة نفره وكفل الله ورده وصدره معون النقيبة حسن الضريبة صادقا فى الاحوال المريبة ناطقا عن مقامه بالمخاطبات الهجيبة واصلا الى المعانى البعيدة بالعبارة القريبة مبرزا فى الخدم الغريبة حتى استقام العماد ونطق بصدق الطاعة الحى والجماد ودخلت فى دين الله أفواجا العباد والبلاد لله الحمد على نعمه الثرة العهاد وآلائه المتوالية الترداد رعى له أيده الله هذه الوسائل وهو احق من رعاها وشكر له الخدم المشكور مسعاها فنص عليه الرتبة الشماء التى خطبها بوفائه وأنسه أثواب اعتنائه وفسح له مجال آلائه وقدمه أعلى الله قدمه كاتب السر وأمين النهى والامر تقديم الاختيار بعد الاختبار والاغتباط بخدمته الحسنة الآثار وتمن باستخدامه قبل الحلول بدار الملك والاستقرار وغير ذلك من موجبات الاكبار فليتول ذلك عارفا بقدر داره مقتفيا لآثاره مستعينا بالكتم لاسراره والاضطلاع بما يحمد من أمانته وعفافه ووقاره معطيا هذا الرسم حقه من الرياسة عارفا بانه أكبر أركان السياسة حتى يتأكد الاغتباط بتقريبه وادنائه

بها وقد كان أهل حران قاتلهم الله تعالى حين أزيل ابن أبى تراب يعنى على بن أبى طالب رضى الله عنه عن المنابر يوم الجمعة امتنعوا من ازالته وقالوا الاصلاة الا بلعن أبى تراب وأقاموا على ذلك سنة حتى كان من امر المشرق وظهور المسودة ما كان وامتنع مروان من ذلك لانحراف الناس عنهم وخرج مروان فى أهله وسائر بنى أمية عن حران وعبر الفرات ونزل عبد الله ابن على على باب حران فهدم قصر مروان وقد كان أنفق عليه عشرة آلاف درهم واحتوى على خزائن مروان وأمواله وسار مروان فيمن معه من خواصه وعياله حتى انتهى الى نهر أبى فطرس من بلاد فلسطين والاردن فنزل عليه وسار عبد الله ابن على حتى نزل دمشق فحاصرها وفيها يومئذ الوليد بن معاوية بن عبد الملك فى خمسين ألف مقاتل فوقعت بينهم العصبية فى فضل اليمن على نزار ونزار على اليمن فقتل الوليد بن معاوية وقد قيل ان أصحاب عبد الله بن على قتلوه وأتى عبد الله بن على يزيد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان وعبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وتتوفر

وتتوفر أسباب الزيادة في اعلائه وهو ان شاء الله غني عن الوصاة فهما ثاقبا يهتدي بضيائه
وهو يعمل في ذلك أقصى العمل المتكفل ببلوغ الامل وعلى من يقف عليه من حملة
الاقلام والكتاب الاعلام وغيرهم من الكافة والخدام أن يعرفوا قدر هذه العناية
الواضحة الاحكام والتقديم الراسخ الاقدام ويوجبوا ما أوجب من البر والاكرام
والاجلال والاعظام بحول الله وكتب في كذا انتهى فانظر رضاني الله واياك من
الاغيار وكفانا شر من كفر الصنيعة التي هي على النقص عنوان ومعيار الى حال الوزير
لسان الدين بن الخطيب مع هذين الرجلين القاضي ابن الحسن والوزير ابن زمرك اللذين
تسببا في هلاكه حتى صار أثرا بعد عين مع تنويهه بهما في هذا الانشاء وغيره وتفيئهما
كما هو معلوم ظلال خيره فقابلاه بالغدر وأظهرا عند الامكان حقد القلب وغل الصدر
وسددا اليه سهاما وقسيا وصيرا سبيل الوفاء نسيا منسيا ولا حول ولا قوة الا بالله
ومن انشاء لسان الدين في حق القاضي ابن الحسن أيضا حين أضيفت اليه الخطابة الى القضاء
على لسان سلطانه هذا ظهير كريم أعلى رتبة الاحتفاء اختيارا واختبارا وأظهر معاني
الكرامة والتخصيص انتقاء واصطفاء وايثارا ورفع لواء الجلالة على من اشتمل عليه حقيقة
واعتبارا ورقى في درجات العز من طاولها على بهر أنوارا ودينا كرم في الصالحات آثارا
وزكا في الاصالة نجارا وخلوص الى هذا المقام العلي السعيد الذي راق اظهارا واضمارا
أمر به وأمضاه وأنفذ حكمه ومقتضاه أمير المسلمين عبد الله محمد الى آخره للشيخ الكذا
القاضي العدل الارضى قاضي الجماعة وخطيب الحضرة العلية المخصوص لدى المقام العلي
بالحظوة السنية والمكانة الحفية الموقر الفاضل الحافل الكامل المبرور أبي الحسن
ابن الشيخ الفقيه الوزير الاجل الاعز الماجد الاسنى المرفع الاحفل الاصلح المبارك
الاكمل الموقر المبرور المرحوم أبي محمد بن الحسن وصل الله عزته ووالى رفعته ومبرته
ووهب له من صلة العناية الربانية أمله وبغيته لما أصبح في صدور القضاة العلماء مشارا
اليه جلاله مستندا الى معرفته المخصوصة بكماله مبرزا على الافادة العلمية والادبية
بمحاسنه البديعة وخصاله محفوفا معقد الحكم النبوي ببركة عدالته وفضل خلاله وحل
في هذه الحضرة العلية المحل الذي لا يرقاه الا عين الاعيان ولا يتبوأ مهاده الا مثله من أبناء
المجد الثابت الاركان وموئل العلم الواضح البرهان والمبرزين بالمآثر العلية في الحسن
والاحسان وتصدر لقضاء الجماعة فصدرت عنه الاحكام الراجحة الميزان والانظار الحسنة
الاثر والعيان والمقاصد التي وفت بالغاية التي لا تستطاع في هذا الميدان فكم من قضية
جلا بمعارفه مشكلها ونازلة مبهمة فتح بادراكه مقفلها ومسئلة عرف نكرتها وقرر
مهملها حتى قرت بعدالته وجزالته العيون وصدقت فيه الآمال الناجحة والظنون
وكان في تصدره لهذه الولاية العظمى من الخير والخيرة ما عسى أن يكون كان أحق
بالتشفيع لولاياته وأولى وأجدر بمضاعفة النعم التي لا تزال تترادف على قدره الاعلى
فلذلك أصدر له أيده الله هذا الظهير الكريم مشيدا بالترفيع والتنويه ومؤكدا
للاحتفاء الوجيه وقدمه أعلى الله قدمه وشكر نعمه خطيبا بالجامع الاعظم من

فحملهما الى أبي العباس السفاح فقتلهما وصلبهما بالحيرة وقتل عبد الله بن
على بدمشق خلقا كثيرا
ولحق مروان بمصر ونزل
عبد الله بن علي على نهر
أبي فطرس فقتل من بني
أمية هنالك بضعا وثمانين
رجلا وذلك في يوم الاربعاء
للنصف من ذي القعدة
سنة اثنتين وثلاثين ومائة
وقتل بالبلقاء سليمان بن
يزيد بن عبد الملك وحمل
رأسه الى أبي عبد الله
ابن علي ورحل صالح بن
علي في طلب مروان ومعه
أبو عون عبد الملك بن
يزيد وعامر بن اسمعيل
المذحجي فلحقوه بمصر وقد
نزل بوصير فبايتوه وهجموا
على عسكره وضربوا بالطبول
وكبروا ونادوا بالثارات
ابراهيم فظن من في عسكر
مروان أن قد أحاط بهم
سائر المسودة فقتل مروان
وقد اختلف في كيفية
قتله في المعركة في تلك
الليلة وكان قتله ليلة الاحد
لثلاث بقين من ذي الحجة
سنة اثنتين وثلاثين ومائة
ولما قتل عامر بن اسمعيل
مروان وأراد الكنيسة
التي فيها بنات مروان
ونساؤه اذا بخادم لمروان
شاهر السيف يحاول
الدخول عليهن فأخذوا
الخادم فسئل عن أمره
فقال أمرني مروان اذا هو
قتل أن أضرب رقاب بناته ونسائه فلا تقتلوني فانكم والله ان قتلتموني ليفقدن ميراث رسول الله صلى الله

حضرته مضافا ذلك الى ولايته ورفيع منزلته مرافقا لمن بالجامع الاعظم عمره الله
بذكره من علية الخطباء وكبار العلماء وخيار النبهاء الصلحاء فليتداول ذلك في جماعته
مظهرا في الخطة أثر بركاته وحسناته عاملا على ما يقربه عند الله من مرضاته ويظفره
بجزيل مثوباته بحول الله وقوته انتهى فهذا ثناء لسان الدين المرحوم على القاضي ابن
الحسن واشادته بذكره وباشارته وتدبيره ولي قضاء القضاة وخطابة الجامع الاعظم بغرناطة
وهذان المنصبان لم يكن في الاندلس في ذلك الزمان من المناصب الدينية أجل منهما ولما
حصل للسان الدين رحمه الله تعالى ما حصل من النفرة عن الاندلس واعمال الحيلة في
الانفصال عنها لعلمه أن سعايات ابن زمرك وابن الحسن ومن بعضدهما تمكنت فيه عند
سلطانه خاص منها على الوجه الذي قدمناه وشمر القاضي ابن الحسن عن ساعد اذايته
والتسجيل عليه بما يوجب الزندقة كما سبق جميعه مفصلا فحينئذ أطلق لسان الدين عنان
قلمه في سب المذكور وثلبه وأورد في كتابه الكتيبة الكامنة في أبناء المائة الثامنة
من مثالبه ما أنسى ما سطره صاحب القلائد في ابن باجة المعروف بابن الصائغ بما نقلنا
ذلك أعني كلام الفتح في غير هذا الموضع ولم يقتنع بذلك حتى ألف الكتاب الذي سماه بخلع
الرسن كما لمعنا به فيما سبق والله سبحانه يتجاوز عن الجميع بمنه وكرمه * واعلم أن للسان الدين
ابن الخطيب رحمه الله تعالى الغاية في المدح والقدح فتارة على طريق الترسل وطورا على غيرها
وقد أقذع وبالغ رحمه الله تعالى في هجو أعدائه بما لا تحتمله الجبال وهو أشد من وقع النبال
ومنه ما وصف به الوزير الذي كان استوزره السلطان اسمعيل بن الاحمر الثائر على سلطان ابن
الخطيب حسبما سبق الالمام بذلك والوزير هو ابراهيم بن أبي الفتح الاصلع الغوي اذ قال
في المذكور وفي ابن عمه محمد بن ابراهيم بن أبي الفتح العقرب الردي بعد كلام ما صورته
وما ظنك برجل مجهول الجد موصوم الابوة الى أن قال تنور خبز وبركة مرقة وثعبان حلواء
وفاكهة مغي في شح النفس منها لك في مستر ذل الطمع عليه العذيوط الغبي ابن عمه بسداجة
زعموا مع كونه قبيح الشكل بشيع الطلعة الى أن قال وفي العشر الاول من رمضان عام
واحد وستين وسبعمائة تقبض على الوزير المشؤم وابن عمه الغوي الغشوم وولد الغوي
مرسل الظفيرة أبعد الناس في مهوى الاغترار يختال في السرف والحلية سم من سم القوارير
وابتلاء من الله لذوي الغيرة يروح نشوان العشيات يرقص بين يديه ومن خلفه عدد من
الاخلاف يعاقرون النبيذ في السكك الغاصة وولد العقرب الردي بضد مقالة وتقطبا تنبو
عنهما العيون ويبكي منهما الخز كأنهما صمتا عند المحاورة واظلاما عند اللألاء اذ لاء بني
الضير ومقتضى خير فقعقعا مليا وبودر بهما الى ساحل المنكب قال المخبر فرأيت منكوبين
أقبح شكلا ولا أفقد صبرا من ذينك التعسين الحيقين ملع الرؤس ضخام الكروش ميهوري
الانفاس متلعلعي الالسنة قدر بت بحبل السيف من عنق كل جبار منهما شعمة ارجية
كأنهما سنام الحوار لا يثيرون دمعا ولا يستنزلون رحمة ولا يعهدون عذرا ولا يتزودون من كتاب
الله آية قد طبع الله على قلوبهم وأخذهم ببغيهم وعجل لهم سوء سعيهم وللعين أركبوهم
وجراءهم يعني أولادهم في جفن غزوي تحف بهم المساعير من الرجال واقتفى بهم اثر قرقورة
تحمل

عليه وسلم فقالوا الله أظلم
الى موضع رمل فقال
اكشفوا هنا فكشفوا
فاذا البرد والقضيب
ومخصرته مدفنها مروان لئلا
تصير الى بني هاشم فوجه
بها عامر بن اسمعيل الى عبد الله
ابن علي فوجه بها عبد الله
الى أبي العباس السفاح
فتداولت ذلك خلفاء بني
العباس الى أيام المقتدر
فيقال ان البرد كان عليه
في يوم مقتله ولست أدري
أكل ذلك باق مع المتقي لله
الى هذا الوقت وهو سنة
اثنتين وثلاثين وثلثمائة
في نزوله الرقة أم قد ضيع
ذلك ثم وجه عامر بنات
مروان وجواريه والاسارى
الى صالح بن علي فلما دخلن
عليه تكلمت ابنة مروان
الكبرى فقالت يا عم أمير
المؤمنين حفظ الله لك في
الدنيا والآخرة نحن بناتك
وبنات أخيك فليسعنا من
عفوكم ما وسعكم من جورنا
قال اذا لا نستبقي منكم
أحدا رجلا ولا امرأة ألم يقتل
أبوك بالامس ابن أخي
ابراهيم بن محمد بن علي بن
عبد الله بن العباس الامام
في محبسه بحران ألم يقتل
هشام بن عبد الملك زيد
ابن علي بن الحسين بن علي
وصلبه في كناسة الكوفة
وقتل امرأة زيد بالحيرة على يدي يوسف بن عمر الثقفي ألم يقتل الوليد بن يزيد يحيى بن زيد وصلبه

تحمل حاجا الى الاسكندرية تورية بالقصد فلما لججوا اقذف بهم في لجة بعداسته لاص
ماضي شوابه وتلك الاصلع الغوي فانبت بجراحة أشعر بها دبيبه واختلط العقرب الردي
فنال من جناب الله سخطا وضيقا تعالى الله عن نكيره فكان فرعون هذا الزمان جبروتا
وعتوا ومنية عجل الله لهم العذاب وغرقهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فسبحان من
لا تضيع الحقوق مع عدله ولا تنفخ الآماد مع منازعة رداء كبريائه مرغم الانوف
وقاطع دابر الكافرين وفي ذلك أقول مترجما وان لم يكن علم الله تعالى شاني ولا تكرر في
ديواني

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه * ولكن من يبصر جفونك يعشق

ومن أمثالهم من استغضب فلم يغضب فهو حمار والله سبحانه يقول ومن أصدق من الله قيلا
وجزاء سيئة سيئة مثلها والعفو أقرب للتقوى والقرب والبعد بيده سبحانه وصدرت هذه
الكلمة حين تعرف اجلاءهم في الجفن الى الاسكندرية وبعد ذلك صح هلاكهم

كن من صروف الردى على حذر * لا يقبل الدهر عذر معتذر
ولا تعول فيه على دعة * فأنت في قلعة وفي سفر
فكل ري يفضي الى ظما * وكل أمن يدعو الى غرر
كم شامخ الانف ينثني فرحا * بال عليه زمانه وخرى
قل للوزير البليد قد ركضت * في ربعك اليوم غارة الغير
يا ابن أبي الفتح نسبة عكست * فلا بفتح أتت ولا ظفر
وزارة لم يجد مقلدها * عن شؤمها في الوجود من وزر
في طالع النحس حزت رتبتها * وكل شيء في قبضة القدر
أي اختيار لم تبال نصبته * في جسد للنحوس او نظر
بات له المشتري على غبن * وأحرقت فيه قرصة القمر
يا طللا ما عليه من عمل * يا شجرا ما لديه من ثمر
يا مفرط الجهل والغباوة لا * يحسب الامن جملة البقر
يا دائم الحقد والفظاظة لا * يفرق ما بين ظالم وبري
يا كمد اللون ينطفي كمدا * من حسد يستطير بالشرر
يا عدل سرج يا دن منتبذ * ملآن من ريبة ومن قذر
يا واصلا للعشاء ناشئة الليل ورب الصراط في السحر
من غير لب ولا مراقبة * لله في مورد ولا صدر
يا خاملا جاهه الفروج يرى * صهر أولي الجاه مفخر مفتخر
كانوا انبطا في الاصل او حبشا * ما عنده عبرة بمعتبر
يا ناقص الدين والمروءة والعقل ومجري اللسان بالهذر
يا ولد السحق غير مكتتم * حديثه يا ابن فاسد الدبر
يا بغل طاحونة يدور بها * مجتهد السير مغمض البصر

بخراسان ألم يقتل عبيد الله بن زياد الدعي مسلم بن عقيل بن أبي طالب بالكوفة ألم يقتل يزيد بن
معاوية الحسين بن علي
على يدي عمر بن سعد مع
من قتل بين يديه من أهل
بيته ألم يخرج بحرم رسول
الله صلى الله عليه وسلم
سبايا حتى وردبهم على يزيد
ابن معاوية وقبل مقدمهم
بعث اليه برأس الحسين
ابن علي قد نصب دماغه
على رأس رمح يطاف به
كور الشام ومدائنها حتى
قدموا به على يزيد بدمشق
كأنما بعث اليه برأس
رجل من أهل الشرك ثم
أوقف حرم رسول الله صلى
الله عليه وسلم موقف
السبي يتصفحهن جنود
أهل الشام الجفاة الطغام
ويطلبون منه أن يهب لهم
حرم رسول الله صلى الله عليه
وسلم استخفافا بحقه صلى
الله عليه وسلم وجراءة على
الله عز وجل وكفرا لانعمه
ها الذي استبقيتم منا أهل
البيت لو عدلتم فيه علينا
قالت يا عم أمير المؤمنين
وليسعنا عفوكم اذا قال أما
العفو فنعم قد وسعكم فان
أحببت زوجتك من
الفضل بن صالح بن علي
وزوجت أختك من أخيه
عبد الله بن صالح فقالت
يا عم أمير المؤمنين وأي
أوان عرس هذا بل تلحقنا
بحران قال فاذا أفعل ذلك بكم ان شاء الله فالحق بحران فعلت أصواتهن عند دخولهن بالبكاء على

في أشهر عشرة طمنتهمو * فيا رحى الشؤم والبوادر
والله ما كنت بامشوم ولا * أنت سوى عرة من العرر
ومن أبو الفتح في الكلاب وهل * يجاهل في الانام من خطر
قد ستر الدهر منك عورته * وكان لليوم غير مستتر
حانوت بزيشي على فرش * وثور عرس يختال في حبر
لا منة تتقي لمعترك * ولا لسان يبين عن خبر
ولا يد تنتمي الى كرم * ولا صفاء بريح من كدر
عهدي بذاك الجبين قد ملئت * غضونه الغبر بالدم الهدر
عهدي بذاك القفا الغليظ وقد * مد لوقع المهند الذكر
اهدتك للبحر كف منتقم * ألقتك للموت كف مقتدر
يا يتم أولادك الصغار ويا * حيرتهم بعد ذاك في الكبر
يا ثكل تلك الصماء أمهم * وظاعن الموت غير منتظر
والله لانال من تخلفه * من أمل بعدها ولا وطر
والله لا مختقان لا انتقلت * رحالك منها الا الى سقر
ألحقك الله بالهوان ولا * رعاك فيمن تركت من عرر
ما عوقب الليل بالصباح وما * تقدم البرق عارض المطر انتهى

وقال موريا بدم الاخوين في شأن سلطان تلك الدولة الذي أضحى أثرا بعد عين

باسمعيل ثم أخيه قيس * تأذن ليل همي بانبلاج
دم الاخوين داوى جرح قلبي * وعالجني وحسبك من علاج

وهذه تورية بديعة لان الاطباء يقولون ان من خاصية دم الاخوين النفع من الجراح وقال رحمه الله تعالى ثلث في رأس الغادر بالدولة حين عرض على

في غير حفظ الله من هامة * هام بها الشيطان في كل واد
ما تركت جدا ولا رجمة * في فم انسان ولا في فؤاد

وقال أيضا في تلك الدولة بعد كلام ما نصه وانتدب فاضيهم الشيخ المتراخي الدين والفك المنحل المذهب والعقيدة المعرق في العمومية المشهور بقبول الرشوة أبو فلان فلان بن فلان الغريب الاسم والولاية ومفتيهم معدن الرياء والهوادة والبعد عن التخصص والحشمة والمثل في العماه والطرف في التهالك على الحطام فلان البناء المتخرف في بناء الحفيرة المتقدم في دار ابنه أجير المحتضبا بالذين مضايقا في رونق العيشة وحسبك به دليلا على الحياء وفضل البنوة فلفقوا من خيوط العنا كب شبهات تقلدوا بها حل العقد الموثق دينهم في معارضة صلب الملة بالآراء الخبيثة يتحكم الوقاح منهم في الحكم الذي نزل به شديد القوى على الذي لا ينطق عن الهوى بحسب شهوته تحكمه في غزل امه ايثار اللعاجل واسترابة بالوعيد ففضوا النكاح وحللوا المحرم ابضع للداثل وقد تأذن الله بفتحه وأجرى دمه نقدا قبل دفع فقده سبحانه حكم الحكام وقاهر الظلام وبامشيخة السوء بلعنة الله وسوء الاحدوثة ومن يلعن الله فلن

ملكهم وأذن الى أن بويع أبو العباس السفاح خمس سنين وشهرين وعشرة أيام على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب من التنازع في مدة أيامه ومن وقت أن بويع أبو العباس السفاح الى أن قتل ببوصير ثمانية أشهر فكانت مدة أيامه الى أن قتل خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وقد قدمنا ما تنازعوا فيه من مقدار سنه وغير ذلك من أخباره وقد أتينا على مبسوط أخباره فيما سلف من كتبنا وكان كاتبه عبد الحميد بن يحيى بن سعد صاحب الرسائل والبلاغات وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب واستعمل الناس ذلك بعده وذكر ان مروان قال لكاتبه عبد الحميد حين أيقن بزوال ملكه قد احتجت أن تصير مع عدوي وتظهر الغدر بي فان اعجابهم بأدبك وحاجتهم الى كتابتك تدعوهم الى حسن الظن بك فان استطعت أن تنفعني في حياتي والا لم تعجز عن حفظ حرمي بعد وفاتي فقال له عبد الحميد ان الذي أشرت به علي انفع الامرين لك وأقبحهما بي وما عندي الا الصبر حتى يفتح الله أو

فلن يجد له نصيرا انتهى *(ومن كلامه في نفاضة الجراب) وقد ذكر وزير المغرب محمد ابن علي بن مسعود ما ملخصه وانه مجنون أحول العين وحش النظرة يظن به الغضب في حال الرضا يهيج به المراق كمن زمانا خالف كالمام قدم يدخل اليه وعاء المحتاجين خوفا من انصحاره الى فضاء منزله وتوحشه من أهله وولده الى أن تضعف سورة المرة فيغف أمره قد بان زوجه مع أصحاب رواق الشيبة وتوفر داعية الغبطة لحلف جره الوسواس السوداوي نستدفع بالله شر بلائه فاستعان مستوزره منه برأي الفضل بن سهل ويحيى بن خالد وأمثالهما تدارك الله رمق الاسلام بلطفه انتهى *ولما دخل لسان الدين رحمه الله تعالى مدينة مكناسة الزيتون تأخر قاضيها الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي رمانة عن لقائه يوم وصوله فكتب اليه ما نصه

جفا ابن أبي رمانة وجه مقدمي * ونكب عني معرضا وتحاماني
وحجب عني حبه غير جاهل * بأني ضيف والمبرة من شاني
ولكن رآني مغربيا محققا * وأن طعامي لم يكن حب رمان

زيارة القاضي أصلحه الله لمثلي عن لا يخافه ولا يرجوه تجب من وجوه أولها كوني ضيفا ممن لا يعد على الاختبار زيفا ولا تجر مؤانسته حيفا فضلا عن أن تشرع رمحا او تسل سيفا وثانيها أني امت اليه من الطلب بنسب بين موروث ومكتسب وقاعدة الفضل قد قررها الحق وأصلها والرحم كما علم تدعو لمن وصلها وثالثها المبدأ في هذا الغرض ولكن الواو لا ترتب الا بالعرض وهو اقتفاء سنن المولى أيده الله في تأنيسي ووصفه اياي بعقربي وجليسي ورابعها وهو عدة كيسي ووزير خيسي وقافية تجنيسي ومقام تلويني وتلبيسي مودة رئيس هذا الصنف العلمي ورئيسي فليت شعري ما الذي عارض هذه الاصول الاربعة ورجح مذاهبها المتبعة الا ان يكون عمل أهل المدينة ينافيها فهذا يحسب النفس ويكفيها وان تعذر لقاء او استدعاء وعدم طعام او وعاء ولم يقع نكاح ولا استرعاء فلم يتعذر عذر يقتضيه الكرم والمنصب المحترم فالحلة الى التماس المجد ذات استباق والعرف بين الله والناس باق والغيرة على لسان مثله مفروضة والاعمال معروضة والله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة وان كان لدى القاضي في ذلك عذر فليقده وأولى الاعذار به أنه لم يقصده والسلام انتهى *و يعني بالمولى السلطان أبا سالم ابن السلطان أبي الحسن المريني وبرئيس هذا الصنف العلامة الخطيب أبا عبد الله بن مرزوق رحم الله الجميع *(ومن كلام لسان الدين رحمه الله تعالى) رسالة في أحوال خدمة الدولة ومصارهم وتنبيههم على النظر في عواقب الرياسة بعيون بصائرهم عبر فيها عن ذوق ووجدان وليس الخبر كالعيان وخاطب بها الامام الخطيب عين الاعيان سيدي أبا عبد الله ابن مرزوق وكأنه أعني لسان الدين اشار ببعض فصولها الى نفسه ونطق بالغيب في نكبته التي قادته الى رمسه وكان ذلك منه عندما أراد التخلي عن خدمة الملوك والتحلي بزينة أهل التصوف والسلوك فلم يرد الله أن تكون مهجته ناتية عن ساحة الظلمة خارجة وأراد ساعة الله وغفر له عمر اوأراد الله خارجة وصورة ما قال رحمه الله تعالى وأحسنت منه يعني ابن

وقد أتينا على خبر أبي الورد ومقتله وخبر بشر بن عبد الله الواحدي ومقتله في كتابنا الاوسط فاغنى ذلك عن ذكره وذكر اسمعيل ابن عبد الله القسري قال دعاني مروان وقد وافى على الهزيمة الى حران فقال يا أبا هاشم وما كان يكنيني قبلها قد ترى ما جاء من الامر وأنت الموثوق به ولا مخبأ بعد بؤس فما الرأي فقلت يا أمير المؤمنين علام أجمعت قال على ان أرتحل بموالي ومن تبعني من الناس حتى اقطع الدرب وأميل الى مدينة من مدن الروم فانزلها وأكاتب صاحبها وأستوثق منه فقد فعل ذلك جماعة من ملوك الاعاجم وليس هذا عارا بالملوك ولا يزال يأتيني الخائف والهارب والطامع فيكثر من معي ولا أزال على ذلك حتى يكشف الله أمري وينصرني على عدوي فلما رأيت ما أجمع عليه وكان الرأي ورأيت آثاره من قومي من قحطان وتلاه عندهم فقلت أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الرأي تحكم أهل الشرك في بناتك وحرمك وهم الروم ولا وفاء لهم ولا تدري ما تأتي به الايام وانت ان حدث عليك حادث بارض النصرانية ولا يحدث عليك الا خير

مرزوق فى بعض كتبه الواردة الى صاغية الى الدنيا وحينئذ المبالاة من غرورها فحملنى الطور
الذى ارتكبته فى هذه الايام بتوفيق الله على أن أخاطبه بهذه الرسالة وحقها أن يجعلها خدمة
الملوك ممن ينسب الى نبل ويلم بمعرفة معتقبا يدرسه وشعارا يلتزمه وهى سيدى الذى يده
البيضاء لم تذهب بشهرتها المكافآت ولم تختلف فى مدحها الافعال ولا تغايرت الصفات
ولا تزال تعترف بها العظام الرفات أطلقك الله من أسر كل الكون كما أطلقك من أسر بعضه
وزهدك فى سمائه الفانية وفى أرضه وحقر الحظ فى عين بصيرتك بما يحملك على رفضه
اتصل بى الخبر السار من تركك لشانك واحتاء الله تعالى اياك ثمرة احسانك وانجياب
ظلام الشدة الحالك عن أفق حالك فكبرت وفى الفرج من بعد الشدة اعتبرت
لا بسوى ذلك من رضا مخلوق يؤمر فيأتمر ويدعوه القضاء فيبتدر انما هو فىء وظل
ليس له من الامر شئ ونسأل الله جل وعلا أن يجعلها آخر عهدك بالدنيا وبنيها وأول
معارج نفسك التى تقربها من الحق وتدنيها وكأنى والله احس بثقل هذه الدعوة على
سمعك ومضادتها ولا حول ولا قوة الا بالله لضعفك وانا أنا عرك الى العقل الذى هو
قسطاس الله تعالى فى عالم الانسان والآلة لبث العدل والاحسان والملك الذى يبين
عنه ترجمان اللسان فأقول ليت شعرى ما الذى غبط سيدى بالدنيا وان بلغ من زبرجدها
الرتبة العليا وتفرض المثال بحال ابالها ووصل حبالها وخشوع جبالها وضراعة
سبالها ألتوقع المكروه صباحا ومساء وارتقاب الحوالة التى تديل من النعيم البأساء
ولزوم المنافسة التى تعادى الاشراف والرؤساء ألترتب العتب على التقصير فى الكتب
وضغينة جار الجنب وولوع الصديق باحصاء الذنب ألنسبة وقائع الدولة اليك وأنت
برى ونطويقك الموبقات وأنت منها عرى ألاستهدافك للمنار التى تنتجها غيرة القروح
والاحقاد التى تضطهدها ركبة السروج وسرحة المروج ونجوم السماء ذات البروج
ألتقليدك التقصير فيما ضاقت عنه طاقتك وصحت اليه فاقتك من حاجة لا يقتضى
قضاءها الوجود ولا يكفيها الركوع للملك والسجود ألقطع الزمان بين سلطان يعبد
وسهام للغيوب تكبد وعجاجة شر تلبد وأقبوحة تخلد وتؤبد ألوزير يصانع ويدارى
وذى جهة صحيحة يجادل فى مرضاة السلطان ويمارى وعورة لا توارى ألمباكرة كل غرن
حاسد وعدو مستأسد وسوق للانصاف والشفقة كاسد وحال فاسد ألوفود تتزاحم
بسدتك مكلفة لك غير ما فى طوقك فان لم يقع الاسعاف قلبت عليك السماء من فوقك
ألجلساء ببابك لا يقطعون زمان رجوعك وايابك الابقبيح اغتيابك فالتصرفات
عقت والقواطع توقت والالاقى تبث والسعايات تحث والمساجد يشتكى فى حلقها
البث يعتقدون أن السلطان فى يدك بمنزلة الحمار المدبور واليتيم المحجور والاسير المأمور
ليس له شهوة ولا غضب ولا أمل فى الملك ولا أرب ولا موجدة لاحد كامنة وللشر
ضامنة وليس فى نفسه عن رأى نفرة ولا بازاء ما لا يقبله نزوة ولا طفرة انما هو جارحة
لصيدك وعان فى قيدك وآلة لتصرف كيدك وانك علة حيفه ومسلط سيفه
الشرار يسملون عيون الناس باسمك ثم يزقون بالغيبة مزق جسمك قد تخلهم الوجود

جند صنائع يسيرون
معك حتى تأتى مصرفا نها
أكثر أرض الله مالا وخيلا
ورجالا ثم الشام أمامك
وافر بقية خلفك فان
رأيت ما تحب انصرفت
الى الشام وان كانت
الاخرى مضيت الى أفريقية
قال صدقت وأستخير
الله فقطع الفرات و والله
ما قطعه معه من قيس
الا رجلان ابن جندة السلمى
وكان اخاه من الرضاعة
والكوثر بن الاسود
الغنوى ولم ينفع مروان
تعصبه مع النزار وتشايل
غدروابه وخذلوه فلما
اجتاز ببلاد قنسرين
والحاضر اوقعت تنوخ
القاطنة بقنسرين بساقته
ووثب به أهل حمص وسار
الى دمشق فوثب به الحرث
ابن عبد الرحمن الحرشى
ثم أتى الاردن فوثب به
هاشم بن عمر العنسى
والمذحجيون جميعا ثم مر
بفلسطين فوثب الحكيم
ابن صنعان بن روح بن
زنباع لما رأوا من ادبار الامر
عنه وعلم مروان أن اسمعيل
ابن عبد الله القسرى قد غشه
فى الرأى ولم يمحضه النصيحة
وأنه فرط فى مشورته اياه
إذشاور رجلامن قحطان موتورا متعصبا من قومه على اضدادهم من نزار وأن الرأى الذى هم بفعله

أخبث مافيه واختارهم السفيه فالسفيه اذ الخير يستره الله تعالى عن الدول ويخفيه
ويقنعه بالقليل فيكفيه فهم يتناحون بك ويولونك الملامة ويفتحون عليك القول
ويسدون طرق السلامة وليس لك فى أثناء هذه الامالا يعوزك مع ارتفاعه ولا يفوتك
مع انقشاعه وذهاب صداعه من غذاء يشبع وثوب يقنع وفراش ينيم وخديم يقعد
ويقيم وما الفائدة فى فرش تحتها جمر الغضى ومال من ورائه سوء القضا وجاه يحلق عليه
سيف منتضى واذا بلغت النفس الى الالتذاذ بما لا تملك واللعاج حول المسقط الذى تعلم
أنها فيه تهلك فكيف تنسب الى نبل أوتسير من السعادة فى سبل وان وجدت فى القعود
بمجلس التحية بعض الاريحية فليت شعرى أى شئ زادها أومعنى أفادها الامباكرة
وجه الحاسد وذى القلب الفاسد ومواجهة العدو المستاسد أوشعرت ببعض الايناس
فى الركوب بين الناس ماالتذت الابحلم كاذب أوجذبها غير الغرور جاذب اغمارا كبك
من يحدق الى الحلية والبزة ويستطيل مدة العزة ويرتاب اذا حدثت بخبرك ويتتبع
بالنقد والتجسس مواقع نظرك ويمنعك من مسايرة أنيسك ويحتال على فراغ كيسك
ويضمر الشر لك ولرئيسك وأى راحة لمن لا يباشر قصده ويمشى اذا شاء وحده ولو صح
فى هذه الحال لله تعالى حظ وهبه زهيدا أوعين الرشد عملا حميدا لساغ الصاب وخفت
الاوصاب وسهل المصاب لكن الوقت أشغل والفكر أوغل والزمن قد عمرته
الحصص الوهمية واستنفدت منه الكمية أماليله ففكر أونوم وعتب بجراء الضرائر
ولوم وأمايومه فتدبير وقبيل ودبير وأمور يعيا بها ثبير وبلاء مبير ولغط لايدخل فيه
حكم كبير وأنا بمثل ذلك خبير والله ياسيدى ومن فلق الحب وأخرج الاب وذرأ من
مشى ومن دب وسمى نفسه الرب لو تعلق المال الذى يجره هذا القدح ويورى سقيطه
هذا القدح باذيال الكواكب وزاحمت البدر بدره بالمناكب لما ورثه عقب
ولاخلص به محتقب ولافاز به سافر ولامنتقب والشاهد الدول والمشائم الاول
فاين الرباع المقتناة وأين الديار المبتناة وأين الحوائط المغترسات وأين الذخائر المختلسات
وأين الودائع المؤملة وأين الامانات المحملة تأذن الله بتتبيرها وادناء نار التبار من دنانيرها
فقلما تلقى أعقابهم الاأعراء الظهور مترمقين بجريات الشهور متعللين بالهباء المنثور
يطردون من الابواب التى حجب عنها آباؤهم وعرف منها اباؤهم وشم من مقاصيرها
عنبرهم وكباؤهم ولم تسامحهم الايام الافى ارث محرر أوحلال مقرر وربما محقه الحرام
وتعذر منه المرام هذه أعزك الله حال قبولها مع الترفيه ومالها المرغوب فيه وعلى فرض أن
يستوفى العمر فى العز مستوفيه وأماضده من عدو يتحكم وينتقم وحوت بغى يبتلع ويلتقم
ومطبق يحجب الهواء ويطيل فى التراب الثواء وثعبان قيد يعض الساق وشؤبوب عذاب
يمزق الابشار الرقاق وغلة يهديها الواقب الغاسق ويجرعها العدو الفاسق فصرف
السوق وسلعته المعتادة الطروق مع الافول والشروق فهل فى شئ من هذا مغتبط
لنفس حرة اومايساوى جرعة حال مرة واحسرتا للاحلام ضلت وللاقدام زلت ويالها
مصيبة جلت ولسيدى أن يقول حكمت باستثقال الموعظة واستعفائها ومراودة الدنيا

من قطع الدرب ونزول بعض حصون الروم ومكاتبته ملكها الى أن يرتقى فى أمره كان أولى وذكر المدائنى والعتبى وغيرهما أن مروان حين نزل على الزاب جرد من رجاله من اختاره من سائر جيشه من أهل الشام والجزيرة وغيرهم مائة ألف فارس فلما كان يوم الوقعة وأشرف عبد الله بن على فى المسودة وفى أوائلهم البنود السود يحملها الرجال على الجمال البخت وقد جعلت أقتابها من خشب الصفصاف والغرب قال مروان لمن قرب منه أماترون رماحهم كأنها النخل غلظا أماترون الى أعلامهم فوق هذه الابل كأنها قطع من الغمام سود فبينا هو كذلك اذ طار من أترجة هنالك قطعة من الغرابيب سود فاجتمعت على أول رايات عبد الله بن على واتصل سوادها بسواد تلك الرايات والبنود ومروان ينظر فتطير من ذلك فقال أماترون السواد قد اتصل بالسواد وكان الغرابيب كالسحب سودا ثم نظر الى أصحابه المحاربين وقد استشعروا الجزع والفشل فقال انها لعدة وماتنفع العدة اذا انقضت المدة ولمروان على الزاب أخبار غير هذه قد أتينا على ذكرها فى كتابينا أخبار الزمان والاوسط فاغنى ذلك عن اعادة ذكرها والله ولى التوفيق

(ذكر خلافة أبى العباس عبد الله بن محمد السفاح)

بين خلانها أو اكفائها وتناسي عدم وفائها فأقول الطبيب بالعلل أدرى والشفيق بسوء
الظن مغرى وكيف لا وأنا أقف على السجا آت بخط بدسيدي من مطارح الاعتقال
ومناقف النوب الثقال وخطوات الاستعداد للقاء الخطوب الشداد ونوش الاسنة
الحداد وحيث يحمل مثله أن لا يصرف في غير الخضوع لله تعالى بنانا ولا يثني لمخلوق عنانا
وأتعرف أنها قد ملأت الجو والدو وقصدت الجماد والبو تقدم أكف أولي الشمات
وحفظة المذمات وأعوان النوب الملمات زيادة في الشقاء وقصد ابرام الاختيار
والانتقاء مشتملة من التجاوز على أغرب من العنقاء ومن النفاق على أشهر من البلقاء
فهذا أوصف بالامامة وهذا يجعل من أهل المكرامة وهذا يكلف الدعاء وليس من أهله
وهذا يطلب منه لقاء الصالحين وليسوا من شكله الى ما احفظني والله من البحث عن السموم
وكتب النجوم والمذموم من العلوم هلا كان من ينظر في ذلك قد قوطع بتاتا واعتقد
أن الله قد جعل لزمان الخير والشر ميقاتا وأن لا املك موتا ولا نشورا ولا حياتا وأن اللوح
قد حصر الاشياء محوا واثباتا فكيف نرجو لما امتنع منالا أو نستطيع عما قدر افلاتا
افيدونا ما يرجع العقيدة المتقررة فنعول اليه وبينوا لنا الحق نعول عليه الله الله يا سيدي
في النفس المرشحة والذات المحلاة بالفضائل الموشحة والسلف الشهير الخير والعمر
المشرف على الرحلة بعد حث السير ودع الدنيا لبنيها فما أوكس حظوظهم وأخس
محظوظهم وأقل متاعهم وأعجل اسراعهم وأكثر عناءهم وأقصر آناءهم

ما ثم الا ما رأيـ ـت وربما تعيي السلامه
والناس اما جائر * أو حائر يشكو ظلامه
واذا أردت العز لا * تر زأ بني الدنيا قلامه
والله ما احتقب الحريـ ـص سوى الذنوب أو الملامه
هل ثم شك في المعا * د الحق أو يوم القيامه
قولوا لنا ما عندكم * أهل الخطابة والامامه

وان رميت بأحجاري وأوجرت المر من أشعاري فوالله ما تلبست اليوم منها بشيء قديم
ولا حديث ولا استأثرت بطيب فضلا عن خبيث وما أنا الا عابر سبيل وهاجر مرعى وبيل
ومرتقب وعدا قدر فيه الانجاز وعاكف على حقيقة لا تعرف المجاز قد فررت من الدنيا كما
يفر من الاسد وحاولت المقاطعة حتى بين روحي والجسد وغسل الله قلبي ولله الحمد من
الطمع والحسد فلم أبق عادة الا قطعتها ولا جنة للصبر الا ادرعتها أما اللباس فالصوف
وأما الزهد فيما بأيدي الخلق فمعروف وأما المال الغبيط فعلى الصدقة مصروف ووالله
لو علمت أن حالي هذه تتصل وأن عراها لا تنفصل وأن ترتيبي هذا يدوم ولا يحيرني الوعد
المحتوم والوقت المعلوم لمت أسفا وحسبي الله وكفى ومع هذا يا سيدي فالموعظة تتلقى
من لسان الوجود والحكمة ضالة المؤمن يطلبها ببذل المجهود ويأخذها من غير اعتبار
بمحلها المذموم ولا المحمود ولقد أعملت نظري فيما يكافئ عني بعض يدك أو ينتهي في
الفضل الى أمدك فلم أر لك الدنيا كفاء هذا لو كنت صاحب دنيا وألفيت بذل النفس

قليلا

بويع أبو العباس السفاح وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ليلة الجمعة
لثلاث عشرة ليلة خلت من
شهر ربيع الآخر من سنة
اثنتين وثلاثين ومائة
وقيل في النصف من شهر
جمادى الآخرة من هذه
السنة وأمه رائطة بنت
عبيد الله بن عبد المدان
الحارثية وركب الى المسجد
الجامع في يوم الجمعة
فخطب على المنبر قائما
وكانت بنو أمية تخطب
قعودا فضج الناس وقالوا
أحييت السنة يا ابن عم
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكانت خلافته
أربع سنين وتسعة أشهر
ومات بالانبار في مدينته
التي بناها وذلك في يوم
الاحد لاثنتي عشرة ليلة
خلت من ذي الحجة سنة
ست وثلاثين ومائة وهو
ابن ثلاث وثلاثين سنة
وقيل ابن تسع وعشرين
سنة وكانت أمه تحت
عبد الملك بن مروان فكان
له منها الحجاج بن عبد الملك
فلما توفي عبد الملك تزوجها
محمد بن علي بن عبد الله بن
العباس فولدت منه
عبد الله بن محمد السفاح
وعبيد الله وداود وميمونة
*(ذكر جمل من أخباره
وسيره ولمع مما كان في أيامه)
ولما حبس ابراهيم الامام بحران وعلم أن لا نجاة له من مروان أثبت وصيته وجعلها الى أخيه

قليلا لك من غير شرط ولا ثنيا فلما ألهمنى الله لخاطبتك بهذه النصيحة المفرغة فى قالب الجفا
لمن يثبت عين الصفا ولا يشيم بارقة الوفا ولا يعرف قاذورة الدنيا معرفة مثلى من المتدنسين
بها المتمسكين وينظروا عوارها القادح بعين اليقين ويعلم أنها المومسة التى حسنها
زور وعاشقها مغرور ومسرورها مثبور تبين لى أنى قد كافأت صنيعتك المتقدمة
وخرجت عن عهدتك الملتزمة وأمحضت لك النصح الذى يعز بعز الله ذاتك ويطيب حياتك
ويحيي مواتك ويريح جوارحك من الوصب وقلبك من النصب ويحقر الدنيا وأهلها
فى عينك اذا اعتبرت ويلاشى عظائمها لديك اذا اختبرت كل من تقع عينك عليه فهو حقير
قليل وفقير ذليل لا يفضلك بشئ الا باقتفاء رشد أو ترك غى أثوابه النديه بجردها
الغاسل ومروءة عزه يقصلها القاصل وماله الحاضر الحاصل يبعث فيه الحسام
الفاصل والله ما تعين للخالف الا ما تعين للسالف ولا مصير المجموع الا الى التلف ولا
صح من الهياط والمياط والصياح والنياط وجمع القيراط الى القيراط والاستظهار
بالوزعة والاشراط والخبط والخباط والاستكثار والاغتباط والغلو والاشطاط
وبناء الصرح وعمل الساباط ورفع العمد وادارة الفسطاط الامل يذهب القوة وينسى
الآمال المرجوة ثم نفس يصعد وسكرات تتردد وحسرات لفراق الدنيا تتجدد ولسان
يثقل وعين تبصر الفراق وعقل قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون ثم القبر وما بعده والله
منجز وعيده ووعده فالاضراب الاضراب والتراب التراب وان اعتذر سيدى بقلة
الجاه لكثرة الولد فهو ابن مرزوق لا ابن رزاق وبيده من التسبب ما يتكفل
بامساك الارماق ابن النسخ الذى يبلغ الانسان بأجرته فى كن حجرته لا بل السؤال
الذى لا عار عند الحاجة بمعرته السؤال والله أقوم طريقا وأكرم رفيقا من يد تمتد الى
حرام لا يقوم بمرام ولا يؤمن من ضرام أحرقت فيه الحلل وقلبت الاديان والملل
وضربت الابشار ونحرت العشار ولم يصل منه عن يدى واسطة السوء المعشار ثم طلب
عند الشدة ففضح وبان شؤمه ووضح اللهم طهر منها أيدينا وقلوبنا وبلغنا من
الانصراف اليك مطلوبنا وعرفنا بمن لا يعرف غيرك ولا يسترفد الا خيرك بالله وحقيق
على الفضلاء ان جنح سيدى منها الى اشاره او أعمل فى اجتلابها أضباره أو لبس منها شاره
أو تشوف لخدمة اماره أن لا يحسنوا ظنونهم بعدها بابن ناس ولا يغتروا بسمة ولا خلق
ولا لباس قاعدا عابدا تقضى العمر فى سجن وقيد وعمرو وزيد وضرو كيد وطراد
صيد وسعد وسعيد وعبد وعبيد فتى تظهر الافكار ويقر القرار وتلازم الاذكار
وتشام الانوار وتتجلى الاسرار ثم يقع الشهود الذى يذهب معه الاخبار ثم يحق
الوصول الذى اليه من كل ما سواه الفرار وعليه المدار وحق الحق الذى ما سواه فباطل
والفيض الرحمانى الذى ربابه الابد هاطل ماشابت مخاطبتى لك شائبة تريب ولقد
محضت لك ما يمحضه الحبيب للحبيب فتحمل جفائى الذى حملت عليه الغيره ولا تلقنى
غيره وان لم تعذرنى مكاشفة سيادتك بهذا النث فى الاسلوب الرث فالحق أقدم
وبناؤه لا يهدم وشأنى معروف فى مواجهة الجبابرة على حين يدى الى رفدهم ممدودة

أبى العباس عبد الله بن محمد وأوصاه بالقيام بالدولة والجد والحركة وأن لا يكون له بعد بالحميمة
لبث ولا عرجة حتى يتوجه
الى الكوفة فان هذا الامر
صائر اليه لا محالة وأنه
بذلك أتتهم الرواية وأظهره
على أمر الدعاة بخراسان
والنقباء ورسم له بذلك
رسما أوصاه فيه أن يعمل
عليه ولا يتعداه ودفع
الوصية بجميع ذلك الى
سابق الخوارزمى مولاه
وأمره ان حدث به حدث
من مروان فى ليل أو نهار
ان يركب أسرع سابق فى
السير فلما حدث ركب
وسار حتى أتى الحميمة
فدفع الوصية الى أبى
العباس ونعاه اليه فأمره أبو
العباس بستر الوصية وأن
ينعاه ثم أظهر أبو العباس
من أهل بيته على أمره ودعا
الى موازرته ومكاشفته
أخاه أبا جعفر عبد الله بن
محمد وعيسى بن موسى بن
محمد ابن أخيه وعبد الله بن
على عمه وتوجه أبو العباس
الى الكوفة مسرعا
وهؤلاء معه فى غيرهم ممن
خف من أهل بيته فلقيتهم
اعرابية على بعض مياه
العرب فى طريقهم الى
الكوفة وقد تقدم أبو
العباس وأخوه أبو جعفر
وعمه عبد الله بن على فيمن
كان معهم الى الماء فقالت
الاعرابية تالله ما رأيت وجوها مثل هذه ما بين خليفة وخليفة وخارجى

ونفسي في النفوس المتهافتة عليهم معدودة وشبابي فاحم وعلى الشهوات مزاحم فكيف بي اليوم مع الشيب ونصح الجيب واستكشاف العيب انما أنا اليوم على كل من عرفني كل ثقيل وسيف العذل في كفي صقيل اعذل أهل الهوى وليست النفوس في القبول سوا ولا لكل مرض دوا وقد شفيت صدري وان جهلت قدري فاحملني حملك الله تعالى على الجادة الواضحة وسحب عليك ستر الابوة الصالحة والسلام انتهت الرسالة البديعة في بابها الآتية من الموعظة بلبابها ذات النصيحة الصريحة التي يتعين على كل عاقل خص وصام مريد خدمة الملوك التمسك بأسبابها قلت وقد رأيت بخط الامام العلامة الخطيب ابن مرزوق على هامش قول لسان الدين أول الكلام وأحسست منه في بعض كتبه الى آخره ما صورته توهم ما لا يقع بل لما تجلت عني سحب النكبة والامتحان جزمت بالرحلة وعزمت على النقلة ونفرت عن خدمة السلطان وملازمة الاوطان قال ابن مرزوق والعجب كل العجب أن جميع ما خاطبني به أبقاه الله تعالى تحلى به أجمع وابتلي بما منه حذر فكأنه خاطب نفسه وأنذرها بما وقع له فالله تعالى يحسن له الخاتمة والخلاص انتهى وكتب تحت كلام ابن مرزوق هذا بخطه ابن لسان الدين على ما صورته صدق والله سيدي أبو عبد الله بن مرزوق كان الله تعالى له قاله ولده ابن المؤلف انتهى * قلت وهذا الذي قاله ابن مرزوق كان في حياة ابن الخطيب ولذلك دعا له بالبقاء وبحسن الخاتمة والخلاص وقد أسفر الغيب عن محنته ثم قتله على الوجه الذي وصفه أثناء هذه الرسالة اذ قال واما ضده من عدو يتحكم وينتقم وحوت بغي يبتلع ويلتقم ومطبق يحجب الهواء وطيل في التراب الثواء وثعبان قيد يعض الساق وشؤبوب عذاب يمزق الأبشار الرقاق وغيلة يهديها الواقب الغاسق ويجرعها العدو الفاسق فصرف السوق وسلعته المعتادة الطروق مع الافول والشروق فانه رحمه الله تعالى حصل له ما ذكر ثم اغتاله ليلا وخنقه في محبسه عدوه الفاسق سليمان بن داود كما تقدمت الاشارة الى ذلك فالله تعالى يثيبه بهذه الشهادة وقد تذكرت هنا مرثية ابن صابر المنجنيقي وهي

هل لمن يرتجي البقاء خلود * وسوى الله كل شيء يبيد
والذي كان من تراب وان عا * ش طويلا الى التراب يعود
فمصير الانام طرا الى ما * صار فيه آباؤهم والجدود
اين حوا أم اين آدم اذ فا * تهما الملك والثوا والخلود
أين هابيل أين قابيل اذ هـ * ـذا لهذا معاند وحسود
أين نوح ومن نجا معه بالـ * ـفلك والعالمون طرا فقيد
أسلمته الايام كالطفل للمو * ت ولم يغن عمره الممدود
أين عاد بل أين جنة عاد * ارم أين صالح وثمود
أين ابراهيم الذي شاد بيت الله * فهو المعظم المقصود
أين اسحق أين يعقوب أم أيـ * ـن بنوه وعدهم والعديد
حسدوا يوسفا أخاهم فكادو * ه ومات الحساد والمحسود

فقال لها أبو جعفر المنصور كيف قلت يا أمة الله قالت والله ليليها هذا وأشارت الى السفاح ولتخلفنه أنت وليخرجن عليك هذا وأشارت الى عبد الله بن علي فلما انتهوا الى دومة الجندل لقيهم داود بن علي وموسى بن داود وهما منصرفان من العراق الى الحميمة من أرض الشراة فسأله داود عن مسيره فأخبره بسببه وأعلمه بحركة أهل خراسان لهم مع أبي مسلم وانه يريد الوثوب بالكوفة فقال له داود يا أبا العباس تثبت بالكوفة فمروان شيخ بني أمية وزعيمهم في أهل الشام والجزيرة مطل على أهل العراق وابن هبيرة شيخ العرب وحلية العرب بالعراق فقال أبو العباس يا عم من أحب الحياة ذل وتمثل بقول الأعشى

فما ميتة ان متها غير عاجز * بعار اذا ما غالت النفس غولها

فالتفت داود الى ابنه موسى فقال أي بني صدق عمك ارجع بنا معه نحيا أعزاء أو نموت كراما فعطفا وكلاهما معه وسار أبو العباس حتى دخل الكوفة وقد كان أبو سلمة حفص ابن سليمان حين بلغه مقتل ابراهيم الامام أضمر الرجوع عما كان عليه من الدعوة العباسية الى آل أبي طالب وقدم أبو العباس الكوفة فيمن ذكرنا من

وسليمان

وسليمان في النبوة والملـ ـك قضى مثل ما قضى داود
ذهبا بعد ما أطاع لذا الخلـ ـق وهذا ألين الحديد
وابن عمران بعد آياته التسـ ـع وشق الخضم فهو صعيد
والمسيح بن مريم وهو روح الله كادت تقضي عليه اليهود
وقضى سيد النبيين والها * دى الى الحق أحمد المحمود
وبنوه وآله الطاهرون الزهـ ـر صلى عليهم المعبود
ونجوم السماء منتثرات * بعد حين وللهواء ركود
ولنار الدنيا التي توقد الصخـ ـر خمود وللمياه جمود
وكذا الثرى غداة يقوم النـ ـاس منها تزلزل وهمود
هذه الامهات نار وترب * وهواء رطب وماء برود
سوف تفنى كما فنينا فلا يبـ ـقى من الخلق والد ووليد
لا الشقي الغوي من نوب الايـ ـام ينجو ولا السعيد الرشيد
ومتى سلت المنايا سيوفا * فالموالي حصيدها والعبيد

وأما قصيدة ابن عبدون الاندلسي التي رثى بها بني الافطس وذكر فيها كثيرا من الملوك الذين أبادهم الدهر وطحنهم برحاه وصيرهم أثرا بعد عين ففيها ما يوقظ النوام وأولها

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور

وبالجملة فالامر كما قال ابن المبارك

الموت لا يبقى أحد * لا والدا ولا ولد
مات لبيد ولبد * وخلد الفرد الصمد

كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام اللهم اختم لنا بالحسنى وردنا اليك ردا جميلا وتذكرت هنا أيضا مرثية على روي مرثية المنجنيقي السابقة منها

أين أهل الديار من قوم نوح * ثم عاد من بعدهم وثمود
بينما هم على الاسرة والانـ ـماط أفضت الى التراب الخدود
ثم لم ينقض الحديث ولكن * بعد ذا الوعد كله والوعيد
وأطباء بعدهم لحقوهم * ضل عنهم سعوطهم واللدود
وصحيح أضحى يعود مريضا * وهو أدنى للموت ممن يعود

وما أحكم قول السلطان أبي علي ابن السلطان أبي سعيد المريني يخاطب أخاه السلطان أبا الحسن وقد حصره بسجلماسة حتى أخذه قسرا

فلا يغرنك الدهر الخؤن فكم * أباد من كان قبلي يا أبا الحسن
الدهر مذ كان لا يبقي على صفة * لا بد من فرح فيه ومن حزن
أين الملوك التي كانت تهابهم * أسد العرين ثووا في اللحد والكفن
بعد الاسرة والتيجان قد محيت * رسومها وعفت عن كل ذي حسن
فاعمل لأخرى وكن بالله مؤتمرا * واستغن بالله في سر وفي علن

أهل بيته سرا والمسودة مع أبي سلمة بالكوفة فانزلهم جميعا دار الوليد بن سعد في بني أود حي من اليمن وقد ذكرنا مناقب أود وفضائلها فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار الحجاج وبراءتهم من علي والطاهرين من ذريته ولم أر الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلثمائة فيما درت من الارض وتغربت من الممالك رجلا من أود الا وجدته اذا استبطنت ما عنده ناصبيا متوليا لآل مروان وحزبهم واختفى أبو سلمة أمر أبي العباس ومن معه ووكل بهم وكان قدوصل أبو العباس الكوفة في صفر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وفيها جرى البريد بالكتب لولد العباس وقد كان أبو سلمة لما قتل ابراهيم الامام خاف انتقاض الامر وفساده عليه فبعث بمحمد بن عبد الرحمن ابن أسلم مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب معه كتابين على نسخة واحدة الى أبي عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب والى أبي محمد عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين يدعو كل واحد منهم الى الشخوص اليه ليصرف الدعوة اليه ويجتهد في بيعة أهل خراسان له وقال للرسول العجل العجل فلا تكونن

واختر لنفسك أمرا أنت آمره * كانني لم أكن يوما ولم تكن

ودخل السلطان أبو الحسن سجلماسة عنوة على أخيه السلطان أبي علي عمر سنة ٧٣٤ وجاء به في الكبل لفاس ثم قتله بالفصد والخنق في ربيع الاول من السنة وكان القبض عليه في المحرم رحمه الله تعالى ومما وجد مكتوبا على قصر بعض السلاطين

قد كان صاحب هذا القصر مغتبطا * في ظل عيش يخاف الناس من باسه
فبينما هو مســــرور بلذته * في مجلس اللهو مغبوط بجلاســه
اذ جاءه بغتـــــة ما لا مرد له * فخر ميتا وزال التاج عن راســه

(رجع الى أخبار لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى) قلت وقد زرت قبره مرارا رحمه الله تعالى بفاس المحروسة فوق باب المدينة الذي يقال له باب الشريعة وهو يسمى الآن باب المحروق وشاهدت موضع دفنه غير مستو مع الارض بل ينزل اليه بانحدار كثير ويزعم الجل من عوام فاس أن الباب المذكور انما سمي بباب المحروق لاجل ما وقع من حرق لسان الدين به حين اخرجه بعض أعدائه من حفرته كما مر وليس كذلك وانما سمي باب المحروق من دولة الموحدين قبل أن يوجد لسان الدين ولا أبوه بسبب ثائر ثار على الدولة فأمسك وأحرق في ذلك المحل والله غالب على أمره وحصل لي من الخشوع والحزن عند زيارة قبره رحمه الله تعالى ما لا مزيد عليه جعل الله له تلك المحن كفارة وطهرة فانه كان آية الله علما وجلالة وحكمة وشهرة وقد تذكرت عند كتبي هذا المحل رسالة كتبها بعض أئمة المغرب في عزاء الوزير الشهير أبي جعفر بن جبير الاندلسي رحمه الله تعالى الى بنيه وهي مما يصلح أن يوصف بمثلها لسان الدين رحمه الله تعالى وفيها عزاء عمن مضى ونصها عزاء يا كواكب الهدى في بدركم الذي تحيفه الردى وفجع به الفضل والندى فحق للشهب أن تتكدر على فراقه وللصبح أن يخبو نور اشراقه وللريح أن تمزق صدارا وللاهلة أن لا تعرف ابدارا وللليل أن يشتمل خميصة الحزن وللسماء أن تبكيه بأدمع المزن وللرعد أن ينتحب لوفاته وللبرق أن يحكي برجفاته افئدة عفاته وللثريا أن ينفصم سوارها وللشمس أن تنكسف انوارها وللنثرة أن تنتثر كواكبها وللجوزاء أن تنفض مناكبها وللنيرات أن ترفض مواكبها وللرامح أن يبيت اعزلا وللبدر أن لا يألف منزلا وللمجرة أن يفيض دمع انهرها وللغميصاء أن يطرد بكاؤها وسهرها وللروض أن يفارق امراعه وللاورق أن يهتف بما راعه وللغصون أن تهصر لهفه وتتقصف اسفا على حتفه لكن هو الحمام يختل ويختر ولا يحفل بمن يتر يعدم ما أوجده الكون ويذيل من اكنفه الصون وأين بنا عن مكافح لا تقاتله ورام أرواح نامة اتله لا يديه ناصرة وعزمته قاصرة للقياصرة ويمينه كاسرة للاكاسرة لم يبق من رسم لطسم ولا من احسان لغسان ولا من أياد لاياد ولا من سلطان لقحطان ولا من نجيب لتجيب ولا من شرف ضخم للخم لم يكن له من المنيين اقصار ومنهم الانصار وهم أسماع للنبي وأبصار وعمد الى المهاجرين من مضر يطفيها هذا والوحي يتنزل فيها ولم يصخ في الصديق الى التصديق وأصمى الفاروق برداه وحكم فيه أبو لؤلؤة ومداه وأمكن صرف الاقدار من شهيد الدار ولم يرع من علي بالبسالة والذب

العسالة

عبد الرحمن المدينة على أبي عبد الله جعفر بن محمد فلقيه ليلا فلما وصل اليه كوافد داع فقدم محمد بن أعلمه انه رسول أبي سلمة ودفع اليه كتابه فقال له أبو عبد الله وما أنا وأبو سلمة وأبو سلمة شيعة لغيري قال له اني رسول فتقرأ كتابه وتجيبه بما رأيت فدعا أبو عبد الله بسراج ثم أخذ كتاب أبي سلمة فوضعه على السراج حتى احترق وقال للرسول عرف صاحبك بما رأيت ثم أنشأ يقول متمثلا بقول الكميت بن زيد

أيا موقدا نارا لغيرك ضوءها
ويا حاطبا في غير حبلك تحطب

فخرج الرسول من عنده وأتى عبد الله بن الحسن فدفع اليه الكتاب فقبله وقرأه وابتهج فلما كان غد ذلك اليوم الذي وصل اليه فيه الكتاب ركب عبد الله حمارا حتى أتى منزل أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق فلما رآه أبو عبد الله أكبر مجيئه وكان أبو عبد الله أسن من عبد الله فقال له يا أبا محمد أمر ما أتى بك قال نعم هو أجل من أن يوصف فقال وما هو يا أبا محمد قال هذا كتاب أبي سلمة يدعوني الى ما أقبله وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان فقال له أبو عبد الله يا أبا محمد ومتى كان أهل خراسان شيعة لك أنت

العسالة ولا أبقى سبطيه وقد تفقأت عنهما بيضة الرسالة وأذهب الزبير حوارى الرسول وحنظلة وهو بأيدى الملائكة مغسول وأفات ابن معاذ ولم يحفل بفوته على انه اهتز العرش لموته وأودى بحمزة ومقعده من النبوة مقعد الابوة وشفى من عمار صدور الاسل وأودى مالك الاشتر بقمن عسل ولم يعبأ بأعضاء عمرو ولا بحلم معاوية ودهاء عمرو فياله من خطب مود بكل يابس ورطب يشرب ماء الاعمار ويجعل الاجداث منازل الاقمار ويلوك السوقة والاملاك ولا يبالى أية لاك لا يقبل شفيعا ولا يغادر منحطا ولا رفيعا هاهو اعتمد نورعلا فكسفه وطود حلم فقصفه وأعلق المجد فى حباله وأقصد الفضل بنباله ونجع كنانة بسهم لم ينثل مثله من كنانة فياطارق الاعين لقد بؤت بأنفس الاعلاق ويا ناعيه لقد نعيت باسق الاخلاق رويدا أسائلك عمن لم تضع لديه وسائلك اين سماحته وطلاقته أين كلفه بالحمد وعلاقته ماالذى ثنى عطفه عن الارتياح أم أين عافيه من ذلك الامتياح أم من يؤلف امنية كما الفت السحب ايدى الرياح فياهمة المجد اطوى عرفك فما تنشق ويا ربة المجد اقصرى طرفك فما تعشق ويامعشر عفاته كيف حييتم وقد علمتم بوفاته ويازمر آماله صفرت أيديكم من اجاله ويا اخا ير سحابه أين مواقع سحابه ويا بنى ولائه من يتبوأ مقام علائه ويامنافسى شيمه من يجود بمثل ديمه ويامنازعى كرمه من يطيف المعتفين بمثل حرمه وياحاسدى هممه من له كحفاظه وذممه سيدى لقد أضاءت مساعيك وأشرقت وأغصت الحاسدين طرا وأشرقت وحسبهم أن لم ينتبهوا الا اذا نمت ولا انطقوا الا حين مت واين ملأك وصحبك أن احيتك صنائعك وقد قضيت نحبك وان حم فناؤك فقد أبقى الحياة الخالدة ثناؤك

ردت صنائعه عليه حياته * فكانه من نشرها منشور
والناس مأتمهم عليه واحد * فى كل دار أنة وزفير

سيدى أما تجيب صرخة لهفان ام صدك عن الجواب أنك فان سيدى من لا آملك ببسط اناملك من لمرملات الضرائك بارشادك وآرائك من لقربائك بصلاتك وحبائك من لاخيك بموائق اواخيك من لابنائك بلطف احنائك انفض شملهم وكان جميعا ونادوك لو نادوا امنك سميعا هذا كبيرهم يدعوك فلا تجيبه وقد قذفت الاضلاع وجيبه يبكى عند تلك الرجام بأدمع سجام وقد ألهبت الزفرات حشاه وألح الدمع بجفنه حتى أعشاه والاصاغر مالهم بعدك مفزع ورضيعهم تسلب به الانفس رحمة وتنزع لا يدرى ماجزع عليك فيجزع لشدما اذابتهم وقذة الا وحين عدموا امنك كرم النجوى والجوار افلدهر رماهم بالاجوار وتركهم أنجماء سلوبة الانوار لاجرم أن يحزنوا عليك ويكثروا فلقد تسلوا عنك ببعض ماورثوا وماورثتهم غير الحزن والبث وأمل فى الحياة كالهباء المنبث كما تتلى محاسنك فاسمع طفقت عليك شؤون عينى تدمع أياضريحه كيف وجدت ريحه لقد أرج بك ذلك المعفر حتى ماينافحه المسك الاذفر وكما ظفرت بوجوده فجدكل قبر بجوده ففيه سماء ثرة وغمام ونور انضم عليه منك كمام ولو علمت عن بين جنبيك راقد لعلوت حتى تلوح فى ذراك الفراقد ويادافنيه كيف هلتم عليه الرغام اولم تنكروا على

بعثت أبا مسلم الى خراسان وأنت أمرته بلبس السواد وهؤلاء الذين قدموا العراق أنت كنت سبب قدومهم أووجهت فيهم وهل تعرف منهم أحدا فنازعه عبد الله بن الحسن الكلام الى ان قال انما يريد القوم ابنى محمدا لانه مهدى هذه الامة فقال ابو عبد الله جعفر والله ماهو مهدى هذه الامة ولئن شهر سيفه ليقتلن فنازعه عبد الله القول حتى قال له والله مايمنعك من ذلك الا الحسد فقال أبو عبد الله والله ماهذا الا نصح منى لك ولقد كتب الى ابو سلمة بمثل ما كتب به اليك فلم يجد رسوله عندى ماوجد عندك ولقد أحرقت كتابه من قبل أن أقرأه فانصرف عبد الله من عند جعفر مغضبا ولم ينصرف رسول أبى سلمة اليه الى أن بويع للسفاح بالخلافة وذلك أن أبا حميد الطوسى دخل ذات يوم من العسكر الى الكوفة فلقى سابقا الخوارزمى فى سوق الكناسة فقال له سابق قال سابق فسأله عن ابراهيم الامام فقال قتله مروان فى الحبس وكان مروان يومئذ بحران فقال أبو حميد فالى من الوصية قال الى أخيه أبى العباس قال وأين هو قال معك بالكوفة هو وأخوه وجماعة من عمومته وأهل بيته قال مذ متى هم هنا قال من شهرين قال فتمشى بنا

الشمس ان تغام هيهات لقد سمعتم باقبار دف الشمائل طيب الاخبار والحاد من لانزاع في فضله ولا الحاد أي نفس تخذتم له التراب مستودعاً فاضحى عزيز المكارم مجدعا

فتى مثل نصل السيف من حيث جئته * لنائبة نابتك فهو مضارب

فتى همه حمد على الناى رابح * وان بات عنه ماله وهو عازب

اماوان ازدحمت بمهلكه الاوصاب وفدح الرزء وجل المصاب حتى لا نألف الناسا فلقد سر الموت من حيث سا فلقد خلفنا بدهر ما فيه غير مصائب ولا يبالى من اقصد سهمه الصائب فيا فقيد الندى ما كان احدرك بالخلود واخلقك ويا جواد عمره ما كان اقصر طلقك توى حين استوى وتوارى اذملأ الافق أنواراً وكسف حين بلغ الكمال فكان كالغصن عندما اعتدل مال او كالشهاب عندما استقام حار وكذا عمر كواكب الاسحار هذه البراعة اتحفت بعده الضنى والصحف تطوى على جهالة وتخنى وعهدى به ان امتطى راحته اليراع راع او ديج الاوراق راق او استدر طبعه السلسال سال وأى روض أراد راد ومتى اراغ الانشاء أحسن ان شاء حق للفؤاد ان يستعر بوقده وللمدامع ان تسيل دما على فقده بيد أنه الموت لا بد ان يرد مشرعه ونسيغ على شرق به جرعه فانزرع بحصده الذى ازدرعه وصبراً ياذوى ارحامه وبنيه ومن رقى علواء الوجد فالسلوان يثنيه وشعاً على اجر كم لايذهب به الجزع ويفنيه والله يزلف الفقيد من رحمته ويدنيه ويقطفه زهر رضوانه ويجنيه وييسر لكم العزاء الاجل برحمته ويسنيه والسلام انتهت ويرحم الله القائل

كل جمع الى الشتات يصير * أى صفو ماشابه تكدير

انت في اللهو والامانى مقيم * والمنايا فى كل وقت تسير

والذى غره بلوغ الامانى * بسراب وخلب مغرور

ويك يا نفس أخلصى ان ربى * بالذى اخفت الصدور بصير

ولا خفاء على ذوى الأحلام من الاعلام أن الدنيا أضغاث أحلام

يندم المرء على مافاته * من لبانات اذا لم يقضها

وتراه فرحا مستبشرا * بالتى امضى كأن لم يمضها

انها عندى كأحلام الكرى * لقريب بعضها من بعضها

وقال ابو منصور واسعد النحوى

يجمع المرء ثم يترك ما يجمع من كسبه لغير شكور

ليس يحظى الابذكر جميل * او بعلم من بعده مأثور

وقال الامام الشهير أبو الفرج بن الجوزى

ياساكن الدنيا تأهب وانتظر يوم الفراق

وأعد زاداً للرحيل فسوف يحدى بالرفاق

وابك الذنوب بأدمع * تنهل من سحب المآق

يامن اضاع زمانه * ارضيت ما يفنى بباق

إلى أبي العباس فأخبره فلامه ادلم آتيه معه اليهم ومضى أبو حميد فأخبر جماعة من قواد خراسان في عساكر أبي سلمة بذلك منهم الجهم وموسى بن كعب وكان زعيمهم وغدا سابق الى الموضع فلقى أبا حميد فمضيا حتى دخل على أبي العباس ومن معه فقال أيكم الامام فاشار داود بن علي الى أبي العباس وقال هذا خليفتكم فأكب على أطرافه يقبلها وسلم عليه بالخلافة وأبو سلمة لا يعلم بذلك فبايعه ودخلوا الى الكوفة في أحسن زى وضربوا له مصافا وقدمت الخيول فركب أبو العباس ومن معه حتى أتوا قصر الامارة وذلك في يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب تنازع الناس في أى شهر بويع من هذه السنة ثم دخل المسجد الجامع من دار الامارة فحمد الله واثنى عليه وذكر تعظيم الرب ومنته وفضل النبي صلى الله عليه وسلم وقاد الولاية والوراثة حتى انتهت اليه ووعد الناس خيراً ثم سكت فتكلم عمه داود بن على وهو على المنبر دون ابى العباس فقال انه والله ما كان بينكم وبين وكان

وكان ابن الجوزي المذكور آية الله في كثرة التاليف والكتابة والوعظ والحفظ واقل من كان يحضر مجلسه عشرة آلاف وربما حضر عنده مائة الف وقال في آخر عمره على المنبر كتبت باصبعي هاتين ألفي مجلدة وتاب على يدي مائة ألف وأسلم على يدي عشرون ألف يهودي ونصراني وأسمع وجه الله تعالى الناس اكثر من أربعين سنة وحدث بمصنفاته مرارا وقال الحافظ الذهبي في حقه الحافظ الكبير الواعظ المفنن صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة في العلوم المتعددة وعظ من صغره وفاق فيه الاقران ونظم الشعر المليح وكتب بخطه مالا يوصف ورأى من القبول والاحترام مالا مزيد عليه وحزر مجلسه غير مرة بمائة ألف وحضر مجلسه المستضيء مرارا من وراء الستر انتهى ومن كلامه في بعض مجالسه والله ما اجتمع لاحد أمله الاوسعى في تفريقه أجله وعقارب المنايا تلسع الناس وخدران جسم الامل يمنع الاحساس وقال في قوله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتي من الستين الى السبعين انما طالت أعمار القدماء لطول البادية فلما شارف الركب بلد الاقامة قيل حثوا المطي وقال في الذين عبدوا العجل لو ان الله خارلهم ماخار لهم وقال يوما وقد طرب أهل المجلس فهمتم فهمتم وقال في خلافة أبي بكر رضي الله عنه بعد أن ذكر أحاديث تدل على خلافته كقوله صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر فليصل بالناس وغيره ماصورته فهذه أحاديث تجري مجرى النص فهمها الخصوص غير أن الرافضة في اخفائها كاللصوص فقال السائل لما قال اقيلوني ماسمعنا مثل جواب علي رضي الله عنه والله لا اقلناك فقال لما غاب علي عن البيعة في الاول أخلف ما فات بالمدح في المستقبل ليعلم السامع والرائي أن بيعة أبي بكر وان كانت من ورائي فهي رأيي ومثل ذلك الصدر لا برائي وقال في قول فرعون أليس لي ملك مصر يفتخر بما أجراه ما أجراه وتواجد رجل في مجلسه فقال عجبا كلنا في انشاد الضالة سوا فلم وجدت وحدك ألم الجوى وأنشد

قد كتمت الحب حتى شفني * واذا ما كتم الداء قتل
بين عينيك علالات الكرى * فدع النوم لربات الحجل

ونظر يوما الى أقوام يبكون في مجلسه ويتواجدون فأنشد

ولولم يهجني الظاعنون لهاجني * حمائم ورق في الديار وقوع
تداعين فاستبكين من كان ذا هوى * نوائح لم يقطر لهن دموع
وكيف أطيق العاذلين وذكرهم * يؤرقني والعاذلون هجوع

وقام رجل وتواجد فأنشد

ومازال يشكو الشوق حتى كانما * تنفس من احشائه وتكلما
ويبكي فأبكي رحمة لبكائه * اذا ما بكى دمعا بكيت له دما

وأعجبه يوما كلامه فأنشد

تزدحم الالفاظ والمعاني * على فؤادي وعلى لساني
تجري بي الافكار في ميدان * ازاحم النجم على مكان

ووعظ المستضيء يوما فقال يا أمير المؤمنين ان تكلمت خفت منك وان سكت خفت عليك

رسول الله صلى الله عليه وسلم خليفة الاعلى وامير المؤمنين هذا الذى خلق ثم نزل وخرج ابو العباس الى عسكر أبي سلمة فنزل في حجرته واستخلف على الكوفة وارضها عمه داود بن علي وبعث بعمه عبد الله بن علي الى ابي عون عبد الملك بن يزيد فسارا معا الى مروان فكان من امرهم ما قدمنا ذكره من التقائهم على الزاب وهزيمة مروان بن محمد واتصل بابي العباس السفاح ما كان من عامر ابن اسمعيل وقتله لمروان ببوصير وقيل ان ابن عم لعامر يقال له نافع بن عبد الملك كان قتله في تلك الليلة في المعركة وهو لا يعرفه وان عامرا لما احتز رأس مروان واحتوى على عسكره دخل الكنيسة التي كان فيها مروان فقعد على فرشه واكل من طعامه فخرجت ابنة مروان الكبرى وتعرف بأم مروان وكانت اسنهن فقالت يا عامر ان دهرا انزل مروان عن فرشه حتى اقعدك عليها فاكلت من طعامه واحتويت على امره وحكمت في مملكته لقادر أن يغير ما لك وبلغ السفاح فعله وكلامها فاغتاظ من ذلك وكتب اليه ويلك اما كان لك في ادب الله عز وجل ما يزجرك عن ان تأكل من طعام مروان وتقعد على مهاده وتمكن

فانا اقدم خوفي عليك على خوفي منك لمحبتي لدوام أيامك ان قول القائل اتق الله خير من قول القائل أنتم أهل بيت مغفور لكم وقال الحسن البصري لان تصحب أقواما يخوفونك حتى تبلغ المأمن خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى تبلغ المخاوف وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول اذا بلغني عن عامل ظالم انه قد ظلم الرعية ولم أغيره فانا الظالم يا أمير المؤمنين كان يوسف عليه السلام لا يشبع في زمان القحط لئلا ينسى الجياع وكان عمر رضي الله عنه يصر بطنه عام الرمادة فيقول قرقري ان شئت أو لا تقرقري فوالله لا شبعت والمسلمون جياع فتصدق الخليفة المستضيء بصدقات كثيرة وأطلق من في السجن وقال رحمه الله تعالى لبعض الولاة اذكر عدل الله فيك وعند العقوبة قدرة الله عليك واياك أن تشفي غيظك بسقم دينك وقال الطاعة تبسط اللسان والمعاصي تذل الانسان وقال له قائل ما نمت البارحة من شوقي الى المجلس فقال نعم لانك تريد أن تتفرج وانما ينبغي أن لا تنام الليلة لاجل ما سمعت فيه وقيل له ان فلانا أوصى عند الموت فقال طين سطوحه في كانون وقال له قائل أسبح أم أستغفر فقال الثياب الوسخة أحوج الى الصابون من البخور وسأله سائل ما الذي وقر في قلب أبي بكر رضي الله عنه فقال قوله ليلة المعراج أن كان قال فلقد صدق فله السبق ولما قال له بعضهم سيف علي نزل من السماء فسعفة أبي بكر أين أجابه بقوله ان سعفة هزت يوم الردة فأثمرت سبايا جاء منه مثل ابن الحنفية لأمضى من سيوف الهند ثم قال يا عجبا الروافض اذا مات لهم ميت تركوا معه سعفة من ابن ذا المصطلح وسئل عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر الى ميت يمشي على وجه الارض فلينظر الى أبي بكر فقال الميت يقسم ماله و يكفن وأبو بكر أخرج ماله كله وتخلل بالعباء وقال في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا قال علي اني والله لأرجو أن أكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم ثم قال أبو الفرج اذا اصطلح أهل الحرب فما بال النظارة وقال قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم سلم على عائشة ولم يواجهها بالخطاب احتراما لزوجها وواجه مريم لانها لم يكن لها زوج فمن يحترمها جبريل كيف يجوز في حقها الاباطيل قال أبو شامة وكان ابن الجوزي رحمه الله تعالى مبتلى بالكلام في مثل هذه الاشياء لكثرة الروافض ببغداد وتعنتهم بالسؤالات فيها فكان بصيرا بالخروج منها بحسن اشاراته وانقطع القراء يوما عن مجلسه فانشد

وما الحلي الا زينة لنقيصة * يتمم من حسن اذا الحسن قصرا
وأما اذا كان الجمال موفرا * كحسنك لم يحتج الى أن يزورا

وقيل له لم تعالى موسى عليه السلام بسوف تراني فأنشد

ان لم يكن وصل لديك لنا * يشفي الصبابة فليكن وعد

ولما ذكر أن بلالا رضي الله عنه لما منع الطواف بالبيت كان يقف من بعيد وينظر اليه ويبكي أنشد

أمر على منازلهم واني * بمن أضحى بها صب مشوق
وأومي بالتحية من بعيد * كما يومي باصبعه الغريق

ومن شعر أبي الفرج رحمه الله تعالى

غضبه والم ادبه ما يكون لك زاجرا ولغيرك واعظا فاذا اتاك كتاب امير المؤمنين فتقرب الى الله بصدقة تطفئ بها غضبه وصلاة تظهر بها الاستكانة وصم ثلاثة ايام ومر جميع اصحابك ان يصوموا مثل صيامك ولما اتى ابو العباس برأس مروان ووضع بين يديه سجد فاطال ثم رفع رأسه فقال الحمد لله الذي لم يبق ثاري قبلك وقبل رهطك الحمد لله الذي أظفرني بك وأظهرني عليك ثم قال ما أبالي متى طرقني الموت قد قتلت بالحسين و بني أبيه من بني أمية مائتين وأحرقت شلو هشام بابن عمي زيد بن علي وقتلت مروان بأخي ابراهيم وتمثل

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم
ولا دماؤهم للغيظ ترويني

ثم حول وجهه الى القبلة فاطال السجود ثم جلس وقد اسفر وجهه وتمثل بقول العباس بن عبد المطلب من أبيات له

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت
قواطع في أيماننا تقطر الدما
تورثن من أشياخ صدق تقربوا * بهن الى يوم الوغى فتقدما

لعبت ومثلك لا يلعب * وقد ذهب الاطيب الاطيب
وقد كنت في ظلمات الشباب * فلما أضاء انجلى الغيهب
ألا ابن اقرانك الراحلون * لقد لاح اذ ذهبوا المذهب

ولنقتصر على هذا المقدار ونرجع الى أحوال لسان الدين رحمه الله تعالى وارتحاله والاعتبار بحاله فنقول ومما يناسب أن نذكره في هذا المحل ونثبته فيه ما حكاه العالم العلامة بلدينا سيدي أبو الفضل ابن الامام التلمساني رحمه الله تعالى من جدي الامام قاضي القضاة سيدي أبي عبد الله المقري التلمساني رحمه الله تعالى وهو أحد أشياخ لسان الدين كما يأتي ان شاء الله ذلك في محله قال كنت مع ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب في جامع البيرة من الاندلس اذ مررنا بالاعتبار في تلك الآثار فأنشد ابن الخطيب ارتجالا

أقمنا برهة ثم ارتحلنا * كذاك الدهر حال بعد حال
وكل بداية فالى انتهاء * وكل اقامة فالى ارتحال
ومن سام الزمان دوام حال * فقد وقف الرجاء على المحال

انتهى

وحكى لسان الدين في الاحاطة عن نفسه أنه خطط هذه الابيات في مرحلة نزلها رحمه الله تعالى حسبما يأتي ذلك في شعره وما أحسن قوله رحمه الله تعالى

لسنا نقبل الزمان وأيلانا * يتابع اجراناعلى الغي أولانا
ونغتر بالآمال والعمر ينقضي * فما كان بالرجعى الى الله أولانا
وماذا عسى أن ينظر الدهر من عسا * فما انقاد للزجر الحثث ولا لانا
جزينا صنيع الله شر جزائه * فلم نرع ما من سابق الفضل أولانا
فيارب عاملنا بما أنت أهله * من العفو واجبر صدعنا أنت مولانا

وقد حكى غير واحد أنه رحمه الله تعالى رئي بعد موته في المنام فقال له الرائي ما فعل الله بك فقال غفر لي ببيتين قلتهما وهما

يا مصطفى من قبل نشأة آدم * والكون لم تفتح له أغلاق
أيروم مخلوق ثناءك بعدما * أثنى على أخلاقك الخلاق

وقد كرر رحمه الله تعالى هذا المعنى في قصيدة في حقه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم وبارك وأنعم وهو قوله

مدحتك آيات الكتاب فما عسى * يثني على علياك نظم مديحي
واذا كتاب الله أثنى مفصحا * كان القصور قصار كل فصيح

وسيأتي هذه القصيدة في نظمه ان شاء الله تعالى وقد رأيت بالمغرب تخميسا للبيتين الاولين منسوبا للاديب الشهير الذكر بالمغرب أبي عبد الله محمد بن جابر الغساني المكناسي رحمه الله تعالى ولا بأس أن نورده هنا وهو قوله رحمه الله تعالى

يا سائلا لاضريح خير العالم * يهوي اليه مقام صب هائم
بالله ناد وقل مقالة عالم * يا مصطفى من قبل نشأة آدم
والكون لم تفتح له أغلاق

وقالت الشعراء في أمر مروان فأكثرت (وذكر) أبو الخطاب عن أبي جعدة ابن هبيرة المخزومي وكان احد وزراء مروان وسماره وقد كان لما ظهر أمر أبي العباس انضاف الى جملته وصار في عداد أصحابه وخواصه الذين اتخذهم أنه كان في ذلك اليوم حاضرا لمجلس أبي العباس ورأس مروان بين يديه وهو يومئذ بالحيرة وأن أبا العباس التفت الى أصحابه فقال أيكم يعرف هذا قال أبو جعدة فقلت أنا أعرفه هذا رأس أبي عبد الملك مروان ابن محمد خليفتنا بالامس رضي الله عنه قال فحدقت الى الشيعة فأخذتني بابصارها فقال لي أبو العباس في أي سنة كان مولده قلت سنة ست وسبعين فقام وقد تغير لونه غيظا علي وتفرق الناس من المجلس وانصرفت وأنا نادم على ماكان مني وتكلم الناس في ذلك وتحدثوا به فقلت زلة والله لا تستقال ولا تنساها القوم أبدا فأتيت منزلي فلم أزل باقي يومي أعهد وأوصي فلما كان الليل اغتسلت وتهيأت للصلاة وكان أبو العباس قد اهتم بأمر بعث فيه ليلا

بثنائك قد شهدت ملائكة السما * والله قد صلى عليك وسلما

يا مجتبي ومعظما ومكرما * أروم مخلوق ثناءك بعدما

أثني على أخلاقك الخلاق

وما أحسن قول لسان الدين رحمه الله تعالى بعدما عرف بنفسه وسلفه وكأن بالحي ممن ذكر قد التحق بالميت وبالقبر قد استبدل بالبيت وقال رحمه الله تعالى بعد ابراد جملة من نظمه ما صورته وقلت والبقاء لله وحده وبه يختم الهذر

عد عن كيت وكيت * ما عليها غير ميت

كيف ترجى حالة البقيا لمصباح وزيت

وسيأتي ذلك ولقد صدق رحمه الله تعالى ورقي درجته في الجنة وأما البيتان الشائعان على ألسنة أهل المشرق والمغرب وانهما قيلا في لسان الدين رحمه الله تعالى وبعضهم ينسبهما له نفسه فالصحيح خلاف ذلك كما سيأتي وهما

قف كي ترى مغرب شمس الضحى * بين صلاة العصر والمغرب

واسترحم الله قتيلا بها * كان امام العصر في المغرب

وشرح بعضهم البيتين فقال ان قوله قتيلا بها من باب الاستخدام أي قتيلا بشمس الضحى التي هي المتغزل فيها وقد رأيت وأنا بالمغرب بخط الشيخ الاغصاوي أنهما لم يعن بهما قائلهما لسان الدين بن الخطيب وانما هما مقولان في غيره ونسبهما ونسيت الآن ذلك لطول العهد والله أعلم ويدل على ذلك أنه رحمه الله تعالى لم يقتل بين صلاة العصر والمغرب وانما قتل في جوف الليل كما علم في محله على أنه يمكن بتكلف تأويل ذلك بأنه قامت لقائلهما قرينة على أنه بصدد الموت في ذلك الوقت وهذا الوثت أنهما قيلا فيه وقد علمت أن الاغصاوي نفى ذلك فالله أعلم بحقيقة الامر في ذلك ثم رأيت في كتاب اسمعيل بن الاحمر في ترجمة بعض العلماء ما نصه فمن قوله يرثي الامراء بالمغرب وقد حل رمسه بين صلاة العصر والمغرب

قف كي ترى مغرب شمس العلا * بين صلاة العصر والمغرب

واسترحم الله دفينا به * كان مليك العصر في المغرب

وهذا مما يبعد أنهما في لسان الدين من وجوه لا تخفى على المتأمل منها قوله كان مليك العصر فان لسان الدين لم يكن كذلك وقد تقدم آنفا كان امام العصر في المغرب وهو أحسن لما فيه من التورية البديعة والله أعلم (رجع) الى أخبار لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى وقد عرض عدوه الرئيس ابن زمرك في بعض قصائده التي مدح بها سلطانه الغني بالله أبا عبد الله بن نصر بما نسي له من الظفر بابن الخطيب ومن حماه منه وهو الوزير ابن الكاسي على يد من عينه لملك المغرب وأعانه بجنده وعضده كما تقدم وهو السلطان أحمد المريني فقال من قصيدة عيدية

يهني زمانك أعياد مجددة * من الفتوح مع الايام تغشاه

غضبت للدين والدنيا بحقهما * يا حبذا غضب في الله أرضاه

فوقت للغرب سهما راشه قدر * وسدد الله للاعداء مرماه

اجد احدا اولى من سليمان بن خالد مولى بني زهرة وكان له من ابي العباس منزلة عظيمة وكان من شيعة القوم فاتيته فقلت أذكرني امير المؤمنين البارحة فقال نعم جرى ذلك فقال هو ابن اختنا وفي لصاحبه ونحن ان اولينا خيرا كان اهلا اشكر فشكرت ذلك له وجزيته خيرا ودعوت له وانصرفت فلم ازل آتي أبا العباس على ما كنت عليه لا ارى الاخيرا ونمى الكلام الذي كان في مجلس ابي العباس حين اتي براس مروان فبلغ ابا جعفر وعبد الله بن علي فكتب عبد الله بن علي الى ابي العباس يعلمه عما بلغه من كلامي وانه ليس هذا يحتمل وكتب ابو جعفر يخبر عما بلغه من ذلك ويقول هو ابن اختنا ونحن اولى باصطناعه واتخاذ المعروف عنده بلغني ما كان منهما فامسكت وضرب الدهر ضرباته فبينا انا ذات يوم عند ابي العباس بعد حين وقد زايدت حالي عنده واحظاني فنهض الناس ونهضت فقال لي ابو العباس يا ابن

هبيرة اجلس فجلست ونهض ليدخل فقمت لقيامه فقال اجلس فرفع

سهم أصاب ورامبه بذى سلم * لقد رمى الغرض الاقصى فاصماه
من كان بندك يا مولاى يقدمه * فليس يخلفه فتح ترجاه
من كان جندك جند الله ينصره * أنا له الله ما يرجو وسناه
ملكت غربا به خلدت من ملك * للغرب والشرق منه ما تمناه
وسام أعداءك الاشقين ما كسبوا * ومن تردى رداء الغدر أرداه
قل للذى رمدت جهلا بصيرته * فلم تر الشمس شمس الهدى عيناه
غطى الهوى عقله حتى اذا ظهرت * له المراشد أعشاه وأعماه
هل عنده وذنوب الغدر توبقه * أن الذى قد كساه العز أعراه
لو كان يشكر ما أوليت من نعم * مازلت ملجأه الاحمى ومنجاه
سل السعود وخل البيض معمدة * فالسيف مهما مضى فالسعد أقصاه
واشرع من البرق نصلا راع مصلته * وارفع من الصبح بندا راق مجلاه
فالعدوتان لنا قد ضم ملكهما * انصار ملكك صان الله علياه
لا أوحش الله قطرا أنت مالكه * وآنس الله بالالطاف مغناه
لا أظلم الله أفقا أنت نيره * لا أهمل الله سرحا أنت ترعاه
واهنا بشهر صيام جاء زائره * مستنزلا من اله العرش رحماه
أهل بالسعد فانهلت به منن * وأوسع الصنع اجمالا ووفاه
أما ترى بركات الارض شاملة * وأنعم الله قد عمت براياه
وعادك العيد تستحلى موارده * ويجزل الاجر والرحمى مصلاه
جهزت جيش دعاء فيه ترفعه * اذى المعارج والاخلاص رقاه
أفضت فيه من النعماء أجزلها * وأشرف البر بالاحسان زكاه
واليت للخلق ما أوليت من نعم * والى لك الله ما أولى ووالاه

وأول هذه القصيدة

هذى العوالم لفظ أنت معناه * كل يقول اذا استنطقته الله
بحر الوجود وفلك الكون جارية * وباسمك الله مجراه ومرساه
من نور وجهك ضاء الكون أجمعه * حتى تشيد بالافلاك مبناه
عرش وفرش وأملاك مسخرة * وكلها ساجد لله مولاه
سبحان من أوجد الاشياء من عدم * وأوسع الكون قبل الكون نعماه
من ينسب النور للافلاك قلت له * من أين أطلعت الانوار لولاه
مولاى مولاى بحر الجود أغرقنى * والخلق أجمع فى ذا البحر قد تاهوا
فالفلك تجرى كما الافلاك جارية * بحر السماء وبحر الارض أشباه
وكلهم نعم للخلق جارية * تبارك الله لا تحصى عطاياه
يا فاتق الرتق من هذا الوجود كما * فى سابق العلم قد خطت قضاياه
كن لى كما كنت لى اذ كنت لا عمل * أرجو ولا ذنب قد أذنبت أخشاه

رداء وجبة فما رأيت أحسن منه ولا جما عليه قط فلما رفع الستر نهضت فقال اجلس فجلست فقال يا ابن هبيرة انى ذاكر لك أمرا فلا يخرجن من رأسك الى أحد من الناس ثم قال قد علمت ما جعلنا من هذا الامر وولاية العهد لمن قتل مروان وعبد الله ابن على عمى هو الذى قتله لان ذلك كان بجيشه وباصحابه وأخى أبو جعفر مع فضله وعلمه وايثاره لامر الله كيف يسوغ اخراجه عنه قال فاطال فى مديح أبى جعفر فقلت اصلح الله الامير لا أشير عليك ولكنى احدثك حديثا تعتبره فقال هاته فقلت كنا مع مسلمة بن عبد الملك عام الخليج بالقسطنطينية اذ ورد عليه كتاب عمر بن عبد العزيز ينعى سليمان ومصير الامر اليه فبعث الى فدخلت عليه فرمى بالكتاب الى فقرأته ثم اندفع يبكى فقلت أصلح الله الامير لا تبك على أخيك ولكن ابك على خروج الخلافة من ولد أبيك الى ولد عمك فبكى حتى اخضلت لحيته قال فلما فرغت من حديثى قال لى أبو العباس حسبك قد فهمت عنك ثم قال اذا شئت فانهض فما مضيت غير بعيد حتى قال لى يا ابن هبيرة فالتفت راجعا فقال لى أمض أما انك قد كافأت

وأنت في حضرات القدس تنقلني * حتى استقر بهذا الكون مثواه
ما أقبح العبد أن ينسى وتذكره * وأنت باللطف والاحسان ترعاه
غفرانك الله من جهل بليت به * فمن افادوجودى كيف أنساه
منى على تجاب لست أرفعه * الا بتوفيق هدى منك ترضاه
فمد على بباع ودته من كرم * فأنت أكرم من امات رجاه
ثم الصلاة صلاة الله دائمة * على الذى باسمه فى الذكر سماه
المجتبى وزناد النور ماقدحت * ولاذكا من نسيم الروض مسراه
والمصطفى وكمام الكون مافتقت * عن زهر زهر بروق العين مرآه
ولا تفجر نهر للنهار على * درالدرارى فغطاه وأخفاه
يافاتح الرسل أويا ختمها شرفا * والله قدس فى الحالين معناه
لم ادخر غير حب فيك أرفعه * وسيلة الكريم يوم ألقاه
صلى عليك اله أنت صفوته * ماطيبت بلذيذ الذكر أفواه
وعم بالروح والريحان صحبته * وجاههم من غير العفو أصفاه
وخص أنصاره الاعلين صفوته * وأسكنوا من جوار الله اعلاه
أنصار ملته أعلام بعثته * مناقب شرفت أنى بها الله
وأيد الله من أحياء جهادهم * وواصل الفخر أخراه بأولاه
المنتقى من صميم الفخر جوهره * ما بين نصر وأنصار تهاداه
العلم والحلم والافضال شيمته * والبأس والجود بعض من سجاياه

وهى طويلة ولنقتصر منها على ما ذكر وقد صرح ابن زمرك المذكور فى قصيدة أخرى مدح بها سلطانه الغنى بالله وهنأه بفتح المغرب على يد السلطان أحمد وذكر فيها ظفره بالوزير ابن الكاس وهو اعنى ابن الكاس كان القائم بنصرة لسان الدين والمانع له والمجيرله منهم حين طلبوه منه فلما لم يخفر ذمته تمكنت كاسبق أسباب العداوة وجر ذلك أن اغرى السلطان أحمد على تملك فاس واشترطوا عليه كمام القبض على لسان الدين وارساله اليهم وقد نقلت هذه القصيدة من تأليف لحفيد السلطان الغنى بالله ونص محل الحاجة منه ومن ذلك أيضا قوله يعنى ابن زمرك هناه لمولانا الجد رحمه الله تعالى بالفتح المغربى للسلطان أبى العباس ابن السلطان ابى سالم المرينى

هى نفحة هبت من الانصار * اهدتك فتح ممالك الامصار
فى بشرها وبشارة الدنيا بها * مستمتع الاسماع والابصار
هبت على قطر الجياد فروضت * ارجاءه بالنفحة المعطار
وسرت وامر الله طى برودها * يهدى البرية صنع لطف البارى
مرت بأدواح المنابر فانبرت * خطباؤها مفتنة الاطيار
حنت معارجها الى اعشارها * لما سمعن بها حنين عشار
لوأنصفتك لكللت أدواحها * تلك البشائر يانع الازهار

ابن هبيرة هذا هو من ولد جعدة بن هبيرة المخزومى من فاختة ام هانئ بنت ابى طالب وعلى وجعفر وعقيل اخواله وقد قدمنا خبره فيما سلف من هذا الكتاب (قال المسعودى) ووجدت فى أخبار المدائنى عن محمد بن الاسود قال بينما عبد الله بن على يساير اخاه داود بن على ومعهما عبد الله بن الحسن بن الحسن فقال داود لعبد الله لم لا تأمر ابنيك بالظهور فقال عبد الله هيهات لم يأن لهما بعد فالتفت اليه عبد الله بن على فقال كانك تحسب ان ابنيك هما قاتلاى مروان فقال ان ذلك كذلك فقال عبد الله هيهات وتمثل
سيكفيك المقالة مستميت خفيف اللحم من اولاد حام
انا والله قاتله وقيل لعبد الله ابن على ان عبد الله بن عمر ابن عبد العزيز يذكر انه قرأ فى بعض الكتب عين ابن عين ابن عين وقد امل ان يكون هو فقال عبد الله ابن على انا والله ذلك ولى عليه فضل ثلاثة اعين انا عبد الله بن على بن عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب ابن هاشم وهو عمرو بن عبد مناف فلما صاف مروان عبد الله بن على اقبل مروان على رجل الى جنبه فقال

فتح الفتوح اتاك فى حلل الرضا * بغرائب الازمان والاعصار
فتح الفتوح جنيت من أفنانه * ماشئت من نصر ومن انصار
كم آية لك فى السعود جليلة * خلدت منها عبرة استبصار
كم حكمة لله فى النفوس خفية * خفيت مداركها عن الافكار
كم من امير أم بابك فانثنى * يدعى الخليفة دعوة الاكبار
اعطيت احمد واية منصورة * بركاتها تروى عن الانصار
اركبته فى المنشآت كأنما * جهزته فى وجهة لمزار
من كل خافقة الشراع مصفق * منها الجناح تطير كل مطار
ألقت بايدى الريح فضل عنانها * فتكاد تسبق لمحة الابصار
مثل الجياد تدافعت وتسابقت * من طافح الامواج فى مضمار
لله منها فى المجاز سوابح * وقفت عليك الفخر وهى جوارى
لما قصدت بها مراسى سبتة * عطفت على الاسوار عطف سوار
لما رأت من صبح عزمك غرة * محفوفة بأشعة الانوار
ورأت جبينا دونه شمس الضحى * لبست بالاجلال والاكبار
فأفضت فيها من نداك مواهبا * حسنت مواقعها على التكرار
وأريت أهل الغرب عزم مغرب * قد ساعدته غرائب الاقدار
وخطبت من فاس الجديد عقيلة * لبتك طوع تسرع وبدار
ما صدقوا متن الحديث بفتحها * حتى رأوه فى متون شفار
وتسمعوا الاخبار باستفتاحها * والخبر قد يغنى عن الاخبار
قولوا لقرد فى الوزارة غره * حلم منحت به على مقدار
أسكنته من فاس جنة ملكها * متنعما منها بدار قرار
حتى اذا كفر الصنيعة وازدرى * بحقوقها ألحقته بالنار
جرعت نجل الكاس كاسا مرة * دست اليه الحتف فى الاسكار
كفر الذى أوليته من نعمة * لا تأنس النعماء بالكفار
فطرحته طرح النواة فلم يفز * من عز مغربه بغير فرار
لم يتفق لخليفة مثل الذى * أعطى الاله خليفة الانصار
لم أدر والايام ذات عجائب * ترداد ها يحلو على التذكار
ألواء صبح فى ثنية مشرق * أم راية فى جحفل جرار
وشهاب أفق أم سنان لامع * ينقض نجما فى سماء غبار
ومناقب المولى الامام محمد * قد أشرقت أم هن زهر دراري
فاق الملوك بهمة علوية * من دونها نجم السماء السارى
لو صافح الكف الخضيب بكفه * نخرت بنهر للمجرة جارى
والشهب تطمع فى مطالع أفقها * لو أحرزت منه منيع جوار

من الرجل الذى كان يخاصم عندك عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر الاقنى الحديد البصر الحسن الوجه فقلت يرزق الله البيان من يشاء قال قال انه لهو قلت نعم قال من ولد العباس بن عبد المطلب هو قلت اجل فقال مروان انا لله وانا اليه راجعون ويحك انى ظننت ان الذى يحاربنى من ولد ابى طالب وهذا الرجل من ولد العباس واسمه عبد الله اتدرى لم صيرت الامر بعدى لابنى عبيد الله بن عبد الله ومحمد اكبر من عبيد الله لانا اخبرنا أن الامر صائر بعدى الى عبد الله وعبيد الله فنظرت فاذا عبيد الله أقرب الى عبد الله من محمد فوليته دونه قال وبعث مروان بعد أن حدث صاحبه بهذا الحديث الى عبد الله بن على فى خفية ان الامر يا ابن عم صائر اليك فاتق الله فى الحرم قال فبعث اليه عبد الله ان الحق لنا فى دمك والحق علينا فى حرمك وذكر مصعب الزبيرى قال كانت أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله ابن الوليد بن المغيرة المخزومى عند عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك فهلك عنها ثم كانت عند هشام فهلك عنها فبيناهى ذات يوم اذ مر بها أبو العباس السفاح وكان جميلا وسيما فسألت عنه فنسب لها فارسلت له مولاة لها تعرض عليه أن يتزوجها وقالت لها قولى له هذه

سل بالمشارق صبحها عن وجهه * يفتر منه عن جبين نهار
سل بالغمائم صوبها عن كفه * تنبيك عن بحر بها زخار
سل بالبروق صفاحها عن عزمه * تخبرك عن أمضى شبا وغرار
قد أحرز الشيم الخطيرة عندما * أمضى العزائم صهوة الاخطار
ان يلق ذو الاجرام صفحة صفحه * فسح القبول له خطا الاعمار
يامن اذا هبت نواسم حمده * أزرت بعرف الروضة المعطار
يامن اذا افترت مباسم بشره * وهب النفوس وعاث فى الاقتار
يامن اذا طلعت شموس سعوده * تعشى أشعتها قوى الابصار
قسما بوجهك فى الضياء فانه * شمس تمد الشمس بالانوار
قسما بعزمك فى المضاء فانه * سيف تجرده يد الاقدار
لسماح كفك كلما استوهبته * يزرى بغيث الديمة المدرار
لله حضرتك العلية لم تزل * يلقى الغريب بها عصا التسيار
كم من طريد نازح قذفت به * أيدى النوى فى القفر رهن سفار
بلغته ماشاء من آماله * فسلا عن الاوطان بالاوطار
صيرت بالاحسان دارك داره * متعت بالحسنى وعقبى الدار
والخلق تعلم أنك الغوث الذى * يضفى عليها وافى الاستار
كم دعوة لك فى المحول مجابة * أغرت جفون المزن باستعبار
جادت مجارى الدمع من قطر الندى * فرعى الربيع لها حقوق الجار
فأعاد وجه الارض طلقا مشرقا * متضاحكا بمباسم النوار
يامن مآثره وفضل جهاده * تحدى القطار بها الى الاقطار
حطت البلاد ومن حوته ثغورها * وكفى بسعدك حاميا لذمار
فلرب بكر للفتوح خطبتها * بالمشرفية والقنا الخطار
وعقيلة للكفر لما رعتها * أخرست من ناقوسها المهذار
اذهبت من صفح الوجود كيانها * ومحوتها الا من التذكار
عمروا بها جنات عدن زخرفت * ثم انثنوا عنها ديار بوار
صبحت منها روضة مطلولة * فأعدتها للحين موقد نار
واسود وجه الكفر من خزى متى * ما احمر وجه الابيض البتار
ولرب روض للقنى متأود * ناب الصهيل به عن الاطيار
مهما حكت زهر الاسنة زهره * حكت السيوف معاطف الانهار
متوقد لهب الحديد بجوه * تصلى به الاعداء لفح أوار
فبكل ملتفت صقال مشهر * قد داح زند الحفيظة وارى
فى كف أروع فوق نهد سابح * متموج الاعطاف فى الاحضار
من كل مغفر بلمة بارق * حمل السلاح به على طيار

سبعمائة دينار أوجبها الليلة وكان معها مال عظيم وجوهر وحشم فاتته المولاة فعرضت عليه ذلك فقال أنا
علق لا مال عندى فدفعت
اليه المال فانعم لها وأقبل
الى أخيها فسأله التزويج
فزوجه اياها فاصدقها
خمسمائة دينار وأهدى
مائتى دينار ودخل عليها
من ليلته واذا هى على
منصة قد مد عليها فاذا كل
عضو منها مكلل بالجوهر
فلم يصل اليها فدعت بعض
جواريها فنزلت وغيرت
لبسها ولبست ثيابا مصبغة
وفرشت له فراشا على
الارض دون ذلك فلم
يصل اليها فقالت لا يضرك
هذا كذلك كان يصيبهم
مثل ما أصابك فلم تزل به
حتى وصل اليها من ليلته
وحظيت عنده وحلف أن
لا يتزوج عليها ولا يتسرى
فولدت منه محمدا وريطة
وغلبت عليه غلبة شديدة
حتى ما كان يقطع أمرا الا
بمشورتها وبتأميرها حتى
أفضت الخلافة اليه فلم يكن
يدنو الى النساء غيرها الا الى
حرة ولا الى أمة ووفى لها
بما حلف أن لا يغيرها فلما
كان ذات يوم فى خلافته
خلا به خالد بن صفوان
فقال يا أمير المؤمنين انى
فكرت فى أمرك وسعة
ملكك وقد ملكت نفسك
امرأة واحدة فان مرضت مرضت وان غابت غبت وحرمت نفسك التلذذ باستطراف الجوارى ومعرفة

من أشهب كالصبح يطلع غرة * في مستهل العسكر الجرار
أو أدهم كالليل إلا أنه * لم يرض بالجوزاء حلي عذار
أو أحمر كالجمر يذكي شعلة * وقد ارتمى من بأسه بشرار
أو أشقر حلى الجمال أديمه * وكساه من زهو جلال نضار
أو أشعل راق العيون كأنه * غلس يخالط سدفة بنهار
شهب وشقر في الطراد كأنها * روض تفتح عن شقيق بهار
عودتها أن ليس تقرب منهلا * حتى يخالط بالدم المتوار
يا أيها الملك الذي أيامه * غرر تلوح بأوجه الأعصار
يهني لواءك أن جدك زاحف * بلواء خير الخلق للكفار
لا غرو أن فقت الملوك سيادة * إذ كان جدك سيد الأنصار
السابقون الأولون إلى الهدى * والمصطفون لنصرة المختار
متهللون إذا النزيل عراهم * سفروا له عن أوجه الأقمار
من كل وضاح الجبين إذا احتبى * تلقاه معصوبا بتاج فخار
تدلات صبحا فوق بدر بعدما * لبس المكارم وارتدى بوقار
فاسأل ببدر عن مواقف بأسهم * فهم تلاقوا أمره ببدار
لهم العوالي عن معالي فخرها * نقل الرواة عوالي الأخبار
وإذا كتاب الله يتلو حمدهم * أودى القصور بجنة الأشعار
يا ابن الذين إذا تذوكر فخرهم * فخروا بطيب أرومة ونجار
حقا لقد أوضحت من آثارهم * لما أخذت لدينهم بالثار
أصبحت وارث مجدهم وفخارهم * ومشرف الأعصار والأمصار
يا صادرا في الفتح عن ورد المنى * ردناجح الإيراد والإصدار
وأهنأ بفتح جاء يشتمل الرضا * جذلان يرفل في حلى استبشار
وإليكها ملء العيون وسامة * حيتك بالأبكار من أفكاري
تجري حداة العيس طيب حديثها * يتعللون به على الأكوار
إن سمهم لفح الهجير أبلهم * منه نسيم ثنائك المعطار
وتميل من أصغى لها فكأنني * عاطيته منها كؤوس عقار
قذفت بحور الفكر منها جوهرا * لما وصفت أنا ملا بحار
لا زلت للإسلام سترا كلما * أم الحجيج البيت ذا الأستار
وبقيت يا بدر الهدى تجري بما * شاءت علاك سوابق الأقدار انتهت

ولابن زمرك السابق قصيدة أخرى قالها بعد موت لسان الدين بن الخطيب وخلع السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم الذي قتل ابن الخطيب في دولته وكان سلطان الأندلس موثلا للسلطان أحمد المذكور ولذلك امتعض لرده لملكه فقال ابن زمرك وزير صاحب الأندلس بعد ابن الخطيب هذه القصيدة يمدح بها سلطانه أثناء وجهته لتجديد الدولة الأحمدية

وإن منهن الفضة البيضاء والعتيقة الأدماء والدقيقة السمراء والبربرية العجزاء من مولدات المدينة تفتن بمحادثتها وتلذ بخلوتها وأين أمير المؤمنين من بنات الأحرار والنظر إلى ما عندهن وحسن الحديث منهن ولو رأيت يا أمير المؤمنين الطويلة البيضاء والسمراء اللعساء والصفراء العجزاء والمولدات من البصريات والكوفيات ذات الألسن العذبة والقدود المهفهفة والأوساط المخصرة والأصداغ المزرفنة والعيون المكحلة والثدي المحققة وحسن زيهن وزينتهن وشكلهن لرأيت شيأ حسنا وجعل خالد يجيد في الوصف ويجد في الإطناب بحلاوة لفظه وجودة وصفه فلما فرغ كلامه قال له أبو العباس ويحك يا خالد ما صك مسامعي والله قط كلام أحسن مما سمعته منك فأعد علي كلامك فقد وقع مني موقعا فأعاد عليه خالد أحسن مما ابتدأه ثم انصرف وبقي أبو العباس مفكرا فيما سمع منه فدخلت عليه أم سلمة امرأته فلما رأته مفكرا مغموما قالت إني لأنكرك يا أمير المؤمنين فهل حدث أمر تكرهه أو أتاك خبر فارتعت له قال لم يكن من ذلك شيء قالت فما قصتك بفعل يتروى

عنها فلم تزل به حتى أخبرها ٩٦ بمقالة خالد له فقالت فما قلت لابن الفاعلة قال لها سبحان الله ينهني وتشتمينه فخرجت

من عنده مغضبة وأرسلت الى خالد من الفعارية ومعهم الكافر كوبات وأمرتهم أن لايتركوا منه عضوا صحيحا قال خالد فانصرفت الى منزلي وأنا على السرور بما رأيت من أمير المؤمنين واعجابه بما ألقيته اليه ولم أشك أن صلته ستأتيني فلم ألبث حتى صار الى أولئك الفعارية وأنا قاعد على باب داري فلما رأيتهم قد أقبلوا نحوي أيقنت بالجائزة وأصله حتى وقفوا على فسألوا عني فقلت ها أنا ذا خالد فسبق الى أحدهم بهراوة كانت معه فلما أهوى بها الي وثبت فدخلت منزلي وأغلقت الباب علي واستترت ومكثت أياما على تلك الحال لا أخرج من منزلي ووقع في خلدي أني أتيت من قبل أم سلمة وطلبني أبو العباس طلبا شديدا فلم أشعر ذات يوم الا بقوم قد هجموا علي وقالوا أجب أمير المؤمنين فأيقنت بالموت فركبت وليس علي لحم ولادم فلم أصل الى الدار فأومأ الى بالجلوس ونظرت فاذا خلف ظهري باب عليه ستور قد أرخيت وحركة خلفها فقال يا خالد لم أرك منذ ثلاث قلت كنت عليلا يا أمير المؤمنين ورثت

المذكورة صدر عام تسعة وثمانين وسبعمائة

هب النسيم على الرياض مع السحر * فاستيقظت في الدوح أجفان الزهر
ورمى القضيب دراهما من نوره * فاعتاض من طل الغمام بهادرر
نثر الازاهر بعدما نظم الندى * ياحسن ما نظم النسيم وما نثر
قم هاتها والجو أزهر باسم * شمسا تحل من الزجاجة في قمر
ان شجها بالماء كف مديرها * ترميه من شهب الحباب بها شرر
نارية نورية من ضوئها * قدح السراج لنا اذا الليل اعتكر
لم يبق منها الدهر الا صبغة * قد أرعشت في الكاس من ضعف الكبر
من عهد كسرى لم يفض ختامها * اذ كان يدخر كنزها فيما دخر
كانت مذاب التبر فيما قد مضى * فالآن ذوب اللجين لمن نظر
جددبها عرس الصبوح فانها * بكر تحييها الكرام مع البكر
وابلل بها رمق الاصيل عشية * والشمس من وعد الغروب على خطر
محمرة مصفرة قد أظهرت * خجل المريب يشوبه وجل الحذر
من كف شفاف تجسد نوره * من جوهر لألاء بهجته بهر
تهوى البدور كماله وتود أن * لو أوتيت منه المحاسن والغرر
قد خط نور عذاره في خده * قلمان من آس هناك ومن شعر
والى عليك بها الكؤس وربما * يسقيك من كاس الفتور اذا فتر
سكر الندامى من يديه ولحظه * متعاقب مهما سقى واذا نظر
حيث الهديل مع الهدير تناغيا * فالطير تشدو في الغصون بلا وتر
والقضب مالت للعناق كانها * وفد الاحبة قادمين من السفر
متلاعبات في الحلي ينوب في * وجناتهن الورد حسنا عن خفر
والنرجس المطلول يرنو نحوها * بلواحظ دمع الندى منها انهمر
والنهر مصقول الحسام متى يرد * درع الغدير مصفقا فيه صدر
يجري على الحصباء وهي جواهر * متكسرا من فوقها مهما عثر
هل هذه أم روضة البشرى التي * فيها لارباب البصائر معتبر
لم أدر من شغف بها وبهذه * من منهما فتن القلوب ومن سحر
جاءت بها الاجفان مل ضلوعها * ملء الخواطر والمسامع والبصر
ومسافر في البحر ملء ضمانه * وافى مع الفتح المبين على قدر
قادته نحوك بالخطام كانه * جمل يساق الى القياد وقد نفر
وأراه دين الله عزة أهله * بك يا أعف القادرين اذا قدر
يا فخر أندلس وعصمة أهلها * للناس سر في اختصاصك قد ظهر
كم معضل من دائها عالجته * فشفيت منه بالبدار وبالبدر
ماذا عسى يصف البليغ خليفة * والله ما أيامه الا غرر

ورث هذا الفخر يا مالك الهدى * من كل من آوى النبي ومن نصر
من شاء يعرف فخرهم وكمالهم * فليتل وحى الله فيهم والسير
أبناؤهم أبناء نصر بعدهم * بسيوفهم دين الاله قد انتصر
مولاى سعدك والصباح تشابها * وكلاهما فى الخافقين قد اشتهر
هذا وزير الغرب عبد آبق * لم يلف غيرك فى الشدائد من وزر
كفر الذى أوليته من نعمة * والله قد حتم العذاب لمن كفر
ان لم يمت بالسيف مات بغيظه * وصلى سعير التأسف والفكر
ركب الفرار مطية ينجو بها * فجرت به حتى استقر على سقر
وكذا أبوه وكان منه حمامه * قد حموه ومن الحياة على غرر
بلغته والله أكبر شاهد * ما شاء من وطن يعز ومن وطر
حتى اذا جحد الذى أوليته * لم تبق منه الحادثات ولم تذر
فى حاله والله أعظم عبرة * لله عبد فى القضاء قد اعتبر
فاصبر تنل أمثالها فى مثله * ان العواقب فى الامور لمن صبر
وبحيث شئت مسوغا ورد المنى * فالله حسبك فى الورود وفى الصدر
لا زلت محروسا بعين كلاءة * ما دام عين الشمس تعشى من نظر

ومنها وقد أضاف اليه من التغزل طوع بداره وحجة اقتداره فقال

والعود فى كف النديم يسرها * تلقى لنا منه الانامل قد جهر
غنى عليه الطير وهو بدوحه * والآن غنى فوقه ظبى أغر
عود ثوى حجر القضيب رعى له * أيام كانا فى الرياض مع الشجر
لا سيما لما رأى من ثغره * زهرا وأين الزهر من تلك الدرر
ويظن ان عذاره من آسه * ويظن تفاح الخدود من الثمر
يسبى القلوب بلفظه وبلحظه * وافتتى بين التكلم والنظر
قد قيدته لأنسنا أوتاره * كالظبى قيد فى الكناس اذا نفر
لم يبل قلبى قبل سمع غنائه * بعذر سلب العقول وما اعتذر
جس القلوب بجسه أوتاره * حتى كأن قلوبنا بين الوتر
غنت لنا ألحانه بجميع ما * قد أودعت فيه القلوب من الفكر
يا صامتا والعود تحت بنانه * يغنيك نطق الخبر فيه عن الخبر
أغنى غناؤك عن مدامك يا ترى * هل من لحاظك أم بنانك ذا السكر
يا حبذا أناملك اللذان بكل ما * كان المتيم فى هواه قد ستر
ومقاتل ما سل غير لحاظه * والرمح هز من القوام اذا خطر
دانت له منا القلوب بطاعة * والسيف علك ربه مهما قهر انتهى

وسنلم ان شاء الله تعالى بترجمة ابن زمرك هذا فى باب التلامذة ونشير هنالك الى كثير من أحواله وكيفية قتله مع أولاده وخدمه بمرأى ومسمع من أهله فكان الجزاء من جنس

منه فاعده على قلت نعم يا أمير المؤمنين أعلمتك أن العرب اشتقت اسم الضرة من الضرر وان أحدهم ما تزوج من النساء أكثر من واحدة الا كان فى جهد فقال ويحك لم يكن هذا فى الحديث قلت بلى والله يا أمير المؤمنين وأخبرتك أن الثلاث من النساء كأثافى القدر يغلى عليهن قال أبو العباس برئت من قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت سمعت هذا منك فى حديثك قال وأخبرتك أن الاربعة من النساء شر صحيح لصاحبهن يشيبنه ويهرمنه ويسقمنه قال ويلك والله ما سمعت هذا الكلام منك ولا من غيرك قبل هذا الوقت قال خالد بلى والله قال ويلك وتكذبنى قال وتريد أن تقتلنى يا أمير المؤمنين قال مر فى حديثك قال وأخبرتك أن أبكار الجوارى رجال ولكن لا خصى لهن قال خالد فسمعت الضحك من وراء الستر قلت نعم وأخبرتك أيضا ان بنى مخزوم ريحانة قريش وأنت عندك ريحانة من

 الرياحين وأنت تطمع بعينك الى حرائر النساء وغيرهن من الاماء قال خالد فقيل لى من وراء الستر

العمل وخاب منه الامل اذ لسان الدين قتل غيلة بليل غاسق على يد مختلس فى السجن فاسق وأما ابن زمرك فقتل بالسيف جهارا وتناوشته سيوف مخدومه بين بناته ابداء للتشفى واظهارا وقتل معه من وجد من خدمه وأبناه وابعده الدهر وطالما أدناه وهكذا الحال فى خدام الدول وذوى الملك أنهم أقرب شئ من الهلك ويرحم الله من قال اياك وخدمة الملوك فانهم يستقلون فى العقاب ضرب الرقاب ويستكثرون فى الثواب رد الجواب انتهى (رجع الى ما كنا فيه من أحوال لسان الدين بن الخطيب) وكان رحمه الله تعالى قبيل موته لما توفى السلطان أبو فارس عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن المرينى بتلمسان وتغلب على الامر الوزير أبو بكر بن غازى بن الكاس مبايعا الابن صغير السن من أولاد السلطان عبد العزيز ألف كتابه المسمى باعلام الاعلام بمن بويع من ملوك الاسلام قبل الاحتلام ومراده بذلك تثبيت دولة الوزير الذى أبى أن يخفر عهده وذمته وامتنع أن يمكن منه أهل الاندلس فاكثروا القالة فى الوزير بسبب مبايعته للصبى وبنوا ظاهر الامر على أن ذلك لا يجوز بالشرع وأبدؤا وأعادوا فى ذلك وأسروا من كامن أمرهم حسوا فى ارتغاء ومن جملة كلام لسان الدين بن الخطيب فى ذلك الكتاب قوله فى نص أهل الاندلس بانكار بيعة صبى صغير أو نيابة صاحب او وزير فقد عموا وصموا وخطروا ابريح الانصاف فأعرضوا وما ألموا وبما سنوه لغيرهم ذموا انتهى (وكان) رحمه الله تعالى ألف للسلطان عبد العزيز حين انحيازه اليه المباخر الطيبة فى المفاخر الخطيبية يذكر فيه نباهة سلفه وما لهم من المجد وقصده الرد على أهل الاندلس المجاهرين له بالعداوة القادحين فى فخر سلفه ثم ألف للسلطان المذكور كتاب خلع الرسن فى التعريف بأحوال ابن الحسن لكونه تولى كبر الحط منه والسعى فى هلاكه كما مر وقال فى حق هذا الكتاب انه لا شئ فوقه فى الظرف والاستطراف يسلى الثكالى ونستغفر الله تعالى انتهى ومع هذا كله لما أنشبت المنية أظفارها لم تنفعه مما كتب تميمه ونال ما أمله فيه أهل السعاية والنميمه وسجلوا عليه المقالات الذميمه وقد صار الجميع الى حكم عدل قادر يحيى من العظم رميمه وينصف المظلوم من الظالم ويجازى الجاهل والعالم ويساوى بين المأمور والآمر والشريف والمشروف والعزيز والحقير والمنكر والمعروف وعفوه سبحانه مؤمل بعد وهو لا يخلف الوعد ومن سبقت له العنايه لم تضره الجنايه وقد كان لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى محبا فى العفو حتى انه كان اذا جرى لديه ذكر عقوبة الملوك لاتباعهم تشمئز نفسه من ذلك ويقول ما معناه ماضرهم لو عفوا ورأيت له رحمه الله تعالى فى بعض مؤلفاته وقد أجرى ذكر استعطاف ذى الوزارتين أبى بكر بن عمار للسلطان المعتمد بن عباد حين قبض عليه بقوله

سجاياك ان عافيت اندى وأسمع * وعذرك ان عاقبت أولى وأوضح
وان كان بين الخطتين مزية * فأنت الى الادنى من الله أجنح
وماذا عسى الاعداء أن يتزيدوا * سوى أن ذنبى ثابت ومصحح
وان رجائى أن عندك غيرما * يخوض عدوى اليوم فيه ويمرح

قاتلك الله وأخزاك وفعل بك وفعل قال فتركته وخرجت وقد أيقنت بالحياة قال خالد فما شعرت الا برسل أم سلمة قد صاروا الى ومعهم عشرة آلاف درهم وتخت وبرذون وغلام ولم يكن أحد من الخلفاء يحب مسامرة الرجال مثل أبى العباس السفاح وكان كثيرا ما يقول انما العجب ممن يترك أن يزداد علما ويختار أن يزداد جهلا فقال له أبو بكر الهذلى ما تأويل هذا الكلام يا أمير المؤمنين قال يترك مجالسة مثلك وأمثال أصحابك ويدخل الى امرأة أو جارية فلا يزال يسمع سخفا ويروى نقصا فقال له الهذلى لذلك فضلكم الله على العالمين وجعل منكم خاتم النبيين (ودخل) عليه أبو نخيلة الشاعر فسلم عليه وانتسب له وقال عبدك يا أمير المؤمنين وشاعرك أفتأذن لى فى انشادك فقال له لعنك الله ألست القائل فى مسلمة ابن عبد الملك بن مروان

أمسلم انى يا ابن كل خليفة ويا فارس الهيجا ويا جبل الارض

شكرتك ان الشكر حبل من التقى وما كل من أوليته نعمة يقضى

أتانى عتابيى وبينك من رضا ٭ له نحو روح الله باب مفتح
ولا تلتفت قول الوشاة وزورهم ٭ فكل اناء بالذى فيه يرشح
وقالوا سيجزيه فلان بذنبه ٭ فقلت وقد يعفو فلان ويصفح
الا ان بطشا للمؤيد يرتجى ٭ ولكن حلما للمؤيد يرجح
وبين ضلوعى من هواه تميمة ٭ ستشفع لو أن الحمام يجلح
سلام عليه كيف دار به الهوى ٭ الىّ فيدنو أو على فينزح
ويهنيه ان مت السلو فاننى ٭ أموت ولى شوق اليه مبرح

ما نصه ولابن عمار كلمات شهيرة تعالج براهمها جراح القلوب وتعفى على هضبات الذنوب لولا ما فرغ عنه من القدر المكتوب والاجل المحسوب الى ان قال وما كان أجمل بالمعتمد أن يبقى على جان من عبيده قد مكنه الله من عنقه لا يؤمل الحصول على أمره ولا يحذر نصب قبيله ولا يزيده العفو عنه الا ترفعا وعزة وجلالة وهمة وذكرا جميلا وأجرا جزيلا ولا شئ أمحى للسيئة من الحسنة ولا أقتل للشر من الخير ورحم الله الشاعر اذ يقول

وطعنتهم بالمكرمات وبالها ٭ فى حيث لو طعن القنا لتكسرا انتهى

وقد ذكرت هنا قول الاديب ابى عبد الله محمد بن أحمد التجانى رحمه الله تعالى ورضى عنه

أتعجب ان حطت يد الدهر فاضلا ٭ عن الرتبة العليا فاصبح تحتها
أما هذه الاشجار تحمل أكلها ٭ وتسقط منه كل ما طاب وانتهى

(وحكى غير واحد من مؤرخى الاندلس) ان الكاتب الشهير الوزير أبا جعفر بن عطية القضاعى لما تغير له عبد المؤمن وتذاكر مع بعض من أهل العلم أبيات ابن عمار السابقة فقال ما كان المعتمد الا قاسى القلب حيث لم تعطفه هذه الابيات الى العفو ووقع لابن عطية المذكور مثل قضية ابن عمار واستعطف فما نفع ذلك وقتل رحمه الله تعالى ولنلم بذلك فنقول كان أبو جعفر هذا من أهل مراكش وأصله القديم من طرطوشة ثم بعد من دانية وهو ممن كتب عن على بن يوسف بن تاشفين أمير لمتونة وعن ابنيه تاشفين واسحق ثم استخلصه لنفسه سالب ملكهم عبد المؤمن بن على وأسند اليه وزارته فنهض باعبائها وتحبب الى الناس باجمال السعى والاحسان فعمت صنائعه وشامعروفه وكان محمود السيرة مبخت المحاولات ناجح المساعى سعيد المآرب وكانت وزارته زينا للوقت وكمالا للدولة وفى أيام توجهه للاندلس وجد حساده السبيل الى التدبير عليه والسعى به حتى اوغروا صدر الخليفة عبد المؤمن عليه فاستوزر عبد السلام بن محمد الكومى وانبرى لمطالبة ابن عطية وجد فى التماس عوراته وتشنيع سقطاته وطرحت بمجلس السلطان أبيات منها

قل للامام أطال الله مدته ٭ قولا تبين لذى لب حقائقه
ان الزراجين قوم قد وترتهمو ٭ وطالب الثار لم تؤمن بوائقه
وللوزير الى آرائهم ميل ٭ لذاك ما كثرت فيهم علائقه
فبادر الحزم فى اطفاء نارهم ٭ فربما عاق عن أمر عوائقه

قال فانا يا أمير المؤمنين الذى أقول

لما رأينا استمسكت يداكا ٭ كنا أناسا نرهب الملاكا
ونركب الاعجاز والاوراكا ٭ من كل شئ ما خلا الاشراكا
فكلما قد قلت فى سواكا ٭ زور وقد كفر هذا ذاكا
انا انتظرنا قبلها أباكا ٭ ثم انتظرنا بعدها أخاكا
ثم انتظرناك لها اياكا ٭ فكنت أنت للرجاء ذاكا

قال فرضى عنه ووصله وأجازه (وكان) أبو العباس اذا حضر طعامه أبسط ما يكون وجها فكان ابراهيم بن مخرمة الكندى اذا أراد أن يسأله حاجة أخرها حتى يحضر طعامه ثم يسأله فقال له يوما يا ابراهيم ما دعاك الى أن تشغلنى عن طعامى بحوائجك قال يدعونى الى ذلك التماس النجح لما أسأل قال أبو العباس انك لحقيق بالسودد لحسن هذه الفطنة (وكان) اذا تعادى رجلان من أصحابه وبطانته لم يسمع من أحدهما فى الآخر شيأ ولم يقبله وان كان القائل عدلا فى شهادته واذا اصطلح الرجلان لم يقبل شهادة واحد منهما لصاحبه ولا عليه ويقول ان الضغينة القديمة تولد العداوة المحضة وتحمل على اظهار المسالمة وتحتمل الافعى التى اذا

قدذ كرناه فيما سلف من هذا الكتاب فى سيرة أردشير بن بابك وأيامه (وكان) يطرب من وراء الستر ويصيح بالمطرب له من المغنين أحسنت والله فاعد هذا الصوت (وكان) لاينصرف عنه أحد من ندمائه ولا مطربيه الا بصلة من مال أو كسوة ويقول لايكون سرورنا معجلا ومكافأة من سرنا وأطربنا مؤجلا وقد سبقه الى هذا الفعل ملك من الملوك التى الفرس وهو بهرام جور (وحضره) أبو بكر الهذلى ذات يوم والسفاح مقبل عليه يحادثه بحديث لانوشروان فى بعض حروبه بالمشرق مع بعض ملوك الامم فعصفت الريح فأذرت ترابا وقطعا من الآجر من أعلى السطح الى المجلس فجزع من حضر المجلس لوقوع ذلك وارتاع له والهذلى شاخص نحو أبى العباس لم يتغير كما تغير غيره فقال له أبو العباس لله أنت ياأبا بكر لم أر كاليوم أما راعك ماراعنا ولا أحسست بما ورد علينا فقال ياأمير المؤمنين ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وانما

هم العدو ومن والاهم كهم * فاحذر عدوك واحذر من يصادقه
الله يعلم أنى ناصح لكم * والحق أبلج لاتخفى طرائقه

قالوا ولما وقف عبد المؤمن على هذه الابيات البليغة فى معناها وغرضها ودمره على وزيره أبى جعفر وأسرّ له فى نفسه تغيرا فكان من أقوى أسباب نكبته وقيل افضى اليه بسر فافشاه وانتهى ذلك كله الى أبى جعفر وهو بالاندلس فقلق وعجل الانصراف الى مراكش فحجب عند قدومه ثم قيد الى المسجد فى اليوم بعده حاسر العمامة واستحضر الناس على طبقاتهم وقرروا على مايعلمون من أمره وما صار اليه منهم فاجاب كل بما اقتضاه هواه وأمر بسجنه ولف معه أخوه أبو عقيل عطية وتوجه فى اثر ذلك عبد المؤمن الى زيارة تربة المهدى محمد ابن تومرت فاستصحبهما بحال ثقاف وصدرت عن أبى جعفر فى هذه الحركة من لطائف الادب نظما ونثرا فى سبيل التوسل بتربة امامهم المهدى عجائب لم تحدث أمع نفوذ قدر الله تعالى فيه ولما انصرف من وجهته اعادهما معه قافلا الى مراكش فلما حاذى تاقرت انفذ الامر بقتلهما بالشعراء المتصلة بالحصن على مقربة من الملاحة هنالك فضيا لسبيلهما رحمهما الله تعالى ومما خاطب به الخليفة عبد المؤمن مستعطفا له من رسالة تعالى فيه فغالته المنية ولم ينل الامنية وهذه سنة الله تعالى فيمن لم يحترم جناب الالوهية ولم يحرس لسانه من الوقوع فيما يخدش فى وجه فضل الانبياء على غيرهم وعصمتهم قوله سامحه الله تالله لو أحاطت بى كل خطيئة ولم تنفك نفسى عن الخيرات بطيئة حتى سخرت بمن فى الوجود وأنفت لآدم من السجود وقلت ان الله تعالى لم يوح فى الفلك لنوح و بريت لقدار ثمود نبلا وأبرمت لحطب نار الخليل حبلا وحططت عن يونس شجرة اليقطين وأوقدت مع هامان على الطين وقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وافتريت على العذراء البتول فقذفتها وكتبت صحيفة القطيعة بدار الندوه وظاهرت الاحزاب بالقصوى من العدوه وذممت كل قرشى وأكرمت لاجل وحشى كل حبشى وقلت ان بيعة السقيفه لاتوجب امامة الخليفة وشحذت شفرة غلام المغيرة بن شعبه واعتلقت من حصار الدار وقتل أشمطها بشعبه وقلت تقاتلوا رغبة فى الابيض والاصفر وسفكوا الدماء على الثريد الاعفر وغادرت الوجه من الهامة خضيبا وناولت من قرع سن الحسين قضيبا ثم أتيت حضرة المعلوم لائذا وبقبر الامام المهدى عائذا لقد آن لمقالتى أن تسمع وتغفر لى هذه الخطيئات اجمع مع أنى معترف وبالذنب مقترف

فعفوا أمير المؤمنين فمن لنا * برد قلوب هدها الخفقان

وكتب مع ابن له صغير آخره

عطفا علينا أمير المؤمنين فقد * بان العزاء لفرط البث والحزن
قد أغرقتنا ذنوب كلها لجج * وعطفة منكم أنجى من السفن
وصادفتنا سهام كلها غرض * ورحمة منكم أوقى من الجنن
هيهات للخطب أن تسطو حوادثه * بمن أجارته رحما كم من المحن
من جاء عندكم يسعى على ثقة * بنصره لم يخف بطشا من الزمن

للرجل قلب واحد فلما غمره السرور بفائدة أمير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال والله عزوجل اذا فالتوب

فالثوب يطهر عند الغسل من درن * والطرف ينهض بعد الركض فى سنن
أنتم بذلتم حياة الخلق كلهم * من دون من عليهم لا ولاثمن
ونحن من بعض من أحييت مكارمكم * كلتا الحياتين من نفس ومن بدن
وصبية كفراخ الورق من صغر * لم يألفوا النوح فى فرع ولا فنن
قد أوجدتهم أيادمنك سابقة * والكل لولاك لم يوجد ولم يكن

فوقع عبد المؤمن على هذه القصيدة آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ومما كتب به من السجن

أنوح على نفسى أم انتظار الصفا * فقد آن أن تنسى الذنوب وأن تمحى
فها أنا فى ليل من السخط حائر * ولا أهتدى حتى أرى للرضا صبحا

وامتحن عبد المؤمن الشعراء بهجو ابن عطية فلما اسمعوه ما قالوا أعرض عنهم وقال ذهب ابن عطية وذهب الادب معه وكان لابى جعفر أخ اسمه عطية قتل معه ولعطية هذا ابن أديب كاتب وهو أبو طالب عقيل بن عطية ومن نظمه فى رجل تعشق قينة كانت ورثت من مولاها مالا فكانت تنفق عليه منه فلما فرغ المال ملها

لا تلمه أن مل من حبها * فلم يكن ذلك من ود
لما رآها قد صفا مالها * قال صفا الوجه مع الوجد

وكان أبو جعفر بن عطية من أبلغ أهل زمانه وقد حكى انه مر مع الخليفة عبد المؤمن ببعض طرق مراكش فأطلت من شباك جارية بارعة الجمال فقال عبد المؤمن

قدت فؤادى من الشباك اذ نظرت

فقال الوزير ابن عطية مجيزاله *حوراء ترنو الى العشاق بالمقل*
فقال عبد المؤمن *كأنما لحظها فى طلب عاشقها*
فقال ابن عطية *سيف المؤيد عبد المؤمن بن على*
ولا خفاء أن هذه طبقة عالية

(ومن فصول رسالته) التى كتب بها عن أبى حفص وهى التى أورثته الرتبة العلية السنيه والوزارة الموحدية المؤمنيه قوله كتابنا هذا من وادى ماسه بعد ما تجدد من أمر الله الكريم ونصر الله تعالى المعهود المعلوم وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم فتح بهر الانوار اشراقا وأحدق بنفوس المؤمنين احداقا ونبه للامانى النائمة جفونا وأحداقا واستغرق غاية الشكر استغراقا فلا تطيق الالسن لكنه وصفه ادراكا ولا لحاقا جمع أشتات الطلب والارب وتقلب فى النعم أكرم منقلب وملأ دلاء الامل الى عقد الكرب

فتح تفتح أبواب السماء له * وتبرز الارض فى أثوابها القشب

وتقدمت بشارتنا به جملة حين لم نعط الحال بشرحه مهله كان أولئك الضالون قد بطروا عدوانا وظلما واقتطعوا الكفر معنى واسما وأملى لهم الله تعالى ليزدادوا اثما وكان مقدمهم الشقى قد استمال النفوس بخزعبلاته واستهوى القلوب بهولاته ونصب له الشيطان من حبالاته فأتته المخاطبات من بعد وكثب ونسلت اليه الرسل من كل حدب

انفرد بكرامة أحد وأحب أن يبقى له ذكرها جعل تلك الكرامة على لسان نبى أو خليفة وهذه امة خصصت بها حال الهادى وشغل بها فكرى فلو انقلبت الخضراء على الغبراء ما أحسست بها ولا وجدت لها الا بما يلزمنى فى نفسى لامير المؤمنين أعزه الله تعالى فقال له السفاح لئن بقيت لك لأرفعن منك وضيعا لا تطيف به السباع ولا تحطعليه العقاب وقد قدمنا فيما أسلف من هذا الكتاب وصية عبد الملك للشعبى فى فضل الانصات للملوك وقد حكى عن عبد الله ابن عباس المتوفى انه قال لم تتقرب العامة الى الملوك بمثل الطاعة ولا العبيد بمثل الخدمة ولا البطانة بمثل حسن الاستماع (وقد حكى) عن روح بن زنباع الخزاعى أنه كان يقول اذا أردت أن يمكنك الملك من اذنه فأمكن اذنك من الاصغاء الى حديثه ولا يتعقب الرجل عندى اذا كان يصغى الى حديثى ولا يقدح ما قيل فيه فى قلبى لما تقدم له من حسن الاستماع عندى (وقد حكى) عن معاوية انه كان يقول يغلب الملك حتى يركب لشيئين بالحلم عند سورته والاصغاء الى حديثه (ووجدت) فى سير الملوك من الاعاجم ان شيرويه بن ابرويز بيناه وفى منتزهاته بارض العراق وكان لا يسايره

واعتقدته الخواطر أعجب عجب وكان الذى قادهم الى ذلك وأوردهم تلك المهالك وصول من كان بتلك السواحل ممن ارتسم برسم الانقطاع عن الناس فيما سلف من الاعوام واشتغل على زعمه بالقيام والصيام آناء الليالى والايام لبسوا الناموس أثوابا وتدرعوا الرياء جلبابا فلم يفتح الله تعالى لهم للتوفيق بابا *(ومنها) فى ذكر صاحبهم الماسى المدعى للهداية فمصرع محمد الله تعالى بحينه وبادرت اليه بوادر منونه وأتته وافدات الخطيات عن يساره ويمينه وقد كان يدعى أنه بشر بأن المنية فى هذه الاعوام لا تصيبه والنوائب لا تنوبه ويقول فى سواه قولا كثيرا ويختلق على الله تعالى افكا وزورا فلما رأوا هيئة اضطجاعه وما خطته الاسنة فى أعضائه وأضلاعه ونفذ فيه من أمر الله تعالى ما لم يقدروا على استرجاعه هزم من كان لهم من الاحزاب وتساقطوا على وجوههم تساقط الذباب وأعطوا عن بكرة أبيهم صفحات الرقاب ولم تقطر كلومهم الا على الاعقاب فامتلأت تلك الجهات بأجسادهم وآذنت الآجال بانقراض آمادهم وأخذهم الله تعالى بكفرهم وفسادهم فلم يعاين منهم الامن خر صريعا وسقى الارض نجيعا ولقى من أمر المنديات فظيعا ودعت الضرورة باقيهم الى الترامى فى الوادى ممن كان يؤمل العرار و تجيه وسبح طامعا فى الخروج الى ما ينجيه اختطفته الاسنة اختطافا وأذاقته موتا ذعافا ومن لج فى الترامى على لججه ورام البقاء فى ثبجه قضى عليه شرقه وألوى بذقنه غرقه ودخل الموحدون الى البقية الكائنة فيه يتناولون قتالهم طعنا وضربا ويلقونهم بأمر الله تعالى هولا عظيما وكربا حتى انبسطت مراقاة الدماء على صفحات الماء وحكت حمرتها على زرقته حمرة الشفق على زرقة السماء وجرت العبرة للمعتبر فى جرى ذلك الدم جرى الابحر (وبالجملة) فالرجل كان نسيج وحده رحمه الله تعالى وسامحه وقصة لسان الدين تشبه قصته وكلاهما مذاق من الذل بعد العز غصته وبدل الدهر نصيبه من الوزارة وحصته بعد أن اقتعد ذروة الامر ومنصته رحم الله تعالى الجميع انه مجيب سميع

(الباب الثالث)

فى ذكر مشايخه الجلة هداة الناس ونجوم الملة وما يتعلق بذلك من الاخبار الشافية من العلة والمواعظ المنجية من الاهواء المضلة والمناسبات الواضحة البراهين والادلة أقول لاخفاء ان الشيخ لسان الدين رحمه الله تعالى أخذ عن جماعة من أهل العدوة والاندلس عدة فنون وحدث عنهم بما يصدق الاقوال ويحقق الظنون فمن أشياخه رحمه الله تعالى الفقيه الجليل الشريف النبيه الشهير رئيس العلوم اللسانية بالاندلس قاضى الجماعة أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسنى السبتى رحمه الله تعالى كان هذا الشريف آية الله الباهرة فى العربية والبيان والادب ويكفيه فضلا أنه شرح الخزرجية وافترع هضاب مشكلاتها بفهمه من غير ان يسبقه احد الى استخراج كنوزها وايضاح رموزها وشرح مقصورة أديب المغرب الامام أبى الحسن حازم بن محمد القرطاجنى الاندلسى التى مدح بها أمير المؤمنين المستنصر بالله أبا عبد الله محمدا الحفصى وسمى هذا الشرح بفتح الحجب

صاحب الجيش وان التفت شمالا دنا منه الموبذان فأمره باحضار من أراد مسايرته فالتفت فى مسيره هذا يمينا فدنا منه صاحب الجيش فقال ابن شداد بن جرثة فاحضر فسايره فقال له شيرويه انى ذكرت فى حديث حدثنيه اردشير ابن بابك حين واقع ملك الخزر فحدثنى به ان كنت تحفظه وكان شداد قد سمع هذا الحديث من أنوشروان وعرف المكيدة وكيف كان أردشير أوقعها بالك الخزر فاستعجم عليه شداد وأوهمه أنه لا يعرفه فحدثه شيرويه بالحديث فاصغى اليه الرجل بجوارحه كلها وكان مسيره على شاطئ نهر فترك الرجل لاقباله على شيرويه النظر الى موطئ حافر دابته فزلت احدى قوائم الدابة فمالت بالرجل الى اليمين ووقع فى الماء ونفرت الدابة فابتدرها حاشية الملك وغلمانه فأمالوها عن الرجل وجذبوه فحملوه على أيديهم حتى أخرجوه فاغتم لذلك ونزل عن دابته وبسط له هنالك حتى تعدى فى موضعه ودعا بثياب من خاص كسوته فالقيت على شداد وأكل معه وقال له غفلت عن النظر الى موضع حافر دابتك فقال ايها الملك ان الله اذا

المستوره عن محاسن المقصوره وهذا الشرح في مجلدين كبيرين وفيه من الفوائد ما لا مزيد عليه رأيته بالمغرب واستفدت منه كثيرا ومن فوائد الشريف المذكور أنه قال فيما جاء من الحديث في صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل بهما وأدبر ان أحسن الوجوه في تأويله أن يكون قدم الاقبال تفاؤلا ثم فسر بعد ذلك على معنى أدبر وأقبل قال والعرب تقدم في كلامها ألفاظا على ألفاظ أخر وتلتزمه في بعض المواضع كقولهم قام وقعد ولا تقول قعد وقام وكذلك أكل وشرب ودخل وخرج وعلى هذا النمط كلام العرب فتكون هذه المسئلة من هذا قال ويؤيد ما قلناه وهو موضع النكتة تفسيره لا قبل وأدبر في باقي الحديث على معنى أدبر ثم أقبل ولو كان اللفظ على ظاهره لم يحتج الى تفسير انتهى وحدث رحمه الله تعالى عن جده لامه قال كنت بالمشرق فدخلت على بعض القرائين فألفيت الطلبة يعربون عليه قول امرئ القيس

٣ كأن أبانا في أفانين ودقه * كبير أناس في بجاد مزمل

فأنشد ولا أدري هل هي له أو لغيره

اذا ما الليالي جاورتك بساقط * وقدرك مرفوع فعنه ترحل
ألم تر ما لاقاه في جنب جاره * كبير أناس في بجاد مزمل

وكان بعض الناس ينشد في هذا المقصد قول الآخر

عليك بأرباب الصدور فمن غدا * مضافا لارباب الصدور تصدرا
واياك أن ترضى بصحبة ساقط * فتنحط قدرا من علاك وتحقرا
فرفع أبو من ثم خفض مزمل * يبين قولي مغريا ومحذرا

وهذا معنى قول الشاعر

اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى انتهى

وما أحسن قول أبي بحر صفوان بن ادريس المرسي رحمه الله تعالى

انا الى الله من أناس * قد خلعوا لبسة الوقار
جاورتهم فانخفضت هونا * يا رب خفض على الجوار

ومن نظم الشريف رحمه الله تعالى

وأحور زان خديه عذار * سبي الالباب منظره العجاب
أقول لهم وقد عابوا غرامي * به أذلاح للدمع انسكاب
أبعد كتاب عارضه يرجي * خلاص لي وقد سبق الكتاب

ومن الغريب في توارد الخواطر ما وجد بخط الاديب البارع المحدث الكاتب أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الكبير أبي القاسم بن جزي الكلبي رحمهما الله تعالى وسيأتيان ما معناه قلت هذه القطعة

ومعسول اللمى عادت عذابا * على ذلي ثناياه العذاب
وقد كتب العذار بوجنتيه * كتابا خط قارئه اكتئاب

الله أنعم على بنعمتين عظيمتين هما اقبال الملك على بوجهه من بين هذا السواد الاعظم وهذه الفائدة وهي تدبير هذه الحرب حتى حدث بها عن أردشير حتى اني لو دخلت الى حيث تطلع الشمس أو تغرب لكنت راجحا فلما اجتمعت نعمتان جليلتان في وقت واحد قابلتهما هذه المحنة ولولا أساورة هذا الملك وعين جده لكنت معرض هلكة وعلى ذلك فلو غرقت حتى ذهبت عن حديد الارض لكان قد أبقى لي الملك ذكرا مخلدا ما بقي الضياء والظلام فسر الملك بذلك وقال ما ظننتك بهذا المقدار الذي أنت فيه فحشا فاه جوهرا ودرا وانعاما ثمينا واستبطنه حتى غلب على أكثر أمره (وانما ذكرنا) هذا الخبر من أخبار من سلف من ملوك الفرس ليعلم ان أبا بكر الهذلي لم يبتدئ بحال لم يسبقه اليها غيره ويتقدمه بها سواه وأحسن المواقع من الملوك الاستماع منها والاخذ عنها وقد كانت حكماء اليونانيين تقول ان الواجب على من أقبل عليه ملك أو ذو رياسة بحديث أن يصرف كله الى ذلك وان كان يعرف الحديث الذي يسمعه من الملك كانه لم يسمعه قط ويظهر السرور من الملك والاستبشار بحديثه وان في ذلك

٣ قوله كأن أبانا الخ المعروف في كتب الادب * كأن ثبيرا في عرانين وبله * الخ

وقالوا الوسلوت فقلت خيرا * وأنى لى وقد سبق الكتاب

ثم عرضتها على شيخنا القاضى أبى القاسم الشريف بعد نظمها بمدة يسيرة فقال لى قد نظمت هذا المعنى بالعروض والقافية فى هذه الايام اليسيرة وأنشدنى *وأسو وزان خديه عذار* الابيات السابقة وهذا يقع كثيرا ومنه ما وقع لابن الرقام حيث قال من شعر على قوله

جل فى البلاد تنل عزا وتكرمة * فى أى أرض فكن تبلغ مناكبها

جل الفوائد بالاسفار مكتسب * والله قد قال فامشوا فى مناكبها

فقال له الفقيه ابن حذلم مثل هذا وقع لابى حيان اذ قال

يا نفس ما لك تهوين الاقامة فى * أرض تعذر كل من مسالك بها

أما تلوت وعز المرء منقصة * فى محكم الوحى فامشوا فى مناكبها

فصل العجب من هذا الاتفاق الغريب ونقلت ممن نقل من خط الفقيه محمد بن على بن الصباغ العقيلى ما صورته كان الشريف الغرناطى رحمه الله تعالى آية زمانه وأزه البيان طوع بنانه له شرح المقصورة القرطاجنية أغرب ما تحلى به الآذان وأبدع ما ينشرح له الجنان الى العقل الذى لا يدرك والفضل الذى جد منه المسالك حدثنى بنادرة جرت بينه وبين مولاى الوالد من أثق به من طلبة الاندلس وأعلامها قال دخل والدك يوما لاداء الشهادة عنده فوجد بين يديه جماعة من الغزاة يؤدون شهادة تسمع القاضى منهم وقال لهم هل ثم من يعرفكم فقالوا نعم يعرفنا على الصباغ فقال القاضى أتعرفهم يا أبا الحسن فقال له نعم يا سيدى معرفة محمد بن يزيد فما أنكر عليه شيأ بل قال لهم عرف الفقيه أبو الحسن ما عنده فانظروا من يعرف معه رسم حالكم فانصرفوا راضين ولم يرتهن والدى فى شئ من حالهم ولا كشف القاضى لهم ستر القضية قال محمد بن على بن الصباغ أما قول والدى معرفة محمد بن يزيد فاشارة الى قول الشاعر

أسائل عن ثمالة كل حى * فكلهم يقول وما ثماله

فقلت محمد بن يزيد منهم * فقالوا الآن زدت بهم جهاله

ففطن القاضى رحمه الله تعالى لجودة ذكائه الى انه لم يرتهن فى شئ من معرفتهم ممتنعا من اظهار ذلك بلفظه الصريح فكفى واكتفى بذكاء القاضى الفصيح رحمهما الله تعالى انتهى ومن فوائد الشريف ما حكاه عنه تلميذه الامام النظار أبو اسحق الشاطبى رحمه الله تعالى ونصه قال لى الشيخ القاضى الكبير الشهير أبو القاسم الحسنى يوما وقد جرى ذكر حتى التى للابتداء وأن معناها التى يقع بعدها الكلام سواء كان ذلك متعلقا بما قبلها لم يتم دونه أولا بل لا يكون الامر الا كذلك قال وقد حدثنى بعض الاصحاب أنه سمع رجلا يصلى أشفاع رمضان فقرأ من سورة الكهف الى قوله تعالى ثم اتبع سببا فوقف هنالك وركع وسجد قال فظننت أنه نسى ما بعد ثم ركع وسجد حتى يتذكر بعد ذلك ويعيد أول الكلام فلما قام من السجود ابتدأ القراءة بقوله حتى اذا بلغ فلما أتم الصلاة قلت له فى ذلك فقال أليست حتى الابتدائية قال القاضى الشريف المذكور فيجب أن يفهم أن الاصطلاح فى حتى وفى غيرها من حروف الابتداء ما ذكر انتهى وقال الشاطبى أنشدنى أبو محمد بن حذلم لنفسه

يسمعه واظهار السرور والاستفادة منه فالنفس الى الفوائد من الملوك والحديث عنهم أشهى وأقرب منها الى فوائد السوقة وما أشبهها (وقد ذكر) جماعة من الاخباريين كابن داب وغيره نحو هذا المعنى عن معاوية بن ابى سفيان ويزيد بن شجرة الرهاوى وهو أن ابن شجرة كان يساير ذات يوم معاوية وكان آنسا به والى حديثه تائقا ومعاوية مقبل عليه يحدثه عن (جرعان) يوم كان لبنى مخزوم وغيرهم من قريش كان فيه حروب عظيمة فنى فيها خلق من الناس وذلك قبل الاسلام وقيل ان ذلك كان قبل الهجرة وكان لابى سفيان فيها مكرمة وسابقة فى الرياسة وهو انه لما أشرف الفريقان على الفناء علا على نشز من الارض ثم صاح بالفريقين وأشار بكمه وانصرف الفريقان جميعا انقيادا الى أمره وكان معاوية معجبا بهذا الحديث فبينما هو يحدثه به ويزيد بن شجرة مقبل عليه وقد استغرقتهما لذة المحدث والمستمع اذ صك جبين يزيد بن شجرة حجر عاثر فأدماه فجعلت الدماء تسيل على وجهه ولحيته وثوبه وغير ذلك ولم يتغير عما كان عليه

شأن المحبين فى أشجانهم عجب * وحالتى بينهم فى الحب أعجبها
قد كنت ابعث من ريح الصبا رسلا * تاتى فتطفئ أشواقى فتذهبها
والآن أرسل دمعى اثرها ديما * فتلتظى نار وجدى حين اسكبها
فاعجب لنار اشتياق فى الحشا وقفت * الريح يذهبها والماء يلهبها

ثم قال الشاطبي مانصه أخذ هذا المعنى فتممه من قطعة أنشدناها شيخنا القاضى أبو القاسم الشريف رحمة الله تعالى عليه أذكر الآن آخر بيت منها وهو

يامن رأى النار ان تطفأ مخالفة * فبالرياح وان توقد فبالماء انتهى

وأخذ عن الشريف المذكور رحمه الله تعالى جماعة غير لسان الدين من أشهرهم العلامة النظار أبو اسحق الشاطبي والوزير الكاتب أبو عبد الله بن زمرك قال حفيد السلطان الغنى بالله ابن الاحمر رحمه الله تعالى فى حق ابن زمرك انه كان يتردد الاعوام العديدة الى قاضى الجماعة أبى القاسم الشريف فاحسن الاصغاء وبذ الأئمة البلغاء بما أوجب أن رثاه عند الوقوف على قبره بالقصيدة الفريدة التى أولها * أغرى سراة الحى بالاطراق * وقال فى موضع آخر ومما بذ به يعنى ابن زمرك سبقا وتبريزا وعرضه على نقدة البيان فرأيت منه كل مذهبة خلصت ابريزا مرثيته للقاضى المعظم الشريف أبى القاسم الحسنى من شيوخه وهى

أغرى سراة الحى بالاطراق * نبأ أصم مسامع الآفاق
أمسى به ليل الحوادث داجيا * والصبح أصبح كاسف الاشراق
فجع الجميع بواحد جمعت له * شتى العلا ومكارم الاخلاق
هبوا لحكمكم الرصين فانه * صرف القضاء فماله من واقى
نقص الزمان بصرفه فى صفقه * كل اجتماع مؤذن بفراق
ماذا ترجى من زمانك بعدما * علق الفناء بأنفس الأعلاق
من يحسد السبع الطباق علاءه * عالوا عليه من الثرى بطباق
ان المنايا للبرايا غاية * سبق الكرام لخصلها بسباق
لما حسبنا أن تحول أبؤسا * كشفت عوان حروبها عن ساق
ما كان الا البدر طال سراره * حتى رمته يد الردى بمحاق
أنف المقام مع الفناء نزاهة * فنوى الرحيل الى مقام باقى
عدم الموافق فى مرافقة الدنا * فمضى الركاب الى الرفيق الباقى
أسفا على ذاك الجلال تقلصت * أفياؤه وعهدن خير رواق
يا آمرى بالصبر عيل تصبرى * دعنى عدتك لواعج الاشواق
وذر اليراع تشى بدمع مدادها * وشى القريض يروق فى الاوراق
واحسرتا للعلم اقفر ربعه * والعدل جرد أجمل الاطواق
ركدت رياح المعلوات لفقدها * كسدت به الآداب بعد نفاق
كم من غوامض قد صدعت بفهمها * خفيت مداركها على الحذاق
كم قاعد فى البيد بعد قعوده * قعدت به الآمال دون لحاق

من الاستماع فقال له معاوية لله أنت يا ابن سمرة أما ترى ما نزل بك قال وماذاك يا أمير المؤمنين قال هذا دم يسيل على ثوبك فقال أعتق ما أملك ان لم يكن حديث أمير المؤمنين ألهانى حتى غمر فكرى وغطى على قلبي فما شعرت بشئ مما حدث حتى نبهنى عليه أمير المؤمنين فقال معاوية لقد ظلمك من جعلك فى ألف من العطاء وأخرجك من عطاء أبناء المهاجرين والجماهير ممن حضر معنا بصفين ثم أمر له وهو فى مسيره بخمسمائة ألف درهم وزاده فى عطائه ألفا من الدراهم وجعله بين جلده وثوبه (وقد قال) بعض أهل المعرفة والادب من مصنفى الكتب فى هذا المعنى وغيره فيما حكيناه عن معاوية وابن سمرة لئن كان ابن سمرة خدع معاوية فى هذا ومعاوية ممن لا يخادع فما مثله الا كما قال الاول من ينك العير ينك نياكا وان كان بلغ من بلادة ابن سمرة وقلة حسه ما وصف به نفسه فما كان جديرا بخمسمائة ألف صلة وزيادة ألف فى عطائه وما أظن ذلك خفى عن معاوية (قال المسعودى) وقد قالت الحكماء فى هذا وأكثرت وأطنبت فقالوا لا تحسن المحادثة الا بحسن الفهم وقالوا تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام

لا يقتضب اقتضابا ولا يهجم عليه وأن يتوصل الى اجرائه بما يشاكله ويستنسب له ما يحسن أن يجري في غرضه حتى يكون بعض المفاوضة متعلقا ببعض على حسب ما قالوا في المثل ان الحديث ذو شجون يريدون بذلك تشعبه وتفرعه عن أصل واحد الى وجوه من المعاني كثيرة اذ كان العيش كله في الجليس الممتع وقال رجل والله ما أمل الحديث فقال السامع انما يمل العتيق لا الحديث وقد أكثرت الشعراء من الاغراق في هذا المعنى ومن ذلك قول العباس ابن علي الرومي

وشممت كل ما أرى فكأن أطيبها أغنيث
الا الحديث فانه مثل اسمه أبدا حديث

وأحسن ما قيل في هذا المعنى قول ابراهيم بن العباس

ان الزمان وما يبين بعفرتي صرف الغواية فانصرفت كريما
وضجرت الا من لقاء محدث حسن الحديث يزيدني تعليما

وقد ذكر بعض المحدثين

لمن الركائب بعد بعدك تنتضي * ما بين شام ترتمي وعراق
تفلي الفلا عن اسم مفلولة * تسم الحصى بنجيعها الرقراق
كانت اذا اشتكت الوجى وتوقفت * يهفو نسيم شائك الخفاق
فاذا تنسمت الثناء أمامها * مدت لها الأعناق في الاعناق
يا مزجي البدن القلاص خوافقا * رفقا بها فالسعي في اخفاق
مات الذي ورث العلا عن معشر * ورثوا تراث المجد باستحقاق
رفعت لهم رايات كل جلالة * فتميزوا في حلبة السباق
علم الهداة وقطب أعلام النهى * سوم العفاة المجتني الارزاق
رقت سجاياه وراقت مجتلى * كالشمس في بعد وفي اشراق
كالزهر في لألائه والبدر في * عليائه والزهر في الايراق
مهما مدحت سواه قيد وصفه * وصفاته جد على الاطلاق
يا وارثا نسب النبوة جامعا * في العلم والأخلاق والأعراق
يا ابن الرسول وانها لوسيلة * يرقى بها اوج المصاعد راق
ورد الكتاب بفضلكم وكمالكم * وكفى ثناء الواحد الخلاق
مولاي اني في علاك مقصر * قد ضاق عن حصر النجوم نطاقي
ومن الذي يحصي مناقب مجدكم * عد الحصى والرمل غير مطاق
يهني قبورا زرتها فاقتدت * منا مصون جوانح وحداق
خط الردى منها سطورا نصها * لابد أنك للفناء ملاقي
ولحقت ترجمة الكتاب وصدره * وفوائد المكتوب في الالحاق
كم من سراة في القبور كأنهم * في بطنها در ثوى بحقاق
قل للسحاب اسحب ذيولك نحوه * والعب بصارم برقك الخفاق
أودى الذي غيث العباد بكفه * يزري بوا كف غيثك الغداق
ان كان صوبك بالمياه قدرها * در بروض ماحل الاملاق
بشر كثير قد نعوا الماتني * قاضي القضاة وغاب في الاطباق
ألبستهم ثوب الكرامة ضافيا * وأرحت من كد ومن ارهاق
يتفيئون ظلال جاهك كلما * لفحت سموم الخطب بالاحراق
عدموا المرافق في فراقك وانطوى * عنهم بساط الرفق والارفاق
رفعوا سريرك خافضين رؤسهم * ما منهم الا حليف سياق
لكن مصيرك للنعيم مخلدا * كان الذي أبقى على الارماق
ومن العجائب أن نرى بحر الندى * طود الهدى يسري على الاعناق
ان يحملوك على الكواهل طالما * قد كنت محمولا على الأحداق
أو يرفعوك على العواتق طالما * رفعت لك منابر وعتاق
ولئن رحلت الى الجنان فاننا * نصلى بنار الوجد والاشواق

من أهل الادب ان من الادب عدم اطالة الحديث من النديم وان أحلى الحديث وأحسنه موقعا

لو كنت تشهد حزن من خلفته * لثنى عنانك كثرة الاشفاق

ان جن ليل جن من فرط الاسى * وسوى كلامك ماله من راقى

فابعث خيالك فى الكرى يبعث به * ميت السرور لثاكل مشتاق

اغليت يارزء التصبر مثل ما * ارخصت در الدمع فى الآماق

ان يخلف الارض الغمام فاننى * أسقى الضريح بدمعى المهراق

وكانت وفاة الشريف المذكور سنة احدى وستين وسبعمائة قال ابن الخطيب القسمطيني فى وفياته وفى هذه السنة يعنى سنة ٧٦١ توفى شيخنا قاضى الجماعة بغرناطة حرسها الله تعالى أبو القاسم محمد بن أحمد الشريف الحسنى وكتب لى بالاجازة العامة بعد التمتع بمجلسه وله شعر مدون سماه جهد المقل وله الشرح على الخزرجية فى العروض وأقدم عليها بعد أن عجز الناس عن فكها وكان اماما فى الحديث والفقه والنحو وهو على الجملة ممن يحصل الفخر بلقائه ولم يكن أحد بعده مثله بالاندلس انتهى * وقال فى الاحاطة ان مولد الشريف كان سنة سبع وتسعين وستمائة وان وفاته سنة ستين وسبعمائة وفى وفاته مخالفة لما تقدم والله أعلم وما أحسن قول الشريف أبى القاسم المترجم به

حدائق انبتت فيها الغوادى * ضروب النور رائقة البهاء

فما يدعو بها النعمان الا * نسبناه الى ماء السماء

وكان للشريف أبى القاسم المذكور ابنان نجيبان أحدهما قاضى الجماعة أبو المعالى والآخر أبو العباس أحمد قال الراعى فى كتابه الفتح المنير فى بعض ما يحتاج اليه الفقير ما نصه حكاية تتعلق بالانقطاع نسأل الله تعالى العافية * وقع للسيد الشريف قاضى الجماعة بغرناطة أبى المعالى ابن السيد الشريف أبى القاسم الحسنى شارح الخزرجية ومقصورة حازم نفع الله تعالى بسلفهم الكريم وكانت أم السيد أبى المعالى حسينية فكان شريفا من الجهتين أنه كان قد ترك كبار الوظائف والرياسات وتجرد للعبادة ولبس المرقعة وسلك طريق القوم وكان من الدين والعلم والتعظيم فى قلوب أهل الدنيا وأهل الآخرة على جانب عظيم يشار اليه بالاصابع وكان أخوه شيخى واستاذى أبو العباس أحمد قاضيا بشرقى الاندلس فكان أخوه أبو المعالى المذكور لا يأكل فى بيت شقيقه شيأ لاجل ذلك ولعيشه من خدم السلطان وكان اذا احتاج الى الطعام وهو فى بيت أخيه أعطانى درهما من عنده أشترى له به ما يأكل وأقام على هذه الحالة الحسنة سنين كثيرة ثم انه دخل يوما على الفقراء بزاوية المحروق من ظاهر غرناطة وكان شيخ الفقراء بها فى ذلك الوقت الشيخ أبا جعفر أحمد المحدود فقال لهم ياسادتى انه كان معى قنديل أستضئ به ففقدته فى هذه الايام وما بقيت ابصر شيأ فقال له شيخهم المذكور ياشريف أول رجل يدخل علينا فى هذا المجلس يجيبك عن مسئلتك فدخل عليهم رجل من خيارهم من أهل البادية فسلم وجلس فقال له الشيخ ان الشريف يسأل الجماعة فقلت له أول رجل يدخل علينا يجيبك فوفقت أنت فأجبه عن مسئلته فقال له ما سؤالك ياشريف فقال انه كان لى قنديل أستضئ به ففقدته وما بقيت ابصر شيأ فقال له الفقير هذا لا يصدر الا عن سوء أدب أخبرنا بما وقع منك فقال له الشريف ما أعلم أنه وقع منى شئ غير أن المباشر فلانا طلبه السلطان

أن تجنبت منه الاحاديث الطوال دون المعانى المغلغلة الا الفاظ الحشوية السنى ينقضى باقتصاصها زمان المجالس وتتعلق بها النفوس وتحتسى على أواخرها الكؤس وأن ذلك بمجالس القصاص أشبه منه بمجالس الخواص (وقد ذكر) هذا المعنى فاجاد فيه عبد الله بن المعتز بالله وصف ذلك بين أصحاب الشراب على المعاقرة فقال بين أقداحهم حديث قصير هو سحر وما عداه كلام وكأن السقاة بين الندامى ألفات بين السطور قيام وهذه طريقة من ذهب فى هذا المعنى الى استماع الملح وكان أول من وقع عليه اسم الوزارة فى دولة بنى العباس أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمدانى مولى لسبيع وكان فى نفس أبى العباس منه شئ لانه كان حاول فى رد الامر عنهم الى غيرهم فكتب أبو مسلم الى السفاح يشير عليه بقتله ويقول له قد أحل الله لك دمه لانه قد نكث وغير وبدل فقال السفاح ما كنت لافتتح دولتى بقتل رجل من شيعتى لاسيما مثل أبى سلمة وهو صاحب هذه الدعوة وقد عرض نفسه وبذل مهجته وأنفق ماله وناصح امامه وجاهد عدوه وكلمه أبو جعدة أخوه وداود بن على عمه فى ذلك وقد كان أبو مسلم كتب اليهما يسألهما أن يشيرا على

للصادرة فاستخفى منه فررت ببابه يوما فنادانى من شقة الباب ياسيدى اجعل خاطرك معى لله تعالى فقلت له اذكر الذكر الفلانى قلت وانا اظن أنه أمره بذكر اسمه تعالى اللطيف فانه سريع الاجابة فى تفريج الشدائد والكرب نص عليه البونى فى منتخبه وهو مجرب فى ذلك وقد روا لى عن بعض مشايخه السيد الشريف احد أخوه فقال له الفقير هل كان اذن لك فى تلقينه قال لا قال له الفقير لا يعود اليك نورك أبدا لانك قد أسأت الادب فكان كما قال فانقطع وولى بعده قضاء الجماعة وعزل عن سخط وخدم الملوك وأكل طعامهم وحالته أولا وآخرا معروفة بغرناطة نسأل الله تعالى أن لا يجعلنا من المطرودين عن باب رحمته عنه وكرمه انتهى كلام الراعى رحمه الله تعالى (رجع الى مشايخ لسان الدين) رحمه الله تعالى ورضى عنه وسامحه فنقول ومن مشايخ لسان الدين الامام الرحال شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن جابر الوادى آشى ولد بتونس وهو محمد ابن الامام المحدث معين الدين جابر بن محمد بن قاسم بن احمد القيسى شيخ ممتع نبيل رحال متقن قال الخطيب ابن مرزوق وعاشرته كثيرا سفرا وحضرا وسمعت بقراءته وسمع بقراءتى وقرأت عليه الكثير وقيدت من فوائده وأنشدنى الكثير فأول ما قرأت عليه بالقاهرة وقرأت عليه بمدينة فاس وبظاهر قسنطينة وبمدينة بجاية وبظاهر المهدية وبمنزلى من تلمسان وقرأت عليه أحاديث عوالى من تخريج الدمياطى وفيها الحديث المسلسل بالاولية وسلسلته عنه من غير رواية الدمياطى بشرطه ثم قرأت عليه أكثر كتاب الموطا رواية يحيى وأعجله السفر فاتممته عليه فى غير القاهرة وحدثنى به عن جماعة ومعوله على الشيخين قاضى القضاة أبى العباس بن الغماز الخزرجى وهو أحمد بن محمد بن حسن والشيخ أبى محمد بن هرون وهو عبد الله بن محمد القرطبى الطائى الكاتب المعمر الاديب بحق سماعه لاكثره على الاول وقراءته بأجمعه على الثانى قال الاول أخبرنا أبو الربيع بن سالم بجميع طرقه فيهما عن ابن مرزوق وأبى عبد الله بن أبى عبد الله الخولانى عن أبى عمرو عثمان بن أحمد المغافرى عن أبى عيسى بسنده وقال الثانى أخبرنا أبو القاسم بن بقى بقرطبة أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الحق عن محمد بن فرج مولى الطلاع عن يونس بتمام سنده قال شيخنا وفى هذا السند غريبتان احداهما انه ليس فيه اجازة والثانية ان شيوخه كلهم قرطبيون قال ابن مرزوق قلت ولا غرابة فى اتصال سماع الموطا وقراءته فقد وقع لى على قلة التحصيل متصلا من طرق ولله الحمد وقد رويته عن قرطبى وهو أبو العباس بن العشاء ثم قرأت عليه كتاب الشفاء لعياض وحدثنى به عن أبى القاسم عن أبى عبد الله بن أبى القاسم الانصارى المالقى نزيل سبتة ويعرف بها بابن حكم وبابن أخت أبى صالح عن أبى زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الخزرجى عن أبى جعفر احمد بن حكم عن المؤلف وحدثنى به أيضا عن قاضى الجماعة ابن ابى الربيع بن سالم عن أبى جعفر بن حكم ثم قال ابن مرزوق بعد كلام ما صورته ورويت عنه وانشدنى لابى محمد بن هرون

لا تطمعن فى نفع آل لشأنه * ضرر وقل النفع عند الآل

اقصر رويدك ان ما علقته * بالآل من اهل كمثل الآل

ولابن هرون المذكور

السفاح بقتله فقال أبو العباس ما كنت لأفسد كثير احسانه وعظيم بلائه وصالح أيامه بزلة كانت منه وهى خطرة من خطرات الشيطان وغفلة من غفلات الانسان فقالا له فينبغى يا أمير المؤمنين أن تحترس منه فانا لا نأمنه عليك فقال كلا انى لآمنه فى ليلى ونهارى وسرى وجهرى ووحدتى وجماعتى فلما اتصل هذا القول من أبى العباس بأبى مسلم أكبره وأعظمه وخاف من ناحية أبى سلمة أن يقصده بالمكروه فوجه جماعة من ثقات أصحابه فى اعمال الحيلة فى قتل أبى سلمة وقد كان أبو العباس يأنس بأبى سلمة ويسمر عنده وكان أبو سلمة فكها متأدبا عالما بالسياسة والتدبير فيقال ان أبا سلمة انصرف ليلة من عند السفاح من مدينته بالانبار وليس معه أحد فوثب عليه أصحاب أبى مسلم فقتلوه فلما اتصل خبره بالسفاح أنشأ يقول الى النار فليذهب ومن كان مثله

على أى شئ فاتنا منه نأسف

وكان أبو مسلم يقال له أمين آل محمد وأبو سلمة حفص ابن سليمان يدعى وزير آل محمد فلما قتل غيلة على بما ذكرنا قال فى ذلك الشاعر من أبيات ان المساءة قد تسر وربما * كان السرور بما كرهت جديرا

أقل

أقلل زيارة الاحبا * ب تزدد عندهم قربا
فان المصطفى قد قا * ل زرغبا تزد حبا

ولابن هرون أيضا

رماني بالنوى زمني * فشمل الانس مفترق
وليلي كله فكر * فقلبي منه محترق
وللآداب أبناء * بيحر الفقر قد غرقوا
وكل منهم وجل * بما يلقاه أو فرق
يغص بريقه منه * وفي النطق اوشرق
وقد صفرت أكفهم * فلا ورق ولا ورق
ولطف الله مرتقب * به العادات تنخرق

قال ابن مرزوق وشعره الفائق لا يحصر وهو عندي في مجلد كبير وولد ابن جابر سنة ٦٧ وسمع بمصر على جماعة وكتب بخطه كثيرا وله معرفة بالحديث والنحو واللغة والشعر وله نظم حسن وتوفي بتونس سنة ٧٧٩ وأخذ القراآت عن ابن الزيات وغيره وترجمة الحافظ ابن جابر رحمه الله تعالى واسعة مشهورة وقد ذكرناه في غير هذا الكتاب بما جمعناه

وما أنشده لسان الدين رحمه الله تعالى لبعض المتصوفة من شيوخه ولم يسمه قوله

هل تعلمون مصارع العشاق * عند الوداع بلوعة الاشواق
والبين يكتب من نجيع دمائهم * ان الشهيد لمن توى بفراق
لو كنت شاهد حالهم يوم النوى * لرأيت ما يلقون غير مطاق
منهم كئيب لا يعل بكاءه * قد أحرقته مدامع الآماق
ومحرق الاحشاء أشعل نارها * طول الوجيب بقلبه الخفاق
ومولّه لا يستطيع كلامه * مما يقاسي في الهوى ويلاقي
خرس اللسان فما يطيق عبارة * الم ألم وماله من راقي
ما للمحب من المنون وقاية * ان لم يجد محبوبه بتلاقي
مولاي عبدك ذاهب بغرامه * أدرك بفضلك من ذماء الباقي
اني اليك بذاتي متوسل * فاعطف بلطف منك او اشفاق

وهذه الابيات اوردها رحمه الله تعالى في الروضة في العشق بعد أن حده وتكلم عليه ثم أورد عدة مقطوعات ثم ذكر بعدها هذه الابيات كما ذكر وأنشد لسان الدين رحمه الله تعالى لبعض أشياخه وسماه وأنسيته انا الآن

عما بيننا من خلوة معنوية * أرق من النجوى وأحلى من السلوى
قفي ساعة في ساحة الدار وانظري * الى عاشق لا يستفيق من البلوى
وكم قد سألت الريح شوقا اليكم * فما حن مسراها علي ولا ألوى

وقوله

انست بوحدتي حتى لواني * اتاني الانس لاستوحشت منه
ولم تدع التجارب لي صديقا * أميل اليه الاملت عنه

في الكتاب الاوسط (وكان) السفاح يعجبه المحادثة ومفاخرات العرب من نزار واليمن والمذاكرة بذلك ولخالد بن صفوان وصدر من قحطان أخبار حسان ومفاخرات ومذاكرات ومنادمات ومسامرات مع السفاح مشهورة فاغنى ذلك عن ذكرها (ومما ذكر) من أخباره واستفاض من أسماره ماذكره البهلول بن العباس عن الهيثم بن عدي الطائي عن يزيد الرقاشي قال كان السفاح يعجبه مسامرة الرجال واني سمرت عنده ذات ليلة فقال يا يزيد أخبرني باظرف ماسمعته من الاحاديث فقلت يا أمير المؤمنين وان كان في بني هاشم قال ذلك أعجب الي قلت يا أمير المؤمنين نزل رجل من تنوخ بحي من بني عامر بن صعصعة فجعل لا يحط شيأ من متاعه الا تمثل بهذا البيت

لعمرك ما تبلى سرائر عامر * من اللؤم ما دامت عليها جلودها

فخرجت اليه جارية من الحي فحادثته وآنسته وسالته حتى أنس بها ثم قالت ممن أنت منعت ملك فقال رجل من تميم فقالت أتعرف الذي يقول

وقوله رحمه الله تعالى

عليك بالعزلة ان الفتى * من طاب بالقلة في العزله
لا يرتجى عزلة وال ولا * يخشى من الذلة في العزله

(ومن أكابر شيوخ ابن الخطيب رحمه الله تعالى جدى الامام العلامة قاضي القضاة بحضرة الخلافة فاس المحروسة أبو عبد الله) قال في الاحاطة محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيي ابن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي القرشي المقري يكنى أبا عبد الله قاضي الجماعة بفاس تلمساني أوليته نقلت من خطه قال وكان الذي اتخذها من سلفنا قرارا بعد أن كانت لمن قبله مزارا عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي المقري صاحب الشيخ أبي مدين الذي دعا له ولذريته بما ظهر فيهم قبوله وتبين وهو أبي الخامس فأنا محمد بن محمد بن احمد بن أبي بكر بن يحيي ابن عبد الرحمن وكان هذا الشيخ عروى الصلاة حتى انه ربما امتحن بغير شئ فلم يؤنس منه التفات ولا استشعر منه شعور ويقال ان هذا الحضور مما أدركه من مقامات شيخه أبي مدين انتهى وكتب بعض المغاربة على هامش هذا المحل من الاحاطة ما صورته القرشي وهم انتهى فكتب تحته الشيخ الامام أبو الفضل ابن الامام التلمساني رحمه الله تعالى مانصه بل صحيح نطقت به الالسن والمكاتبات والاجازات وأعربت عنه الخلائل الكريمة الآن البلدية ياسيدى أبا عبد الله والمنافسة تجعل القرشية في امام المغرب أبي عبد الله المقري وهما والحمد لله انتهى قلت وممن صرح بالقرشية في حق الجد المذكور ابن خلدون في تاريخه وابن الاحمر في نثر الجمان وفي شرح البردة عند قوله لعل رحمة ربي حين يقسمها * والشيخ ابن غازي والولي الصالح سيدى احمد زروق والشيخ علامة زمانه سيدى أحمد الونشريسي وغير واحد وكفى بلسان الدين شاهدا مزكى وقد ألف عالم الدنيا ابن مرزوق تأليفا استوفى فيه التعريف بمولاي الجد سماه النور البدري في التعريف بالفقيه المقري وهذا بناء منه على مذهبه انه بفتح الميم وسكون القاف كما صرح بذلك في شرح الالفية عند قوله *ووضعوا لبعض الاجناس علم* وضبطه غيره وهم الاكثرون بفتح الميم وتشديد القاف وعلى ذلك عول اكثر المتأخرين وهما لغتان في البلدة التي نسب اليها وهي مقرة من قرى زاب افريقية وانتقل منها جده الى تلمسان صحبة شيخه ولي الله سيدى أبي مدين رضي الله عنه (رجع الى تكملة كلام مولاي الجد في حق اوليته) قال رحمه الله تعالى بعد الكلام السابق في حق جده عبد الرحمن ما صورته ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار واتخذوا طبلا للرحيل وراية تقدم عند المسير وكان ولد يحيي الذين أحدهم أبو بكر خمسة رجال فعقدوا الشركة بينهم في جميع ما ملكوه او يملكونه على السواء بينهم والاعتدال فكان أبو بكر ومحمد وهما أرومتا نسبي من جميع جهاتي وأبي بتلمسان وعبد الرحمن وهو شقيقهما الاكبر بسجلماسة وعبد الواحد وعلي وهما شقيقاهم الصغيران بايوالاتن فاتخذوا بهذه الاقطار الحوائط والديار وتزوجوا النساء واستولدوا الاماء وكان التلمساني يبعث الى الصحراوي بما يرسم له من السلع ويبعث اليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز

ولو أن برغوثا على ظهر قملة
يكر على جمعي تميم لولت
ذبحنا فسمينا فتم ذبيحنا
وما ذبحت يوما تميم فسمت
أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى
عظام المخازي من تميم تجلت
فقال لا والله ما انا منهم قالت فمن انت قال رجل من عجل قالت أتعرف الذي يقول
أرى الناس يعطون الجزيل ولا أرى
عطا بني عجل ثلاث واربع
اذا ما تعجلي بارض فانما
يشق له منها ذراع واصبع
قال لا والله ما انا من عجل قالت فمن انت قال رجل من بني يشكر قالت اتعرف الذي يقول
اذا يشكرى مس ثوبك ثوبه
فلا تذكرن الله حتى تطهرا
قال لا والله ما انا من يشكر قالت فمن أنت قال رجل من بني عبد القيس قالت اتعرف الذي يقول
رايت عبد القيس لاقت ذلا
اذا اصابوا بصلا وخلا
وما لحا مصنعا قد طلا
باتوا يسلون النساء سلا * سل النبيط القصب المبتلا
قال لا والله ما أنا من عبد القيس قالت فمن انت

والجوز والتبر والسجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران والرجحان وبكاتبهما باحوال التجار وأخبار البلدان حتى اتسعت أموالهم وارتفعت في الفخامة أحوالهم ولما افتتح التكرور كورة ابوالاتن وأعمالها أصيبت أموالهم فيما أصيب من أموالها بعد أن جمع من كان فيها منهم الى نفسه الرجال ونصب دونها ودون مالهم القتال ثم اتصل على كبيرهم فأكرم مثواه ومكنه من التجارة بجميع بلاده وخاطبه بالصديق الاحب والخلاصة الاقرب ثم صار يكاتب من بتلمسان يستقضي منهم ما ربه فيخاطبه بمثل تلك المخاطبة وعندي من كتبه وكتب ملوك المغرب ما ينبئ عن ذلك فلما استوثقوا من الملوك تذللت لهم الارض للسلوك فخرجت أموالهم عن الحد وكادت تفوت الحصر والعد لان بلاد الصحراء قبل أن يدخلها أهل مصر كان يجلب اليها من المغرب ما لا بال له من السلع فتعاوض عنه بماله بال من الثمن (أي مدبر دنيا ضم جنبا أبي حمو وشمل ثوبا ه كان يقول لولا الشناعة لم أزل في بلادي تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالتبر الذي كل أمر الدنيا له تبع ومن سواهم يحمل منها الذهب ويأتي اليها بما يضمحل عن قريب ويذهب ومنه ما يغير من العوائد ويجر السفهاء الى المفاسد) ولما درج هؤلاء الاشياخ جعل أبناؤهم ينفقون مما ترك والهم ولم يقوموا بأمر التثمير قيامهم وصادفوا توالي الفتن ولم يسلموا من جور السلاطين فلم يزل حالهم في نقصان الى هذا الزمن فها أنا ذا لم أدرك من ذلك الأثر نعمة اتخذنا فصوله عيشا وأصوله حرمة ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب وأسباب كثيرة تعين على الطلب فتفرغت بحول الله عز وجل للقراءة فاستوعبت أهل البلد لقاء وأخذت عن بعضهم عرضا والقاء سواء المقيم القاطن والوارد والظاعن انتهى كلامه في أوليته وقد نقله لسان الدين في الاحاطة وقال مولاي الجد رحمه الله تعالى كان مولدي بتلمسان أيام أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان وقد وقفت على تاريخ ذلك ولكني رأيت الصفح عنه لان أبا الحسن بن مؤمن سأل أبا طاهر السلفي عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سألت أبا الفتح بن زيان عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سألت علي بن محمد اللبان عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سألت حمزة بن يوسف السهمي عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سألت أبا بكر محمد بن عدي المنقري عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سألت أبا اسمعيل الترمذي عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سألت بعض أصحاب الشافعي عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سألت الشافعي عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سألت مالك بن أنس عن سنه فقال أقبل على شانك ليس من المروءة للرجل أن يخبر بسنه انتهى قلت ولما تذاكرت مع مولاي العم الامام صب الله تعالى على مضجعه من الرحمة الغمام هذا المعنى الذي ساقه مولاي الجد رحمه الله تعالى أنشدني لبعضهم

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة * سن ومال ما استطعت ومذهب

فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة * بمكفر وبحاسد ومكذب

قال الوانشريسي في حق الجد ما نصه القاضي الشهير الامام العالم أبو عبد الله محمد بن محمد

فلو كان الخليفة باهليا
لقصر عن مناواة الكرام
وعرض الباهلي وان توقى
عليه مثل منديل الطعام
قال لا والله ما أنا من باهلة
قالت فمن أنت قال رجل
من بني فزارة قالت أتعرف
الذي يقول
لا تأمنن فزاريا خلوت به
على قلوصك واكتبها بأسيار
لا تأمنن فزاريا على حجر
بعد الذي امتل أير العير
في النار
قوم اذا نزل الاضياف
ساحتهم
قالوا لامهم بولي على النار
قال لا والله ما أنا من فزارة
قالت فمن أنت قال أنا
رجل من ثقيف قالت
أتعرف الذي يقول
أهل الناسبون الى ثقيف
فما لهم أب الا الضلال
فان نسبت أو انتسبت
ثقيف
الى أحد فذاك هو المحال
خنازير الحشوش فقتلوها
فان دماءها لكم حلال
قال لا والله ما أنا من ثقيف
قالت فمن أنت قال رجل
من عبس قالت أتعرف
الذي يقول
اذا عبسية ولدت غلاما
فبشرها بلؤم مستفاد
قال لا والله ما أنا من عبس قالت فمن أنت قال رجل من ثعلبة قالت أتعرف الذي يقول

المقري التلمساني المولد والمنشا الفاسي المسكن كان رحمه الله تعالى عالما عاملا لا طريفا نبيها ذكيا نبيلا فهما متيقظا جزلا محصلا انتهى * وقد وقفت له بالمغرب على مؤلف عرّف فيه بمولاي الجد وذكر جملة من أحواله وذلك انه طلبه بعض أهل عصره في تاليف أخبار الجد فألف فيه ما ذكره وقال في الاحاطة في ترجمة مولاي الجد بعد ذكر أوليته ما صورته حال هذا الرجل مشار اليه بالعدوة الغربية اجتهادا ودؤبا وحفظا وعناية واطلاعا ونقلا ونزاهة سليم الصدر قريب الغور صادق القول مسلوب التصنع كثير الهشة مفرط الخفة ظاهر السذاجة ذاهب أقصى مذاهب التخلق محافظ على العمل مثابر على الانقطاع حريص على العبادة مضايق في العقد والتوجه يكابد من تحصيل النية بالوجه واليدين مشقة ثم يغافص الوقت فيها ويوقعها دفعة متبعا اياها زعقة التكبير برجفة ينبو عنها سمع من لم تؤنسه بها العادة بما هو دليل على حسن المعاملة وارسال السجية قديم النعمة متصل الخيرية مكب على النظر والدرس والقراءة معلوم الصيانة والعدالة منصف في المذاكرة حاسر للذراع عند المباحثة راحب عن الصدر في وطيس المناقشة غير مختار للقرن ولا ضان بالفائدة كثير الالتفات متقلب الحدقة جهير بالحجة بعيد عن المراء والمباهتة قائل بفضل أولي الفضل من الطلبة يقوم أتم القيام على العربية والفقه والتفسير ويحفظ الحديث ويتهجر بحفظ التاريخ والاخبار والآداب ويشارك مشاركة فاضلة في الاصلين والجدل والمنطق ويكتب ويشعر مصيبا غرض الاجادة ويتكلم في طريقة الصوفية كلام أرباب المقال ويعتني بالتدوين فيها شرق وحج ولقي جلة واضطبن رحلة مفيدة ثم عاد الى بلده فأقرأ به وانقطع الى خدمة العلم فلما ولي ملك المغرب السلطان محالف الصنع ونشيدة الملك وأثير الله من بين القرابة والاخوة أمير المؤمنين أبو عنان اجتذبه وخلطه بنفسه واشتمل عليه وولاه قضاء الجماعة بمدينة فاس فاستقل بذلك أعظم الاستقلال وأنفذ الحق وألان الكلمة وآثر التسديد وحمل الكل وخفض الجناح فحسنت عنه القالة وأحبته الخاصة والعامة حضرت بعض مجالسه للحكم فرأيت من صبره على اللدد وتأنيه للعيي ورفقه بالخصوم ما قضيت منه العجب (دخوله غرناطة) ثم لما أخر عن القضاء استعمل بعد لأي في الرسالة فوصل الاندلس أوائل جمادى الثانية من عام سبعة وخمسين وسبعمائة فلما قضى غرض رسالته وأبرم عقد وجهته واحتل مالقة في منصرفه بدا له في نبذ الكلفة واطراح وظيفة الخدمة وحل التقيد الى ملازمة الامرة فتقاعد وشهر غرضه وبت في الانتقال طمع من كان صحبته وأقبل على شأنه فخلي بينه وبين همه وترك وما انتحله من الانقطاع الى ربه وطار الخبر الى مرسله فأنف من تخصيص ايالته بالهجرة والعدول عنها بقصد التخلي والعبادة وأنكر ما حقه الانكار من ابطال عمل الرسالة والانقباض قبل الخروج عن العهدة فوغر صدره على صاحب الامر ولم يبعد حمله على الظنة والمواطاة على النفرة وتجهزت جلة من الخدام المجلين في مأزق الشبهة المضطلعين باقامة الحجة مواثبين خطة الملام مخيرين بين سحائب عاد من الاسلام مظنة أعلاق النقمة وايقاع العقوبة او الاشادة بسبب اجارته بالقطيعة والمنابذة وقد كان المترجم به لحق بغرناطة فتذمم

وثعلبة بن قيس شر قوم * والأمهم وأغدرهم بجار
قال لا والله ما أنا منهم قالت فمن أنت قال رجل من بني مرة قالت أتعرف الذي يقول

أذا مرية خضبت يداها
فزوّجها ولا تأمن زناها

قال لا والله ما أنا من بني مرة قالت فمن أنت قال رجل من بني ضبة قالت أتعرف الذي يقول

لقد زرقت عيناك يا ابن معكبر
كما كل ضبي من اللؤم أزرق

قال لا والله ما أنا من بني ضبة قالت فمن أنت قال رجل من بجيلة قالت أتعرف الذي يقول

سألنا عن بجيلة حين حلت
لنخبر أين قرّ بها القرار
فما تدري بجيلة أين تدعى
أقحطان أبوها أم نزار
فقد وقعت بجيلة بين بين
وقد خلعت كما خلع العذار

قال لا والله ما أنا من بجيلة قالت فمن انت ويحك قال رجل من بني الازد قالت اتعرف الذي يقول

اذا ازدية ولدت غلاما
فبشرها بملاح مجيد

قال لا والله ما انا من الازد قالت فمن انت ويلك اما تستحي قل الحق قال انا رجل من خزاعة قالت اتعرف الذي يقول

اذا افتخرت خزاعة في كريم
وجدنا فخرها شرب الخمور
وباعت كعبة الرحمن جهرا * بزق بئس مفتخر الفخور

قال لا والله ما انا من خزاعة قالت فمن انت قال رجل

بمسجدها

بجيدها وجار بالانقطاع الى الله وتوعد من يجيره بنكير من مجير ولا يجار عليه سبحانه فأهم أمره وشغلت القلوب أبدانه وأمسك الرسل بخلال ماصدرت شفاعة اقتضى له فيها رفع التبعة وترك هالى تلك الوجهة ولما تحصل ماتيسر من ذلك انصرف محفوفا بعالى القطر قاضى الجماعة أبى القاسم الحسنى المذكور قبله والشيخ الخطيب أبى البركات بن الحاج مسلمين لوروده مشافهين بالشفاعة فى غرضه فانقشعت الغمة وتنفست الكربة واستصحبا من المخاطبة السلطانية فى أمره من املائى مانذكر حسبما ثبت فى الكتاب المسمى بكناسة الدكان بعد انتقال السكان المجموع بسلا ماصورته المقام الذى يحب الشفاعة ويرعى الوسيله وينجز العدة ويتمم الفضيله ويضفى مجده المنن الجزيله ويعى حمده المادح العريضة الطويله مقام محل والدنا الذى كرم مجده ووضح سعده وصح فى الله تعالى عقده وخلص فى الاعمال الصالحة قصده وأعجز الالسنة حمده السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله سبحانه لوسيلة يرعاها وشفاعة يكرم مسعاها وأخلاق جميلة تجيب دعوة الطبع الكريم اذا دعاها معظم سلطانه الكبير ومجد مقامه الشهير المتشيع لابوته الرفيعة قولا باللسان واعتقادا بالضمير المعتمد منه بعد الله على المجالاجى والولى النصير فلان سلام كريم طيب برعميم يخص مقامكم الاعلى وأبوتكم الفضلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله الذى جعل الخلق الحميدة دليلا على عنايته بمن حلاها وميز بها النفوس النفيسة التى اختصها بكرامته وتولاها حمدا يكون كفؤا النعم التى أولاها وأعادها ووالاها والصلاة على سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله المترقى من درجات الاختصاص ارفعها وأعلاها الممتاز من أنوار الهداية بأوضحها وأجلاها مطلع آيات السعادة يروق مجتلاها والرضا عن آله وصحبه الذين خبر صدق ضمائرهم لما ابتلاها وعسل ذكرهم فى الافواه فما أعذب أوصافهم على الالسن وأحلاها والدعاء لمقام ابوتكم حرس الله تعالى علاها بالسعادة التى يقول الفتح انا طلاع الثنايا وابن جلاها والصنائع التى تخترق المفاوز بركائبها المبشرات فتفلى فلاها * فانا كتبنا اليكم كتب الله تعالى لكم عزة مشيدة البناء وحشد على أعلام صنائعكم الكرام جيوش الثناء وقلد كم من قلائد مكارم الاخلاق مايشهد لذاتكم منه بسابقة الاعتناء من حمراء غرناطة حرسها الله والود باهر السنا ظاهر السناء مجدد على الانا والتشيع رحب الدسيعة والفناء والى هذا وصل الله تعالى سعدكم وحرس مجدكم فاننا خاطبنا مقامكم الكريم فى شأن الشيخ الفقيه الحافظ الصالح أبى عبد الله المقرى خار الله تعالى لنا وله وبلغ الجميع من فضله العميم أمله جوابا عما صدر عن مثابتكم فيه من الاشارة الممتثله والمآرب المعمله والقضايا غير المهمله نصادركم بالشفاعة التى مثلها بأبوابكم لا يرد وظمآها عن منهل قبولكم لا تجلى ولا تصد حسبما سنه الاب الكريم والجد والقبيل الذى وضح منه فى المكارم الرسم والحد ولم نصدر الخطاب حتى ظهر لنا من أحواله صدق المخيله وتبلج صبح الزهادة والفضيله وجود النفس الشحيحة بالعرض الادنى البخيله وظهر تخليه عن هذه الدار واختلاطه بالفيف والغمار واقباله على مايعنيه مثله من صلة الاوراد ومداومة

قال لا والله ما أنا من سليح قالت فمن أنت قال رجل من لقيط قالت أتعرف الذي يقول

لعمرك ما البحار ولا الفيافي … باوسع من فقاح بني لقيط
لقيط شر من ركب المطايا … وانذل من يدب على البسيط
ألا لعن الاله بني لقيط … بقايا سبة من قوم لوط

قال لا والله ما أنا من لقيط قالت فمن أنت قال رجل من كندة قالت أتعرف الذي يقول

اذا ماافتخر الكندي … ذو البهجة والطره
فبالنسج وبالخف وبالسدل وبالحفره
فدع كندة للنسج … فاعلى فخرها عره

قال لا والله ما أنا من كندة قالت فمن أنت قال رجل من خثعم قالت أتعرف الذي يقول

وخثعم لو صفرت بها صفيرا … لطارت في البلاد مع الجراد

قال لا والله ما انا من خثعم قالت فمن أنت قال رجل من طي قالت أتعرف الذي يقول

وما طيء الانبيط تجمعت … فقالت طيا أما كلمة فاستمرت
ولو أن حرقوصا يمد جناحه … على جبلي طي اذا لاستظلت

قال لا والله ما أنا من طي قالت فمن أنت قال رجل من مزينة قالت أتعرف الذي يقول

الاستغفار وكنا لما تعرفنا اقامته بمالقة لهذا الغرض الذى شهره والفضل الذى أبرزه للعيان وأظهره أمرنا أن يعتنى باحواله ويعان على فراغ باله ويجرى عليه سببه من ديوان الاعشار الشرعية وصريح ماله وقلنا أما تالك من غير مسئلة مستند صحيح لاستدلاله ففر من مالقة على ما تعرف لهذا السبب وقعد بحضرتنا مستور المنتمى والمنتسب وسكن بالمدرسة بعض الاماكن المعدة لسكنى المتسمين بالخير والمحترفين ببضاعة الطلب بحيث لم يتعرف وروده ووصوله الا من لا يؤبه بتعريفه ولم تتحقق زوائده وأصوله لقلة تصريفه ثم تلاحق ارسالكم الجلة فوجبت حينئذ الشفاعه وعرضت على سوق الحلم والفضل من الاستلطاف والاستعطاف البضاعه وقررنا ما تحققناه من أمره وانقباضه عن زيد الخلق وعمره واستقباله الوجهة التى من ولى وجهه شطرها فقد آثر أثيرا ومن ابتاعها بمتاع الدنيا فقد نال فضلا كبيرا وخيرا كثيرا وسألناكم أن تبيحوه ذلك الغرض الذى رماه بعزمه وقصر عليه أقصى همه فما أخلق مقامكم أن يفوز منه طالب الدنيا بسهمه ويحصل منه طالب الآخرة على حظه الباقى وقسمه ويتوسل الزاهد بزهده والعالم بعلمه ويعوّل البرىء على فضله ويثق المذنب بحلمه فوصل الجواب الكريم بمجرد الامان وهو أرب من آراب وفائدة من جواب ووجه من وجوه اعراب فرأينا أن المطل بعد جفاء والاعادة ليس يثقلها خفاء ولمجدكم عما ضمناه عنه وفاء وبادرنا الآن الى العزم عليه فى ارتحاله وأن يكون الانتقال عن رضا منه من صفة حاله وان يقتضى له ثمرة المقصد ويبلغ طية الاسعاف فى الطريق ان قصد اذ كان الامان لمثله ممن تعلق بجناب الله من مثلكم حاصلا والدين المتين بين نفسه وبين المخافة فاصلا وطالب كيمياء السعادة باعانتكم واصلا ولما مدت اليد فى تسويغ حاله هديكم عليها أبدا يحرض وعلمكم يصرح بعزيتها ولا يعرض فكملوا أبقاكم الله ما لم تسعنا فيه مشاحة الكتاب وألحقوا بالاصل حديث هذه الاباحة فهو أصح حديث فى الباب ووفوا غرضنا من مجدكم وخلوا بينه وبين مراده من ترك الاسباب وقصد غافر الذنب وقابل التوب باخلاص المتاب والتشمير ليوم العرض وموقف الحساب وأظهروا عليه عناية الجناب الذى تعلق به أعلق الله به يدكم من جناب ومعاذ الله أن تعود شفاعتنا من لدنكم غير مكملة الآراب وقد بعثنا من ينوب عنا فى مشافهتكم بها أحمد المناب ويقتضى خلاصها بالرغبة لا بالغلاب وهما فلان وفلان ولولا الاعذار لكان فى هذا الغرض اعمال الركاب يسبق اعلام الكتاب وأنتم تولون هذا القصد من مكارمكم ما يوفر الثناء الجميل ويربى على التأميل ويكتب على الود الصريح العقد وثيقة التسجيل وهو سبحانه يبقيكم لتأييد المجد الاثيل وانالة الرفد الجزيل والسلام الكريم يخص مقامكم الاعلى ومثابتكم الفضلى ورحمة الله تعالى وبركاته فى الحادى والعشرين لجمادى الآخرة من عام سبعة وخمسين وسبعمائة انتهى كلام ابن الخطيب فى الاحاطة * (وذكر فى الريحانة) أنه كتب فى هذا الغرض ما نصه والى هذا فاننا وقفنا على كتابكم الكريم فى شان الشيخ الصالح الفقيه الفاضل أبى عبد الله المقرى وفقنا الله واياه لما يزلف لديه وهدانا لما يقرب اليه وما بلغكم من قاعده بمالقة وما أشرتم به فى أمره فاستوفينا

وهل مزينة الا من قبيلة * لا يرتجى كرم فيها ولا دين قال لا والله ما أنا من مزينة قالت فمن أنت قال رجل من النخع قالت أتعرف الذى يقول

اذا النخع اللئام غدوا جميعا * تأذى الناس من وفر الزحام
وما يسموا الى مجد كريم * وما هم فى الصميم من الكرام

قال لا والله ما أنا من النخع قالت فمن أنت قال رجل من أود قالت أتعرف الذى يقول

اذا نزلت باود فى ديارهم * فاعلم بانك منهم لست بالناجى
لا تركنن الى كهل ولا حدث * فليس فى القوم الا كل عفاج

قال لا والله ما أنا من أود قالت فمن أنت قال أنا رجل من لخم قالت أتعرف الذى يقول

اذا ما انتمى قوم لفخر قديمهم * تباعد فخر القوم من لخم أجمعا

قال لا والله ما أنا من لخم قالت فمن أنت قال أنا رجل من جذام قالت أتعرف الذى يقول

اذا كاس المدام أديريوما * لمكرمة تنحى عن جذام

قال لا والله ما أنا من جذام قالت فمن أنت ويلك أما تستحى أكثرت من الكذب قال أنا رجل من تنوخ وهو الحق قالت أتعرف الذى يقول

جميع

جميع ما قررتم واستوعبنا ما أجلتم في ذلك وفسرتم واعلموا أيها المحل والدنا أمتعنا الله ببقائكم الذي في ضمنه اتصال السعاده وتعرف النعم المعاده أننا لما انصرف عن بابنا هو ومن رافقه عن انشراح صدور وتكييف جذل بما تفضلتم به وسرور تعرفنا أنه تقاعد عالقة عن صحبه وأظهر الاشتغال بما يخلصه عند ربه وصرف الوجه إلى التخلي مما قام من ذنبه واحتج بأن قصده ليس له سبب ولا تعين له في الدنيا أرب وأنه عرض عليكم أن تسمحوا له فيما ذهب إليه وتقروه عليه فيحل البدار ويمهد تحت إيالتكم القرار فلما بلغنا هذا الخبر لم يخلق الله عندنا به مبالاة تعتبر ولا أعددناه فيما يذكر فكيف فيما ينكر وقطعنا أن الأمر فيه هين وأن مثل هذا الغرض لا تلتفت إليه عين فإن بابكم غني من طبقات أولى الكمال ملي بتسويغ الآمال موفور الرجال معمور بالفقهاء العارفين بأحكام الحرام والحلال والصلحاء أولي المقامات والأحوال والأدباء فرسان الرويه والارتجال ولم ينقص بفقدان الحصى أعداد الرمال ولا يستكثر بالقطرة جيش العارض المثال مع ما علم من اعانتكم على مثل هذه الأعمال واستمساككم بإسعاف غرض من صرف وجهه إلى ذي الجلال ولو علمنا أن شيئا يهجس في الخاطر من أمر مقامه لقابلناه بعلاج سقامه ثم لم ينشب أن تلاحق بحضرتنا بارزا في طور التقلل والتخفيف خالطا نفسه بالفيف قد دار نكرة بعد العلمية والتعريف وسكن بعض مواضع المدرسة منقبضا عن الناس لا يظهر إلا لصلاة يشهد جماعتها ودعوة للعباد يخاف إضاعتها ثم تلاحق إرسالكم الجلة الذين تحقق لمثلهم التجله فحضروا لدينا وأدوا المخاطبة الكريمة كإذ كرالينا وتكلمنا معهم في القضيه وتحللنا في الوجوه المرضيه فلم تجدوها أخلص من هذا الغرض ولا علاجا يتكفل ببرء المرض من أن كلفناهم الإقامة التي يتبرك بمن جوارها ويعمل على إيثارها بخلال ما تخاطب مقامكم بهذا الكتاب الذي مضمونه شفاعة يضمن حباؤكم احتسابها ويرعى انتماءها إلى الخلوص وانتسابها ويعيدها قد أعملت الحظوة أثوابها ونقصدكم ومثلكم من يقصد في المهمه فأنتم المثل الذائع في عموم الحلم وعلو الهمه في أن تصدروا له مكتوبا مكمل الفصول مقرر الأصول يذهب الوجل ويرفع الخجل ويسوغ من مأربه لديكم الأمل ويخلص النيه ويرتب العمل حتى يظهر ما لنا عند أبوتكم من تكميل المقاصد جريا على ما بذلتم من جميل العوائد وإذا تحصل ذلك كان بفضل الله إيابه وأمامت بعقره وعدم الوفي ركابه ويحصل لمقامكم عزه ومجده وثوابه وأنتم ممن يرعى أمور المجد حق الرعايه ويجري في معاملة الله تعالى على ما أسس من فضله البدايه ويحقق الظنون فيما لديه من المدافعة عن حوزة الإسلام والحمايه هذا ما عندنا أعلنا به الإعلام وأعملنا فيه الأقلام بعد أن أجهدنا الاختيار وتخللنا الكلام وجوابكم بالخير كفيل ونظركم لنا وللمسلمين جميل والله تعالى يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام انتهى * قلت وهذه آفة مخالفة الملوك فإن مولاي الجد المذكور كان نزل عن القضاء وغيره فلما أراد التخلي إلى ربه لم يتركه السلطان أبو عنان كما رأيت وقد ذكر لسان الدين رحمه الله تعالى في الإحاطة شيوخ مولانا الجد فلنذكرهم من جزء الجد الذي سماه نظم اللآلي

قال لا والله ما أنا من تنوخ قالت فمن أنت ثكلتك أمك قال أنا من حمير قالت أتعرف الذي يقول
نبئت حمير تهجوني فقلت لهم ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا
لأن حمير قوم لا نصاب لهم كالعود بالقاع لا ماء ولا ورق
لا يكثرون وإن طالت حياتهم ولو يبول عليهم ثعلب غرقوا
قال لا والله ما أنا من حمير قالت فمن أنت قال أنا رجل من نحاتر قالت أتعرف الذي يقول
ولو مر زمار بأرض نحاتر لماتوا أو أضحوا في التراب رمما
قال لا والله ما أنا من نحاتر قالت فمن أنت قال رجل من قشير قالت أتعرف الذي يقول
بني قشير قتلت سيدكم فاليوم لا فديه ولا قود
قال لا والله ما أنا من قشير قالت فمن أنت قال رجل من بني أمية قالت أتعرف الذي يقول
وهي من أمية بنيانها فهان على الله فقدانها
وكانت أمية فيما مضى جرى على الله سلطانها
فلا آل حرب أطاعوا الرسول * ولم يتق الله مروانها قال لا والله ما أنا من بني أمية قالت فمن أنت

فان قلت مورهط النبي محمد
فان النصارى رهط عيسى ابن مريم
قال لا والله ما أنا من بني هاشم قالت فمن أنت قال رجل من همدان قالت أتعرف الذي يقول
اذا همدان دارت يوم حرب
رحاها فوق هامات الرجال
رأيتهم يحثون المطايا
سراعا هاربين من القتال
قال لا والله ما أنا من همدان قالت فمن أنت قال رجل من قضاعة قالت أتعرف الذي يقول
لا يفخرن قضاعي باسرته
فليس من يمن محضا ولا مضر
مذبذبين فلا قحطان والدهم
ولا نزار نخلوهم الى ستر
قال لا والله ما أنا من قضاعة قالت فمن أنت قال رجل من شيبان قالت أتعرف الذي يقول
شيبان قوم لهم عديد
فكلهم مقرف لئيم
ما فيهم ماجد حسيب
ولا نجيب ولا كريم
قال لا والله ما أنا من شيبان قالت فمن أنت قال رجل من بني نمير قالت أتعرف الذي يقول

في سلوك الامالي ومنه اختصر لسان الدين ما في الاحاطة في ترجمة مشيخته فنقول قال مولاي الجد رحمه الله تعالى فمن أخذت عنه واستفدت منه علماها يعني تلمسان الشامخان وعالماها الراسخان (أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى ابنا محمد بن عبد الله بن الامام) وكانا قد رحلا في شبابهما من بلدهما برشك الى تونس فاخذا بها عن ابن جماعة وابن العطار واليفرني وتلك الحلبة وأدركا المرجاني وطبقته من أعجاز المائة السابعة ثم وردا في أول المائة الثامنة تلمسان على أمير المسلمين أبي يعقوب وهو محاصر لها وفقيه حضرته يومئذ أبو الحسن علي بن مخلف التنسي وكان قد خرج اليه برسالة من صاحب تلمسان المحصورة فلم يعد وارتفع شأنه عند أبي يعقوب حتى انه شهد جنازته ولم يشهد جنازة أحد قبله وقام على قبره وقال نعم الصاحب فقدنا اليوم حدثني الحاج الشيخ بعباد تلمسان أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق العجيسي ان أبا يعقوب طلع الى جنازة التنسي في الخيل حوالى روضة الشيخ أبي مدين فقال كيف ترى كون الخيل تصل الى ضريح الشيخ هلا عرضتم هنالك وأشار الى حيث المعراض الآن خشبة ففعلنا فلما اقتل أبو يعقوب وخرج المحصور ان أنكر اذالك فاخبرتهما فأما أبو زيان وكان السلطان يومئذ فنزل وطأطأ رأسه ودخل وأما أبو حمو وكان أمير افوثب وخلفها ولما رجع الملك الى هذين الرجلين اختصا ابني الامام وكان ابو حمو أشد اعتناء بهما ثم بعده ابنه ابو تاشفين ثم زادت حظوتهما عند امير المسلمين ابي الحسن الى ان توفي ابو زيد في العشر الاوسط من رمضان عام احد وار بعين وسبعمائة بعد وقعة طريف باشهر فزادت مرتبة ابي موسى عند السلطان الى أن كان من أمر السلطان بافريقية ما كان في أول عام تسعة وار بعين وكان ابو موسى قد صدر عنه قبل الوقعة فتوجه صحبة ابنه امير المسلمين ابي عنان الى فاس ثم رده الى تلمسان وقد استولى عليها عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان فكان عنده الى أن مات الفقيه عقب الطاعون العام قال لي خطيب الحضرة الفاسية أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن مالك بن عبد الله الرندي لما ازمع الفقيه ومن أطلق معه على القفول الى تلمسان بت على تشييعهم فرأيتني كاني نظمت هذا البيت في المنام

وعند وداع القوم ودعت سلوتي * وقلت لها بيني فانت المودع

فانتبهت وهو في خاطري فحاولت قريحتي بالزيادة عليه فلم يتيسر لي مثله ولما استحكم ملك أبي تاشفين واستوثق رحل الفقيهان الى المشرق في حدود العشرين وسبعمائة فلقيا علاء الدين القونوي وكان بحيث اني لما رحلت فلقيت أبا علي حسين بن حسين ببجاية قال لي ان قدرت أن لا يفوتك شئ من كلام القونوي حتى تكتب جميعه فافعل فانه لا نظير له ولقيا ايضا جلال الدين القزويني صاحب البيان وسمعا صحيح البخاري على الحجار وقد سمعته أنا عليهما وناظرا تقي الدين بن تيمية وظهرا عليه وكان ذلك من أسباب محنته وكانت له مقالات فيما يذكر وكان شديد الانكار على الامام فخر الدين حدثني شيخي العلامة ابو عبد الله الابلي أن عبد الله بن ابراهيم الزموري اخبره انه سمع ابن تيمية ينشد لنفسه

محصل في أصول الدين حاصله * من بعد تحصيله علم بلا دين
أصل الضلالة والافك المبين فما * فيه فاكره وحي الشياطين

قال وكان في يده قضيب فقال والله لو رأيته لضربته بهذا القضيب هكذا ثم رفعه ووضعه
ويحببك مما طار لهذين الرجلين من الصيت بالمشرق أني لما حللت بيت المقدس وعرف به
مكاني من الطلب وذلك أني قصدت قاضيه شمس الدين بن سالم ليضع لي بيده على رسم
استوجب به هنالك حقا فلما أطلت عليه عرفه بي بعض من معه فقام الي حتى جلست
ثم سألني بعض الطلبة بحضرته فقال لي انكم معشر المالكية تبيحون للشامي يمر بالمدينة أن
يتعدى ميقاتها الى الجحفة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن عين المواقيت لاهل
الآفاق هن لهن ولمن مر عليهن من غير أهلهن وهذا قد مر على ذي الحليفة وليس من أهله
فيكون له فقلت له ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من غير أهلهن أي من غير أهل المواقيت
وهذا سلب كلي وانه غير صادق على هذا الفرد ضرورة صدق نقيضه وهو الايجاب الجزئي
عليه لانه من بعض أهل المواقيت قطعا فلما لم يتناوله النص رجعنا الى القياس ولا شك أنه
لا يلزم أحدا أن يحرم قبل ميقاته وهو يمر به لكن من ليس من أهل الجحفة لا يمر بميقاته
اذا مر بالمدينة فوجب عليه الاحرام من ميقاتها بخلاف أهل الجحفة فانها بين أيديهم وهم يمرون
عليها فوقعت من نفوس أهل البلد بسبب ذلك فلما عرفت أتاني آت من أهل المغرب فقال
لي تعلم أن مكانك في نفوس أهل هذا البلد مكين وقدرك عندهم رفيع وأنا أعلم تفاضلك
عن ابني الامام فان سئلت فانتسب لهما فقد سمعت منهما وأخذت عنهما ولا تظهر العدول
عنهما الى غيرهما فقضع من قدرك فانما أنت عند هؤلاء الناس خليفتهما ووارث علمهما
وأن لا أحد فوقهما * وليس لما تبني يد الله هادم * وشهدت مجلسا بين يدي السلطان أبي
تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو ذكر فيه أبو زيد بن الامام أن ابن القاسم مقلد مقيد النظر
باصول مالك ونازعه أبو موسى عمران بن موسى المشذالي وادعى أنه مطلق الاجتهاد واحتج له
بمخالفته لبعض ما يرويه ويبلغه عنه لما ليس من قوله وأتى من ذلك بنظائر كثيرة قال فلو تقيد
عذهبه لم يخالفه لغيره فاستظهر أبو زيد بنص لشرف الدين التلمساني مثل فيه الاجتهاد
المخصوص باجتهاد ابن القاسم بالنظر الى مذهب مالك والمزني الى الشافعي فقال عمران هذا
مثال والمثال لا يلزم صحته فصاح به أبو موسى بن الامام وقال لابي عبد الله بن أبي عمرو تكلم
فقال لا أعرف ما قال هذا الفقيه الذي ذكر من كلام أهل العلم أنه لا يلزم من فساد المثال
فساد الممثل فقال أبو موسى للسلطان هذا كلام أصولي محقق فقلت لهما وأنا يومئذ حديث
السن ما أنصفتما الرجل فان المثل كما تؤخذ على جهة التحقيق كذلك تؤخذ على جهة التقريب
ومن ثم جاء ما قاله هذا الشيخ أعني ابن أبي عمرو وكيف لا وهذا سيبويه يقول وهذا مثال ولا
يتكلم به فاذا صح أن المثال قد يكون تقريبا فلا يلزم صحة المثال ولا فساد الممثل لفساده
فهذان القولان من أصل واحد * وشهدت مجلسا آخر عند هذا السلطان قرئ فيه على أبي
زيد بن الامام حديث لقنوا موتاكم لا اله الا الله في صحيح مسلم فقال له الاستاذ أبو اسحق
ابن حكم السلوى هذا الملقن محتضر حقيقة ميت مجازا فما وجه ترك محتضر يكم الى موتاكم
والاصل الحقيقة فاجابه أبو زيد بجواب لم يقنعه وكنت قد قرأت على الاستاذ بعض التنقيح
فقلت زعم القرافي ان المشتق انما يكون حقيقة في الحال مجازا في الاستقبال مختلفا فيه في

قالت أتعرف الذي يقول
لا تطلبن خؤولة من تغلب
فالزنج أكرم منهم اخوالا
والتغلبي اذا تنحنح للقرى
حك استه وتمثل الامثالا
قال لا والله ما أنا من تغلب
قالت فمن أنت قال رجل
من مجاشع قال أتعرف
الذي يقول
تبكي الصبية من بنات
مجاشع
ولها اذا سمعت نهيق حمار
قال لا والله ما أنا من مجاشع
قالت فمن أنت قال رجل
من كلب قالت أتعرف
الذي يقول
فلا تقربا كلبا ولا باب دارها
فما يطمع الساري يرى
ضوء نارها
قال لا والله ما أنا من كلب
قالت فمن أنت قال أنا
رجل من تيم قالت أتعرف
الذي يقول
٣ تيمية
قال لا والله ما أنا من تيم
قالت فمن أنت قال رجل
من جرم قالت أتعرف
الذي يقول
تمنتني سويق الكرم جرم
وما جرم وماذاك السويق
فما شربوه لما كان حلا
ولا غالوا به في يوم سوق
فلما أنزل التحريم فيها
اذا الجرمي منه لا يفيق

٣ سقط من جميع النسخ التي بايدينا ما قيل في تيم كذا بهامش الاصل

الماضي اذا كان محكوما به أما اذا كان متعلق الحكم كما هنا فهو حقيقة مطلقا اجماعا وعلى هذا التقرير لا مجاز ولا سؤال لا يقال انه احتج على ذلك بما فيه نظر لانا نقول انه نقل الاجماع وهو أحد الاربعة التي لا يطالب مدعيها بالدليل كما ذكر أيضا بل نقول انه أساء حيث احتج في موضع الوفاق كما أساء اللخمي وغيره في الاحتجاج على وجوب الطهارة ونحوها بل هذا أشنع لكونه مما علم من الدين بالضرورة ثم انا لو سلمنا نفي الاجماع قلنا ان نقول ان ذلك اشارة الى ظهور العلامات التي يعقبها الموت عادة لان تلقينه قبل ذلك ان لم يدهش فقد يوحش فهو تنبيه على وقت التلقين أي لقنوا من تحكمون بانه ميت أو نقول انما عدل عن الاحتضار لما فيه من الابهام ألا ترى اختلافهم فيه هل أخذ من حضور الملائكة او حضور الاجل أو حضور الجلاس ولا شك أن هذه حالة خفية يحتاج في نصبها دليلا على الحكم الى وصف ظاهر يضبطها وهو ما ذكرناه أو من حضور الموت وهو أيضا مما لا يعرف بنفسه بل بالعلامات فلما وجب اعتبارها وجب كون تلك التسمية اشارة اليها والله تعالى أعلم * كان أبو زيد يقول فيما جاء من الاحاديث من معنى قول ابن أبي زيد واذا سلم الامام فلا يثبت بعد سلامه ولينصرف ان ذلك بعد أن ينتظر بقدر ما يسلم من خلفه لئلا يمر بين يدي أحد وقد ارتفع عنه حكمه فيكون كالداخل مع المسبوق جمعا بين الادلة قلت وهذا من ملح الفقيه * اعترض عند أبي زيد قول ابن الحاجب وابن الآدمي والمباح طاهر بأنه انما يقال في الآدمي لبان فأجاب بالمنع واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم اللبن للفحل وأجيب بان قوله ذلك لتشريكه المباح معه في الحكم لان اللبان خاص به وليس موضع تغليب لان اللبان ليس بعاقل ولا حجة على تغليب ما يختص بالعاقل * تكلم أبو زيد يوما في مجلس تدريسه في الجلوس على الحرير فاحتج ابراهيم السلاوي للمنع بقول أنس فقمت الى حصير انما قد اسود من طول ما لبس فمنع أبو زيد أن يكون انما أراد باللباس الافتراش فحسب لاحتمال أن يكون انما أراد التغطية معه أو وحدها وذكر حديثا فيه تغطية الحصير فقلت كلا الامرين يسمى لباسا قال الله عز وجل هن لباس لكم وأنتم لباس لهن وفيه بحث * كان أبو زيد يضعف قول الخونجي في الجمل والمقارنات التي يمكن اجتماعها معها في قول والمفارقات ولعله في هذا كما قال أبو عمرو بن العلاء للاصمعي لما قرأ عليه

وغررتني وزعمت أنك لابن بالصيف تامر

فقال

وغررتني وزعمت أنك لابن بالصيف تامر

فقال أنت في تصحيفك أشعر من الحطيئة او كما حكي عمن صلى بالخليفة في رمضان ولم يكن يومئذ يحفظ القرآن فكان ينظر في المصحف فصحف آيات صنعة الله اصيب بها من أساء انما المشركون نحس وعدها اياه تقية الله خير لكم هذا أن دعوا للرحمن ولدا لكل امرئ منهم يومئذ شأن يعنيه * سمعت أبا زيد يقول ان أبا العباس الغماري التونسي أول من أدخل معالم الامام فخر الدين للمغرب وبسبب ما فعل به من الفوائد رحل أبو القاسم بن زيتون وسمعته يقول ان ابن الحاجب ألف كتابه الفقهي من ستين ديوانا وحفظت

قال لا والله ما أنا من جرم قالت فمن أنت قال رجل من سليم قالت أتعرف الذي يقول

اذا ما سليم جئتها بغدائها رجعت كما قد جئت غرثان جائعا

قال لا والله ما أنا من سليم قالت فمن أنت قال رجل من الموالي قالت أتعرف الذي يقول

ألا من أراد الغش واللؤم والخنا فعند الموالي الجيد والطرفان

قال أخطأت نسبي ورب الكعبة أنا رجل من الحور قالت أتعرف الذي يقول

لا بارك الله ربي فيكم أبدا يا معشر الحوران الحور في النار

قال لا والله ما أنا من الحور قالت فمن أنت قال رجل من أولاد حام قالت أتعرف الذي يقول

فلا تنكحن أولاد حام فانهم مشاويه خلق الله حاشا ابن أكوع

قال لا والله ما أنا من ولد حام لكني من ولد الشيطان الرجيم قال فلعنك الله ولعن أباك الشيطان معك أفتعرف الذي يقول

ألا يا عباد الله هذا عدو لكم وهذا عدو الله ابليس فاقتلوا

فقال لها هذا مقام

العائذ بك قالت قم يا رجل خاسئا مذموما واذا نزلت بقوم فلا تنشد فيهم شعرا حتى تعرف من هم ولا

من وجادة أنه ذكر عند أبى عبد الله بن قطرال المراكشى أن ابن الحاجب اختصر الجواهر فقال ذكر هذا لابى عمرو حين فرغ منه فقال بل ابن شاس اختصر كتابى قال ابن قطرال وهو أعلم بصناعة التأليف من ابن شاس والانصاف أنه لا يخرج عنه وعن ابن بشير الا فى الشئ اليسير فهما أصلاه ومعتمداه ولاشك أن له زيادات وتصرفات تنبئ عن رسوخ قدمه وبعد مداه وكان أبو زيد من العلماء الذين يخشون الله حدثنى أمير المؤمنين المتوكل بن عثمان أن ولده أمير المسلمين أبا الحسن ندب الناس الى الاعانة بامو الهم على الجهاد فقال له أبو زيد لا يصح لك هذا حتى تكنس بيت المال وتصلى ركعتين كما فعل على بن أبى طالب وسأله أبو الفضل بن أبى مدين الكاتب ذات يوم عن حاله وهو قاعد ينتظر خروج السلطان فقال له أما الآن فانا مشرك فقال اعيذك من ذلك فقال لم أرد الشرك فى التوحيد لكن فى التعظيم والمراقبة والا فاى شئ جلوسى ههنا والشئ بالشئ يذكر قعدت ذات يوم على باب السلطان بمراكش فيمن ينتظر خروجه فقام الى جانبى شيخ من الطلبة وأنشدنى لابى بكر بن خطاب رحمه الله تعالى

ابصرت ابواب الملوك تغص بالراجين ادراك العلا والجاه
مترقبين لها فهما فتحت * خروا الاذقان لهم وجباه
فأنفت من ذاك الزحام واشفقت * نفسى على انضاء جسمى الواهى
ورأيت باب الله ليس عليه من * متزاحم فقصدت باب الله
وجعلته من دونهم لى عدة * وأنفت من غى وطول سفاهى

يقول جامع هذا المؤلف رأيت بخط عالم الدنيا ابن مرزوق على هذا المحل من كلام مولاى الجد مقابل قوله ورأيت باب الله ماصورته قلت ذلك لسعته اولقلة أهله

ان الكرام كثير فى البلاد وان * قلوا كما غيرهم قل وان كثروا

قل لا يستوى الخبيث والطيب الآية انتهى (رجع الى كلام مولاى الجد) قال رحمه الله تعالى ورضى عنه وحدثنى شيخ من أهل تلمسان انه كان عند ابى زيد مرة فذكر القيامة وأهوالها فبكى فقلت لا باس علينا وأنتم أمامنا فصاح صيحة واسود وجهه وكاد يتفصد دما فلما سرى عنه رفع يديه وطرفه الى السماء وقال اللهم لا تفضحنا مع هذا الرجل وأخباره كثيرة وأما شقيقه أبو موسى فسمعت عليه كتاب مسلم واستفدت منه كثيرا فما سألته عنه قول ابن الحاجب فى الاستلحاق واذا استلحق مجهول النسب الى قوله او الشرع بشهرة نسبه كيف يصح هذا القسم مع فرضه مجهول النسب فقال يمكن أن يكون مجهول النسب فى حال الاستلحاق ثم يشتهر بعد ذلك فيبطل الاستلحاق فكانه يقول الحقه ابتداء ودواما مالم يكذبه أحد هذه فى احدى الحالين الا ان هذا انما يتصور فى الدوام فقط ومما سألته عنه ان الموثقين يكتبون الصحة والجواز والطوع على مايوهم القطع وكثيرا ماينكشف الامر بخلافه ولو كتبوا امثالا لظاهر الصحة والجواز والطوع لبرؤا من ذلك فقال لى لما كان مبنى الشهادة وأصلها العلم لم يحمل ذكرا الظن ولا مافى معناه احتمال فاذا امكن العلم عضو منها لم يجز ان يحمل على غيره فاذا تعذر كما هنا بنى باطن أمرها على غاية مايسعه فيه الامكان عادة

رسول رب العالمين ومن اختاره الله على عباده وعصمه من عدوه وأنت كما قال جرير للفرزدق

وكنت اذا حللت بدار قوم * رحلت بخزية وتركت عارا

فقال لها والله لا أنشدت بيت شعر أبدا (فقال السفاح) لئن كنت قلت هذا الخبر وتظمت فيمن ذكرت هذه الاشعار فلقد أحسنت وأنت سيد الكاذبين وان كان الخبر صدقا وكنت فيما ذكرته محقا فان هذه الجارية العامرية لمن أحضر الناس جوابا وأبصرهم بمثالب الناس (قال المسعودى) وللسفاح أخبار غير هذه وأسمار حسان قد أتينا على مبسوطها فى أخبار الزمان والاوسط

(ذكر خلافة أبى جعفر المنصور)

وبويع أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وهو بطريق مكة أخذ له البيعة عمه عيسى ابن على ثم لعيسى بن موسى من بعده يوم الاحد لاثنتى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة والمنصور يومئذ ابن احدى وأربعين سنة وكان مولده فى ذى الحجة سنة خمس وتسعين وكانت أمه أم ولد يقال لها سلامة

واجرى ظاهره على ما بنا فى اصلها صيانة لرونقها ورعاية لما كان ينبغى أن تكون عليه لولا الضرورة قلت ولذلك عقد ابن فتوح وغيره عقود الجوائح على ما وهم العلم بالتقدير مع أن ذلك انما يدرك بغاية الظن فى الحزر والتخمين وكانا عما يذهبان الى الاختيار وترك التقليد (وممن اخذت عنه أيضا حافظها ومدرسها ومفتيها ابو موسى عمران بن موسى بن يوسف المشذالى) صهر شيخ المدرسين أبى على ناصر الدين على ابنته وكان قد فر من حصار بجاية فنزل الجزائر فبعث فيه أبو تاشفين وأنزله من التقريب والاحسان بالمحل المكين فدرس بتلمسان الحديث والفقه والاصلين والنحو والمنطق والجدل والفرائض وكان كثير الاتساع فى الفقه و الجدل مديد الباع فيما سواهما ماذا كرناه عن قول ابن الحاجب فى السهو فان اخل الاعراض فيطل عمده فقال معناه فان اخل غيره أنه معرض فحذف المفعول لجوازه وأقام المصدر مقام المفعولين كما يقوم مقامه ما فى معناه من أن وأن قال الله العظيم الم أحسب الناس أن يتركوا قلت وأقوى من هذا أن يكون المصدر هو المفعول الثانى وحذف الثالث اختصارا لدلالة المعنى عليه أى فان اخل الاعراض كائنا كما قالوا خلت ذلك وقد أعربت الآية بالوجهين وهذا عندى أقرب ومن هذا الباب ما يكتب به القضاة من قولهم أعلم باستقلاله فلان أى أعلم فلان من يقف عليه بان الرسم مستقل فحذفوا الاول وما اغوا ما بعده المصدر * سئل عمران وأنا عنده عما صبغ من الثياب بالدم فكانت حمرته منه فقال يغسل فان لم يخرج شئ من ذلك فى الماء فهو طاهر لان المتعلق به على هذا التقدير ليس الا لون النجاسة واذا عسر قلعه بالماء فهو عفو والا وجب غسله الى أن لا يخرج منه شئ قلت فى البخارى قال معمر رأيت الزهرى يصلى فيما صبغ بالبول من ثياب اليمن وتفسيره على ما ذكره عمران وكان قد صاهر لقاضى الجماعة أبى عبد الله بن هربة على ابنته فلم تزل عنده الى أن توفى عنها (ومنهم) مشكاة الانوار الذى يكاد زيته يضئ ولو لم تمسسه نار الاستاذ أبو اسحق ابراهيم بن حكم السلوى رحمه الله تعالى ورد تلمسان بعد العشرين ثم لم يزل بها الى أن قتل يوم دخلت على بنى عبد الواد وذلك فى الثامن والعشرين من شهر رمضان عام سبعة وثلاثين وسبعمائة قال لى الشيخ ابن مرزوق ابتدأ أمر بنى عبد الواد بقتلهم لابى الحسن السعيد وكان أسمر لأم ولد تسمى العنبر وختم بقتل أبى الحسن بن عثمان اياهم وهو بصفته المذكورة حذو النعل بالنعل فسبحان من دقت حكمته فى كل شئ ولما وقف الرفيقان أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهرى ومحمد بن عبد الرحمن بن الحكيم الرندى فى رحلتهما على قبر السعيد بعباد تلمسان تناول ابن الحكيم فحمة ثم كتب بها على جدار هنالك

انظر فى اليك اليوم معتبر * ان كنت ممن بعين الفكر قد لحظا
بالامس أدعى سعيدا والورى خولى * واليوم يدعى سعيدا من بى اتعظا

قال ابن حكم كان أول اتصالى بالاستاذ أبى عبد الله بن آجروم أنى دخلت عليه وقد حفظت بعض كتاب المفصل فوجدت الطلبة يعربون بين يديه هذا البيت

عهدى به الحى الجميع وفيهم * قبل التفرق ميسر وندام

وقد عمى عليهم خبر عهدى فقلت له قد سدت الحال وهى الجملة بعده مسده فقال لى بعض

بربيه وكانت وفاته يوم اثنين وعشرين سنة الا تسعة أيام وهو حاج عند وصوله الى مكة فى الموضع المعروف ببستان بنى عامر من جادة العراق ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة ودفن بمكة مكشوف الوجه لانه كان محرما وقيل انه مات بالبطحاء عند بئر ميمون ودفن بالحجون وهو ابن خمس وستين سنة والله أعلم

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه)

ذكر عن سلامة أم المنصور انها قالت رأيت الحاجات بابى جعفر كأن أسدا اخرج من قبلى فاقعى وزأر وضرب بذنبه فاقبلت اليه الاسد من كل ناحية فكلما انتهى اليه أسد منها سجد له (حدث) على بن محمد المدائنى ان المنصور قال سمعت رجلا ضريرا الى الشأم وكان بريد مروان ابن محمد بشعر قاله فيه قال فسألته ان ينشدنى فانشدنى

ليت شعرى افاح رائحة المسـ ـك وما ان اخال بالخيف انسى

حين غابت بنو امية عنه * والبهاليل من بنى عبد شمس
خطباء على المنابر فرسا * ن عليها وقالة غير خرس
الطلبة

الطلبة وقد يكون هذا في الجملة كما كان في قولك ضربي زيدا قائما فقلت له نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد * ذكر أبو زيد بن الامام يوما في مجلسه أنه سئل بالمشرق عن هاتين الشرطيتين ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون فانهما يستلزمان بحكم الانتاج لو علم الله فيهم خيرا لتولوا وهو محال ثم أراد أن يرى ما عند الحاضرين فقال ابن حكم قال الخونجي والاهمال باطلاق لفظ لو وان في المتصلة فهاتان القضيتان على هذا مهملتان والمهملة في قوة الجزئية ولا قياس عن جزئيتين فلما اجتمعت ببجاية بأبي علي حسين بن حسين وأخبرته بهذا وبما أجاب به الزمخشري وغيره مما يرجع الى انتفاء تكرر الوسط قال لي الجوابان في المعنى سواء لان القياس على الجزئيتين انما امتنع لانتفاء أمر تكرر الوسط فأخبرت بذلك شيخنا الابلي فقال انما يقوم القياس على الوسط ثم يشترط فيه بعد ذلك أن لا يكون من جزئيتين ولا سالبتين الى سائر ما يشترط فقلت ما المانع من كون هذه الشروط تفصيلا لمجمل ما ينبني عليه من الوسط وغيره والا فلا مانع غير ما قاله ابن حسين قال الابلي وقد أجبت بجواب السلوي ثم رجعت الى ما قاله الناس لوجوب كون مهملات القرآن كلية لان الشرطية لا تنتج جزئية فقلت هذا فيما يساق منها للحجة مثل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا أما في مثل هذا فلا ولما ورد تلمسان الشيخ الاديب أبو الحسن ابن فرحون نزيل طيبة على تربتها السلام سأل ابن حكم عن معنى هذين البيتين

رأت قمر السماء فأذكرتني * ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمرا ولكن * رأيت بعينها ورأت بعيني

ففكر ثم قال لعل هذا الرجل كان ينظر اليها وهي تنظر الى قمر السماء فهي تنظر الى القمر حقيقة وهو لافراط الاستحسان يرى أنها الحقيقة فقد رأى بعينها لانها ناظرة الحقيقة وأيضا فهو ينظر الى قمر مجازا وهو لافراط الاستحسان لها يرى أن قمر السماء هو المجاز فقد رأت بعينه لانها ناظرة المجاز (قلت) ومن ههنا تعلم وجه الفاء في قوله فأذكرتني لانه لما صارت رؤيتها رؤيته وصار القمر حقيقة اياها كان قوله رأت قمر السماء فأذكرتني بمثابة قولك أذكرتني فتأمله فان بعض من لا يفهم كلام الاستاذ حق الفهم ينشده وأذكرتني فالفاء في البيت الاول مبنية على معنى البيت الثاني لانها مبنية عليه وهذا النحو يسمى الايذان في علم البيان ولما اجتمعنا بأبي الوليد بن هانئ مقدمه علينا من غرناطة سأل ابن حكم عن تكرار من في قوله تعالى سواء منكم من أسر القول ومن جهر به دون ما بعدها فقال لولا تكررها أولا لتوهم التضاد بتوهم اتحاد الزمان فارتفع بتكرار الموضوع أما الآخر فقد تكرر الزمان فارتفع توهم التضاد فلم يحتج الى زائد على ذلك فقلت فهلا اكتفى بسواء عن تكرار الموضوع لان التسوية لا تقع الا بين امرين وانما الجواب عندي انها تكررت أولا على الاصل لانهما صنفان يستدعيها كل واحد منهما أن تقع عليه ثم اختصرت ثانيا لفهم المراد من التفصيل بالاول مع امن اللبس وقد أجاب الزمخشري بغير هذين فانظره * سألني ابن حكم المذكور عن نسب المحب في هذا البيت

قال المنصور فوالله ما فرغ من شعره حتى ظننت ان العمى ادركني وكان والله ممتع الحديث حسن الصحبة قال وحججت سنة احدى واربعين ومائة فنزلت على الحجاز في جبلي زرود في الرمل امشي لنذر كان علي فاذا انا بالضرير فومأت الى من كان معي تاخروا فتاخروا ودنوت منه فاخذت بيده فسلمت عليه فقال من انت جعلني الله فداك فما اثبتك معرفة قلت رفيقك الى الشام في ايام بني امية وانت متوجه الى مروان فسلم علي وتنفس وانشأ يقول

آمت نساء بني امية منهم
وبناتهم بمضيعة أيتام
نامت جدودهم وأسقط نجمهم
والنجم يسقط والجدود نيام
خلت المنابر والاسرة منهم
فعليهم حتى الممات سلام

فقلت له كم كان مروان أعطاك فقال أغناني فلا أسال أحدا بعده فقلت كم فقال أربعة آلاف دينار وخلع وحملان قلت وأين ذاك قال بالبصرة قلت أتثبتني معرفة فقال أما معرفة الصحبة فقد

لعمري وأما معرفة النسب فلا فقلت أنا أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين فوقع عليه الانكباب وقال

ومهفهف الاعطاف قلت له انتسب * فاجاب ماقتل المحب حرام

ففكرت ثم قلت أراه عمي الالغائه ما النافية فاستحسنه مني لصغر سني يومئذ * تذاكرت يوما مع ابن حكم في تكملة البدر بن محمد بن مالك لشرح التسهيل لابيه ففضلت عليه كلام أبيه ونازعني الاستاذ فقلت * عهود من الآبا توارثها الابنا * فما رأيت باسرع من أن قال

* بنوا مجدها لكن بنوهم لها أبنا *

فبهت من العجب وتوفي الشيخ ابن مالك سنة اثنتين وسبعين وستمائة وفيها ولد شيخنا عبد المهيمن الحضرمي فقيل مات فيها امام نحو وولد فيها امام نحو * سالت ابن حكم عن قول فخر الدين في أول المحصل وعندي أن شيأ منها غير مكتسب يعني لاشئ ولا واحد هل له أصل في العربية أو هو كما قيل من بقايا عجمته فقال لي بل له أصل وقد حكى ابن مالك مثله عن العرب فلم يتفق أن أستوقفه عليه ثم لم أزل استكشف عنه كل من أظن أن لديه شيأ منه فلم أجد من عنده اثارة منه حتى مر بي في باب الافعال الداخلة على المبتدا والخبر الداخل عليها كان من شرح التسهيل قوله فان تقدم على الاستفهام احد المفعولين نحو علمت زيدا أبو من هو اختير نصبه لان الفعل مسلط عليه بلا مانع ويجوز رفعه لانه والذي بعد الاستفهام شئ واحد في المعنى فكانه في حيز الاستفهام والاستفهام مشتمل عليه وهو نظير قوله ان احدا لا يقول ذاك فواحد هذا لا يقع الا بعد نفي ولكن لما كان هنا والضمير المرفوع بالقول شيأ واحدا في المعنى تنزل منزلة واقع بعد نفي فعلمت انه نحا الى هذا لان شيأ ههنا والضمير المرفوع بمكتسب المنفي في المعنى شئ واحد فكان شيأ كانه وقع بعد غير اي بعد النفي * سأل ابن فرحون ابن حكم هل تجد في النثر ست فاآت مرتبة ترتيبها في هذا البيت

رأى فحب فرام الوصل فامتنعت * فسام صبرا فاعيا نيله فقضى

ففكر ثم قال نعم فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون الى آخره ونعت له النثر في فتنادوا فقال لابن فرحون فهل عندك غيره فقال نعم فقال لهم رسول الله الى آخر السورة فقنع له بناء الآخرة لقراءة الواو فقلت له اسمع ولا تستند فيقال لك ان المعاني قد تختلف باختلاف الحروف وان كان السند لا يسمع الكلام عليه وأكثر ما وجدت الفاء تنتهي في كلامهم الى هذا العدد سوا بهذا الشرط وبدونه كقول نوح عليه السلام فعلى الله توكلت الآية وكقول امرئ القيس غشيت ديار الحي بالبكرات البيتين لا يقال فالحمى سابع لانا نقول انه عطف على عاقل المجرد منها ولعل حكمة الستة انها أول الاعداد التامة كما قيل في حكمة خلق السموات والارض فيها وشأن اللسان عجيب وقوله في هذا البيت فحب لغة قليلة تجري عليها المحبوب كثيرا حتى استغنى به عن محب فلا تكاد تجده الا في قول عنترة

ولقد نزلت فلا تظني غيره * مني بمنزلة المحب المكرم

ونظيره محسوس من حس والاكثر أحس ولا تكاد تجد محسا وهذا التوجيه أحسن من قول القرافي في شرح التنقيح أجروا محسوسات مجرى معلومات لان الحس أحد طرق العلم (سمعت) ابن حكم يقول بعث بعض أدباء فاس الى صاحب له

ابعث الى بشئ * مدار فاس عليه *

يا أمير المؤمنين اعذر فان ابن عمك محمدا صلى الله عليه وسلم قال جبلت النفوس على حب من أحسن اليها وبغض من اساء اليها قال أبو جعفر فهممت والله به ثم تذكرت الحرمة والصحبة فقلت للسيف اطلقه ثم بدا لي في مسامرته رأي فامرت بطلبه فكأن البيداء أبادته (وحدث الربيع) قال اجتمع عند المنصور عيسى بن علي وعيسى بن موسى ومحمد بن علي وصالح بن علي وقثم بن العباس ومحمد بن جعفر ومحمد بن ابراهيم فذكروا خلفاء بني أمية وسيرهم وتدبيرهم والسبب الذي به سلبوا عزهم فقال المنصور أما عبد الملك فكان جبارا لا يبالي ما صنع وأما سليمان فكان همته بطنه وفرجه وأما عمر فكان أعور بين عميان وكان رجل القوم هشام ولم تزل بنو أمية ضابطين لما مهد لهم من السلطان يحوطونه ويحفظونه ويصونون ما وهب الله لهم منه مع تسنمهم معالي الامور ورفضهم أدانيها حتى افضى الامر الى ابنائهم المترفين فكانت همتهم قصد الشهوات وركوب اللذات من معاصي الله جل وعز جهلا منهم باستدراجه وامنا منهم لمكره مع اطراحهم صيانة الخلافة واستخفافهم بحق الرياسة وضعفهم عن السياسة

فسلبهم الله العز والبسهم الذل ونفى عنهم النعمة فقال صالح بن علي يا امير المؤمنين ان عبدالله بن مروان لما دخل أرض النوبة هاربا فيمن اتبعه سال ملك النوبة عن حالهم وهيئتهم فركب الى عبدالله ليساله عن شئ من امورهم والسبب الذى به زالت النعمة عنهم وكلمه بكلام سقط عني حفظه ثم أشخصه عن بلده فان راى امير المؤمنين ان يدعوبه ليحدثه امره فعل فامر المنصور باحضاره في مجلسه فلما مثل بين يديه قال له يا عبدالله قص علي قصتك وقصة ملك النوبة قال يا امير المؤمنين قدمت الى النوبة فاقمت بها ثلاثا فاتاني ملكها فقعد على الارض وقد اعددت له فراشا فقلت له ما منعك من القعود على فراشنا فقال لاني ملك وحق لكل ملك ان يتواضع لعظمة الله عز وجل اذ رفعه الله ثم قال لم تشربون الخمر وهى محرمة عليكم في كتابكم فقلت اجترأ على ذلك عبيدنا واتباعنا قال فلم تطؤن الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم في كتابكم فقلت فعل ذلك عبيدنا وأتباعنا لجهلهم قال فلم تلبسون الديباج والحرير والذهب وهو محرم عليكم في كتابكم ودينكم فقلت ذهب منا الملك فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا

وليس عندك شئ * مما أشير اليه

فبعث اليه ببطة من مرى يشير بذلك الى الرياء وحدثت أن قاضيها أبا محمد عبدالله بن أحمد بن المعوم حضر وليمة وكان كثير البلغم فوضع بين يديه صهره أبو العباس بن الاشقر غضارا من اللون المطبوخ بالمرى لمناسبته لمزاجه فخاف أن يكون قد عرض له بالرياء * وكان ابن الاشقر يذكر بالوقوع في الناس فناوله القاضي غضار المقروض فاستحسن الحاضرون فعلته (ومنهم عالم الصلحاء وصالح العلماء وجليس التنزيل وحليف البكاء والعويل أبو محمد عبدالله بن عبدالواحد بن ابراهيم بن الناصر المجاصي) خطيب جامع القصر الجديد وجامع خطتي التحديث والتجويد يسميه أهل مكة البكاء ولما قدم أبو الحسن علي بن موسى البحيرى سأل عنه فقيل له لو علم بك أتاك فقال أنا آتى من سمعت سيدى أبا زيد الهزميرى يقول له لاول ما رآه ولم يكن يعرفه قبل ذلك مرحبا بالفتى الخاشع أسمعنا من قراءتك الحسنة دخلت عليه بالفقيه أبي عبدالله السطي في أيام عيد فقدم لنا طعاما فقلت لو أكلت معنا فرجونا بذلك ما يرفع من حديث من أكل مع مغفور له غفر له فتبسم وقال لي دخلت على سيدى أبي عبدالله الفاسي بالاسكندرية فقدم طعاما فسألته عن هذا الحديث فقال وقع في نفسي منه شئ فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فسألته عنه فقال لي لم أقله وأرجو أن يكون كذلك * وصافحته بمصافحته الشيخ أبا عبدالله زيان بمصافحته أبا سعيد عثمان بن عطية الصعيدى بمصافحته أبا العباس أحمد الملثم بمصافحته المعمر بمصافحته رسول الله صلى الله عليه وسلم * وسمعته يحدث عن شيخه أبي محمد الدلاصي أنه كان للملك العادل مملوك اسمه محمد فكان يخصه لدينه وعقله بالنداء باسمه وانما كان ينعق بمماليكه يا ساقي يا طباخ يا مزين فناداه ذات يوم يا فراش فظن ذلك لموجدة عليه فلما لم ير أثر ذلك وتصورت له به خلوة سأله عن مخالفته لعادته معه فقال لا عليك كنت حينئذ جنبا فكرهت ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الحالة * ومما نقلته من خط المجاصي ثم قرأته عليه حدثني به قال حدثني القاضي أبو زكريا يحيى بن محمد ابن يحيى بن أبي بكر بن عصفور قال حدثني جدى يحيى المذكور أخبرنا محمد بن عبد الرحمن التجيبي المقرى بتلمسان حدثنا الحافظ ابو محمد يعني والله اعلم عبد الحق الاشبيلي اخبرنا ابو غالب احمد بن الحسن المستعمل اخبرنا ابو الفتوح عبد الغافر بن الحسين بن ابي الحسن بن خلف الالمعي اخبرنا ابو نصر احمد بن اسحق النيسابورى املى علينا ابو عثمان اسمعيل بن عبد الرحمن الصابوني اخبرنا محمد بن علي بن الحسين العلوى اخبرنا عبدالله بن اسحق اللغوى وانا سألته اخبرنا ابراهيم بن الهيثم البلدى أخبرنا عبدالله بن نافع بن عيسى بن يونس عن الاعمش عن ابي وائل عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل الا اعلمك الكلمات التى قالهن موسى حين انفلق له البحر قلت بلى قال قل اللهم لك الحمد واليك المشتكى وبك المستغاث وانت المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله قال ابن مسعود فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تسلسل الحديث على ذلك كل احد من رجاله يقول ما تركتهن منذ سمعتهن من فلان لشيخه وقد سمعت المجاصي يكررها كثيرا وما تركتهن منذ سمعتهن منه * وانشدني المجاصي قال انشدني نجم الدين الواسطي انشدني شرف

واعاجم دخلوا علينا في ديننا ثم رفع رأسه فقال ليس كما ذكرت بل انتم قوم استحللتم ما حرم الله وركبتم ما عنه نهيتم وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز وألبسكم الذل بذنوبكم ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها فيكم وانا خائف ان يحل بكم العذاب وانتم ببلدي فينالني معكم وانما الضيافة ثلاث فتزود ما احتجت اليه وارحل عن ارضي ففعلت فتعجب المنصور واطرق مليا فرق له وهم باطلاقه فاعلمه عيسى بن علي أن في عنقه بيعة له فاعاده الى الحبس (قال المسعودي) ولعشر سنين خلت من خلافة المنصور توفي أبو عبد الله محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم سنة ثمان واربعين ومائة ودفن بالبقيع مع ابيه وجده وله خمس وستون سنة وقيل انه سم وعلى قبورهم في هذا الموضع من البقيع رخامة عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مبيد الامم ومحيي الرمم هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ومحمد

الدين الدمياطي انشدني تاج الدين الارموي مؤلف الحاصل قال انشدني الامام فخر الدين لنفسه

نهاية اقدام العقول عقال * واكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا * وحاصل دنيانا اذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا * سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم من رجال قد رأينا ودولة * فبادوا جميعا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها * رجال فانوا والجبال جبال

وتوفي الحاصي في العشر الاخر من شهر ربيع الاول عام احدى واربعين وستمائة (ومنهم الشيخ الشريف القاضي الرحلة المعمر ابو علي حسن بن يوسف بن يحيى الحسني السبتي) ادرك ابا الحسين بن ابي الربيع وابا القاسم الغرفي واختص بابن عبيدة وابن الشاط ثم رحل الى المشرق فلقي ابن دقيق العيد وحلبته ثم قفل فاستوطن تلمسان الى أن مات بها سنة اربع وخمسين او ثلاث وخمسين وسبعمائة قرأ علينا حديث الرحمة وهو أول حديث سمعته منه حدثنا الحسن بن علي بن عيسى بن الحسن اللخمي وهو أول حديث سمعته منه أخبرنا علي بن المظفر بن القاسم الدمشقي وهو أول حديث سمعته منه أخبرنا أبو الفرج محمد بن عبد الرحمن ابن ابي العز الواسطي وهو اول حديث سمعته منه اخبرنا ابو العز عبد المغيث بن زهير وهو اول حديث سمعته منه أخبرنا زاهر بن طاهر بن محمد الشحامي وهو اول حديث سمعته منه (ح) قال الحسن بن علي وحدثنا أيضا عالما الحسن بن محمد البكري وهو اول حديث سمعته منه اخبرنا ابو الفتوح محمد بن محمد بن محمد بن الجنيد الصوفي وهو اول حديث سمعته منه اخبرنا زاهر بن طاهر وهو اول حديث سمعته منه اخبرنا ابو الفضل عبد الرحمن بن ابي الفضائل عبد الوهاب بن صالح عرف بابن المعزم امام جامع همذان بها وهو اول حديث سمعته منه اخبرنا أبو منصور عبد الكريم بن محمد بن حامد المعروف بابن الخيام وهو اول حديث سمعته منه اخبرنا ابو صالح احمد بن عبد الملك وهو اول حديث سمعته منه حفظا اخبرنا ابو الطاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي وهو اول حديث سمعته منه أخبرنا أبو حامد احمد بن محمد بن يحيى بن هلال البزار وهو أول حديث سمعته منه أخبرنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم وهو أول حديث سمعته منه أخبرنا سفيان بن عيينة وهو أول حديث سمعته منه عن عمرو ابن دينار عن أبي قابوس مولى لعبد الله بن عمرو بن العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء (ح) وحدثني الشريف أيضا كذلك بطريقه عن السلفي بأحاديثه المشهورة فيه وهذا الحديث أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قال لي الشريف قال لي القاضي أبو العباس الرندي لما قدم أبو العباس بن الغماز من بلنسية نزل بجاية فجلس بها في الشهود مع عبد الحق بن ربيع فجاء عبد الحق يوما وعليه برنس أبيض وقد حسنت شارته وكملت هيأته فلما نظر اليه ابن الغماز انشده

لبس البرنس الفقيه فباهى * ورأى أنه المليح فتاها

لو زلخار أنه حين تبدي * لتمنته أن يكون قناها

وبه أن ابن الغماز جلس لارتقاب الهلال بجامع الزيتونة فنزل الشهود من المئذنة وأخبروا انهم لم يهلوه وجاء حفيد له صغير فاخبره انه أهله فردهم معه فأراهم اياه فقال ما أشبه الليلة بالبارحة وقع لنا مثل هذا مع ابي الربيع بن سالم فأنشدنا فيه

تواري هلال الافق عن أعين الورى * وأرخى حجاب الغيم دون محياه
فلما تصدى لارتقاب شقيقه * تبدى له دون الانام فحياه

سمعت الشريف يقول أول رجل عمل في الدنيا

بالله يا طاير مدالل * مربي وسط القفار
ابالك تجدد لعاده * ترمي بحيره في داري

(ومنهم قاضي جماعتها وكاتب خلافتها وخطيب جامعها أبو عبد الله محمد بن منصور بن علي ابن هدية القرشي) من ولد عقبة بن نافع الفهري نزلها سلفه قديما وخلفه بها الى الآن توفي في أواسط سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وشهد جنازته سلطانها ابو تاشفين وولي ابنه أبا علي منصور امكانه يومئذ ولما ثقل لسانه دعا ابنه هذا فقال له اكتب هذين البيتين فاني نظمتهما على هذه الحالة فكتب

الهي مضت للعمر سبعون حجة * جنيت بها ما جنيت الدواهيا
وعبدك قد امسى عليل ذنوبه * فجدلي برحمي منك تمح الدواهيا

ولما ورد الاديب أبو عبد الله محمد بن محمد المكودي من المغرب رفع اليه قصيدة أولها

سرت والدجى لم يبق الا يسيرها * نسيم صبا يحيي القلوب مسيرها

وفيها الابيات العجاب التي سارت سير الامثال وهي قوله

وفي الكلة الحمراء حمراء لو بدت * لشكلي لولي شكلها وثبورها
فما يستوي مثوى لها من سوى القنا * خيام ومن بيض الصفاح ستورها
ومايسوى صدق الغرام أرومها * ولا سوى زور الخيال أزورها

فأحسن اليه وكلم السلطان حتى أرسل جرايته عليه وقد شهدت المكودي وهذه القصيدة تقرأ عليه (ومنهم القاضي أبو عبد الله محمد بن احمد بن علي بن أبي عمرو التميمي) أدرك ابن زيتون وأخذ عن أبي الطاهر بن سرور ولبته وعنه أخذت شرح المعالم له وولي القضاء بتلمسان مرات فلم تستغزه الدنيا ولا باع الفقر بالغنى (ومنهم ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور) قاضي الجماعة بعد ابن أبي عمرو وكانت له رحلة الى المشرق لقي بها جلال الدين القزويني وحليته وتوفي بتونس في الوباء العام في حدود الخمسين وسبعمائة (ومنهم الشيخ ابو عبد الله محمد بن الحسين البروني) قدم عليها من الاندلس فاقام الى ان مات سمعته يقول البقر الدوية كالابل المهملة في الصحراء لا يجوز ان تباع بالنظر اليها لكن بعد ان تمسك ويستولي عليها (ومنهم أبو عمران موسى المصمودي الشهير بالبخاري) سمعت البروني يقول كان الشيخ أبو عمران يدرس صحيح البخاري ورفيق له يدرس صحيح مسلم فكانا يعرفان بالبخاري ومسلم فشهدا عند قاض فطلب المشهود عليه الاعذار فيهما فقال له ابو عمران

الباهلي ثم استوزر أبا أيوب النوراني الحوري وكان له بابي جعفر أسباب منها انه كان يكتب لسليمان بن حبيب بن المهلب وقد كان سليمان ضرب المنصور بالسوط في أيام الامويين وأراد هتكه فخلصه كاتبه أبو أيوب من يده فكانت سببه به فلما استوزره اتهم باشياء منها احتجار الاموال وسوء النية فكان على الايقاع به وتطاول ذلك فكان كلما دخل عليه ظن انه سيوقع به ثم يخرج سالما فقيل انه كان معه دهن قد عمل فيه شيء من السحر يطليه على حاجبيه اذا أراد الدخول على المنصور فسار في العامة دهن أبي أيوب لما ذكرناه ثم أوقع به واستكتب ابان بن صدقة الى أن مات وذكر لابي جعفر تدبير هشام في حرب كانت له فبعث الى رجل كان ينزل رصافة هشام يساله عن تلك الحرب فقدم عليه رجل فقال له أنت صاحب هشام فقال نعم يا أمير المؤمنين قال فاخبرني كيف فعل في حرب دبرها في سنة كذا وكذا قال فعل رضي الله عنه فيها كذا وكذا وفعل رحمه الله كذا وكذا فاغاظ ذلك المنصور فقال له قم عليك غضب الله تطأ بساطي وتترحم على عدوي فقام

أمكنه من الاعذار في الحيضين فضحك القاضي واصلح بين الخصمين سألته عما ضربه ابن هدية عليه من اباحة الاستياك في رمضان بقشر الجوز فقال لي نعم و يبلغ ريقه تأول رحمه الله تعالى ان الحصال المذكورة في السوال انما تجتمع في الجوز فكان يحمل كل ماروى فيه عليه وهذا غلط فاحش لان العرب لا تكاد تعرفه وتظر الى ما في البخاري من قوله بعد أن ذكر جواز السواك للصائم ولا بأس أن يبتلع ريقه يعني الصائم في الجملة فحمله على المسألة بالجوز وكان رحمه الله تعالى قليل الاصابة في الفتيا كثير المصائب عليها * (ومنهم نادرة الاعصار أبو عبد الله محمد بن يحيى بن علي بن النجار) قال لي العلامة الابلي ماقرأ احد علي حتى قلت له لم ابق عندى ما أقول لك غير ابن النجار * سمعت ابن النجار يقول مرعمل الموقتين على تساوي فضلتي ما بين المغرب والعشاء والفجر والشمس فيؤذنون بالعشاء الذهاب ثماني عشرة درجة وبالفجر لبقائها وهو الجاري على مذهب مالك أن الشفق الحمرة وأن تكون فضلة ما بين العشاء من اقصر لان الحمرة ثانية الغوارب والطوالع فتزيد فضلة الفجر بمقدار ما بين ابتداء طلوع الحمرة والشمس فعرضت كلامه هذا على المزوار أبي زيد عبد الرحمن بن سليمان اللجائي فصوبه * وذكرت يوما حكاية ابن رشد الاتفاق في الخمر اذا تخللت بنفسها انها تطهر واعترضته بما في الاكمال عن ابن وضاح انها لا تطهر فقال لي لا معتبر بقول ابن وضاح هذا لانه يلزم عليه تحريم الخل لان العنب لا يصير خلا حتى يكون خمرا وفيه بحث * وذكرت يوما قول ابن الحاجب فيما يحرم من النساء بالقرابة وهي أصول وفصول وفصول أول أصوله وأول فصل من كل أصل وان علا فقال ان تركب لفظ التسمية العرفية من الطرفين حلت والا حرمت فتأملته فوجدته كما قال لان أقسام هذا الضابط أربعة التركيب من الطرفين كابن العم وابنة العم مقابله كالاب والبنت التركيب من قبل الرجل كابنة الاخ والعم مقابله كابن الاخت والخالة * وأنشدت يوما عنده على زيادة اللام

باعد أم العمرو من اسيرها البيت فقال لي وما يدريك أنه أراد العمر الذي أراده المعري بقوله

وعمرو هند كأن الله صوره * عمرو بن هند يعني الناس تعنيتا

وأضاف اللام اليه كما قالوا أم الحليس قلت ولا يندفع هذا بثبوت كون المغنية تكنى أم عمرو لان ذلك لا يمنع ارادة المعنى الآخر فتكون أم عمرو وأم العمر قال ابن النجار بعثت بهذه الابيات من نظمي الى القاضي أبي عبد الله بن هدية فاخرج لغزها

ان حروف اسم من كلفت به * خفت على كل ناطق بفم
سائغة سهلة مخارجها * من أجل هذا ترداد في الكلم
صحفه ثم اقلبن مصحفه * فصل ذكي مهذب فهم
واطلبه في الشعر جد مطلبه * تجده كالصبح لاح في الظلم
فان تأملت بت منه على * علم والا فانت عنه عمي

واللغز سلمان وموضعه تاملت بت وتوفي رحمه الله تعالى بتونس أيام الوباء العام * (ومنهم الاستاذ المقرى الراوية الرحلة أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سبع بن مزاحم المكناسي) ورد علينا من المشرق فاقام معنا أعواما ثم رحل الى فاس فتوفي بها في الوباء العام جمعت عليه

كيف قلت قال انه كفاني الطلب وصان وجهي عن السؤال فلم أقف على باب عربي ولا عجمي منذ رأيته أفلا يجب لي أن اذكره بالخير وأتبعه بثنائي فقال بلى لله أم نهضت منك أشهد أنك نهض حر وغراس كريم ثم استمع منه وأمر له بجائزة فقال يا أمير المؤمنين ما آخذ هذا لحاجة وماهو الا أن أتبجح بحبائك وأتشرف بصلاتك فاخذ الصلة فقال له المنصور مت اذا شئت لله أنت لو لم يكن لقومك غيرك كنت قد أبقيت لهم مجدا وقال لجلسائه بعد خروجه عنه في مثل هذا تحسن الصنيعة ويوضع المعروف ويجاد بالمصون وأنى في عسكر نا مثله ودخل معن ابن زائدة على المنصور فلما نظر اليه قال هيه يامعن تعطي مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم على قوله معن بن زائدة الذي زيدت به شرفا على شرف بنو شيبان فقال كلا يا أمير المؤمنين انما أعطيته على قوله مازلت يوم الهاشمية معلنا بالسيف دون خليفة الرحمن

فمنعت حوزته وكنت وقاءه * من وقع كل مهند وسنان فقال أحسنت يامعن وكان معن من أصحاب عمر السبع

السبع وقرأت عليه البخاري والشاطبيتين وغير ذلك فاما البخاري فحدثني به قراءة منه على
أحمد بن الشحنة الحجار سنة ثلاثين وسبعمائة وكان الحجار قد سمعه على ابن الزبيدي سنة
ثلاثين وستمائة وهذا مما لا يعرف له نظير في الاسلام وقد قال عبد الغني الحافظ لا نعرف في
الاسلام من وازاه عبد الله بن محمد البغوي في قدم السماع فانه توفي سنة سبع عشرة وثلثمائة
قال ابن خلاد سمعناه يقول أخبرنا اسحق بن اسمعيل الطالقاني سنة خمس وعشرين ومائتين
وسمعه ابن الزبيدي على أبي الوقت بسنده قال لي ابن مزاحم هذا طريق كله سماع وأما
الشاطبيتان فحدثني بهما قراءة عليه لجميعهما عن بدر الدين بن جماعة بقراءته لهما عليه عن
أبي الفضل هبة الله بن الازرق بقراءته لهما عليه عن المؤلف كذلك وحدثني بتسهيل الفوائد
عن ابن جماعة عن المؤلف ابن مالك وغير ذلك * (وممن ورد عليها لا بريد الاقامة بها شيخي
وبركتي وقدوتي أبو عبد الله محمد بن حسن القرشي الزبيدي التونسي) حدثني بالصحيحين
قراءة لبعضهما ومناولة لجميعهما عن أبي اليمن بن عساكر لقيه بمكة سنة احدى وثمانين
وستمائة بسنده المشهور وحدثني أيضا أن أبا منصور والعجمي حدثه بعض الشيخين والده
حسين وعمه حسن وأثنى عليه دينا وفضلا أنه أدخل ببعض بلاد المشرق على المعمر أدخله
عليه بعض ولده وولد ولده فالفاه ملفوفا في قطن وسمع له دوى كدوى النحل فقيل له القيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورأيته قال نعم قلت ليس في هذا مما استراب منه الا الشيخ المعمر فانا
لا نعرف حاله فان صح فقد بيننا عنه ثلاثي وقد تركت سنة خمس وأربعين بمصر رجلا يسمى
بعثمان معه تسعون حديثا يزعم أنه سمعها من المعمر وقد أخذت عنه وكتبت منه فهذا
تساعي وأمر المعمر غريب والنفس أميل الى نفيه * (ومنهم امام الحديث والعربية وكاتب
الخلافة العثمانية والعلوية أبو محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرمي السبتي) جمع فأوعى
واستوهب أكثر المشاهير وماسعى فهو المقيم الظاعن الضارب القاطن سألني عن
الفرق بين علم الجنس واسم الجنس فقلت له زعم الخسروشاهي أنه ليس بالديار المصرية
من يعرفه غيره وأنا أقول ليس في الدنيا عالم الا وهو يعلمه غيره لانه حكم لفظي وجب تقديره
المحافظة على ضبط القوانين كعدل عمر ونحوه فاستحسن ذلك * وكان ينكر اضافة الحول
الى الله عز وجل فلا يجيز أن يقال بحول الله وقوته قال لانه لم يرد اطلاقه والمعنى يقتضي
امتناعه لان الحول كالحيلة او قريب منها وتوفي بتونس أيام الوباء العام * (ومنهم الفقيه
المحقق الفرضي المدقق أبو عبد الله محمد بن سليمان بن علي السطي) قرأت عليه كتاب الحوفي
علما وعملا قال لي في قول ابن الحاجب والثمن والثلث والسدس من أربعة وعشرين هذا
لا يصح اذ لا يجتمع الثلث والثمن في فريضة وقد سبقه الى هذا الوهم صاحب المقدمات
وسألت عنه ابن الابار فقال لي انما أراد المقام لانه يجتمع مع الثلثين والانصاف أنه لا يحسن
التعبير عما لا تصح ارادة نفسه عن غيره فكان الوجه أن يقول والثلثان أو ومقام الثلث أو
نحو ذلك لان الثلث انما يدخل هنا بتقدير لا تحقيقا كما في الجواهر وانظر باب المدبر من كتاب
الحوفي فان فيه موافقة السبعة لعدد لا توافقه فهو من باب الفرض وعليه ينبغي أن يحمل
كلام ابن الحاجب * (ومنهم الاستاذ أبو عبد الله الرندي والقاضي أبو عبد الله محمد بن علي بن

ابن هبيرة وكان مستترا حتى كان يوم الهاشمية وقد كان سمعت فيه عدة من اهل خراسان فانه حضر وهو معتم متلثم فلما نظر الى القوم قد وثبوا على المنصور تقدم ثم جعل يضربهم بالسيف قدامه فلما أفرجوا وتفرقوا عنه قال من أنت فحسر عن وجهه وقال انا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة فلما انصرف المنصور أمنه وحباه وأكرمه وكساه ورتبه وذكر أن ابن عياش المتوف ذكر أن المنصور كان جالسا في مجلسه المبني على طاق باب خراسان من مدينته التي بناها واضافها الى اسمه وسماها مدينة المنصور مشرفا على دجلة وكان قد بنى على كل باب من أبواب المدينة في الاعلى من طاقه المعقود مجلسا يشرف منه على ما يليه من البلاد من ذلك الوجه وكانت أربعة أبواب شوارع مخترقة وطاقات معقودة وهي باقية الى وقتنا هذا الذي هو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فاول أبوابها باب خراسان وكان يسمى باب الدولة لاقبال الدولة العباسية من خراسان ثم باب الشام وهو تلقاء الشام ثم باب الكوفة وهو تلقاء الكوفة ثم باب البصرة وهو تلقاء البصرة وقد أتينا على كيفية خبر بناء هذه المدينة واختيار المنصور لهذه البقعة بين دجلة والفرات

في ذلك وخبر القبة الخضراء وسقوطها في هذا العصر وقصة قبة الحجاج الخضراء التي كان الحجاج بناها بواسط العراق وبقائها الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في كتابنا الاوسط الذي كتابناهـذا تال له فبينما المنصور جالس في هـذا المجلس مـن أعالي باب خراسان انحاه سهم غائر حتى سقط بين يديه فذعر المنصور منه ذعرا شديدا ثم أخذه فجعل يقلبه فاذا مكتوب عليه بين الريشتين

أتطمع في الحياة الى التنادي
وتحسب أن مالك مـن معاد
ستسـئل عـن ذنوبك والخطايا
وتسـئل بعـد ذلك عن العباد

ثم قرأ عند الريشة الاخرى

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت
ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها
وعند صفو الليالي يحدث الكدر

ثم قرأ عند الريشة الاخرى

هي المقادير تجري في أعنتها * فاصبر فليس لها صابر على حال

عبد الرزاق الجزولي والقاضي أبو اسحق ابراهيم بن عبد الرحمن بن أبي يحيى) في كثير من الخلق فلنضرب عن هذا *(ومن شيوخي الصلحاء الذين لقيت بها خطيبها الشيخ أبو عثمان سعيد بن ابراهيم بن علي الخياط) أدرك أبا اسحق الطيار وقد صافحته وانا صغير لانه توفي سنة تسع وعشرين بصافحته اباه بصافحته الشيخ أبا نعيم بصافحته أبا مدين بصافحته أبا الحسن ابن حرزهم بصافحته ابن العربي بصافحته الغزالي بصافحته أبا المعالي بصافحته أبا طالب المكي بصافحته ابا محمد الجريري بصافحته الجنيد بصافحته سريا بصافحته معروفا بصافحته داود الطائي بصافحته حبيبا العجمي بصافحته الحسن البصري بصافحته علي بن أبي طالب بصافحته رسول الله صلى الله عليه وسلم *(ومنهم خطيبها المصقع أبو عبد الله محمد بن علي بن الجمال) ادرك محمد بن رشيد البغدادي صاحب الزهر والوتريات على حروف المعجم والمذهبة وغيرها حدثني عنه انه تاب بين يديه لاول مجلس جلسه بتلمسان سبعون رجلا *(ومنهم الشقيقان الحاجان الفاضلان ابو عبد الله محمد وابو العباس احمد ابنا ولي الله ابي عبد الله محمد بن محمد بن ابي بكر بن مرزوق العجيسي) كساني محمد خرقة التصوف بيده كما كساه اباه الشيخ بلال بن عبد الله الحبشي خادم الشيخ ابي مدين كما كساه ابو مدين قال محمد بن مرزوق وكان مولد بلال سنة تسع وخمسين وخمسمائة وخدم ابا مدين نحوا من خمسة عشر عاما الى ان توفي في عام تسعين وخمسمائة ثم عاش بعده اكثر من مائة سنة ولبس ابو مدين من يد ابن حرزهم ولبس ابن حرزهم من يد ابن العربي واتصل اللباس اتصال المصافحة *(ومنهم أبو زيد عبد الرحمن بن يعقوب بن علي الصنهاجي المكتب) حدثنا عن قاضيها أبي زيد عبد الرحمن بن علي الدكالي أنه اختصم عنده رجلان في شاة ادعى أحدهما انه أودعها الآخر وادعى الآخر انها ضاعت منه فاوجب اليمين على المودع عنده أنها ضاعت من غير تضييع فقال كيف أضيع وقد شغلتني حراستها عن الصلاة حتى خرج وقتها فحكم عليه بالغرم فقيل له في ذلك فقال تاولت قول عمر ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد الغرموني) مكتبي الاول ووسيلتي الى الله عز وجل قرأ على الشيخ بن أبي عبد الله القصري وأبي حريث وحج حجات وكان عقد بقلبه أنه كلما ملك مائة دينار عينا سافر الى الحج وكان بصيرا بتعبير الرؤيا ومن عجائب شأنه فيه أنه كان في سجن أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق فيمن كان فيه من أهل تلمسان أيام محاصرته لها فرأى أبو جمعة بن علي التلاسي الجرائحي منهم كانه قائم على ساقية تدور وجميع قواديسها يصب في نقير في وسطها فجاء ليشرب فلما اغترف الماء اذا فيه فرث ودم فأرسله ثم اغترف فاذا هو كذلك ثلاثا أو أكثر فعدل عنه فرأى حصة ماء فشرب منها ثم استيقظ وهو النهار فأخبره فقال ان صدقت رؤياك فنحن عما قليل خارجون من هذا المكان قال كيف قال الساقية الزمان والنقير السلطان وانت جرائحي تدخل يدك في جوفه فينالها الفرث والدم وهذا ما لا تحتاج معه فلم يكن الاضحوة النهار واذا النداء عليه فأخرج فوجد السلطان مطعونا بخنجر فأدخل يده فنالها الفرث والدم فخاط جراحته ثم خرج فرأى حصة ماء فغسل يديه وشرب ثم لم يلبث السلطان أن توفي وسرحوا * وتعداد أهل هذه الصفة

يكثر فلنصفح عنهم ولنختم فصل من لقيته بتلمسان بذكر رجلين هما بقيد الحياة أحدهما عالم الدنيا والآخر نادرتها (أما العالم فشيخنا ومعلمنا العلامة أبوعبدالله محمد بن ابراهيم بن أحمد العبدرى الابلى التلمسانى) سمع جده لامه أبا الحسين بن غلبون المرسى القاضى بتلمسان واخذ عن فقهائها ابى الحسين التنسى وابنى الامام ورحل فى آخر المائة السابعة فدخل مصر والشام والحجاز والعراق ثم قفل الى المغرب فاقام بتلمسان مدة ثم فر ايام أبى حمو موسى بن عثمان الى المغرب حدثنى أنه لقى أبا العباس احمد بن ابراهيم الخياط شقيق شيخنا أبى عثمان المتقدم ذكره فشكاله ما يتوقعه من شر أبى حمو فقال له عليك بالجبل فلم يدر ما قال حتى تعرض له رجل من غمارة فعرض عليه الهروب به قال فخفت أن يكون أبوحمو قد دسه على فتنكرت له فقال لى انما أسير بك على الجبل فتذكرت قول أبى اسحق فواطأته وكان خلاصى على يده قال ولقد وجدت العطش فى بعض مسيرى به حتى غلظ لسانى واضطربت ركبتاى فقال لى ان جلست قتلتك لئلا أفتضح بك فكنت أقوى نفسى فرعلى بالى فى تلك الحالة استسقاء عمر بالعباس وتوسله به فوالله ما قلت شيأ حتى رفع لى غدير ماء فأريته اياه فشربنا ونهضنا ولما دخل المغرب ادرك أبا العباس بن البناء فأخذ عنه وشافه كثيرا من علمائه قال لى قلت لابى الحسن الصغير ما قولك فى المهدى فقال عالم سلطان فقلت له قد أبنت عن مرادى ثم سكن جبال الموحدين ثم رجع الى فاس فلما افتتحت تلمسان لقيته بها فأخذت عنه فقال لى الابلى كنت يوما مع القاسم بن محمد الصنهاجى فوردت عليه طومارة من قبل القاضى أبى الحجاج الطرطوشى فيها

خسيرات ماتحويه مبذولة * ومطلي تصحيف مقلوبها

فقال لى ما مطلبه فقلت نارنج دخل على الابلى وأنا عنده بتلمسان الشيخ أبوعبدالله الدباغ المالقى المتطبب فاخبرنا أن اديبا استجدى وزيرا بهذا الشطر * ثم جيب قلما ينصف * فاخذته فكتبته ثم قلبته وصحفته فاذاهو قصبتا ملف شحمى ومر الدباغ علينا يوما بفاس فدعاه الشيخ فاباه فقال حدثنا بحديث اللطافة فقال نعم حدثنى أبوزكريا بن السراج الكاتب بسجلماسة أن أبا اسحق التلمسانى وصهره مالك بن المرحل وكان ابن السراج قد لقيهما اصطحبا فى مسير فآواهما الليل الى مجشر فسألا عن صاحبه فدلا فاستضافاه فاضافهما فبسط لهما على ما يحتاجان اليه من الخبز واللبن وقال لهما استعملا من هذه اللطافة حتى يحضر ... فتحاورا فى اسم اللطافة لاى شئ هو منهما حتى ناما فلم يرع أبا اسحق الا مالك يقول قد وجدت اللطافة قال كيف قال ابعدت فى طلبها حتى وقعت بعالم عرقط البدوى فضلا عن ان يراه ثم رجعت القهقرى حتى وقعت على قول النابغة

بمخضب رخص كأن بنانه * عنم يكاد من اللطافة يعقد

... اللطافة وعليها مكتوب بالخط الرقيق اللين فجعل احدى النقطتين للطاء ... اللطافة والاين اللين وان كان قد صحف عنم بغنم وظن ان يعقد جبن فقد قوى عنده الوهم فقال ابو اسحق ما خرجت عن صوبه فلما جاء سالاه فاخبر انها اللبن واستشهد بالبيت كما قال مالك ولا تعجب من مالك فقد ورد فاس شيخنا ابو عبدالله محمد بن يحيى الباهلى

مكتوب همذان منها رجل مظلوم فى حبسك فبعث من فوره بعدة من خاصته ففتشوا الحبوس والمطابق فوجدوا شيخا فى بنية من الحبس فيه سراج يسرج على بابه بارية مسبلة واذا الشيخ موثق بالحديد متوجه نحو القبلة يردد هذه الآية وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون فسألوه عن بلده فقال همذان فحمل ووضع بين يدى المنصور فسأله عن حاله فاخبره انه رجل من أبناء مدينة همذان وأرباب نعمها وان واليك علينا دخل بلدنا ولى ضيعة فى بلدنا تساوى ألف ألف درهم فاراد أخذها منى فامتنعت فكبلنى فى الحديد وحملنى وكتب اليك انى عاص فطرحت فى هذا المكان فقال منذكم قال منذ أربعة أعوام فأمر بفك الحديد عنه والاحسان اليه والاطلاق له وأنزله أحسن منزل ورده اليه فقال له ياشيخ قد رددنا عليك ضيعتك بخراجها ما عشت وعشنا وأما مدينتك همذان فقد وليناك عليها وأما الوالى فقد حكمناك فيه وجعلنا أمر اليك فجزاه خيرا ودعاله بالبقاء وقال يا أمير المؤمنين أما الضيعة فقد قبلتها وأما الولاية فلا أصلح لها وأما واليك فقد عفوت

عرف بابن المسفر رسولا عن صاحب بجاية قرأه الطلبة فكان فيما حدثهم انهم كانوا على زمان ناصر الدين يستشكلون كلاما وقع في تفسير سورة الفاتحة من كتاب فخر الدين ويستشكله الشيخ معهم وهذا نصه ثبت في بعض العلوم العقلية ان المركب مثل البسيط في الجنس والبسيط مثل المركب في الفصل وان الجنس أقوى من الفصل فرجعوا به الى الشيخ الابلي فتأمله ثم قال هذا كلام مصحف واصله أن المركب قبل البسيط في الحس والبسيط قبل المركب في العقل وان الحس أقوى من العقل فاخبروا ابن المسفر فلج فقال لهم الشيخ التمسوا النسخ فوجدوه في بعضها كما قال الشيخ والله يؤتي فضله من يشاء * قال لي الابلي لما نزلت تازى بت مع أبي الحسن بن برى وأبي عبد الله الرجالي فاحتجت الى النوم وكرهت قطعهما عن الكلام فاستكشفتهما عن معنى هذا البيت للمعري

أقول لعبد الله لما سقاؤنا * ونحن بوادي عبد شمس وهاشم

فجعلا يفكران فيه فنمت حتى أصبحا ولم يجداه فأتياني عنه فقلت معناه أقول لعبد الله لما وهى سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس شم لنا برقا قلت وفي جواز مثل هذا نظر سمعت الابلي يقول دخل قطب الدين الشيرازي والدنيران على أفضل الدين الخونجي ببلده وقد تزيا بزي القونوية فسأله أحدهما عن مسئلة فاجابه فتعايا عن الفهم وقرب التقريب فتعايا فقال الخونجي متمثلا

على نحت المعاني من معادنها * وما على لكم أن تفهم البقر

فقال له ضم الشاء يا مولانا فرفهما فحملهما الى بيته قلت سمعت الشيخ شمس الدين الاصبهاني بخانقاه قوصون بمصر يقول ان شيخه القطب توفي عام احد عشر وسبعمائة وله سبع وسبعون سنة وهذا يضعف هذه الحكاية عندي سمعت الابلي يقول ان الخونجي ولي قضاء مصر بعد عز الدين بن عبد السلام فقدم شاهدا كان عز الدين أخره فعذله في ذلك فقال ان مولانا لم يذكر السبب الذي رفع يده من اجله وهو الآن غير متمكن من ذكره سمعت الشيخ الابلي يحدث عن قطب الدين التستري انه ظهر في المائة السابعة من المفاسد العظام ثلاث مذهب ابن سبعين وعلك الطظر للعراق واستعمال الحشيشة * سمعت الابلي يقول قال ابو المطرف بن عميرة

فضل الجمال على الكمال بوجهه * فالحق لا يخفى على من وسطه
وبطرفه سقم وصدر قداني * مستظهرا بهما على ما أمنه
عجبا له برهانه بشر وطه * معه فما مقصوده بالشرط في المعنى

قال فاجابه أبو القاسم بن الشاط فقال

علم التباين في النفوس وانها * منها مغلطة وغير مغلطة
فمن رأت وجه الدليل وفرقة * أصغت الى الشبهات فهي مورطه
فاراد جمعهما معا في ملكه * هذي مبتجة وذي مغلطه

يعني قولهم في التام هو ما تحمل فيه البرهان الفصل وأخبار الابلي وأسمعني منه تحتمل كتابا فلنقف على هذا القدر منها * وأما النادرة (فابو عبد الله بن أحمد بن شاطر الجمعي المراكشي)

عنه فاراد المنصور عقاب على ما جنى من انحرافه عن سنة العدل ووضحة الحق وسال الشيخ مكاتبته في مهماته وأخبار بلده واعلامه بما يكون من ولاته على البر بذم ثم أنشأ المنصور يقول

من صحب الدهر لا يأمن تصرفه
يوما وللدهر احلاء وامرار
لكل شيء وان دامت سلامته
اذا انتهى فله لابد اقصار

وقال المنصور يوما لسالم بن قتيبة ماترى في أم أبي مسلم قال لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فقال حسبك يا ابن قتيبة لقد أودعتها أذنا واعية وذكر ابن دأب وغيره عن عيسى بن علي قال مازال المنصور يشاورنا في جميع أموره حتى امتدحه ابراهيم بن هرمة فقال في قصيدة له

اذا ما أراد الامر ناجى ضميره
فناجى ضميرا غير مختلف العقل
ولم يشرك الادنين في سر أمره
اذا انتقضت بالاصبعين قوى الحبل

ولما أراد المنصور قتل أبي مسلم سقط بين الاستبداد برأيه والمشورة فيه فأرقه ذلك فقال

تقسمني أمران لم أفتحهما * بحزم ولم يعرك قواي الكراكر

المراكشي) صحب أبا زيد الهزميري كثيرا وأبا عبد الله بن تيجان وأبا العباس بن البناء وأضرابه من المراكشيين ومن جاورهم ورزق بصحبة الصالحين حلاوة القبول فلا تكاد تجد من يستثقله وربما سئل عن نفسه فيقول ولي مفسود قلت له يوما كيف أنت فقال محبوس في الروح وقال الليل والنهار حرسيان أحدهما أسود والآخر أبيض وقد أخذا بمجامع الخلق يجرانهم الى القيامة وان مردنا الى الله تعالى وسمعته يقول المؤذنون يدعون أولياء الله الى بيته لعبادته فلا يصدهم عن دعائهم ظلمة ولا شتاء ولا طين ويصرفونهم عن الاشتغال عالميين لهم فيخرجونهم ويغلقون الابواب دونهم ووجدته ذات يوم في المسجد ذاكرا فقلت له كيف أنت فقال فهم في روضة يحبرون فهممت بالانصراف فقال ابن تذهب من روضة من رياض الجنة يقام بها على رأسك بهذا التاج وأشار الى المنار علوا الله أكبر * مر ابن شاطر يوما على أبي العباس احمد بن شعيب الكاتب وهو جالس في جامع الجزيرة طهره الله تعالى وقد ذهبت به الكفرة فصاح به فلما رفع رأسه اليه قال له انظر الى مركب عزرائيل وأشار الى نعش هنالك قد رفع شراعه ونودي عليه الطلوع يا غزي وأكل يوما مع أبي القاسم عبد الله بن رضوان الكاتب جلجلانا فقال له أبو القاسم ان في هذا الجلجلان لضربا من طعم اللوز فقال ابن شاطر وهل الجلجلان الا لوز دقه * وسئل عن العلة في نضارة الحداثة فقال قرب عهدها بالله فقيل له فما غير الشيوخ فقال من بعد العهد من الله وطول الصحبة مع الشياطين فقيل له فتغير أفواههم فقال من كثرة ما تفل الشياطين فيها * وكان يسمى الصغير فأل المصطكي * قال لي ابن شاطر لقيت عمي ميمونا المعروف بدبير لقرب موته وقد اصفر وجهه وتغيرت حالته فقلت له ما بالك وكان قد خدم الصالحين ورزق بذلك القبول فقال انسدت المزربة فانه قطاع يعني العذرة يشير الى الاحتقان للطبيعة * أنشدني ابن شاطر قال أنشدني ابو العباس بن البناء لنفسه * قصدت الى الوجازة في كلامي * الابيات وأخبار ابن شاطر عندي تحتمل كراسة فلتقنع منها بهذا القدر

*(فصل) والمداخلات تامسان على بني عبد الواد ذهب أبي السفر منها فرحلت الى بجاية فلقيت بها أعلاما درجوا فأقامت بعدهم خلاء بلقعا فمنهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي عرف بابن المسفر باحثته واستفدت منه وسألني عن اسم كتاب الجوهري فقلت له من الناس من يقول الصحاح بالكسر ومنهم من يفتح فقال انما هو بالفتح بمعنى الصحيح كما ذكره في ... المار ويحتمل أن يكون مصدر صح كحنان وكتب الى بعض أصحابه بجواب رسالة فقهي ... البيتين

هذا الـ... ... لت صحيفتكم فهزت معطفي * فكأنما اهدت كؤوس القرقف
... وكأنها ليل الامان لخائف * اووصل محبوب لصب مدنف

فاشتغل ... قاضيها أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبي يوسف يعقوب الزواوي) فقيه ابن فقيه كان يقول من عرف ابن الحاجب اقرأ به المدونة قال واذا اقرأ به المدونة ومنهم أبو علي حسين ابن حسين امام المعقولات بعد ناصر الدين ومنهم خطيبها أبو العباس احمد بن عمران وكان قد ورد تلمسان وأورد بها على قول ابن الحاجب في حد العلم صفة توجب تمييزا لا يحتمل

على مثلها مقدامة متجاسر

وقد كان عبد الله بن علي خالف على المنصور ودعا الى نفسه من كان معه من أهل الشام وزعم أن السفاح جعل الخلافة من بعده لمن انتدب لقتل مروان فلما بلغ المنصور ذلك من فعل عبد الله كتب اليه

سأجعل نفسي منك حيث جعلتها

وللدهر أيام لهن عواقب

ثم بعث اليه بأبي مسلم فكانت له معه حروب كثيرة ببلاد نصيبين المعروفة بدير الاعور وصبر الفريقان شهورا على حربها واحتفروا الخنادق ثم انهزم عبد الله بن علي فيمن كان معه وسار في نفر من خواصه الى البصرة وعليها أخوه سليمان بن علي عم المنصور وظفر أبو مسلم بما كان في عسكر عبد الله فبعث اليه المنصور يقطين بن موسى لقبض الخزائن فلما دخل يقطين على أبي مسلم قال السلام عليك أيها الامير قال لا سلم الله عليك يا ابن اللخناء أوتمن على الدماء ولا أوتمن على الاموال فقال له ماندا هذا منك أيها الامير قال

أرسلك صاحبك لقبض ما في يدي من الخزائن فقال له امرأته طالق ثلاثا ان كان أمير المؤمنين وجهني

النقيض الخاصة الالان يزاد فى الحمد لمن قامت به لانها انما توجب فيه تمييزا الاتمييزا وهذا حسن ومنهم الشيخان أبو عزيز وأبو موسى بن فرحان وغيرهم من أهل عصرهم ثم رحلت الى تونس فلقيت بها قاضى الجماعة وفقيهها أبا عبد الله بن عبد السلام فحضرت تدريسه وأكثرت مباحثته ولما نزلت بظاهر قسطينة تلقانى رجل من الطلبة فسالنى عن هذه الآية وان لم تفعل فما بلغت رسالته فان ظاهرها أن الجزاء هو الشرط أى وان لم تبلغ فما بلغت وذلك غير مفيد فقلت بل هو مفيد أى وان لم تبلغ فى المستقبل لم ينفعك تبليغك فى الماضى لارتباط أول الرسالة بآخرها كالصلاة ونحوها بدليل قصة يونس فعبر بانتفاء ماهية التبليغ عن انتفاء المقصود منه اذ كان انما يطلب ولا يعتبر بدونه كقوله عليه الصلاة والسلام لاصلاة الا بطهور ثم اجتمعت بابن عبد السلام بجامع بوقير بتونس فسالته عن ذلك فلم يزد على أن قال هذا مثل قوله عليه الصلاة والسلام فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله وقد علمتم ما قال الشيخ تقى الدين فيه قلت كلام تقى الدين لا يعطى الجواب عن الآية فتامله وقاضى المناكح أبا محمد الاجمى وهو حافظ فقهائها فى وقته والفقيه أبا عبد الله بن هرون شارح ابن الحاجب فى الفقه والاصول والخطيب أبا عبد الله بن عبد الستار وحضرت تدريسه بمدرسة العرض والعلامة أبا عبد الله بن الحباب الكاتب والفقيه أبا عبد الله بن سلمة والشيخ الصالح أبا الحسن المنتصر وارث طريقة الشيخ أبى محمد المرجانى آخر المذكورين بافريقية ورأيت الشيخ ابن الشيخ المرجانى فحدثنى أبو موسى بن الامام انه أشبه به من الغراب بالغراب وسيدى أبا عبد الله الزبيدى المتقدم ذكره وأوقفنى على خطه فى كتاب الصحاح وذلك أنه زعم ان السالم جلدة ما بين العين والانف قال وفيه يقول ابن عمر فى ابنه سالم

يديروننى عن سالم وأديرهم * وجلدة بين الانف والعين سالم

قال وهذا أراد عبد الملك حيث كتب الى الحجاج انت منى كسالم وهو خطأ فاحش وكان يلزمه أن يسميها بالعمارة أيضا لقوله عليه السلام عمارة جلدة ما بين عينى وانفى وانما اراد تمثيل هذا القرب والتحمد * ولقيت بتونس غير واحد من العلماء والصلحاء يطول ذكرهم ثم قفلت الى المغرب يسايرنى رجل من أهل قسطينة يعرف بمنصور الحلبى فما رأيت رجلا أكثر أخبارا ولا اطرف نوادر منه فمما حفظته من حديثه أن رجلا من الادباء مر برجل من الغرباء وقدامه ستة أطفال جعل ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن شماله وأخذ ينشد

ما كنت احسب أن أبقى كذا أبدا * أعيش والدهر فى أطرافه حتى لمعنى
ساس بستة أطفال توسطهم * شخصى كاحرف ساس وسطها ألف احبنا

قال فتقدمت اليه وقلت فأين تعريقة السين فقال طالب ورب الكعبة ثم قال للآخر صفا عينه قم فقام يجر رجله كانه مبطول فقال هذا تمام تعريقة السين * ثم رحلت من تلمسان الى المغرب فلقيت بفاس الشيخ الفقيه الحاج أبا اسحق ابراهيم بن عبد الله بن عبد الرحيم البرناسى والشيخ الفقيه أبا محمد عبد المؤمن الجانانى والشيخ الفقيه الصالح أبا زرهون عبد العزيز بن محمد القيروانى والفقيه أبا الضياء مصباح بن عبد الله اليالصوتى وكان حافظ

وقته

اليك لغير تهنئتك بالظفر فاعتنقه أبو مسلم وأجلسه الى جانبه فلما انصرف قال لاصحابه والله انى لاعلم أنه قد طلق زوجته ولكنه وفى لصاحبه وسار أبو مسلم من الجزيرة وقد أجمع على خلاف المنصور واجتاز على طريق خراسان متنكبا للعراق يريد خراسان وسار المنصور من الانبار يريد المدائن فنزل برومية المدائن التى بناها كسرى وقد قدمنا ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب وكتب الى أبى مسلم انى قد أردت مذاكرتك باشياء لم يحملها الكتاب فأقبل فان مقامك عندنا قليل فقرأ الكتاب ومضى على حاله فسرح اليه المنصور جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلى وكان واحد أهل زمانه وداهية دهره وكانت المعرفة بينه وبين أبى مسلم قديمة بخراسان فاتاه فقال أيها الامير ضربت الناس عن عرض لاهل هذا البيت ثم تنصرف على هذه الحالة ما آمن ان يعيبك من هنالك ومن ههنا وأن يقال طلب بثار قوم ثم نقض بيعتهم فيخالفك من يأمن مخالفته اياك وان الامر لم يبلغ عند خليفتك ما تكره ولا أرى ان تنصرف على هذه الحال فاراد أن يجيب الى الرجوع فقال له مالك ابن الهيثم لا تفعل فقال لمالك ويلك لقد بليت بابليس وما بليت بمثل هذا قط يعنى الجريرى فلم يزل به حتى

وقته والفقيه اباعبدالله بن عبدالكريم وشيخ الشيوخ ابازيد عبدالرحمن بن عفان الجزولى والاستاذ ابا العباس المكناسى وكنت لقيت الاستاذ ابا العباس بن حزب الله والاستاذ ابا عبدالله القصار بتلمسان ولقيت غير هؤلاء ممن يكثر عددهم وكنت قد لقيت بتازى الفقيه اباعبدالله بن عطية والاستاذ اباعبدالله المجاصى والشيخ ابا الحسين الجيار وغيرهم ثم بلغت بالرحلة الى اغمات ثم وصلت الى سبتة فاستوعبت بلاد المغرب ولقيت بكل بلد من لابد من لقائه من علمائه وصلحائه ثم قفلت الى تلمسان فاقمت بها ماشاء الله تعالى ثم اعملت الرحلة الى الحجاز فلقيت بمصر الاستاذ اثير الدين اباحيان الغرناطى فرويت عنه واستفدت منه وشمس الدين الاصبهانى الاخر وشمس الدين بن عدلان وقرأ على بعض شروحه لكتب المزنى وناولنى اياه وشمس الدين بن اللبان آخر المذكورين بها والشيخ الصالح ابامحمد المنوفى فقيه المالكية بها وتاج الدين التبريزى الاصم وغيرهم ممن يطول ذكرهم ثم حججت فلقيت بمكة امام الوقت اباعبدالله بن عبدالرحمن التوزرى المعروف بخليل وسألته يوم النحر حين وقف بالمشعر الحرام عن بطن محسر لاحرك فيه على الجمل فقال لى تمالأ الناس على ترك هذه السنة حتى نسى بتركها محلها والاقرب انه هذا واشار الى مايلى الجابية التى على يسار المار من المشعر الى منى من الطريق من اول مايحاذيها الى ان ياخذ صاعدا الى منى ومارايت اعلم بالمناسك منه والامام ابا العباس بن رضى الدين الشافعى وغير واحد من الزائرين والمجاورين واهل البلد وبالمدينة اعجوبة الدنيا ابامحمد عبدالوهاب الجبرتى وغيره ثم اخذت على الشام فلقيت بدمشق شمس الدين بن قيم الجوزية صاحب الفقيه ابن تيمية وصدر الدين الغمارى المالكى واباالقاسم بن محمد اليمانى الشافعى وغيرهم وببيت المقدس الاستاذ اباعبدالله ابن مثبت والقاضى شمس الدين بن سالم والفقيه المذكر اباعبدالله بن عثمان وغيرهم ثم رجعت الى المغرب فدخلت سجلماسة ودرعة ثم قطعت الى الاندلس فدخلت الجبل واصطبونة ومربلة ومالقة وبلش والحامة وانتهت بى الرحلة الى غرناطة وفى علم الله تعالى مالا اعلم وهو المسؤل أن يحملنا على الصراط الاقوم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم انتهى كلام جدى رحمه الله تعالى فى الجزء الذى ألفه فى مشيخته وقد لخصه لسان الدين فى الاحاطة ❊ ولنذكر هنا زيادات لابأس بها فنقول ولما ألم ولى الدين بن خلدون بذكر مولاى الجد فى تاريخه الكبير عند تعريفه بنفسه وصفه بانه كبير علماء المغرب ونص محل الحاجة من فقهها لما رحلت من تونس منتصف شعبان من سنة أربع وثمانين أقمنا فى البحر نحوا من أربعين ليلة ثم وافينا مرسى الاسكندرية يوم الفطر ولعشر ليال من جلوس الملك الظاهر على هذا اقتعاد كرسى الملك دون أهله بنى قلاوون وكنا على ترقب ذلك لما كان يؤثر بقاصية من سموه لذلك وتمهيده له وأقمت باسكندرية شهر التهيئة اسباب الحج ولم يقدر عامئذ فانتقلت الى القاهرة أول ذى القعدة فرأيت حضرة الدنيا وبستان العالم ومحشر الامم ومدرج الذر من البشر وايوان الاسلام وكرسى الملك تلوح القصور والاواوين فى أوجه وتزهو الخوانق والمدارس بآفاقه وتضىء البدور والكواكب من علمائه قد مثل بشاطئ بحر النيل نهر الجنة ومدفع مياه السماء يسقيهم النهل والعلل سيحه ويجبى اليهم

أقبل به على المنصور وكان أبو مسلم يجد خبره فى الكتب السالفة ونعته وأنه يقتل بالروم وكان يكثر من قول ذلك على حسب ماوجد فى الملاحم وأنه يميت دولة ويحيى أخرى فلما دخل على المنصور وقد تلقاه الناس رحب به وقال له كدت أن تمضى قبل أن أقضى عليك بما تريد قال فقد أتيت ياأمير المؤمنين فأمر بأمرك فأمره بالانصراف الى منزله وانتظر فيه الفرص والغوائل فركب أبو مسلم الى المنصور مرارا وقد أظهر له التجنى فسار أبو مسلم الى عيسى بن موسى وكان له فيه رأى جميل فسأله الركوب معه الى المنصور ليعذله بحضرته فأمره أن يتقدمه الى المنصور فانه بالاثر فتقدم أبو مسلم الى مضرب المنصور وهو على دجلة برومية المدائن فدخل وجلس تحت الشراع وقبل الرواق فاخبر أن المنصور يتوضأ للصلاة وكان المنصور قد تقدم الى صاحب حرسه عثمان فى عدة فيهم شبيب ابن رواح المروزى وأبو حنيفة حرب بن قيس وأمرهم أن يقوموا خلف السرير الذى وراء أبى مسلم وأمرهم أنه اذا عاتبه وظهر صوته لايظهرون فاذا صفق بيد على يد فليظهروا وليضربوا عنقه وما أدركوا منه بسيوفهم وجلس المنصور وقام أبو مسلم من موضعه ودخل فسلم عليه فرد عليه وأذن له بالجلوس وحادثه ساعة

الثمرات والخيرات ثجه ومررت في سكك المدينة تغص بزحام المارة وأسواقها تزخر بالنعم وما زلنا نحدث عن هذا البلد وبعد مداه في العمران واتساع الاحوال ولقد اختلفت عبارات من لقيناه من شيوخنا وأصحابنا حاجهم وتاجرهم بالحديث عنه سألت صاحبنا قاضي الجماعة بفاس وكبير العلماء بالمغرب أبا عبد الله المقري فقلت له كيف هي القاهرة فقال من لم يرها لم يعرف عز الاسلام وسألت شيخنا أبا العباس بن ادريس كبير العلماء ببجاية مثل ذلك فقال كأنما انطلق أهله من الحساب يشير الى كثرة أممه وأمنهم العواقب وحضرت صاحبنا قاضي العسكر بفاس الفقيه الكاتب أبا القاسم البرجي بمجلس السلطان أبي عنان منصرفه من السفارة عنه الى ملوك مصر وتأدية رسالته النبوية الى الضريح الكريم سنة خمس وخمسين وسأله عن القاهرة فقال أقول في العبارة عنها على سبيل الاختصار ان الذي يتخيله الانسان فانما يراه دون الصورة التي تخيلها لاتساع الخيال على كل محسوس الا القاهرة فانها أوسع من كل ما يتخيل فيها فأعجب السلطان والحاضرون بذلك انتهى كلام ابن خلدون ولا يخلو عن فائدة زائدة * ولا بأس أن نورد من فوائد مولاي الجد ما حضرني الآن فمن ذلك ما حكاه عن عبد الرزاق عن ابن قطرال قال سمع يهودي بالحديث المأثور نعم الادام الخل فأنكر ذلك حتى كاد يصرح بالقدح فبلغ ذلك بعض العلماء فأشار على الملك أن يقطع عن اليهود الخل وأسبابه سنة قال فما تمت حتى ظهر فيهم الجذام * ومنها أنه قال أنشدني الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد قال أنشدني الشيخ التقي ابن دقيق العيد لنفسه في معنى لطيف حجازي

اذا كنت في نجد وطيب نعيمه * تذكرت أهلي باللوى فمحسر
وان كنت فيهم زدت شوقا ولوعة * الى ساكني نجد وعيل تصبري
فقد طال ما بين الفريقين موقفي * فمن لي بنجد بين أهلي ومعشري

ومنها ما حكاه عن عبد الله بن عبد الحق عن ابن قطرال قال كنت بالمدينة على ساكنها الصلاة والسلام اذ أقبل رافضي بفحمة في يده فكتب بها على جدار هنالك

من كان يعلم أن الله خالقه * فلا يحب أبا بكر ولا عمرا

وانصرف فألقي على من الفطنة وحسن البديهة ما لم أعهد مثله من نفسي قبل فجعلت مكان يحب يسب ورجعت الى مجلسي فجاء فوجده كما أصلحته فجعل يلتفت يمينا وشمالا كأنه يطالب من صنع ذلك ولم ينهني فلما أعياه الامر انصرف * ومنها أنه قال حدثت أن الزاهد أبا عمرة بن غالب المرسي نزيل تلمسان وقد لقيت غير واحد من أصحابه سأله بعض أن يدامنه عقد ابنته فتعذر عليه فلم يزل به حتى أجاب بعد جهد فحضر العقد وطعم الوليمة ثم لما حضر ليلة الزفاف استحضره في ركوبها الى دار زوجها على عادة أهل تلمسان فأجابه مسرعا حينا له أين هذا التيسير من ذلك التعسير فقال من أكل طعام الناس مشى في خدمتهم أو كما قال * ومنها أنه قال حدثت أن الفقيه أبا عبد الله بن العواد العدل بتونس التقي يوما مع القاضي أبي علي بن قداح وكان ابن العواد شيخا فقال له أبو علي كبرت يا أبا عبد الله فصرت تمشي كل شبر بدينار يوري بكثرة الفائدة في مشيه الى الشهادة فقال له كنت اذ كنت في سنك أخرج رزقي من الحجر يعرض لابن قداح بأنه حيا وكذلك كان هو وأبوه رحمهم الله تعالى

ثم أقبل يعاتبه ويقول فعلت وفعلت فقال أبو مسلم ليس يقال هذا لي بعد بلائي وما كان مني فقال له يا ابن الخبيثة وانما فعلت ذلك بجدنا وحظوظنا ولو كان مكانك أمة سوداء لأجزت ألست الكاتب الى تبدأ بنفسك والكاتب الى تخطب آسية بنت علي وتزعم أنك ابن سليط بن عبد الله بن العباس لقد ارتقيت لا أم لك مرتقى صعبا فأخذ أبو مسلم بيده يعركها ويقبلها ويعتذر اليه فقال المنصور وهو آخر ما كلمه به قتلني الله ان لم أقتلك وذكر له قتله لسليمان بن كثير ثم صفق باحدى يديه على الاخرى فخرج اليه القوم فبدره عثمان ابن نهيك فضربه ضربة خفيفة بالسيف قطعت نجاد سيف أبي مسلم وضربه شبيب بن رواح فقطع رجله واعتورته السيوف فخلطت أجزاءه وأبي عليه والمنصور يصيح اضربوا قطع الله أيديكم وقد كان أبو مسلم قال أول ضربة قال استبقني يا أمير المؤمنين لعدوك قال لا أبقاني الله أبدا ان أبقيتك وأي عدو أعدى لي منك وكان قتله في شعبان سنة ست وثلاثين ومائة وفيها كانت بيعة المنصور وهزيمة عبد الله بن علي وأدرج أبو مسلم في بساط ودخل عيسى بن موسى فقال يا أمير المؤمنين أين أبو مسلم فقال قد كان ههنا آنفا

جميعا

جميعا وهذا من مزاح الاشراف كما جرى بين معاوية والاحنف انظر صدر ادب الكتاب *ومنها أنه قال قال لى الحاج أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الواحد الرباطى كنا عند الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد فقد أحد نعليه فقال الشيخ كنا عند العلم التبريزى فدخل عليه رجل يدعى بشيرا فكلمه ثم خرج فلم يجد نعليه فرجع الى العلم وأنشده

دخلت السك يا أملى بشيرا * فلما أن خرجت خرجت بشرا
أعد يائى التى سقطت من اسمى * فيائى فى الحساب تعد عشرا

وقال رحمه الله تعالى لما سعى اولاد الشيخ أبى شعيب بالقاضى أبى الحجاج الطرطوشى الى السلطان وأمر باشخاصه وكثر ارجاف المتشيعين فيهم من بعده وخرج الامر على خلاف ما أملوا منه قال فى ذلك

حمدت الله فى قوم أثاروا * شرورا فاستحالت لى سرورا
وقالوا النار قد شبت فلما * دنوت لها وجدت النار نورا

ومنها أنه حكى أن الشيخ أبا القاسم بن محمد اليمنى مدرس دمشق ومفتيها حكى له بدمشق أنه قال له شيخ صالح برباط الخليل عليه السلام نزل بى مغربى فمرض حتى طال على أمره فدعوت الله أن يفرج عنى وعنه بموت أو صحة فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال أطعمه السكسكون قال يقوله هكذا بالنون فصنعته له فكأنما حلت له فيه الشفاء قال وكان أبو القاسم يقول ذلك كذلك ويخالف الناس فى حذف النون من هذا الاسم ويقول لا أعدل عن لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال قلت ووجهه هذا من الطب أن هذا الطعام مما يعتاده المغاربة ويشتهونه على كثرة استعمالهم له فربما نبه منه شهوة أورده الى عادة وقال الجد رحمه الله تعالى رأيت بجامع الفسطاط من مصر فقيرا عليه قميص الى جانبه دفاسة قائمة وبين يديه قلنسوة فذكر لى هنالك أنهما محشوتان بالبرادة وأن زنة الدفاسة أربعمائة رطل مصرية وهى ثلثمائة وخمسون مغربية وزنة القلنسوة مائتا رطل مصرية وهى مائة وخمسة وسبعون مغربية فعمدت الى الدفاسة فأخذتها من طوقها انا ورجل آخر فأملناها بالجهد ثم أقمناها ولم نصل بها الى الارض وعدت الى القلنسوة فأخذتها من اصبع كان فى رأسها فلم أطق حملها فتركتها وكان يوم جمعة فلما قضيت الصلاة مر بنا فى جماعة من أصحابنا بالفقير فوجدناه لابسا تلك الدفاسة فى عنقه واضعا تلك القلنسوة على رأسه فقام والى غيرنا ومشى بهما كما يمشى احدنا بثيابه فجعلنا نتعجب ويشهد بعضنا بعضا على فقهه من ذلك ولم يكن بالعظيم الخلقة*وقال رحمه الله تعالى كان الاستاذ ابن حكم قد بعث هذا الحرر لابعث به الى من يعرضه للبيع ثم بلغه أن احمالا من المتاع التونسى قد وصلت الى فكتب الى الحمد لله الذى أمر عند كل مسجد باخذ الزينة وصلواته الطيبة وتركاته الصيبة على من ختم به شريعته وأكمل دينه وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه والذين يتبعونه وبعد فما تعلق به الاعلام ان تعوضوا المحرر باحرام لا يخفى على مثلكم جنسه ومجانسه ومن كلام العرب كل ثوب ولابسه وان ارى على ثمن الاول ثمن الثانى فلست عن الزيادة والحمد لله بالوانى* ومن فوائده أنه قال كتب فى صدر رسالة صاحبنا الشيخ

فقال له المنصور يا ترك خلق الله ما أعلم فى الارض عدوّا أعدى لك منه هاهو ذاك فى بساط فقال عسى انا لله وانا اليه راجعون (ودخل) عليه جعفر بن حنظلة فقال له المنصور ما تقول فى أمر أبى مسلم فقال يا أمير المؤمنين ان كنت أخذت من رأسه شعرة فاقتل ثم اقتل ثم اقتل فقال المنصور وفقك الله هاهو فى البساط فلما نظر اليه قتيلا قال يا أمير المؤمنين عد هذا اليوم أول خلافتك وقد كان السفاح هم بقتله برأى المنصور ثم رجع عن قتله وأقبل المنصور على من حضره وأبو مسلم بين يديه طريحا فقال

زعمت أن الدين لا ينقضى * فاستوف بالكيل أبا مجرم
اشرب بكأس كنت تسقى بها * أمر فى الحلق من العلقم

ودعا المنصور بنصر بن مالك وكان على شرطة أبى مسلم فقال استشارك أبو مسلم بالمسير الى فنهيته قال نعم قال ولم قال سمعت أخاك ابراهيم الامام يحدث عن أبيه قال لا يزال المرء يزداد فى عقله اذا محض النصيحة لمن شاوره فكنت له كذلك وأنا الآن لك كذلك واضطرب أصحاب أبى مسلم ففرقت فيهم الاموال وعلموا بقتله

الناس أبي علي منصور ابن شيخ عصره وفريد دهره ناصر الدين المشذالي الشيخ الخاشع صاحبنا أبو الحسن علي بن موسى البجيري يذكر شوقه الى لقائه لما كان يبلغه عنه حتى قدر باجتماعهما بوهران أيام قضاء البجيري بها

أوحشتني ولو اطلعت على الذي * للشافي فؤادي لم تكن لي موحشا
يا محرقا بالنار قلب محبه * أنسيت انك مستكن في الحشا

وقال رحمه الله تعالى أنشدني محمد البلغيثي قال أنشدني ابن رشيد قال أنشدني أبو حفص ابن الخيمي المصري لنفسه

لو رأى وجه حبيبي عاذلي * لتفاصلنا على وجه جميل

وقال رحمه الله تعالى قال لي محمد بن داود بن المكتب قال لي بلال الحبشي خادم الشيخ أبي مدين كان الشيخ كثيرا ما ينشد هذا البيت

الله قل وذر الوجود وما حوى * ان كنت مرتادا بصدق مراد

وقال رحمه الله تعالى دخلت على عبد الرحمن بن عفان الجزولي وهو يجود بنفسه وكنت قد رأيته قبل ذلك معافى فسألته عن السبب فأخبرني أنه خرج الى لقاء السلطان فسقط عن دابته فتداعت أركانه فقلت ما حملك أن تتكلف مثل هذا في ارتفاع سنك فقال حب الرياسة آخر ما يخرج من قلوب الصديقين * وقال رحمه الله تعالى قال لي محمد بن مرزوق قال لي بعض أصحاب أبي اسحق الطيار دفين عباد تلمسان ان أبا اسحق أقام خمسا وعشرين سنة لا ينام الا قاعدا فقال ابن مرزوق لم لقب بالطيار فحدثني عن بعض أصحابه انه نشر ذات يوم ثوبه في الشمس على بعض السطوح ثم قعد هنالك فمر به رجل فقال له طر فقال أعن أمرك فقال نعم فطار حتى وقع على الارض وما به من باس فقال الجد رحمه الله تعالى بعد هذا ما نصه قلت اذا صار الحق للعبد سمعا وبصرا فسمع به وأبصر أصاخ الى الاحوال واجتلى المعاني فيرى من غير مبصر ويسمع من غير ناطق كما قال الشيخ أبو عبد الله الشوذي الحلوي دفين تلمسان

اذا نطق الوجود أصاخ قوم * بآذان الى نطق الوجود
وذاك النطق ليس به انعجام * ولكن دق عن فهم البليد
فكن فطنا تنادى من قريب * ولا تك من ينادى من بعيد

وقال رحمه الله تعالى حدثني بعض أن الشيخ سيدي عمر بن الفارض ولع بجمل فكان يستأجره من صاحبه ليأنس به فقيل له لو اشتريته فقال المحبوب لا يملك فسألت أي حال كان هذه فقيل لي في ابتداء أمره فقلت وجد اعتبار أفلا ينظرون الى الابل فوقفت به رؤيته التي فيه عليه فأحبه مدلا وطلبه مجلا * وقال رضي الله عنه حفظت من خط أبي زيد والد شيخنا أبي الحسن قيل للغزالي ما تقول في الحلاج فقال وما عسى أن أقول فيمن شرب بكأس المحبة على بساط الوفاء فسكر فعربد فاستوجب من الله الحد فكان حده شهادته ثم قال بعد هذا قلت عربد الحلاج في الحضرة لما نسي بسكره أوامره فانتصر القاهر لنفسه لعصمة تعلق اسمه وسدل الباطن على عذره حجاب الغيرة من افشاء سره

على سمة الاسماء تجري امورهم * وحكمة وصف الذات للحكم اجرت

الطاعة الى وحشة المعصية ولا تسروا غش الائمة فان من أسر غش امامه أظهر الله سريرته في فلتات لسانه وسقطات أفعاله وأبداها الله لامامه الذي بادر باعزاز دينه به واعلاء حقه بفلجه انا لم نبخسكم حقوقكم ولم نبخس الدين حقه عليكم انه من نازعنا هذا القميص أوطأناه ما في هذا الغمد وان أبا مسلم بايعنا وبايع لنا على انه من نكث بيعتنا فقد أباح دمه لنا ثم نكث بنا فحكمنا عليه لانفسنا حكمه على غيره لنا ولم تمنعنا رعاية الحق له من اقامة الحق عليه ولما نمي قتل أبي مسلم الى خراسان وغيرها من الجبال اضطربت الخرمية وهي الطائفة التي تدعى بالمسلمية القائلون بأبي مسلم وامامته وقد تنازعوا في ذلك بعد وفاته فمنهم من رأى انه لم يمت ولن يموت حتى يظهر فيملأها عدلا وفرقة قطعت بموته وقالت بامامة ابنته فاطمة وهؤلاء يدعون الفاطمية وأكثر الخرمية في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة

الكور كيفوا لنور ساعية وهذا ثار الدار فان أعظم الخرمية ومنهم كان بابك الخرمي الذي خرج على المأمون والمعتصم وقال

وقال رحمه الله تعالى سمعت شيخنا بيت المقدس يقول تجلى الله على المسجد الاقصى بالجمال وعلى المسجد الحرام بالجلال وعلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالكمال قلت فذلك موقف النواظر وذلك جلاء الخواطر وهذا فتح البصائر وقال رحمه الله تعالى أخبرني أمير المؤمنين المتوكل على الله ابو عنان فارس نصره الله ان جده امير المسلمين اباسعيد سال كاتبه عبد المهيمن الحضرمي عن تهادي اهل الحب التفاح دون الخوخ وكلاهما حسن المنظر طيب المخبر شديد شبهه بأخيه سديد تشبيه الوجنات به لمتوخيه فقال من عند مولانا فقال أرى ذلك لاشتمال التفاح على الحب الذي يذكر بالحب والهوى والخوخ على النوى الذي يذكر اسمه مفرة الجوى*وقال رحمه الله تعالى قال لي أبو حيان بالقاهرة قال لي عمر بن الخيمي تجاذيت انا ونجم الدين بن اسرائيل هذا البيت

يا بارقا باعالي الرقمتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

فقضا كلنا الى ابن الفارض فاشار بان نظم قصيدة نضمنها البيت فنظم ونظمت

يا مطلبا ليس لي في غيره ارب * اليك آل التقضي وانتهى الطلب

فقضى لي*وقال رحمه الله تعالى حدثت ان ابا يزيد المزميري بعث الى أبي عمران الشولي وكان كثير الصلاة انه لم يبق بينك وبين الله حجاب الا الر ... عات فرجع اليه ما معناه ان لا تصال كان منها فلا كان الانفصال عنها يعني من رزق من باب فليلزمه*وقال رحمه الله تعالى كنت بجامع تلمسان والى جانبي رجل ينتمي الى طريقة العرفان فجعل سائل يشكو الجوع الالم فتصدق ذلك الرجل عليه بدرهم وقال اما الآن تشكو الرحمن الى من لا يرحم فقلت امره أن يسأل عزيزا عولاه ونهاه أن يشكو ذليلا الى سواه*وكان الفارابي كثيرا ما يقول يا رب اليك المشتكى حتى انه يوجد أثناء كلامه في غير موضعه فيعجب منه من لا علم عنده بمنزعه وقال رحمه الله تعالى حدثت أن الفخر يعض شيوخ الصوفية فقيل للشيخ هذا يقيم على الصانع ألف دليل فلو قمت اليه فقال وعزته لو عرفه ما استدل عليه فبلغ ذلك الامام فقال نحن نعلم من وراء الحجاب وهم ينظرون من غير حجاب*وقال رحمه الله تعالى حدثت أن رجلا كان يجلس الى أبي الحسن الحراني وكان يشرب الخمر فسكر ذات يوم فسقط على زجاجة فشج وجهه فاختفى الى ان برئ ثم عاد الى مجالسة الشيخ فلما رآه انشد

أجرحج كاسات ارقت نجيعها * طلب التراث يعز منه خلاص

لا تسفكن دم الزجاجة بعدها * ان الجروح كما علمت قصاص

ففهمها الشاب فتاب*وقال رحمه الله تعالى كثيرا ما كنت اسمع أبا محمد المجاصي ينشد هذا البيت دم الرجال وعيب أن يقال لمن * لم يتصف بمعاني وصفهم رجل

ثم يبكي وكان أهل البلد يسمونه البكاء وبعضهم الخاشع*ووجدت بخط مولاي الجد على ظهر كتابه القواعد ما نصه الحمد لله تعالى وحده قرأت صدر كتاب زهرة البساتين للقاسم ابن الطيلسان ثم سمعت ثلاثة أحاديث من أولا بل حديثا وأثرا وانشادا من في الشيخ الخطيب الصالح أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عياش الانصاري ثم تناولت منه جميع الكتاب المذكور وأجازنيه بحق سماعه لبعضه وتناوله لجميعه من جده محمد المذكور بحق

الكتاب ان شاء الله تعالى وأكثر الخرمية ببلاد خراسان والري وأصبهان وأذربيجان وكرخ أبي دلف والبرج الموضع المعروف بالدور والدرسخان ثم ببلاد الصروان والصيرة وأدلوحان من بلاد ماسبذان وغيرها من تلك الامصار وأكثر هؤلاء في القرى والضياع وسيكون لهم عند أنفسهم شأن وظهور يراعونه وينتظرونه في المستقبل من الزمان ويعرفون هؤلاء بخراسان وغيرها بالباطنية وقد أتينا على مذاهبهم وذكر فرقهم في كتابنا في المقالات فاجتمعت الخرمية حين علمت بقتل أبي مسلم فسارت في عسكر عظيم من بلاد خراسان الى الري فغلب عليها وعلى جرمس وما يليها وقبض على ما كان بالري من خزائن أبي مسلم فكبر جمع بستقاد بمن حوله من اهل الجبال وطبرستان ولما اتصل خبر مسيره بالمنصور سرح اليه جهور بن مروان العجلي في عشرة آلاف رجل وتلاه بالعساكر فالتقوا بين همذان والري على طرف المفازة فاقتتلوا

قتالا شديدا وصبر الفريقان جميعا فقتل بستقاد وولى اصحابه فقتل منهم ستون الفا وسبي منهم سبايا وذراري

أخذه له عن مؤلفه صهره القاسم المذكور وذلك بالمسجد الجامع من مالقة المحروسة قال ذلك وكتبه محمد بن محمد بن أحمد المقري في متم عشرين لشهر ربيع الآخر من عام سبعة وخمسين وسبعمائة *وبخطه رحمه الله تعالى حيث ذكر ما نصه الحمد لله مخالفة القواعد الشرعية للعوائد العرفية كانكار الحشر وفتنة القبر ونحوهما من الامر بالمعروف للركون الى المشهور المألوف اوكالتقليد مع الدليل الذي ذمه الشرع في محكم التنزيل *وبخطه أيضا الحمد لله قد تتابع صفات العام حتى يصير كأنه أشير به الى شخص بعينه فيختص ومن ثم قيل في قول الله عز وجل ولا تطع كل حلاف مهين انه الاخنس بن شريق وفي قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة انه امية بن خلف وفي قوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا انه الوليد ابن المغيرة انتهى *ووجد بخطه أيضا رحمه الله تعالى ما نصه الحمد لله قال لي المتوكل على الله أبو عنان أمير المؤمنين فارس بن علي كان جدنا أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق يقول الولايات ست ثلاث وقفتها على اختياري الحجابة والقصبة والشرطة وثلاث موكولة الحكم القضاء والامامة والحسبة ثم قال رحمه الله تعالى وهذا تدبير حسن *ومن فوائده حدثني العدل أبو عبد الله محمد بن أبي زرع عن القاضي أبي عبد الله بن أبي الصبر أنه أمر الوالي بفاس أن يبني فندق الشماعين وكان قد خرب فتوقف حتى يأذن السلطان فقال له أسلفني ما ابنيه به فان أجاز ذلك السلطان والا رددته عليك ففعل فلما طولب ذكر ما قال له القاضي فغضب السلطان و بعث فيه فجعل المبعوثون يأتونه واحدا بعد واحد وهو مشتغل في وضوئه واصلاح برنسه وم كوبه ثم جعل يمشي الهوينى فلقيه ابنه فقال له أسرع فقد أكثر السلطان من التوجيه اليك وهو واجد عليك فقال له مسكين أبو يحيى خاف ونبت على حاله فلما كان في الطريق لقي بعض العلماء تعرض اليه فقال قل يا خفي لطفك بلطيف صنعك بجميل سترك دخلت في كنفك تشفعت بنبيك فحفظه ثم طلبه فلم يجده فجعل يقول ذلك فلما رآه السلطان سكن ما به ثم سأله عن ذلك برفق فقال له القاضي كرهت الخراب بقرب القرويين و بالشماعين الذي هو عين فاس فسألت الوالي ذلك على أني أغرم ان لم تجز وقلت له المرجو من السلطان أن يجعله حبسا فقال قد فعلت ثم بعث الى الشهود وحبسه على الجامع وشكر للقاضي صنيعه وصرفه مغبوطا وهذا السلطان هو أبو يعقوب يوسف بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني وتوفي محاصر التلمسان في ذي القعدة من عام ستة وسبعمائة وكان ابتداء حصاره اياها سنة ثمان وتسعين وستمائة وكان جملة الحصار فيما حدثت ألف شهر انتهى * ومن فوائد مولاي الجد رحمه الله تعالى ما حكاه تلميذه أبو اسحق الشاطبي في كتاب الانشادات والافادات ونصه افادة حضرت يوما مجلسا في المسجد الجامع بغرناطة مقدم الاستاذ القاضي أبي عبد الله المقري في أواخر ربيع الاول عام سبعة وخمسين وسبعمائة وقد جمع ذلك المجلس القاضي أبا عبد الله والقاضي أبا القاسم الشريف شيخنا والاستاذ أبا سعيد بن لب والاستاذ أبا عبد الله البلنسي وذا الوزارتين أبا عبد الله بن الخطيب وجماعة من الطلبة فكان من جملة ما جرى أن قال القاضي أبو عبد الله المقري سئلت عن مسئلة في الاصول لم أجد لاحد فيها نصا وهي تخصيص العام المؤكد

وفي سنة خمس وأربعين كان ظهور محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم بالمدينة وكان قد بويع له في الامصار وكان يدعى بالنفس الزكية لزهده ونسكه وكان مستخفيا من المنصور ولم يظهر حتى قبض المنصور على أبيه عبد الله بن الحسن وعمومته وكثير من أهله وعدتهم ولما ظهر محمد بن عبد الله بالمدينة دعا المنصور ابا مسلم العقيلي وكان شيخا ذا رأي وتجربة فقال له اشر علي في خارجي خرج علي قال صف لي الرجل قال رجل من ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا علم وزهد وورع قال فمن تبعه قال ولد علي وولد جعفر وعقيل وولد عمر بن الخطاب وولد الزبير وسائر قريش وأولاد الانصار قال له صف لي البلد الذي قام به قال بلد ليس به زرع ولا ضرع ولا تجارة واسعة ففكر ساعة ثم قال اشحن يا أمير المؤمنين البصرة بالرجال فقال المنصور في نفسه قد خرف الرجل أساله عن خارجي خرج بالمدينة يقول لي اشحن البصرة بالرجال فقال له انصرف يا شيخ ثم لم يكن الا يسيرا حتى ورد الخبر ان ابراهيم قد ظهر بالبصرة فقال المنصور علي بالعقيلي

عنفصل فاجيبت بالجواز محتجا بقول الله عز وجل قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن فهذا عام مؤكد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحل الله من الفواحش الا مسئلة الناسى انتهى ❊ ومن الكتاب المذكور ما نصه افادة حدثنى الشيخ الفقيه القاضى الجليل الشهير الخطير أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقرى رحمه الله تعالى وأملاه علينا عن العالم الكبير أبى حيان بن يوسف بن حيان انه قال ورد كتاب من الاستاذ أبى عبد الله بن منيت الغرناطى الى صاحب له يسمى حمزة وفيه سئل الشيخ قال أبو حيان يعنى وجدت على ظهر نسخة من المفصل بخط عتيق سئل ابن الاخضر بحضرة ابن الابرش علام انتصب قوله ❊ مقالة أن قد قلت سوف أناله ❊ فقال ❊ ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى فقال سألتك عن اعراب كلمة فاجبتنى بشطر بيت فقال ابن الابرش قد أجابك لو كنت تفهم قال أبو حيان فوقعت عليه للعين ان هذا الشطر من قول النابغة

أتانى أبيت اللعن أنك لمتنى ❊ وتلك التى تصطك منها المسامع
مقالة أن قد قلت سوف أناله ❊ وذلك من تلقاء مثلك رائع

يروى مقالة بالرفع على أنه بدل من أنك لمتنى الفاعل و بالفتح على ذلك الا أنه بناه لما أضافه الى مبنى ❊ ومنه افادة حدثنى الشيخ الفقيه القاضى أبو عبد الله المقرى رحمه الله تعالى قال سئل أبو العباس بن البناء رحمه الله تعالى وكان رحلا صالحا فى قوله تعالى قالوا ان هذان لساحران لم لم تعمل ان فى هذا فقال لما لم يؤثر القول فى المقول لم يؤثر العامل فى المعمول فقال له يا سيدى هذا لا ينهض جوابا فانه لا يلزم من بطلان قولهم بطلان عمل ان فقال له ان هذا الجواب نوارة لا تحتمل أن تحك بين الاكف انتهى ❊ ومنه افادة قال لنا الشيخ الاستاذ القاضى أبو عبد الله المقرى رحمه الله تعالى ان أهل المنطق وغيره يزعمون أن الاسماء المعدولة لا تكاد توجد فى كلام العرب وهى موجودة فى القرآن وذلك قوله لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فان زعم زاعم أن ذلك على حذف المبتدا ودخلت لا على الجملة وتقديره لا هى فارض ولا هى بكر قيل له ان كان يسوغ لك ذلك فى هذا الموضع فلا يسوغ فى قوله تعالى لا شرقية ولا غربية فصح أن الاسم المعدول موجود فصيح فى كلام العرب ❊ ومنه افادة حدثنا الاستاذ أبو عبد الله المقرى قال سئل عن قوله تعالى وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون لم عاد ضمير من يعقل الى ما لا يعقل فقال بعضهم لما اشترك مع من يعقل فى السباحة وهى العوم عومل لذلك معاملته قال وهذا لا ينهض جوابا فان السباحة لما لا يعقل كالحوت وانما لمن يعقل العوم لا السباحة وأيضا فالحاقه بما العوم له لازم كالحوت أولى من الحاقه بما هو غير لازم له قال وأجاب الاستاذ أبو محمد عبد المهيمن الحضرمى السبتى بان الشئ المعظم عند العرب تعامله معاملة العاقل وان لم يكن عاقلا لعظمه عندهم وأجبت أنا بانه لما عوملت فى غير هذا الموضع معاملة من يعقل فى نحو قوله تعالى والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين لصدور أفعال العقلاء عنها أجرى عليها هنا ذلك الحكم للانس به فى موضعه ❊ ومنه افادة لقمنى الشيخ الفقيه القاضى أبو عبد الله المقرى رحمه الله تعالى لقمة بيده المباركة وقال لقمنى الشيخ أبو عبد الله المسفر قال لقمنى أبو زكريا المحياوى قال لقمنى

البصرة أو كان عندك من البصرة علم قال لا ولكن ذكرت لى خروج رجل اذا خرج مثله لم يتخلف عنه أحد ثم ذكرت لى البلد الذى هو فيه فاذا هو ضيق لا يحتمل الجيوش فقلت انه رجل سيطلب غير موضعه ففكرت فى مصر فوجدتها مضبوطة والشام والكوفة كذلك وفكرت فى البصرة فخفت عليها منه فأشرت بشحنها فقال له المنصور أحسنت وقد خرج بها أخوه فما الرأى فى صاحب المدينة قال ترميه بمثله اذا قال أنا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا وأنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المنصور لعيسى ابن موسى اما أن تخرج اليه وأقيم أنا أمدك بالجيوش واما أن تكفينى ما أخلف ورائى وأخرج أنا اليه فقال عيسى بل أقيك بنفسى يا أمير المؤمنين وأكون الذى يخرج اليه فأخرجه اليه من الكوفة فى أربعة آلاف فارس وألفى راجل واتبعه محمد بن قحطبة فى جيش كثيف فقاتلوا محمدا بالمدينة حتى قتل وهو ابن خمس وأربعين سنة ولما اتصل بابراهيم قتل أخيه

محمد بن عبد الله وهو بالبصرة صعد المنبر فنعاه وتمثل أبا المنازل يا خير الفوارس من ❊ يفجع بمثلك فى الدنيا فقد فجعا

أبو محمد صالح قال لقمني الشيخ أبو مدين قال لقمني أبو الحسن بن حرزهم قال لقمني ابن العربي قال لقمني الغزالي قال لقمني أبو المعالي قال لقمني أبو طالب المكي قال لقمني أبو محمد الجريري قال لقمني الجنيد قال لقمني السقطي قال لقمني معروف الكرخي قال لقمني داود الطائي قال لقمني حبيب العجمي قال لقمني الحسن البصري قال لقمني علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال لقمني رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت وبهذا السند صافحته أيضا رضي الله تعالى عنه انتهى وللمحدثين في هذا السند كلام مشهور وانتصر بعضهم للسادة الصوفية رضي الله تعالى عنهم * ومنه انشادة أنشدني الشريشي الفقيه أبو عبد الله قال أنشدني القاضي المقري قال أنشدني الرباطي قال أنشدني ابن دقيق العيد لنفسه من صدر رسالة كتب بها لبعض اخوانه بالحجاز

يهيم قلبي طربا عندما * أستلمح البرق الحجازيا
ويستميل الوجد قلبي وقد * أصبح لي ثوب الحجا زيا
ياهل أقضي من منى حاجتي * فأنحر البدن المهاريا
وأرتوي من زمزم فهي لي * ألذ من ريق المهاريا

ومنه افادة حدثنا الاستاذ القاضي أبو عبد الله المقري رحمه الله تعالى قال رأيت لبعض من ألف على كتاب الكشاف للزمخشري فائدة لم أرها لغيره في قوله تعالى والراسخون في العلم اذ الناس يختلفون في هذا الموضع اختلافا كثيرا فقال قوم الراسخون في العلم يعلمون تأويله والوقوف عند قوله والراسخون في العلم وقال قوم ان الراسخين لا يعلمون تأويله وانما يوقف عند قوله وما يعلم تأويله الا الله فقال هذا القائل ان الآية من باب الجمع والتفريق والتقسيم من أنواع البيان وذلك لان قوله تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب هو جمع وقوله منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات تفريق وقوله تعالى فأما الذين في قلوبهم زيغ الى قوله تعالى وابتغاء تأويله أحد طرفي التقسيم وقوله تعالى والراسخون في العلم الطرف الثاني وتقديره وأما الراسخون في العلم فيقولون آمنا به وجاء قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله اعتراضا بين طرفي التقسيم قال وهذا مثل قوله تعالى وأنا منا المسلمون الآية فقوله وأنا جمع وقوله منا المسلمون ومنا القاسطون تفريق وقوله فمن أسلم وأما القاسطون تقسيم وهو من بديع التفسير قلت ومثله أيضا قوله تعالى يوم يأتي لا تكلم نفس الا باذنه الآيات انتهى * ومنه انشادة أنشدنا الشيخ الفقيه القاضي أبو عبد الله المقري في القول بالموجب لبعض العلماء في وديعة

ان قال قد ضاعت فصدق أنها * ضاعت ولكن منه يعني لو يعي
أو قال قد وقعت فصدق أنها * وقعت ولكن منه أحسن موقع

ومنه انشادة أيضا من القول بالموجب لبعض الحنابلة

يحجون بالمال الذي يجمعونه * حراما الى البيت العتيق المحرم
ويزعم كل أن تحط ذنوبهم * تحط ولكن فوقهم في جهنم

* ومنه افادة كتب لي بخطه شيخنا الفقيه القاضي الجليل أبو عبد الله المقري رحمه الله تعالى

وقد كان تفرق اخوة محمد وولده في البلدان يدعون الى امامته فكان فيمن توجه ابنه علي بن محمد الى مصر فقتل بها وسار عبد الله الى خراسان فهرب الى السند فقتل هناك وسار ابنه الحسن الى اليمن فحبس فمات في الحبس وسار أخوه موسى الى الجزيرة ومضى أخوه يحيى الى الري وطبرستان وكان من خبر الرشيد ما سنورده فيما يرد من هذا الكتاب ومضى أخوه ادريس بن عبد الله الى المغرب فأجابه خلق من الناس وبعث المنصور من اغتاله فيما احتوى عليه من مدن المغرب وقام ولده ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن مقامه فعرف البلد بهم فقيل بلد ادريس بن ادريس وقد أتينا على خبرهم عند ذكرنا لخبر عبد الله صاحب المغرب وبنائه المدينة المعروفة بالمهدية وخبر أبي القاسم وانتقالهم من مدينة سلمية من أرض حمص الى المغرب في الكتاب الاوسط ومضى ابراهيم أخوه الى البصرة وظهر بها فأجابه أهل فارس والاهواز وغيرهما من الامصار في عساكر كثيرة من الزيدية وجماعة ممن يذهب الى قول البغداديين من المعتزلة وغيرهم ومعه عيسى بن

على ظهر التسهيل لابن مالك الذي كتبته بخطي بعدما كتب لي بخطه روايته فيه عن أبي الحسن بن مزاحم عن بدر الدين بن جماعة عن المؤلف فكتب بعد ذلك ما نصه قال محمد بن محمد المقري بدر الدين بن جماعة المذكور يدعى بقاضي القضاة على ما جرت به عوائد أهل المشرق في تسمية مثله وأنا أكره هذا الاسم محتجا بقول النبي صلى الله عليه وسلم ان اخنع اسم عند الله يوم القيامة رجل تسمى بملك الملوك لا ملك الا الله انتهى ما انتقيته من كتاب الانشادات والافادات للشاطبي فيما يتعلق بجدي رحمه الله تعالى (ومن فوائد مولاي الجد رحمه الله) مما لم يذكر فيما سبق أنه حكى أن ابن احوط الموله دخل في حلقة أبي عبد الله بن رشيد بجامع القرويين وبين رجليه قصبة كأنها فرس وبيده أخرى كأنها رمح فانتهره رجل فضربه برمحه على رأسه وقال له اسكت ياميت فابهت الناس لكلامه فقال له الشيخ يافقير أنت في حال ونحن في مقال وشأن أرباب الاحوال التسليم لاصحاب المقال فنظر اليه الموله وانصرف ثم لم ينشب المنتهر أن توفي بعد ذلك بايام قلائل * ومنها قلت لابن شاطر يوما كيف حالك فقال محبوس في الروح وصدق لان الدنيا سجن المؤمن ولا مخلص له من حبسه الا بمفارقة نفسه وقال سألت ابن شاطر عن معنى قول ابن الفارض

فلم اله باللاهوت عن حكم مظهري * ولم أنس بالناسوت موضع حكمتي

فقال يقول ما أنا بالحلاج ولا بابن عام ثم قال مولاي الجد بعد هذا الكلام ما صورته قلت وهذا هو الانسان على الكمال والتمام ولقد سمعته يقول في الحلاج نصف انسان يشير الى البيت وقال أيضا رحمه الله تعالى سمع ابن شاطر انسانا يقول الجنة رخيصة فقال كيف تكون رخيصة والله عز وجل يقول ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة انتهى ثم قال مولاي الجد بإثر هذا الكلام قلت ما الانفس والاموال في جنب ما فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لا سيما وفوق هذه الحسنى زيادة الاكرام بالنظر والرضا * وقال أيضا قيل لابن شاطر صف لنا الدنيا فقال كسراب بقيعة الآيتين فبلغ ذلك أبا زيد بن الامام فانكر عائبا الاستحسان سامعه تاليا يحرفون الكلم عن مواضعه ولقد أصيب المتعسف بادهى منها وأمر فانه انخم يوما بعض أهل النظر وتلى عليه فبهت الذي كفر على أن له أن يقول لم أخرج الآية عن مرادها فالبهت من انقطاع المعاند والكفر من جحد الجاحد ولنا أن نقول التحريف المذموم هو التحويل للابطال وليس هذا من قصد الممثل الاول بالمثال انتهى وهذا كله على مذهب جمهور المالكية في منع الاقتباس وللكلام على ذلك موضع غير هذا فليراجع في كتب البيان وغيرها *وقال رحمه الله تعالى حدثت أن المتوكل على الله أبا عنان رحمه الله تعالى أعطى ابن شاطر ألف دينار ليحج بها فربها الى تلمسان فصار يدفع منها شيأ فشيأ للمتفرجين بغدير الوريط شرقي عباد تلمسان العلوي الى أن نفدت فلما ورد السلطان أبو عنان تلمسان لقيه بسوق العطارين من منشر الجلد فقال له ياسيدي أبا عبد الله حج مبرور فقال له اذا جهلت أصل المال فانظر مصارفه ويأبى الله الا أن ينفق الخبيث في مثله فضحك السلطان وانصرف انتهى * وكان لابن شاطر هذا عجائب ولم يكن محلا بشيء من الحقوق الشرعية وكان معتقدا عند أهل وقته

اليه المنصور عيسى بن موسى وسعيد بن مسلم في العساكر فحارب حتى قتل في الموضع المعروف بباخمرى وذلك على ستة عشر فرسخا من الكوفة من أرض الطف وهو الموضع الذي ذكرته الشعراء ممن رثى ابراهيم فمن ذكر ذلك دعبل بن علي في قصيدة أولها

مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزل وحي مقفر العرصات

ومنها قوله فيهم

قبور بكوفان وأخرى بطيبة
وأخرى بفخ ما لها صلوات
وأخرى بأرض الجوزجان محلها
وقبر بباخمرى لدى الغربات

وقتل معه من الزيدية من شيعته أربعمائة رجل وقيل خمسمائة وروى بعض الاخباريين عن حماد التركي قال كان المنصور نازلا في دير على شاطئ دجلة في الموضع الذي يسمى اليوم الخلد غربي مدينة السلام اذ أتى الربيع في وقت الهاجرة والمنصور في البيت الذي هو فيه وحماد قاعد على الباب فقال يا حماد افتح الباب فقلت الساعة هجع أمير المؤمنين فقال افتح ثكلتك أمك قال فسمع المنصور كلامه فنهض ففتح الباب بيده وتناول منه الخريطة فقرأ ما فيها من الكتب وتلا هذه الآية وألقينا بينهم العداوة

المفسدين ثم أمر باحضار الناس والقواد والموالى وأهل بيته وأصحابه وأمر حمادا التركى باسراج الخيل وأمر ابن مجالد بالتقدم ثم خرج فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال

مالى أكفكف عن سعد وتشتمنى
وان شتمت بنى سعد لقد سكنوا
جهلا علينا وجبنا عن عدوهم
لبئست الخصلتان الجهل والجبن

أما والله لقد عجزوا عن أمر قناله فما شكروا ولا حمدوا الكافى ولقد مهدوا فاستوعروا وغبطوا فغمطوا فاذا أحاول منى أسقى رنقا على كدر كلا والله لأن أموت معززا أحب الى من أن أحيا مستذلا ولئن لم يرض العفو منى ليطلبن مالا يوجد عندى والسعيد من وعظ بغيره ثم نزل فقال ياغلام قدم فركب من فوره الى معسكره وقال اللهم لا تكلنا الى خلقك فنضيع ولا الى أنفسنا فنعجز * وذكر ان المنصور هيئت له عجة من مخ وسكر فاستطابها فقال أراد ابراهيم يحرمنى هذا وأشباهه (وذكر) أن المنصور قال يوما لجلسائه بعد قتل محمد وابراهيم تالله

وكان السلطان أبو عنان على فقهه يعظمه ويصله ويسلم له وبات عنده ليلة بقصره وكان يدخل القصر ولا تحتجب منه الجوارى فاحتاج الى البول فبال فى قبة فى القصر عظيمة فانتهرته احدى الجوارى وقالت له أتبول فى قبة مولانا فقال لها ان قبة مولانا الخضراء أعظم من هذه وأنا أفعل تحتها ماهو أفظع من البول وما انتهرنى قط فذكرت ذلك الجارية للسلطان فضحك وعلم انه يريد السماء وكان يكتب القرآن والعمدة ولا يغلق حرفا مجوفا فاذا غلب على ذلك أصلحه حتى حكى انه سافر لاصلاح حرف مجوف اغلقه سهوا من نسخة كان باعها ولم يتذكر ذلك حتى سافر مشتريها فما رجع حتى جدده * وحكى الشيخ أبو القاسم بن داود الفخار السلوى أن الشيخ أبا عبد الله الشريف التلمسانى صاحب المفتاح فى أصول الفقه وشارح الجمل الخونجية المتوفى عام اثنين وسبعين وسبعمائة المدفون بالمدرسة اليعقوبية من تلمسان المحروسة افتتح شرح العمدة بما نصه اللهم احمد نفسك عمن أمرته أن يحمدك وكيلا حمدا عائدا منك اليك متحدا بك دائما بدوام ملكك لا منقطعا ولا مفصولا قال فقال لى أبو عبد الله بن شاطر ماهو انفصال عالم الملك فقلت له بالضرورية الوقتية فقال لى ما أجهلك واجهل سيدك أبا عبد الله واجهل ابن سودكين الذى أخذ من كتابه هذا الحمد اذ قال لا منقطعا ولا مفصولا بعد قوله بدوام ملكك وهو بالضرورية الوقتية وهى منقطعة فهلا قال دائما بدوام قيوميتك وعظيم قدرك ومجدك الاعلى وسبحات وجهك الاكرم لا منقطعا ولا مفصولا فبلغ ذلك أبا عبد الله الشريف فبدله انتهى وأخبار ابن شاطر كثيرة وقدمر ذكره فى كلام مولاى الجد رحمه الله تعالى وسيأتى ماذكره لسان الدين به فى الاحاطة * ومن فوائد مولاى الجد رحمه الله تعالى ماقاله اثر قول الرازى فى التفسير الحس أقوى من العقل ونصه هذا على ماحكاه فى المحصل من ان المعقولات فرع المحسوسات قال ولذلك من فقد حسا فقد فقد علما كالاكمه والعنين ومذهب جمهور الفلاسفة أن اليقينيات هى المعقولات لا المحسوسات انظر المحصل انتهى * ومن فوائده رحمه الله تعالى أنه قال أنشدت يوما الابلى قول ابن الرومى

أفنى وأعمى ذا الطبيب بطبه * وبكحله الاحياء والبصراء
فاذا مررت رأيت من عميانه * أمما على أمواته قراء

فاستعادنى حتى عجبت منه مع ما أعرف من عدم ميله الى الشعر وانفعاله وظننت أنه أعجب بما تضمنه البيت الاول من غريب اللف والنشر المكرر الذى لا أعرف له ثانيا فيه فقال أظننت أنى استحسنت الشعر فقلت مثلك يستحسن مثل هذا الشعر فقال انما تعرفت منه كون العميان كانوا فى ذلك الزمان يقرؤن على المقابر فانى كنت أرى ذلك حديث العهد فاستفدت التاريخ * وقال مولاى الجد رحمه الله تعالى حدثنى الابلى أن أبا عبد الله محمد بن عبد الرحيم ابن أبى العيش الخزرجى الخطيب بتلمسان كان يقول فى خطبته من يطع الله ورسوله فقد رشد بالكسر وكان الطلبة ينكرون عليه ذلك فلما وردعليهم الراوية الرحلة أبو عبد الله محمد ابن عمر بن رشيد الفهرى سمعه يقول ذلك فأنكر عليه فى جماعتهم وبلغ الخطيب ذلك فلم يرجع فلما قفل ابن رشيد من وجهته تلك دخل على الاستاذ أبى الحسن بن أبى الربيع بسبتة

فهنأه بالقدوم وقال له فيما قال رشدت يا ابن رشيد ورشدت لغتان صحيحتان حكاهما يعقوب في الاصلاح ثم قال مولاي الجد قلت هذه كرامة للرجلين أو للثلاثة * وقال رحمه الله تعالى قال طالب لشيخنا الابلي يوما مفهوم اللقب صحيح فقال له الشيخ قل زيد موجود فقال زيد موجود فقال له الشيخ أما أنا فلا أقول شيأ فعرف الطالب ما وقع فيه فخجل وهذا الابلي تقدم في كلام مولاي الجد رحمه الله تعالى أنه عالم الدنيا وهو تلمساني كما تقدم قال تلميذه أبو القاسم السلوي الفخار دخل على شيخنا الابلي يوما وأنا أعجن طين الفخارة فقال لي ما علامة قبول هذه المادة أكمل صورة ترد عليها فقلت أن تدفع عن نفسها ما هو من غير جنسها من حجر أو زبل أو غيره فادركه وجد عظيم حتى انه صاح وقام وقعد وبقي هنيأة مطرقا برأسه مفكرا ثم قال هكذا هي النفوس البشرية * قال وقال لي يوما وقد وجد الصبيان يصوتون بقصب رقاق على الذباب فاذا خرج قتلوه الغلط الداخل عليه من أي أنواع المغلطات هو فقلت له من ايهام العكس لما كان كل ذباب مصوتا ظن أن كل مصوت ذباب فاستحسن ذلك * قلت وحدثني مولاي العم الامام شيخ الاسلام سيدي سعيد بن أحمد المقري رحمه الله تعالى عن شيخه ابن جلال مفتي حضرتي فاس وتلمسان أنه كان يحكي أن الغلط جاءه من عدم كلية الكبرى في الشكل الاول لانه ركبه هكذا هذا مصوت وكل مصوت ذباب وقد علمت انها هنا انما تصدق جزئية لا كلية واذا كانت جزئية بطل الانتاج لان ذلك من الضروب العقيمة انتهى * ومن فوائد مولاي الجد رحمه الله تعالى أنه قال سمعت شيخنا الابلي يقول ما في الامة المحمدية اشعر من ابن الفارض * وقال أيضا رحمه الله تعالى سمعت شيخنا الابلي يقول انما أفسد العلم كثرة التواليف وانما اذهبه بنيان المدارس وكان ينتصف له من المؤلفين والبانين وانه لكما قال غير أن في شرح ذلك طولا وذلك أن التاليف نسخ الرحلة التي هي أصل جمع العلم فكان الرجل ينفق فيها المال الكثير وقد لا يحصل له من العلم الا النزر اليسير لأن عنايته على قدر مشقته في طلبه ثم صار يشتري أكبر ديوان بابخس ثمن فلا يقع منه أكبر من موقع ما عوض عنه فلم يزل الامر كذلك حتى نسي الاول بالآخر وأفضى الامر الى ما يسخر منه الساخر وأما البناء فلانه يجذب الطلبة الى ما يرتب فيه من الجرايات فيقبل بها على من يعينه أهل الرياسة للاجراء والاقراء منهم أو ممن يرضى لنفسه الدخول في حكمهم ويصرفونها عن أهل العلم حقيقة الذين لا يدعون الى ذلك وان دعوا لم يجيبوا وان أجابوا لم يوفوا لهم بما يطلبون من غيرهم ثم قال مولاي الجد رحمه الله تعالى ولقد استباح الناس النقل من المختصرات الغريبة أربابها ونسبوا ظواهر ما فيها الى أمهاتها وقد نبه عبد الحق في تعقيب التهذيب على ما يمنع من ذلك لو كان من يسمع وذيلت كتابه بمثل عدد مسائله أجمع ثم تركوا الرواية فكثر التصحيف وانقطعت سلسلة الاتصال فصارت الفتاوى تنقل من كتب من لا يدري ما زيد فيها مما نقص منها لعدم تصحيحها وقلة الكشف عنها ولقد كان أهل المائة السادسة وصدر السابعة لا يسوغون الفتوى من تبصرة الشيخ أبي الحسن اللخمي لكونه لم يصحح على مؤلفه ولم يؤخذ عنه وأكثر ما يعتمد اليوم ما كان من هذا النمط ثم انضاف الى ذلك عدم الاعتبار بالناقلين فصار يؤخذ من كتب المسخوطين كما يؤخذ من كتب المرضيين بل لا تكاد تجد من

مارأيت رجلا أفصح من الحجاج لبني مروان فقام المسيب بن زهرة الضبي فقال يا أمير المؤمنين ما سبقنا الحجاج بأمر تخلفنا عنه والله ما خلق الله على جديد الارض خلقا أعز علينا من نبينا صلى الله عليه وسلم وقد أمرتنا بقتل أولاده فأطعناك وفعلنا ذلك فهل نصحناك أم لا قال له المنصور اجلس لا جلست وقد ذكرنا أنه كان قبض على عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنه وكثير من أهل بيته وذلك في سنة أربع وأربعين ومائة في منصرفه الى الحج فحملوا من المدينة من الربذة من جادة العراق وكان ممن حمل مع عبد الله ابن الحسن ابراهيم بن الحسن بن الحسن وأبو بكر ابن الحسن بن الحسن وعلي الخير وأخوه العباس وعبد الله بن الحسن بن الحسن والحسن بن جعفر ابن الحسن بن الحسن ومعهم محمد بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان بن عفان أخو عبد الله بن الحسن بن الحسن لامه فاطمة ابنة الحسين بن علي وجدتهما فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجرد المنصور بالربذة محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان فضربه ألف سوط وسأله عن ابني أخيه محمد وابراهيم فانكر أن يعرف مكانهما فسالت جدته العثماني

يفرق بين الفريقين ولم يكن هذا فيمن قبلنا فلقد تركوا كتب البراذعى على نبلها ولم يستعمل منها على كره من كثير منهم غير التهذيب الذى هو المدونة اليوم لشهرة مسائله وموافقته فى أكثر ما خالف فيه المدونة لابى محمد ثم كل أهل هذه المائة عن حال من قبلهم من حفظ المختصرات وشق الشروح والاصول الكبار فاقتصروا على حفظ ما قل لفظه ونزر حظه وأفنوا أعمارهم فى فهم رموزه وحل لغوزه ولم يصلوا الى رد ما فيه الى أصوله بالتصحيح فضلا عن معرفة الضعيف من ذلك والصحيح بل هو حل مقفل وفهم أمر مجمل ومطالعة تقييدات زعموا انها تستنهض النفوس فبينا نحن نستكبر العدول عن كتب الائمة الى كتب الشيوخ أتيحت لنا تقييدات للجهلة بل مسودات المسوخ فانا لله وانا اليه راجعون فهذه جملة تهديك الى أصل العلم وتريك ما غفل الناس عنه انتهى

﴿ولنصلها بخاتمة تشير الى حال العلماء أيضا اعلم أن شر العلماء علماء السلاطين ولالعلماء معهم أحوال فكان الصدر الاول يفرون منهم وهم يطلبونهم فاذا حضر واحد منهم أفرغوا عليه الدنيا افراغا ليقتنصوا بذلك غيره ثم جاء أهل العصر الثانى فطمعت أنفسهم الى دنيا من حصل لهم ومنعهم قرب العهد بالخير عن اتيانهم فكانوا لا يأتونهم فان دعوهم أجابوهم الا القليل فانتقصوا وانما كان لغيرهم بقدر ما نقصوا من منابذتهم ثم كان فيمن بعدهم من يأتيهم بلا دعوة وأكثرهم ان دعى أجاب فانتقصوا بقدر ذلك أيضا ثم تطارح جمهور من بعدهم عليهم فاستغنوا بهم عن دعاء غيرهم لا على جهة الفضل او محبة المدحة منهم فلم يبقوا عليهم من ذلك الا النزر اليسير وصرفوهم فى أنواع السخر والخدم الا القليل وهم ينتظرون صرفهم والتصريح بالاستغناء عنهم وعدم الحاجة اليهم ولا تستعظم هذا فلعله سبب اعادة الحال جذعة عجب الله من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل وهذا كله ليظهر للبصر قول النبى صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه خلفهم قيل اليهود والنصارى قال فمن وقد قص علينا القرآن والاخبار من امرهم ما شاهدنا اكثره اوا كثر منه فينا سمعت العلامة الابلى يقول لولا انقطاع الوحى لنزل فينا اكثر مما نزل فيهم لانا اتينا اكثر مما اتوا يشير الى افتراق هذه الامة على اكثر مما افترقت عليه بنو اسرائيل واشتهار باسمهم بينهم الى يوم القيامة حتى ضعفوا بذلك عن عدوهم وتعددملوكهم لاتساع أقطارهم واختلاف انسابهم وعوائدهم حتى غلبوا بذلك على الخلافة فنزعت من ايديهم وساروا فى الملك بسير من قبلهم مع غلبة الهوى واندراس معالم التقوى لكنا آخر الامم أطلعنا الله من غيرنا على أقل مما استرمنا وهو المرجو أن يتم نعمته علينا ولا يرفع ستره الجميل عنا فمن أشد ذلك ابتلاء انا لعرضنا تحريف الكلم عن مواضعه الصحيح أن ذلك لم يكن بتبديل اللفظ اذ لا يمكن ذلك فى المشهورات من كتب العلماء المستعملة فكيف فى الكتب الالهية وانما كان ذلك بالتأويل كما قال ابن عباس وغيره وأنت تبصر ما اشتملت عليه كتب التفسير من الخلاف وما حلت الآى والاخبار من التأويلات الضعاف قيل لمالك لم اختلف الناس فى تفسير القرآن فقال قالوا بآرائهم فاختلفوا وأين هذه من قول الصديق أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى اذا قلت فى كتاب الله

غربهم المنصور فى قبته على الجمارة فصاح به عبد الله ابن الحسن يا أبا جعفر ما هكذا فعلنا بكم يوم بدر فصيرهم الى الكوفة وحبسوا فى سرداب تحت الارض لا يفرقون بين ضياء النهار وسواد الليل وخلى منهم سليمان وعبد الله ابنا داود بن الحسن بن الحسن وموسى بن عبد الله ابن الحسن والحسن بن جعفر وحبس الآخرين ممن ذكرنا حتى ماتوا وذلك على شاطئ الفرات بالقرب من قنطرة الكوفة ومواضعهم بالكوفة تزار فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان قد هدم عليهم الموضع وكانوا يتوضئون فى مواضعهم فاشتدت عليهم الرائحة فاحتال بعض مواليهم حتى أدخل اليهم شيأ من الغالية فكانوا يدفعون بشمها تلك الروائح المنتنة وكان الورم فى اقدامهم فلا يزال يرتفع حتى يبلغ الفؤاد فيموت صاحبه وذكر انهم لما حبسوا فى هذا الموضع أشكل عليهم أوقات الصلاة فجزؤا القرآن خمسة أجزاء فكانوا يصلون الصلاة على فراغ كل واحد منهم من حزبه وكان عدد من بقى منهم خمسة فمات اسمعيل بن الحسن فترك عندهم فجيف

عز وجل برأى كيف وبعض ذلك قد انحرف عن سبيل العدل الى بعض الميل وأقرب ما يحمل عليه جمهور اختلافهم أن يكون بعضهم قد علم بقصد الى تحقيق نزول الآية من سبب أو حكم أو غيرهما وآخرون لم يعلموا ذلك على التعيين فلما طال بحثهم وظنوا وعجزهم أرادوا تصوير الآية بما يسكن النفوس الى فهمها فى الجملة ليخرجوا عن حد الابهام المطلق فذكروا ما ذكروه على جهة التمثيل لا على سبيل القطع بالتعيين بل منه ما لا يعلم انه اريد لا عموما ولا خصوصا لكنه يجوز أن يكون المراد فان لم يكن اياه فهو قريب من معناه ومنه ما يعلم انه مراد لكن بحسب الشركة والخصوصية مع جواز أن يكون هو المراد بحسب الخصوصية ثم اختلط الامران والحق أن تفسير القرآن من أصعب الامور فالاقدام عليه جراءة وقد قال الحسن لابن سيرين تعبر الرؤيا كانك من آل يعقوب فقال له تفسر القرآن كانك شهدت التنزيل وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يفسر من القرآن الا آيات معدودة وكذلك أصحابه والتابعون بعدهم وتكلم أهل النقل فى صحة التفسير المنسوب لابن عباس اليه الى غير ذلك ولا رخصة فى تعيين الاسباب والناسخ والمنسوخ الا بنقل صحيح أو برهان صريح وانما الرخصة فى تفهيم ما تفهمه العرب بطباعها من لغة واعراب وبلاغة لبيان اعجاز ونحوها انتهى (ولنرجع الى بقية أنباء مولاى الجد رحمه الله) فنقول قال صاحب نيل الابتهاج بتطريز الديباج ما صورته محمد بن محمد بن أحمد القرشى التلمسانى الشهير بالمقرى بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة كذا ضبطه الشيخ عبد الرحمن الثعالبى فى كتابه العلوم الفاخرة وضبطه ابن الاحمر فى فهرسته وسيدى أحمد زروق بفتح الميم وسكون القاف الامام العلامة النظار المحقق القدوة الحجة الجليل الرحلة احد فحول أكابر علماء المذهب المتأخرين الاثبات قاضى الجماعة بفاس ذكره ابن فرحون فى الاصل يعنى الديباج وأثنى عليه انتهى وقال الخطيب ابن مرزوق كان صاحبنا المقرى معلوم القدر مشهور الذكر بالخير تبعه بعد موته من حسن الثناء وصالح الدعاء ما يرجى له النفع به يوم اللقاء وعوارفه معلومة عند الفقهاء ومشهورة بين الرعاء انتهى وقال أبو العباس الونشريسى فى بعض فوائده ومقرة بفتح الميم بعدها قاف مفتوحة مشددة قرية من قرى بلاد الزاب من أعمال أفريقية سكنها سلفه ثم تحولوا الى تلمسان وبها ولد الفقيه المذكور وبها نشأ وقرأ وأقرأ الى أن خرج منها صحبة الركاب المتوكلى العنانى أمير المؤمنين فارس عام تسعة وأربعين وسبعمائة الى مدينة فاس المحروسة فولاه القضاء فنهض باعبائه علما وعملا وحمدت سيرته ولم تأخذه فى الله لومة لائم الى أن توفى بها اثر قدومه من بلاد الاندلس فى غرض الرسالة لابى عنان عام تسعة وخمسين وسبعمائة ثم نقل الى مسقط رأسه تلمسان وقال فى موضع آخر انه توفى رحمه الله تعالى يوم الاربعاء التاسع والعشرين من جمادى الاولى عام تسعة وخمسين وسبعمائة بمدينة فاس المحروسة ثم نقل الى تلمسان محل ولادته ومقر أسلافه ودفن بها فى البستان الملاصق لقبلى داره الكائنة بباب الصرف من البلد المذكور وهو الآن على ملك بعض ورثة الشيخ أبى يحيى الشريف انتهى *ومن أخبار مولاى الجد رحمه الله تعالى أنه قال شهدت الوقفة سنة أربع وأربعين وسبعمائة وكانت جمعة وقام الخطيب فى سابع ذى الحجة فى

المنصور مع الربيع اليهم فوضع الرأس بين أيديهم وعبد الله يصلى فقال له ادريس أخوه اسرع فى صلاتك يا أبا محمد فالتفت اليه وأخذ الرأس فوضعه فى حجره وقال له أهلا وسهلا يا أبا القاسم والله لقد كنت من الذين قال الله عز وجل فيهم الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل الى آخر الآية فقال له الربيع كيف أبو القاسم فى نفسه قال كما قال الشاعر

فتى كان يحميه من الذل سيفه
ويكفيه أن يأتى الذنوب اجتنابها

ثم التفت الى الربيع فقال قل لصاحبك قد مضى من بؤسنا أيام والملتقى القيامة قال الربيع فما رأيت المنصور قط أشد انكسارا منه فى الوقت الذى بلغته فيه الرسالة فأخذ هذا المعنى العباس بن الاحنف فقال

فان تلحظى حالى وحالك مرة
بنظرة عين عن هوى النفس تحجب
ترى كل يوم بين يومين عيشتى
تمر بيوم من نعيمك تحسب

(قال المسعودى) ولما أخذ المنصور عبد الله بن الحسن وأهل بيته صعد المنبر بالهاشمية فحمد

الناس بالمسجد الحرام وقال ان جمعة وقفتكم هذه مطابقة مائة جمعة وقف بها من الجمعة التى وقف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع آخر عشر من الهجرة وشاع ذلك فى الناس وذاع وكان علم ذلك مما تواتر عندهم والله أعلم وهم يزعمون أن الجمعة تدور على خمس سنين وهذا مناف لذلك لكن كثير منهم ينكر اطراد هذا ويقول انها قد تكون على خلاف ذلك فلا أدرى * ومنها أنه قال شهدت شمس الدين بن قيم الجوزية مقيم الحنابلة بدمشق وقد ساله رجل عن قوله عليه الصلاة والسلام من مات له ثلاثة من الولد كانوا له حجابا من النار كيف ان أتى بعد ذلك بكبيرة فقال موت الولد حجاب والكبيرة خرق لذلك الحجاب وانما يكون الحجاب حجابا مالم يخرق فاذا انخرق فقد زال عن ان يكون حجابا الا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام الصوم جنة مالم يخرقها ثم قال وهذا الرجل أكبر أصحاب تقى الدين بن تيمية * ومن أخبار مولاى الجد الدالة على صرامته ما حكاه ابن الازرق عنه انه كان يحضر مجلس السلطان أبى عنان لبث العلم وكان نقيب الشرفاء بفاس اذا دخل مجلس السلطان يقوم له السلطان وجميع من فى المجلس اجلالا له الا الشيخ المقرى فانه كان لا يقوم فى جملتهم فاحس النقيب من ذلك وشكاه الى السلطان فقال له السلطان هذا رجل وارد علينا نتركه على حاله الى أن ينصرف فدخل النقيب فى بعض الايام على عادته فقام له السلطان على العادة وأهل المجلس فنظر الى المقرى وقال له أيها الفقيه مالك لا تقوم كما يفعل السلطان نصره الله وأهل مجلسه اكراما لجدى ولشرفى ومن أنت حتى لا تقوم لى فنظر اليه المقرى وقال له أما شرفى فمحقق بالعلم الذى أنا ابثه ولا يرتاب فيه أحد وأما شرفك فمظنون ومن لنا بصحته منذ أزيد من سبعمائة سنة ولو علمنا شرفك قطعا لأقمنا هذا من هنا وأشار الى السلطان أبى عنان وأجلسناك مجلسه فسكت انتهى قال ابن الازرق وعلى اعتذاره ذلك بان الشرف الآن مظنون فمن معنى ذلك أيضا ما يحكى عنه انه كان يقرأ بين يدى السلطان أبى عنان المذكور صحيح مسلم بحضرة أكابر فقهاء فاس وخاصتهم فلما وصل الى أحاديث الأئمة من قريش قال الناس ان قال الشيخ الأئمة من قريش وأفصح بذلك استوغر قلب السلطان وان ورى وقع فى محظور فعملوا يتوقعون له ذلك فلما وصل الى الاحاديث قال بحضرة السلطان والجمهور الأئمة من قريش ثلاثا ويقول بعد كل كلمة وغيرهم متغلب ثم نظر الى السلطان وقال له لا عليك فان القرشى اليوم مظنون أنت أهل للخلافة اذ بعض الشروط قد توفرت فيك والحمد لله فلما انصرف الى منزله بعث له السلطان بالف دينار انتهى قال أبو عبد الله بن الازرق قلت ويلزم أيضا من اعتذاره أن قيام السلطان لذى الشرف المحقق بالعلم أولى بالمحافظة على تعظيم حرمات الله وقد روى عن بعض الامراء أنه تكبر على ذلك واستخف بمنزلة من عظم به غيره فسلبه الله ملكه وملك بنيه من بعده انتهى * ومن أجوبة مولاى الجد رحمه الله تعالى قوله سألنى السلطان عمن ألزمته يمينا على نفى العلم فحلف جهلا على البت هل يعيد أم لا فاجبته باعادتها وقد كان من حضر من الفقهاء أفتوا بان لا تعاد لانه أتى با كثر مما أمر به على وجه يتضمنه فقلت له اليمين على وجه الشك غموس قال ابن يونس والغموس الحلف على تعمد الكذب او على غير يقين ولا شك أن الغموس محرمة منهى عنها

دعوتنا ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا خيرا منا ان ولد ابن أبى طالب تركناهم والذى لا اله الا هو والخلافة فلم نعرض لهم لا بقليل ولا بكثير فقام فيها على بن أبى طالب رضى الله عنه فما أفلح وحكم الحكمين فاختلف عليه الامة وافترقت الكلمة ثم وثب عليه شيعته وأنصاره وثقاته فقتلوه ثم قام بعده الحسن بن على رضى الله عنه فوالله ما كان برجل عرضت عليه الاموال فقبلها ودس اليه معاوية انى أجعلك ولى عهدى فخلعه وانسلخ له عما كان فيه وسلمه اليه وأقبل على النساء يتزوج اليوم واحدة ويطلق غدا أخرى فلم يزل كذلك حتى مات على فراشه ثم قام من بعده الحسين ابن على رضى الله عنه فخدعه أهل العراق وأهل الكوفة أهل الشقاق والنفاق والاغراق فى الفتن الى هذه المدرة السوء وأشار الى الكوفة فوالله ما هى بحرب فاحاربها ولا سلم فاسالمها فرق الله بينى وبينها فخذلوه وابرؤا أنفسهم منه فاسلموه حتى قتل ثم قام بعده زيد بن على فخدعه أهل الكوفة وغروه فلما أظهروه وأخرجوه أسلموه وقد كان أبى محمد بن على ناشده الله

والنهي يدل على الفساد ومعناه في العقود عدم ترتب أثره فلا أثر لهذه اليمين ويجب أن تعاد وقد يكون من هذا اختلافهم فيمن أذنها السكوت فتكلمت هل يجتزى بذلك والاجزاء هنا أقرب لانه الاصل والصمات رخصة لغلبة الحياء فان قلت البت أصل ونفي العلم انما يعتبر عند تعذره قلت ليس رخصة كالصمات ❊ ومنها أنه قال سألني بعض الفقهاء عن السبب في سوء بخت المسلمين في ملوكهم اذلم يل أمرهم من يسلك بهم الجادة ويحملهم على الواضحة بل من يغتر في مصلحة دنياه غافلا عن عاقبة أخراه فلا يرقب في مؤمن الا ولا ذمة ولا يراعى عهدا ولا حرمة فأجبته بان ذلك لان الملك ليس في شريعتنا وذلك أنه كان فيمن قبلنا شرعا قال الله تعالى ممتنا على بني اسرائيل وجعلكم ملوكا ولم يكن ذلك في هذه الامة بل جعل لهم خلافة قال الله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الآية وقال تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وقال سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا فجعلهم الله تعالى ملوكا ولم يجعل في شرعنا الا الخلفاء فكان أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يستخلفه نصا لكن فهم الناس ذلك فهما وأجمعوا على تسميته بذلك ثم استخلف أبو بكر عمر فخرج بها عن سبيل الملك الذي يرثه الولد عن الوالد الى سبيل الخلافة الذي هو النظر والاختيار ونص في ذلك على عهده ثم اتفق أهل الشورى على عثمان فاخراج عمر لها عن بنيه الى الشورى دليل على انها ليست ملكا ثم تعين على بعد ذلك اذلم يبق مثله فبايعه من آثر الحق على الهوى واصطفى الآخرة على الدنيا ثم الحسن كذلك ثم كان معاوية أول من حول الخلافة ملكا والخشونة لينا ثم ان ربك من بعدها لغفور رحيم فجعلها ميراثا فلما خرج بها عن وضعها لم يستقم ملك فيها الا ترى أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان خليفة لا ملكا لان سليمان رحمه الله تعالى رغب عن بني أبيه ايثارا لحق المسلمين ولئلا يتقلدها حيا وميتا وكان يعلم اجتماع الناس عليه فلم يسلك طريق الاستقامة بالناس قط الا الخليفة وأما الملوك فعلى ماذكرت الا من قل وغالب أفعاله غير مرضية انتهى وفوائد مولاي الجد وتحفه وطرفه ولطائفه ودقائقه يستدعي استقصاؤها مجلدات فلنكتف بما قدمناه ❊ وفي الاشارة ما يغني عن الكلام ❊ (وأما تآليفه فكثيرة) منها كتاب القواعد اشتمل على ألف قاعدة ومائتي قاعدة قال العلامة الوانشريسي في حقه انه كتاب غزير العلم كثير الفوائد لم يسبق الى مثله بيد أنه يفتقر الى عالم فتاح انتهى وقد أشار فيه الى مآخذ الاربعة وهو قليل بهذه الديار المشرقية ولم ار منه بمصر الا نسخة عند بعض الاصحاب وذكر أنها من أوقاف رواق المغاربة بالازهر المعمور وأما قول لسان الدين في الاحاطة عند تعرضه لذكر تآليف مولاي الجد ما صورته ألف كتابا يشتمل على أزيد من مائة مسئلة فقهية ضمنها كل أصل من الرأي والمباحثة فهو غير القواعد بلا ريبة ❊ ومنها كتاب الطرف والتحف غاية في الحسن والظرف قاله الوانشريسي وقد وقفت على بعضه فرأيت العجب العجاب ❊ ومنها اختصار المحصل ولم يكمله وشرحه لجمل الخونجي كذلك ومنها كتاب عمل من طب لمن حب وهو بديع في بابه مشتمل على أنواع الاول فيه أحاديث حكمية كأحاديث الشهاب وسراج المهتدين لابن العربي

في الخروج اوقال له لاتقبل أقاويل أهل الكوفة فانا نجد في علمنا أن بعض أهل بيتنا يصلب بالكناسة وأخشى أن تكون ذلك المصلوب وناشده الله بذلك عمي داود وتحذره رحمه الله عن زاهد الكوفة فلم يقبل وتم على خروجه فقتل وصلب بالكناسة ثم وثب بنو أمية علينا فاماتوا شرفنا وأذهبوا عزنا والله ما كان لهم عندنا ترة يطلبونها وما كان ذلك كله الافيهم وبسبب خروجهم فنفونا عن البلاد فصرنا مرة بالطائف ومرة بالشام ومرة بالسراة حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصارا فاحيا الله شرفنا وعزنا بكم وأظهر لنا حقنا وأصار الينا ميراثنا من نبينا صلى الله عليه وسلم فقر الحق في قراره وأظهر الله مناره وأعز انصاره وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فلما استقرت الامور فينا على قرارها من فضل الله وحكمه العدل وثبوا علينا حسدا منهم وبغيا لهم بما فضلنا الله به عليهم وأكرمنا من خلافته ميراثنا من نبيه وجبنا من بني أمية وجراءة علينا اني والله يا أهل خراسان ما أتيت ما أتيت من هذا الامر من جهالة ولقد كنت يبلغني عنهم بعض السقم ولقد كنت سميت لهم رجالا فقلت قم أنت يا فلان فخذ معك من المال كذا وكذا وقم أنت يا فلان فخذ معك من

والنوع الثاني منه الكليات الفقهية على جملة أبواب الفقه في غاية الافادة والثالث في قواعد وأصول والرابع في اصطلاحات وألفاظ قال الوانشريسي وقد أطلعني الفقيه أبو محمد عبد الله بن عبد الخالق على نسخة من هذا الكتاب فتلطفت في استنساخها فلم يسمح به انتهى قلت وقد رأيت هذا الكتاب بحضرة فاس عند بعض أولاد ملوك تلمسان وهو فوق ما يوصف وفيه يقول مولاي الجد رحمه الله تعالى

هذا كتاب بديع في محاسنه * ضمنته كل شيء خلته حسنا
فكل ما فيه ان رام اللبيب به * ولم يشم غيرا شام منه سنا
فخذه واشدد به كف الضنين وذد * حتى تحصله عن جفنك الوسنا

وهذه الابيات كافية في وصف هذا الكتاب اذ صاحب البيت أدرى بالذي فيه * ومنها كتاب المحاضرات وفيه من الفوائد والحكايات والاشارات كثير وقد ملكت منه بالمغرب نسختين فلنذكر منه بعض الفوائد فنقول قال رحمه الله تعالى قيل لصوفي لم تقول الله الله ولا تقول لا اله الا الله فقال نفي العيب حيث يستحيل العيب عيب وهذا ان لم يكن في هذه الكلمة لانها أفضل ما قاله الانبياء فهو في كثير من التنزيه الذي يطلقه المتكلمون وغيرهم حتى قال الشاشي عنهم انهم يتمدحون باسماء الله عز وجل ماعرفه من كيفه ولا وحده من مثله ولا عبده من شبهه المشبه اعشى والمعطل أعمى المشبه متلوث بفرث التجسيم والمعطل نجس بدم الجحود ونصيب المحق لبن خالص وهو التنزيه انزل من علو التشبيه ولا تعل قلل اباطيل التعطيل فالوادي المقدس بين الجبلين (أبو المعالي) من اطمأن الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن سكن الى النفي المحض فهو معطل ومن قطع بموجود واعترف بالعجز عن ادراكه فهو موحد جل رب الاعراض والاجسام عن صفات الاعراض والاجسام جل ربي عن كل ما اكتنفته لحظات الافكار والاوهام برئ الله من هشام وممن قال في الله مثل قول هشام (الدقاق) المريد صاحب وله لان المراد بلاشبيه وقيل مثله الاعلى ليس كمثله شيء (الجنيد) اشرف كلمة في التوحيد قول الصديق الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته (القشيري) يعني أن العارف عاجز عن معرفته والمعرفة موجودة فيه (غيره) ماعرف الله سوى الله لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك

كل ما ترتقي اليه بوهم * من جلال وقدرة وثناء
فالذي أبدع البرية أعلى * منه سبحان مبدع الاشياء

سئل المريسي الشافعي عن التوحيد بحضرة الرشيد فقال أن لا تتوهمه ولا تتهمه فابهت (الشبلي) من توهم انه واصل فليس له حاصل ومن رأى انه قريب فهو بعيد ومن تواجد فهو فاقد ومن أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو غافل ومن سكت عنه فهو جاهل ما أرادت همة سالك أن تقف عندما كشف لها الا نادته هواتف الحقيقة الذي تطلب أمامك وما تبرجت ظواهر المكونات الا نادتك حقائقها انما نحن فتنة فلا تكفر

ما ينتهي نظري منهم الى رتب * في الحسن الا ولاحت فوقها رتب

مابقي منهم شيخ ولا شاب ولا صغير ولا كبير الا بايعهم لي فاستحللت به دماءهم وحكمت عند ذلك بنقضهم بيعتي وطلبهم الفتنة والتماسهم الخروج علي ثم قرأ في درج المنبر وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب (قال المسعودي) وقال المنصور للربيع يوما اذكر حاجتك قال يا أمير المؤمنين حاجتي أن تحب الفضل فقال له ويحك ان المحبة انما تقع باسباب قال يا أمير المؤمنين قد أمكنك الله من ايقاع السبب قال وماذاك قال تفضل عليه فانك اذا فعلت ذلك أحبك واذا أحبك أحببته واذا أحببته كبر عندك صغير احسانه وصغر عندك كبير اساءته وكانت ذنوبه كذنوب الصبيان وصاحبه اليك الشفيع العريان وقال المنصور يوما للربيع ويحك يا ربيع ما أطيب الدنيا لولا الموت قال له ما طابت الا بالموت قال وكيف ذلك قال لولا الموت لم تقعد هنا قال صدقت (وذكر) اسحق ابن الفضل قال بينا أنا على باب المنصور اذ أتى عمرو بن عبيد فنزل عن حماره وجلس فخرج اليه الربيع فقال قم أبا عثمان بأبي

(الجريرى) ليس لعلم التوحيد الالسان التوحيد (الحسن) العجز عن درك الادراك ادراك

تبارك الله وارث غيبه حجب ❊ فليس يعرف الا الله ما الله

دعانى الى الله عز وجل بحقيقة التوحيد فلم يستجب له الا الواحد بعد الواحد فعجب من ذلك فاوحى الله عز وجل اليه تريد أن تستجيب لك العقول قال نعم قال اجبنى عنها قال كيف أجيبك وأنا أدعو اليك قال تكلم فى الاسباب وفى أسباب الاسباب فدعا الخلق من هذا الطريق فاستجاب له الجم الغفير ❊ (ومنه) سمع اعرابى اختلاف المتكلمين بمسجد البصرة فى الانسان وانتزاع كل واحد منهم الحجة على رأيه فخرج وهو يقول

ان كنت أدرى فعلى بدنه ❊ من كثرة التخليط فى من انه

ومن عجز عن أقرب الاشياء نسبة منه فكيف يقدر على أبعد الامور حقيقة عنه من عرف نفسه عرف ربه ❊ (ومنه) دع ما يسبق الى القلوب انكاره وان كان عندك اعتذاره ❊ لما احتضر الوليد بن أبان قال لبنيه هل تعلمون أحدا هو أعلم بالكلام منى قالوا لا قال فانى أوصيكم بما عليه أهل الحديث فانى رأيت الحق معهم وعن أبى المعالى نحوه (ومنه) هجر أحمد المحاسبى لما صنف فى علم الكلام فقال انما قصدت الى نصر السنة فقال ألست تذكر البدعة والشبهة قلت من تحقق كلام فخر الدين الرازى وجده فى تقرير الشبه أشد منه فى الانفصال عنها وفى هذا ما لا يخفى ❊ (ومنه) من آمن بالنظر الى ظاهر الثعبان كفر بالاستماع الى خوار العجل ومن شاهد مجاوزة القدرة الالهية لمنتهى وسع القوة البشرية لم يكترث بوعد الدنيا ولم يؤثر الهوى على الهدى والتقوى ❊ (ومنه) على بن الحسين من عرف الله بالاخبار دون شواهد الاستبصار والاعتبار اعتمد على ما لحقه التهم ❊ (ومنه) قيل لطبيب بم عرفت ربك قال بالاهليلج يجفف الحلق ويلين البطن ❊ وقيل لاديب بم عرفت ربك قال بنحلة فى أحد طرفيها عسل وفى الآخر لسع والعسل مقلوب اللسع وسأل الدهرية الشافعى عن دليل الصانع فقال ورقة الفرصاد تأكلها دودة القز فيخرج منها الابريسم والنحل فيكون منها العسل والظباء فينعقد فى نوافجها المسك والشاء فيكون منها البعر فآمنوا كلهم وكانوا سبعة عشر ❊ قيل لاعرابى بم عرفت ربك فقال البعرة تدل على البعير والروث يدل على الحمير وآثار الاقدام تدل على المسير فسماء ذات أبراج وبحار ذات أمواج أما يدل ذلك على العليم القدير

قد يستدل بظاهر عن باطن ❊ حيث الدخان يكون موقد نار

قيل لاعرابى بم عرفت الله قال بنقض عزائم الصدور وسوق الاختيار الى حبائل المقدور (ومنه) الدقاق لو كان ابليس بالحق عارفا ما كان لنفسه بالاضلال والاغواء واصفا (ومنه) التوحيد محو آثار البشرية وتجديد صفات الالوهية الحق واحد فى ذاته لا ينقسم واحد فى صفاته لا يماثل واحد فى أفعاله لا يشارك لو كان موجودا عن عدم ما كان موصوفا بالقدم الحياة شرط القدرة دلت على ذلك الفطرة لو لم يكن الصانع حيا لاستحال ان يوجد شيأ لو لم يكن باقيا لكان للالوهية منافيا لو كان البارى جسما ما استحق الالهية اسما لو كان البارى جوهرا لكان للحيز مفتقرا العرض لا يبقى

أنت وأمى فلما دخل على أبى جعفر أمر أن تفرش له لبود بقر به وأجلسه اليه بعد ما سلم ثم قال يا أبا عثمان عظنى بموعظة فوعظه بمواعظ فلما أراد النهوض قال أمرنا لك بعشرة آلاف قال لا حاجة لى فيها قال أبو جعفر والله لتأخذنها قال لا والله لا آخذها وكان المهدى حاضرا فقال يحلف أمير المؤمنين وتحلف فالتفت عمرو الى أبى جعفر فقال من هذا الفتى قال هذا محمد ابنى وهو المهدى وهو ولى عهدى قال أما والله لقد ألبسته لباسا ما هو من لباس الابرار ولقد سميته باسم ما استحقه عملا ولقد مهدت له أمتع ما يكون عنه ثم أقبل عمرو على المهدى فقال نعم يا ابن أخى اذا حلف أبوك أحنثه عمك لان أباك أقوى على الكفارات من عمك فقال له المنصور هل لك من حاجة يا أبا عثمان قال نعم قال ما هى قال أن لا تبعث الى حتى آتيك قال اذا لا نلتقى قال هى حاجتى فمضى واتبعه المنصور بطرفه ثم قال

كلكم يمشى رويد ❊ كلكم يطلب صيد

غير عمرو بن عبيد

ودخل عمرو بن عبيد على المنصور بعد ما بايع للمهدى فقال له يا أبا عثمان هذا ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين فقال له عمرو يا أمير المؤمنين أراك قد وطدت له الامور وهى

والقديم لا يتغير ولا يفنى لولم يكن بصفة القدرة موصوفا لكان بسمة العجز معروفا لولم يكن عالما قادرا لاستحال كونه خالقا فاطرا دلت الفطرة والعبرة أن الحوادث لا تحصل الا من ذى قدرة لولم يكن بالارادة قاصدا ما كان العقل بذلك شاهدا من تنوع ايجاده دل ذلك على ان الفعل مراده لولم يكن بالسمع والبصر موصوفا لكان لضديهما مألوفا لوجاز سامع لاسمع له لجاز صانع لا صنع له لوكان سمعه باذن لافتقرت ذاته الى ركن من صدرت عنه الشرائع والاحكام كان موصوفا بالكلام ليس فى الصفات السبع ما لا يتعلق الا الحياة ولا ما يؤثر الا القدرة والارادة كما جاز أن يأمر بما لا يريد جاز أن يريد ما لا يحب لا يسئل عما يفعل الواحد كاف وما زاد عليه متكاف ليس مع الله تعالى موجودات لان الموجودات كلها كالظل من نور القدرة له نور التبعية لا رتبة المعية

ان من اشرك بالله جهول بالمعانى

أحول العقل لهذا * ظن للواحد ثانى

قال جعفر بن محمد لو كان على شئ لكان محمولا ولو كان فى شئ لكان محصورا ولو كان من شئ لكان محدثا (قيل) لثمامة بن الاشرس متى كان الله فقال ومتى لم يكن فقيل فلم كفر الكافر فقال الجواب عليه (قال خادم) أبى عثمان قال لى مولاى يا محمد لو قيل لك أين معبودك ما كنت تجيب قال أقول بحيث لم يزل قال فان قيل لك فأين كان فى الازل فقال أقول بحيث هو الآن فنزع قميصه واعطانيه (قيل) لصوفى اين هو فقال محقك الله أيطلب مع العين أين (ومنه) سمعت شيخنا يقول نقصنا صفة كماله فينا يعنى اذا وجب له كل الكمال وجب لنا كل النقص وهذا على انه ليس فى الامكان ابدع مما كان وفيه كلام *(ومنه) بلغ أحمد ان أبا ثور قال فى الحديث خلق الله آدم على صورته ان الضمير لآدم فهجره فاتاه أبو ثور فقال أحمد أى صورة كانت لآدم يخلقه عليها كيف تصنع بقوله خلق الله آدم على صورة الرحمن فاعتذر اليه وتاب بين يديه *(ومنه) أتى يهودى المسجد فقال أيكم وصى محمد صلى الله عليه وسلم فاشاروا الى الصديق فقال انى سائلك عن أشياء لا يعلمها الا نبى أووصى نبى قال سل قال فاخبرنى عما ليس لله وعما ليس عند الله وعما لا يعلمه الله فقال هذه مسائل الزنادقة وهم بقتله فقال ابن عباس ما أنصفتموه اما أن تجيبوه واما أن تصرفوه الى من يجيبه فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلى اللهم اهد قلبه وثبت لسانه فقال أبو بكر قم معه الى على فقال له اما ما لا يعلمه الله فقولكم فى عزير انه ابن الله والله عز وجل لا يعلم له ولدا قال فى التنزيل ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الآية وأما ما ليس عند الله فالظلم واما ما ليس له فالشريك فاسلم اليهودى فقبل أبو بكر رأس على وقال له يا مفرج الكربات وورد مثل هذه المسائل عن الصحابة فالله تعالى أعلم *وقال العتابى لابى قرة النصرانى عند المأمون ما تقول فى المسيح قال من الله قال البعض من الكل على سبيل التجزى والولد من الوالد على طريق التناسل والخل من الخمر على وجه الاستحالة والخلق من الخالق على جهة الصنعة فهل من معنى خامس قال لا ولكن لو قلت بواحد منها ما كنت تقول قال البارى لا يتجزأ ولو جاز عليه ولد لجاز له ثان وثالث وهلم جرا ولو

أعطاك الدنيا باسرها فاشتر نفسك منها ببعضها وان هذا الذى فى يديك لو بقى فى يد غيرك لم يصل اليك فاحذر ليلة تمخض بيوم لا ليلة بعده وأنشد

يا أيها الذى قد غره الامل
ودون ما يأمل التنغيص والاجل
الا ترى انما الدنيا وزينتها
كمنزل الركب حلوا ثمت ارتحلوا
حتوفها رصد وعيشها نكد
وصفوها كدر وملكها دول
تظل تقرع بالروعات ساكنها
فما يسوغ له لين ولا جذل
كأنه للمنايا والردى غرض
تظل فيه بنات الدهر تنتضل
والنفس هاربة والموت يرصدها
وكل عثرة رجل عندها زلل
والمرء يسعى لما يبقى لوارثه
والقبر وارث ما يسعى له الرجل

ومات عمرو بن عبيد فى أيام المنصور سنة أربع وأربعين ومائة ويكنى أبا عثمان وهو عمرو بن عبيد ابن رباب مولى بنى تميم وكان جده رباب من سبى كابل من رجال السند وكان شيخ المعتزلة ومفتيها وله خطب ورسائل وفى سنة احدى وأربعين ومائة تشخص المنصور الى

استحال فسد والرابع مذهبنا وهو الحق *(ومنه) أول ما تكلم به عيسى فى المهد أن قال انى عبد الله وهو حجة على الغالين فيه يقال لهم ان صدق فقد كذبتم والا فن عبدتم ولمن ادعيتم *قال القاضى ابن الطيب للقسيس لما وجهه عضد الدولة الى ملك الروم لم اتحد اللاهوت بالناسوت فقال أراد ان ينجى الناس من الهلاك قال فهل درى أنه يقتل ويصلب أولا فان لم يدر لم يجز أن يكون الها ولا ابنا وان درى فالحكمة تمنع من التعرض لمثل ما قلتم انه جرى سأل القاضى هذا البطرك عن أهله وولده فأنكر ذلك النصارى فقال تبرئون هذا مما تثبتونه لربكم سوأة لهذا الرأى فانكسروا *(ابن العربى) سمعت الفقراء ببغداد يقولون ان عيسى عليه السلام كان اذا خلق من الطين كهيئة الطير طار شيأ ثم سقط ميتا لانه كان يخلق ولا يرزق ولو رزق لم يبق أحد الا قال هو الله الا من اوتى هداه *سأل ابن شاهين الجنيد عن معنى مع فقال مع الانبياء بالنظر والكلاءة انى معكما ومع العامة بالعلم والاحاطة الا وهو معهم فقال مثلك يصلح دليلا على الله *(ومنه) سأل قدرى عليا رضى الله عنه عن القدرة فاعرض عنه فالح عليه فقال أخلقك كيف شئت او كيف شاء فأمسك فقال اترونه يقول كيف شئت اذن والله أقتله فقال كيف شاء قال ايحييك كيف تشاء او كيف يشاء قال كيف يشاء قال فيدخلك حيث تشاء أو حيث يشاء قال حيث يشاء قال اذهب فليس لك من الامر شئ *(أبو سليمان) أدخلهم الجنة قبل أن يطيعوه وأدخلهم النار قبل أن يعصوه جل حكم الازل أن يضاف الى العلل سبق قضاؤه فعله انى جاعل فى الارض خليفة وأوقفت مشيئته أمره ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا *قال الشاذلى أهبط آدم الى الارض قبل ان يخلقه لانه قال فى الارض ولم يقل فى السماء ولا فى الجنة *(الاوزاعى) نضى عما نهى وحال دون ما أمر واضطر الى ما حرم

ألقاه فى اليم مكتوفا وقال له * اياك اياك أن تبتل بالماء

قال الاوزاعى لغيلان مشيئتك مع مشيئة الله عز وجل او دونها فلم يجب فقال هشام بن عبد الملك فلو اختار واحدة فقال ان قال معها فقد زعم أنه شريك وان قال وحدها فقد تفرد بالربوبية قال لله درك أبا عمرو *من بيان عظمته رفيع الدرجات من آثار قدرته رفيع السموات توقيع أمره يأمر بالعدل والاحسان واقع زجره وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى تنفيذ حكمه فعال لما يريد دستور ملكه لا يسئل عما يفعل *(اياس بن معاوية) ما خاصمت أحدا بعقلى كله الا القدرية قلت لقدرى ما الظلم فقال أخذ ما ليس لك قلت فان الله له كل شئ *(الواسطى) ادعى فرعون الربوبية على الكشف وادعت المعتزلة الربوبية على الستر تقول ما شئت فعلت *(ومنه) من أقصته السوابق لم تدنه الوسائل اذا كان القدر حقا فالحرص باطل *اذا كان الله عز وجل عدلا فى قضائه فصيبات الخلق بما كسبت أيديهم

ماعذر معتزلى موسر منعت * كفاه معتزليا عسر اصفدا

ايزعم القدر المحتوم ثبطه * ان قال ذاك فقد حل الذى عقدا

*(ومنه) دخل محمد بن واسع على بلال بن فروة فقال ما تقول فى القدر قال تفكر فى جيرانك

بيت المقدس فصلى فيه لنذر كان عليه وانصرف وفى سنة ست وأربعين ومائة مات هشام بن عروة وهو ابن خمس وثمانين وكان اذا أسمعه رجل كلاما قال انا أرفع نفسى ثم نازع على بن الحسين بن على فأسرع اليه هشام فقال له على انى أدعك الى ما كنت تدعو اليه وفى سنة خمسين ومائة مات أبو حنيفة النعمان بن ثابت مولى تيم اللات من بكر بن وائل فى أيام المنصور ببغداد توفى وهو ساجد فى صلاته وهو ابن تسعين سنة وفى سنة سبع وخمسين مات الاوزاعى ويكنى أبا عمرو عبد الرحمن بن عمرو من أهل الشام وانما كان منزله فيهم أعنى الاوزاع ولم يكن منهم وذلك بدمشق فى آخر أيام المنصور وله تسعون سنة وفى سنة ست وخمسين ومائة مات سوار ابن عبد الله القاضى وفى سنة أربع وخمسين ومائة مات أبو عمرو بن العلاء فى أيام المنصور وطال حبس عبد الله بن على بامر المنصور وأقام فى محبسه تسع سنين فلما أراد المنصور الحج فى سنة تسع وأربعين ومائة حوله من عنده الى عيسى ابن موسى وأمره بقتله وان لا يعلم بذلك أحدا فاستشار عيسى بن موسى ابن شبرمة فقال له لا تفعل فأبى أن يقتله وأظهر لابى جعفر أنه قتله وشاع ذلك فكلم بنو على عيسى بن

أهل القبور فان فيهم شغلا عن القدر

وكل من أغرق فى نعته * أصبح منسوبا الى العى

المقادير تبطل التقدير وتنقض التدبير قال معتزلى لسنى لو أراد ثبوت أحد على الكفر لم يقل ليخرجكم من الظلمات الى النور فقال السنى لو لم يكن الايمان من فعله لم يقل ليخرجكم من الظلمات الى النور * قال تقفور طاغية النصارى لابى الحسن الشلبانى أنت تقول ان الخير والشر من الله وذلك لان النصارى كلهم على مذهب القدرية فى الاستطاعة قال نعم قال كيف يعذب عليه هل كان حقا عليه أن يخلق فقال لم يضطره الى ما خلق مضطر * قيل نزلت وما أضلنا الا المجرمون فى القدرية لانهم أضافوا الحول والقوة فى الشر الى البشر ءأشركوهم فى الخالق أما ترى قوله تعالى ان المجرمين فى ضلال وسعر الى قوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر

كنت دهرا أقول بالاستطاعه * وأرى الجبر ضلة وشناعه

ففقدت استطاعتى فى هوى ظبـ * ـى فسمعا لمن أحب وطاعه

(غيره) ما لا يكون فلا يكون بحيلة * أبدا وما هو كائن سيكون

(غيره) تريد النفس أن تعطى مناها * ويأبى الله الا ما يشاء

شفاء الصدور فى التسليم للقدور

اذا لم يكن الا الاسنة مركب * فلا رأى للمضطر الا ارتكابها

(غيره) أى يومى من الموت افر * يوم لا يقدر أم يوم قدر

اذا كان الداء من السماء بطل الدواء قال الحائط للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى

الناس يلحون الطبيب وانما * غلط الطبيب اصابة المقدور

قيل لحكيم أخرج الهم من قلبك فقال ليس باذنى دخل

نفسى تنازعنى فقلت لها قرى * موت يريحك او صعود المنبر

ما قد قضى سيكون فاصطبرى له * ولك الامان من الذى لم يقدر

ولتعلمى أن المقدر كائن * لا بد منه صبرت أو لم تصبرى

(ومنه) الهارب من المقدور كالمتقلب فى كف الطالب * من كان السلطان يطلبه ضاق عليه مذهبه وما أنتم بمعجزين * أسلى آية فى التنزيل ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الى قوله تعالى بما آتاكم * (ومنه) أخل رجل بخدمة صاحب الاسكندرية فتغيب ثم ظفر به عرفاؤه فقادوه فانساب منهم ورمى بنفسه فى بئر وتحت الاسكندرية أسراب يسير فيها القائم من أول البلد الى آخره فلم يزل يمشى حتى وجد بئرا صاعدة فتعلق بها فاذا هى فى دار السلطان فاخذه فأدبه فانظر كيف فر من قودة السلطان مكرها وأتاه برجله طائعا * ذهب القضاء بحيلة العقلاء * (ومنه) قال يزيد بن المهلب لموسى بن نصير أنت ادهى الناس واعلمهم فكيف طرحت نفسك فى يد سليمان فقال ان الهدهد يهتدى للماء فى الارض الفيفاء وينصب له الصبى الفخ بالدودة أو الحبة فيقع فيه

ولو جرت الامور على قياس * لوقى شرها الفطن اللبيب

موسى فى عبد الله بن على فقال قد قتلته فرجعوا الى أبى جعفر فقالوا زعم عيسى انه قد قتله فاظهر أبو جعفر الغضب على عيسى وقال يقتل عمى والله لاقتلنه وكان أبو جعفر أحب أن يكون عيسى قتله فيقتله به فيستريح منهما جميعا قال فدعا به فقال لم قتلت عمى قال أنت أمرتنى بقتله قال لم آمرك بذلك فقال هذا كتابك الى فيه قال لم أكتبه فلما رأى الجد من المنصور وتخوف على نفسه قال هو عندى لم أقتله قال ادفعه الى أبى الازهر المهلب بن أبى عيسى فلم يزل عنده محبوسا ثم أمره بقتله فدخل عليه ومعه جارية له فبدأ بعبد الله فخنقه حتى مات ثم مده على الفراش ثم أخذ الجارية ليخنقها فقالت يا عبد الله قتلة غير هذه فكان أبو الازهر يقول ما رحمت أحدا قتلته غيرها فصرفت وجهى عنها وأمرت بها فخنقت ووضعتها معه على الفراش وأدخلت يدها تحت جنبه ويده تحت جنبها كالمعتنقين ثم أمرت بالبيت فهدم عليهما ثم احضرنا القاضى ابن علام وغيره فنظروا الى عبد الله والجارية معتنقين على تلك الحال ثم أمر به فدفن فى مقبرة ابى سويد بباب الشام من بغداد فى الجانب الغربى (قال المسعودى) وذكر عبد الله بن عياش *(الواسطى)

*(الواسطى) اختيار ماجرى لك فى الازل خير من معارضة الوقت (ابن معاذ) عجبت من ثلاثة رجل يريد تناول رزقه بتدبيره ورجل شغله غده وعالم مفتون يعيب على زاهد مغبوط *(ومنه) شكى لبعض الانبياء امرأة كانت تؤذى أهل زمانها فأوحى الله اليه أن فر من قدامها حتى تنقضى أيامها *(ومنه)* (ابن المعتز) كرم الله عزوجل لا ينقض حكمته ولذلك لا تقع الاجابة فى كل دعوة ولو اتبع الحق أهواءهم

اريد فلا أعطى وأعطى ولم أرد * وقصر علمى أن أنال المغيبا

(ومنه) كان ابن مجاهد ينشد لبعضهم

أيها المقتدى ليطلب علما * كل علم عبد لعلم الكلام
تطلب الفقه كى تصحح حكما * ثم أغفلت منزل الاحكام

(ومنه) قال الاحدب البغدادى للقاضى الباقلانى هل لله عزوجل أن يكلف الخلق ما لا يطيقونه فقال ان أردتم بالتكليف القول المجرد فقد وجد قل كونوا حجارة أنبؤنى باسماء هؤلاء ويدعون الى السجود فلا يستطيعون وان أردتم به ما يصح فعله وتركه فالكلام متناقض وهذا هو الذى نعرفه لان التكليف اقتضاء فعل ما فيه مشقة وما لا يطاق لا يفعل البتة فقال سئلت عن كلام مفهوم فطرحته فى الاحتمالات فقال انى بينت الوجوه المحتملة فان كان معك شئ فهاته فقال عضد الدولة قد صدق وما جمعتكم الا لفائدة لا للمهاترة ثم قال القاضى يا أبا بشر بن الحسن المعتزلى تكلم فقال ما لا يطاق على ضربين أحدهما ما لا يطاق للاشتغال بضده وهذا سبيل الكافر لا يطيق الايمان للاشتغال بالكفر وأما العاجز فما ورد فى الشريعة تكليفه ولو ورد لكان جائزا وقد أثنى الله عزوجل على من سأله أن لا يكلفه ما لا يطيقه فقال ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به لان الله له أن يفعل فى ملكه ما يريد*(ومنه) خرج عمر بن عبد العزيز فى سفر ليلا فقال له رجل انظر الى القمر ما أحسنه فنظر فقال قد علمت أنك أردت نزوله بالدبران ونحن لا نتطير بذلك ولا نعتقده

اذا عقد القضاء عليك أمرا * فليس يحله الا القضاء
يدبر بالنجوم وليس يدرى * ورب النجم يفعل ما يشاء

وقال ليس للنجم الى ضر ولا نفع سبيل
انما النجم على الاو * قات والسمت دليل

وقال من كان يخشى زحلا * أو كان يرجو المشترى
فاننى منه وان * كان أخى الادنى برى

لما وجه عضد الدولة القاضى ابن الطيب الى ملك الروم قال له الوزير أخذت الطالع لخروجك فسأله القاضى عن ذلك ففسره له فقال السعد والنحس بيد الله ليس للكواكب فيه تأثير وانما وضعت كتب النجوم ليتمعش بها العامة ولا حقيقة لها فاستحضر الوزير ابن الصوفى ودعاه الى مناظرة القاضى فقال لا أقدم على المناظرة وانما أقول اذا كان من النجوم كذا كان كذا وأما التعليل فمن علم المنطق والذى يتولى المناظرة عليه أبو سليمان المنطقى فأحضر وأمر فقال هذا القاضى يقول اذا ركب عشرة أنفس فى ذلك المركب الذى فى دجلة فالله

جبارا أول اسمه عين وجبارا أول اسمه عين وجبارا أول اسمه عين قال قلت نعم يا أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قتل عمرو بن سعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فقال المنصور أفتعرفون خليفة أول اسمه عين قتل جبارا أول اسمه عين وجبارا أول اسمه عين وجبارا أول اسمه عين قلت نعم أنت يا أمير المؤمنين قتلت عبد الرحمن بن مسلم وعبد الجبار بن عبد الرحمن وعمك عبد الله بن على سقط عليه البيت قال فما ذنبى ان كان سقط عليه البيت قلت لا ذنب لك فتبسم ثم قال هل تحفظ الابيات التى قالتها زوجة الوليد أخت عمرو بن سعيد وهى حاسرة تنشد

أيا عين جودى بالدموع على عمرو
عشية أوتينا الخلافة بالقهر
غدرتم بعمرو يا بنى خيط باطل
وكلكم يبنى البيوت على غدر
وما كان عمرو عاجزا غير انه
أتته المنايا بغتة وهو لا يدرى

كأن بنى مروان اذ يقتلونه * خشاش من الطير اجتمعن على صقر

تعالى قادر على أن يزيدويهم آخر في ذلك الوقت فان قلت له لا يقدر قطعتم لساني فأي معنى لمناظرتي فقال القاضي للوزير ليس كلامنا في القدرة لكن في تأثير الكواكب فانتقل هذا الى ماترى لعجز موانا ان قلت ان الله تعالى قادر على ذلك فلا أقول انه يخرق العادة الآن ولا يجوز عندنا ذلك فهو فرار من الزحف فقال المنطقي المناظرة دربة وأنا لا أعرف مناظرة هؤلاء القوم وهم لا يعرفون مواضعاتنا فقال الوزير قد قبلنا اعتذارك والحق أبلج * رأس الدين صحة اليقين من سابق القدر عثر

وإذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

قيل لما وقع الوباء بالكوفة فر ابن أبي ليلى على حمار فسمع منشدا ينشده

لن يسبق الله على حمار * ولا على ذي منسم طار
أو يأتي الحتف على مقدار * قد يصبح الله أمام الساري

فقال اذا كان الله امام الساري فلا مهرب ورجع *(ومنه) شكا بعض الصالحين الى الخليفة ضرر الاتراك فقال أنتم تعتقدون ان هذا من قضاء الله وقدره فكيف أرده فقال ان صاحب القضاء قال ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض فردهم عنهم القدر والطلب كالعدلين على ظهر الدابة كل واحد منهما معين لصاحبه فالقدر بالطلب والطلب بالقدر * قيل لعارف ان كنت متوكلا فألق بنفسك من هذا الحائط فلن يصيبك الا ما كتب الله لك فقال انما خلق الله الخلق ليجربهم لا ليجربوه *(الجوهري) كف الله النار عن يد موسى لئلا تقول النار طبعي واحترق لسانه لئلا يقول الكليم مكاني وقال غيره لو لم يقل لنار ابراهيم سلاما هلك من برد النار * قيل للجنيد انطلب الرزق قال ان علمتم ابن هو فاطلبوه قيل فنسأل الله قال ان خشيتم ان ينسا كم فذكروه قيل فلنلزم البيوت قال التجربة منك شك قيل فما الحيلة قال ترك الحيلة * يقول لي لكن تصرفك باذنه لا بشهوتك فقد قيل ترك الطلب يضعف الهمة ويذل النفس ويورث سوء الظن *(الطرطوشي) القدر والطلب كأعمى ومقعد في قرية يحمل الاعمى المقعد ويدل المقعد الاعمى * قال رجل لبشر اني أريد السفر الى الشام وليس عندي زاد فقال اخرج لما قصدت اليه فانه ان لم يعطك ماليس لك لم يمنعك مالك * الناس في هذا الباب ثلاثة فرقة عاملت الله عز وجل على مقتضى شمول قدرته للشر والخير وأعرضوا عن الاسباب فادركوا التوكل وفاتهم الادب وهم بعض الصوفية وقد قيل اجعل ادبك دقيقا وعلمك ملحا وهذا ابليس لم تنفعه كثرة علمه لما دفعته قلة أدبه * وفرقة عاملته على ذلك مع الجريان على عوائد مملكته والتصرف باذنه على مقتضى حكمته وهم الانبياء وخواص العلماء فاصابوا الادب وما اخطؤا التوكل * والفرقة الثالثة وهم الجمهور أقبلوا على الاسباب ونسوا المسبب ففاتهم الامران فهلكوا *(ومنه) جل الواحد المعروف قبل الحدود والحروف

لقد ظهرت فما تخفى على أحد * الا على اكمه لا يعرف القمرا
كما بطنت بما ابديت من حجب * وكيف يبصر من بالعزة استترا

سئل النصيبي عن الرؤية بمجلس عضد الدولة فانكرها محتجا بان كل شيء يرى بالعين فهو في

ألا بالقومي للوفاء وللغدر وللمغلقين الباب قسرا على عمرو
فرحنا وراح الشامتون عشية كأن على أعناقهم فلق الصخر

قال ابن عياش فقال المنصور ما الابيات التي بعث بها عمرو الى عبد الملك ابن مروان قال قلت نعم يا أمير المؤمنين كتب اليه

يريد ابن مروان أمورا أظنها ستحمله مني على مركب صعب
لينقض عهدا كان مروان شده وأدرك فيه بالقطيعة والكرب
فقدمته قبلي وقد كنت قبله ولولا انقيادي كان كرب من الكرب
وكان الذي أعطيت مروان هفوة عنفت بها رأيا وخطبا من الخطب
فان تنفذوا الامر الذي كان بيننا فقد ناجيعا بالسهولة والرحب
وان يعطها عبد العزيز ظلامة فاولى بها منا ومنه بنو حرب

وكان مولد المنصور في السنة التي مات فيها الحجاج بن يوسف وهي سنة خمس وتسعين وكان يقول ولدت في ذي الحجة واعذرت في ذي الحجة ووليت الخلافة في ذي الحجة واحسب الامر يكون في ذي الحجة مقابلتها

مقابلتها فقال له القاضى ابن الطيب لا ترى بالعين قال له الملك فبماذا ترى قال بالادراك الذى يحدثه الله فى العين وهو البصر ولو أدرك المرئى بالعين لوجب أن يدرك بكل عين قائمة وهذا الاجهر عينه قائمة ولا يرى بها شيأ * (ومنه) ابن العربى للصوفية فى اطلاق لفظ العشق على الحق تجاوز عظيم واعتداء كبير ولولا اطلاقه للمحبة ما أطلقناها فكيف أن نتعداها *(الدقاق) العشق مجاوزة الحد فى الحب ولما كان الحق لا يوصف بالحد لم يوصف بالمحدود اذ لو جمع محاب الخلق كلهم لشخص واحد لم يبلغ ما يستحقه قدر الحق من الحب * خمسة ابهمت فلم تعين لعظم أمرها الاسم الاعظم وساعة الجمعة وليلة القدر والصلاة الوسطى والكبائر لان اجتنابها يكفر غيرها بنى على أحد الاقوال فى المسئلة * (ومنه) قيل فى التسعة والتسعين اسما انها تابعة لاسم الله وهو تمام المائة فهى عدد درج الجنة لما فى الصحيح من ان درجها مائة بين كل درجتين مسيرة مائة عام ولذلك قيل من احصاها دخل الجنة وهذه الاسماء مفضلة على غيرها مما لا يحصى ألا ترى قوله عليه السلام فى الصحيح باسمائه الحسنى ما علمت منها ومالم أعلم * ذكر القرآن فى أربعة وخمسين موضعا منه فلم يشر فى شئ منها الى خلقه وذكر الانسان فى ثمانية عشر موضعا ثاث ذلك العدد فصرح فى جميعها بخلقه قال ابن عطية وهذا يدل على أنه غير مخلوق * (أبو على بن أبى العم) بت ليلة جمعة بمصر فى أيام أبى حريش وكان يقول بخلق القرآن وأبى خلف المعافرى وكان يقول القرآن كلام الله ليس بمخلوق أفكر عن أيهما آخذ فلما نمت أتانى آت فقال لى قم فقمت قال قل فقلت ما أقول فقال

لا والذى رفع السما * ء بلا عماد للنظر
فتزينت بالساطعا * ت اللامعات وبالقمر
والمالئ السبع الطبا * ق بكل مختلف الصور
ما قال خلق فى القرا * ن بخلقه الا كفر
لكن كلام منزل * من عند خلاق البشر

ثم قال اكتبها فاخذت كتابا من كتبى وكتبتها فيه فلما أصبحت وجدت ذلك بخطى على كتاب من كتبى فجلست فى البيت الى الزوال ثم خرجت فسالنى انسان عما رأيت البارحة فقلت ما أخبرت أحدا فقال قد شاعت رؤياك فى الناس * (الخواص) انتهيت الى رجل مصروع فجعلت أؤذن فى أذنه فناداني الشيطان من جوفه دعنى اقتله فانه يقول بخلق القرآن *(عمرو بن دينار) أدركت سبعة من الصحابة يقولون من قال القرآن مخلوق فهو كافر قلت قال مالك يستتاب * (ومنه) كان عضد الدولة يحب العلم والعلماء فكان مجلسه يحتوى على عدد منهم أكثرهم الفقهاء والمتكلمون وكان يعقد لهم مجالس للمناظرة فقال لقاضيه بشر بن الحسن ان مجلسنا خال عن عاقل من اهل الاثبات ينصر مذهبه فقال انما هم عامة يرون الخير وضده ويعتقدونهما جميعا وانما أراد ذم القوم ثم اتبع بمدح المعتزلة فقال عضد الدولة محال ان يخلو مذهب طبق الارض من ناصر فانظر قال بلغنى ان بالبصرة شيخا يعرف بابى الحسن الباهلى وفى رواية بابى بكر بن مجاهد وشابا بابن الباقلانى فكتب اليهما فلما وصل

مات فيه فنزل منزلا من المنازل فبعث الى وهو فى قبة ووجهه الى الحائط فقال لى ألم أنهك أن تدع العامة يدخلون هذه المنازل فيكتبوا فيها ما لا خير فيه قلت وما هو يا أمير المؤمنين قال أما ترى على الحائط مكتوبا

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت
سنوك وأمر الله لابد نازل
أبا جعفر هل كاهن أو منجم
يرد قضاء الله أم أنت جاهل

قال فقلت والله ما أرى على الحائط شيأ وانه لنقى أبيض قال الله قلت الله قال انها والله اذا نفسى نعيت الى الرحيل بادرنى الى حرم ربى وأمنه هاربا من ذنوبى واسرافى على نفسى فرحلنا وقد ثقل حتى اذا بلغنا بئر ميمون قلت له هذه بئر ميمون وقد دخلت الحرم فتوفى بها وكان من الحزم وصواب الرأى وحسن السياسة على ما تجاوز كل وصف وكان يعطى الجزيل والخطير ما كان اعطاؤه حزما ويمنع الحقير اليسير ما كان اعطاؤه تضييعا وكان كما قال زياد لو أن عندى ألف بعير وعندى بعير أجرب اقمت عليه قيام من لا يملك غيره وخلف ستمائة ألف ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف دينار وكان مع هذا يضن بماله وينظر فيما لا ينظر

الـكتاب قال الشيخ قوم كفرة لان الديلم كانوا روافض لايحل لنا ان نطأ بساطهم فقال الشاب كذا قال ابن كلاب والمحاسبي ومن في عصرهم ان المأمون فاسق لايحضر مجلسه حتى ساق احمد بن حنبل الى طرسوس وجرى عليه ما عرف ولو ناظروه لكفوه عن هذا الامر وتبين له ماهم عليه بالحجة وانت أيضا ايها الشيخ تسلك سبيلهم حتى يجرى على الفقهاء ماجرى على احمد ويقولون بخلق القرآن ونفي الرؤية وها انا خارج ان لم تخرج قال الشيخ ان شرح الله صدرك لهذا فاخرج فرد الله به الملاحدة * حفظ من كلام النبي صلى الله عليه وسلم المتقى والمرسل امثال امثال المنزل ثم انتقى من ذلك صحة وفصاحة ما يبلغ حجم المصحف أو يربى عليه فهل وجدت فيه ما يشبهه او ينزع اليه اشهد أنه من عند الله تنزيل من لدنه * اول اعجاز القرآن الجهل بنوعه من جنس الكلام فانه لايدخل في مضمار الشعر ولا ينخرط في سلك الخطب ولا المواعظ والمقامات والكتب ولا في شئ مما يؤلف التخاطب به وتعرف فيه طبقات أهل مذهبه فان لم يتبين مارسمت لك فاعرض كلامك في كل صنف من هذه الاصناف تجد لنفسك مع فحوله حالة القصور أو المماثلة أو الزيادة ولا تجد لكلامك نسبة الى القرآن بل لاتدرى ما تقول ان طلب منك البيان الا أن تسلب العقل كمسيلمة وأمثاله ممن ابتلى بالهذيان وقد تفطن الدلالة كافر اغلبت عليه الجهالة انظر السيرة * (الزمخشري) ما اعجب شان الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية بحجر * سأل القاضي أبا بكر ملك الروم حين وجهه عضد الدولة اليه عن انشقاق القمر كيف لم يره جميع الناس فقال لانهم لم يكونوا على أهبة ووعد قال فما النسبة التي بينكم وبين القمر حتى لم يره غيركم من الروم وغيرهم قال النسبة التي بينكم وبين المائدة حتى رأيتموها دون اليهود والمجوس فدعا القسيس فأقر للقاضي فقال له القاضي أتقول ان الكسوف يراه جميع أهل الارض أم أهل الاقليم الذي في محاذاته قال لايراه الا من في محاذاته قال فما تنكر من لايرى انشقاق القمر الا في تلك الناحية ممن تأهب لذلك قال هذا صحيح الا أن الشأن في مثله أن لاينقل آحادا لكن تواترا بحيث يصل العلم الضروري به الينا والى غيرنا وانتفاء ذلك يدل على افتعال الخبر فقال الملك للقاضي الجواب فقال يلزمه في نزول المائدة ما لزمنا في انشقاق القمر فبهت الذي كفر قال ملك الروم للقاضي ابن الطيب في هذه الرسالة ما تقول في المسيح قال روح الله وكلمته وعبده قال تقولون المسيح عبد قال بذلك ندين قال ولا تقولون انه ابن الله قال ما اتخذ الله من ولد قال المسيح يخلق و يحيي و يبرئ قال ما فعل المسيح ذلك قط قال هذا مشهور في الخلق قال لا قال ما قال أحد من أهل المعرفة ان الانبياء يفعلون المعجزات لكن الله تعالى يفعلها على أيديهم تصديقا لهم قال ان ذلك في كتابكم قال في كتابنا ان ذلك كله باذن الله تعالى ولو جاز أن يكون ذلك فعل المسيح لجاز أن يقال ان موسى قلب العصا وأخرج يده بيضاء وفلق البحر قال ان الانبياء من لدن آدم كانوا يتضرعون للمسيح حتى يفعل ما يطلبون قال أفي لسان اليهود معظم لا يقولون معه ان المسيح كان يتضرع لموسى و كذلك أمة كل نبي لافرق بين الموضعين في الدعوى * (الجوزي) في قوله عليه السلام يوشك أن ينزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم انما كان الامام منا لئلا يتدنس بغبار الشبهة وجه لانبي بعدى * كان بالبصرة يهودي يغرر

المتكلمين

كرمه أنه وصل عمومته وهم عشرة في يوم واحد بعشرة آلاف درهم وأسماؤهم عبد الله بن علي وعبد الصمد بن علي واسمعيل بن علي وعيسى بن علي وداود بن علي وصالح ابن علي وسليمان بن علي واسحق بن علي ومحمد بن علي ويحيي بن علي وكان يعمل في بنا مدينة بغداد التي بناها وعرفت به في كل يوم خمسون ألف رجل وكان له من الولد المهدى وجعفر وأمهما أم موسى الحميرية وتوفي جعفر في حياة أبيه المنصور وسليمان وعيسى و يعقوب وجعفر الاصغر من كردية وصالح الملقب بالمسكين و بنت تسمى عالية (قال المسعودي) وللمنصور أخبار حسان مع الربيع وعبد الله بن عياش وجعفر بن محمد وعمرو ابن عبيد وغيرهم وله خطب ومواعظ وسير وسياسات في الملك قد أتينا على أكثرها في كتابنا أخبار الزمان وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا تدلك على ما سبق في كتبنا والله سبحانه وتعالى اعلم

(ذكر خلافة المهدى محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس) ويكنى أبا عبد الله وأمه أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن سهم بن أبي سرح من ولد

المتكلمين على نبوة موسى فاذا أقر وأجحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقال نحن على ما اتفقنا عليه الى أن نتفق على غيره فسأل أبا الهذيل عن ذلك فقال ان كان موسى هذا الذى أخبر بمحمد صلى الله عليه وسلم وأقر بشرفه وأمر باتباعه فانا أقر بنبوته وان كان غيره فانا لا أعرفه فتحير اليهودى ثم سأله عن التوراة فقال ان كانت التى نزلت على موسى المذكور فهى حق والا فهى عندى باطل *(ومنه) قيل للحسن الملائكة أفضل أم الانبياء فقال أين أنت من هذه الآية ولا أقول انى ملك *(ومنه) وعن عمر وعلى رضى الله عنهما ان الخضر لقيهما وعلمهما هذا الدعاء وذكر فيه خيرا كثيرا لمن قاله فى اثر كل صلاة يا من لا يشغله سمع عن سمع ويا من لا تغلطه المسائل ويا من لا يتبرم على الحاح الملحين أذقنى برد عفوك وحلاوة مغفرتك *(ومنه) سمع اياس يهوديا يقول ما أحمق المسلمين يزعمون أن أهل الجنة يأكلون و يشربون ولا يبولون ولا يتغوطون فقال أوكل ما تأكله تحدثه قال لا لان الله تعالى يجعل أكثره غذاء قال فما تنكر أن يجعل جميع ما يأكل أهل الجنة غذاء *الرزية كل الرزية تضييع أمر المرأة الزندقية وذلك انه وردت على تلمسان فى العشرة الخامسة من المائة الثامنة امرأة من زندة لا تأكل ولا تشرب ولا تبول ولا تتغوط ولا تحيض فلما اشتهر هذا من أمرها أنكره الفقيه أبو موسى بن الامام وتلا كانا يأكلان الطعام فأخذ الناس يبثون ثقات نسائهم ودهاتهن اليها فكشفوا عنها بكل وجه يمكنهن فلم يقفن على غير ما ذكر وسئلت هل تشتهين الطعام فقالت هل تشتهون التبن بين يدى الدواب وسئلت هل يأتيها شئ فأخبرت أنها صامت ذات يوم فأدركها الجوع والعطش فنامت فأتاها آت فى النوم بطعام وشراب فأكلت وشربت فلما أفاقت وجدت نفسها قد استغنت فهى على تلك الحال تؤتى فى المنام بالطعام والشراب الى الآن ولقد جعلها السلطان فى موضع قصره وحفظها بالعدول ومن يكشف عما عسى تجيء أمها به اذا أتت اليها أربعين يوما فلم يوقف لها على أمر بيد أنى أردت أن يزاد فى عدد العدول ويجمع اليهم الاطباء ومن يخوض فى المعقولات من علماء الملل المسلمين وغيرهم ويوكل من نساء الفرق من يبالغ فى كشف من يدخل اليها ولا يترك أحد يخلوبها وبالجملة يبالغ فى ذلك ويستدام رعيها عليه سنة لاحتمال أن يغلب عليها طبع فتستغنى فى فصل دون فصل ثم يكتب هذا فى العقود ويشاع أمره فى العالم وذلك لانه يهدم حكم الطبيعة الذى هو أضر الاحكام على الشريعة ويبين كيفية غذاء أهل الجنة وأن الحيض ليس من فضلات الغذاء ويبطل التأثير والتولد ويوجب ان الاقترانات بالعادات لا باللزوم وعند الاسباب لا بها الى غير ذلك الا أنى لما اشرت بهذا انقسم من اشرت عليه بتبليغه الى من لم يفهم ما قلت ومن لم يرفع به رأسا لايثار الدنيا على الدين فانا لله وانا اليه راجعون وقد ذكر ان امرأة أخرى كانت معها على تلك الحالة وحدثنى غير واحد من الثقات ممن أدرك عائشة الجزيرية أنها كانت كذلك وان عائشة بنت أبى يحيى اختبرتها أربعين يوما أيضا وكم من آية أضيعت وحجة نسيت هذا مما لم يعرف مثله قبل المائة الثامنة وكذلك الوباء العام القريب فر وطه يوشك أن يطول أمره فينسى ذكره ويكذب المحدث به اذا انقضى عصره وكم فيه أيضا من أدلة على أصول الملة *(ومنه) قال شيخ من صالحى الفقهاء فى عصرنا بفاس

فعلى تفعلت مع * ان كنت لابد تنوح *(وتذكر جلا من أخبار مولاه مما كان فى أيامه)*

السبت لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وأتاه بيعته منارة مولاه فاقام يومين بعد ذلك ثم خطب الناس وبويع بيعة العامة وكان مولده سنة سبع وعشرين ومائة وخرج من مدينة السلام فى سنة سبع وستين ومائة يريد بلاد قرماسين من بلاد الدينور وقد وصف له طيب ماسبذان وادبوحان فعدل الى الموضع المعروف باودالدان فمات بقرية يقال لها رزين ليلة الخميس لسبع بقين من المحرم سنة سبع وستين ومائة فكانت خلافته عشر سنين وشهرا وخمسة عشر يوما وقبض وله ثلاث وأربعون سنة وصلى عليه هرون الرشيد وكان موسى الهادى غائبا بجرجان وقيل انه مات مسموما فى قطائف أكلها وليست حسنة وغيرها من حشمه المسوح والسواد جزعا عليه فقال فى ذلك أبو العتاهية

رحن فى الوشى فأصبحـ ـن عليهن المسوح
كل نطاح وان عا ش له يوما نطوح
لست بالباقى ولو عمـ ـرت ما عمر نوح

أبو زرهون عبد العزيز بن محمد القيرواني رحمه الله تعالى مات فقير عندنا بالمدينة فوجدوا عنده ربطة من دراهم فوضعوها عند المؤذن فلما نزل الجدث سقطت من جيبه في القبر ولم يشعر حتى واراه فكشف عنه فاذا الدراهم قد لصقت بيدنه درهما الى درهم كالنجوم فحاول قلع واحد منها فقامت معه قطعة من لحمه وتبعها من ذلك المحل ريح منتنة قال الشيخ فاطلعت على ذلك وشاهدته ثم ردوا التراب عليه وانصرفوا * قال عبد الله بن ادريس لغيلان المرور متى تقوم الساعة قال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل غير أنه من مات فقد قامت قيامته قال فالمصلوب يعذب عذاب القبر قال ان حقت عليه الكلمة وما تدرى لعل جسده في عذاب لا تدركه أبصارنا ولا أسماعنا فان لله لطفا لا يدرك وانظر الحديث فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم ما أسمع من عذاب القبر *(ومنه) المازرى مسئلة التكفير بالمآل مشكلة وقد اضطرب فيها قول مالك وهو امام الفقهاء والقاضي أبي بكر وهو امام المتكلمين (الغزالي) لا يقطع بتكفير الفلاسفة الا في ثلاث مسائل قدم العالم ونفي العلم بالجزئيات وانكار المعاد البدني وتوابعها القطعية أصل الفلاسفة اعتقاد المحسوسات معقولات والمعتزلة اعتقاد المشهورات قطعيات ومن ثم قيل لهم مخنثة الفلاسفة لا يكفي التقليد في عقائد التوحيد لا فرق بين انسان ينقاد وبهيمة تقاد *(ومنه) كان أبو هاشم من أفسق الناس فجلس ذات يوم يعيب الارجاء وكان في المجلس مرجئ فأنشد

يعيب القول بالارجاء حتى * يرى بعض الرجاء من الجرائر
وأعظم من ذوى الارجاء ذنبا * وعيدى يصر على الكبائر

كان مالك ينشد كثيرا

وخير أمور الدين ما كان سنة * وشر الامور المحدثات البدائع

(ابن عقيل) يشبه أن يكون واضع الارجاء زنديقا فان صلاح العالم في اثبات الوعيد واعتقاد الجزاء فلما لم يمكن هذا المائن جحد الصانع لمخالفة العقل أسقط فائدة الاثبات وهي الخشية والمراقبة وهدم سياسة الشريعة فهم شر طائفة على الاسلام *سئل مالك عن أشر الطوائف فقال الروافض *بينا ابن المعلم شيخ الرافضة في بعض مجالس المناظرة مع أصحابه أقبل ابن الطيب فقال جاءكم الشيطان فسمعه على بعد فلما جلس اليهم تلا عليهم ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا (مالك) أهل السنة من لا لقب له لا خارجي ولا قدري ولا رافضي (البديع)

يقولون لي ما تحب الوصي * فقلت الثرى بفم الكاذب
أحب النبي وآل النبي * وأختص آل أبي طالب
وأعطي الصحابة حق الولاء * وأجرى على السنن الواجب
فان كان نصبا ولاء الجميع * فاني كما زعموا ناصبي
وان كان رفضا ولاء الجميع * فلا برح الرفض من جانبي
أحب النبي وأصحابه * فما المرء الا مع الصاحب
أرجو الشفاعة من سبهم * بل المثل السوء للضارب

ثلاث قال وما هن يا أمير المؤمنين قال اما أن تلي القضاء أو تحدث ولدى وتعلمهم أو تأكل أكلة ففكر ثم قال الاكلة أخفهن على نفسي فاحتبسه وقدم الى الطباخ أن تصلح له ألوانا من المخ المعقود بالسكر الطبرزذ والعسل فلما فرغ من غذائه قال له القيم على المطبخ يا أمير المؤمنين ليس يفلح الشيخ بعد هذه الاكلة أبدا قال الفضل بن الربيع فحدثهم والله شريك بعد ذلك وعلم أولادهم وولي القضاء لهم ولقد كتب بأرزاقه الى الجهبذ فضايقه في النقص فقال له الجهبذ انك لم تبع برا قال له شريك بلى والله لقد بعت أكبر من البر لقد بعت ديني وقال الفضل ابن الربيع خرج المهدي متنزها ومعه عمرو بن ربيع مولاه وكان شاعرا فانقطع عن العسكر والناس في الصيد وأصاب المهدي جوع شديد فقال لعمرو ويحك الا انسان عنده ما نأكل فما زال عمرو يطوف الى أن وجد صاحب مبقلة والى جانبها كوخ له فقعد اليه فقال له هل

يوقى المكاره قلب الجبان * وفي الشبهات يد الحاطب

أخذ البيت الخامس من قول الشافعي

ان كان رفضا حب آل محمد * فليشهد الثقلان أني رافضي

*(ومنه) أبو حنيفة لقيت عطاء فقال لي ممن أنت فقلت من أهل الكوفة فقال من اهل القرية الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا قلت نعم قال فمن أنت منهم فقلت ممن يؤمن بالقدر ولا يسب السلف ولا يكفر بالذنب قال عرفت فالزم *(ومنه) الارادة تطلق على المحبة وعلى قصد أحد الجائزين بالتخصيص وكل واحد من المعنيين يوجد بدون الآخر أما الاول فكقوله *تريد النفس أن تعطى مناها* وهو ظاهر وأما الثاني فكقصد المتوعد بالاهلاك الى أمر عبده الذي أمره بأمر لينظر امتثاله ولدقة الفرق بينهما ضل المعتزلة في أمرهما فقالوا ان الله عز وجل لا يريد المعاصي لانه لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر قال عمار بن ياسر يوم صفين

صدق الله وهو للصدق أهل * وتعالى ربي وكان جليلا

رب عجل شهادة لي بقتل * في الذي قد أحب قتلا جميلا

*(ومنه) العبدري قتل الحسين دعا الى حرب وأخذ بثاره كذاب ثقيف ونوه باسمه اعداء مله جده بنو عبيد ليقتص من قضية مثلها فيقرأ الفهم سورة تلك الصورة ويتهجى اللبيب حروف تلك الحروب فيعلم أن الكل آلات مستعملات حسبما اقتضاه العلم القديم *(ومنه)* أبو العباس الابياني ثلاث لو كتبت على ظفر لوسعهن وفيهن خير الدنيا والآخرة اتبع لا تبتدع اتضع لا ترتفع اترع لا تتسع *(ومنه) كانت سكينة بني اسرائيل في التابوت فغلبوا عليها وسكينة هذه الامة في القلوب فغلبوا بها استحفظوا كتابهم فحرفوا من أحكامه ووصفه وحفظ كتابنا فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه *(ومنه) في الصحيح كان أبو ذر يقسم قسما أن هذان خصمان اختصموا في ربهم نزلت في الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة وعتبة وشيبة والوليد قلت في الآية شهادة من الله تعالى لعلي بالجنة والشهادة أما الجنة فبنصها وأما الشهادة فلانه وصاحبيه استشهدوا وخصمهم قتلوا فهي رادة على الخوارج قطعا *(ومنه) جاز أبو بكر بن نافع بالكرخ أيام الديلم وقوة الرفض فقالت له امرأة سيدي أبو بكر فقال لبيك يا عائشة فقالت له متى كان اسمي عائشة فقال ايقتلونني وتخلصين وفي آخر هذا الكتاب ما صورته فهذه جملة تراجم وفيها مقنع لمن أراد المحاضرة أو تنميق مجالس المناظرة وكان الفراغ من جمعها في آخر يوم من شعبان المكرم من عام سبعة وخمسين وسبعمائة انتهى ما تعلق به الغرض من بعض كلام مولاي الجد رحمه الله تعالى في كتابه المحاضرات *(ولنرجع الى سرد بقية تواليفه رحمه الله تعالى فنقول)* ومنها شرح لغة قصائد المغربي الخطيب ومقالة في الطاعة المملكة وشرح التسهيل والنظائر وكتاب المحرك لدعاوى الشر من أبي عنان واقامة المريد ورحلة المتبتل وحاشية بديعة جدا على مختصر ابن الحاجب الفقهي فيها أبحاث وتدقيقات لا توجد في غيرها وقد وقفت عليها بالمغرب ومن اشهر كتبه في التصوف كتاب الحقائق والرقائق وهو من الحسن

اكلا كثيرا وأمعن المهدي حتى لم يبق فيه فضل فقال لعمرو قل شعرا وصف ما نحن فيه فقال عمرو

ان من يطعم الزبيب بالزيت وخبز الشعير بالكراث لحقيق بصفعة أو بثنتين لسوء الصنيع اوبثلاث

فقال المهدي بئس والله ما قلت ولكن أحسن من ذلك

لحقيق ببدرة أو بثنتين لحسن الصنيع أو بثلاث

ووافى العسكر وحقته الخزائن والخدم والموكب فأمر لصاحب المبقلة بثلاث بدر دراهم قال وعاوده فرسه مرة أخرى وقد خرج للصيد فدفع الى خباء اعرابي وهو جائع فقال يا اعرابي هل عندك قرى فاني ضيفك قال أراك جسيما عميما فان احتملت قرى بذلك ما يحضرنا قال هات ما عندك فاخرج له فضلة نبيذ في ركوة فشرب الاعرابي واحدا وسقاه فلما شرب قال له المهدي أتدري من أنا قال لا والله قال أنا من خدم الخاصة قال بارك الله في موضعك وحياك من كنت ثم شرب الاعرابي قدحا وسقاه فلما شرب قال يا اعرابي أتدري

من أنا قال نعم ذكرت انك من خدم الخاصة قال لست كذلك قال فمن أنت قال أنا أحد قواد المهدي قال رحبت

بمكان لا يلحق وقد شرحه الشيخ الصالح شيخ شيوخ شيوخنا سيدى أحمد زروق رضى الله عنه ونفعنا به وسنح لى أن أسرد ههنا شيأ من هذا الكتاب الفذ فى بابه فنقول قال فيه مولاى الجذر رحمه الله تعالى هذا كتاب شفعت فيه الحقائق بالرقائق ومزجت المعنى الفائق باللفظ الرائق فهو زبدة التذكير وخلاصة المعرفة وصفوة العلم ونقاوة العمل فاحتفظ بما أوحيه اليك فهو الدليل وعلى الله قصد السبيل (حقيقة) عمل قوم على السوابق وقوم على اللواحق والصوفى من لا ماضى له ولا مستقبل فان كان زجاجيا فبخ بخ (رقيقة) من لم يجد ألم البعد لم يجد لذة القرب فان اللذة هى التخلص من الالم (حقيقة) لما انطبعت الصور فى مرآة الخيال قال العقل انا الملك المكوكب فقالت الرياضة الزمنى وتعرف قدرك فاذا العقل عقال (رقيقة) من ضحك فى نوم الغفلة بكى عند الانتباه فان الاضغاث أضداد (حقيقة) أثر الزهد عقل دون سقراط على سراج غوطة أبى نصر فقيل فاين اعتبار أفلا ينظرون فقال وفى أنفسكم أفلا تبصرون (رقيقة) طالب الدنيا يخاف الفوت وصاحبها يترقب الزوال ولو بالموت فاذا جى الوطيس وحمى الرئيس انشأ الزاهد بينهما ينشد

عز ز النفس لا ولد يموت * ولا انس يحاذره يفوت

(حقيقة) العابد طالب رياسة وجوه والزاهد صاحب نفاسة وهمه والمعنى للعارف يعادى فى الله تعالى ويوالى ويرضى الله ولا يبالى (رقيقة) من سابق سبق ومن رافق ارتفق ومن لاحق التحق والعجز والكسل مقدمتا الخيبه

وعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم * (حقيقة) العمل دواء القلب واذا كان الدواء لا يصلح الا اذا كان على حمية البدن فكذلك العمل لا ينجح الا بعدم وم النفس فارق نفسك وتعال (رقيقة) مثل دواعى الخير والشر فى الانسان كمثل الخلط الفاعل والقوة الدافعة فى العليل تغلب القوة فيسكن الخلط فيجد الراحة وعن قليل يتحرك فيجد الالم (حقيقة) العمل على السلامة مسالمة وعلى الغنيمة تجارة وعلى الاجر قرض فيضاعف له أضعافا كثيرة (رقيقة) تطهر من ادناس هواك وتزين بلباس تقواك وقم لمسجد انقطاعك على قدم شكواك وحرم بتوجيه قلبك الى قبلة نجواك تجد الحق عندك وليس بسواك (حقيقة) وجد العارف لخاذ بنفسه فوجد الله عنده وتواجد المريد فباكى ومن لم يبك تباكى (رقيقة) زك نفسك لقلبك تزلك عند ربك بعهامنه رخصه فهى على ثم الدية حريصه ان الله اشترى (حقيقة) الزوال وقت المناجات فطهر قلبك قبله من الحاجات واياك والحظ فذهاب نقطته اسرع من اللحظ (رقيقة) الزاد لك وهو مكتوب والزائد عليك وهو مسلوب فأجمل فى طلب المضمون ولا تلزم نفسك صفقة المغبون (حقيقة) امر بالتوكل لتقصر الطرف عليه واذن فى التسبب لتنصرف منه اليه فذلك مخبر بحقيقة التفرد وهذا مظهر لحكمة التعبد (رقيقة) الملك أبو الدنيا وهو مع ذلك محبوس فيها تبهم عليه الابواب ويستدعى الحراس والحجاب فاذا خرج حدقت اليه الالحاظ وأحدقت بجهاته الحفاظ أى حظ حظ من فقد نعمة فامشوا فى منا كبها وكلوا من رزقه (حقيقة) قال صاحب الزهر الانيق علامات المحبة أربع الافلاس والاستئناس والانفاس والوسواس قلت

دارك وطاب مزارك ثم أنا قال نعم زعمت انك أحد قواد المهدى قال فلست كذلك قال فمن أنت قال انا أمير المؤمنين فاخذ الاعرابى ركوته فوكاها فقال له المهدى اسقنا قال لا والله لا تشرب منها جرعة فما فوقها قال ولم قال سقيتك قدحا فزعمت انك من خدم الخاصة فاحتملناها ثم سقيناك آخر فزعمت انك أحد قواد المهدى ثم سقيناك الثالث فزعمت انك أمير المؤمنين ولا والله ما آمن ان أسقيك الرابع فتقول انك رسول الله فضحك المهدى وأحاطت به الخيل فنزل اليه أبناء الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابى فلم يكن له همة الا النجاة فقال له المهدى لا بأس عليك وأمر له بصلة وكسوة و برة وآلة فقال أشهد أنك صادق ولو ادعيت الرابعة والخامسة لخرجت منها فضحك المهدى منه حتى كاد أن يقع عن فرسه حين ذكر الرابعة والخامسة وجعل له رزقا وألحقه بخواصه وكان وزيره أبو عبد الله معاوية بن عبد الله الاشعرى وهو جد محمد بن عبد الوهاب وكان كاتبه قبل الخلافة فقتل المهدى ابنا لابى عبد الله على الزندقة فاستوحش كل واحد منهما من صاحبه وعاش أبو عبد الله الى سنة سبعين ومائة

الافلاس التجرد الاعنه كالخليل والاستئناس التوحش الامنه كالكليم والايناس والوسواس صلة الاسم وعائده (رقيقة) ذكر مذكر عسالقة نقام الخطيب الشيخ الولي أبو عبد الله الساحلي بهذا البيت

ليت شعري أفي زمام رضاكم * كتب اسمي أم في زمام الهوان

وكنت يوما مع السلطان والجند يعرضون عليه وكان يسقط ويثبت وأنا أتفكر في البيت حتى خلت أن افتضح فقلت واهما من هذا الابهام ثم كدت أخلد بقبع العمل الى الارض فينشلني حسن الظن بالله عز وجل فانهض

ان المقادير اذا ساعدت * ألحقت العاجز بالقادر

(حقيقة) اذا قابل ابرة القلب مغناطيس الحسن صبا فانجذب فاذا اتصل عشق فانقطع فاذا انجذب فني فبقي حاشا الصوفي أن يموت (رقيقة) افتخر الغراب باقامة قرآن الفجر فقيل حتى تغسل بول الشيطان من اذنك فطرب الديك فرحا بالفوز وندب العصفور ترحا على الفوت (حقيقة) الخلوة بيت الاعتبار وفي بيته يؤتى الحكم وبابه هذا البيت العلم وأتوا البيوت من أبوابها (رقيقة) وأقع فقير هناة ثم دخل خلوته فبدت له نفسه بوجه مومسة فقال ما أنت قالت أم الحياة فقال ما أجمل أن تبدل هاؤك همزة فقالت اذن لم تصنع ما شئت فانتبه لقرع العتاب فتاب (حقيقة) القلب ايوان الملك ويسعى وعز الملك يأنف عن ذل المزاحمة اما أغنى الشركاء عن الشرك (رقيقة) لما وضع البسطامي أوزار حربه فلك طابع الصحيفة عن قلبه فلم يجد بها غير الظفري فصاح بنفسه لك البشرى انزل طيفور عما تريد ليس في الدار أبو يزيد (حقيقة) قال شيخنا أبو هادي يوما لاصحابه عما ذا يرتقي العبد عن مقامه الى مقام أعلى منه قالوا بفضل الله ورحمته فقال انما سألتكم عن السبب الخاص بهذا الامر قالوا من عند الشيخ قال بخلق الله له همة فيرتقي بها الى رتبة اسمى من رتبته * ومن هذا الكتاب (حقيقة) التفت الى مواهب الملوك تجدهم انما يوسعون فيما قد يسترجعون فاما العلماء وكل من يعطي بحق فانما يعطون بقصد ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم واصبر نفسك دونهم فعن قريب تتصرف عنهم (رقيقة) قلت لقلبي كيف تجدك فقال أما من أمارتك ففي عناء الجهاد وأما من لوامتك فعلى جمر الصبر قلت ففي الراحة قال اذا اطمأنت النفس فاضمحل الوهم وغاب الحس (حقيقة) قطع السوى طهارة المنيب ولا يقبل الله صلاة بغير طهور وكتابة الحبيب والمكاتب عبد ما بقي عليه وبابه الدخول على الحبيب نظر رجل الى امرأة عفيفة فقالت يا هذا غض بصرك عما ليس لك تنفتح بصيرتك فترى ما هو لك (رقيقة) لما حنكت الطينة بتمر الجنة وغذيت بلبانها فطرت على محبتها انظروا الى حب الانصار التمر فلم تطق الفطام عنها * وتأبى الطباع على الناقل * فذا لك ما تجد من الحنين الى التلاق والانين على الفراق والشغف بمدح العابر وذم الغابر وفي ذلك

كم أردناذاك الزمان بمدح * فشغلنا بذم هذا الزمان

وان لم تعرف عصرا خاليا ولا خلا ناثيا لم يعز عليك بما تشتهيه أطيب مما أنت فيه

ان أمير المؤمنين قد آخاه وكان يصل اليه في كل وقت دون الناس كلهم ثم اتهمه بشيء من أمر الطالبيين فهم بقتله ثم حبسه الى أيام الرشيد فاطلقه الرشيد وقد قيل في أمره انه كان يرى الامامة في الاكبر من ولد العباس وأن غير المهدي من عمومته كان أحق بها منه وكان المهدي محببا الى الخاص والعام لانه افتتح أمره بالنظر في المظالم والكف عن القتل وأمن الخائف وانصاف المظلوم وبسط يده في الاعطاء فاذهب جميع ما خلفه المنصور وهو ستمائة ألف ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف دينار سوى ما جباه في أيامه فلما تفرغت بيوت الاموال أتى أبو حارثة المهدي خازن بيوت أمواله فرمى بالمفاتيح بين يديه وقال ما معنى مفاتيح لبيوت فرغ ففرق المهدي عشر بن خادما في جباية الاموال فوردت الاموال بعد أيام قلائل فتشاغل أبو حارثة عن الدخول على المهدي ثلاثة أيام فلما دخل عليه قال ما أخرك فقال الشغل بتصحيح الاموال فقال أنت اعرابي أحمق

كنت تظن أن الاموال لا تأتينا اذا احتجنا اليها قال أبو حارثة ان الحادثة اذا حدثت لم تنتظرك حتى

كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لأول منزل

(ومنه)(حقيقة) قيل عرّض الكليم بطلب القوت في رحلة الهجرة انى لما أنزلت الى من خير فقير فحمل على كاهل ان أبي يدعوك وصرح في سفر التأديب لوشئت لاتخذت عليه أجرا فحمل على كاهل هذا فراق بيني وبينك قلت لما تمحض الطلب له اكتفى فلما تعلق حق الغير به وفى ولذلك قضى ابا المراتين الاجلين(رقيقة) كان خرق السفينة اراءة الكرامة فاقذفيه في اليم في مرآة وكان وراءهم ملك*وربما صحت الاجسام بالعلل*وقتل الغلام اشارة الى اشتمال قتله وقضى عليه على رحمة فنجيناك من الغم برمز فخشينا أن يرهقهما والمحن الصم حبائل المنح واقامة الجدار اثارة لقدرة فسقى لهما ليغفض له جناح انى لما أنزلت الى من خير فقير فستظل من حر لوشئت لاتخذت عليه في نية هذا فراق بيني وبينك (حقيقة) قيل لمحمد بن الحسن الزبيدي التونسي وأنا عنده بها كيف لم يصبر الكليم وقد ناط الصبر بالمشيئة ستجدني ان شاء الله صابرا وقد جاء في الصحيح في قصة سليمان عليه السلام لو قال ان شاء الله لكان كما قال والمقام الموسوي أجل واصطنعتك لنفسي وطلابه أفضل ما جميع أعمال البر والجهاد في طلب العلم الا كبصقة في بحر فقال كان موسى على علم من علم الله وهو علم المعاملة لا يعلمه الخضر وكان الخضر على علم من علم الله لا يعلمه موسى فلم يظن ان أن مالم يحط به خبرا اباه حكم الظاهر والا كيف يلتزم الصبر عليه وقد أمر بصرف الانكار اليه ما منعك اذ رأيتهم ضلوا بل لم يعتد مثله من ملاقاة المشاق فيما كان عليه الخضر من اختراق الآفاق وركوب الطباق فعلقه بقوله فقد صدقه بفعله ومالم يستطع عليه صبرا فلم يدخل في التزامه اعتقادا ولا ذكرا (رقيقة) قال لي عبد الرحمن بن يعقوب المكتب كان عندنا بالساحل سائح هجيراه الهي بسطت لي أملي وأحصيت على عملي وغيبت عني أجلي ولا أدري الى أي الدارين يذهب بي لقد أوقفتني موقف المحزونين ما أبقيتني (حقيقة) تنازع القلب والنفس الخلق فقسمها بينهما قاضي العقل فن باع منهما حقه فلا شفعة لصاحبه عليه *(ومنه)*(حقيقة) الحجب ثلاثة فحجاب الغيرة منع وحجاب الحيرة دفع وحجاب الغفلة قطع أولئك كالانعام بل هم أضل (رقيقة) النعم أيام التشريق مكروه وكل لذة عند أرباب الدنيا كالنعم عندك أيام الاضحى فلا تريتك الغفلة عن سرك زيادة النعمة عندك (حقيقة) الفقر الى الله الاستغناء به عما سواه وهو به الرضا بالله أن لا يخطر بالبال الاه *(ومنه)* (حقيقة) التلون مجون تارة طسر باوطورا شجون والتمكن معرفة وأين الحال من الصفة (رقيقة) قال لي محمد بن عبد الواحد الرباطي قال لي محمد بن عبد السيد الطرابلسي دخلت على أبي الحسن الحراني فقلت له كيف أصبحت فأنشد

أصبحت ألطف من مر النسيم سرى * على الرياض يكاد الوهم يؤلمني

من كل معنى لطيف احتسى قدحا * وكل ناطقة في السكون تطربني

(حقيقة) قال الطالب الوقت سيف وقال الواصل بل مقت فتلا العارف قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون (رقيقة) لصاحب الوقت يومان

يوم بارواح يباع ويشترى * وأخوه ليس يسام فيه بدرهم

ذلك قام شبة بن عقال على رأسه خطيبا فقال وللمهدي اشباه فمنها القمر الزاهر والربيع الباكر والاسد الخادر والبحر الزاخر فاما القمر الزاهر فاشبه منه حسنه وبهاه وأما الربيع الباكر فاشبه منه طيبه وهواه وأما الاسد الخادر فاشبه منه عزمه ومضاه وأما البحر الزاخر فاشبه منه جوده وسخاه وكانت الخيزران أم الهادي والرشيد في دارها المعروفة باساس وعندها امهات اولاد الخلفاء وغيرهن من بنات بني هاشم وهي على بساط أرمني وهن على نمارق أرمنية وزينب بنت سليمان بن علي أعلاهن مرتبة فبيناهي كذلك اذ دخل خادم لها فقال بالباب امرأة ذات حسن وجمال في اطمار رثة تأبى أن تخبر باسمها وشأنها غيركم وتروم الدخول عليكم وقد كان المهدي تقدم الى الخيزران بان تلزم زينب بنت سليمان ابن علي وقال لها اقتبسي من آدابها وخذي من أخلاقها فانها عجوز لنا قد أدركت أوائلنا فقالت الخيزران للخادم ائذن لها فدخلت امرأة ذات بهاء وجمال في أطمار رثة فتكلمت فاوضحت عن بيان على لسان فقالوا لها من انت قالت أنا مزينة امرأة مروان

وفصل الفضل بينهما

وما تفضل الايام اخرى بذاتها * ولكن أيام الملاح ملاح

*(ومنه) *(حقيقة) قال لي الشيخ أبو عبد الله محمد بن مرزوق العجيسي بعباد تلمسان قال لي ابو عبد الله بن حيون انه وجد على ظهر كتاب بخط عتيق قال أبو يزيد البسطامي يظهر في آخر الزمان رجل يسمى شعيبا لا تدرك له نهاية قالوا وهو أبو مدين قلت وقف بظاهره مع الشريعة وذهب بباطنه مع الحقيقة فما انقطع لصحة البداية ولا رجع لعدم الغاية (رقيقة) فتت بعض الاسحار على قدم الاستغفار وقد استشعرت الصبابة واستدثرت الكآبة فاملى الجنان على اللسان بما نفث في روعه روح الاحسان

منكسر القلب بالخطايا * يدعوك يا مانح العطايا

اقعده الذنب عن رفيق * حثوا لرضوانك المطايا

*(ومنه) *أثر (حقيقة) في شان الحلاج ما نصه ثم قلت

ولرب داع للعمال أطعته * وأبي الجلال على أن أتقدما

فاطعت بالعصيان أمرهما معا * وجنحت للتسليم كما أسلما

*(ومنه) *(حقيقة) قلت للسر مالك تحس من خلف الموانع فقال خرق شعاعي سور العوائق ثم انعكس الى بصور الحقائق فأصبحت كما قيل

كأن مرآة عين الدهر في يده * يرى بها غائب الاشياء لم يغب

(رقيقة) الليل رداء الرهبة تهاب الجبان أسد الابطال وتتقي الحواس دونه الخيال ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا (حقيقة) النهار معاش النفس فهو استعداد ان لك في النهار سبحا طويلا والليل رياش الانس فهو معاد واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا فهذا جمع وذاك فرق والحال أسرع ذهابا من البرق *(ومنه) *(حقيقة) ان اكبرت النفس حالها فذكرها أصلها ومآلها فانها تصغر عند ذلك وتستقيم بك على أرض المسالك احثوا التراب في وجوه المداحين منها خلقناكم وفيها نعيدكم (رقيقة) انما يتعاظم من يجد الحقارة من نفسه ويتوهم المهانة عند أبناء جنسه فلذلك تراه مغمزا للعيون مهمزا للظنون ومن أسر سريرة حسنة كساه الله رداءها (رقيقة) رأيت الملوك لا يشتمون ولا يدعى لهم الا بما يتعلق باغراض الدنيا وأكثر ذلك مما تحيل عقوده العوائد فعلمت أن الدنيا ضد الآخرة (حقيقة) من لم يغتر بغرور وذلك الحبس من خاف ادلج وربما من لم يكر بمن وتلك الزمانة ياليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما (رقيقة) سمعت ابا محمد الهاصي يقول رويت بالسند الصحيح ان عابدا رابط ببعض الثغور مدة فكان كلما طاع الفجر يسمع من ينشدون ان يرى شيأ

لولا رجال لهم سرد يصومونا * وآخرون لهم ورد يقومونا

لزلزلت ارضكم من تحتكم غضبا * فانكم قوم سوء لا تبالونا

(حقيقة) ما حمد الله حق حمده الا من عرفه حق معرفته وذلك مما لا ينبغي لغيره لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك (رقيقة) قلت

على هذا الامر وصار لكم دوننا لزمنا من مخالطة العامة على ما نحن فيه من الضرر على بادرة الينا تزيل موضع الشرف فقصدنا كم لنسكون في حجابكم على أية حالة كانت حتى تاتي دعوة من له الدعوة فاغرورقت عينا الخيزران ونظرت اليها زينب بنت سليمان ابن علي فقالت لا خفف الله عنك يا مرتية أتذكرين وقد دخلت اليك بحران وأنت على هذا البساط بعينه فكلمتك في جثة ابراهيم الامام فانتهرتني وأمرت باخراجي وقلت ما للنساء والدخول على الرجال في آرائهم فوالله لقد كان مروان أرعى للحق منك لقد دخلت اليه فحلف أنه ما قتله وهو كاذب وخيرني بين أن يدفنه أو يدفع الى جثته وعرض على مالا فلم أقبله فقالت مزينة والله ما نظن هذه الحالة ادتني الى ماترينه الا بالفعال الذي كان مني وكانك استحسنتيه فحرضت الخيزران على فعل مثله انما كان يجب أن تحضيها على فعل الخير وترك المقابلة بالشر لتحرز بذلك نعيمها وتصون بها دينها ثم قالت

لزينب يا بنت عم كيف رأيت صنيع الله بنا في العقوق فاحببت التاسي بنا ثم ولت باكية فغمزت

أشيم البرق من بين الثنايا * وأشتم العبير من الثناء
فأبدو تارة وأغيب أخرى * مثار الشوق مثنى الحشاء

(حقيقة) تحقق الحامد بكمال الذات فغاب عن حسه في بحار العظمة وتعلق الشاكر بجمال الفعل فوقف مع نفسه بسوق النعمة فهذا تاجر لئن شكرتم لازيدنكم وذاك ذاكر وما بكم من *(ومنه)*(حقيقة) الصبر مطية المريد والرضا نحية المراد فهذا يقوم للامر وذاك يسعى للاجر (رقيقة) الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف والصبر بغير حساب والرضا بالرضا وذلك سدرة المنتهى (حقيقة) النفس الامارة آبدة لاتملك الابلطائف الحيل والمطمئنة ذلول لاتنفلت الامن غفل وأخاف أن يأكله الذئب (رقيقة) الدنيا معشوق الطالب عاشق الهارب هذا يستخدمها وذاك يخدمها يبنى الخادم المسجد ليقال ويعمره المخدوم لينال فعل الخادم السعي من غير جدوى *وليس لرحل حطه الله حامل *وللمخدوم الجدوى بغير سعي *وليس لما تبنى يدالله هادم *ان السعادة أصلها التقصص *(حقيقة) الجمال رياش والحسن صورة والملاحة روح فذلك سترة عليك وهذا سره فيك فاذا سويته ونفخت فيه من روحي (رقيقة) أعطى يوسف شطر الحسن يعني حسن آدم لانه ان لم يكن في الامكان أبدع مما كان فقد خلقه الحق بيده في أحسن تقويم ثم نفخ فيه من روحه لتتم علة الامر بسجود التحية والتكريم فكان كما قال من أنزل عليه الفرقان خلق الله آدم على صورة الرحمن فآدم اذا كمال الحسن والا فهو المراد لان الشطر يقتضي الحصر والنصف ينزع عن الوصف وأعطى محمد صلى الله عليه وسلم كمال الجمال فما أبصره أحد الاهابه وتمام الملاحة فما عرفه شخص الا أحبه مع انباء نوره في الآباء بأن ابوة المعنى لسيد نجباء الابنا كما قال العارف عمر

واني وان كنت ابن آدم صورة * فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

(حقيقة) لايثنينك الخوف عن قرع الباب فتيأس فانه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولايدنينك الرجاء من الفترة فتأمن فانه لايأمن مكر الله الا القوم الخاسرون فان لم تستطع بعد الحرص أن تعدل فلا تمل كل الميل مع النفس ان النفس لامارة بالسوء (رقيقة) ارفع قصتك في رقعة الاقبال على كف الرجاء خافضا من طرف الحياء وصوت الادلال عاكفا في زاوية الانكماش من وراء ستر الخوف يخرج عليك حاجب القدر من باب الكرم بتوقيع فاستجبنا له *(ومنه)*(حقيقة) صدق مجاهدة الفاروق أيقظ الوسنان وطرد الشيطان وارضى الرحمن ففاز بسلامة ما سلكت فجا الاسلك الشيطان فجا غير فجك وحقق مشاهدة الصديق أسمع من ناجى فحاز غنيمة لو كشف الغطاء ما ازداد يقينا (رقيقة) ذهب أبو بكر في السابقين ولحق عمر باهل اليقين فأدرك الصديق اداء التصلية حتى استدرك الفاروق قضاء التقفية

ولو كنت في أهل اليمين منعما * بكيت على مافات من زمن الصبا

(حقيقة) النص سلاح والنظر مطية والاتباع جنة والورع نجاة والخلاف فتنة والبدع مهالك وخير الامور أوساطها *(ومنه)* (حقيقة) تخير المساعد واختبر

الخيزران بعض جواريها فعدلت بها الى بعض المقاصير وأمرت بتغيير حالها والاحسان اليها فلما دخل المهدي عليها وقد انصرفت زينب وكان من شانه الاجتماع مع خواص حرمه في كل عشية قصت الخيزران عليه قصتها وما أمرت به من تغيير حالها فدعا بالجارية التي ردتها فقال لها ماردتيها الى المقصورة ما الذي سمعتيها تقول قالت لحقتها في الممر الفلاني وهي تبكي في نحو وجهها مؤتسية وهي تقرأ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ثم قال للخيزران والله والله لولم تفعلي بها مافعلت ما كلمتك أبدا وبكى بكاء كثيرا وقال اللهم اني أعوذ بك من زوال النعمة وأنكر فعل زينب وقال لولا أنها أكبر نسائنا لحلفت أن لا أكلمها ثم بعث اليها بعض الجواري الى مقصورتها التي أخليت لها وقال للجارية اقرئي عليها السلام وقولي لها يابنت عم ان أخواتك قد اجتمعن عندي ولولا أني ابن عمك لجئناك فلما سمعت الرسالة علمت مراد المهدي وقد حضرت زينب بنت سليمان فجاءت مزينة تسحب أذيالها فأقامها بالجلوس ورحب بها ورفع منزلتها

المساعد

المصاعد وليكن همك في سفرك منك معرفتك كيف ترجع اليك فلن يحقق صفة الربوبية من لم يحقق نعت العبودية (رقيقة) حدثت أن سيدي أبا الحسن الشاذلي لما أزمع على التحول من طيبة على من بها الصلاة والسلام أوقف فعله على اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له فرآه في منامه فقال توحشنا يا علي فاخذ يعتل فأذن له وقال اذا جئت مصر فاقرأ عز الدين بن عبد السلام مني السلام قال فلما التقينا بلغته المألكة سرا فلم تظهر نفسه لذلك فلما قام المزمزم قال

صدق المحدث والحديث كما جرى * وحديث أهل الحب مالا يفترى

فاستغفر الشيخ ثم كذب نفسه ثم حط للتسليم رأسه (حقيقة) الوهم شيطان القلب يأتيه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وسائر الجهات لمراقبة قل هو القادر فمن ثم كان أشد تقلبا من المرجل على النار فاذا ذكر الله سكن ألا بذكر الله تطمئن القلوب (رقيقة) فرق القلب من ذكر الله خوف وجلت قلوبهم ثم سكن لذكره رجاء وتطمئن قلوبهم فعاد داء تقشعر منه دواء ثم تلين فنعق بلائمة دع عنك لومي فان اللوم اغراء ثم هتف بنادمة وداوني بالتي كانت هي الداء (حقيقة) العبودية صفة نفسك لانها حال أحد العبيد والعبودة صفة قلبك لانها ملكة واحد العباد والعبادة قصد وجهك لانها نعت الفردوس من العباد *(ومنه)* (حقيقة) انما تزيد في الدنيا بقدر ما تنقص من الآخرة فان تشييد الجدار على قدر انتقاص الجبل (رقيقة) من جر لنفسه جارا على قلبه فلا تجوز شهادته عند ربه لان العدل ترك العدول والمين (رقيقة) لا تقدمن الا بدليل واذن واحذر ما لا ينفع ما استطعت فقدتم انظر فلا حرج ان جهلت ما لم تكلف علمه وأخاف عليك سوء عاقبة العجوم (رقيقة) اذا اهتز العرش بالسحر لدعاء أهل تتجافى جنوبهم انبعث من نسيمه ما أغشاهم طيبه الراحة أمنة منه وأهب المستغفر من نومه لادراك فضل رضي الله عنهم ورضوا عنه (حقيقة) دع الغريب وما يريب واركب الجادة ولا تسلك بنيات الطريق فتفرق بكم عن سبيله *(ومنه)* (حقيقة) سفر المريد تجارة وسفر العارف عمارة فهذا يرحل للاقامة عند الحقيقة وذلك يطلب الاستقامة على الطريقة (رقيقة) اياك أيها المصلي لنا أن تلتفت الى غيرنا وأقبل علينا بصدق نيتك وناجنا بخلوص سريرتك فقد قربنا بينك وبين قبلتك وناجيناك بلسان تلاوتك فان غبت عنا فلست منا (حقيقة) الشطح كناية والكرامة عناية والاعتراض جناية فاياك ولم فان عرفت فاتبع وان جهلت فسلم (رقيقة) الليل معاد الانس ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا والنهار معاش النفس ان لك في النهار سبحا طويلا فهذا نشاط رغبة يتسع في مناكبه المجال وتعتور على مراكبه الاحوال وذلك جلباب رهبة تهوي اليه الاوجال وتجتمع فيه هموم الرجال ألا ترى كيف تهاب الجبان دونه الابطال وتتقي الجواس خلفه الخيال كما قال

نهاري نهار الناس حتى اذا دجا * لي الليل هزتني اليك المضاجع

أقضي نهاري بالحديث وبالمنى * ويجمعني والهم بالليل جامع

(حقيقة) حجب الطالب اربعة حجاب الغيرة قاذع قيل لبعضهم اتحب ان تراه فقال لا قيل

فوق منزلة زينب بنت سليمان بن علي ثم تفاوضوا أخبار أسلافهم وأيام الناس والدولة وتنقلها فاتركت لاحد في المجلس كلاما فقال لها المهدي يا بنت عم والله لولا اني لا أحب أن أجعل لقوم أنت منهم في أمرنا شيئا لتزوجتك ولكن لا شيء أصون لك من حجابي وكونك مع أخواتك في قصري لك ما لهن وعليك ما عليهن الى أن يأتيك أمر من له الامر فيما أحكم به على الخلق ثم أقطعها مثل ما لهن من الاقطاع وأخدمها وأجازها فاقامت في قصره الى أن قضى المهدي وأيام الهادي وصدرا من أيام الرشيد وماتت في خلافته لا يفرق بينها وبين نساء بني هاشم فلما قبضت جزع الرشيد والحدم جزعا شديدا وحدثنا الرياشي عن الاصمعي قال دخل عبد الله ابن عمرو بن عتبة على المهدي يعزيه بالمنصور فقال آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله وبارك الله له فيما خلفه فيه ولا مصيبة أعظم من امام والد ولا عقبى أجل من خلافة الله على أولياء الله فاقبل يا أمير المؤمنين العطية واحتسب عند الله أفضل الرزية ولما كثر تشبيب أبي العتاهية بعتبة جارية الخيزران شكت الى مولاتها ما لحقها من الشناعة ودخل المهدي وهي تبكي بين يدي الخيزران فسألها عن خبرها فاخبرته

ولم قال اجل ذلك عن نظر مثلي وحجاب التيه قام نزل فقير على ابن عجوز فبينما هي تصلح له الطعام غشي على الفتى فسألها الفقير فقالت له انه يهوى ابنة عم له بتلك الخيمة فخطرت فاشتم غبار ذيلها فذهب الفقير ليخطبها لمن فقالت اذا لم يطق غبار ذيلي فكيف يستطيع ان يشاهدني *وحجاب الحيرة دافع ومن ثم حلا لارباب الغيبة قال بعضهم يادليل الحائرين زدني تحيرا ومر على اصحاب الرغبة والرهبة كما قال

قد تحيرت فيك خذ بيدي * يادليلا لمن تحير فيكا

وحجاب الغفلة قاطع كان بعضهم يقول ان عذبتني بشئ فلا تعذبني بذل الحجاب ونظر آخر الى امرأة فوقع عليه سهم فعور وعليه مكتوب نظرت بعين العورة فرميناك بسهم الادب ولو نظرت بعين الشهوة لرميناك بسهم القطيعة (رقيقة) حدثت ان ابن الفارض دخل على الشيخ عز الدين وقد ذهب به التفكر فيما له عند الله عز وجل فكاشفه بان أنشده من قصيدة له

لك البشارة فاخلع ماعليك فقد * ذكرت ثم على مافيك من عوج

فبدرته البشاشة وأظن ان قد خلع قماشه (حقيقة) وقفت ذات يوم بالجبانة واستفهمت اسمي هل عرف منها مكانه فاملى بعد هنية من نظمه ما وقفت منه على حقيقة مبلغ علمه

كل ميت رأته عيني فاني * ذلك الميت ان نظرت بقلبي

وجميع القبور قبري لولا * جهل نفسي بما لها عدوني

(رقيقة) اهم ماعلى السالك مراعاة قلبه ان يتلف في تقلبه فذلك فساد حاله وذهاب رأس ماله تزوج فقير فلبس ثياب العرس فطالب قلبه فلم يجده فصاح خلقاني فاعطوه فاخذها وخرج (حقيقة) حجب المطلوب ثلاثة *فحجاب التيه جمال كما قال العارف عمر

ته دلالا فانت أهل لذاكا * وتحكم فالحسن قد ولاكا

وحجاب العزة جلال

همت باتيانها حتى اذا نظرت * الى المرآة نهاها وجهها الحسن

وحجاب الكبرياء كمال انشدت لرابعة

أحبك حبين حب الهوى * وحبا لانك أهل لذاكا

فاما الذي هو حب الهوى * فشغلي بذكرك عمن سواكا

وأما الذي أنت أهل له * فان ترفع الحجب حتى أراكا

وما الحمد في ذا ولا ذاك لي * ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

وهذا معنى ما في الصحيح ومابين أهل الجنة وبين أن ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن*(ومنه)*(حقيقة) الآثار منصة التجلي فمن لم يرز مهلب ويتفكرون زار عبير يمرون وبطل رصد الحجاج (رقيقة) من تفكر تذكر ومن تذكر تبصر فان أكمل وقف وان قصر انصرف انا هديناه السبيل (حقيقة) الوحدة فهم والتوحيد علم والاتحاد حكم والاثنينية وهم *ألا كل شئ ماخلا الله باطل *(ومنه)*(حقيقة) أهم ماعلى السالك مراعاة قلبه ان يتلف في تقلبه فان ذلك فساد حاله وذهاب رأس ماله روي فقير

الله بيني و بين مولاتي
ابدت لي الصدو الملامات
ومني وصلتك حتى تشكو
صدها عنك قال يا أمير
المؤمنين فانا الذي أقول
ياناق حثي بنا ولا تهني
نفسك فيما ترين راحات
حتى تجيئي بنا الى ملك
توجه الله بالمهابات
يقول للريح كلما عصفت
هل لك ياريح في مباراتي
عليه تاجان فوق مفرقه
تاج جمال وتاج اخبات
قال فنكس رأسه ونكت
بالقضيب ثم رفع رأسه فقال
أنت القائل
الا ما لسيدتي مالها
ادلت بأجمل ادلالها
وجارية من جواري الملوك
قد اسكن الحسن سربالها
ثم سأله عن أشياء فافحم
أبو العتاهية فأمر المهدي
بجلده نحوا من حد واخرج
مجلودا فلقيته عتبة وهو
على تلك الحال فقال
بخ بخ ياعتب من مثلكم
قد قتل المهدي فيكم قتيلا
فتغرغرت عيناها وفاض
دمعها وصادفت المهدي
عند الخيزران فقال ما لعتبة
تبكي قالوا له رأت أبا العتاهية
مجلودا وقال لها كيت
وكيت فامر له بخمسين
ألف درهم ففرقها أبو العتاهية على من بالباب فكتب صاحب الخبر بذلك فوجه اليه ما حملك ينادي

ينادي في السوق ارحموا صوفيا ذهب رأس ماله فقيل له وهل للصوفي رأس مال فقال نعم كان لي قلب ففقدته *(ومنه)* (حقيقة) تنازع القلب والنفس الخلق فترافعا الى العقل فقسمه بينهما فانفردت النفس بالهوى والقلب بالتقوى فصرفت طرفهما الى الجهتين وقطعت الشفعة فيهما بين الشتين *(ومنه)* عند ختم الكتاب مانصه (حقيقة) لا يودع السر الا عند أهله ولا يذيعه الا من ضاق ذرعا بحمله فان عدا مودعه الرمز فقد زل وان تعدى مذيعه الغمز فقد ضل (رقيقة) الحسن خلق والجمال خلق وحسن الادب في الظاهر عنوان حسن الادب في الباطن وحيث هو الجمال هو الجميل (حقيقة) تحقق العلماء بالتوحيد فاستشعروا والله خلقكم وما تعملون الكنهم اعتبروا اخلاق السبب والابتلاء به فتصرفوا بدلالة الاذن في مذهبه فاستقاموا على طريقة الادب ولم يفتهم فضل التوكل ولم تتسع معارف الزهاد لمعرفوا السبب بكيفية الانصراف الى السبب منه لدقة الفرق بينه وبين الانصراف عنه فوقفوا مع التوكل للعذر ولم يستعملوا أدب الجريان مع ابتلاء الامر وعكف الغافلون على ظاهر السبب ففاتهم التوكل والادب اولئك كالانعام بل هم أضل (رقيقة) ألفيت لعبد الحق الاشبيلي بيتا هو عندي أفضل من قصيدة وهو

قد يساق المراد وهو بعيد * ويرد المريد وهو قريب

ومن أراد معرفة قدر هذا البيت فليتل الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب (حقيقة) أشرف أسمائك ما أضافك اليه وأكرم صفاتك مادل فيك عليه

لا تدعني الا بيا عبدها * فانه أشرف أسمائي

ولا تصفني بالهوى عندها * فعندها تحقيق أنبائي

(رقيقة) أعززبن سوداء قلبي مغرب * لخياله وسواد عيني مشرق

ان غاب عن سري فعنه لم يغب * اوعن عياني فهو فيه محقق

والعين تعجز أن ترى انسانها * والقلب بالروح اللطيف مصدق

صن عينك عن قلبك لربك وقلبك عن نفسك لحبك ونفسك عن طبعك لوليك وطبعك عن هواك لعدوك وهواك عمن سواك وقد كنت من نسل الجنة وكان بينك وبين البلاء اوقى جنة لطف الله تعالى بي وبكم في مجاري أحكامه ويسرنا أجمعين للعمل بموجبات اكرامه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم تسليما كثيرا الى يوم لقائه انتهى ما تعلق به الغرض من كتاب الحقائق والرقائق لمولاي الجد الامام سقى الله عهده صوب الغمام وماذكرته من كلامه غيض من فيض وقل من كثر ويكفي من الحلى ماقل وسبر العنق (ولنذكر بعض نظمه رحمه الله تعالى) وقد تقدم بعضه أثناء ما سبق من كلامه رضي الله عنه فراجعه ان شئت ومن بديع نظمه رحمه الله تعالى مالي الاحاطة ونصه نقلت من ذلك قوله هذه لحة العارض لتكملة ألفية ابن الفارض سلب الدهر من فرائدها مائة وسبعة وسبعين فاستعنت على ردها بحول الله المعين (من فصل الاقبال)

رفضت السوى وهو الطهارة عندما * تلقفت في مرط الهوى وهو زينتي

فوجه اليه تخمسين ألفا أخرى وحلف عليه أن لا يفرقها فاخذها وانصرف قال المبرد اهدى ابو العتاهية الى المهدي في يوم نوروز برنية صينية فيها ثوب ممسك فيه سطران مكتوبان عليه بالغالية

نفسي بشيء من الدنيا معلقة
الله والقائم المهدي يكفيها
اني لآيأس منها ثم يطمعني
فيها احتقارك للدنيا ومافيها

فهم أن يدفع اليه عتبة فقالت له يا امير المؤمنين مع حرمتي وخدمتي تدفعني الى بائع جرار يكتسب بالشعر فبعث اليه اما عتبة فلا سبيل لك اليها وقد امرنا لك بملء البرنية مالا فخرجت عتبة وهو يناظر الكتاب ويقول انما امر لي بدنانير وهم يقولون بدراهم فقالت أما لو كنت عاشقا لعتبة لما اشتغلت بتميز العين من الورق وكان ابو العتاهية بائع جرار وكان أقدر الناس على وزن الكلام وكان حلو الالفاظ حتى انه يتكلم بالشعر قد جعله شعرا ونثارا واجتمع أبو نواس وجماعة فدعا أحدهم بماء فشرب ثم قال

عذب الماء وطابا

ثم قال لهم أجيزوا فلم يحضر احدهم ما يجانسه في سهولته وقرب مأخذه حتى جاء أبو العتاهية فقال فيم أنتم فاعلموه وانشدوه القسم فقال

وجئت الحمى وهو المصلى ميمما * بوجهة تلبى وجهها وهو قبلتى
وقمت وما استقبحت الا ذكرها * وأحرمت احراما لغير تحلة
فديتى ان لاحت ركوع وان دنت * سجود وان لاحت قيام بحضرة
على أننا فى القرب والبعد واحد * تالفنا بالوصل عين التشتت
وكم من هجير خضت ظمآ ن طاويا * اليها وديجور طويت برحلة
وفيها لقيت الموت أحمر والعدا * بزرقة أسنان الرماح وحدة
وبينى وبين العذل فيم امنازل * تنسيك أيام القمار ومؤنة
ولما اقتسمنا خطتينا فحامل * بخار بلا أجر وحامل برة
خلا مسمعى من ذكرها فاستعدته * فعادختام الامر أصل القضية
وكم لى على حكم الهوى من تجلد * دليل على أن الهوى من سجيتى
يقول سميرى والاسا سالم الاسى * ولاتوضع الاوزار الامحنة
لوان مجوسا بت موقد نارها * لما ظل الامنهلا اذاشر بعة
ولو كنت بحرا لم يكن فيه نفحة * لعين اذا نار الغرام استحرت
فلاردم من نقب المعاول آمن * ولاهدم الا لأشيد بقوة
فم تقول الاسفطسات منك أو * علام مزاج ركبت أو طبيعة
فان قام لم يثبت له منك قاعد * والافانت الدهر صاحب قعدة
فما أنت ياهذا الهوى ماءاو هوا * أم النار أم دساس عرق الامومة
وانى على صبرى كما أنا واصف * وحالى أقوى القائمين بحجة
أقل الضنى أن عج من جسمى الضنى * وماشاكه معشار بعض شكيتى
وأيسر شوقى اننى ماذكرتها * ولم انسها الا احترقت بلوعة
وأخفى الجوى قرع الصواعق منك فى * جواى وأخفى الوجد صبر المودة
وأسهل ماألقى من العذل أننى * أحب أقلى ذكرها وفضيحتى
وأوج حظوظى اليوم منها حضيضها * بالامس وسل جرالجفون الغزيرة
وأوجز أمرى أن دهرى كله * كماشاءت الحسناء يوم الهزيمة
أروح وما يلقى التاسف راحتى * وأغدو وما يعدو التفجع خطتى
وكالبيض بيض الدهر والسمر سوده * مساءتها فى طى طيب المسرة
وشان الهوى ماقد عرفت ولاتسل * وحسبك أن لم يخبر الحب رؤيتى
سقام بلا برء ضلال بلا هدى * أوام بلارى دم لا بقيمة
ولاعتب فالايام ليس لها رضا * وان ترض منها الصبر فهو تعنتى
ألاأيها اللوام عنى تقوضوا * ركاب ملامى فهو أول محنتى
ولا تعذلونى فى البكاء ولاالبكى * وخلوا سبيلى مااستطعتم ولوعتى
فما سلت بالدمع عينى ان جنت * ولكن رأت ذاك الجمال فجنت
تجلى وأرجاء الرجاء حوالك * ورشدى غاو والعمايات عمت

وحدث المبرد محمد بن يزيد ان ربطة ابنة ابى العباس فلم

حبذا الماء شرابا ومن مختار شعره فى عتبة
يالله ياحلوة العينين زوريني * قبل الممات والا فاستزيريني
هذان أمران فاختارى احبهما
اليك اولا فداعى الموت يدعونى
ان شئت موتا فانت الدهر مالكة
روحى وان شئت ان احيا فأحيينى
ياعتب من انت الابدعة خلقت
من غير طين وخلق الناس من طين
انى لاعجب من حب يقربنى
ممن يباعدنى عنه ويقصينى
لوكان ينصفنى مما كلفت به
اذا رضيت وكان النصف يرضينى
يااهل ودى انى قد لطفت بكم
فى الحب جهدى ولكن لاتبالونى
الحمد لله قد كنا نظنكم
من ارحم الناس طرا بالمساكين
اما الكثير فلا ارجوه منك ولو
اطمعتنى فى قليل كان يكفينى
ومن مختار شعره فيها قوله
الاياعتب ياقمر الرصافه
وياذات الملاحة والنظافه
رزقت مودتى ورزقت عطفى
ولم ارزق فديتك منك رافه
وصرت من الهوى دنفا سقيما
صريعا كالصريع من السلافه
اظل اذا رايتك مستكينا * كانك قد بعثت على آفه

قلبي سترين حتى كاني كاسف * وراجعت أبصاري له وبصيرتي

(ومن فصل الاتصال)

وكم موقف لي في الهوى خضت دونه * عباب الردى بين الظبا والاسنة
فجاوزت في حدى بجاهدتي له * مشاهدتي لما سمت بي همتي
وحل جمالي في الجلال فلا أرى * سوى صورة التنزيه في كل صورة
وغبت عن الاغيار في تيه حالتي * فلم أنتبه حتى امتحى اسمي وكنيتي
وكانت ناسوتي بأمارة الهوى * وعدت الى اللاهوت بالمطمئنة
وعلم يقيني صار عينا حقيقة * ولم يبق دوني حاجب غير هيئتي
وبدلت بالتلوين تمكين عزة * ومن كل أحوالي مقامات رفعة
وقد غبت بعد الفرق والجمع موقني * مع المحو والاثبات عند تثبتي
وكم جلت في سم الخياط وضاق بي * لبسطي وقبضي بسط وجه البسيطة
وما اخترت الادن بقرا طاز اهدا * وفي ملكوت النفس أكبر عبرة
وفقري مع الصبر اصطفيت على الغنى * مع الشكر اذ لم يحظ فيه مثوبتي
وأكتم حبي ما كني عنه أهله * ولكني اذا هم صرحوا بالخبية
واني في جنسي ومنه لواحد * كنوع ففصل النوع علة حصتي
تسببت في دعوى التوكل ذاهبا * الى أن أجدى حيلتي ترك حيلتي
وآخر حرف صار مني أولا * مريدا وحرف في مقام العبودة
تعرفت يوم الوقف منزل قومها * فبت بجمع سد خوف التشتت
فأصبحت أقضي النفس منها منى الهوى * وأقضي على قلبي برعي الرعية
فبايعتها بالنفس دارا سكنتها * وبالقلب منه منزلا فيه حلت
فخلص الاستحقاق نفسي من الهوى * وأوجب الاسترقاق تسليم شفعة
فيا نفس لا ترجعي تقطع بيننا * ويا قلب لا تجزع ظفرت بوحدة

(ومن فصل الادلال)

تبدت لعيني من جمالك لمحة * أبادت فؤادي من سناها بلفحة
ومرت بسمعي من حديثك ملحة * تبدت لها فيك القرآن وقرت
ملامي أبن عذري استبن وجدي استعن * سماعي أعن حالي ابن قاتلي اصمت
فمن شاهدي سخط ومن قاتلي رضا * وتلوين أحوالي وتمكين رتبتي
مرامي اشارات مراعي تعطر * مراقي نهايات مراسي تثبت
وفي موقفي والدار أقوت رسومها * تقرب أشواقي تبعد حسرتي
معاني أمارات مغاني تذكر * مباني بدايات مثاني تلفت
وبث غرام والحبيب بحضرة * وردسلام والرقيب بغفلة
ومطلع بدر في قضيب على نقا * فويق محل عاطل دون دجية
ومكمن سحر بابلي له بما * حوت اضلعي فعل القنا السمهرية

الخيزران بعدها أن تحضر ذلك فانها لجالسة اذ جاء أبو العتاهية في زي متنسك فقال جعلني الله فداك شيخ ضعيف كبير لا يقوى على الخدمة فان رأيت أعزك الله بشراي وعتقي فعلت مأجورة فاقبلت على عبد الله فقالت اني لأرى هيئة جميلة وضعفا ظاهرا ولسانا فصيحا ورجلا بليغا فاشتره وأعتقه فقال نعم فقال أبو العتاهية أتأذنين لي أصلحك الله في تقبيل يدك فأذنت له فقبل يدها وانصرف فضحك عبد الله ابن مالك وقال أتدرين من هذا قالت لا قال هذا أبو العتاهية وانما احتال عليك حتى قبل يدك فلو لم يكن لابي العتاهية سوى هذه الابيات التي أبان فيها عن صدق الاخاء ومحض الوفاء وهي

ان أخاك الصدق من كان معك
ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك
شتت شمل نفسه كي يجمعك

وهذه الصفة في عصرنا معدومة ومستحيل وجودها ومتعذر كونها (وروى) ابن عياش أن المنصور

 كان قد ضم الشرقي بن القطامي الى المهدي حين خلفه بالري وأمره أن يأخذ بحفظ أيام العرب ومكارم

وقراءة الاشعار فقال له المهدي ذات ليلة يا شرقي أرح قلبي بشيء يلهيه قال

ومنبت مسك من شقيق ابن منذر * على سوسن غض بجنة وجنة
ورصف اللآلي في اليواقيت كلما * تعل بصرف الراح في كل سحرة
سل السلسبيل العذب عن طعم ريقه * ونكهته يخبرك عن علم خبرة
ورمان كافور عليه طوابع * من الند لم تحمل به بنت حزنة
ولطف هواء بين خفق وبانة * ورقة ماء في قوارير فضة
لقد عز عنك الصبر حتى كأنه * سراقة لحظ منك للمتلفت
وأنت وان لم تبق مني صبابة * مني النفس لم تقصد سواك بوجهة
وكل فصيح منك يسري لمسمعي * وكل مليح منك يبدو لمقلتي
تهون على النفس فيك وانها * لتكرم أن تغشى سواك بنظرة
فان تنظريني بالرضا تشف علتي * وان تظفريني باللقا تطف غلتي
وان تذكريني والحياة بقيدها * عدلت لأمني منيتي بمنيتي
وان تذكريني بعدما أسكن الثرى * تحلت دجاه عند ذاك وولت
صليني والا جددي الوعد تدركي * صبابة نفس ايقنت بتفلت
فما ام بو هالك بتنوفة * أقيم لها خلف الحلاب فدرت
فلما رأته لا ينازع خلفها * اذا هي لم ترسل عليه وضنت
بكت كلما راحت عليه وانها * اذا ذكرته آخر الليل حنت
بأكثر مني لوعة غير أنني * رأيت وفار الصبر أحسن حلية
فرحت كما أغدو اذا ما ذكرتها * اطامن احشائي على ما اجنت
اهون ما ألقاه الا من القلى * هوى ونوى نيل الرضا منك بغيتي
أخوض الصلي اطفي العلا والعلو لا * أصل السلا ارعى الحلي بين عبرتي
الا قاتل الله الحمامة غدوة * لقد أصلت الاحشاء نيران لوعة
وقاتل مغناها وموقف شجوها * على الغصن ماذا هيجت حين غنت
فغنت غناء اعجميا فهيجت * غرامي من ذكرى عهود تولت
فارسلت الاجفان سحبا وأوقدت * جوى الذي كانت ضلوعي أكنت
نظرت بصحراء البريقين نظرة * وصلت بها قلبي فصل وصلت
فيا لهما قلبا شجيا ونظرة * حجازية لو جن طرف لجنت
ووا عجبا للقلب كيف اعترافه * وكيف بدت أسراره خلف سترة
وللعين لما سوئلت كيف أخبرت * وللنفس لما وطنت كيف دلت
وكنا سلكنا في صعود من الهوى * يسامي بأعلام العلا كل رتبة
الى مستوى ما فوقه فيه مستوى * فلما توافينا ثبت وزلت
وكنا عقدنا عقدة الوصل بيننا * على نحر قربان لدى قبر شيبة
مؤكدة بالنذر أيام عهده * فلما تواثقنا اشتددت وحلت

(ومن فصل الاحتفال)

الاخلاق ودراسة الاخبار نعم أصلح الله الامير ذكروا أنه كان في ملوك الحيرة ملك يقال كان له نديمان قد نزلا من قلبه منزلة مكينة وكانا لا يفارقانه في لهوه ومنامه ويقظته وكان لا يقطع أمرا دونهما ولا يصدر الا عن رأيهما فعبر بذلك دهرا طويلا فبيناهو ذات ليلة في شربه ولهوه اذ غلب عليه الشراب فازال عقله فدعا بسيفه وانتضاه وشد عليهما فقتلهما وغلبته عيناه فنام فلما أصبح سال عنهما فاخبر بما كان منه فاكب على الارض عاضا لها تاسفا عليهما وجزعا لفراقهما وامتنع من الطعام والشراب ثم حلف لا يشرب شرابا يزعج قلبه ما عاش وواراهما وبنى على قبريهما قبة وسماها الغريين وسن أن لا يمر بهما أحد من الملك فمن دونه الا سجد لهما وكان اذا سن الملك سنة توارثوها وأحيوا ذكرها ولم يميتوها وجعلوها عليهم حكما واجبا وفرضا لازما وأوصى بها الآباء أعقابهم فعبر الناس بذلك دهرا طويلا لا يمر أحد من صغير ولا كبير الا سجد لهما فصار ذلك سنة لازمة كالشريعة والفريضة وحكم فيمن أبى أن يسجد لهما بالقتل بعد أن يحكم له بخصلتين يجاب اليهما كائنا ما كان

أزو واعتمارا أرضها بتنسك * وأقصد حجا بيتها بتحلة
وفى نشأتى الاخرى ظهرت بماعلت * له نشأتى الاولى على كل فطرة
ولولا خفاء الرمز من لاولان ولم * تجدها الشمل مسلكا بتشتت
ولولم يجدد عهدنا عقد خلة * قضيت ولم يقض المنى صدق توبة
بعثت الى قلبى بشيرا عما رأت * على قدم عيناى منه فكفت
فلم يعد أن شام البشارة شام ما * جفا الشام من نور الصفات الكريمة
فيالك من نور لوان التفاته * تعارض منه بالنفوس النفيسة
تحدث أنفاس الصبا أن طيبها * بما حلته من حراقة حرقة
وتنبئ آصال الربيع عن الربا * وأشجاره أن قد تجلت فجلت
وتخبر أصوات البلابل انها * تغنت بترجيعى على كل ايكة
فهذا جمالى منك فى بعد حسرتى * فكيف به ان قربتنى بخلة
تبدى ومازال الحجاب ولا دنا * وغاب ولم يفقده شاهد حضرتى
له كل غير فى تجليه مظهر * ولا غير الا ما محت كف غيرة
تجلى دليل واحتجاب تنزه * واثبات عرفان ومحو وتثبت
فما شئت من شئ وآلِيتانه * هو الشئ لم تحمد فخار البتى
وفى كل خلق منه كل عجيبة * وفى كل خلق منه كل لطيفة
وفى كل خاف منه مكمن حكمة * وفى كل باد منه مظهر جلوة
أراه بقلب القلب واللغز كامنا * وفى الزجر والفال الصحيح الادلة
وفى طى اوفاق الحساب وسرما * يتم من الاعداد فابدأ بستة
وفى نفثات السحر فى العقد التى * تطوع لها كل الطباع الابية
يصور شكلا مثل شكل ويعتلى * عليه باوهام النفوس الخبيثة
وفى كل تصحيف وعضو بذاته اختلاج وفى التقويم مجلى لرؤية
وفى خضرة الكمون ترجى شرابه * مواعيد عرقوب على اثر صفرة
وفى شجر قد خوفت قطع أصلها * فبان بها حمل لا قرب مدة
وفى النخل فى تلقيحه واعتبر بما * أتى فيه عن خير البرية واسكت
وفى الطابع السبتى فى الاحرف التى * يبين منها النظم كل خفية
وفى صنعة الطلسم والكيمياء والكنوز وتغوير المياه المعينة
وفى حرز أقسام المؤدب محرز * وحزب أصيل الشاذلى وبكرة
وفى سيمياء الحاتمى ومذهب ابن سبعين اذ يعزى الى شر بدعة
وفى المثل الاولى وفى المثل الاعلى * بها اوهموا الماتسامو ابسنة
وفى كل ما فى الكون من عجب وما * حوى الكون الا ما طقابحية
فلا سر الا وهو فيه سريرة * ولا جهر الا وهو فيه كحلية
سل الذكر عن اتصاف أصناف ما ابتنى * عليه الكلام من حروف سلمية

قال فمر يوما قصار معه كارة ثياب وفيها مدقته فقال الموكلون بالغريبين للقصار اسجد فابى أن يفعل فقالوا له انك مقتول ان لم تفعل فابى فرفعوه الى الملك وأخبروه بقصته فقال ما منعك أن تسجد قال سجدت ولكن كذبوا على قال الباطل قلت فاحتكم فى خصلتين فانك مجاب اليهما وانى قاتلك قال لابد من قتلى بقول هؤلاء قال لابد من ذلك قال فانى احتكم ان اضرب رقبة الملك بمدقتى هذه قال له الملك يا جاهل لو حكمت على أن أجرى على من تخلف وراءك ما يغنيهم كان أصلح لهم قال ما احكم الا بضربة لرقبة الملك فقال الملك لوزرائه ماترون فيما حكم به هذا الجاهل قال نرى ان هذه سنة وأنت أعلم بما فى نقض السنن من العار والنار وعظم الاثم وأيضا انك متى نقضت سنة نقضت أخرى ثم يكون ذلك لمن بعدك كما كان لك فتبطل السنن قال فارغبوا الى القصار أن يحكم بما شاء ويعفينى من هذه فانى أجيبه الى ما شاء ولو بلغ حكمه شطر ملكى فرغبوا اليه فقال ما أحكم الا بضربة فى عنق الملك قال فلما رأى الملك ذلك وما عزم عليه القصار قعد له مقعدا عاما واحضر القصار فابدى مدقته وضرب بها عنق الملك فاوهنه وخر مغشيا عليه فأقام لما به سنة وبلغت به

وعن وضعها فى بعضها وبلوغها * أنت فيه أمضى عدداو تثبت
فلابد من رمز الكنوز لذى الحجا * ولاظلم الاظلم صاحب حكمة
ولولا سلام ساق للامن خيفتى * لعاجل مس البرد خوفى لميتتى
ولولم تداركنى ولكن بعطفها * درجت رجائى ان تعتنى خيبتى
ولولم توانسنى عناقبل لم ولم * قضى العتب منى بغية بعد وحشتى
ونعم أقامت أم ملكى بشكرها * كماهونت بالصبر كل بلية

(ومن فصل الاعتقال)

سرت بفؤادى اذسرت فيه نظرتى * وسارت ولم تثن العنان بعطفة
وذلك لما أطلع الشمس فى الدجى * محيا ابنة الحسين فى خير ليلة
يمانية لوانجدت حين انجدت * لما أبصرت عيناك حيا كمت
لأصحمة فى نعمها قدم بنى * لكل نجاشى بها حصن ذمة
ألمت فخطت رحلها ثم لم يكن * سوى وقفة التوديع حتى استقلت
فلوسمحت لى بالتفات وحل من * مهاوى الهوى والهون جدتقلتى
ولكنها همت بنا فتذكرت * قضاء قضاة الحسن قدما فصدت
احلت خيالا انتى لاجله * ولم انتسب منه لغير تعلة
على أنتى كلى وبعضى حقيقة * وباطل أوصافى وحق حقيقتى
وجنسى وفصلى والعوارض كلها * ونوعى وشخصى والهوا وصورتى
وجسمى ونفسى والحشا وغرامه * وعقلى وروحانيتى القدسية
وفى كل لفظ عنه ميل لمسمعى * وفى كل معنى منه معنى للوعتى
ودهرى به عيد ليوم عروبة * وأمرى أمرى والورى تحت قبضتى
ووقتى شهود فى فناء شهدته * ولاوقت لى الامشاهد غيبة
أراه معى حسا ووهما وانه * مناط الثريا من مدارك رؤيتى
وأسمعه من غير نطق كأنه * يلقن سمعى ماتوسوس مهجتى
ملأت بانوار المحبة باطنى * كانك نور فى سواد سريرتى
وحليت بالاجلال أرجاء ظاهرى * كانك فى أفقى كواكب زينة
فانت الذى أخفيه عند تسترى * وأنت الذى أبديه فى حين شهرتى
فته أحتمل واقطع أصل واعل أستفل * ومر أمتثل واملل أمل وارم أثبت
فقلبى ان عاتبته فيك لم أجد * لعتبى فيه الدهر موقع نكتة
ونفسى تنبو عن سواك نفاسة * فلا تنتمى الا اليك بهمة
تعلقت الآمال منك بفوق ما * أرى دونه ما الانسان بحيلة
وحامت حواليها وما وافقت حمى * سحائب يأس أمطرت ماء عبرتى
فلوفاتنى منك الرضا وتحققى * بعفو بكيت الدهر فوت فضيلة
ولو كنت فى أهل اليمين منعما * بكيت على ما كان من سبقية

فقيل له انه محبوس فامر باحضاره فحضر فقال لقد بقيت لك خصلة فاحكم بها فانى قاتلك لامحالة اقامة للسنة قال القصار فاذا كان لابد من قتلى فانى أحكم ان اضرب الجانب الآخر من رقبة الملك مرة أخرى فلما سمع الملك ذلك خرع لى وجهه من الجزع وقال ذهبت والله نفسى اذا ثم قال للقصار ويلك دع عنك مالا ينفعك فانه لم ينفعك منه مامضى واحكم بغيره وأنفذه لك كائنا ما كان قال ما أرى حتى الا ضربة أخرى فقال الملك لوزرائه ماترون قالوا نمت على السنة قال ويلكم ان ضرب الجانب الآخر ما شربت الماء البارد أبدا لانى أعلم ماقد نالنى قالوا فما عندنا حيلة فلما رأى ماقد أشرف عليه قال للقصار أخبرنى ألم أكن قد سمعتك تقول يوم أتى بك الموكلون بالغريين انك قد سعدت وانهم كذبوا عليك قال قد كنت قلت ذلك فلم أصدق قال فكنت سعدت قال نعم فوثب من مجلسه وقبل رأسه وقال أشهد انك صادق وانهم كذبوا عليك

وقد وليتك موضعهم وجعلت اليك بابهم وأمرهم فخجل المهدى حتى فحص برجليه وقال أحسنت وحكم

وكم من مقام قمت عنك مسائلا * أرى كل حى كل حى وميت
أتيت بفاراب أبانصرها فلم * أجد عنده علما يبرد غلتى
ولم يدر ماقولى ابن سينا مسائلا * فقل كيف أرجو عنده برء علتى
فهل فى ابن رشد بعد هذين مرتجى * وفى ابن طفيل لاحتثاث مطيتى
لقد ضاع لولا أن تدار كنى حى * من الله سعى بينهم طول مدتى
فقيض لى نهجا الى الحق سالكا * وأيقظنى من نوم جهلى وغفلتى
فصنت أنظارا لجند جنيدها * بترك فلى من رغبة رهبة
وكسرت عن رجل ابن أدهم أدهما * وانقذته من أسر حب الاسرة
وعدت على حلاج سكرى بصلبه * وألقيت بلعام التفاتى بهوة
فقولى مشكور ورأيى ناجح * وفعلى محمود بكل محلة
رضيت بعرفانى فاعليت للعلا * وأجلسنى بعد الرضا فيه جلتى
فعشت ولا ضيرا أخاف ولا قلى * وصرت حبيبا فى ديار أحبتى
فها أنا ذا امسى واصبح بينهم * مبلغ نفسى منهم ما تمنت انتهت

ومن نظمه ايضا ما حكى عنه فى الاحاطة اذ قال وانشدنى قوله فى حال قبض وقيدتها عنه
الىك بسطت الكف استنزل الفضلا * ومنك قبضت الطرف استشعر الذلا
وها انا ذا قد قدمتنى الرجا * ويحجم بى الخوف الذى خامر العقلا
اقدم رجلا ان يضئ برق مطمع * وتظلم ارجائى فلا انقل الرجلا
ولى عثرات لست آمل ان هوت * بنفسى ان لا استقيل وان اصلى
فان تدركنى رحمة انتعش بها * وان تكن الاخرى فاولى بى الاولى

وقوله رحمه الله تعالى

وجد تسعره الضلو * ع وما تبرده المدامع
هم تحركه الصبا * به والمهابة لا تطاوع
أمل اذا وصل الرجا * أسبابه فالموت قاطع
بالله يا هذا الهوى * ماأنت بالعشاق صانع

وقال رحمه الله تعالى كما فى الاحاطة ومما كتبت به لمن بلغنى عنه بعض الشئ

نحن ان تسأل بناس معشر * اهل ماء غيرته الهمم
عرب من يضهم أرزاقهم * ومن السمر الطوال الخيم
عرضت أحسابهم أرواحهم * دون نيل العرض وهى الكرم
او رثونا المجد حتى اننا * نرتضى الموت ولا نرتحم
مالنا فى الناس من ذنب سوى * اننا نلوى اذا ما اقتحموا

وقال مما قلته مذيلا به قول القاضى أبى بكر بن العربى

اماوالمسجد الاقصى * وما يتلى به نصا
لقد رقصت بنات الشو * ق بين جوانحى رقصا

لاتأذن له فانه منافق كذاب فكلمه الحسن ابن أبى عطية فيه فادخله فقال له المهدى يافاسق ألست القائل فى معن
جبل تلوذ به نزار كلها
صعب الذرا متمنع الاركان
قال بل أنا الذى أقول فيك ياأمير المؤمنين
ياابن الذى ورث النبى محمدا
دون الاقارب من ذوى الارحام
وأنشده الابيات كلها فرضى عنه وأجازه * وقال القعقاع بن الحكيم كنت عند المهدى وأتى سفيان الثورى فلما دخل عليه سلم تسليم العامة ولم يسلم تسليم الخلافة والربيع قائم على رأسه متكئ على سيفه فاقبل المهدى بوجه طلق وقال له ياسفيان تفر منا ههنا وههنا وتظن انا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك فقد قدرنا عليك الآن افما تخشى ان نحكم فيك بهوانا قال سفيان ان تحكم فى يحكم فيك ملك قادر يفرق بين الحق والباطل فقال له الربيع ياأمير المؤمنين ألهذا الجاهل ان يستقبلك بمثل هذا ائذن لى ان اضرب عنقه فقال له اسكت ويلك ما يريد هذا

ولي

فأقلع بي اليه هوى * جناحا عزمه قصا
أقل القلب واستعدى * على الجثمان فاستعصى
فقسمت أجول بينهما * فلا أدنى ولا أقصى

(قال رحمه الله تعالى) ومما قلته في التورية بشأن راوي المدونة

لا تعجبن لظبي قد دها أسدا * فقد دها أسدا من قبل سحنون

(ومن نظم مولاي الجد) مما لم يذكره في الاحاطة قوله حسبما ألفي بخطه على ظهر نسخة من تأليفه القواعد

ناديت والقلب بالاشواق محترق * والنفس من حيرة الابعاد في دهش
يا معطشي من وصال كنت آمله * هل فيك لي فرج ان صحت واعطشي

(ومن نظمه) ما أسنده الونشريسي اليه

خالف هواك وكن لعقلك طائعا * تخذ الحقيقة عند طرف الناظر

(ومنه) مما نسبه له المذكور ورأيت من ينسبهما لغيره

لما رأيناك بعد الشيب يا رجل * لا تستقيم وأمر النفس تمتثل
زدنا يقينا بما كنا نصدقه * بعد المشيب يشب الحرص والامل انتهى

(وفي الاحاطة) في ترجمة شعره ما صورته قال ومما قلته من الشعر وبه نختم الكلام

أنبت عودا بنعماء بدأت بها * فضلا وألبسته بالعبد اللحى الورقا
فظل مستشعرا مستدثرا أرجا * ريان ذا بهجة يستوقف الحدقا
فلا تشنه بمكروه الجنى فلكم * عودته من جميل من لدن خلقا
وانف القذى عنه وأثر الدهر منبته * وغذه برجاء واسقه غدقا
واحفظه من حادثات الدهر أجمعها * ما جاء منها على ضوء وما طرقا

انتهى ما قصدته من ترجمة مولاي الجد على ما اقتضاه الوقت ولو أرسلت عنان القلم في شأنه لضاق هذا الديوان عن ذلك ويرحم الله شيخ شيوخ شيوخنا عالم المغرب سيدي أبا العباس الونشريسي ثم التلمساني نزيل فاس صاحب المعيار وغيره اذ قال في تأليفه الذي عرف فيه بمولاي الجد لما سأله بعضهم في ذلك وذكر ما حضره ما نصه ولقد استوفى شيخ شيوخنا المحقق النظار أبو عبد الله بن مرزوق الحفيد ترجمة المقري في كتاب سماه النور البدري في التعريف بالفقيه المقري انتهى وقد تقدمت الاشارة الى أن اسم هذا التأليف مبني على أن المقري بفتح الميم وسكون القاف وقد علمت ما في ذلك مما مضى قلت وقد ملكت بفاس مجلدا ضخما بخط مؤلفه وهو أحد علماء مدينة فاس ألفه برسم مولاي الجد وسماه بالزهر الباسم وأطال فيه في مدح مولاي الجد والثناء عليه والتنويه بقدره وذكر محاسنه ولم يحضرني الآن لكوني تركته مع جملة كتبي بالمغرب وقد تعلق بحفظي ما قاله في أوله من جملة أبيات

اذا ذكرت مفاخر أهل فاس * ذكرنا من أتى من تلمسان
وقلنا هل رأيتم في قضاة * شبيها للفقيه العدل ثاني

حكم فكتب عهده ودفعه اليه فأخذه وخرج ورمى به في الدجلة وهرب فطلب في كل بلد فلم يوجد وقال علي بن يقطين كنا مع المهدي بما سبذان فقال لي يوما أصبحت جائعا فائتني بأرغفة ولحم بارد ففعلت فأكل ثم دخل القصر ونام وكنا نحن في الرواق فانتبهنا ببكائه فبادرنا اليه مسرعين فقال أما رأيتم ما رأيت قلنا ما رأينا شيئا قال وقف علي رجل لو كان في ألف رجل ما خفي علي صوته فقال

كأني بهذا القصر قد باد أهله
وأوحش منه ربعه ومنازله
وصار عميد القوم من بعد بهجة
وملك الى قبر عليه جنادله
فلم يبق الا ذكره وحديثه
تنادي عليه معولات حلائله

قال علي فما أتت على المهدي بعد رؤياه الا عشرة أيام حتى توفي (قال المسعودي) وكانت وفاة زفر بن الهذيل الفقيه صاحب أبي حنيفة النعمان ابن ثابت سنة ثمان وخمسين ومائة وفيها كانت بيعة المهدي كما قدمناه ومات سفيان بن سعيد ابن مسروق الثوري بالبصرة وكان من تميم وهو ابن ثلاث وستين سنة ويكنى أبا عبد الله في أيام المهدي وذلك في سنة احدى وستين ومائة ومات ابن أبي ذئب وهو محمد بن عبد الرحمن بن

الى

الى ان قال

ونفس العلم ان شانت لشخص * فالمقرى فى العلم شانى انتهى

وقد أخذ عنه رحمه الله تعالى جماعة أعلام مشهورون منهم لسان الدين بن الخطيب ذو الوزارتين والوزير أبو عبد الله بن زمرك والاستاذ العلامة أبو عبد الله القيجاطى الآية فى علم القراآت والشيخ الفقيه القاضى الرحال الحاج أبو عبد الله محمد بن سعيد بن عثمان بن سعيد الصنهاجى الزمورى الدار المعروف بنقشابو والولى ابن خلدون صاحب التاريخ وفى بعض المواضع يعبر عنه بصاحبنا وفى بعضها بشيخنا والنظار أبو اسحق الشاطبى والعلامة أبو محمد عبد الله بن جزى والحافظ بن علاق وغيرهم ممن يطول تعداده ولا كالشيخ الولى الشهير الكبير العارف بالله سيدى محمد بن عباد الرندى شارح حكم ابن عطاء الله فانه ممن يفتخر مولاى الجد رحمه الله تعالى بكون مثله تلميذا له (ولا باس أن نورد ترجمته) تبركا به فى هذا الكتاب ولو لم تقتضه المناسبة التى راعيناها فى هذا التاليف فكيف وقد اقتضته (فنقول) قال فى حقه صاحبه الشيخ أبو زكريا السراج (ما صورته) هو شيخنا الفقيه الخطيب البليغ الخاشع الخاشى الامام العالم المصنف السالك العارف المحقق الربانى ذو العلوم الباهرة والمحاسن المتظاهرة سليل الخطباء ونتيجة العلماء أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الفقيه الواعظ الخطيب البليغ العلم الحظى الوجيه الحسيب الاصيل أبى اسحق ابراهيم بن أبى بكر بن عباد كان حسن السمت طويل الصمت كثير الوقار والحياء جميل اللقاء حسن الخلق والخلق عالى الهمة متواضعا معظما عند الخاصة والعامة نشا ببلده رندة على أكمل طهارة وعفاف وصيانة وحفظ القرآن ابن سبع سنين ثم تشاغل بعد بطلب العلوم النحوية والادبية والاصولية والفروعية حتى رأس فيها وحصل معانيها ثم أخذ فى طريق الصوفية والمباحثة على الاسرار الالهية حتى أشير اليه وتكلم فى علوم الاحوال والمقامات والعلل والآفات وألف فيه تواليف عجيبة وتصانيف بديعة غريبة وله أجوبة كثيرة فى مسائل العلوم نحو مجلدين ودرس كتبا وحفظها أوجلها كشهاب القضاعى والرسالة ومختصرى ابن الحاجب وتسهيل ابن مالك ومقامات الحريرى وفصيح ثعلب وغيرها وقوت القلوب أخذ ببلده رندة عن أبيه القرآن وغيره وعن خاله الشيخ الفقيه القاضى عبد الله الفريسى العربية وغيرها وعن الشيخ الفقيه الخطيب أبى الحسن على بن أبى الحسن الرندى حرف نافع وعرض عليه الرسالة وبتلمسان وفاس عن السيد الشريف الامام العالم العلامه المحقق أبى عبد الله التلمسانى الحسنى جمل الخونجى تفهما وغيره وعن الشيخ الفقيه القاضى العالم أبى عبد الله المقرى كثيرا من المختصر الفرعى لابن الحاجب وفصيح ثعلب وبعض صحيح مسلم كلها تفقها وعن الشيخ الفقيه العالم أبى محمد عبد النور العمرانى الموطأ والعربية وعن الامام العالم أبى عبد الله الابلى الارشاد لابى المعالى وجميع كتاب ابن الحاجب الاصلى وعقيدة ابن الحاجب تفقها وعن الشيخ الفقيه الحافظ أبى الحسن الصرصرى بعض التهذيب تفقها وعن الشيخ الاستاذ المقرى الصالح احمد بن عبد الرحمن الجاصى شهر بالمكناسى كثيرا من جمل الزجاج وتسهيل ابن مالك وعن

وماثة مات شعبة بن الحجاج ويكنى أبا بسطام وهو مولى لبنى شقرة من الازد وفيها توفى عبد الرحمن بن عبد الله المسعودى وفى سنة ست وستين ومائة مات حماد بن سلمة فى أيام المهدى (قال المسعودى) وللمهدى أخبار حسان لما كان فى أيامه من الكوائن والحروب وغيرها قد أتينا على مبسوطه فى الكتاب الاوسط وكذلك من مات فى سلطانه من الفقهاء وأصحاب الحديث وغيرهم وبالله التوفيق

(ذكر خلافة موسى الهادى)

وبويع موسى بن محمد الهادى لسبع بقين من المحرم وهو ابن أربع وعشرين سنة وثلاثة أشهر صبيحة الثلاثاء التى كانت فيها وفاة والده المهدى وذلك فى سنة تسع وستين ومائة وتوفى بعيساباذ نحو مدينة السلام سنة سبعين ومائة لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول من هذه السنة وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر وكان يكنى أبا جعفر وأمه الخيزران بنت عطاء أم ولد حرشية وهى أم الرشيد

وأتته البيعة وهو ببلاد طبرستان وجرجان فى حرب كانت هنالك فركب البريد وقد أخذ له

الشيخ الفقيه الصالح ابي مهدي عيسى المصمودي جميع كتاب ابن الحاجب والحاجبية له ايضا تفقها وتفقه على الفقيه العالم ابي محمد الواتعلي في كتاب ابن الحاجب الفقهي وأخذ عنه حرف نافع وعن الشيخ الفقيه الصالح المدرس بالحلفاويين أبي محمد عبد الله القستالي كثيرا من التهذيب ومن قاضي الجماعة وخطيب الحضرة أبي عبد الله محمد بن أحمد القستالي كثيرا من التهذيب تفقها وكذا عن غيرهم ولقي بسلا الشيخ الحاج الصالح السني الزاهد الورع أحمد ابن عمر بن محمد بن عاشر وأقام معه ومع أصحابه سنين عديدة قال قصدتهم لوجدان السلامة معهم ثم رحل لطنجة فلقي بها الشيخ الصوفي أبا مروان عبد الملك لازمته كثيرا وقرأت عليه وسمعت منه وأنشدني من شعره وشعر غيره وترددت بيني وبينه مسائل في اقامته بسلا وانتفعت به عظيما في التصوف وغيره وأجازني اجازة عامة مولده برندة عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة وتوفي بعد العصر يوم الجمعة ثالث رجب عام اثنين وتسعين وسبعمائة وحضر جنازته الامير فمن بعده وهمت العامة بكسر نعشه تبركا به ولم أر جنازة أحفل ولا أكثر خلقا منها ورثاه الناس بقصائد كثيرة انتهى كلام السراج * وقال غيره في حقه محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن مالك بن ابراهيم بن محمد بن مالك بن ابراهيم بن يحيى بن عباد النفزي نسبا الرندي بلدا الشهير بابن عباد الفقيه الصوفي الزاهد الولي العارف بالله تعالى * وقال في حقه الشيخ ابن الخطيب القسطيني في كتابه انس الفقير وعز الحقير هو الخطيب الشهير الصالح الكبير وكان والده من الخطباء الفصحاء الحياء ولابي عبد الله هذا عقل وسكون وزهد وصلاح مقرون وكان يحضر معنا مجلس شيخنا الفقيه أبي عمران العبدوسي رحمه الله تعالى وهو من أكابر أصحاب ابن عاشر ومن خيار تلامذته وأخذ عنه وله كلام عجيب في التصوف وصنف فيه كما هو الآن يقرأ على الناس مع كتب التذكير وله في ذلك قلم انفرد به وسلم له فيه بسببه ومن تصانيفه شرح كتاب الحكم لابن عطاء الله في سفر رأيته وعلى ظهر نسخة منه مكتوب

لا يبلغ المرء في أوطانه شرفا * حتى يكيل تراب الارض بالقدم

ومن كلامه فيه الاستئناس بالناس من علامات الافلاس وفتح باب الانس بالله تعالى الاستيحاش من الناس ومن كلامه فيه من لازم الكون وبقي معه وقصر همته عليه ولم تنفتح له طريق الغيوب الملكوتية ولا خلص له بسره الى فضاء شهادة الوحدانيه فهو مسجون بمحطاته ومحصور في هيكل ذاته الى غير ذلك من كلامه وكان يحضر السماع ليلة المولد عند السلطان وهو لا يريد ذلك وما رأيته قط في غير مجلس جالسا مع أحد وانما حظ من يراه الوقوف معه خاصة وكنت اذا طلبته في الدعاء احمر وجهه واستحيا كثيرا ثم يدعو لي وأكثر تمتعه من الدنيا بالطيب والبخور الكثير ويتولى أمر خدمته بنفسه ولم يتزوج ولم يملك أمة ولباسه في داره مرقعة فاذا خرج سترها بثوب اخضر أو ابيض وله تلامذة كلهم أخيار مباركون وبلغني عن بعضهم انه تصدق حين تاب على يده بعشرة آلاف دينار ذهبا وهو الآن امام جامع القرويين بفاس وخطيبه وأكثر قراءته في صلاة الجمعة اذا جاء نصر الله وأكثر خطبته وعظ ومثله من يعظ الناس لانه اتعظ في نفسه وقد أوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام

شمر للحرب سرابيله برأي لا غمر ولا وان

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)

كان موسى قاسي القلب شرس الاخلاق صعب المرام كثير الادب محبا له وكان شديدا شجاعا جوادا سخيا (حدث) يوسف بن ابراهيم الكاتب وكان صاحب المهدي عن ابراهيم انه كان واقفا بين يديه وهو على حمار له ببستانه المعروف ببغداد اذ قيل له قد ظفر برجل من الخوارج فأمر بادخاله فلما قرب منه الخارجي أخذ سيفا من بعض الحرس فأقبل يريد موسى فتنحيت وكل من معي عنه وانه لواقف على حماره ما يتحلحل فلما أن قرب منه الخارجي صاح موسى اضربا عنقه وليس وراءه أحد فأوهمه فالتفت الخارجي لينظر وجمع موسى نفسه ثم ظهر عليه فصرعه فأخذ السيف من يده فضرب عنقه قال فكان خوفنا منه أكثر من الخارجي فوالله ما أنكر علينا تنحينا ولا عذلنا على ذلك ولم يركب حمارا بعد ذلك اليوم ولا فارقه سيفه وكان عيسى بن دأب يجالسه وكان من أهل الحجاز

والسلام يا عيسى عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني ذكره الغزالي وعهدي به انه على صفة البدلاء الصادقين النبلاء كثر الله مثله في الاسلام انتهى قلت وقد زرت قبره مرارا بفاس ودعوت الله تعالى عنده وهو عند اهل فاس بمثابة الشافعي عند اهل مصر ومن منن الله سبحانه على اني سكنت محله لما توليت الخطابة والامامة بجامع القرويين من فاس المحروسة مضافين الى الفتوى والدار المعلومة للخطيب بالجامع المذكور الى الآن تعرف بدار الشيخ ابن عباد واقمت على ذلك خمس سنين وأشهرا ثم قوضت الرحال للمشرق وها أنا الى الآن فيها والله ييسر الخير حيث كان ❊وقال الشيخ سيدي أحمد زروق في شان الشيخ ابن عباد انه ولد برندة وبها نشأ في عفاف وصون ثم رحل لفاس وتلمسان فقرأ بهما الفقه والاصول والعربية ثم عاد فصحب بمدينة سلا أفضل أهل زمانه علما وعملا سيدي أحمد بن عاشر نفعنا الله به فاظهر الله تعالى عليه من بركاته مالا يخفى على متامل ثم نقل بعد وفاة الشيخ فجعل خطيبا بجامع القرويين من مدينة فاس وبقي بها خمس عشرة سنة خطيبا وتوفاه الله تعالى بها بعد صلاة العصر من يوم الجمعة رابع رجب سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ودفن بكدية البراطل من داخل باب الفتوح وكان رضي الله عنه دا صمت وسمت وتحمل وزهد معظما عند الكافة معولا في حل المشكلات على فتح الفتاح العليم

ومن علمه أن ليس يدعي بعالم ❊ ومن فقره أن لا يرى يشتكي الفقرا
ومن حاله ان غاب شاهد حاله ❊ فلا يدعي وصلا ولا يشتكي هجرا

كذا رأيت بخط من أثق به في تعريفه مختصرا مع زيادة ما تحققت وكتبه شاهدة بكماله علما وعملا فهي كافية في تعريفه وكان الذي طلبه في وضع الشرح على الحكم سيدي أبو زكريا السراج الذي أكثر رسائله له وسيدي أبو الربيع سليمان بن عمر انتهى ❊وقال في موضع آخر سيدنا العارف المحقق الخطيب البليغ نسيج وحده ومقدم من أتى من بعده أبو عبد الله قرأ بفاس وتلمسان العربية والاصول والفقه ككتاب الارشاد ومختصر ابن الحاجب الفقهي والاصلي وتسهيل ابن مالك وتوفي بفاس وقبره بها مشهور وزيارته معروفة شرقا وغربا وقد كتب مسائل معروفة اكثرها لسيدي يحيى السراج وله كتب الشرح مع سيدي سليمان بن عمر الذي قال في حقه انه ولي بلا شك بطلبهما لذلك ورأيت كتابا في الامامة وسماه تحقيق العلامة في احكام الامامة ذكر له لشيخنا القوري رحمه الله تعالى وكان معتنيا بكتبه معولا عليها في حاله فقال اظنه لوالده سيدي ابراهيم وقد كان خطيبا بالقصبة اذ كانت عامرة وله خطب عظيمة الفصاحة حسنة الموقع انتهى ❊وقال الشيخ أبو يحيى بن السكاك أما شيخي وبركتي أبو عبد الله بن عباد رضي الله عنه فانه شرح الحكم وعقد درر منثورها في نظم بديع وجمعت من انشائه مسائل مدارها على الارشاد الى البراءة من الحول والقوة فيها نبذ كانفاس الاكابر مع حسن التصرف في طريق الشاذلي وجودة تنزيل على الصور الجزئية وبسط التعبير مع انتهاء البيان الى أقصى غاياته والتفنن في تقريب الغامض الى الاذهان بالامثلة الوضعية فقرب بها حقائق الشاذلية تقريبا لم يسبق اليه كما قرب الامام ابن رشد مذهب مالك تقريبا لم يسبق اليه وكان مع ذلك آية في التحقق

الهادي يدعوله متكأ ولم يكن غيره يطمع منه في ذلك وكان يقول له يا عيسى ما استطلت بك يوما ولا ليله ولا غبت عني الا ظننت أني لا أرى غيرك (وذكر) عيسى بن داب أنه رفع الى الهادي ان رجلا من بلاد المنصورة من بلاد السند من أشرافهم وأهل الرياسة فيهم من آل المهلب بن أبي صفرة ربى غلاما سنديا أو هنديا وان الغلام هوى مولاته فراودها عن نفسها فاجابته فدخل مولاه فوجدها معه فجب ذكر الغلام وخصاه ثم عالجه الى ان برئ فأقام مدة وكان لمولاه ابنان أحدهما طفل والآخر يافع فغاب الرجل عن منزله وقد أخذ السندي الصبيين فصعد بهما الى أعالي سور الدار الى ان دخل مولاه فاذا هو بابنيه مع الغلام على السور فقال يا فلان عرضت ابني للهلاك فقال دع ذا عنك والله لو لم تجب نفسك بحضرتي لارمين بهما فقال له الله الله في وفي ابني قال دع عنك هذا فوالله ماهي الا نفسي واني لاسمح بها من شربة ماء واهوى ليرمي بهما فاسرع مولاه فاخذ مدية فجب نفسه فلما رأى

الغلام انه قد فعل رمى بالصبيين فتقطعا وقال ذلك الذي فعلت لفعلك بي وقتل هذين زيادة فأمر

بالعبودية والبراءة من الحول والقوة وعدم المبالاة بالمدح والذم بل له مقاصد نفسة في الاعراض عن الخلق وعدم المبالاة بهم واعظم اخلاقه التي لا يصبر عنها ويضطرب لها غاية الاضطراب ان يحضر حيث ينسى الحق لا سيما ان كان نسيان الحق بالنسبة اليه فهو الذي يقلقه ويضيق صدره على اتساعه ووفور انشراحه عن ذلك ولقد ذكر بعض من كان من أخص الناس به ومنقطعا اليه احوال رجال الرسالة القشيرية والحلية وما نحوا من المواهب قال فلما مات الشيخ واستبصرت ما أشاهده منه من أفعال تدل على القطع بصديقيته لاح لي ان تلك الصفات التي يذكر مشخصة فيه نشاهدها عيانا ولولم أر الشيخ لقلت انني لم أر كالا وعلى الجملة فهو واحد عصره بالمغرب ذكر لي عن قطب المعقول بالمغرب والمشرق الابلي انه كان يشير اليه في حال قراءته عليه اعني الشيخ ابن عباد ويقول ان هنالك علما جما لا يوجد عند مشاهير اهل ذلك الوقت الا انه كان لا يتكلم رضي الله عنه وشهد له القطوع بولايتهم بالتقدم واقروا له بالشيخوخة وتبركوا به كسيدي سلمان البازغي وسيدي محمد المهمودي وسيدي سلمان بن يوسف بن عمر الانفاسي وامثالهم وكان شيخه الحجة الورع احمد بن عاشر يشيد بذكره ويقدمه على سائر اصحابه ويأمرهم بالاخذ عنه والانتفاع به والتسليم له ويقول ابن عباد امة وحده ولا شك انه كذلك كان اعني غريبا فان العارف غريب الهمة بعيد القصد لا يجد مساعدا على قصده وكان الغالب عليه الحياء من الله تعالى والتنزل بين يدي عظمته وتنزيله نفسه منزلة اقل الحشرات لا يرى لنفسه مزية على مخلوق لما غلب عليه من هيبة الجلال وعظمة المالك وشهود المنة ناظرا الى جميع عباد الله تعالى بعين الرحمة والشفقة والنصيحة العامة مع توفية المراتب حقها والوقوف مع الحدود الشرعية واعتبارهم من حيث مراد الله تعالى بهم هذا دأبه مع الطائع والعاصي مالم يظهر له من احد مخايل حب التعظيم والمدح والتجبر على المساكين ورؤية الحق اذ هي دعوى لا تليق بالعبد ومن كانت هذه صفته فقد وصل حد الخذلان بل هي علامة تقارب القطع على انه شقي مسلم الى غضب الله تعالى ومقته اعاذنا الله تعالى منه وكان من حال هذا السيد تألف قلوب الاولاد الصغار فهم يحبونه محبة تفرق محبتهم لآبائهم وامهاتهم فينتظرون خروجه للصلاة وهم عدد كثير يأتون من كل اوب ومن المكاتب البعيدة فاذا رأوه ازدحموا على تقبيل يده وكذا كان ملوك زمانه يزدحمون عليه ويتذللون بين يديه فلا يحفل بذلك وذكر لي بعض تلامذته ان اقواله لا تشبه افعاله لما منحه الله تعالى من فنون الاستقامة مع ما في كلامه من النور والحلاوة التي استفزت ألباب المشارقة بحيث صار لهم بحث عريض على تواليفه انتهى كلام ابن السكاك وله من التواليف الرسائل الكبرى والصغرى وشرح الحكم ونظمها في ثمانمائة بيت من الرجز (وحدث) الشيخ أبو مسعود الهراس قال كنت اقرأ في صحن جامع القرويين والمؤذنون يؤذنون بالليل فاذا أبو عبد الله بن عباد قد خرج من باب داره وجاء يطير في الصحن كانه جالس متربع حتى دخل في البلاط الذي حول الصومعة ثم مشيت فوجدته يصلي حول المحراب وسأله الهراس عن أبي حامد الغزالي فقال هو فوق الفقهاء واقل من الصوفية ومما نقل من خطه رحمه الله تعالى ولا يدري هل هي له أم لا

فرخص السند في أيامه حتى كانوا يتداولون بالثمن اليسير وكان الهادي قد استوزر الربيع وضم اليه ما كان لعمر بن بزيع من الزمام ثم ولى عمر بن بزيع الوزارة وديوان الرسائل وأفرد الربيع بالزمام فمات الربيع في هذه السنة وقيل ان الهادي سقاه شربة لاجل جارية كان قد وهبها له المهدي كانت قبل ذلك للربيع وقيل غير ذلك ❊ وظهر في أيامه الحسين ابن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهو المقتول بفخ وذلك على ستة أميال من مكة يوم التروية وكان على الجيش الذي حاربه جماعة من بني هاشم منهم سليمان بن أبي جعفر ومحمد بن سليمان ابن علي وموسى بن علي والعباس بن محمد بن علي في أربعة آلاف فارس وقتل الحسين وأكثر من كان معه وأقاموا ثلاثة أيام لم يواروا حتى أكلتهم السباع والطير وكان معه سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي فاسر في هذا اليوم وضربت رقبته بمكة صبرا وقتل معه عبد الله بن اسحق بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي وأسر الحسن

ابن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي وضرب عنقه صبرا وأخذ لعبد الله ابن الحسن بن علي والحسين

الحزم قبل العزم فاحزم واعزم * واذا استبان لك الصواب فصمم
واستعمل الرفق الذي هو مكسب * ذكر القلوب وجد وأجمل واحلم
واحرس وسر واشجع وصل وامنن وصل * واعدل وأنصف وارع واحفظ وارحم
واذا وعدت فعدها تقوى على * انجازه واذا اصطنعت فتمم

وذكر الشيخ الفقيه الخطيب القاضي الحاج أبو سعيد بن أبي سعيد السلوي أنه رأى في حائط جامع القرويين أبياتا مكتوبة بفحم بخط الشيخ أبي عبد الله بن عباد وهي

أيتها النفس اليه اذهبي * فحبه المشهور من مذهبي
مفضض الثغر له نقطة * من عنبري خده المذهب
أيأسني التوبة من حبه * طلوعه شمسا من المغرب

قال الشيخ أبو سعيد فاستشكلت هذه الابيات لما اشتملت عليه من التغزل وذكر الخال والخد والثغر ومقام الشيخ ابن عباد يجل عن الاشتغال بمثل هذا فلقيت يوما أبا القاسم الصيرفي فذاكرته بالقصة ووجه الاشكال فيها فقال لي مقامك عندي أعلى من أن تستشكل مثل هذا هذه أوصاف ولي الله القائم بأمر الله المهدي فشكرته على ذلك انتهى قلت رأيت بخط الوانشريسي اثر هذه الحكاية ما نصه قلت في صحة هذه الحكاية عن الشيخ نظر لما احتوت عليه من تعبير الحسن وقدر الشيخ وورعه أعلى من هذا فهذان اشكالان والله أعلم (وحكي) أن الشيخ ابن عباد رحمه الله تعالى لما احتضر جعل رأسه في حجر أبي القاسم هذا وأخذ في قراءة آية الكرسي الى قوله الحي القيوم ثم يقول يا الله يا حي يا قيوم فيلقنه من حضر لا تأخذه سنة ولا نوم فيمتنع الشيخ من قراءتها ويقول يا الله يا حي يا قيوم فلما قربت وفاته سمع منه هذا البيت وكان آخر ما تكلم به

ماعوّدوني أحبائي مقاطعة * بل عوّدوني اذا قاطعتهم وصلوا

ولما توفي الشيخ ابن عباد رضي الله عنه في التاريخ المتقدم حضر جنازته السلطان أمير المسلمين أبو العباس أحمد ابن السلطان أبي سالم وأهل البلدين يعني فاسا الجديد التي هي مسكن السلطان وخواص أتباعه وفاسا العتيق التي هي محل الاعلام والخاص والعام من الناس في ذلك القطر اذ هي اذ ذاك حضرة الخلافة وقبة الاسلام في المغرب وتقدم بعده للامامة والخطبة بجامع القرويين نائبه أيام مرضه الشيخ الصالح الورع أبو زيد عبد الرحمن الزرهوني حسبما قاله الحادري رحمه الله تعالى (وحكي) الوانشريسي رحمه الله تعالى أن الشيخ ابن عباد كلم ابن دريدة الوالي في مظلمة فلم يقبل فلما كان يوم الجمعة ونزل السلطان أبو العباس للصلاة بجامع القرويين وراء الشيخ ابن عباد قال الشيخ في أثناء خطبته من الامور المستحسنة أن لا يبقى الوالي سنة انتهى وللشيخ ابن عباد خطب مدونة بالمغرب مشهورة بأيدي الناس ويقرؤن منها ما يتعلق بالمولد النبوي الشريف بين يدي السلطان تبركا بها وكذا يقرؤنها في المجتمعات في المواسم كأول رجب وشعبان ونصفهما والسابع والعشرين منهما كرمضان وقد حضرت بمراكش المحروسة سنة عشر وألف قراءة كراسة الشيخ في المولد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام بين يدي مولانا السلطان المرحوم أحمد المنصور بالله الشريف

ابن علي الامان فنساء عند جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك وقتل بعد ذلك فسخط الهادي على موسى بن عيسى لقتل الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن وترك المصير به اليه ليحكم فيه بما يرى وقبض أموال موسى وأظهر الذين أتوا بالرأس الاستبشار فبكى الهادي وزجرهم وقال أتيتموني مستبشرين كأنكم أتيتموني برأس رجل من الترك أو الديلم انه رأس رجل من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ان أقل جزائكم عندي لا أثيبكم شيأ وفي الحسين ابن علي صاحب فخ يقول بعض شعراء ذلك العصر من أبيات

فلأبكين على الحسين بعولة وعلى الحسن
وعلى ابن عاتكة الذي أثووه ليس له كفن
تركوا بفخ غدوة في غير منزلة الوطن
كانوا كراما قتلوا لا طائشين ولا جبن
غسلوا المذلة عنهم غسل الثياب من الدرن
هدي العباد بجدهم فلهم على الناس المنن

وكان الهادي كثير الطاعة لامه الخيزران يجيبها فيما تسئل من الحوائج للناس فكانت المواكب لا تخلو من بابها ففي ذلك يقول أبو المعافى

الحسني رحمه الله وقد احتفل لذلك المولد بأمور يستغرب وقوعها جازاه الله تعالى عن نيته خيرا وقد أشرت الى ذلك في كتابي الموسوم بروضة الآس العاطرة الانفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس وسردت جملة من القصائد والموشحات في وصف ذلك الصنيع ورحمة الله واسع الجميع (ولنرجع) الى مشايخ لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى فنقول (ومنهم) الشيخ الفقيه القاضي بمكناسة الزيتون أبو محمد عبد الحق بن سعد بن محمد ذكره في نفاضة الجراب وقال انه لقيه بمكناسة الزيتون سنة احدى وستين وسبعمائة وكان من أهل المعرفة والحصافة قائما على كتاب أبي عمرو بن الحاجب في مذهب مالك وكان ممتازا به فيما دون تلمسان قرأه على الشيخين علمي الافق المغربي أبي موسى وأبي زيد ابني الامام عالمي تلمسان والمغرب جميعا قال لسان الدين في النفاضة وتصدر المذكور لاقرائه الآن فاشتمت من اضطلاع ومعرفة واطلاع وقيد جزأ نبيلا على فتوى الامام القاضي أبي بكر بن العربي المسماة بالحاكمة وسماه بالجازمة على الرسالة الحاكمة أجاد فيه وأحسن وقرأت عليه بعضه واذن لي في تحمله انتهى (ومن اشياخ لسان الدين الذين لقيهم بمكناسة الزيتون) الفقيه الفاضل الخير يونس بن عطية الوانشريسي له عناية بفروع الفقه وولي القضاء بقصر كتامة (ومنهم) الفقيه الفاضل الخير ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي عفيف المتصدر لقراءة كتاب الشفاء النبوي لديه جملة حسنة من أصول الفقه أشفع بها على كثير من نظرائه قراءة منه اياها على أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل الصباغ وشاركه في قراءتها على الامام أبي عبد الله الابلي (ومنهم) الفقيه المدرك الاستاذ في فن العربية أبو علي عمر بن عثمان الوانشريسي قال لسان الدين حضرت مذاكرته في مسئلة اعوزت عليه وطال عنها سؤاله وهي قول الشاعر

الناس اكيس من أن يمدحوا رجلا * مالم يروا عنده آثار احسان

وصورة السؤال كيف وقوع افعل بين شيئين لا اشتراك بينهما في الوصف اذ اوقع الشاعر اكيس بين الناس و بين أن يمدحوا وهو مؤول بالمصدر وهو المدح ولا يوصف بذلك انتهى قلت الاشكال مشهور والجواب عنه بضرب من المجاز ظاهر وقد أشار اليه أبو حيان في الارتشاف وجماعة آخرون في قول بعض المؤلفين كصاحب التلخيص أكثر من أن تحصى ولولا السآمة لذكرت ماقيل في ذلك وخلاصة ماقالوه أن في الكلام تقديرا والله أعلم (وممن لقيه) لسان الدين بمكناسة الزيتون الفقيه العدل الاخباري الاديب المشارك أبو جعفر أحمد بن محمد بن ابراهيم الاوسي الجنان من أهل الظرف والانطباع والفضيلة وهو كاتب عاقد للشروط ناظم ناثر مشارك في فنون من العلم مؤلف وقد ذكرنا في غير هذا المحل مادار بينه و بين لسان الدين من المحاورة والمراجعة فليراجع قال لسان الدين رحمه الله تعالى ناولني المذكور تأليفه الحسن الذي سماه المنهل المورود في شرح المقصد المحمود شرح فيه وثائق الجزيري فاربى بيانا وافادة واجادة وأذن لي في حمله عنه وهو في ثلاث مجلدات وأنشدني كثيرا من شعره (ومنهم) القاضي بها أبو عبد الله بن أبي رمانة قال لسان الدين لقيته بمكناسة وكان من أهل الحياء والحشمة وذوي السذاجة والعفة ثم ذكر ماداعبه به حين

فاعتل عليها بعلة فقالت لابد من اجابتي قال لا افعل قالت فاني قد ضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك فغضب الهادي وقال ويل لابن الفاعلة قد علمت أنه صاحبها لاقضيتها لك قالت اذا والله لا أسألك حاجة أبدا قال اذا والله لا أبالي وقامت مغضبة فقال مكانك فاستوعبي كلامي والله والا فنفيت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بلغني انه وقف ببابك أحد من قوادي أو من خاصتي أو من خدمي لاضربن عنقه ولاقبضن ماله فمن شاء فليلزم ذلك ماهذه المواكب التي تغدو الى بابك كل يوم أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك اياك ثم اياك ان تفتحي فاك في حاجة لمسلم ولا ذمي فانصرفت وما تعقل ما تطأ فلم تنطق بحلو ولا مر بعدها (وذكر ابن دأب) قال دعاني الهادي في وقت من الليل لم تجر العادة انه يدعوني في مثله فدخلت اليه فاذا هو جالس في بيت صغير شتوي وقدامه جزء صغير ينظر فيه فقال لي ياعيسى قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال اني أرقت في هذه الليلة وتداعت الى الخواطر واشتملت على الهموم

تأخر عن لقائه وقد ذكرنا ذلك في غير هذا الموضع (وممن لقيه لسان الدين بمكناسة) الفقيه العدل أبو علي الحسن بن عثمان بن عطية الونشريسي قال وكان فقيها عدلا من أهل الحساب والقيام على الفرائض والعناية بفروع الفقه ومن ذوي السذاجة والفضل ويقرض الشعر وله أرجوزة في الفرائض مبسوطة العبارة مستوفية المعنى انتهى وقال ابن الاحمر في حقه هو شيخنا الفقيه المفتي المدرس القاضي الفرضي الاديب الحاج أبو علي ابن الفقيه الصالح أبي سعيد عثمان التجاني المنعوت بالونشريسي أجازني عامة أخذ عن الفقيه المفتي الاديب الخطيب المعمر القاضي المحدث الراوية خاتمة المحدثين بالمغرب أبي البركات ابن الحاج البلفيقي انتهى ومولده في حدود أربع وعشرين وسبعمائة * وذكر صاحب المعيار المعرب والجامع المغرب من فتاوى افريقية والاندلس والمغرب جملة من فتاويه وقال في وثائقه وقد أجرى ذكره ما صورته ان بلدينا الشيخ القاضي العلامة أبا علي الحسن وقعت له قضية مع عدول مكناسة وذلك أن السلطان أبا عنان فارسا كان أمر بالاقتصار على عشرة من الشهود بمدينة مكناسة وكتب اسم الشيخ أبي علي هذا في العشرة فشق ذلك على بعض شيوخ العدول المؤخرين لحداثة سن أبي علي فلما علم تشغيبهم صنع رجزا ورفعه الى مقام المتوكل على الله أبي عنان (نصه)

نبدأ أولا بحمد الله * ونستعينه على الدواهي
ثم نوالي بالصلاة والسلام * على نبي دونه كل الانام
وبعد ذا نسأل رب العالمين * أن يهب النصر أمير المؤمنين
خليفة الله أبا عنان * لازال في خير وفي أمان
ملكه الله من البلاد * من سوس الاقصى الى بغداد
ويسر الحجاز والجهادا * وجعل الكل له مهادا
ياأيها الخليفة المظفر * دونك أمري انه مفسر
عبدكم نجل عطية الحسن * قد قيل لايشهد الاان أسن
وهو في أمركم المعهود * من جملة العشرة الشهود
نص عليه أمركم تعيينا * وسنه قارب أربعينا
مع الذي ينتسب العبد اليه * من طلب العلم وبحثه عليه
على الفرائض له أرجوزه * أبرز في نظامها ابريزه
ومجلس له على الرساله * فكيف يرجو حاسد زواله
حاشا أمير المؤمنين ذاكا * وعدله قد بلغ السماكا
وعلمه قد طبق الآفاقا * وحلمه قد جاوز العراقا
وجوده مشتهر في كل حي * قصر عن ادراكه حاتم طي انتهى

(وحكى) بعض الحفاظ أنه لما بلغت الابيات السلطان أمر باقراره على ذلك وقد وقفت على رجزه المذكور وله شرح عليه لم أره والظاهر انه ممن ندبج معه لسان الدين رحم الله الجميع وهو معدود في جملة من لقيه (ومن مشايخ لسان الدين رحمه الله) ذو الكرامات الكثيرة

وهاج لي ما جرت اليه بنو أمية من بني حرب وبني مروان في سفك دمائنا فقلت يا أمير المؤمنين هذا عبدالله ابن علي قد قتل منهم على نهر أبي فطرس فلانا وفلانا حتى أتيت على تسمية من قتل منهم وهذا عبد الصمد بن علي قد قتل منهم بالحجاز في وقت واحد نحو ما قتل عبدالله بن علي وهو القائل لسفك دمائهم

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها
أخذي بثاري من بني مروان
ومن الحرب ليت شيخي شاهد
سفكي دماء بني أبي سفيان

قال ابن دأب فسر والله المهدي وظهرت منه أريحية فقال ياعيسى داود بن علي هو القائل ماذكرت بالحجاز ولقد ذكرتنيهما حتى كأني ما سمعتهما قلت يا أمير المؤمنين وقد قيل انهما لعبدالله بن علي قالهما على نهر أبي فطرس قال قد قيل ذلك قال ابن دأب ثم تغلغل بنا الكلام والحديث الى أخبار مصر وعيوبها وفضائلها وأخبار نيلها فقال لي المهدي فضائلها أكثر قلت يا أمير المؤمنين هذه دعوى المصريين لها بغير برهان أوردوه والبينة على الدعوى وأهل العراق يأبون هذه الدعوى ويذكرون ان عيوبها أكثر من فضائلها قال مثل ماذا قلت يا أمير المؤمنين من عيوبها انها لاتمطر واذا مطرت كرهوا وابتهلوا الى الله بالدعاء قال الله عز وجل

والمقامات الكبيرة سيدى الحاج أبو العباس أحمد بن عاشر الصالح المشهور كان لسان الدين رحمه الله تعالى حريصا على لقائه بسلا أيام كان بها وقد لقيه ولم يتمل منه لشدة نفوره من الناس خصوصا أصحاب الرياسة ولذا قال لسان الدين لما ذكر أنه لقيه في نفاضة الجراب ما صورته يسر الله لقاءه على تعسره انتهى (وسنترجم) الولى المذكور في نظم لسان الدين حيث وصفه بقوله بولى الله فابدأ وابتدر وقبره الآن بسلا محط رجاء الطالبين وكعبة قصد الراغبين تلوح عليه أنوار العناية وتستمد منه أنواء الهداية وهو على ساحل البحر المحيط بخارج مدينة سلا المحروسة وقد زرته ولله الحمد عند توجهى الى حضرة مراكش سنة ألف وتسعة والناس يشدون الرحال اليه من أقطار المغرب نفعنا الله تعالى به وأعاد علينا من بركاته بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (رجع) الى مشايخ لسان الدين الوزير ابن الخطيب رحمه الله تعالى (ومنهم) الاستاذ المحقق العلامة الكبير النحوى الشهير أبو عبد الله محمد بن على الفخار البيرى رحمه الله تعالى كان شيخ النحاة بالاندلس غير مدافع وأخذ عنه خلق كثيرون كالشاطبى أبى اسحق صاحب شرح الالفية والوزير ابن زمرك وغيرهما وقد حكى عنه مسائل غريبة تلميذه الشاطبى وقال لسان الدين فى الاحاطة فى ترجمة مشيخته ما صورته ولازمت قراءة العربية والفقه والتفسير والمعتمد عليه العربية على الشيخ الاستاذ الخطيب أبى عبد الله بن الفخار البيرى الامام المجمع على امامته فى فن العربية المفتوح عليه من الله تعالى فيها حفظا واطلاعا واضطلاعا ونقلا وتوجيها بما لا مطمع فيه لسواه انتهى ولنورد بعض فوائد ابن الفخار فنقول ومن فوائد ابن الفخار المذكور التى حكاها عنه الشاطبى قوله حدثنى ان بعض الشيوخ كان اذا أتى باجازة يشهد فيها سأل الطالب المجاز عن لفظ اجازة ما وزنه وما تصريفه ثم قال الشاطبى ولما حدثنا بذلك سألناه عنها فاملى علينا ما نصه وزن اجازة فى الاصل افعالة وأصلها اجوازة فأعلت بنقل حركة الواو الى الجيم حملا على الفعل الماضى استثقالا فتحركت الواو فى الاصل وانفتح ما قبلها فى اللفظ فانقلبت ألفا فصارت اجاازة بالفين فحذفت الالف الثانية عند سيبويه لانها زائدة والزائد أولى بالحذف من الاصلى وحذفت الاولى عند الاخفش لانها لا تدل على معنى وهو المد وقول سيبويه أولى لانه قد ثبت عوض التاء من المحذوف فى نحو زنادقة والتاء زائدة وتعويض الزائد من الزائد أولى من تعويض الزائد من الاصلى للتناسب ووزنها فى اللفظ عند سيبويه افعلة وعند الاخفش افالة لان العين عنده محذوفة انتهى وقال الشاطبى رحمه الله تعالى لما توفى شيخنا الاستاذ الكبير العلم الخطير أبو عبد الله بن الفخار سألت الله عز وجل ان يرينيه فى المنام فيوصينى بوصية انتفع بها فى الحالة التى أنا عليها من طلب العلم فلما نمت فى تلك الليلة رأيت كأنى أدخل عليه فى داره التى كان يسكن بها فقلت له يا سيدى اوصنى فقال لى لا تعترض على أحد ثم سألنى بعد ذلك فى مسئلة من مسائل العربية كالمؤنس لى فاجبته عنها ولا اذكرها الآن انتهى وقال الشاطبى أيضا ما صورته حدثنا الاستاذ الكبير الشهير أبو عبد الله محمد بن الفخار شيخنا رحمه الله تعالى قال حدثنى بستة بعض المذاكرين ان ابن خميس لما ورد عليها بقصد الاقراء بها اجتمع اليه عيون طلبتها فالقوا عليه مسائل

وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته فهذه رحمة مجللة لهذا الخلق وهم لها كارهون وهى لهم ضارة غير موافقة لا تزكو عليها زروعهم ولا تخصب عليها ارضهم ومن عيوبها الريح التى يسمونها المريسية وذلك ان أهل مصر يسمون أعالى الصعيد الى بلاد النوبة مريس فاذا هبت الريح المريسية وهى الجنوبية ثلاثة عشر يوما اشترى اهل مصر الاكفان والحنوط وأيقنوا بالوباء القاتل والبلاء الشامل ثم من عيوبها اختلاف هوائها لانهم فى يوم واحد يغيرون ملابسهم مرارا كثيرة فيلبسون القميص مرة والمبطنات اخرى والحشو مرة وذلك لاختلاف جواهر الساعات بها وتباين ذهاب الهواء فيها فى سائر فصول السنة من الليل والنهار وهى تمير ولا تمتار فاذا أجدبوا هلكوا وأما نيلها فكفاك الذى هو عليه من الخلاف لجميع الانهار من الصغار والكبار وليس بالفرات ولا الدجلة ولا نهر بلخ ولا سيحان ولا جيحان شئ من التماسيح وهى فى نيل مصر ضارة بلا منفعة ومفسدة غير مصلحة وفى ذلك يقول الشاعر

أظهرت للنيل هجرانا ومقلية * اذ قيل لى انما التمساح فى النيل

من

من غرامض الاشتغال فحاد عن الجواب عنها بان قال لهم أنتم عندي كرجل واحد يعني أن ما ألقوا عليه من المسائل انما تلقوها من رجل واحد وهو ابن أبي الربيع فكأنه انما خاطب رجلا واحدا ازدراء بهم فاستقبله أصغر القوم سنا وعلما بان قال له ان كنت بالمكان الذي تزعم فاجبني عن هذه المسائل من باب معرفة علامات الاعراب التي أذكرها لك فان أجبت فيها بالصواب لم تحط بذلك في نفوسنا لصغرها بالنظر الى تعاميك عن الادراك والتحصيل وان أخطأت فيها لم يسعك هذا البلد وهي عشرة الاولى أنتم يا زيدون تغزون والثانية أنتن يا هندات تغزون والثالثة أنتم يا زيدون ويا هندات تغزون والرابعة أنتن يا هندات تخشين والخامسة أنت يا هند تخشين والسادسة أنت يا هند ترمين والسابعة أنتن يا هندات ترمين والثامنة أنتن يا هندات تعون أو تعين كيف تقول والتاسعة أنت يا هند تعين أو تعون كيف تقول والعاشرة أنتما تعوان أو تعيان كيف تقول وهل هذه الافعال كلها مبنية أو معربة أو بعضها مبني وبعضها معرب وهل هي كلها على وزن واحد أو على أوزان مختلفة علينا السؤال وعليك التمييز لنعلم الجواب فبهت الشيخ وشغل المحل بان قال انما يسأل عن هذا صغار الولدان فقال له الفتى فانت دونهم ان لم تجب فانزعج الشيخ وقال هذا سوء أدب ونهض منصرفا ولم يصبح الا عالقة متوجها الى غرناطة حرسها الله تعالى ولم يزل بها مع الوزير ابن الحكيم الى أن مات رحمة الله تعالى عليه انتهى ثم قال الشاطبي والجواب عن هذه المسائل ما يذكر أما الجواب عن تغزون الاولى فانه معرب ووزنه أصلا تفعلون ولفظا تفعون وعن الثانية فبني للحاق نون الاناث ووزنه تفعلن وعن الثالثة على التغليب فعلى رده للاول يلحق بالاول وللثاني كالثاني وأما تخشين من الرابعة فبني للنون ووزنه تفعلن وعن الخامسة فعرب ووزنه أصلا تفعلين ولفظا تفعين وأما ترمين من السادسة فعرب ووزنه أصلا تفعلين ولفظا تفعين ومن السابعة مبني للنون ووزنه تفعلن وأما تعون وتعين من الثامنة فهما لغتان وهما مبنيان للنون والتاسعة لا يقال الا تعين بالياء خاصة لتتفق اللغتان ووزنها تفعين كتخشين وأما تعيان من العاشرة فعلى لغة الياء لا اشكال وعلى الواو فيظهر من كلام النحويين انه لا يجوز الا بالواو انتهى وقد أورد هذه الحكاية عالم الدنيا سيدي أبو عبد الله محمد بن مرزوق رحمه الله تعالى في شرحه الواسع العجيب المسمى بتهيد المسالك الى شرح ألفية ابن مالك ونص محل الحاجة منه وقد حكي أن بعض طلبة سبتة أورد على أبي عبد الله بن خميس عشر مسائل من هذا النوع وهي أنتم يا زيدون تغزون وأنتن يا هندات تغزون وأنتم يا زيدون ويا هندات تغزون وأنتن يا هندات تخشين وأنت يا هند تخشين وأنت يا هند ترمين وأنتن يا هندات ترمين وأنتن يا هندات تعون او تعين كيف تقول وأنت يا هند تعون أو تعين كيف تقول وانتما تعوان او تعيان على لغة من قال محوت كيف تقول وهل هذه الامثلة كلها مبنية أو معربة أو مختلفة وهل وزنها واحد أو مختلف قالوا ولم يجب بشئ فات فلله استسهل أمرها فاما المثال الاول فمعرب ووزنه تفعلون كتنظرون اذ أصله تغزوون فاستثقلت ضمة الواو التي هي لام فحذفت ثم حذفت الواو أيضا لالتقائها ساكنة مع واو الضمير وكانت أولى بالحذف لان واو الضمير فاعل ولغير ذلك

قال وبحلك ما النواقيل التي ترى النيل فيها قلت القلال والكيزان يسمونها بهذا الاسم قال وما مراد الشاعر فيما وصف قال لانه لا يتمتع بالماء الا في الآنية لخوف مباشرة الماء في النيل من التمساح لانه يختطف الناس وسائر الحيوان قال ان هذا النهر قد منع هذا النوع من الحيوان مصالح الناس منه ولقد كنت متشوقا الى النظر اليها فلقد زهدتني بوصفك لها قال ابن دأب ثم سألني الهادي عن مدينة دنقلة وهي دار مملكة النوبة كم المسافة بينها وبين اسوان قلت قد قيل أربعون يوما على شاطئ النيل عمائر متصلة قال ابن دأب ثم قال الهادي ايها يا ابن دأب دع عنك ذكر المغرب وأخباره وهلم بنا الى ذكر فضائل البصرة والكوفة وما زادت به كل واحدة منهما على الاخرى قال قلت ذكر عن عبد الملك بن عمير أنه قال قدم علينا الاحنف بن قيس الكوفة مع مصعب ابن الزبير فما رأيت شيئا قبيحا الا ورأيت في وجه الاحنف منه شبها كان صعل الرأس أجحى العين

أعصف الاذن باخق العين نانئ الوجه مائل الشدق متراكب الاسنان خفيف العارضين أحنف

مما تقدم بعضه وأما الثاني فبني ووزنه تفعلن كتفرجن وأما الثالث فكالاول اعرابا ووزنا لان فيه تغليب المذكر على المؤنث وأما الرابع فبني ووزنه تفعلن مثل تفرحن لانه لما احتيج الى تسكين آخر الفعل لاسناده الى نون جماعة النسوة ردت الياء الى أصلها لانها انما قلبت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها والآن ذهبت حركتها لاستحقاقها السكون واما الخامس فمعرب ووزنه تفعلين كتفرحين وأصله تخشيين فقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم حذفت لالتقائها ساكنة مع ياء الضمير وتركت فتحة الشين دالة على الالف واما السادس فمعرب ووزنه تفعلين كتضربين وأصله ترميين حذفت كسرة الياء لاستثقالها ثم حذفت الياء لاجتماعها ساكنة مع ياء الضمير وأما السابع فبني ووزنه تفعلن كتضربن وأما الثامن والتاسع فمضارع محى وورد بالاوزان الثلاثة فمن قال يمحو قال في المضارع من جماعة النسوة يمحون مثله من غزا بناء ووزنا ومن قال يمحى قال فيه يمحين كترمين بناء ووزنا ومن قال يمحى قال فيه يمحين كتخشين بناء ووزنا ويقال في المضارع للواحدة على اللغة الاولى تمحين كتدعين اعرابا ووزنا وتصريفا وقد تقدم في كلام المصنف وعلى الثانية كما يقال للمرأة من رمى اعرابا ووزنا وتصريفا وعلى الثالثة كما يقال للمرأة من تخشى أيضا وقد تقدما وليس ما وقع في السؤال كما نقل من خط بعض الشارحين انه يقال فيها تمحون كتفرحن بشئ وأمر التثنية ظاهر انتهى بحروفه وما قاله رحمه الله تعالى في الاعتذار عن ابن خميس هو اللائق بمقامه فان مكان ابن خميس من العلوم غير منكر وقد مدحه ابن خطاب بقوله

رقت حواشي طبعك ابن خميس * فهفا قريضك لي وهاج رسيسي
ولمثله يصبو الحليم ويمترى * ماء الشؤون به وسير العيس
لك في البلاغة والبلاغة بعض ما * تحويه من أثر جليل رسيس
نظم ونثر لا تبارى فيهما * عززت ذاك وذا بعلم الطوسي

يعني أبا حامد الغزالي وقال لسان الدين بن الخطيب في عائد الصلة في حق أبي عبد الله محمد ابن خميس التلمساني المذكور ما صورته كان رحمه الله تعالى نسيج وحده زهدا وانقباضا وأدبا وهمة حسن الشيبة جميل الهيئة سليم الصدر قليل التصنع بعيدا عن الرياء عاملا على السياحة والعزلة عارفا بالمعارف القديمة مضطلعا بتفاريق النحل قائما على العربية والاصلين طبقة الوقت في الشعر وفحل الاوان في المطول أقدر الناس على اجتلاب الغريب ثم ذكر من أحواله جملة الى أن قال وبلغ الوزير أبا عبد الله بن الحكيم انه يروم السفر فشق ذلك عليه وكلفه تحريك الحديث بحضرته وجرى ذلك فقال الشيخ انا كالدم المتحرك في كل ربيع انتهى وقال ابن خاتمة في مزية المرية على غيرها من البلاد الاندلسية انه نظم في الوزير ابن الحكيم القصائد التي حليت بها لبات الآفاق وتنفست عنها صدور الرفاق وكان من فحول الشعراء وأعلام البلغاء يرتكب مستصعبات القوافي ويطير في القريض مطار ذي القوادم الباسقة والخوافي حافظا للاشعار العرب وأخبارها وله مشاركة في العقليات واستشراف على الطلب وقعد لاقراء العربية بحضرة غرناطة ومال بأخرة الى التصوف والتجوال والتحلي بحسن السمت وعدم الاسترسال بعد طي بساط ما فرط له في بلده من

الكوفة أغذى وأمرأ وأفسح وأطيب فقال له رجل والله ما أشبه الكوفة الا بشابة صبيحة الوجه كريمة الحسب ولا مال لها فاذا ذكرت ذكرت حاجتها فكف عنها طالبها وما أشبه البصرة الا بعجوز ذات عوارض موسرة فاذا ذكرت ذكرت يسارها وذكرت عوارضها فكف عنها طالبها فقال الاحنف أما البصرة فان أسفلها قصب وأوسطها خشب وأعلاها رطب نحن أكثر ساجا وعاجا وديباجا ونحن أكثر قندا ونقدا والله ما آتي البصرة الا طائعا ولا أخرج منها الا كارها قال فقام اليه شاب من بكر بن وائل فقال يا أبا بحر بم بلغت في الناس ما بلغت فوالله ما أنت بأجملهم ولا بأشرفهم ولا بأشجعهم قال يا ابن أخي بخلاف ما أنت فيه قال وما ذاك قال بتركي ما لا يعنيني كما عناك من أمري ما لا ينبغي أن يعنيك (قال المسعودي) ولابن دأب مع الهادي أخبار حسان يطول ذكرها ويتسع علينا شرحها ولا يتأتى لنا ايراد ذلك في هذا الكتاب لاشتراطنا فيه على أنفسنا الاختصار والايجاز بحذف الاسانيد وترك اعادة الالفاظ ولاهل البصرة وأهل الكوفة

الاحوال

الاحوال وكان صنع اليدين حدثني بعض من لقيت من الشيوخ انه صنع قد حا من الشمع على أبدع ما يكون في شكله ولطافة جوهره واتقان صنعته وكتب دائر شفته

وما كنت الازهرة في حديقة * تبسم عن ضاحكات الكمائم
فقبلت من طور لطور فها أنا * أقبل أفواه الملوك الاعاظم

وأهداه خدمة للوزير أبي عبد الله بن الحكيم وأنشدنا شيخنا القاضي أبو البركات بن الحاج وحكى لنا قال أنشدني أبو عبد الله بن خميس وحكى لي قال لما وقفت على الجزء الذي ألفه ابن سبعين وسماه بالفقيرية كتبت على ظهره

الفقر عندي لفظ دق معناه * من رامه من ذوي الغايات عناه
كم من غبي بعيد عن تصوره * أراد كشف معماه فعماه

وأنشدنا شيخنا الاستاذ أبو عثمان بن ليون غير مرة قال سمعت أبا عبد الله بن خميس ينشد وكان يحسب أنهما له ويقال انهما لابن الرومي

رب قوم في منازلهم * غرر صار وابها غررا
ستر الاحسان ما بهم * ستري لو زال ما سترا

ثم قال ابن خاتمة وقد جمع شعره ودوّنه صاحبنا القاضي أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الحضرمي في جزء سماه الدر النفيس في شعر ابن خميس وعرّف به صدره وقدم ابن خميس المرية سنة ست وسبعمائة فنزل بها في كنف القائد أبي الحسن بن كماشة من خدام الوزير ابن الحكيم فوسع له في الايثار والمبرة وبسط له وجه الكرامة طلق الاسرة وبها قال في مدح الوزير المذكور قصيدته التي أولها

٣ العشي تعيا والنوابغ * عن شكر أنعمك السوابغ

ووجهها اليه وهي طويلة ومنها

ورسائغ ابن كماشة * مع كل نازغة وبازغ
تأتي بما تهوى النغا * نغ من شهيات اللغالغ

ومنها ما ذاق طعم بلاغة * من ليس للعوشي ماضغ

ويقال ان الوزير اقترح عليه أن ينظم قصيدة هائية فابتدأ منها مطلعها وهو قوله

لمن المنازل لا يجيب صداها * محيت معالمها وصم صداها

وذلك آخر شهر رمضان من سنة ثمان وسبعمائة ثم لم يزد على ذلك الى أن توفي رحمه الله تعالى فكان آخر ما صدر عنه من الشعر وقد أشار معناه الى معناه وآذن أولاه بحضور أخراه وكانت وفاته بحضرة غرناطة قبيلا ضحوة يوم الفطر مستهل شوال سنة ثمان وسبعمائة وهو ابن نيف وستين سنة وذلك يوم مقتل مخدومه الوزير ابن الحكيم أصابه قاتله بحقده على مخدومه وكان آخر ما سمع منه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله واستفاض من حال القاتل أنه هلك قبل أن يكمل سنة من حين قتله من فالج شديد أصابه فكان يصيح ويستغيث ابن خميس يطلبني ابن خميس يضربني ابن خميس يقتلني وما زال الامر يشتد به حتى قضى نحبه على تلك الحال نعوذ بالله من الورطات ومواقعات العثرات انتهى ملخصا (وحكى) غيره

أهل الكوفة أهل البصرة فقالوا ماؤكم كدر زهك ذفر فقال لهم أهل البصرة من أين يأتي ماء نا الكدر وماء البحر صاف وماء البطيحة طاف وهما يمتزجان وسط بلادنا فال الكوفيون من طباع الماء العذب الصافي اذا خالط ماء البحر صارا جميعا الى الكدورة وقد يروق الانسان ماء اربعين ليلة فان جعل منه شيئا في قارورة أزبد وتكدر وقد افتخر اهل الكوفة بمائهم الذي هو الفرات على ماء دجلة وهو ماء البصرة فقالوا ماؤنا اعذب المياه واغذاها وهو اصلح للاجسام من ماء دجلة والفرات خير من النيل فاما دجلة فان ماءها يقطع شهوة الرجال ويذهب بصهيل الخيل ولا يذهب بصهيلها الا مع ذهاب نشاطها ونقصان قواها وان لم يتدسم النازلون عليها اصابهم تعول في عظامهم ويبس في جلودهم وسائر من نزل من العرب على دجلة لا يكادون يسقون خيولهم منها ويسقونها من الآبار والركايا لاختلاف مياهها واختلاف أنواعها ليست بماء واحد لما يصب الانهار كالزابين وغيرهما وسبيل

المشروب غير المأكول لان اختلاف المأكل غير ضار واختلاف الاشربة كالخمر والنبيذ وغيره من

وهو يختلط بماء البحر ومن الماء المستنقع فى أصول القصب والمرى وقد قال الله هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج والفرات أعذب المياه عذو بتواغما اشتق الفرات لكل ماء عذب من ماء الكوفة وقد طعن أيضا أهل الكوفة على أهل البصرة فقالوا البصرة أسرع الأرض خرابا وأخبثها ترابا وأبعدها من السماء وأسرعها غرقا وقد أجاب أهل البصرة أهل الكوفة عما سالوا عنه وعابوهم به وكذلك من شرب من دجلة وعابوا أهل الكوفة وذكروا عيوبها ومايؤثر عن سكانها من الشح على المأكول والمشروب والغدر وقلة الوفاء وقد أتينا على وصف ذلك فى كتابنا أخبار الزمان وكذلك أتينا على خواص الارض والمياه وفصول السنة وانقسام الاقاليم وما لحق بهذه المعانى فيما سلف من كتبنا على الشرح والايضاح وذكرنا فى هذا الكتاب من جميع ذلك لمعا فلنرجع الآن الى أخبار الهادى ونذل على هذا السانح وقد كان

أن بعضهم كتب بعد قوله لمن المنازل لا يجيب صداها ما نصه لابن الحكيم ومن بديع نظم ابن خميس قوله

تراجع من دنياك ما أنت تارك ﴿ وتسألها العتبى وهاهى فارك
تؤمل بعد الترك رجع ودادها ﴿ وشر وداد ما تود الترائك
حلالك منها ما حلا لك فى الصبا ﴿ فأنت على حلوائه متهالك
تظاهر بالسلوان عنها تجملا ﴿ فقلبك محزون وثغرك ضاحك
تنزهت عنها نخوة لا زهادة ﴿ وشعر عذارى أسود اللون حالك

وهى طويلة طنانة وفى آخرها يقول

فلا تدعون غيرى لدفع ملمة ﴿ اذا ما دهى من حادث الدهر داعك
فما ان لذاك الصوت غيرى سامع ﴿ وما ان لبيت المجد بعدى سامك
بغص ويشجى نهشل ومجاشع ﴿ بما أو رثنى حمير والسكاسك
تفارقنى الروح التى لست غيرها ﴿ وطيب ثنائى لاصق بى صائك
وماذا عسى ترجو لداتى وأرتجى ﴿ وقد شمطت منى اللحى والافائك
يعود لنا شرخ الشباب الذى مضى ﴿ اذا عاد للدنيا عقيل ومالك

ومما اشتهر من نظمه قوله

أرق عينى بارق من أثال ﴿ كأنه فى جنح ليلى ذبال
أثار شوقا فى ضمير الحشا ﴿ وعبرتى فى صحن خدى أسال
حكى فؤادى قلقا واشتعال ﴿ وجفن عينى أرقا وانهمال
جوانح تلفح نيرانها ﴿ وأدمع تهمل مثل العزال
قولوا لوشاة الحب ماشئتم ﴿ ما لذة الحب سوى أن يقال
عذرا للوامى ولا عذر لى ﴿ فتنة العالم مالن تقال
قم نطرد الهم بمشمولة ﴿ تقصر الليل اذا الليل طال
وعاطها صفراء ذمية ﴿ تمنعها الذمة من أن تنال
كالمسك ريحا واللمى مطعما ﴿ والتبر لونا والهوا فى اعتدال
عتقها فى الدن خمارها ﴿ والبكر لا تعرف غير الحجال
لا تقتبس المصباح لا واسقنى ﴿ على سنى البرق وضوء الهلال
فالعيش نوم والردى يقظة ﴿ والمرء ما بينهما كالخيال
خذها على تنغيم مسطارها ﴿ بين خوابيها و بين الدوال
فى روضة باكروسميها ﴿ انجل دارين وأنسى أوال
كأن فأر المسك مفتوتة ﴿ فيها اذا هبت صبا أو شمال
من كف ساجى الطرف ألحاظه ﴿ مفوقات أبدا للنضال
من عاذرى والكل لى عاذر ﴿ من حسن الوجه قبيح الفعال
من خلبى الوعد كذابه ﴿ لسان لا يعرف غير المطال

الهادى أراد أن يخلع أخاه الرشيد من ولاية العهد و يجعلها لابنه جعفر بن موسى وحبس يحيى بن كانه

كأنه الدهر وأي امرئ * يبقى على الدهر اذا الدهر حال
أما تراني آخذا ناقصا * عليه ما سوّفني من محال
ولم أكن قط له عائبا * كمثل ما عابته قبلي رجال
يأبى ثراء المال علمي وهل * يجتمع الضدان علم ومال
وتأنف الارض مقامي بها * حتى تهاداني ظهور الرجال
لولا نشوز بان ما الذلي السعيش ولا هانت على الليال
هم خوّفوا الدهر وهم خففوا * على بني الدنيا خطاه الثقال
لقيت من عامرهم سيدا * غمر رداء الحمد جم النوال
وكعبة للجود منصوبة * يسعى اليها الناس من كل بال
خذها أبا زيان من شاعر * مستملح النزعة عذب المقال
يلتقط الالفاظ لفظ النوى * وينظم الآلاء نظم اللآل
مجاريا مهيار في قوله * ما كنت لولا طمعي في الخيال

وقصيدة مهيار مطلعها

ما كنت لولا طمعي في الخيال * أنشد ليلى بين طول الليال

ومن نظم ابن خميس قوله

نظرت اليك بمثل عيني جؤذر * وتبسمت عن مثل سمطي جوهر
عن ناصع كالدر أو كالبرق أو * كالطلع أو كالاقحوان مؤشر
تجري عليه من لماها نطفة * بل خمرة لكنها لم تعصر
لو لم يكن خمرا سلافا ريقها * تزري وتلعب بالنهى لم تخطر
وكذاك ساجي جفنها لو لم يكن * فيه مهند لحظها لم يحذر
لو عجت طرفك في حديقة خدها * وأمنت سطوة صدغها المتنمر
لرتعت من ذاك الحمى في جنة * وكرعت من ذاك اللمى في كوثر
طرقتك وهنا والنجوم كأنها * حصباء در في بساط أخضر
والركب بين مصعد ومصوّب * والنوم بين مسكن ومنفر
بيضاء اذا اعتكرت ذوائب شعرها * سفرت فأزرت بالصباح المسفر
سرحت غلائلها فقلت سبيكة * من فضة أو دمية من مرمر
منحتك ما منعتك يقظانا فلم * تخلف مواعدها ولم تتغير
وكأنما خافت بغاة وشاتها * فأتتك من اردافها في عسكر
وبجزع ذاك المنحنى ادمانة * تعطو فتسطو بالهزبر القسور
وتحية جاءتك في طي الصبا * أذكى وأعطر من شميم العنبر
جرت على واديك فضل ردائها * فعرفت فيها عرف ذاك الاذخر
هاجت بلابل نازح عن الفه * متشرق ذا كي الحشى متسعر
واذا نسيت ليالي العهد التي * سلفت لنا فتذكريها تذكري

ان يعيذنا منه وان لا يبلغناه وينسأ في أجل أمير المؤمنين ايظن أن الناس يسلمون لجعفر ابن أمير المؤمنين الامر ولم يبلغ الحنث ويرضون به لصلاتهم وحجهم وغزوهم قال ما أظن ذلك قال فتأمن ان يسمو اليها جلة أهل بيتك فتخرج من ولد أبيك الى غيرهم فتكون قد حملت الناس على النكث وهونت عليهم أيمانهم ولو تركت بيعة اخيك على حالها وبويع لجعفر بعده كان آكد فاذا بلغ مبلغ الرجال سألت أخاك أن ان يقدمه على نفسه قال نبهتني والله على امر لم اكن انتبهت له ثم عزم بعد ذلك على خلعه رضي أم كره وامر بالتضييق عليه في الاكثر من اموره فاشار عليه يحيى ان يستأذنه في الخروج الى الصيد وان يطيل التشاغل بذلك فان مدة موسى قصيرة على ما أوجبته قضية المولد واستأذنه الرشيد فاذن له فسار الى شاطئ الفرات من بلاد الانبار وهيت وتوسط البر مما يلي السماوة وكتب الهادي اليه يأمره بالقدوم فاكثر الرشيد التعلل وبسط الهادي لسانه في شتمه

ومنع للهادي الخروج نحو بلاد الحديثة فرض هناك وانصرف وقد ثقل في العلة فلم يجسر أحد من

لها أنا هالك فى هذه الليلة وفيها يلى أخى هرون وأنت تعلمين ماقضى فيه أصل مولدى بالرى وقد كنت أمرتك باشياء ونهيتك عن أخرى مما أوجبته سياسة الملك لاموجبات الشرع من برك ولم أكن بك عاقا بل كنت لك صائنا وبرا واصلا ثم قضى قابضا على يدها واضعالها على صدره وكان مولده بالرى وكذلك مولد الرشيد فكانت تلك الليلة فيها وفاة الهادى وولاية الرشيد ومولد المامون وقال ان الهادى أوقف بين يديه رجلا من أولياء الدولة ذا أجرام كثيرة فجعل الهادى يذكره ذنوبه فقال له الرجل يا أمير المؤمنين اعتذارى مما تقرعنى به رد عليك واقرارى بما ذكرت يوجب ذنبا ولكنى أقول

فان كنت ترجو فى العقوبة راحة
فلا تزهدن عند المعافاة فى الاجر

فاطلقه ووصله (وحدث) عدة من الاخباريين من ذوى المعرفة باخبار الدولة ان موسى قال لهرون أخيه كأنى بك تحدث نفسك بتمام الرؤيا وتؤمل ما أنت منه بعيد ومن دون ذلك خرط القتاد فقال له هرون يا أمير المؤمنين من تكبر

رحنا نغنينا ونرشف ثغرها * والشمس تنظر مثل عين الاخزر
والروض بين مفضض ومعسجد * والجو بين ممسك ومعصفر

وكان السلطان أمير المؤمنين أبو عنان المرينى رحمه الله تعالى كثير العناية بنظم ابن خميس وروايته قال رحمه الله تعالى أنشدنا القاضى خطيب حضرتنا العلية أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق بقصر المصارة يمنه الله قال أنشدنا بلفظه شيخ الادباء فحل الشعراء أبو عبد الله ابن خميس لنفسه

أنبت ولكن بعد طول عتاب * وفرط لجاج ضاع فيه شبابى
ومازلت والعلياء تعنى غريمها * اعلل نفسى دائما بمتاب
وهيهات من بعد الشباب وشرخه * يلذ طعامى أو يسوغ شرابى
خدعت بهذا العيش قبل بلائه * كما يخدع الصادى بلمع سراب
تقول هو الشهد المشور جهالة * وماهو الا السم شيب بصاب
وماصحب الدنيا كبكر وتغلب * ولا ككليب ربء فحل ضراب
اذا كعت الابطال عنها تقدموا * اطاريب غرا فى متون عراب
وان ناب خطب أو تفاقم معضل * تلقاه منهم كل أصيد ناب
تراءت لجساس مخيلة فرصة * تأتت له فى جيأة وذهاب
فجاءبها شوهاء تنذر قومها * بتشييد أرجام وهدم قباب
وكان رغاء الصقب فى قوم صالح * حديثا فأنساه رغاء سراب
فما تسمع الآذان فى عرصاتهم * سوى نوح ثكلى أو نعيب غراب
وسل عروة الرحال عن صدق بأسه * وعن بيته فى جعفر بن كلاب
وكانت على الاملاك منه وفادة * اذا آب منها آب خير مآب
يجير على الحيين قيس وخندف * بفضل يسار أو بفضل خطاب
زعامة مرجو النوال مؤمل * وعزمة مسموع الدعاء مجاب
فسر بزجيها حواسر ظلعها * بما جلوها من منى ورغاب
الى فدك والموت أغرب غاية * وهذا المنى يأتى بكل عجاب
تبرض صفو العيش حتى استشفه * فداف له البراض قشف حباب
فاصبح فى تلك المعاطف نهزة * لنهب ضباع أو لنهش ذئاب
وماسهمه عند النضال بأدزع * ولا سيفه عند الصراع بنابى
ولكنها الدنيا تكر على الفتى * وان كان منها فى أعز نصاب
وعادتها أن لاتوسط عندها * فاما سماء أو تخوم تراب
فلا ترج من دنياك ودا وان يكن * فما هو الا مثل ظل سحاب
وما الحزم كل الحزم الا اجتنابها * فأشقى الورى من تصطفى وتحابى
أبيت لها مادام شخصى ان ترى * تمر ببابى أو تطور جنابى
فكم عطلت من أربع وملاعب * وكم فرقت من أسرة وصحاب

وكم عفرت من جاسر ومدجج * وكم أشكلت من معصر وكعاب
اليكم بنى الدنيا نصيحة مشفق * عليكم بصير بالامور نقاب
طويل مراس الدهر جذل عماحك * عريض مجال الهم حلس ركاب
تأتت له الاهوال أدهم سابقا * وغصت به الايام أشهب كابى
ولاتحسبوا أنى على الدهر عاتب * فاعظم مابى منه ايسر مابى
وما اسفى الاشباب خلعته * وشيب أبى الاتصول خضاب
وعمر مضى لم احل منه بطائل * سوى ماخلا من لوعة وتصابى
لىالى شيطانى على الغى قادر * وأعذب ماعندى أليم عذاب
عكسنا قضايانا على حكم عادنا * وماعكسها عند النهى بصواب
على المصطفى المختار أزكى تحية * فتلك التى أعتد يوم حساب
فتلك عتادى اوثناء اصوغه * كدر سحاب اوكدر سخاب

ومن مشهور نظم ابن خميس قوله

عجبا لها أيذوق طعم وصالها * من ليس يامل ان يمر ببالها
وأنا الفقير الى تعلة ساعة * منها وتمنعنى زكاة جمالها
كم ذا وعن عينى الكرى متانف * يبدو ويخفى فى خفى مطالها
يسمو لها بدر الدجى متضائلا * كتضاؤل الحسناء فى أسمالها
وابن السبيل يجىء يقبس نارها * ليلا فتمنحه عقيلة مالها
يعتادنى فى النوم طيف خيالها * فتصيبنى ألحاظها بنبالها
كم ليلة جادت به فكأنما * زفت على ذكاء وقت زوالها
اسرى فعطلها وعطل شهبها * بأبى شذا المعطار من معطالها
وسواد طرته كجنح ظلامها * وبياض غرته كضوء هلالها
دعنى أشم بالوهم أدنى لمعة * من ثغرها وأشم مسكة خالها
ماراد طرفى فى حديقة خدها * الا لفتنته بحسن دلالها
أنسيب شعرى رق مثل نسيمها * فشمول راحك مثل ريح شمالها
وانقل أحاديث الهوى واشرح غريب لغاتها واذكر ثقات رجالها
واذا مررت برامة فتوق من * أطلالها وعش فى أطلالها
وانصب لمغزلها حبالة قانص * ودع الكرى شركا لصيد غزالها
وأسل جداولها بفيض دموعها * وانضح جوانحها بفضل سجالها
أنا من بقية معشر عركتهم * هذى النوى عرك الرحى بثفالها
أكرم بها فئة أريق نجيعها * بغيا فراق العين حسن مآلها
حلت مدامة وصلها وحلت لهم * فان انتشوا فبحلوها وحلالها
بلغت بهرمس غاية مانالها * أحدوناء لها لبعد منالها
وعدت على سقراط سورة كاسها * فهريق مافى الدن من جريالها

وضع ومن تواضع رفع ومن ظلم خذل وان أوصل الامر الى وصلت من قطعت وبررت من حرمت وصيرت أولادك أعلى من أولادى وزوجتهم بناتى وقضيت بذلك حق الامام المهدى فانجلى عن موسى الغضب وبان السرور فى وجهه وقال ذلك الظن بك يا أبا جعفر ادن منى فقام هرون فقبل يده ثم ذهب ليعود الى مجلسه فقال موسى والشيخ الجليل والملك النبيل لاجلست الامعى فى صدر المجلس ثم قال ياخزانى احمل اليه الساعة ألف ألف دينار فاذا افتتح الخراج فاحمل اليه نصفه فلما أراد هرون الانصراف قدمت دابته الى البساط قال عمرو الرومى فسألت الرشيد عن الرؤيا فقال قال المهدى رأيت فى منامى كأنى دفعت الى موسى قضيبا والى هرون قضيبا فأما قضيب موسى فأورق أعلاه قليلا وأما قضيب هرون فاورق من أوله الى آخره فقص الرؤيا على الحكم ابن اسحق الصيمرى وكان يعبرها فقال له يملكان جميعا فاما موسى فتقل أيامه وأما هرون فيبلغ آخر ما عاش خليفة وتكون أيامه أحسن الايام ودهره أحسن الدهور قال عمرو الرومى فلما أفضت الخلافة الى هرون زوج حمدونة ابنته من جعفر بن موسى وفاطمة من اسمعيل ووفى له ماوعده (وحدث)

وسرت الى فاراب منها نفحة * قدسية جاءت بخبئة آ لها
ليصوغ من ألحانه فى حانها * ماسوّغ القسيس من أرمالها
وتغلغلت فى سهرورد فأسهرت * عينا يؤرقها طروق خيالها
فخبا شهاب الدين لما أشرقت * وخوى فلم يثبت لنور جلالها
ماجن مثل جنونه أحد ولا * سمعت يد بيضا بمثل نوالها
وبدت على الشوذى منها نشوة * مالاح منها غير لامعة آلها
بطلت حقيقته وحالت حاله * فيما يعبر عن حقيقة حالها
هذى صبابتهم ترق صبابة * فيروق شارب هاصفاء زلالها

وهى طويلة قال السلطان أبو عنان رحمه الله تعالى أخبرنى شيخنا الامام العالم العلامة وحيد زمانه أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الابلى رحمه الله تعالى قال لما توجه الشيخ الصالح الشهير أبو اسحق التنيسى من تلمسان الى بلاد المشرق اجتمع هنالك بقاضى القضاة تقى الدين بن دقيق العيد فكان من قوله له كيف حال الشيخ العالم أبى عبد الله بن خميس وجعل يحليه باحسن الاوصاف و يطنب فى ذكر فضله فبقى الشيخ أبو اسحق متعجبا وقال من يكون هذا الذى حليتموه بهذا الحلى ولا أعرفه ببلده فقال له هو القائل

عجبا لها أيذوق طعم وصالها

قال فقلت له ان هذا الرجل ليس عندنا بهذه الحالة التى وصفتم انما هو عندنا شاعر فقط فقال له انكم لم تنصفوه وانه لحقيق بما وصفناه به قال السلطان وأخبرنا شيخنا الابلى المذكور وأن قاضى القضاة ابن دقيق العيد كان قد جعل القصيدة المذكورة بخزانة كانت له تعلو موضع جلوسه للمطالعة وكان يخرجها من تلك الخزانة ويكثر تأملها والنظر فيها ولقد تعرفت انه لما وصلت هذه القصيدة الى قاضى القضاة تقى الدين المذكور لم يقرأها حتى قام اجلالا لها انتهى وكان ابن خميس رحمه الله تعالى بعد مفارقة بلده تلمسان سقى الله أرجاءها أنواء نيسان كثيرا ما يتشوق لمشاهدها و يتأوه عند تذكره لمعاهدها وينشد القصائد الطنانة فى ذلك سالكا من الحنين اليها المسالك فمن ذلك قوله

تلمسان لو أن الزمان بها يسخو * منى النفس لا دار السلام ولا الكرخ
ودارى بها الاولى التى حيل دونها * مثار الاسى لو أمكن الحنق اللبخ
وعهدى بها والعمر فى عنفوانه * وماء شبابى لا اجين ولا مطخ
قرارة تهيام ومغنى صبابة * ومعهد أنس لا يلذ به لطخ
اذا الدهر منى العنان منهنه * ولا ردع يثنى من عنانى ولا ردخ
ليالى لا أصغى الى عذل عاذل * كأن وقوع العذل فى أذنى صمخ
معاهد انس عطلت فكأنها * ظواهر ألفاظ تعمدها النسخ
وأربع الاف عفا بعض آيها * كما كان يعرو بعض ألواحنا اللطخ
فمن لى بسكرانا من الوجد مرة * فانى منه طول دهرى ملتخ
ومن يقتدح زند الموقد جذوة * فزند اشتياقى لا عفار ولا مرخ
أأنسى وقوفى لاهيا فى مراصها * ولا شاغل الا التودع والسبخ

فدعا به موسى بعد ما ولى الخلافة فوضعه بين يديه ودعا بمكتل وقال لحاجبه ائذن للشعراء فلما دخلوا أمرهم أن يقولوا فى السيف فبدأهم ابن يامين البصرى فقال

حاز صمصامة الزبيدى عمرو
من جميع الانام موسى الامين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا
خير ما أغمدت عليه الجفون
أوقدت فوقه الصواعق نارا
ثم شابت فيه الذعاف المنون
واذا ما شهرته بهر الشمس ضياء فلم تكد تستبين
وكأن الفرند والجوهر الجارى فى صفحتيه ماء معين
ما يبالى اذا الضريبة خانت
أشمال نيطت به أم يمين

وهى أبيات كثيرة فقال له الهادى لك السيف والمكتل فخذ هما ففرق المكتل على الشعراء وقال دخلتم معى وحرمتم من أجلى وفى السيف عوض ثم بعث اليه الهادى فاشترى منه السيف بخمسين ألفا وللهادى أخبار حسان وان كانت أيامه قصرت وقد أتينا على ذكرها فى كتابينا أخبار الزمان والاوسط وبالله التأييد

(ذكر خلافة هرون الرشيد)

والالاخ بالى ماشيا فى سماطها * رخيا كما يمشى بطرته الرخ
والا فعدوى مثل ما ينفر الطلا * وليدا وحجلى مثل ما ينهض الفرخ
كانى فيها اردشير بن بابك * ولا ملك لى الا الشبيبة والشرخ
واخوان صدق من لداتى كانهم * جا آذر رمل لا عجاف ولا برخ
وعاة لما يلقى اليهم من الهدى * وعن كل فحشاء ومنكرة صلخ
هم القوم كل القوم سيان فى العلا * شبابهم الفرغان والشيخة السلخ
مضوا ومضى ذاك الزمان وانسه * ومر الصبا والمال والاهل والبذخ
كان لم يكن يوما لا قلامهم بها * صرير ولم يسمع لا كعبهم جبخ
ولم يثن فى ارواحها من ثنائهم * شميم ولا فى القضب من لينهم ماخ
ولا فى محيا الشمس من هديهم سنى * ولا فى جبين البدر من طيبهم ضمخ
سعيتم بنى عمور فى شت شملنا * فما تجر كم ريح ولا عيش نارنخ
دعيتم الى ما يرتجى من صلاحكم * فردكم عنه التعرف والجمخ
تعاليتمو عما فطم عليكم * عباب له فى رأس عليائكم جلخ
واوغلتمو فى الغى حتى هلكتم * جماح غواة ما بنيهم فتخ
كفاكم بها سجنا طويلا وان يكن * هلاك لكم فيها فهى لكم فخ
فكم فتنة مناظفرتم بنيلها * بابشارها من حجن اظفاركم برخ
كانكمو من خلفها وامامها * اسود غياض وهى ما بينكم ارخ
فللسوق منها القيد ان هى اغربت * وللهام ان لم تعط ما وعت النفخ
كان تحتها من شدة القلق القطا * ومن فوقها من شدة الحذر الفتخ
واقرب ما تهذى به الهلك والتوى * واسير ما تشكو به الذل والفنخ
فما ذا عسى نرجوه من لم شعثها * وقد خر منها الفرع واقتلع الشامخ
وما يطمع الراجون من حفظ آيها * وقد عصفت فيها رياحهم النسخ
زعانف انكاد لئام عنا كل * متى قبضوا كفا على اثره طخوا
ولما استقلوا من مهاوى ضلالهم * واوموا الى اعلام رشدهم زخوا
دعاهم ابو يعقوب للشرف الذى * يذل له رضوى ويعنو له دمخ
فلم يستجيبوه فذاقوا وبالهم * وما لامرئ عن امر خالقه نخ
ومازلت ادعو للخروج عليهم * وقد يسمع الصم الدعاء اذا اصخوا
وابذل فى استئصالهم جهد طاقتى * وما الطنا بيب ابن ساحة ففخ
تركت لبينا سنة كل نجعة * كما تركت للعز اهضامها شمخ
وآليت ان لا اوتوى غير ما بها * ولو حل لى فى غيره المن والمذخ
وان لا احط الدهر الا بعقرها * ولو بوأتنى دار ام تهابلخ
فكم نقعت من غلة تلكم الاضى * وكم برأت من علة تلكم البخ
وحسبى منها عدلها واعتدالها * وابحرها العظمى وارياقها النفخ

عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة سبعين ومائة ومات بطوس بقرية يقال لها ساباذ يوم السبت لاربع ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة فكانت ولايته ثلاثا وعشرين سنة وستة أشهر وقيل ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وولى الخلافة وهو ابن احدى وعشرين سنة ومات وهو ابن أربع وأربعين سنة وأربعة أشهر

(ذكر جمل من أخباره وسيره)

ولما أفضت الخلافة الى الرشيد دعا بيحيى بن خالد فقال له يا أبت أنت أجلستنى فى هذا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك وقد قلدتك الامر ودفع خاتمه اليه ففى ذلك يقول الموصلى

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة * فلما ولى هرون أشرق نورها
بيمن أمين الله هرون ذى الندى * فهرون واليها ويحيى وزيرها

وماتت ريطة بنت أبى العباس السفاح لشهور خلت من أيام الرشيد وقيل فى آخر أيام الهادى وماتت الخيزران أم الهادى والرشيد فى سنة ثلاث وسبعين ومائة ومشى الرشيد أمام جنازتها وكانت غلة الخيزران مائة ألف

وأملاكها الصيد المقاولة الالى * لعزهم تعنو الطراخنة البلخ
كواكب هدى في سماء رياسة * تضيء فما يدجو ضلال ولا يطغو
ثواقب أنوار ترى كل غامض * اذا الناس في ظلماء غيهم التخوا
ور وضات آداب اذا ما تأرجت * تضاءل في أفيائها أنفاسها الرخ
مجامر ندّ في حدائق نرجس * تنم ولا الفغ يصيب ولا دخ
وأبحر علم لا حياض رواية * فيكبر منها النضح أو يعظم النضخ
بنو الغرفين الالى من صدورهم * وأيديهم ملا القراطيس والطرخ
اذا ما فتى منهم تصدى لغاية * تأخر من ينحو وأقصر من ينخو
رياسة أخيار وملك أفاضل * كرام لهم في كل صالحة رضخ
اذا ما بدا منا جفاء تعطفوا * علينا وان حلت بنا شدة رخوا
نزورهم حذ انحافا فننثني * واجمالنا دلح وابداننا دلخ
يربوننا بالعلم والحلم والنهى * فأخرجنا بر ولا حدنا برخ
وما الزهد في املاك لخم ولا التقى * ببدع وللدنيا الزوق بمن يرخو
والاوفى رب الخورنق غنية * فأومه سر ولا صيته رضخ
تطلع يوما والسرير أمامه * وقد نال منه العجب ما شاء والجفخ
وعى له من شيعة الحق قائم * بحجة صدق لا عبام ولا وشخ
فاصبح يجتاب المسوح زهادة * وقد كان يؤذى بطن أخمصه النخ
وفي واحد الدنيا أبي حاتم لنا * دواء ولكن ما لأدوائنا نتخ
تخلى عن الدنيا تخلي عارف * يرى انها في ثوب نخوته لتخ
وأعرض عنها مستهينا لقدرها * فلم يثنه عنها اجتذاب ولا مصخ
فكان له من قلبها الحب والهوى * وكان لها من كفه الطرح والطخ
وما معرض عنها وهي في طلابه * كمن في يديه من معاناتها نبخ
ولا مدرك ما شاء من شهواتها * كمن حظه منها التمعج والنعج
ولكننا نعمى مراراً عن الهدى * ونصلخ حتى ما لآذاننا صمخ
وما لامرئ عما قضى الله مرحل * ولا لقضاء الله نقض ولا فسخ
أبا طالب لم تبق شيمة سودد * يسادبها الا وأنت لها سنخ
تسوغت أبناء الزمان اياديا * لدرتها في كل سامعة شخ
وأجريتها فيهم عوائد سودد * فما لهم كسب سواها ولا نخ
غذتهم غواديها فهي في عروقهم * دماء وفي أعماق أعظمهم مخ
وعمتهم حزنا وسهلا فأصبحوا * وم عاهم ورخ ومرعيهم وخ
بني الغرفين ابلغوا ما أردتم * فما دون ما تبغون وحل ولا زخ
ولا تقعدوا عمن أراد سجالكم * فما غر بكم جف ولا فرفكم ومخ
وخلوا وراء كل طالب غاية * وتيهوا على من رام شأوكم وانخوا

ألف وستين ألف ألف درهم فكان مبلغها نيفا وخمسين ألف ألف درهم سوى الضياع والدور والمستغلات وكان محمد بن سليمان يغل كل يوم مائة ألف درهم (وحكى) ان محمد بن سليمان ركب يوما بالبصرة وسوار القاضي يسايره في جنازة ابنة عم له فاعترضه مجنون كان بالبصرة يعرف برأس النعجة فقال له يا محمد أمن العدل ان تكون غلتك في كل يوم مائة ألف درهم وأنا أطلب نصف درهم فلا أقدر عليه ثم التفت الى سوار فقال ان كان هذا عدلا فانا أكفر به فأسرع اليه غلمان محمد فكفهم عنه وأمر له بمائة درهم فلما انصرف محمد وسوار معه اعترضه رأس النعجة فقال لقد كرم الله منصبك وشرف أبوتك وحسن وجهك وعظم قدرك وأرجو أن يكون ذلك لخير يريده الله بك ولأن يجمع الله لك الدارين فدنا منه سوار فقال يا خبيث ما كان هذا قولك في البداءة فقال له سألتك بحق الله وبحق الامير الا ما أخبرتني في أي سورة هذه الآية فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قال في براءة قال صدقت فبرئ الله ورسوله منك فضحك محمد بن سليمان ولا

ولاتذروا الجوزاء تعلو عليكم * فني رأسها من وطء أسلافكم شدخ
لأفواه أعدائى وأعين حسدى * اذا جليت خائنى الغض والفضخ
دعوها تهادى فى ملاءة حسنها * فنى نفسها من مدح أملاكها مدخ
يمانية زارت يمانين فانثنت * وقد جدفيها الزهو واستحكم الزمخ

وقد بسط فى الاحاطة ترجمة ابن خميس المذكور ومما أنشد له قوله

سل الريح ان لم تسعد السفن أنواء * فعند صباها من تلمسان أنباء
وفى خفقان البرق منها اشارة * اليك بما تنمى اليها وايماء
تمر الليالى ليلة بعد ليلة * وللاذن اصغاء وللعين اكلاء
وانى لاصبو للصبا كلما سرت * وللنجم مهما كان للنجم اصباء
وأهدى اليها كل يوم تحية * وفى رد اهداء التحية اهداء
وأستجلب النوم الغرار ومخجعى * قتاد كما شاءت نواها وسلاء
لعل خيالا من لدنها يمر بى * ففى مره بى من جوى الشوق ابراء
وكيف خلوص الطيف منها ودونها * عيون لها فى كل طالعة راء
وانى لمشتاق اليها ومنبئ * ببعض اشتياقى لو تمكن انباء
وكم قائل تفنى غراما بحبها * وقد أخلقت منها ملاء وأملاء
لعشرة أعوام عليها تجرمت * اذا ما مضى قيظ بها جاء اهراء
يطنب فيها عاشون وحوب * ويرحل عنها قاطنون وأحياء
كأن رماح الناهبين لملكها * قداح وأموال المنازل أبداء
فلا تبغين فيها مناخا لراكب * فقد قلصت منها ظلال وأفياء
ومن عجب أن طال سقمى وبرؤها * وقسم اضناء علينا واطناء
وكم أرجفوا غيظا بها ثم أرجؤا * فيكذب ارجاف ويصدق ارجاء
يرددها عيا بها الدهر مثلما * يردد حرف الفاء فى النطق فأفاء
فيا منزلا نال الردى منه ما اشتهى * ترى هل لعمر الانس بعدك انساء
وهل للظى الحرب التى فيك تلتظى * اذا ما انقضت أيام بؤسك اطفاء
وهل لى زمان أرتجى فيه عودة * اليك ووجه البشر أزهر وضاء

ومنها

أحن لها ما اطلت النيب حولها * وما عاقها عن مورد الماء اظماء
فما فاتها منى نزاع على النوى * ولا فاتنى منها على القرب اجشاء
كذلك جدى فى صحابى وأسرتى * ومن لى به فى أهل ودى ان فاؤا
ولولا جوار ابن الحكيم محمد * لما فات نفسى من بنى الدهر اقماء
حمانى فلم تنتب محلى نوائب * بسوء ولم ترز أفؤادى أرزاء
وأكفأ بيتى فى كفالة جاهه * فصاروا عبيدا لى وهم لى أكفاء
يؤمون قصدى طاعة ومحبة * فما عقته عافوا وما شئته شاؤا

ابن شبيب بن شبة فقال له محمد كيف ترى بنائى قال بنيت أجل بناء بأطيب فناء وأوسع فضاء وأرق هواء على أحسن ماء بين صرارى وحسان وظباء فقال محمد بناء كلامك أحسن من بنائنا وقيل ان صاحب الكلام والبانى للقصر هو عيسى بن جعفر على ما حدث به محمد بن زكريا الغلابى عن الفضل ابن عبد الرحمن بن شبيب ابن شبة وفى هذا القصر يقول ابن أبى عتبة

زر وادى القصر نعم القصر والوادى
لابد من زورة من غير ميعاد
زره فليس له شبه يقاربه
من منزل حاضر ان شئت أو بادى
ترقى قراقيره والعيس واقفة
والضب والنون والملاح والحادى

وفى سنة خمس وسبعين ومائة مات الليث بن سعد المصرى الفهمى ويكنى أبا الحرث وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وكان قد حج سنة ثلاث عشرة ومائة وسمع من نافع * وفى سنة خمس وسبعين ومائة مات شريك ابن عبد الله بن سنان النخعى القاضى وكان يكنى أبا عبد الله وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وكان مولده ببخارى وليس بشريك بن عبد الله بن أبى نمر الليثى لان ابن

دعاني الى المجد الذي كنت آملا * فلم يك لي عن دعوة المجد ابطاء
و بوّأني من هضبة العز تلعة * يناجي السها منها مصعود وطأطاء
يشيعني منها اذا سرت حافظ * و يكلؤني منها اذا ثعت كلاء
ولا مثل نومي في كفالة غيره * وللذئب المام وللصل الماء
بغيضة ليث أو بمرقب خالب * تبز كسافيه وتقطع اكساء
اذا كان لي من نائب الملك كافل * ففي حيثما هوّمت كن وادفاء
واخوان صدق من صنائع جاهه * يبادرني منهم قيام وايلاء
سراع لما يرجى من الخير عندهم * ومن كل مايخشى من الشر ابراء
اليك أبا عبد الاله صنعتها * لزومية فيها لوجدى افشاء
مبرأة مما يعيب لزومها * اذا عاب اكفاء سواها وايطاء
أذعت بها السر الذي كان قبلها * عليه لاحناء الجوانح اضناء
وان لم يكن كل الذي كنت آملا * وأعوزا كلاء فاعازا كاء
ومن يتكلف مفعما شكر منة * فاني الى ذاك التكلف الجاء
اذا منشد لم يكن عنك ومنشئ * فلا كان انشاد ولا كان انشاء

(رجع الى ترجمة ابن الفخار وفوائده) قال الشاطبي حدثنا الاستاذ الكبير أبو عبد الله بن الفخار قال جلس بعض الطلبة الى بعض الشيوخ المقرئين فأتى المقرئ بمسئلة الزوائد الاربع في أول الفعل المضارع وقال يجمعها قولك نايت فقال له ذلك الطالب لو جمعتها بقولك أنيت لكان أملح ليكون كل حرف تضعيف ماقبله فالهمزة لواحد وهو المتكلم والنون لاثنين وهما الواحد ومعه غيره والواحد المعظم نفسه والياء لاربعة للواحد الغائب وللغائبين وللغائبين وللغائبات والتاء لثمانية للمخاطب وللمخاطبين وللمخاطبين والمخاطبة والمخاطبتين والمخاطبات وللغائبة وللغائبتين فاستحسن الشيخ ذلك منه (وحكى) الشاطبي أيضا أن شيخه ابن الفخار أورد عليهم سؤالا وهو كيف يجمع بين مسئلة رجل أوقع الصلاة بثوب حرير اختيارا و بين قوله * جرى الدميان بالخبر اليقين * فلم يتقدح لنا شيء فقال الجواب ان الاول ممنوع عند الفقهاء شرعا ورد اللام في دم في التثنية ممنوع عند النحاة قياسا وكلاهما في حكم المعدوم حسا واذا كان كذلك كان الاول بمنزلة من صلى بادي العورة اختيارا فتلزمه الاعادة وكان الثاني بمنزلة ما باشر فيه عين دم علم التثنية فتلزمه الفتحة وان كان أصلها السكون قال وهذه المسئلة تشبه مسئلة ابن جني في الخصائص قال ألقيت يوما على بعض من كان يعتادني مسئلة فقلت له كيف تجمع بين قوله

لدن بهز الكف يعسل متنه * فيه كما عسل الطريق الثعلب

و بين قوله اختصم زيد وعمرو فلم يتقدح له فيها شيء وعادمستفهما فقال له اجتماعهما أن الواو اقتصر به على بعض ما وضع له من الصلاحية اللازمة مطلقا والطريق اقتصر به على بعض ما كان يصلح له (قال الشاطبي) وحدثني أيضا قال كان لقاضي القضاة علما وجزالة أبي جعفر ولد يقرأ على عاقة وكان ابا نبيها فهما ونبلا فسأل مني يوما مسئلة يذكرها الاقرانه وكان

و ثلاثون سنة وكان شريك ابن عبد الله النخعي تولى القضاء بالكوفة أيام المهدي ثم عزله موسى الهادي وكان شريك مع فهمه وعلمه ذكيا فطنا وكان جرى بينه و بين مصعب ابن عبد الله كلام بحضرة المهدي فقال له مصعب أنت تنتقص أبا بكر وعمر فقال والله ما أنتقص جدك وهو دونهما وذكر معاوية عند شريك بالحلم فقال ليس بحليم من سفه الحق وقاتل علي بن أبي طالب وشم من شريك رائحة النبيذ فقال له أصحاب الحديث لو كانت هذه الرائحة منا لاستحيينا فقال لانكم أهل الريبة * ومات في أيام الرشيد أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر الاصبحي وهو ابن تسعين سنة وحمل به ثلاث سنين وذلك في ربيع الاول وقيل انه صلى عليه ابن ابي ذئب على ماذكر من التنازع في وفاة ابن أبي ذئب وذكر الواقدي ان مالكا كان يأتي المسجد و يشهد الصلوات و الجمع والجنائز و يعود المرضى و يقضي الحقوق ثم ترك ذلك كله ثم قيل له فيه فقال ليس كل انسان يقدر أن يتكلم بعذره وسعي به الى جعفر بن سليمان وقيل له انه لا يرى

معجبا بالغرائب فجرى على لساني أن قلت له بين على زيد فعل أمر وفاعل والاصل ابان على
زيد ثم سهل بالنقل والحذف على قياس التسهيل فصار بين كما ترى فأعجب بالمسئلة حتى ناظر
فيها ليلة أباه وكان أنحى نحاة أهل عصره فأعجب مما رأى من ابنه من النبل والتحصيل فبلغت
المسئلة الشيخ الاستاذ أبا بكر بن الفخار رحمه الله تعالى فاعتنى بها وحاول في استخراج وجه
من وجوه الاعتراض على عادة المصلحين من طلبة العلم فوجد في مختصر العين أن الكلمة من
ذوات الواو ولم يذكر صاحب المختصر غير ذلك ولم يكن رحمه الله تعالى رأى قول أبي الحسن
اللحياني في نوادره أنه مما تعاقب على لامه الواو والياء فيقال بأى يبأى بأوا وبأيا كما يقال
شأى يشأى شأوا وشأيا فلم يقدم شيئا على أن اجتمع بالقاضي المذكور فقال له ألم تسمع ما قال
فلان بين على زيد وانما هو بون على زيد لانه من ذوات الواو ونص على ذلك صاحب المختصر
وحمله على أن يرسل الي ويردني عن ذلك الذي قلته في المسئلة واجتمعت أياما معه وحدثني بما
جرى له مع الاستاذ ابن الفخار فذكرت له ما حكاه أبو الحسن اللحياني في نوادره وما قاله
ابن جني في سر الصناعة فسر بذلك وارسل بعد الى الاستاذ ابن الفخار وذكر له نص
اللحياني وقول ابن جني وجمع القاضي بيننا وعقد في قلوبنا مودة فكان الاستاذ ابن الفخار
يومئذ يقصدني في منزلي وفي المواسم ويستشيرني في أموره على سبيل التأنيس رحمة الله عليه
فأقام على فقدامثاله (وقال الشاطبي أيضا) أنشدني الفقيه الاستاذ الكبير أبو عبد الله بن
الفخار رحمه الله تعالى وقال الني في سرى بيت لم أسمعه قط في السادس عشر من شهر رجب
عام ستة وخمسين وسبعمائة

لتكن راجيا كما أنت ترجو * ولاترى من الذي أنت راجي

قال الشاطبي وقرر لنا الاستاذ ابن الفخار المذكور يوما توجيه قول ابي الحسن الاخفش في
كسرة الذال من نحو يومئذ انها اعرابية لابنائية اذ لم يذكر احد وجه هذا المذهب قبل
قال ابن جني ان الفارسي اعتذر له بما يكاد يكون عذرا فلما تم التوجيه قلت له وانا حينئذ
صغير السن هب ان الامر على ما قاله الاخفش من ان الكسرة اعرابية فما يصنع ببناء الزمان
المضاف الى اذ في احد الوجهين والاضافة الى المفرد المعرب تقتضي الاعراب دون البناء
فتعجب من صدور هذا السؤال مني لصغر سني واجاب عنه بانه قد يذهب السبب ويبقى
حكمه كما قاله ابن جني في اسم الاشارة في ترجمة سيبويه هذا علم ما الكلم من العربية على أن
يكون سيبويه وضعه غير مشير به وتركه مبنيا وأزال سبب البناء ونظر ذلك بباب التسوية على
ماهو مقرر في موضعه قال ونظير ذلك ما تقرر من اضافة حيث الى المفرد مع بقاء البناء فيما
ذكره الزمخشري وذلك قوله * اما ترى حيث سهيل طالعا * وقوله أنشدنا ابن الاعرابي
لبعض المحدثين

ونحن سعينا بالبلايا المعقل * وقد كان منكم حيث لي العمائم

وقد كان حقها أن تعرب لزوال سبب البناء وهو الاضافة الى جملة وحصول سبب الاعراب
وهو الاضافة الى المفرد ولكنه لم يعتبر النادر وأبقى الحكم الشائع (وقال الشاطبي أيضا) كان
شيخنا ابن الفخار يأمرنا بالوقف على قوله تعالى في سورة البقرة قالوا الآن ونبتدئ جئت

أيمان يبعثكم شيأ أضربه بالسياط ومد لذلك حتى انخلع كتفاه وفي السنة
التي مات فيها مالك كانت
وفاة حماد بن زيد وهي سنة
تسع وسبعين ومائة وفي سنة
احدى وستين ومائة مات
عبد الله بن المبارك المروزي
الفقيه بهيت بعد منصرفه
من طرسوس وفي سنة
اثنتين وثمانين ومائة مات
أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم
القاضي وهو ابن تسع
وستين سنة وهو رجل من
الانصار وولي القضاء سنة
ست وستين ومائة في أيام
خروج الهادي الى جرجان
وأقام على القضاء الى أن
مات خمس عشرة سنة (قال
المسعودي) وقد كانت أم
جعفر كتبت مسئلة الى أبي
يوسف تستفتيه فيها فافتاها
بما وافق مرادها على حسب
ما أوجبته الشريعة عنده
وأداه اجتهاده اليه فبعثت
اليه بحق فضة فيه حقاق
في كل حق لون من الطيب
وجام ذهب فيه دراهم وجام
فضة فيه دنانير وغلمان
وتخوت من ثياب وحمار
وبغل فقال له بعض من
حضره قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من أهديت
له هدية فجلساؤه شركاؤه
فيها فقال أبو يوسف
تأولت الخبر على ظاهره
والاستحسان قد منع من
امضائه ذلك اذ كان هدايا
الناس التمر واللبن لا في هذا الوقت وهدايا الناس اليوم العين والورق وغير مودة للّه فضل الله يؤتيه من

بالحق وكان يفسر لنا معنى ذلك قولهم الآن أى فهمنا وحصل البيان ثم تبين جئت بالحق يعنى فى كل مرة وعلى كل حال وكان رحمه الله تعالى يرى هذا الوجه أولى من تفسير ابن عصفور وله من انه على حذف الصفة أى بالحق البين وكان يحافظ عليه (وقال الشاطبى) أنشدنى صاحبنا الفقيه الاجل الاديب البارع أبو محمد بن حذلم لنفسه أبياتا أنشدنيها يوم عيد على قبر سيدنا الامام الاستاذ الكبير الشهير أبى عبد الله بن الفخار يرثيه بها

أيا جدثا قد أحرز الشرف المحضا * بان صار مثوى السيد العالم الارضى

عجبت لما أحرزته من معارف * وشتى معال لم تزل تعمر الارضا

طويت عليه وهو عين زمانه * فيا جفن عين الدهر كم تؤثر الغمضا

فيا لك من صوب الحيا كل ديمة * تديم له فى الجنة الرفع والخفضا

فها نحن فى عيد الاسى حول قبره * وقوفا نقضى من عيادته الفرضا

كمثل الذى كنا وقوفا ببابه * بعيد الامانى زائرين له أيضا

ومنا سلام لا يزال يخصه * يذكر من بعض أشواقنا البعضا

قلت وابن حذلم المذكور له باع مديد فى العلم والادب وهو أبو محمد عبد الله بن عبد الله بن حذلم ومن نظمه قوله

أبت المعارف أن تنال براحة * الا براحة ساعد الجد

فاذا ظفرت بها فلست بعدلك * أو بابغير مساعد الجد

وقوله رحمه الله

كم من صديق حال فى وده * ولم أزل أرويه عن محضه

حضوره عين على وده * وغيبه عين على بغضه

ولم أكن أجهل هذا ولا * عجزت أن أجرى على قرضه

لكن من قدمنى بعضه * احب ان أصفح عن بعضه

وقوله رحمه الله يوم عيد وهو مما ألهج به أنا كثيرا

يقولون لى حل عنك الاسى * ولذ بالسرور وهذا يوم عيد

فقلت لهم والاسى غالب * ووجدى يحيى وشوقى يزيد

توعدنى مالكى بالفراق * فكيف اسر وعيدى وعيد

وقوله رحمه الله

حبيب زارنى فى الليل سرا * فأحيا نفس مشتاق اليه

وعللنى بنشر المسك منه * وحيانى بصفحته وجنتيه

وعانقنى عناق الود صفعا * وفارقنى فيا لهفى عليه

(رجع) وتوفى الاستاذ سيبويه زمانه أبو عبد الله محمد بن على بن الفخار أستاذ الجماعة بغرناطة ليلة الاثنين ثانى عشر رجب عام أربعة وخمسين وسبعمائة رحمه الله (رجع) الى مشايخ لسان الدين رحمه الله تعالى * (ومنهم الاستاذ ابن العواد) قال فى الاحاطة قرأت كتاب الله عز وجل على المكتب نسيج وحده فى تحمل المنزل حتى حله تقوى وصلاحا وخصوصية واتقانا

عبد الله بن الزبير فقال ان موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على قد أرادنى على البيعة له فجمع الرشيد بينهما فقال الزبيرى لموسى سعيتم علينا وأردتم نقض دولتنا فالتفت اليه موسى فقال ومن أنتم فغلب الرشيد الضحك حتى رفع رأسه الى السقف حتى لا يظهر منه ثم قال موسى يا أمير المؤمنين هذا الذى ترى المشنع على خرج والله مع أخى محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن على على جدك المنصور وهو القائل من أبيات

قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتنا * ان الخلافة فيكم يا بنى حسن

فى شعر طويل وليس سعايته يا أمير المؤمنين حبا لك ولا مراعاة لدولتك ولكن بغضا لنا جميعا أهل البيت ولو وجد من ينتصر به علينا جميعا لكان معه وقد قال باطلا وأنا مستحلفه فان حلف أنى قلت ذلك فدمى لامير المؤمنين حلال فقال الرشيد احلف له يا عبد الله فلما أراده موسى على اليمين تلكأ وامتنع فقال له الفضل لم تمتنع وقد

ونغمة وعناية وحفظا وتبحرا فى هذا الفن واضطلاعا بغرائبه واستيعابا للسقطات الاعلام الاستاذ الصالح أبى عبدالله بن عبدالولى العواد تكتيبا ثم حفظا ثم تجويدا على مقرا أبى عمرو ثم نقلنى الى استاذ الجماعة ومطية الفنون ومفيد الطلبة الشيخ الخطيب المتفنن أبى الحسن على القيجاطى فقرأت عليه القرآن والعربية وهو أول من انتفعت به انتهى *(ومن أشياخه رحمه الله الشيخ العلامة أبو عبدالله بن بيش) وله رحمه الله تعالى نظم جيد فمنه قوله ملغزا فى مسطرة الكتابة

ومقصورة خلف الحجاب وسرها * مضاع فما يلقاك من دونها ستر
لها جثة بيضاء أسبل فوقها * ذوائب زانتها وليس لها شعر
اذا ألبست مثل الصباح وبرقعت * رأيت سواد الليل لم يمحه الفجر
عقيلة صون لا يفرق شملها * سوى من اهمته الخطابة والشعر

وقوله فى ترتيب حروف الصحاح

اساجعة بالواديين تبوّئى * ثمارا جنتها حاليات خواضب
دعى ذكر وصل زاره سقى شربه * صباح ضحى طير ظماء عواصب
غرام فؤادى قاذف كل ليلة * متى ما نأى وهنا هداه يراقب

وله جواب عن البيتين المشهورين

يا ساكنا قلبى المعنى * وليس فيه سواك ثانى
لأى معنى كسرت قلبى * وما التقى فيه ساكنان

فقال

نحلتنى طائعا فؤادا * فصار اذ حزته مكانى
لا غرو اذ كان لى مضافا * أنى على الكسر فيه بانى

وقد ذكرت ذلك فى غير هذا الموضع مع زيادة بلفظ لسان الدين فليراجع فى الباب الخامس من هذا الكتاب *(ومن أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى) قاضى الجماعة الصدر المتفنن أبو عبدالله بن بكر قال فى الاحاطة وقرأت على قاضى الجماعة أبى عبدالله بن بكر رحمه الله تعالى انتهى وقاضى الجماعة عند المغاربة هو بمعنى قاضى القضاة عند المشارقة فليعلم ذلك * وابن بكر المذكور وهو محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن أبى بكر بن سعيد الاشعرى المالقى من ذرية أبى موسى الاشعرى كان من صدور العلماء وأعلام الفضلاء سذاجة ونزاهة ومعرفة وتفننا فسيح الدرس أصيل النظر واضح المذهب مؤثرا للانصاف عارفا بالاحكام والقراءة مبرزا فى الحديث تاريخا واسنادا وتعديلا وجرحا حافظا للانساب والاسماء والكنى قائما على العربية مشاركا فى الاصول والفروع واللغة والعروض والفرائض والحساب مخفوض الجناح حسن الخلق عطوفا على الطلبة محبا فى العلم والعلماء مطرحا للتصنع عديم المبالاة بالملبس بادى الظاهر عزيز النفس نافذ الحكم تقدم ببلده مالقة ناظرا فى امور العقد والحل ومصالح الكافة ثم ولى القضاء بها فأعز الخطة وترك الشوائب وأنفذ الحق ملازما للقراءة والاقراء محافظا للاوقات حريصا على الافادة ثم ولى القضاء بغرناطة المحروسة سنة ٧٣٧ فقام

حدثنى أبى عن جدى عن أبيه عن جده على عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما حلف أحد بهذه اليمين وهو كاذب الا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث والله ما كذبت ولا كذبت وها أنا يا أمير المؤمنين بين يديك وفى قبضتك فتقدم بالتوكيل فان مضت ثلاثة أيام ولم يحدث على عبدالله بن مصعب حادث فدمى لامير المؤمنين حلال فقال الرشيد للفضل خذ بيد موسى فليكن عندك حتى انظر فى أمره قال الفضل فوالله ما صليت العصر من ذلك اليوم حتى سمعت الصراخ من دار عبد الله بن مصعب فامرت من يتعرف خبره فعرفت أنه أصابه الجذام وانه قد تورم واسود فصرت اليه فوالله ما كدت أعرفه لانه قد صار كالزق العظيم ثم اسود حتى صار كالفحم فصرت الى الرشيد فعرفته خبره فما انقضى كلامى حتى أتى خبر وفاته فبادرت بالخروج وأمرت بتعجيل أمره والفراغ منه وتوليت الصلاة عليه فلما دلوه فى حفرته لم يستقر فيها حتى انخسفت به وخرجت منه

بالوظائف وصدع بالحق وبهرج الشهود فزيف منهم ما ينيف على سبعين واستهدف بذلك
الى معاداة ومناضلة خاض ثبجها وصادم تيارها غير مبال بالمغبة ولا حافل بالتبعة فناله لذلك
من المشقة والكيد العظيم ما نال مثله حتى كان لا يمشي الى الصلاة ليلا ولا يطمئن على حالة وجرت
له في ذلك حكايات الى أن عزم عليه الامير أن يرد العدالة بعض من أخره فلم يجد في قناته
مغمزا ولا في عوده محمزا وتصدر لبث العلم بالحضرة يقرئ فنونا جمة فنفع وخرج واقرأ القرآن
ودرس الفقه والاصول والعربية والفرائض والحساب وعقد مجالس الحديث شرحا وسماعا
على انشراح صدر وحفظ تحمل وخفض جناح قال القاضي ابن الحسن انه كان صاحب عزم
ومضاء وحكم صادع وقضاء احرق قلوب الحسدة واعز الخطة بازالة الشوائب وذهب
وفضض الحق بمعارفه ونفذ في المشكلات وثبت في المعضلات واحتج وبكت وتفقه
ونكت *وحدثنا صاحبنا أبو جعفر الشقوري قال كنت جالسا بمجلس حكمه فرفعت اليه
امرأة رقعة مضمنها أنها محبسة في مطلقها وتبتغي الشفاعة لها في ردها فتناول الرقعة ووقع على
ظهرها بالاملاء الحمد لله من وقف على ما بالقلوب فليصخ لسماعها اصاخة مغيث وليشفع للمرأة
عند زوجها تأسيا بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لبريرة في مغيث والله يسلم لنا العقل
والدين ويسلك بنا سبيل المهتدين والسلام من كاتبه قال الشقوري قال لي بعض
الاصحاب هلا كان هو الشفيع لها فقلت الصحيح ان الحاكم لا ينبغي ان يباشر ذلك بنفسه على
المنصوص *قرأ ابن بكر المذكور على الاستاذ ابن أبي السداد الباهلي القرآن جمعا وافرادا
والعربية والحديث ولازمه وتأدب به وعلى الشيخ الصالح أبي عبد الله بن عياش كثيرا من
كتب الحديث وسمع عليه جميع صحيح مسلم الادولة واحدة وأخذ عن الاستاذ أبي جعفر بن
الزبير والخطيب بن رشيد والولي الصالح أبي الحسين بن فضيلة والاستاذ أبي عبد الله بن
الكماد واجازه العدل الراوية ابو فارس عبد العزيز بن الهواري وابو اسحق التلمساني
*(ومن أهل افريقية) المعمر أبو محمد بن هرون ومحمد بن سيد الناس *(ومن أهل مصر)
الشرف الدمياطي وجماعة من أهل الشام والحجاز فقد رحمه الله تعالى في المصاف يوم المناجزة
بطريف زعموا أنه وقع عن بغلة ركبها وأشار عليه بعض المنهزمين بالركوب فلم يقدر وقال له
انصرف هذا يوم الفرح اشارة لقوله تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله وذلك ضحى
يوم الاثنين ٧ جمادى الاولى سنة ٧٤١ رحمه الله تعالى *(ومن أشياخ لسان الدين
ابن الخطيب رحمه الله تعالى الشيخ أبو اسحق بن أبي يحيى الشهير الذكر في المغرب) وقد عرف
به في الاحاطة في اسم ابراهيم من ترجمة الغرباء بما نصه ابراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر
التسولي من أهل تازى يكنى أبا سالم ويعرف بابن أبي يحيى (حاله من الكتاب المؤتمن)
كان هذا الرجل قيما على التهذيب ورسالة ابن أبي زيد حسن الاقراء لهما وله عليهما
تقييدان نبيلان قيدهما أيام قراءته اياهما على أبي الحسن الصغير حضرت مجالسه بمدرسة
عدوة الاندلس من فاس ولم أر في متصدري بلده أحسن تدريسا منه كان فصيح اللسان
سهل الالفاظ موفيا حقوقها وذلك لمشاركته الحضر فيما بايديهم من الادوات وكان مجلسه
وقفا على التهذيب والرسالة وكان مع ذلك سمحا فاضلا حسن اللقاء على خلق بائن على اخلاق

ثم طرح التراب عليها وانصرفت الى الرشيد فعرفته الخبر فاكثر التعجب من ذلك وأمر بتخليته موسى بن عبد الله رضي الله عنه وان أعطيه ألف دينار واحضر الرشيد موسى فقال له لم عدلت عن اليمين المتعارفة بين الناس قال لانا روينا عن جدنا علي رضي الله عنه أنه قال من حلف بيمين مجد الله فيها استحيا الله من تعجيل عقوبته وما من أحد حلف بيمين كاذبة نازع الله فيها حوله وقوته الا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث وقيل ان صاحب هذا الخبر هو يحيى بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي أخو موسى بن عبد الله رضوان الله عليهم وكان يحيى قد سار الى الديلم مستجيرا فباعه صاحب الديلم من عامل الرشيد بمائة ألف درهم فقتل اهـ وقد روى من وجه آخر على وجه حسب تباين النسخ وطرق الرواية في ذلك في كتب الانساب والتواريخ أن يحيى ألقي في بركة فيها سباع قد جوعت فأمسكت عن أكله ولاذت بناحيته وهابت الدنو منه فبني عليه ركن بالجص والحجر وهو حي وقد كان محمد بن جعفر بن يحيى بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي كرم الله وجهه سار الى مصر فطلب فدخل المغرب واتصل ببلاد

اهل

أهل مصره امتحن بصحبة السلطان فصار يستعمله فى الرسائل فرفى ذلك خط كبير من عمره ضائعا لافى راحة دنيا ولافى نصب آخرة ثم قال وهذه سنة الله فيمن خدم الملوك ملتفتا الى ما يعطونه لا الى ما يأخذون من عمره وراحته أن يبوء بالصفقة الخاسرة لطف الله بمن ابتلى بذلك وخلصنا خلاصا جميلا * (ومن كتاب عائد الصلة) الشيخ الفقيه الحافظ القاضى من صدور العلماء مشاركة فى العلم وتبحر فى الفقه كان وجيها عند الملوك صحبهم وحضر مجالسهم واستعمل فى السفارة فلقيناه بغرناطة وأخذنا عنه تام السراوة حسن العهد مليح المجالس أنيق المحاضرة كريم الطبع صحيح المذهب (تصانيفه) قيد على المدونة بمجلس شيخه أبى الحسن كتابا مفيدا وضم أجوبته على المسائل فى سفر وشرح كتاب الرسالة شرحا عظيم الافادة (مشيخته) لازم أبا الحسن الصغير وهو كان قارئ كتب الفقه عليه وجل انتفاعه فى التفقه به وروى عن أبى زكريا بن يس قرأ عليه كتاب الموطا الا كتاب المكاتب وكتاب المدبر فانه سمعه بقراءة الغير وعن أبى عبد الله بن رشيد قرأ عليه الموطا وشفاء عياض وعن أبى الحسن بن عبد الجليل السدوانى قرأ عليه الاحكام الصغرى لعبد الحق وأبى الحسن بن سليمان قرأ عليه رسالة ابن أبى زيد وعن غيرهم (وفاته) فلج بآخرة فالتزم منزله بفاس بزوره السلطان ومن دونه وتوفى بعد عام ثمانية وأربعين وسبعمائة انتهى وقال ابن الخطيب القسمطيني ان ابن أبى يحيى المذكور توفى سنة تسع وأربعين وسبعمائة انتهى * (ومن أشياخ لسان الدين الطنجالى الهاشمى وهو محمد بن أحمد) قال فى عائد الصلة كان على سنن سلفه كثرة حياء وسمة صلاح وشدة انقباض وافراط ووقار وحشمة بذ الكهولة على حداثة سنه فى باب الورع والدين والاغراق فى الصلاح والخير وتقدم خطيبا ثم قاضيا ببلده فاظهر من النزاهة والعدالة ما يناسب منصبه ففزع الناس اليه فى كائنة الوباء العظيم باموالهم وقلدوه عهود صدقاتهم فاستقر فى يده من المال الصامت والحلى والذخيرة والعدة ما تضيق بيوت أموال الملك عنه وصرف ذلك مصارفه ووضعه وفق عهوده فلم يتلبس منه بنقير ولا قطمير وكان مدركا أصيل الرأى قائما على الفرائض والحساب ثم تحرج وطلب الاعفاء فاسعف به على حال ضنانة وفى ذلك يقول قريبه صاحبنا الفقيه القاضى أبو الحسن بن الحسن يخاطبه

لك الله يا بدر السماحة والبشر * رفعت بأعلى رتبة راية الفخر
ولا سيما لما وليت أمورها * فرويتها من عذب نائلك الغمر
ودارت قضاياها عليك بأسرها * على حين لا ير بعين على بر
فقمت بها خير القيام مصمما * على الحق تصميم المهندة البتر
فسر بك الاسلام يا ابن حمامة * وأمست بك الايام باسمة الثغر
تعيد عليك الحمد ألسن حالها * وتتلو لما يرضيك من سور الشكر
لذلك أمير المسلمين بعدله * أقامك تقضى فى الزمان على جبر
فأحييت رسم العلم بعد مماته * وغادرت وجه الحكم أسنى من البدر
ولكنك استعفيت عنه تورعا * وتلك سبيل الصالحين كما تدرى

فمات هنالك مسموما وقد أتينا على كيفية خبره وما كان من أمره فى كتاب حدائق الاذهان فى أخبار أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم وتفرقهم فى البلدان وفى سنة ثمانين ومائة حج الرشيد وهى آخر حجة حجها فذكر عن أبى بكر بن عياش وكان من علية أهل العلم انه قال وقد اجتاز الرشيد بالكوفة فى حال منصرفه من هذه الحجة لا يعود الى هذه الطريق ولا خليفة من بنى العباس بعده أبدا فقيل له أضرب من الغيب قال نعم قيل بوحى قال نعم قيل اليك قال لا الى محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك خبر عنه عليه السلام المقتول فى هذا الموضع وأشار الى الموضع الذى قتل فيه بالكوفة رضى الله عنه وفى سنة تسع وثمانين ومائة وذلك فى أيام الرشيد مات على بن حمزة الكسائى صاحب القراآت ويكنى أبا الحسن وكان قد شخص مع الرشيد الى الرى فمات بها وكذلك مات محمد بن الحسن الشيبانى القاضى ويكنى أبا عبد الله ودفن بالرى وهو مع الرشيد وتطير من وفاة محمد بن الحسن لرؤيا كان رآها فى نومه اه وفى هذه السنة كانت وفاة يحيى بن برمك بن خالد فى

المطلب فحدث غوث بن المسدوع عن الرياشي قال سمعت الاصمعي يقول كنت عند الرشيد وأتى بعبد الملك بن صالح يرسف في قيوده فلم أنظر اليه قال هيه يا عبد الله كأني انظر اليك وشؤبوبها قد همع وعارضها قد لمع وكأني بالوليد قد أقلع عن براجم بلا معاصم ورؤس بلا غلاصم مهلا مهلا بني هاشم والله والله سهل لكم الوعر وصفا لكم الكدر وألقت اليكم الامور أزمتها فخذوا حذركم مني قبل حلول داهية خبوط باليد والرجل فقال له عبد الملك أفذا أتكلم أو توأما فقال بل توأما قال فاتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك وراقبه في رعاياك التي استرعاك قد سهلت لك والله الوعور وجمعت على خوفك ورجائك الصدور وكنت كما قال أخو كعب بن كلاب

ومقام ضيق فرجته ... بلسان أو بيان أو جدل
لو يقوم الفيل أو فياله ... زل عن مثل مقامي أو زحل

قال فأراد يحيى بن خالد البرمكي ان يضع من مقام عبد الملك عند الرشيد فقال له يا عبد الملك بلغني أنك حقود فقال أصلح الله الوزير ان يكن الحقد هو بقاء الخير والشر عندي انهما الباقيان

فكم من ولي فر عنه لعلمه ... به كابن الحجاج جدك من ذخر
فزاد اتصالا عزه باجتنابه ... له وسما قدرا على قنة النسر
جريت على نهج السلامة في الذي ... تبعت له فابشر بامنك في الحشر
وأرضاك مولاك الامام بفضله ... وأعطاك اعطاء الكرامة والبر
فانت على الحالين أفضل من قضى ... وأشرف من يعني الى آخر الدهر
لما حزت من شتى المعالي التي بها ... تحليت عن أسلافك السادة الغر
صدور مقامات المعارف كلها ... بحور النوال الجم في اليسر والعسر
هم النفر الاعلون من آل هاشم ... وناهيك من مجد أثيل ومن فخر

وهي طويلة انتهى * (ومن أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى الشيخ الامام الخطيب الرئيس سيدي ابو عبد الله بن مرزوق) ولنلخص ترجمته من الاحاطة وغيرها فنقول هو محمد ابن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني يكنى أبا عبد الله ويلقب من الالقاب المشرقية بشمس الدين قال أبو الحسن علي بن لسان الدين بن الخطيب في حقه سيدي وسند أبي فخر المغرب وبركة الدول وعلم الاعلام ومستخدم السيوف والاقلام ومولى أهل المغرب على الاطلاق أبقاه الله تعالى وأمتع بحياته واعانني على ما يجب في حقه قاله تربيته وولده على ابن المؤلف انتهى يعني ابن الخطيب وقال لسان الدين هذا الرجل من طرف دهره ظرفا وخصوصية ولطافة مليح التوسل حسن اللقاء مبذول البشر كثير التودد نظيف البزة لطيف التأني خير البيت طلق الوجه خلوب اللسان طيب الحديث مقدر الالفاظ عارف بالابواب درب على صحبة الملوك والاشراف متقاض لايثار السلاطين والامراء يسحرهم بخلابة لفظه ويفتلهم في الذروة والغارب بتنزله ويهتدي الى اغراضهم الكمينة بحذقه ويصطنع غاشيتهم بتلطفه ممزوج الدعابة بالوقار والفكاهة بالنسك والحشمة بالبسط عظيم المشاركة لاهل وده والتعصب لاخوانه الف مألوف كثير الاتباع والعلق مسخر الرقاع في سبيل الوساطة مجدي الجاه غاص المنزل بالطلبة منقاد للدعوة بارع الخط انيقه عذب التلاوة متسع الرواية مشارك في فنون من أصول وفروع وتفسير يكتب ويشعر ويقيد ويؤلف فلا يعدو السداد في ذلك فارس منبر غير جزوع ولا هياب رحل الى المشرق في كنف حشمة من جناب والده رحمه الله تعالى فحج وجاور ولقي الجلة ثم فارقه وقد عرف بالمشرق حقه وصرف وجهه الى المغرب فاشتمل عليه السلطان أبو الحسن أميره اشتمالا خلطه بنفسه وجعله مفضي سره وامام جمعته وخطيب منبره وأمين رسالته فقدم في غرضها على الاندلس أواخر عام ثمانية وأربعين وسبعمائة ولما حالت بالامير المذكور الحال استقر بالاندلس مفلتا من النكبة في وسط عام اثنين وخمسين وسبعمائة وكان قد أقعده للاقراء بالمدرسة من حضرته وفي أخريات عام أربعة وخمسين صرف عنه وجه برفي أسلوب طماح ودالة وسبيل هوى وقحة فاغتنم الفترة وانتهز الفرصة وأنفذ في الرحيل العزمة وانصرف عزيز الرحلة مغبوط المنقلب فاستقر بباب ملك المغرب أمير المؤمنين أبي عنان فارس في محل تجلة وبساط قرب مشرك الجاه مجدي التوسط ناجح الشفاعة والله يتولاه ويزيده من

فضله * (مشيخته) من كتابه المسمى بحالة المستوفز المستجاز في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز * (فمن لقيه بالمدينة المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام الامام العالم العلامة عز الدين محمد أبو الحسن بن علي بن اسمعيل الواسطي) صاحب خطتي الامامة والخطابة بالمسجد الكريم النبوي وأفردت في مناقبه * (ومنهم الشيخ الامام جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى الخزرجي السعدي العبادي) تحمل عن عفيف الدين أبي محمد عبد السلام بن مزروع وأبي اليمن وغيره * والشيخ الامام خادم الوقت بالمسجد الكريم ونائب الامامة والخطابة به ومنشد الامداح النبوية هنالك * والشيخ الصالح الثقة المعمر محيي الدين أبو زكريا يحيى بن محمد المغراوي التونسي سمع ابن حامل والتوزري * والشيخ نور الدين أبو الحسن علي بن محمد الحجار الفراش بحرم رسول الله والوافد به وكان مقصودا من كل قطر * والشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد الصنعاني نائب القضاة بالمدينة * والشيخ الامام قاضي القضاة بالمدينة شرف الدين بن محرز الاخميمي بن الاسيوطي * والشيخ الصالح عز الدين خالد بن عبد الله الطواشي * والشيخ شهاب الدين أحمد ابن عبد الله المعتني سمع ابن مزروع البصري وغيره * والشيخ بهاء الدين موسى بن سلامة الشافعي المصري الخطيب بالمسجد الكريم بها * والشيخ الخطيب أبو طلحة الزبير بن أبي صعصعة الاسواني * والشيخ عفيف الدين المطري * والشيخ الاديب أبو البركات أيمن بن محمد بن محمد الى أربعة عشر ابن أيمن التونسي المجاور * والشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن فرحون اليعمري التونسي المجاور * والشيخ أبو فارس عبد العزيز بن عبد الواحد بن أبي ركبون التونسي وقرأتها على أبيه القرآن العظيم قال وكانت قراءتي عليه بالمدينة عند قبره عليه الصلاة والسلام * (وبمكة شرفها الله تعالى) الشيخ المعمر الثقة شرف الدين أبو عبد الله عيسى بن عبد الله الحجي المكي المتوفى وقد قارب المائة * والشيخ زين الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري المكي * والشيخ الصالح شرف الدين خضر بن عبد الرحمن العجمي * وشيخ شيوخ رباط الاعجام حيدر بن عبد الله المقري * والشيخ مقري الحرم برهان الدين ابراهيم بن مسعود بن ابراهيم الايلي المصري * والشيخ مصلح الدين الحسن بن عبد الله العجمي * والامام الصالح أبو الصفاء خليل بن عبد الله القسطلاني التوزري * والشيخ الامام الصالح أبو محمد عبد الله بن اسعد الشافعي الحجة انتهت اليه الرياسة العلمية والحفظ الشرعية بالحرم * والشيخ فخر الدين عثمان بن أبي بكر النوبري المالكي * والشيخ الامام المدرس بالحرم شهاب الدين أحمد بن الحرازي اليمني * والشيخ قاضي القضاة نجم الدين محمد بن جمال الدين بن عبد الله بن المحب الطبري * والشيخ جلال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن براجين القشيري التلمساني وقرأتها على أبيه والبسه بها الخرقة * والشيخ الملك شرف الدين عيسى بن محمد بن ابي بكر بن ايوب * والشيخة فاطمة بنت محمد بن محمد ابن أبي بكر بن أيوب * والشيخة فاطمة بنت محمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن ابراهيم الطبري المكية * والشيخ أبو الربيع سليمان بن يحيى بن سلمان المراكشي السفاح * والشيخ قاضي القضاة وخطيب الخطباء عز الدين أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن جماعة الكناني قاضي

الملك ثم أمر به فرد الى محبسه ثم التفت الى الاصمعي فقال والله يا أصمعي لقد نظرت الى موضع السيف من عنقه مرارا يمنعني من ذلك ابقائي على قومي في مثله (حدث) يوسف بن ابراهيم بن المهدي قال حدثني سليمان الخادم الخراساني مولى الرشيد انه كان واقفا على رأس الرشيد بالحيرة وهو يتغدى اذ دخل عليه عون العبادي وكان صاحب الحيرة وفي يده صحفة فيها سمكة منعوتة السمن فوضعها بين يديه ومعه محشى قد اتخذ لها فحاول الرشيد أكل شئ منها فمنعه جبريل بن بختيشوع وأشار جبريل الى صاحب المائدة أن يشيلها عن المائدة ويعزلها له ففطن له الرشيد فلما رفعت المائدة وغسل الرشيد يده وخرج جبريل أمرني الرشيد باتباعه وان أكتمه في منزله وهو يأكل فارجع اليه بخبره ففعلت ما أمرني وأحسب ان أمري لم يخف على جبريل فيما تبينت من تحرزه وانه صار الى موضع من دار عون ودعا بالطعام فاحضر له وفيه السمكة فدعا باقداح ثلاث فجعل في واحد منها قطعة

 من السمك وصب عليها من خمر طبرياباذ (وهي قرية بين الكوفة والقادسية ذات كروم

القضاة بالديار المصرية *(وبمصر)* الشيخ علاء الدين القونوى * والتقى السعدى * وقاضى القضاة القزوينى وهو شهير الذكر رفيع القدر * وقاضى القضاة البرهان الحنفى * والشرف أقضى القضاة الاخميمى * والشيخ المحدث المسند البدر محمد بن محمد الفارقى * والقطب الحافظ أبو محمد بن منير * والشهاب أحمد الجوهرى الحلبى * والمعمر الشرف يحيى المقدسى بن المصرى والشيخ محسن القرشى * والشهاب الحنبلى * وفتح الدين محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس اليعمرى * والشيخ المسند شمس الدين أبو بكر بن سيد الناس أخوه * والامام أبو حيان * والمؤرخ النسابة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبى بكر بن على ابن حاتم بن خليش الزبيرى المصرى يبلغ شيوخه نحوا من ألفى شيخ * والشيخ الشمس بن عدلان والشهاب البوشى المالكى * والشيخ المتصوف تاج الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن ثعلب المصرى مدرس المالكية * والشمس بن كتشغرى الخطابى الصيرفى * والعماد بن المنجم الدمياطى * والتاج الاشعرى * والتقى التعلبى * والفتح بن عبد القوى * والشمس الورجى والتقى الاشمونى * والعلامة التقى السبكى * والمعروف بن بنت الشاذلى * وأبو الحسن التميمى * والبرهان الخيمى * والشمس الاسوانى * والبرهان الحكرى * والشمس بن جابر الوادى آشى * وأبو محمد عبد الكريم الطوسى * وأبو فارس الزروالى التونسى * وصالح بن عبد العظيم بن يونس * وابو عبد الله بن القماح * والتاج التبريزى * والشيخ محمود الاصبهانى والشرف المقيلى * والبرهان السفاقسى * (ومن النساء) * الشيخة المسندة ست الفقهاء فاطمة بنت محمد الفيومى البكرى * (وببلبيس) اسد الدين يوسف بن داود الايوبى من أبناء الملوك *(ومن الشاميين بالمقدس)* علاء الدين أبو الحسن على بن أيوب وخطيب القدس النور بن الصائغ المقدسى ومحمد بن على بن مثبت الاندلسى والبرهان الجعبرى امام الخليل *(ومن أهل دمشق) البرهان بن الفركاح والشمس بن مسلم قاضى الحنابلة *(وبالاسكندرية) أحمد المرادى بن العشاب وأبو القاسم بن على بن البراء والناصر بن المنير (وبطرابلس) الخطيب أبو محمد جابر بن عبد الغفار (وبتونس) الزبيدى والقاضى ابن عبد الرفيع والقاضى بن عبد السلام وابن راشد وأبو موسى والمحدث أبو عبد الله التلمسانى والحافظ أبو زكريا يحيى بن عصفور التلمسانى نزيل تونس وأبو محمد بن سعد الله بن أبى القاسم بن البراء (وببلاد الجريد) الشيخ الخطيب أبو عبد الملك بن حيون (وبالزاب) ابن أبى والشيخ أبو محمد بن راشد (وببجاية) الامام النظار المجتهد أبو على ناصر الدين المشدالى والحافظ فقيه زمانه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بالبخت الزواوى والشيخ الفقيه أبو عبد الله الخطيب المسفر وغيرهم (وبتلمسان) الشيخان الامامان ابنا الامام وقاضى القضاة بها أبو عبد الله بن هدية والخطيب أبو محمد المجاصى والشريف أبو على حسن بن يوسف بن يحيى الحسنى والشيخ أبو عثمان سعد بن ابراهيم بن على المعروف بابن اسحق الخياط وغيرهم *(محنته)* اقتضى الخوض الواقع بين يدى تاميل الامير أبى الحسن رحمه الله تعالى عودة الامر اليه وقد ألقاه اليم الى الساحل بمدينة الجزائر أن قبض عليه بتلمسان أمراؤها المتوثبون عليها فى هذه الفترة من بنى زيان ارضاء لقبيلهم المتهم بمداخاته وقد رحل عنهم

القطر بلى) فصبه على السمكة وقال هذا أكل جبريل وجعل فى قدح آخر قطعة منها وصب عليها ماء بثلج شديد البرودة وقال هذا أكل أمير المؤمنين أعزه الله ان لم يخلط السمك بغيره وجعل فى القدح الثالث قطعا من اللحم من ألوان مختلفة من شواء ومن حلوى ومن بوارد وبقول ومن سائر ما قدم اليه من الالوان من كل واحد منها جزأ يسيرا مثل اللقمة واللقمتين وصب عليها ماء بثلج وقال هذا أكل أمير المؤمنين ان خلط السمك بغيره ودفع الثلاثة الاقداح الى صاحب المائدة وقال احتفظ بها الى أن ينتبه أمير المؤمنين أعزه الله ثم أقبل جبريل على السمكة فأكل منها حتى تضلع وكان كلما عطش دعا بقدح من الخمر الصرف فشرب به ثم قام فلما انتبه الرشيد من نومه سألنى عما عندى من خبر جبريل وهل أكل من السمكة شيأ أم لا يأكل فأخبرته بالخبر فأمر باحضار الاقداح الثلاثة فوجد ما فى القدح الاول وهو الذى ذكر جبريل انه أكله وصب عليه الخمر الصرف قد تفتت وانماع واختلط ووجد ما فى القدح الثانى الذى قال

عنهم دسيسا من أميرهم عثمان بن يحيى فصرف مأخوذا عليه طريقه منتهبا رحله منتهكة حرمته وأسكن قرارة مطبق عميق القعر مقفل المسالك حريز القفل ثاني اثنين انتهى ملخصا (ورأيت) بخط ابن مرزوق على قوله وقد رحل عنهم دسيسا الى آخره مانصه لم أرحل عنهم الا باذنهم واقتراحهم على في الاصلاح بينهم لكنهم غدر واتقية على أنفسهم قاله ابن مرزوق انتهى وكتب تحته ولد ابن الخطيب ماصورته نعم ماتوا * وعند الله تجتمع الخصوم * انتهى (رجع) الى كلام لسان الدين في حقه قال بعد الكلام السابق مانصه ولايام قتل ثانيه ذبحا كان بعقر به من شفا تلك الركية وانقطع أثره وأيقن الناس بفوات الامر فيه ولزمان من محنته ظهرت عليه بركة سلفه في خبر يتطرق طرفه الى الكرامة فنجا ولا تسل كيف وخلصه الله خلاصا جميلا وقدم على الاندلس والله ينفعه بنيته انتهى (وكتب) ابن مرزوق على هذا المحل مانصه لم يكن المقتول حين قتل معي ولا قتل ذبحا قاله ابن مرزوق انتهى وكتب بعض علماء مصر تحته مانصه هذه دعوى والمؤرخ أعرف انتهى فكتب آخر بعد هذا مانصه أخبرني عني انتهى (رجع) ثم قال لسان الدين في ترجمته شعره ماصورته ركب مع السلطان بخارج الحمراء أيام ضربت اللوز قبابها البيض وزينت الفحص العريض والروض الاريض فارتجل في ذلك

انظر الى النوار في أغصانه * يحكي النجوم اذا تبدت في الحلك
حيا أمير المسلمين وقال قد * عميت بصيرة من بغيرك مثلك
يا يوسفا حزت الجمال بأسره * فمحاسن الايام تومي هيت لك
أنت الذي صعدت به أوصافه * فيقال فيه ذا مليك أو ملك

الى أن قال ومن الشعر المنسوب الى محاسنه ما أنشده عنه وبين يديه ليلة الميلاد المعظم عام ثلاثة وستين وسبعمائة

قل للنسيم السحر * لله بلغ خبري
ان أنت يوما بالحمى * جررت فضل المئزر
ثم جئت الخط ومن * فوق الكثيب الاعفر
مستقريا في عشيه * مختفي وطء المطر
تروي عن الضحاك في الروض حديث الزهر
مخلق الاذيال بالعبير أو بالعنبر
وصف لجيران الحمى * وجدي بهم وسهري
وحقهم ما غيرت * ودي صروف الغير
لله عهد فيه قضيت جديد الاثر
أيامه هي التي * أحسبها من عمري
وبالليل فيه ما * عيب بغير القصر
العمر فينان ووجه الدهر طلق الغرر
والشمل بالاحباب منظوم كنظم الدرر

جبريل انه أكل أمير المؤمنين وصب عليه الماء الثلج فذاب وصار الى النصف مما كان ونظر الى القدح الثالث الذي قال جبريل وهذا أكل أمير المؤمنين ان خلط السمك بغيره قد تغيرت رائحته وحدثت له سهوكة كاد الرشيد أن يتقايأ حين قرب منه فأمر بحمل خمسة آلاف دينار الى جبريل وقال من يلومني على محبة هذا الرجل الذي يدبرني بهذا التدبير فأوصلت اليه المال (وذكر) عبد الله ابن مالك الخزاعي وكان على دار الرشيد وشرطته قال أتاني رسول الرشيد في وقت ما جاءني فيه قط فانتزعني من موضعي ومنعني من تغيير ثيابي فراعني ذلك فلما صرت الى الدار سبقني الخادم فعرف الرشيد خبري فأذن لي في الدخول فدخلت فوجدته قاعدا على فراشه فسلمت فسكت ساعة فطار عقلي وتضاعف الجزع ثم قال لي يا عبد الله أتدري لم طلبتك في هذا الوقت قلت لا والله يا أمير المؤمنين قال اني رأيت الساعة في منامي كأن حبشيا قد أتاني ومعه حربة فقال ان لم تخل عن موسى بن جعفر الساعة والا نحرتك بهذه الحربة فاذهب فخل عنه فقلت يا أمير المؤمنين أطلق موسى بن جعفر ثلاثا قال نعم امض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر وأعطه ثلاثين

أحببت المقام قبلنا فلك عندي ما تحب وان أحببت المضي الى المدينة فالاذن

صفو من العيش بلا * شائبة من كدر
ما بين أهل تعطف الانس جنى الثمر
وبين آمال تبيح القرب صافي الغدر
باشجرات الحي حياك الحيا من شجر
اذا أجال الشوق في * تلك المغاني فكري
خرجت من خدي حديث الدمع فوق الطرر
وقلت يا خدا رومن * دمعي صحاح الجوهري
عهدي بحادي الركب كالسور قاعند السحر
والعيس تجتاب الفلا * والبعملات تنبري
تخبط بالاخفاف مظلوم البرى وهو بري
قد عطفت عن ميد * والتفتت عن حور
قسي سير ما سوى العزم لها من وتر
حتى اذا الاعلام حلت لحق البشر
واستبشر النازح بالقرب ونيل الوطر
وعين الميقات للسفر بجاح السفر
فالناس بين محرم * بالحج أو معتمر
لبيك لبيك اله الخلق باري الصور
ولاحت الكعبة بيت الله ذات الاثر
مقام ابراهيم والسامن عند الذعر
واغتنم القوم طوا * ف القادم المبتدر
وأعقبوا ركعتي السعي استلام الحجر
وعرقوا في عرفا * ت كل عرف أذفر
ثم أفاض الناس سعيا في غد للشعر
فوقفوا وكبروا * قبل الصباح المسفر
وفي منى نالوا المنى * وأيقنوا بالظفر
وبعد رمي الجمرا * ت كان حلق الشعر
أكرم بذاك السفر والله وذاك السفر
يا فوزه من موقف * يا ربحه من متجر
حتى اذا كان الودا * ع وطواف الصدر
فأي صبر لم يخن * أو جلد لم يغدر
وأي وجد لم يصل * وسلوة لم تهجر
ما أفجع البين لقلب الواله المستعبر
ثم نثوا نحو رسو * ل الله سير الضمر

ألف درهم وقيل له ان في ذلك اليك قال فمضيت الى الحبس لاخرجه فلما رآني موسى وثب الي قائما وظن أني قد أمرت فيه بمكروه فقلت لا تخف قد أمرني أمير المؤمنين باطلاقك وان أدفع اليك ثلاثين ألف درهم وهو يقول لك ان أحببت المقام قبلنا فلك ما تحب وان أحببت الانصراف فالامر في ذلك مطلق اليك وأعطيته الثلاثين ألف درهم وخليت سبيله وقلت له لقد رأيت من أمرك عجبا قال فاني أخبرك بينما أنا نائم اذ أتاني النبي صلى الله عليه وسلم فقال موسى حبست مظلوما فقل هذه الكلمات فانك لا تبيت هذه الليلة في الحبس فقلت بأبي وأمي ما أقول فقال قل يا سامع كل صوت ويا سابق الفوت ويا كاسي العظام لحما ومنشرها بعد الموت أسألك بأسمائك الحسنى وباسمك الاعظم الاكبر المخزون المكنون الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين يا حليما ذا أناة لا يقوى على أناته يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبدا ولا يحصى عددا فرج عني فكان ما ترى (وذكر) حماد بن اسحق بن ابراهيم الموصلي قال قال ابراهيم بن المهدي حججت مع الرشيد فبينا نحن في

فعاينوا في طيبة * لألاء نور نير
زاروا رسول الله واستشفوا بلثم الجدر
نالوا به ما أملوا * وعرجوا في الاثر
على الضجيعين أبي * بكر الرضا وعمر
زيارة الهادي الشفيع جنة في المحشر
فأحسن الله عزا * ء قاصد لم يزر
ربع ترى مستنزل الآي به والسور
وملتقى جبريل بالهادي الزكي العنصر
وروضة الجنة بين روضة ومنبر
منتخب الله ومختار الورى من مضر
والمنتقى والكون من * ملابس الخلق عري
اذ لم يكن في أفق * من زحل ومشتري
ذو المعجزات الغر أمثال النجوم الزهر
يشهد بالصدق له * منها انشقاق القمر
والضب والظبي الى * نطق الحصى والشجر
من أطعم الالف بصا * ع في صحيح الخبر
والجيش رواه بما * ء الراحة المنهمر
يا نكتة الكون التي * فاتت منال الفكر
يا حجة الله على الرائح والمبتكر
يا أكرم الرسل على الله وخير البشر
يا من له التقدم السبق على التأخر
يا من لدى مولده المقدس المطهر
ايوان كسرى ارتج اذ * ضاءت قصور قيصر
وموقد النار طفي * كأنه لم يسعر
يا عمدتي يا ملجئي * يا مفزعي يا وزري
يا من له اللواء والحوض وورد الكوثر
يا منقذ الغرقى وهم * رهن العذاب الاكبر
ان لم تحقق أملي * بؤت بسعي الخسر
صلى عليك الله يا * ثمال كل معسر
صلى عليك الله يا * نور الدجى المعتكر
يا ويح نفسي كم أرى * في غفلة من عمري
واحسرتي من قلة الزاد وبعد السفر
يحجني والله بالبرهان وعظ المنبر

الطريق وقد انفردت أسير وحدي وأنا على دابتي اذ حملتني عيناي فسلكت بي الدابة غير الطريق فانتبهت وأنا على غير الجادة فاشتد بي الحر فعطشت عطشا شديدا فارتفع لي خباء فقصدته فاذا بقبة وبجنبها بئر ماء بقرب مزرعة وذلك بين مكة والمدينة ولم أر بها انسيا فاطلعت في القبة فاذا انا باسود نائم فاحس بي ففتح عينيه كأنهما اجانتا دم فاستوى جالسا واذا هو عظيم الصورة فقلت يا اسود اسقني من هذا الماء فقال يا اسود اسقني من هذا الماء محاكيا لي وقال ان كنت عطشانا فانزل واشرب وكان تحتي برذون خبيث نفور فخشيت ان انزل عنه فينفر فضربت راس البرذون وما نفعني الغناء قط الا في ذلك اليوم وذلك اني رفعت عقيرتي وانا اغني

كفنوني ان مت في درع اروى
واستقوا لي من بئر عروة ماء
فلها مربع بجنب اجاج
ومصيف بالقصر قصر قباء

فرفع الاسود راسه الي وقال ايما احب اليك أن اسقيك ماء وحده او ماء وسويقا قلت الماء والسويق فأخرج قعبا له فصب السويق في القدح فسقاني واقبل يضرب بيده على راسه وصدره ويقول واحر صدراه واثارات التلهب في فؤادي يا مولاي زدني وانا ازيدك وشربت

يا حسنها من خطب * لو حركت من نظري
يا حسنها من شجر * لو أورقت من ثمر
أؤمــل الاوبة والامر بكف القدر
أسوّف العزم به * من شهر لشهر
من صفر لرجب * من رجب لصفر
ضيعت في الكبرة ما * أعددته في صغري
وليس مام من الايام بالمنتظر
وقلما ان جدت * سلامة في غرر
ولي غريم لاينى * في طلب المنكسر
يا نفس جدي قد بدا الصبح ألا فاعتبري
واتعظي عن مضى وارتدعي وازدجري
ما بعد شيب الفود من * مرتقب فشمري
أنت وان طال المدى * في قلعة وسفر
وليس من عذر يقيم حجة المعتذر
ياليت شعري والمنى * تسرق طيب العمر
هل أرتجي من عودة * أو رجعة أو صدر
فأبرد الغلة من * ذاك الزلال الخصر
مقتديا عن مضى * من سلف ومعشر
نالوا جوار الله وهو الفخر للمفتخر
أرجو بابراهيم مو * لانا بلوغ الوطر
فوعده لا يمترى * في الصدق منه ممترى
وهو الامام المرتضى * والخير ابن الخير
أكرم من نال العلا * بالمرهفات البتر
عهد الملك وسيف الحق والليث الجرى
خليفة الله الذي * فاق بحسن السير
وكان منه الخبر في العلياء وفق الخبر
فصدق التصديق من * مرآه للتصور
ومستعين الله في * ورده وصدر
فاق الملوك الصيد بالسعد الرفيع الخطر
فأصبحت ألقابهم * منسية لم تذكر
وحاز منه أوحد * وصف العديد الاكثر
برأيه المأمون أو * عسكره المظفر
بسيفه السفاح أو * بعزمه المقتدر

السويق ثم قال لي يا مولاي ان بينك وبين الطريق أميالا ولست أشك انك تعطش لكن أملأ قربتي هذه وأحملها قدامك فقلت افعل قال فملأ قربته وسار قدامي وهو يحجل في مشيته غير خارج عن الايقاع فاذا امسكت لاستريح أقبل علي فقال يا مولاي عطشت فاغنيه النصب الى أن أوقفني على الجادة ثم قال لي سر رعاك الله ولا سلبك ما كساك من هذه النعم بكلام عجمي معناه هذا الدعاء فلحقت بالقافلة والرشيد قد فقدني وقد بث البخت والخيل في البر يطلبوني فسر بي حين رآني فأتيته فقصصت عليه الامر فقال علي بالاسود فما كان الا هنيهة حتى مثل بين يديه فقال له ويلك ما حر صدرك فقال يا مولاي ميمونة قال ومن ميمونة قال حبشية قال ومن حبشية قال بنت بلال يا مولاي فامر من يستفهمه فاذا الاسود عبد لبني جعفر الطيار واذا السوداء التي يهواها القوم من ولد الحسن ابن علي فأمر الرشيد بابتياعها له فأبى مواليها أن يقبلوا لها ثمنا ووهبوها للرشيد فاشترى الاسود وأعتقه وزوجه منها ووهب له من ماله بالمدينة حديقتين وثلثمائة دينار (ودخل) ابن السماك على الرشيد وبين يديه جماعة تلتقط

بالعلم

بالعلم المنصور رأو * بالذابل المنتصر
ياابن الامام الطاهر السبر الزكى السير
مدحك قد علم نظم الشعر من لم يشعر
جهد المقل اليوم من * مثلى كوسع المكثر
فان يقصر ظاهرى * فلم يقصر مضمرى انتهى

قلت قول لسان الدين فى حق هذه القصيدة انها من الشعر المنسوب الى محاسنه تعريض خفى بان هذه القصيدة يحتمل أن تكون قيلت على لسانه كما جرت بذلك عادة الا كابر والرؤساء أن ينسب اليهم ما ليس من كلامهم فى نفس الامر وليس الواقع عندى كذلك لان باع ابن مرزوق فى النظم والنثر مديد فأنى يقصر عن هذا القصيد ومن يصدر منه على البديهة قوله * انظر الى النوار فى أغصانه * الابيات السابقة فى اللوز لا يستغرب منه مثل هذا ولذا كتب ابن لسان الدين على قول والده من الشعر المنسوب الى محاسنه ما صورته حضرت انشاءها وانشادها ليلة الميلاد الشريف فى التاريخ المذكور واستحسنها شعراء العدوتين وهى مما لا ينكر على مدارك سيدى أبى عبد الله ورسوخه فى علم النظم والنثر قاله على بن الخطيب اه وكتب بعضهم على قوله فى هذه القصيدة

أيامه هى التى * أعدها من عمرى ما نصه * قلت والله انتهى وكتب ابن مرزوق بعده ما نصه لكنها بدلت بخير منها والحمد لله وحصلت الخاتمة ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما انتهى * وكتب ابن لسان الدين على قوله وقلما ان حمدت * سلامة فى غرر ما نصه كذلك كان وليت والدى رحمه الله تعالى كذلك انتهى * وكتب على قوله برأيه المامون الخ ما نصه لو كان له رأى مامون ما نزل على قلعة الملك لسكنى القصبة بدخيله طلب الراحة فضربت عنقه وكانت الراحة منه انتهى * وكتب بعض اثر هذا ما صورته القدر لا يغالب الحذر ينفع ما لم يات القدر فاذا أتى قدر لم ينفع حذر انتهى وكتب ابن لسان الدين على قوله فلم يقصر مضمرى ما صورته صدق والله انتهى * ثم قال لسان الدين ووردت باب السلطان الكبير أبى عنان فبلوت من مشاركته وحينسعه ما يليق بمثله ولما نكبه لم أقصر عن ممكن حيلة فى أمره فلما هلك السلطان أبو عنان وصار الامر لاخيه المتلاحق من الاندلس أبى سالم بعد الولد المسمى بالسعيد كان ممن دمث له الطاعة وأناخ راحلة الملك وحلب ضرع الدولة وخطب عروس الموهبة فانشب ظفره فى مناب معقود من لدن الاب مشدود من لدن التقرب فاستحكم عن قرب واستغلظ عن كثب فاستولى على أمره وخلطه بنفسه ولم يستاثر عنه بنيه ولا انفرد بما سوى بضع أهله بحيث لا يقطع فى شئ الا عن رأيه ولا يعدو ويثبت الا واقفا عند حده فغشيت بابه الوفود وصرفت اليه الوجوه ووقفت عليه الآمال وخدمته الاشراف وجلبت الى سدته بضائع العقول والاموال وهادته الملوك فلا تحدو الحداة الا اليه ولا تحط الرحال الا لديه ان حضر أجرى الرسم وأنفذ الامر والنهى لحظا أو سرارا أو مكاتبة وان غاب ترددت الرقاع واختلفت الرسل ثم انفرد أخيرا ببيت الخلوة ومتبذ المناجاة من دونه مصطف الوزراء وغايات الحجاب فاذا انصرف تبعته الدنيا وسارت

هـ تفت هاتفة اذ
نها الف بين
ذات طوق مثل عطف النـ
ـون أقنى الطرفين
وتراها ناظرة تحـ
ـسبك من ياقوتتين
ترجع الانفاس من نفـ
ـسين كالؤلؤتين
وترى مثل السابـ
ـن لها قادمتين
ولها لحيان كالصـ
ـدغين من عرعرتين
ولها ساقان حمرا
وان مثل الوردتين
نسجت فوق جناحيـ
ـها لها برنوستين
وهى طاووسية اللو
ن ذات المنكبين
تحت ظل من ضا... الـ
ـأيك صافى الكتفين
فقدت الفا فناحت
من تباريح وبين
فهى تبكيه بلادمـ
ـع جود المقلتين
وهى لا تصبح عينا
ها كما تصبح عينى
(ودخل) معن بن زائدة على الرشيد وقد كان وجد عليه فمشى فقارب الخطو فقال له هرون كبرت والله يامعن قال فى طاعتك يا أمير المؤمنين قال وان فيك على ذلك لبقية قال هى لك يا أمير المؤمنين قال وانك لجلد قال على

أعدائك يا أمير المؤمنين فرضى عنه وولاه قال وعرض كلامه هذا على عبد الرحمن بن زيد زاهد

بين يديه الوزراء ووقفت ببابه الامراء قد وسع الكل بحظه وشملهم بحسب الرتب
والاحوال رعيه ووسم افذاذهم تسويده وعقدت بنان عليهم بنانه لكن رضا الناس
الغاية التي لا تدرك والحسد بين بني آدم قديم وقبيل الملك مابين لمثله فطويت الجوانح
على سل وحنيت الضلوع على بث وأغضت الجفون على قذى الى أن كان من نكبته
الثالثة ماهو معروف جعلها الله له طهورا ولما جرت الحادثة على الدولة بالاندلس وكان
لحاق جميعنا بالمغرب جنيت ثمرة ما أسلفته من وده فوفى الكيل واشرك في الجاه وأدر
الرزق ورفع المجلس بعد التسبب في الخلاص والسعي في الجبر جبره الله تعالى وكان له
أحوج مايكون الى ذلك يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم انتهى * وكتب
ابن لسان الدين على هذا المحل ما صورته هذا لسان أبي عليه في الغيبة والحضور انتهى
(ومما خاطبه به لسان الدين) مهنئا من طريق القدوم على الابواب المرينية فلتا من البلية
بشفاعته ما نصه سيدي الذي اليه انقطاعي وانحياشي وملئ الذي يسر خلاصي وسني
انتياشي ومنعمي الذي جبر جناحي وأنبت رياشي ومولى هذا الصنف العلمي ولا أحاشي
كتبه صنيع نعمتكم الخالصة الحرة ومسترق فضلكم الذي تألقت منه في ليل الخطوب
الغرة ابن الخطيب لطف الله به من كذا وقد شد الى ابلاع النفس عذرها في مباشرة
تقبيل اليد التي لها اليد العظمى والصنيعة الرحمى فلكم طوقت من نعمى وجبال النعم
قد أثقلت الظهر واستغرقت السر والجهر فبأي لسان أو باي بنان ولا أثر بعد عيان
تقابل نعم تداركت الرمق ونفست الشفق وأبقت الدماء والشرف في استئصالها الايخفى
فيالك من فرد هزم ألفا وواحد نصر لم يعرف حلفا ونفحة خاصت تبتغي الى الله زلفى
لتصدع بها مولاي غريبة في الزمن بالعا حسن صنيعها اصطناع اليمن مترفعة عن
الثمن وان لم يسم بها مثله فمن فليهن سيدي ماذاع لمجده بها من فخر وما قدم يوم تزل
الاقدام من ذخر وما جلب للمقام المولوي الابراهيمي من طيب ذكر واستفاضة حمد
وشكر لتدارتهن دعاء الحافي والناعل والدال على الخير شريك الفاعل والذي أحيا
النفس جدير بحمدها والجاز عدتها وانا قد قويت بجاهكم وان كنت ضعيفا
واستشعرت سعدا جديدا وقدرا منيفا وأيقنت أن الله عز وجل كان بي لطيفا اذ هيأ لي
من وجهة ذلك المقام المولوي على يدكم نصرا عزيزا وبوأني من جاهه حرزا حريزا وقد
استأسدت الاعداء وأعضل الداء واعمل الاعتداء وعز الفداء فانفرج الضيق
وتيسرت للغير الطريق وساغ الريق ونجا الغريق غريبة لاتغفل الا في الحلم ولطيفة
فيها اعتبار لاولي العلم اللهم جاز سيدي في نفسه وولده وماله وبلده ومعاده بعد طول
عمره وانفساح أمده وكن له نصيرا أحوج ما يكون الى نصر واجعل له سعة من كل حصر
واقصر عليه جاه كل قصر كما جعلت ذاته فوق كل ذات وعصره فوق كل عصر وليعلم سيدي
أن من أراد بي منافسة وحسدا وزأر على اسدا لما استقل على الكرسي جسدا من غير
ذنب تبين ولا حد تعين أصابه من خلاصي المقيم المقعد ووعد النفس بأمل أخلف منه
الموعد لما استنقذني الله برحمته من بين ظفره ونابه وغطاني بستر جناحه وكنفني

أهل البصرة فقال ويح هذا ما ترك لربه شيئا وقال الرشيد يوما لمعن بن زائدة انى قد أعددتك لأمر كبير فقال يا أمير
المؤمنين ان الله قد أعد لك مني قلبا معقودا بنصيحتك ويدا مبسوطة بطاعتك وسيفا مشحوذا على عدوك فان شئت فقل وقيل ان هذا الجواب من كلام يزيد بن مزيد (وقال الكسائي) دخلت على الرشيد فلما قضيت حق التسليم والدعاء ونهضت للقيام قال اقعد فلم أزل عنده حتى خف عامة من كان في مجلسه ولم يبق الا خاصته فقال لي يا علي الا تحب أن ترى محمدا وعبد الله قلت ما أشوقني اليهما يا أمير المؤمنين وأسرني بمعاينة نعمة الله على أمير المؤمنين فيهما فأمر باحضارهما فلم ألبث أن أقبلا ككوكبي أفق يزينهما هدوء ووقار وقد غضا أبصارهما وقاربا خطوهما حتى وقفا على باب المجلس فسلما على أبيهما بالخلافة ودعواله بأحسن الدعاء فأمرهما بالدنو منه فصير محمدا عن يمينه وعبد الله عن يساره ثم أمرني ان استقرئهما وأسألهما ففعلت فما سألتهما عن شيء الا احسنا الجواب فيه والخروج منه فسر بذلك الرشيد حتى تبينته فيه ثم قال لي يا علي كيف
ترى مذهبهما وجوابهما فقلت يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر

في

في العيون على قتله وأعزني بعز نصره على حال ذله لم يدع حيلة الانصبها أمامي ليحبط ذلك المقام الكريم ذمامي ويكدر جامي ويستدرك حمامي وزعم أن بيده على البعد زمامي ويأبى ذلك رأي يفرق بين الحق وضده وعدل لا يخرج الشيء عن حده فبهت سيدي خوفا أن تنجح حيله أو تفسد وسيله وأنا قادم بالاهل والولد ليعمل في رب الصنيعة على شاكلة المجد الذي هو له أهل فما بابتدائه جهل ولا يختلف في عظم ما أسداه غرو ولا كهل ولا ينبه مثله على تتميم واجزال فضل عميم ومؤانسة غريب وصلة نصر عزيز وفتح قريب بحول الله تعالى * (وقال) لسان الدين بعد ما سبق نقله عنه في حق ابن مرزوق ولما انقضى أمر سلطانه رحمه الله تعالى متجنى عليه بسببه محمولا عليه من أجله تقبض عليه وأجمع الملأ على قتله وشد اعتقاله وطلب بالمال العريض وانتهبت أمواله واعتقلت رباعه وجنبت مراكبه واصطفيت أمهات أولاده وتمادى به الاعتقال والشده الى أن عادته عوائد الله في الخلاص من الشده والانتياش عن الورطه ظاهرة عليه بركة سلفه فاءته له جهة الكرامة في أمره (حكى) أمير المسلمين سلطاننا أعزه الله قال عرض لي والدي رحمه الله تعالى في النوم فقال يا ولدي اشفع في الفقيه ابن مرزوق فقبلت يده واقتضيت حظه وحكيت داعيته وعينت للوجهة في ذلك قاضي الحضرة فكان ذلك ابتداء الفرج (وحدثني) الثقة من خدام السلطان أبي عنان عنه مخبرا عن نفسه لما نفس عنه من نكبته وأجاره من سخطته قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرني بذلك وكني بها جاها وحرمة قلت فترك سبيله وأتيح له ركوب البحر الى البلاد المشرقية باهله وولده فسار في كنف الستر وتحت جناح الوقاية في وسط رجب من عام أربعة وستين وسبعمائة من ساحل باديس صحب الله وجهته وختم عصمته انتهى ما خصته من كلام لسان الدين بلفظه (ورأيت) على هامش هذا المحل من الاحاطة بخط المذكور ما صورته أقول وأنا ابن مرزوق المسمى فيه اني قد وصلت الى تونس المحروسة في شهر رمضان من سنة خمس وستين ولقيت بها من المبرة والكرامة والوجاهة فوق ما يعهده أمثالي ووليت خطابة جامع ملكها وتدريس أم المدارس فيها وهي المعروفة بمدرسة الشماعين كل ذلك تحت رعاية وعناية وملازمة لمجلس ملكها الى أن توفي سنة احدى وسبعين ثم مع ولده وابن أخيه الى أن رحلت في البحر في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وسبعين فحللت في الديار المصرية ولقيت من ملكها الذي لم أر في الملوك مثله حلما وفضلا وحياء وجودا وتلطفا ورجا السلطان المالك الملك الاشرف ناصر الدين والدنيا شعبان ابن حسين فاحسن لي وأجرى علي وعلى أولادي ما قام به الحال وقلدني دروسا ومدارس وأهلني للتول بين يديه والحال مستمر على ذلك حتى الآن وذلك من فضل الله ومعهود احسانه والمرجو من الله حسن العاقبة وكتب في رمضان سنة خمس وسبعين انتهى * وكتب بعده أبو الحسن علي بن لسان الدين رحمهما الله تعالى ما صورته صدق وهو فوق ذلك كله فقدره معروف ولطالما كان ملك المغرب يفتخر به فصار يفتخر بتقليد الدروس والدهر لا يبقى على حالة * انتهى (قال في الاحاطة) ولما شرح كتاب الشفاء للقاضي عياض رحمه الله تعالى واستبحر فيه وأكثر النقل وبذل الجهد طالب أهل العدوتين نظم مقطوعات تتضمن

زكا أصله وطاب مغرسه وتمكنت في الثرى عروقه وعذبت مشاربه أبو هما أغر نافذ الامر واسع العلم عظيم الحلم يحكمان بحكمه ويستضيئان بنوره وينطقان بلسانه ويتقلبان في سعادته فامتع الله أمير المؤمنين بهما وآنس جميع الامة ببقائه وبقائهما فما رأيت أحدا من أولاد الخلفاء وأغصان هذه الشجرة المباركة أذرب ألسنا ولا أحسن ألفاظا ولا أشد اقتدارا على تأدية ما حفظا منهما ودعوت لهما دعاء كثيرا وأمن الرشيد على دعائي ثم ضمهما اليه وجمع يده عليهما فلم يبسطها حتى رأيت الدموع تنحدر على صدره ثم أمرهما بالخروج فلما خرجا أقبل علي فقال كأنك بهما وقد حم القضاء ونزلت مقادير السماء وبلغ الكتاب أجله قد تشتت كلمتهما واختلف أمرهما وظهر تعاديهما ثم لم يبرح ذلك بهما حتى يسفك الدماء وتقتل القتلى وتهتك ستور النساء ويتمنى كثير من الاحياء أنهم في عداد الموتى قلت أيكون ذلك يا أمير المؤمنين لامر رؤي في أصل مولدهما أو لاثر وقع لامير المؤمنين في مولدهما فقال لا والله الا باثر واجب حملته العلماء عن الاوصياء عن الانبياء

وقال الاحمر النحوي بعث

الى الرشيد لتاديب ولده محمد الامين فلما دخلت قال يا أحمر ان امير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه فقال يا أمير وثمرة قلبه فصير يدك عليه مبسوطة وطاعتك عليه واجبة فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين أقرئه القرآن وعرفه الآثار وروّه الاشعار وعلمه السنن وبصره مواقع الكلام وبدئه وامنعه الضحك الا فى أوقاته وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم اذا دخلوا اليه ورفع مجالس القوّاد اذا حضروا مجلسه ولا تمرن بك ساعة الا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيده اياها من غير أن تخرق به فتميت ذهنه ولا تمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة فان أباهما فعليك بالشدة والغلظة (ويقال) ان العمانى الشاعر قام بحضرة الرشيد فلم يزل يحرض محمدا ويحضه على تجديد العهد له فلما فرغ من كلامه قال له أبشر يا عمانى بولاية العهد له فقال اى والله يا امير المؤمنين سرور العشب بالغيث والمرأة النزور بالولد والمريض المدنف بالبرء لانه نسيج وحده وحامى مجده وشبيه جده قال فما تقول فى عبدالله قال مرعى ولا كالسعدان فتبسم الرشيد وقال قاتله الله ما أعرفه بمواضع الرغبة أما والله انى لأتعرف فى عبدالله حزم المنصور ونسك المهدى

الثناء على الكتاب المذكور واطراء مؤلفه فانثال عليه من ذلك الطم والرم بما تعدى الرتب الاوراق واختلفت فى الاجادة وغيرها الارزاق ايثار الغرضه ومبادرة من كل الناس لاسعاف أربه وطلب منى أن ألم فى ذلك بشئ فكتبت له فى ذلك

شفاء عياض للصدور شفاء * فليس بفضل قد حواه خفاء
هدية بر لم يكن لمديلها * سوى الأجر والذكر الجميل كفاء
وفى لنبى الله حق وفائه * وأكرم أوصاف الكرام وفاء
وجاء به بحرا يقول بفضله * على البحر طعم طيب وصفاء
وحق رسول الله بعد وفاته * رعاه واغفال الحقوق جفاء
هو الذخر يغنى فى الحياة عتاده * ويترك منه للبنين رفاء
هو الاثر المحمود ليس يناله * دثور ولا يخشى عليه عفاء
حرصت على الاطناب فى نشر فضله * وتمجيده لو ساعدتنى فاء

بجوائح كتبته وكان وأدر كان له كتب انتهى ن البلية سنى

واستزاد من هذا الغرض الذى لم يقنع فيه بالقليل فبعثت اليه من محل انتقالى من مدينة سلا حرسها الله تعالى

أأزاهير رياض * أم شفاء لعياض
جدل الباطل للحق باسياف مواض
وجلا الانواء برهانا بحق وافتراض
وشفى من يشتكى الغلة فى زرق الحياض
أى بنيان مقال * آمن خوف انقضاض
أى عهد ليس يرمى * بانتكاث وانتقاض
ومعان فى سطور * كأسود فى غياض
وشفاء لصدور * من ضنى الجهل مراض
حرر القصد فما شين بنقد واعتراض
يا أبا الفضل أدر أن الله عن سعيك راض
فاز عبد أقرض الله برجحان القراض
وجبت غر المزايا * من طوال أو عراض
لك يا أصدق راو * لك يا أعدل قاضى
لرسول الله وفيت بجهد وانتهاض
خير خلق الله فى حا * ل وفى آت وماضى
سدد الله ابن مرزو * ق الى تلك المراضى
زبدة العرفان معنى * كل نسك وارتياض
فتولى بسط ما أجملت من غير انقباض
ساهر الجد فى استخلاصه طعم اغتماض
ان يكن دينا على الايام قد حان التقاضى

دام فى علو ومن عا * داه يهوى فى انخفاض
ماوشى الصبح الدياجى * بسواد فى بياض

ثمت له أيضا فى الغرض المذكور والاكثار من هذا النمط فى هذا الموضع ليس على سبيل التبجح باجادته وغرابته ولكن على سبيل الاشارة بالشرح المشار اليه فهو بالغ الاستبحار

حييت يامختط سبت ابن نوح * بكل مزن يغتدى أو يروح
وحمل الريحان ريح الصبا * أمانة فيك الى كل روح
دار أبى الفضل عياض الذى * أضحت برياه رياضا تفوح
ياناقل الآثار يعنى بها * وواصلا فى العلم جرى الجموح
طرفك فى الفضل بعيد المدى * طرفك للمجد شديد الطموح
كفاك اعجازا كتاب الشفا * والصبح لاينكر عند الوضوح
لله ما أحرزت فينا به * من منحة تقصر عنها المنوح
روض من العلم همى فوقه * من صيب الفكر الغمام السفوح
فمن بيان الحق زهر بدا * ومن لسان الصدق طير صدوح
تأرج العرف وطاب الجنى * وكيف لايثمر أولا يفوح
وحلة من طيب خير الورى * فى الجيب والاعطاف منها نضوح
ومعلم للدين شيدته * فهذه الاعلام منها تلوح
فقل لهامان كذا أوفلا * يامن أضل الرشد تبنى الصروح
فى أحسن التقويم أنشأته * خلقا جديدا بين جسم وروح
فعمره المكتوب لاينقضى * اذا تقضى عمر سام ونوح
كانه فى الحفل ريح الصبا * وكل عطف فهو غصن مروح
ماعذر مشغوف بخير الورى * ان هاج منه الذكر أن لايبوح
عجبت من أكباد أهل الهوى * وقد سطا البعد وطال النزوح
ان ذكر المحبوب سالت دما * ماهن أكباد ولكن جروح
ياسيد الاوضاع يامن له * بسيد الارسال فضل الرجوح
يامن له الفضل على غيره * والشمس تخفى عند اشراق يوح
ياخير مشروح وفى وا كتفى * من ابن مرزوق بخير الشروح
فتح من الله حباه به * ومن جناب الله تأتى الفتوح

ثم قال وعلى الجملة والتفصيل فهذا الرجل نسيج وحده شهرة وجلالة وخصالا وأبوة صالحة تولاه الله و كان له وانصرف بجملته الى بلاد المشرق عام أربعة وستين وسبعمائة تولاه الله تعالى وأسعد منقلبه ومولده بتلمسان عام احدعشر وسبعمائة انتهى كلام لسان الدين ولنزد فى هذه الترجمة على ماذكره فنقول (قال) ابن خلدون صاحبنا الخطيب أبو عبد الله ابن مرزوق من أهل تلمسان كان سلفه نزلاء الشيخ أبى مدين بالعباد ومتوارثين تربته من

(قال الاصمعى) بينما انا أسامر الرشيد ذات ليلة اذ رأيته قد قلق قلقا شديدا فكان يقعد مرة ويضطجع مرة ويبكى ثم أنشأ يقول قلدأمور عباد الله ذا ثقة موحد الراى لانكس ولا برم واترك مقالة أقوام ذوى خطل لايفهمون اذا ما معشر فهموا فلما سمعت منه ذلك علمت انه يريد امرا عظيما ثم قال لمروان الخادم على بيحيى فمالبث ان اتاه فقال ياابا الفضل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فى غير وصية والاسلام جذع والايمان جديد وكلمة العرب مجتمعة قد آمنها الله تعالى بعد الخوف واعزها بعد الذل فمالبث أن ارتد عامة العرب على ابى بكر وكان من خبره ماقد علمت وان ابابكر صير الامر الى عمر فسلمت الامة له ورضيت بخلافته ثم صيرها عمر شورى فكان بعده ماقد بلغك من الفتن حتى صارت الى غير اهلها وقد عنيت بتصحيح هذا العهد وتصييره الى من ارضى سيرته وأحمد طريقته واثق بحسن سياسته وآمن ضعفه ووهنه وهو عبد الله وبنوهاشم مائلون الى محمد باهوائهم وفيه مافيه من الانقياد لهواه والتصرف مع طويته والتبذير لماحوته يده ومشاركة النساء والاماء

لدن جده هم خادمه فى حياته وكان جده الخامس أو السادس أبو بكر بن مرزوق معروفا بالولاية فيهم ونشأ محمد هذا بتلمسان ومولده فيما أخبرنى عام عشرة وسبعمائة انتهى وهو مخالف لما ذكره لسان الدين فيما مر عنه ثم قال ابن خلدون وارتحل مع والده الى المشرق سنة ثلاث عشرة وسمع ببجاية على الشيخ ناصر الدين ولما جاور أبوه بالحرمين رجع الى القاهرة فاقام وبرع فى الطلب والرواية وكان يجيد الخطين ورجع سنة ثلاث وثلاثين الى المغرب ولقى السلطان أبا الحسن محاصر التلمسان وقد شيد بالعباد مسجدا عظيما وكان عمه محمد بن مرزوق خطيبا به على عادتهم فى العباد وتوفى فولاه السلطان خطابة ذلك المسجد مكان عمه وسمعه يخطب على المنبر ويشيد بذكره ويثنى عليه فلى بعينه فقربه وهو مع ذلك يلازم ابنى الامام ويأخذ نفسه بلقاء الافاضل والاكابر والاخذ عنهم وحضر مع السلطان وقعة طريف ثم استعمله فى الرسالة الى الاندلس ثم الى ملك قشتالة فى تقرير الصلح واستنقاذ ولده الماسور يوم طريف ورجع بعد وقعة القيروان مع زعماء النصارى فرجع الى المغرب ووفد على السلطان أبى عنان بفاس مع أمه حظية أبى الحسن ثم رجع الى تلمسان وأقام بالعباد وعلى تلمسان يومئذ أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن وأخوه أبو ثابت والسلطان أبو الحسن بالجزائر وقد حشد هنالك فارسل أبو سعيد ابن مرزوق المذكور اليه سرا فى الصلح فلما اطلع أخوه أبو ثابت على الخبر أسكره على أخيه فبعثوا من حبس ابن مرزوق ثم أجازوه البحر الى الاندلس فنزل على أبى الحجاج سلطانها بغرناطة فقربه واستعمله على الخطبة بجامع الحمراء فلم يزل خطيبه الى أن استدعاه أبو عنان سنة أربع وخمسين بعد مهلك أبيه واستيلائه على تلمسان وأعمالها فقدم عليه ورعى له وسائله ونظمه فى أكابر أهل مجلسه ثم بعثه الى تونس عام ملكها سنة ثمان وخمسين ليخطب له ابنة السلطان أبى يحيى فردت الخطبة واختفت بتونس ووشى الى السلطان أبى عنان انه كان مطلعا على مكانها فسخطه لذلك وأمر بسجنه فسجن مدة ثم أطلقه قبل موته * ولما استولى أبو سالم على السلطنة آثره وجعل زمام الامور بيده فوطئ الناس عتبته وغشى أشراف الدولة بابه وصرفوا اليه الوجوه فلما وثب عمر بن عبد الله بالسلطان آخر عام اثنين وستين حبس ابن مرزوق ثم أطلقه بعد أن رام كثير من أهل الدولة قتله فنعه منهم ثم لحق بتونس سنة أربع وستين ونزل على السلطان أبى اسحق وصاحب دولته أبى محمد بن تافراكين فاكرموه وولوه الخطابة بجامع الموحدين وأقام بها الى أن هلك السلطان أبو يحيى سنة سبعين وولى ابنه خالد ثم لما قتل السلطان أبو العباس خالدا واستولى على السلطنة وكان بينه وبين ابن مرزوق شئ لميله مع ابن عمه محمد صاحب بجاية عزله عن الخطبة فوجم لها فاجمع الرحلة الى المشرق وسرحه السلطان فركب السفينة ونزل بالاسكندرية ثم ارتحل الى القاهرة ولقى اهل العلم وأمراء الدولة ونفقت بضائعه عندهم وأوصلوه الى السلطان الاشرف فولاه الوظائف العلمية فلم يزل بها موفر الرتبة معروف الفضيلة مرشحا لقضاء المالكية ملازما للتدريس الى أن هلك سنة احدى وثمانين انتهى ملخصا * (وقال الحافظ بن حجر) انه لما وصل تونس أكرم اكراما عظيما وفوضت اليه الخطابة بجامع السلطان وتدريس أكبر المدارس ثم قدم القاهرة فأكرمه الاشرف شعبان

بنى هاشم وان افردت محمدا بالامر لم آمن تخليطه على الرعية فاشر على فى هذا الامر برايك مشورة يعم فضلها ونفعها فانك بحمد الله مبارك الرأى لطيف النظر فقال يا أمير المؤمنين ان كل زلة مستقالة وكل رأى يتلافى خلا هذا العهد فان الخطأ فيه غير مأمون والزلة فيه لا تستدرك والنظر فيه مجلس غير هذا فعلم الرشيد أنه يريد الخلوة فامرنى بالتنحى فقمت وقعدت ناحية بحيث أسمع كلامهما فما زالا فى مناجاة ومناظرة طويلة حتى مضى الليل وافترقا على أن عقد الامر لعبد الله بعد محمد (ودخلت) أم جعفر على الرشيد فقالت ما انصفت ابنك محمدا حيث وليته العراق وأعريته من العدد والقواد وصيرت ذلك الى عبد الله دونه فقال لها وما أنت وتمييز الاعمال وأخبار الرجال انى وليت ابنك السلم وعبد الله الحرب وصاحب الحرب أحوج الى الرجال من المسالم ومع هذا فانا نتخوف ابنك على عبد الله ولا نتخوف عبد الله على ابنك ان بويع وفى سنة ست وثمانين ومائة حج الرشيد حاجا ومعه ولياعهده الامين والمامون وكتب الشرطين بينهما

ودرس

ودرس بالشيخونية والصرغتمشية والنجمية وكان حسن الشكل جليل القدر مات فى ربيع
الاول سنة احدى وثمانين انتهى * وقال ابن الخطيب القسمطيني هو شيخنا الفقيه الجليل
الخطيب توفى بالقاهرة ودفن بها بين ابن القاسم وأشهب وله طريق واضح فى الحديث ولقى
أعلاما وسمعنا منه البخارى وغيره فى مجالس ولمجلسه لباقة وجمال وله شرح جليل على العمدة
فى الحديث انتهى (وكتب) بخطه بلدينا أبو عبد الله بن العباس التلمسانى مانصه نقلت
من خط بعض السادات كتبه للامام زعيم العلماء الحفيد ابن مرزوق انه وجد بخط جده
الخطيب ابن مرزوق لما ثقفه عمر بن عبد الله على يد الشيخ أبى يعقوب كتب مانصه الحمد لله
على كل حال خرج الطبرى فى منسكه وأبو حفص الملاى فى سيرته عن عبد الله بن عمر بن الخطاب
وعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهم قالا وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على
الثنية التى باعلى مكة وليس بها يومئذ مقبور فقال يبعث الله من ههنا سبعين ألفا يدخلون
الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم فى سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب
وجوههم كالقمر ليلة البدر فقال أبو بكر من هم يارسول الله قال هم الغرباء من أمتى الذين
يدفنون ههنا فى هذا الموضع دفن والدى رحمه الله تعالى وبعد سماعه لهذا الحديث بسبعة
أيام دفن فيه افتراه لا يشفع فيمن أقال عثرة ولده إنما يشترى هذا باموال الارض افلا يرعى
لى ثمانية وأربعين منبرا فى الاسلام شرقا وغربا وأندلسا أفلا يرعى لى انه ليس اليوم يوجد
من يسند أحاديث الصحاح سماعا من باب اسكندرية الى البر والى الاندلس غيرى ونحو من
مائتين وخمسين شيخا والله تعالى اعلم لكن حرمنى الله تعالى لذة الاشتغال به وآثرت اتباع
الهوى والدنيا فهويت اللهم غفرانك أفلا يرعى لى مجاورة نحو اثنى عشر عاما وختم القرآن
فى داخل الكعبة والاحياء فى محراب النبى صلى الله عليه وسلم والاقراء بمكة ولا أعلم من له هذه
الوسيلة غيرى افلا يرعى لى الصلاة بمكة سنين وغربتى بينكم ومحنتى فى بلدى على محبتكم
وخدمتكم من ذا الذى خدمكم من الناس يخرج على هذا الوجه أستغفر الله أستغفر الله أستغفر
الله من ذنوبى وذنوبى أعظم وربى أعلم رب ارحم والسلام انتهى ففى هذا دليل على عظم قدره
ومكانته فى الدين والدنيا قلت ولقد رأيت مصحفه بتلمسان عند أحفاده وعليه خطه الرائق
الذى اعرفه وهو يقول قرأت فى هذا المصحف بحذاء الكعبة المشرفة اثنى عشر الف ختمة
انتهى ومع هذا فقد نسى فى المصحف المذكور لفظة الليل من قوله تعالى يقلب الليل
البصر حتى كتبه بخطه فوق السطر حفيده العلامة سيدى ابو عبد الله محمد بن مرزوق رحمة الله
على الجميع وقال الخطيب المذكور رحمه الله تعالى فى بعض تعاليقه ماصورته ومن اشياخ
والدى سيدى محمد المرشدى لقيه فى ارتحالنا الى الشرق وحين جاءنا اليه وانا ابن تسع عشرة
سنة نزلنا عنده ووافقنا صلاة الجمعة ومن عادته ان لا يتخذ للمسجد اماما وحضر يومئذ من اعلام
الفقهاء من لا يمكن اجتماع مثلهم فى غير ذلك المشهد قال فقرب وقت الصلاة فتشوف من
حضر من الفقهاء والخطباء الى التقديم فاذا الشيخ قد خرج فنظر يمينا وشمالا وانا خلف والدى
فوقع بصره على فقال لى يا محمد تعال قال فقمت معه حتى دخلت معه فى موضع خلوة فباحثنى
فى الفروض والشروط والسنن قال فتوضأت واخلصت النية فاعجبه وضوئى ودخل معى

وعلقهما فى الكعبة (وحكى) عن ابراهيم الحجبى ان الكتاب لما رفع ليعلق بالكعبة توقع فقلت فى نفسى وقع قبل أن يرتفع ان هذا الامر سريع انتقاضه قبل تمامه (وحكى) عن سعيد بن عامر البصرى قال حججت فى هذه السنة وقد استعظم الناس أمر الشرط والايمان فى الكعبة فرأيت رجلا من هذيل يقود بعيره وهو يقول

وبيعة قد نكثت أيمانها
وفتنة قد سعرت نيرانها

فقلت له ويحك ماتقول قال أقول ان السيوف ستسل والفتنة ستقع والتنازع فى الملك سيظهر قلت وكيف ترى ذلك قال أماترى البعير واقفا والرجلان يتنازعان والغرابان قد وقعا على الدم والتطخا به والله لا يكون آخر هذا الامر الا محاربة وشر (ويروى) ان الامين لما حلف للرشيد بما حلف له به وأراد الخروج من الكعبة رده جعفر بن يحيى وقال له فان غدرت باخيك خذلك الله حتى فعل ذلك ثلاثا كلها يحلف له وبهذا السبب اضطغنت أم جعفر على جعفر بن يحيى فكانت أحد من حرض الرشيد على امره وبعثته على ما نزل به (قال المسعودى) وفى سنة سبع وثمانين ومائة بايع الرشيد لابنه القاسم بولاية العهد بعد المأمون فاذا افضت الخلافة الى المأمون كان

المسجد وقادنى الى المنبر وقال لى يا محمد ارق المنبر فقلت له يا سيدى والله لا أدرى ما أقول فقال لى ارق وناولنى السيف الذى يتوكأ عليه الخطيب عندهم وأنا جالس مفكر فيما أقول اذا فرغ المؤذنون فلما فرغوا نادانى بصوته وقال لى يا محمد قم وقل بسم الله قال فقمت وانطلق لسانى بما لا أدرى ما هو الا انى كنت أنظر الى الناس ينظرون الى ويخشعون من موعظتى فا كملت الخطبة فلما نزلت قال لى أحسنت يا محمد قرارك عندنا أن نوليك الخطابة وأن لا تخطب بخطبة غيرك ماوليت وحييت ثم سافرنا فحججنا وأرادوالدى الجوار وأمرنى بالرجوع لاونس عمى وقرابتى بتلمسان وأمرنى بالوقوف على سيدى المرشدى هنالك فوقفت عليه وسألنى عن والدى فقلت له يقبل أيديكم ويسلم عليكم فقال لى تقدم يا محمد واستند الى هذه النخلة فان شعيبا يعنى أبا مدين عبد الله عندها ثلاث سنين ثم دخل خلوته زمانا ثم خرج فامرنى بالجلوس بين يديه ثم قال لى يا محمد أبوك من أحبابنا واخواننا الاأنك يا محمد الاأنك يا محمد فكانت هذه اشارة الى ما امتحنت به من مخالطتى أهل الدنيا والتخليط ثم قال لى يا محمد أنت مشوش من جهة أبيك تتوهم أنه مريض ومن بلدك أما أبوك فبخير وعافية وهو الآن عن يمين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن يمينه خليل المالكى وعن يساره أحمد قاضى مكة وأما بلدك فسمى الله نخط دائرة فى الارض ثم قام فقبض احدى يديه على الاخرى وجعلهما خلف ظهره وجعل يطوف بتلك الدائرة ويقول تلمسان تلمسان حتى طاف بتلك الدائرة مرات ثم قال لى يا محمد قد قضى الله الحاجة فيها فقلت له كيف يا سيدى فقال ستر الله ان شاء الله على من فيها من الذرارى والحريم وملكها هذا الذى حصرها يعنى السلطان أبا الحسن وهو خير لهم ثم جلس وجلست بين يديه فقال لى يا خطيب فقلت يا سيدى عبدك ومملوكك فقال لى كن خطيبا أنت الخطيب واخبرنى بامور وقال لى لابد أن تخطب بالجامع الغربى وهو الجامع الاعظم بالاسكندرية ثم أعطانى شيأ من كعيكات صغار وزودنى بها وأمرنى بالرحيل وأما خبر تلمسان فدخلها المرينى كاذكر وستر الله من فيها من الذرارى والحريم وكان هذا المرشدى يتصرف فى الولاية كتصرف سيدى أبى العباس السبتى نفعنا الله بهما * وللخطيب ابن مرزوق المذكور تآليف منها شرحه الجليل على العمدة فى خمسة أسفار جمع فيه بين ابن دقيق العيد والفاكهانى مع زوائد وشرحه النفيس على الشفاء ولم يكمل وشرحه على الاحكام الصغرى لعبد الحق وشرحه على ابن الحاجب الفرعى سماه ازالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب وله غيرها وديوان خطب بالغرب مشهور كقصيدته التى قالها فى نكبته بتلمسان وأولها

رفعت أمورى لبارى النسم * وموجدنا بعد سبق العدم

ومن نظمه عند وداعه أهل تونس

أودعكم وأثنى ثم أثنى * على ملك تطاول بالجميل
وأسأل رغبة منكم لربى * بتيسير المقاصد والسبيل
سلام الله يشملنا جميعا * فقد عزم الغريب على الرحيل

ومن نظم أبى المكارم بن آجروم يسلى المذكور عند ماسجن بعد قتل السلطان أبى سالم

وماثة توفى الفضيل بن عياض ويكنى اباعلى وكان مولده بخراسان وقدم الكوفة وسمع من المنصور بن المعتمر وغيره ثم تعبد وانتقل الى مكة فاقام بها الى أن مات (حدث) سفيان بن عيينة قال دعانا الرشيد فدخلنا عليه ودخل الفضيل آخرنا مقنعا رأسه بردائه فقال لى يا سفيان أيهم أمير المؤمنين فقلت هذا وأومأت الى الرشيد فقال أنت يا حسن الوجه الذى أمر هذه الامة فى يدك وعنقك لقد تقلدت أمرا عظيما فبكى الرشيد ثم أتى كل رجل منا ببدرة فكل قبلها الا الفضيل فقال له الرشيد يا أبا على ان لم تستحلها فأعطها ذادين واشبع بها جائعا واكس بها عريانا فاستعفاه منها فلما خرجنا قلت له يا أبا على اخطأت ألا أخذتها وصرفتها فى أبواب البر فاخذ بلحيتى ثم قال يا أبا محمد أنت فقيه البلد وتغلط مثل هذا الغلط لو طابت لاولئك لطابت لى (وقبض موسى) بن جعفر بن محمد ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ببغداد

ياشمس علم افلت بعدما ❊ اضاءت المشرق والمغربا
حجبت قسرا عن عيون الورى ❊ والشمس لا ينكر ان تحجبا

وبيتهم بيت علم وولاية وصلاح كعمه وجده وأبيه وجد ابيه وكولديه محمد وأحمد وحفيده عالم الدنيا البحر أبي عبد الله محمد بن احمد بن مرزوق وولد حفيده المعروف بالكفيف وحفيد حفيده المعروف بالخطيب وهو آخر المذكورين منهم فيما نعلم قلت كان مرادي أن أعرف بجميعهم ولكني خشيت الطول فلنلم بذكر الحفيد عالم الدنيا وابنه العلامة المشهور بالكفيف لانه أعني الكفيف والد أم جدي أحمد لابي أحمد بن محمد بن أحمد فوالدة الجد أحمد بنت الكفيف المذكور وهو أعني الكفيف محمد بن محمد بن أحمد بن الخطيب الرئيس أبي عبد الله بن مرزوق المتقدم الذكر وكان الكفيف اماما عالما علامة ووصفه ابن داود البلوي بأنه الشيخ الامام علم الاعلام فخر خطباء الاسلام سلالة الاولياء وخلف الاتقياء الارضياء المسند الراوية المحدث العلامة المتفنن القدوة الحافل الكامل وأخذ العلم عن جماعة منهم عالم الدنيا أبوه قرأ عليه الصحيحين والموطأ وغيرها كتابه من تآليفه وغيرها وتفقه وأجازه عموما وعن عالمي تلمسان أبوي الفضل ابن الامام والعقباني وغيرهما كالبعاني والثعالبي والنظار أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم المشذالي وقاضي الجماعة ابن عقاب وحافظ الاسلام ابن حجر العسقلاني وكل هؤلاء اجازوه وقرأ عليهم مشافهة الا ابن حجر فكتابة ومولده غرة ذي القعدة عام أربعة وعشرين وثمانمائة نصف ليلة الثلاثاء ومن شيوخه العلامة ابن العباس التلمساني وغيره (وقال) السخاوي قدم الكفيف مكة سنة احدى وستين وثمانمائة وسمعت سنة احدى وسبعين وثمانمائة أنه في الاحياء انتهى وأخذ عنه جماعة أئمة كالسنوسي صاحب العقائد الشهيرة وغيرها والونشريسي صاحب المعيار والعلامة أبي عبد الله بن العباس وحلاه بشيخنا ومفيدنا علم الاعلام وحجة الاسلام آخر حفاظ المغرب وقال قرأت عليه الصحيحين وبعض مختصري ابن الحاجب الفرعي والاصلي وحضرت عليه جملة من التهذيب وبعض الخونجي وغيرها واخذ عنه بالاجازة عالم فاس ابن غازي حسبما ذكره في كتابه المسمى بالتعلل برسوم الاسناد بعد انتقال الساكن والناد وقال بعض الحفاظ ان وفاته عام أحد وتسعمائة بتلمسان وزرت قبره مرارا رحمه الله تعالى ونقل عنه المازوني في نوازله المسماة بالدرة المكنونة في نوازل مازونة (وأما) والده عالم الدنيا أبو عبد الله محمد بن مرزوق الشهير بالحفيد فهو البحر الامام المشهور الحجة الحافظ العلامة المحقق الكبير النظار المطلع المصنف المنصف التقي الصالح الناصح الزاهد العابد الورع البركة الخاشع الخاشي النبيه القدوة المجتهد الابرع الفقيه الاصولي المفسر المحدث الحافظ المسند الراوية الاستاذ المقرى المجود النحوي اللغوي البياني العروضي الصوفي الأواب الولي الصالح العارف بالله الآخذ من كل فن باوفر نصيب الراعي في كل علم مرعاه الخصيب حجة الله على خلقه المفتي الشهير الرحلة الحاج فارس الكراسي والمنابر سليل الاكابر سيد العلماء الاخيار وامام الائمة وآخر الشيوخ ذوي الرسوخ بدر التمام الجامع بين المعقول والمنقول والحقيقة والشريعة بأجل محصول آخر النظار الفحول

فابن المغيرة ذلك النجم عقم النساء فلا يجئن بمثله ❊ ان النساء بمثله عقم

أمهاتهم ومواضع قبورهم ومقادير أعمارهم وكم عاش كل واحد منهم مع أبيه ومن أدرك اجداده عليهم السلام ولكلثوم العتابي في الرشيد من أبيات

امام له كف يضم بنانها
عصا الدين ممنوع من البر عودها
وعين محيط بالبرية طرفها
سواء عليه قربها وبعدها
وأسمع يقظانا يبيت مناجيا
له في الحشا مستودعات بكيدها

(حدث) غوث بن المزرع قال حدثني خالد عن عمرو ابن بحر الجاحظ قال كان كلثوم العتابي يضع من قدر أبي نواس فقال له راوية أبي نواس يوما كيف تضع من قدر أبي نواس وهو الذي يقول

اذا نحن اثنينا عليك بصالح
فانت الذي نثني وفوق الذي نثني
وان جرت الالفاظ منا بمدحة
لغيرك انسانا فأنت الذي نعني

قال العتابي هذا سرقه قال ممن قال من أبي الهذيل الجمحي حيث يقول

واذا يقال لبعضهم نعم الفتى

قال لقد أحسن في قوله

حيث يقول
اذا ما سقيم حل عنها وكاءها
تصعد فيه برؤها وتصوّبا
وان خالطت منه الحشا
خلت أنه
على سالف الايام لم يبق موهبا
قال فقد أحسن فى قوله
وما خلقت الا لبذل أكفهم
واقدامهم الا لأعواد منبر
قال وقد سرقه أيضا قال ممن قال من مروان بن أبى حفصة حيث يقول
وما خلقت الا لبذل أكفهم
والسنهم الا لتحبير منطق
فيوما يبارون الرياح سماحة
ويوما لبذل الخاطب المتشدق
قال فسكت الراوية ولو أتى بشعره كله لقال له سرقه
(وحدث) أبو العباس أحمد ابن يحيى ثعلب قال كان أبو العتاهية قد أكثر مسئلة الرشيد فى عتبة فوعده بتزويجها وانه يسألها فى ذلك فان أجابت جهزها وأعطاه مالا عظيما ثم ان الرشيد سنح له شغل استمر به فحجب أبو العتاهية عن الوصول اليه فدفع الى مسرور الكبير ثلاث مراوح فدخل بها على الرشيد وهو يبتسم وكانت مجتمعة فقرأ على واحدة منهن مكتوبا

شيخ المشايخ صاحب التحقيقات البديعه والاختراعات الانيقه والابحاث الغريبه والفوائد الغزيره المتفق على علمه وصلاحه وهديه الذكى الفهامة القدوة الذى لا يسمح الزمان بمثله أبدا أوحد الافراد فى جميع الفنون الشرعية ذو المناقب العديده والاحوال السديده شيخ الاسلام وامام المسلمين ومفتى الانام الذى له القدم الراسخ فى كل مقام ضيق والرحب الواسع فى حل كل مشكل مقفل صاحب الكرامات والاستقامات السنى السنى الحريص على تحصيل السنة ومجانبة البدعة السيف المسلول على أهل البدع والاهواء الزائغة الذى أفاض الله تعالى على خلقه به بركته ورفع بين البرية محله ودرجته ووسع على خليقته به نحلته معدن العلم وشعلة الفهم وكيمياء السعادة وكنز الافادة ابن الشيخ الفقيه العالم أبى العباس أحمد ابن الامام العلامة الرئيس الكبير الخطيب الحافظ الرحلة الفقيه المحدث الشهير شمس الدين محمد ابن الشيخ العالم الصالح الولى المجاور أبى العباس أحمد ابن الفقيه الولى الصالح الخاشع محمد ابن الولى الكبير ذى الكرامات والاحوال الصالحة محمد بن أبى بكر بن مرزوق العجيسى التلمسانى كان رحمه الله تعالى آية الله فى تحقيق العلوم والاطلاع المفرط على النقول والقيام التام على الفنون باسرها (أما) الفقه فهو فيه مالك ولأزمة فروعه حائز ومالك فلو رآه الامام لقال له تقدم فلك العهد والولاية فتكلم فمنك يسمع فقهى وفروعى ومثلك من راعى ما ينبغى فروعى أو ابن القاسم لقربه عينا وقال له طالما دفعت عن المذهب عيا وشينا أو المازرى لعلم انه عناظره حرى أو الحافظ ابن رشد لقال هلم يا حافظ الرشد أو اللخمى لابصر منه محاسن التبصره أو القرطبى لنال منه التذكره أو القرافى لاستفاد منه قواعده المقرره أو ابن الحاجب لاستند الى بابه فى كشف الاشكالات المحرره الى ما انضم الى ذلك من معرفة التفسير ودرره والاضطلاع بحقائق التأويل وغرره فلو رآه مجاهد لعلم أنه فى التحقيق خير جاهد أو مقاتل لقال مثلك طبق من الفهوم الكلى وأصاب المقاتل أو الزمخشرى لعلم أنه كشاف الخفيات على الحقيقه وقال لكتابه تنح لهذا الحبر عن سلوك الطريقه أو ابن عطيه لركب فى الرحلة الى الاستفادة منه المطيه أو أبو حيان لغرق فى نهره ولم تسل له نقطة من بحره الى الاحاطة بالحديث وفنونه والاطلاع على أسانيده ومتونه ومعرفة منكره ومعروفه ونظم أنواعه ورصف صنوفه اذ له الرحلة انتهت فى رواياته ودراياته وعليه المعوّل فى حل مشكلاته وفتح مقفلاته (وأما) الاصول فالعضد ينقطع عند مناظرته ساعده والسيف يكل عند بحثه حده حتى يترك ما عنده ويساعده والبرهان لا يهتدى معه لحجه والمقترح لا يركب فى بحره لجه (وأما) النحو فلو رآه محمود لتلجلج فى قراءة المفصل واستقل ما عنده من القدر المحصل أو الرمانى لاشتاق الى مفاكهته وارتاح واستجدى من ثمار فوائده وامتاح أو الزجاج لعلم ان زجاجه لا يقوم بجواهره وانه لا يجرى معه فى هذا العلم الا فى ظواهره بل لو رآه الخليل لقال هذا هو المقصد الجليل واثنى عليه بكل جميل وقال لفرسان النحو ما لكم الى لحوق عربيته من سبيل (واما) البيان فالمصباح لا يظهر له نور عند هذا الصبح وصاحب المفتاح لا يهتدى معه الى الفتح والقزوينى يلقى علومه

لايضاح المعانى والسعد يرقى بفهومه فى مطالع المثانى وكم له من مناقب تحط عن منالها الثواقب ومواهب تجلو بأنوارها الغياهب (وأما) زهده وصلاحه فقد سارت به الركبان واتفق عليه الثقلان فن وصفه بالبحر فقل له دون علمه البحر أو البدر فما يصل خلقه البدر أو الدر فأنى يشبه منطقه الدر وبالجملة فالوصف يتقاصر عن صفاته وفضلاء عصره لا يرتقون الى صفاته فهو شيخ العلماء فى أوانه وامام الائمة فى عصره وزمانه شهد بنشر علومه العاكف والبادى وارتوى من بحار تحقيقاته الظمآن والصادى

حلف الزمان ليأتين بمثله * حنثت يمينك يازمان فكفر

هكذا وصفه بعض العلماء وهو فوق ذلك كله (وقال فى حقه) بلدينا الشيخ أبو الفرج ابن أبى يحيى الشريف التلمسانى رحمه الله تعالى هو شيخنا الامام العالم العلم جامع اشتات العلوم الشرعية والعقلية حفظا وفهما وتحقيقا راسخ القدم رافع لواء الامامة بين الامم ناصر الدين بيده ولسانه وبنانه وبالقلم محيى السنة بالفعال والمقال والشيم قطب الوقت فى الحال والمقام والنهج الواضح والسبيل الامم مستمر على الارشاد والهداية والتبليغ والافادة ذو الرواية والدراية والعناية ملازم الكتاب والسنة على نهج الائمة المحفوظين من البدع فى زمن لا عاصم فيه من أمر الله الا من رحم وهمته عليه ورتبه سنيه وأخلاق مرضيه وفضل وكرم امام الائمه وعالم الامه الناطق بالحكم ومنير الظلم سليل الصالحين وخلاصة مجد التقى والدين نتيجة مقدمات المهتدين حجة الله على العلم والعالم جامع بين الشريعة والحقيقة على أصح طريقه متمسك بالكتاب لا يفارق فريقه الشيخ الامام أبو عبد الله محمد اتصلت به فأويت منه الى ربوة ذات قرار ومعين وقصرت توجهى عليه ومثلت بين يديه فأنزلنى أعلى الله قدره منزلة ولده رعاية للذمم وحفظا على الود الموروث من القدم فأفادنى من بحار علمه ما تقصر عنه العبارة ويكل دونه القلم فقرأت عليه جملة من تفسير القرآن ومن الحديث صحيح البخارى بقراءتى وقراءة غيرى مرارا وصحيح مسلم كذلك وسنن الترمذى وأبى داود بقراءتى والموطأ سماعا وتفقها والعمدة ومن علم الحديث أرجوزة الحديقة وبعض الكبرى وهى الروضة تفقها ومن العربية نصف المغرب تفقها وجميع كتاب سيبويه كذلك وألفية ابن مالك وأوائل شرح الايضاح لابن أبى الربيع وبعض المغنى لابن هشام ومن الفقه التهذيب كله تفقها وابن الحاجب الفرعى وبعض مختصر خليل والتلقين وثلثى الجلاب وجملة من المتيطية والبيان لابن رشد وبعض الرسالة وكل ذلك قراءة تفقه وتفقهت عليه من كتب الشافعية فى تنبيه الشيرازى ووجيز الغزالى من أوله الى كتاب الاقرار ومن كتب الحنفية مختصر القدورى تفقها ومن كتب الحنابلة مختصر الخرقى تفقها ومن أصول الفقه المحصول ومختصر ابن الحاجب والتنقيح وكتاب المفتاح لجدى وقواعد عز الدين وكتاب المصالح والمفاسد له وقواعد القرافى وجملة من النظائر والاشباه للعلائى وارشاد العميدى ومن أصول الدين المحصل والارشاد تفقها وفى القراآت قصيدة الشاطبى تفقها وابن البرى ومن البيان التلخيص والايضاح والمصابيح وكلها تفقها ومن التصوف

ان الذى ضمن النجاح كريم فقال قاتله الله ما أحسن ما قال ثم دعا به وقال ضمنت لك يا أبا العتاهية وفى غد تقضى حاجتك ان شاء الله وبعث الى عتبة ان لى اليك حاجة فانتظرينى الليلة فى منزلك فاكبرت ذلك وأعظمته وصارت اليه تستعفيه فحلف ان لا يذكر لها حاجته الا فى منزلها فلما كان الليل سار اليها ومعه جماعة من خواص خدمه فقال لها لست أذكر حاجتى او تضمنين قضاءها قالت انا امتك وأمرك نافذ فى ما خلا أمر ابى العتاهية فانى حلفت لابيك رضى الله عنه بكل يمين يحلف بها بر وفاجر وبالمشى الى بيت الله الحرام حافية كلما انقضت عنى حجة وجبت على أخرى لا أقتصر على الكفارة وكلما أفدت شيأ تصدقت به الا ما أصلى فيه وبكت بين يديه فرق لها ورحمها وانصرف عنها وغدا عليه أبو العتاهية فقال له الرشيد والله ما قصرت فى أمرك ومسرور وحسين ورشيد وغيرهم شهود لى بذلك وشرح له الخبر قال أبو العتاهية فلما أخبرنى بذلك مكثت مليا

لا أدرى أين أنا قائم او قاعد وقلت الآن يئست منها اذ ردتك وعلمت انها لا تجيب أحدا بعدك فلبس أبو

الاحياء للسغر الى سوى الربع الاخير منه والبسنى خرقة التصوف كما ألبسه أبوه وعمه وهما ألبسهما أبوهما جده انتهى مختصرا* وكتب المذكور تحت هذا مانصه صدق السيد ابن السيد ابن السيد أبو الفرج المذكور فيما ذكر من القراءة والسماع والتفقه وبر وقد أجزته فى ذلك كله فهو حقيق بهامع الانصاف وصدق النظر جعلني الله واياه ممن علم وعمل لآخرته واعتبر قاله محمد بن مرزوق انتهى وقال تلميذه الولى أبو زيد سيدى عبد الرحمن الثعالبى قدم علينا بتونس شيخنا أبو عبد الله بن مرزوق فاقام بها فاخذت عنه كثيرا وسمعت عليه جميع الموطا بقراءة صاحبنا أبى حفص عمر ابن شيخنا محمد القلشانى وختمت عليه أربعينيات النووى قرأتها عليه فى منزله قراءة تفهم فكان كلما قرأت عليه حديثا يعلوه خشوع وخضوع ثم يأخذ فى البكاء فلم أزل أقرأ وهو يبكى الى أن ختمت الكتاب وكان من أولياء الله الذين اذا رؤا ذكر الله وأجمع الناس على فضله من المغرب الى الديار المصرية واشتهر ذكره فى البلاد فكان بذكره تطرز المجالس وجعل الله تعالى حبه فى قلوب العامة والخاصة فلا يذكر فى مجلس الا والنفوس متشوقة الى ما يحكى عنه وكان فى التواضع والانصاف والاعتراف بالحق فى الغاية وفوق النهاية لا أعلم له نظيرا فى ذلك فى وقته ثم ذكر كثيرا جدا من الكتب مما سمعه عليه وأطال فى ذلك وقال فى موضع آخر هو سيدى الشيخ الامام والحبر الهمام حجة أهل الفضل فى وقتنا وخاتمتهم ورحلة النقاد وخلاصتهم ورئيس المحققين وقادتهم السيد الكبير والذهب الابريز والعلم الذى نصبه التمييز ابن البيت الكبير والفلك الاثير ومعدن الفضل الكثير سيدى أبو عبد الله محمد ابن الامام الجليل الاوحد الاصيل جمال الفضلاء سليل الاولياء أبى العباس أحمد ابن العالم الكبير العلم الشهير تاج المحدثين وقدوة المحققين أبى عبد الله محمد بن مرزوق* وقال أيضا فى موضع آخر هو شيخى الامام العلم الصدر الكبير المحدث الثقة المحقق بقية المحدثين وامام الحفظة الاقدمين والمحدثين سيد وقته وامام عصره وورع زمانه وفاضل أقرانه أعجوبة أوانه وفاروق زمانه ذو الاخلاق المرضيه والاحوال الصالحة السنيه والاعمال الفاضلة الزكيه أبو عبد الله* وقال فى حقه المازونى فى أول نوازله شيخنا الامام الحافظ بقية النظار والمجتهدين ذو التواليف العجيبه والفوائد الغريبه مستوفى المطالب والحقوق أبو عبد الله بن مرزوق* وقال تلميذه الحافظ العلامة أبو عبد الله التنسى عند ذكره ان امامنا مالكا سئل عن أربعين مسئلة فقال فى ست وثلاثين لا أدرى وجنة العالم لا أدرى ما نصه ولم نر فيمن أدركنا من شيوخنا من تمرن على هذه الخصلة الشريفة ويكثر استعمالها غير شيخنا العالم العلامة رئيس علماء المغرب على الاطلاق أبى عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق* وقال الشيخ أبو الحسن القلصادى فى رحلته أدركت بتلمسان كثيرا من العلماء والعباد والزهاد والصلحاء أولاهم فى الذكر والتقديم الشيخ الفقيه الامام العلامة الكبير الشهير شيخنا وبركتنا أبو عبد الله بن مرزوق حل كنف العلم والعلا وجل قدره فى الجلة والفضلا قطع الليالى ساهرا وقطف من العلم أزاهرا فأثمر وأورق وغرب وشرق حتى توغل فى فنون العلم واستغرق الى أن أطلع للابصار هلالا لا أن الغرب

ووجدت بردالياس بين جوانحى
فغنيت عن حل ومن ترحال
(وذكر) أنه لما أتصل بالرشيد قول أبى العتاهية
الا ان ظبيا للخليفة صادنى
ومالى عن ظبى الخليفة من عذر
غضب الرشيد وقال أسخر منا فبعث وأمر بحبسه فدفعه الى تجاب صاحب عقوبته وكان فظاغليظا فقال أبو العتاهية
تجاب لا تعجل على
فليس ذامن رائه
ماخلت هذا فى مخا
يل ضوء برق سمائه
وكان من أشعاره فى الحبس بعد ما طال مكثه
انما أنت رحمة وسلامه
زادك الله غبطة وكرامه
قيل لى قد رضيت عنى فمن لى
أن ارى لى على رضاك علامه
فقال الرشيد لله أبوه لو رأيته ماحبسته وانما سمعت نفسى بحبسه لانه كان غائباعنى وأمر باطلاقه وأبو العتاهية الذى يقول
نراع لذكر الموت ساعة وقته
ونغتر بالدنيا فنلهو ونلعب
ونحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها* وما كنت فيه فهو شئ محبب وهو الذى يقول أيضا

مطالعه وسماني النفوس موضعه وموقعه فلا ترى أحسن من لقائه ولا أسهل من القائه لقي الشيوخ الا كابر وبقي حمده مغترفا من بطون الكتب وألسنة الاقلام وأفواه المحابر وكان رضي الله عنه من رجال الدنيا والآخرة وكانت أوقاته كلها معمورة بالطاعات ليلا ونهارا من صلاة وقراءة قرآن وتدريس علم وفتيا وتصنيف وكانت له أوراد معلومة وأوقات مشهودة وكانت له بالعلم عناية تكشف بها العماية ودراية تعضدها الرواية ونباهة تكسب النزاهة قرأت عليه رضي الله عنه بعض كتابه في الفرائض وأواخر ايضاح الفارسي وشيأ من شرح التسهيل وعرضت عليه اعراب القرآن وصحيح البخاري والشاطبيتين وأكثر ابن الحاجب الفرعي والتلقين وتسهيل ابن مالك والالفية والكافية وابن الصلاح في علم الحديث ومنهاج الغزالي وبعض الرسالة وغيرها ثم توفي يوم الخميس بعد العصر رابع عشر شعبان عام اثنين وأربعين وثمانمائة وصلى عليه بالجامع الازهر بعد صلاة الجمعة وحضر جنازته السلطان فمن دونه ولم أر مثلها قبل وأسف الناس لفقده وآخر بيت سمع منه قبل موته

ان كان سفك دمي أقصى مرادكم * فما غلت نظرة منكم بسفك دمي

انتهى ملخصا * (وفي فهرست ابن غازي في ترجمة شيخه أبي محمد الورياجلي ما صورته) ومن لقي من شيوخ تلمسان المحروسة الامام العلم العلامة الصدر الاوحد المحقق النظار الحجة العالم الرباني أبو عبد الله بن مرزوق وقد حدثني بكثير من مناقبه وصفة اقرائه وقوة اجتهاده وتواضعه لطلبة العلم وشدته على أهل البدع وما اتفق له مع بعضهم الى غيرها من شيمه الكريمة ومحاسنه العظيمة انتهى * وقال بعضهم في حقه انه كان يسير سيرة سلفه في العلم والخلق والحلم والشفقة وحب المساكين آية الله في الفهم والذكاء والصدق والعدالة والنزاهة واتباع السنة في الاقوال والافعال ومحبة أهلها في جميع الاحوال مبغضا لاهل البدع ومحا سدا لذرائع له كرامات انتهى * وأما شيوخه فمنهم العلامة السيد عبد الله الشريف التلمساني وعالم المغرب القاضي سيدي سعيد العقباني التلمساني والولي العابد الصالح أبو اسحق سيدي ابراهيم المصمودي وأفرد ترجمته بتأليف وعن أبيه وعمه ويروي عن جده بالاجازة وابن عرفة وأبي العباس القصار التونسي وبفاس عن النحوي أبي حيان وأبي زيد المكودي وجماعة غيرهما وبمصر عن السراج البلقيني والزين الحافظ العراقي والشمس الغماري والسراج بن الملقن وصاحب القاموس والمحب بن هشام صاحب المغني والنور النويري والولي بن خلدون والقاضي التنيسي وغيرهم وأخذ عنه جماعة كالثعالبي والقاضي عمر القلشاني وابن العباس نصر الزواوي والولي سيدي الحسن بن كان وابنه وأبي البركات الغماري وأبي الفضل المشذالي وقاضي غرناطة أبي العباس بن أبي يحيى الشريف وابراهيم بن فائد وأبي العباس التدرومي وابنه الكفيف وسيدي علي بن ثابت والشهاب ابن كحيل التجاني والعلامة أحمد بن يونس القسمطيني والعلامة يحيى بن يدير وأبي الحسن القلصادي والشيخ عيسى بن سلامة البكري وغيرهم كالحافظ التنسي التلمساني * قلت وسندي اليه عن عمي الامام سيدي سعيد المقري عن الشيخ أبي عبد الله التنيسي عن

عجبا لمنيه يضيع ما
يحتاج فيه ليوم رقدته

وقال

لا تامن الدنيا على غدرها
كم غدرت قبل بامثالكا
أجمع الناس على ذمها
وما أرى منهم لها تاركا

وقال

انما أنت مستعير ما سوى
ردين والمعار يرد
كيف يهوى امرؤ لذاذة أيا
م عليه الانفاس فيها تعد

وقال

حياتك أنفاس تعد فكلما
مضى نفس منها انتقصت به جزأ

وقال

ألا يا موت لم أر منك بدا
أتيت فما تحيف ولا تحابي
كأنك قد هجمت على مشيبي
كما هجم المشيب على شبابي

وقال

نسيت الموت فيما قد نسيت
كأني لم أرى أحدا يموت
أليس الموت غاية كل حي
فمالي لا أبادر ما يفوت

وقال

وعظتك أحداث صمت
ونعتك السنة خفت
وتكلمت عن أعظم
تبلى وعن صور سبت
وأرتك قبرك في القبو
ر وأنت حي لم تمت

وقال

والده الحافظ أبي عبد الله محمد التنيسي المذكور عن ابن مرزوق المذكور بكل مروياته وتآليفه وقال السخاوي في حقه هو أبو عبد الله يعرف بحفيد ابن مرزوق وقد يختص بابن مرزوق وقد تلا لنافع على أبي عثمان الزروالي وانتفع في الفقه بأبي عبد الله بن عرفة وأجازه أبو القاسم محمد بن الخشاب ومحمد بن علي الحفار الانصاري ومحمد القيجاطي وحج قديما سنة تسعين وسبعمائة رفيقا لابن عرفة وسمع من البهاء الدماميني والنور العقيلي بمكة وفيها قرأ البخاري على ابن صديق ولازم المحب بن هشام في العربية وكذا حج سنة تسع عشرة وثمانمائة ولقيه الزين رضوان بمكة وكذا لقيه ابن حجر انتهى * وأما تواليفه فكثيرة منها شروحه الثلاثة على البردة وسمى الاكبر اظهار صدق الموده في شرح البرده واستوفى فيه غاية الاستيفاء وضمنه سبعة فنون في كل بيت والاوسط والاصغر المسمى بالاستيعاب لما فيها من البيان والاعراب ومنها المفاتيح القرطاسيه في شرح الشقراطيسيه والمفاتيح المرزوقية في استخراج رجز الخزرجيه ورجز في علوم الحديث سماه الروضة ومختصره في رجز سماه الحديقة ورجز في الميقات سماه المقنع الشافي مشتمل على ألف وسبعمائة بيت ونهاية الامل في شرح الجمل أي جمل الخونجي واغتنام الفرصه في محادثة عالم قفصه وهو أجوبة عن مسائل في فنون العلم وردت عليه من علامة قفصة أبي يحيى بن عقبة فأجابه عنها والمعراج الى استمطار فوائد الاستاذ ابن سراج في كراسة ونصف أجاب به أبا القاسم بن سراج الغرناطي عن مسائل نحوية ومنطقية وأنوار اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين وهو حديث أول حلية أبي نعيم في شأن البدلاء وغيرهم والدليل المومى في ترجيح طهارة الكاغد الرومي والنصح الخالص في الرد على مدعي رتبة الكامل الناقص في سبعة كراريس رد به على عصريه الامام أبي الفضل قاسم العقباني في فتواه في مسئلة الفقراء الصوفية لما صوب العقباني صنيعهم وخالفه هو ومختصر الحاوي في الفتاوي لابن عبد النور والروض البهيج في مسائل الخليج وأنوار الدراري في مكررات البخاري ورجز تلخيص ابن البناء ورجز تلخيص المفتاح نظمه في حال صغره ورجز حرز الاماني ورجز جمل الخونجي ورجز اختصار ألفية ابن مالك وتأليفه في مناقب شيخه المصمودي وتفسير سورة الاخلاص على طريقة الحكماء وهذه كلها تامة * وأما ما لم يكمل من تآليفه فالمتجر الربيح والسعي الرجيح والمرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح وروضة الاريب في شرح التهذيب والمنزع النبيل في شرح مختصر خليل شرح منه كتاب الطهارة في مجلدين ومن الاقضية الى آخره في سفرين وايضاح السالك على ألفية ابن مالك الى اسم الاشارة أو الموصول مجلد كبير في قدر شرح المرادي وشرح شواهد شراح الالفية الى باب كان مجلد وله خطب عجيبة * وأما أجوبته وفتاويه على المسائل المنوعة فقد سارت بها الركبان شرقا وغربا بدوا وحضرا وقد نقل المازوني والونشريسي منها جملة وافرة ومن تآليفه أيضا عقيدته المسماة عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد والآيات الواضحات في وجه دلالة المعجزات والدليل الواضح المعلوم في طهارة كاغد الروم واسماع الصم في اثبات الشرف من قبل الام وذكر السخاوي أن من تواليفه شرح ابن الحاجب الفرعي وشرح التسهيل

من حجري وجلست مكاني فاذا شاب حسن القد عليه مقطعات خز وهيئة جميلة فدخل وسلم وجلس فجعلت أعجب من دخوله في ذلك الوقت الى ذلك الموضع بغير استئذان ثم قلت في نفسي عسى بعض ولد الرشيد ممن لا نعرفه ولم نره فضرب بيده على العود فأخذه ووضعه في حجره وجسه فرأيت أنه جس أحسن خلق الله ثم أصلحه اصلاحا ما أدري ما هو ثم ضرب ضربا فما سمعت اذني صوتا اجود منه ثم اندفع يغني

الا علاني قبل أن نتفرقا
وهات اسقني صرفا شرابا مروقا
فقد كاد ضوء الصبح أن يفضح الدجا
وكاد قميص الليل أن يتمزقا

ثم وضع العود من حجره وقال يا عاض بظر أمه اذا غنيت فغن هكذا ثم خرج فقمت على اثره فقلت للحاجب من الفتى الذي خرج الساعة فقال ما دخل هنا أحد ولا خرج فقمت متعجبا ورجعت الى مجلسي وانتبه الرشيد فقال ما شأنك فحدثته بالقضية فبقي متعجبا وقال لقد صادفت شيئا ثم قال أعد على الصوت فاعدته فطرب طربا شديدا وأمر لي بجائزة وانصرفت (وحدث) ابراهيم الموصلي

التسهيل انتهى * ومولده كما ذكره فى شرحه على البردة ليلة الاثنين رابع عشرى ربيع الاول عام ستة وستين وسبعمائة قال حدثتنى أمى عائشة بنت الفقيه الصالح القاضى أحمد ابن الحسن المدونى وكانت من الصالحات ألفت مجموعا على أدعية اختارتها وكانت لها قوة على تعبير الرؤيا اكتسبتها من كثرة مطالعتها لكتب الفن انه أصابنى مرض شديد أشفيت منه على الموت ومن شانها وأبيها انهما لا يعيش لهما ولد الا نادرا وكانوا سمونى أبا الفضل اول الامر فدخل عليها أبوها أحمد المذكور فلما رأى مرضى وما بلغ بى غضب وقال ألم أقل لكم لا تسموه أبا الفضل ما الذى رأيتم له من الفضل حتى تسموه أبا الفضل سموه محمد الا أسمع أحدا ينادبه بغيره الا فعلت به وفعلت يتوعد بالادب قالت فسميناك محمدا ففرج الله عنك انتهى *(ومن فوائده ما حكى فى بعض فتاويه)* قال حضرت مجلس شيخنا العلامة نخبة الزمان ابن عرفة رحمه الله تعالى أول مجلس حضرته فقرأ ومن يعش عن ذكر الرحمن فجرى بيننا مذاكرات رائقة وابحاث حسنة فائقة منها انه قال قرئ يعشو بالرفع ونقيض بالجزم ووجهها أبو حيان بكلام ما فهمته وذكر أن فى النسخة خللا وذكر بعض ذلك الكلام فاهتديت الى تمامه فقلت يا سيدى معنى ما ذكره أن جزم نقيض عن الموصولة اشبهها بالشرطية لما تضمنت من معنى الشرط واذا كانوا يعاملون الموصول الذى لا يشبه لفظه لفظ الشرط بذلك فما يشبه لفظ الشرط أولى بتلك المعاملة فوافق رحمه الله تعالى وفرح لما أن الانصاف كان طبعه وعند ذلك أنكر على جماعة من أهل المجلس وطالبونى باثبات معاملة الموصول معاملة الشرط فقلت نصهم على دخول الفاء فى خبر الموصول فى نحو الذى يأتينى فله درهم من ذلك فنازعونى فى ذلك وكنت حديث عهد بحفظ التسهيل فقلت قال ابن مالك فيما يشبه المسئلة وقد يجزم متسبب عن صلة الذى تشبيها بجواب الشرط وأنشدت من شواهد المسئلة قول الشاعر

كذاك الذى يبغى على الناس ظالما * تصبه على رغم عواقب ما صنع

فجاء الشاهد موافقا للعال انتهى بنقل تلميذه المازونى وقد ذكر الشيخ ابن غازى الحكاية فى فهرسته فى ترجمة شيخه الاستاذ الصغير وفيها بعض مخالفة لما تقدم ولنسقه قال حدثنى أنه بلغه عن ابن عرفة انه كان يدرس من صلاة الغداة الى الزوال يقرأ فنونا ويبتدئ بالتفسير وأن الامام ابن مرزوق أول ما دخل عليه وجده يفسر هذه الآية ومن يعش عن ذكر الرحمن فكان أول ما فاتحه أن قال له هل يصح كون من هنا موصولة فقال ابن عرفة كيف وقد جزمت فقال له تشبيها لها بالشرط فقال ابن عرفة انما يقدم على هذا بنص من امام أو شاهد من كلام العرب فقال أما النص فقول التسهيل كذا وأما الشاهد فقول الشاعر

فلا تحفرن بئرا تريد أخا بها * فانك فيها أنت من دونه تقع
كذاك الذى يبغى على الناس ظالما * تصبه على رغم عواقب ما صنع

فقال ابن عرفة فأنت اذا ابن مرزوق قال نعم فرحب به انتهى وهو خلاف ما تقدم والاول أصوب لنقل غير واحد أن جزم الموصولات انما يكون فى الجواب لا فى الشرط والله تعالى أعلم وفى بعض المجاميع أن ابن عرفة اشتغل بضيافته لما انفصل المجلس * ومن

قال جمع الرشيد ذات يوم المغنين فلم يبق أحد من الرؤساء الا حضر وكنت فيهم وحضر معنا مسكين المدنى ويعرف بأبى صدقة وكان يوقع بالقضيب مطبوعا حاذقا طيب العشرة مليح البادرة فاقترح الرشيد وقد عمل فيه النبيذ صوتا فأمر صاحب الستارة ابن جامع ان يغنيه ففعل فلم يطرب عليه ثم فعل مثل ذلك بجماعة ممن حضر فلم يحرك منه أحد فقال صاحب الستارة لمسكين المدنى يأمرك أمير المؤمنين ان كنت تحسن هذا الصوت فغنه قال ابراهيم فاندفع فغناه فامسكنا جميعا متعجبين من جراءة مثله على الغناء بحضرتنا فى صوت قد قصرنا فيه عن مراد الخليفة قال ابراهيم فلما فرغ منه سمعت الرشيد يقول يا مسكين أعده فاعاده بقوة ونشاط فقال أحسنت وأجملت ورفعت الستارة بيننا وبينه قال مسكين يا أمير المؤمنين ان لهذا الصوت خبرا قال وما هو قال كنت عبدا خياطا لبعض آل الزبير وكان لمولاى على ضريبة ادفع اليه كل يوم درهمين فاذا دفعت ضريبتى تصرفت فى حوائجى فخطت يوما قميصا لبعض الطالبين فدفع الى درهمين وتغديت وسقانى اقداحا فخرجت وأنا جذلان فلقيتنى سوداء على رقبتها جرة وهى تغنى هذا الصوت فاذهلنى عن كل مهم وأنسانى كل حاجة

فوائده انه كان صرف لفظ هريرة من أبي هريرة بناء على أن جزء العلم غير علم وخالفه أهل فاس في ذلك لما بلغهم وسال الاستاذ ابن غير والحافظ القوري الى منع الصرف لوجوه ليس هذا موضعها ومنها قول ابن مالك * ولاضطرار كبنات الاوبر * فانه مؤذن بأن جزء العلم علم وقد ألف في المسئلة أبو العباس تأليفا سماه الاعتراف في ذكر ما في لفظ أبي هريرة من الانصراف انتهى ومن نظمه

بلد الجدار ما أمر نواها * كلف الفؤاد بحبها وهواها

يا عاذلي كن عاذري في حبها * يكفيك منها ماؤها وهواها

ويعني ببلد الجدار تلمسان ولذلك قال في رجز في علم الحديث ما صورته

وأهلها اهل ذكاء وفطن * في رابع من الاقاليم قطن

يكفيك ان الداودي بها دفن * مع ضجيعه ابن غزلون الفطن

قلت وحدثني عمي الامام سيدي سعيد المقري رحمه الله تعالى ان العلامة ابن مرزوق لما قدم تونس في بعض الرسائل السلطانية طلب منه اهل تونس ان يقرأ لهم في التفسير بحضرة السلطان فاجابهم الى ذلك وعينوا له محل البدء فطالع فيه فلما حضروا قرأ القارئ غير ذلك وهو قوله تعالى فمثله كمثل الكلب الآية وأرادوا بذلك افحام الشيخ والتعريض به فوجم هنيهة ثم تفجر بينابيع العلم الى أن أجرى ذكر ما في الكلب من الخصال المحمودة وساقها أحسن مساق وأنشد عليها الشواهد وجلب الحكايات حتى عد من ذلك جملة ثم قال في آخرها فهذا ما حضر من محمود أفعال الكلب وخصاله غير أن فيه خصلة ذميمة وهي انكاره للضيف ثم افترق المجلس وأخبرني انه أطال في ذلك المجلس من الصبح الى قرب الظهر وقد طال عهدي بالحكاية وانما نقلتها عنا هامن حفظي وهي من الغرائب ولولا الاطالة لذكرت ما وقع له مع بعض علماء برصة في الحجاز حسبما ذكره في مناقب شيخه المصمودي رحم الله الجميع (رجع) الى ذكر مشايخ لسان الدين فنقول * ومن مشايخ لسان الدين الرئيس أبو الحسن علي بن الجياب وهو كما في الاحاطة علي بن محمد بن سلمان بن علي بن سليمان بن الحسن الانصاري الغرناطي أبو الحسن قال وهو شيخنا ورئيسنا العلامة البليغ * ومن مشايخه أبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي وخلق قال وقد دونت شعره فمن معشراته قوله في حرف الجيم

جريا على الزلات غير مفكر * جبانا على الطاعات غير معرج

جمعت لما يفني اغترارا بجمعه * وضيعت ما يبقى بحجة أهوج

جنونا بدار لا يدوم سرورها * فدعها سدى ليست بعشك فادرجي

جيادك في شأو الضلال سوابق * تفوت مدى سن الوجيه وأعوج

جهلت سبيل الرشد فاقصد دليله * تجد دار سعد بابها غير مرتج

جناب رسول ساد أولاد آدم * وقرب في السبع الطباق بمعرج

جلا نور الارض شرقا ومغربا * فكل سنى من نوره المتبلج

جلا دأ المرتاب أن سبح الحصى * لديه بنطق ليس بالمتلجلج

فقلت بصاحب هذا القبر والمنبر لا القيته عليك الا بدرهمين فاخرجت الدرهمين فدفعتهما اليها فانزلت الجرة عن عاتقها واندفعت فما زالت ترددهحتى كأنه مكتوب في صدري ثم انصرفت الى مولاي فقال لي هلم خراجك فقلت كان وكان فقال يا ابن اللخناء ويطحني وضربني وحلق لحيتي ورأسي فبت يا أمير المؤمنين من أسوأ خلق الله حالا وأنسيت الصوت مما نالني فلما أصبحت غدوت نحو الموضع الذي لقيتها فيه وبقيت متحيرا لا اعرف اسمها ولا منزلها اذ نظرت بها مقبلة فانسيت كل ما نالني وملت اليها فقالت أنسيت الصوت ورب الكعبة فقلت الامر كما ذكرت وعرفتها ما مر بي من حلق الرأس واللحية فقالت وحق القبر ومن فيه لا افعلت الا بدرهمين فاخرجت جلمي ورهنته على درهمين فدفعتهما اليها فانزلت الجرة عن رأسها واندفعت فردته ثم قالت كأني بك مكان الاربعة دراهم أربعة آلاف دينار ثم انصرفت الى مولاي وجلا فقال هلم خراجك فلويت لساني فقال يا ابن اللخناء ألم يكفك ما مر عليك بالامس فقلت اني اعرفك اني اشتريت

جعلت امتداحي والصلاة عليه لي * وسائل تحظيني بما أنا مرتجي

وقال من الاغراض الصوفية السلطانية

هات اسقني صرفا بغير مزاج * راحي التي هي راحتي وعلاجي
ان صب منها في الزجاجة قطرة * شف الزجاج عن السنى الوهاج
واذا الخليع أصاب منها شربة * حاجاه بالسر المصون محاجي
واذا المريد أصاب منها جرعة * ناجاه بالحق المبين مناجي
تاهت به في مهمه لا يهتدي * فيه لتأويب ولا ادلاج
يرتاح من طرب بها فكأنما * غنته بالارمال والاهزاج
هبت عليه نفحة قدسية * في قيء باب دائم الارتاج
فاذا انتشى يوما وفيه بقية * سارت به قصدا على المنهاج
واذا تمكن منه سكر معربد * فليصبرن لمصرع الحلاج
قصرت عبارة فيه عن وجدانه * فغدا يفيض بمنطق لجلاج
اعشاه نور للحقيقة باهر * فتراه يخبط في الظلام الداجي
رام الصعود بها لمركز أصله * فرمت به في بحرها المواج
فلئن امد برحمة وسعادة * فليخلصن من بعد طول هياج
وليرجعن بغنيمة موفورة * ماشيب عذب شرابها باجاج
ولئن تخطاه القبول لما جني * فليرجعن نكسا على الادراج
ما أنت الا درة مكنونة * قد أودعت في نطفة أمشاج
فاجهد على تخليصها من طبعها * تعرج بها في أرفع المعراج
واشدد يديك معا على حبل التقى * فان اعتصمت به فانت الناجي
ولدى العزيز ابسط بساط تذلل * والى الغني امدد يد المحتاج
هذا الطريق له مقدمتان ما * دقتان أنجتا أصح نتاج
فاجنح الى ترك الهوى حمل الاذى * واقنع من الاسهاب بالادماج
حرفان قد جمعا الذي قد سطروا * من بسط أقوال وطول حجاج
والمشرب الاصفى الذي من ذاقه * فقد اهتدى منه بنور سراج
أن لا ترى الا الحقيقة وحدها * والكل مضطر اليها لاجي
هذي بدائع حكمة أنشأتها * باشارة المولى أبي الحجاج
وسع الانام بفضله وبعدله * وبحلمه وبجوده الثجاج
من آل نصر نخبة الملك الرضا * امن المروع همو وغيث الراجي
من آل قيلة ناصري خير الورى * والخلق بين تخاذل ولجاج
ماذا أقول وكل قول قاصر * في وصف بحر زاخر الامواج
منه لباغي العرف در فاخر * ولمن يعادي الدين هول فاجي
دامت سعودك في مزيد والمنى * تاتيك أفواجا على أفواج

بخراجي امس واليوم هذا الصوت واندفعت اغنيه فقال لي ويحك معك مثل هذا الصوت ولم يعلني امرأته طالق لو كنت قلته امس لاعتقتك فضحك الرشيد وقال ويلك ما أدري ايما احسن حديثك ام غناؤك وقد امرت لك بما ذكرته السوداء فقبضه وانصرف والشعر

قف بالمنازل ساعة فتامل
فلسوف احمل للبلى في محمل

(واجرى) الرشيد الخيل يوما بالرقة فلما أرسلت صار الى مجلسه في صدر الميدان حيث توافى اليه الخيل فوقف على فرسه وكان في أوائلها سوابق من خيله يتقدمها فرسان في عنان واحد لا يتقدم أحدهما صاحبه فتاملها فقال فرسي والله ثم تامل الآخر فقال فرس ابني المامون قال فجا آ يحتكان أمام الخيل وكان فرسه السابق وفرس المامون ثانية فسر بذلك ثم جاء الخيل بعد ذلك فلما انقضى المجلس وهم بالانصراف قال الاصمعي وكان حاضرا للفضل ابن الربيع يا أبا العباس هذا يوم من الايام فاحب ان توصلني الى أمير المؤمنين وقام الفضل فقال يا أمير المؤمنين هذا الاصمعي يذكر شيأ من أمر الفرسين يزيد الله به أمير المؤمنين سرورا قال هاته فلما دنا قال ما عندك يا أصمعي قال يا أمير المؤمنين كنت وابنك اليوم والفرسين كما قالت الخنساء

(وقال من المطولات)

لمن المطايا في السراب سوابحا * تفلى الفلاة غواديا وروائحا
عوج كأمثال القسي ضوامر * يرمين في الآفاق مرمى نازحا

وقال يمدح ويصف مصنعا سلطانيا

زارت تجرر لنحوه اذيالها * هيفاء تخلط بالنفار دلالها
فالشمس من حسد لها مصفرة * اذ قصرت عن أن تكون مثالها
واقتك تمزج لينها بقساوة * قد أدرجت طي العتاب نوالها
كم رمت كتم مزارها لكنه * صحت دلائل لم تطق اعلالها
تركت على الارجاء عند مسيرها * أرجا كأن المسك فت خلالها
ماواصلتك محبة وتفضلا * لوكان ذاك لواصلت افضالها
لكن توقعت السلو فجددت * لك لوعة لاتتقى ترحالها
فوجبها قسما يحق بروره * لتجشمنك في الهوى أهوالها
حسنت نظم الشعر في أوصافها * اذ قبحت لك في الهوى أفعالها
ياحسن ليلة وصلها ماضرها * لو أتبعت من بعدها أمثالها
لما سكرت بريقها وجفونها * أهملت كاسك لم ترد اعمالها
هذا الربيع أتاك ينشر حسنه * فافسح لنفسك في مداه مجالها
واخلع عذارك في البطالة جامحا * واقرن بأسحار الهنا آصالها
في جنة تجلو محاسنها كما * تجلو العروس لدى الزفاف جمالها
شكرت أيادي للعيا شكر الورى * شرف الملوك همامها مفضالها
وصميمها أصلا وفرعا خيرها * ذاتا وخلقا سمحها بذالها
الطاهر الاعلى الامين المرتضى * بحر المكارم غيثها سلسالها
حاز المعالي كابرا عن كابر * وجرى لغايات الكرام فنالها
ان تلقه في يوم بذل هباته * تلق الغمائم أرسلت هطالها
أو تلقه في يوم حرب عداته * تلق الضراغم فارقت أشبالها
ملك اذا ماصال يوما صولة * خلت البسيطة زلزلت زلزالها
فبسيبه وبسيفه نلت المنى * واستعجلت أعداؤه آجالها
الواهب الآلاف قبل سؤالها * فكفى العفاة سؤالها ومطالها
القاتل الآلاف قبل قراعها * فكفى العداة قراعها ونزالها
ان قلت بحر كفه قصرت اذ * شبهت بالملح الاجاج نوالها
ملأ البسيطة عدله وأمانه * فالوحش لاتعدو على من غالها
وسقى البرية فيض كفيه فقد * عم البلاد سهولها وجبالها
جمع العلوم عناية بعيونها * آدابها وحسابها وجدالها
منقولها معقولها وأصولها * وفروعها تفصيلها اجمالها

تجارى أباه فاقبلا وهما * يتنازعان كتائف الحصر وهما كأنهما وقد برزا * صقران قد حطا على وكر
برزت صفيحة وجه والده * ومضى على غلوائه يجري
أولى فأولى أن يقاربه * لولا جلال السن والكبر

(حدث) ابراهيم بن المهدي قال استزرت الرشيد بالرقة فزارني وكان يأكل الطعام الحار قبل البارد فلما وضعت البوارد رأى فيما قرب اليه منها جام قريص سمك فاستصغر القطع وقال لم صغر طباخك تقطيع السمك فقلت يا أمير المؤمنين هذه ألسنة السمك قال فيشبه ان يكون في هذا الجام مائة لسان فقال مراقب خادمه يا أمير المؤمنين فيها أكثر من مائة وخمسين فاستحلفه عن مبلغ ثمن السمك فاخبره انه قام بأكثر من ألف درهم فرفع الرشيد يده وحلف ان لا يطعم شيئا دون أن يحضره مراقب ألف درهم فلما حضر المال أمر أن يتصدق به وقال أرجو أن يكون كفارة لسرفك في انفاقك على جام سمك ألف درهم ثم ناول الجام بعض خدمه وقال أول سائل تراه فادفعه اليه قال ابراهيم وكان شراء الجام على الرشيد بمائتين وسبعين دينارا فغمزت بعض خدمي للذي خرج مع الخادم ليبتاع الجام ممن يصير اليه وفطن الرشيد فقال له يا غلام اذا دفعته

فاذا

فاذا عفاتك عاينوك تهللوا * لما رأوا من كفك استهلالها
واذا عداتك أبصروك تيقنوا * أن المنية سلطت ريبالها
بددت شملهم ببيض صوارم * رويت من علق الكماة نصالها
وابحت ارضهم فاصبح أهلها * خورا تغادر نهبة أموالها
فتحت امارتك السعيدة للورى * أبواب بشرى واصلت اقبالها
وبنت مصانع راثقات ذكرت * دار النعيم جنانها وظلالها
واجلها قدرا وأرفعها مدى * هذا الذى سام النجوم وطالها
وجنة فيها الامير مخلد * بلغت اماراته بها آمالها
ولارض أندلس مفاخر أنتم * أربابها أضفيتم سربالها
فحميتمو أرجاءها وكفيتمو * أعداءها وهديتمو ضلالها
فبآل نصر فاخرت لا غيرهم * لم تعتمد من قبلهم أقيالها
بمحمد ومحمد ومحمد * قصرت على الخصم الالد نضالها
فهم الالى ركبوا الكل عظيمة * جردا كسين من النجيع جلالها
وهم الالى فتحوا الكل ملمة * بابا أزاح بفتحه اشكالها
متقلدون من السيوف عضابها * متأبطون من الرماح طوالها
الراكبون من الجياد عرابها * والضاربون من العدا أبطالها
أولى عهد المسلمين وخيرة الاملاك صفوة محضها وزلالها
ان العباد مع البلاد مقرة * بفضائل لك مهدت أحوالها
فتقيك عاينها وتحمى سربها * وتفيد حلما داغما جهالها

وقال يرثى ولده أبا القاسم رحمهما الله تعالى

هو البين حتما لا لعل ولا عسى * فما بال نفسى لم تفض عنده أسى
وما للفؤادى لم يذب منه حسرة * فما لهذا القلب سرعان ما قسا
وما للجفونى لا تفيض موردا * من الدمع يهمى تارة ومورسا
وما للسانى مفحما لخطابه * وما كان لو أوفى بعهد لينبسا
أمن بعدما أودعت روحى فى الثرى * ووسدت منى فلذة القلب مرمسا
وبعد فراق ابى أبى القاسم الذى * كسانى ثوب الثكل لا كان ملبسا
أؤمل فى الدنيا حياة وأرتضى * مقيلا لدى أبنائها ومعرسا
فآها وللفجوع فيها استراحة * ولا بد للصدور أن يتنفسا
على عمر أفنيت فيه بضاعتى * فاسلمنى للقبر حيران مفلسا
ظللت به فى غفلة وجهالة * الى أن رمى سهم الفراق فقرطسا
الى الله أشكو برح حزنى فانه * تلبس منه القلب ما قد تلبسا
وهذة خطب نازلتنى عشية * فما أغنت الشكوى ولا نفع الاسا
فقد صدعت شملى وأصمت مقاتلى * وقد هدمت ركنى الوثيق المؤسسا

الخادم ذلك فوالله ما أمكن الخادم ان يخلصه من السائل الا بمائتى دينار * وقال ابراهيم ابن المهدى كنت أنا والرشيد على ظهر حراقة وهو يريد نحو الموصل والمدادون يعدون والشطرنج بين أيدينا فلما فرغنا قال لى الرشيد يا ابراهيم ما أحسن الاسماء قلت اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما الثانى بعده قلت اسم هرون اسم أمير المؤمنين قال فما أسمجها قلت ابراهيم فزأرنى وقال ويلك ابراهيم خليل الرحمن جل وعز قلت بشؤم هذا الاسم لقى ما لقى من نمروذ قال وابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لاجرم لما سمى بهذا الاسم لم يعش قال فابراهيم الامام قلت بحرفة اسمه قتله مروان الجعدى فى جراب النورة وأزيدك يا أمير المؤمنين ابراهيم بن الوليد خلع وابراهيم بن عبد الله ابن الحسن قتل ولم أجد أحدا سمى بهذا الاسم الا رأيته مقتولا أو مضروبا أو مطرودا فما انقضى كلامى حتى سمعت ملاحا على بعض الحراقات يهتف باعلى صوته يا ابراهيم يا عاض كذا وكذا من أمه مد فالتفت الى الرشيد فضحك حتى فحص برجله وقال

نبت لها صبر الشدة وقعها * فما زلت صبري الجميل وقدرسا
وأطمع أن يلقى برحمته الرضا * وأجزع أن يشقى بذنب فينكسا
أبا القاسم اسمع شكوى والدك الذي * حسا من كؤس البين أفظع ما حسا
وقفت فؤادي مذ رحلت على الاسى * فأشهد لا ينفك وقفا محبسا
وقطعت آمالي من الناس كلهم * فلست أبالي أحسن المرء أم أسا
توارت بما شمسي وبدري وناظري * فصار وجودي مذ توارت حندسا
وخلفت لي عبأ من الثكل فادحا * فأتعب الثكلان نفسا وأتعسا
احقا توى ذاك الشباب فلا أرى * له بعد هذا اليوم حولي مجلسا
فيا غصنا نضرا توى عندما استوى * فأوحشني أضعاف ما كان آنسا
ويا نعمة لما تبلغتها انقضت * فأنعم أحوالي بها صار أبأسا
لودعته والدمع تهمي سحابه * كما اسلم السلك الفريد المخمسا
وقبلت في ذاك الجبين مودعا * لأكرم من نفسي علي وأنفسا
وحققت من وجدي به قرب رحلتي * وماذا عسى ان ينظر الدهر من عسا
فيا رحمة للشيب يبكي شبيبة * قياس لعمري عكسه كان أقيسا
فلو أن هذا الموت يقبل فدية * حبوناه أموالا كراما وأنفسا
ولكنه حكم من الله واجب * يسلم فيه من بخير الورى ائتسى
تعمدك الرحمن بالعفو والرضا * وكرم مثواك الجديد وقدسا
وألف منا الشمل في جنة العلا * فنشرب تسنيما ونلبس سندسا

وكتب الى القاضي الشريف وهو بوادي آش

اهزلا وقد جدت بك الله الشمطا * وأمنا وقد ساورت باحية رقطا
اغرك طول العمر في غير طائل * وسرك أن الموت في سيره ابطا
رويدا فان الموت أسرع وافد * على عمرك الفاني وكاتبه حطا
فاذ ذاك لا تسطيع ادراك ما مضى * بحال ولا قبضا تطيق ولا بسطا
تأهب فقد وافى مشيبك منذرا * وهاهو في فوديك احرفه خطا
فوافقت منه كاتب السر واشيا * له القلم الاعلى يخط به وخطا
معمى كتاب فكه احذر فهذه * سفينة هذا العمر قاربت الشطا
وان طالما خاضت به اللجج التي * خبطت بها في كل مهلكة خبطا
ومازلت في امواجها متقلبا * فآونة رفعا وآونة حطا
فقد أوشكت تلقيك في قعر حفرة * تشد عليك الجانبين بها ضغطا
ولست على علم أأنت بعدها * ملاق أرضوانا من الله أم سخطا
وأعجب شيء منك دعوى النهي * وهذا الهوى المردى على العقل قد غطى
قسطت عن الحق المبين جهالة * وقد خالفتك النفس فادعت القسطا
وطاوعت شيطانا تجيب اذا دعا * وتقبل ان أغوى وتأخذ ان اعطى

داري أباه فاقبلا وهما عنده فاذا زت صفيحة وجه ثابو يقول بره الله وفضله ثم قال هذا عبد الله بن صالح ثم كشف المنديل فاذا بعضها فوق بعض في أحدها فستق وفي الآخر بندق الى غير ذلك من الفاكهة فقلت يا أمير المؤمنين ما في هذا البر ما يستحق به هذا الدعاء الا أن يكون في الكتاب شيء قد خفي علي فنبذه الي فاذا فيه دخلت يا أمير المؤمنين بستانا لي في داري عمرته بنعمتك وقد أينعت فواكهه فأخذت من كل شيء وصيرته في أطباق قضبان ووجهته الى أمير المؤمنين ليصل الي من بركة دعائه ما وصل الي من نوافل بره قلت ولا والله ما في هذا أيضا ما يستحق به هذا فقال يا غبي أما ترى كيف كنى بالقضبان عن الخيزران اعظاما لاسمنا رحمها الله تعالى * ووقف رجل من بني أمية في طريق الرشيد ومعه كتاب فيه
يا أمين الله اني قائل
قول ذي لب وصدق وحسب
لكم الفضل علينا ولنا
بكم الفضل على كل العرب

تناءى عن الاخرى وقد قربت مدى * تدانى من الدنيا وقد أزمعت شحطا
وتمنحها حبا وفرط صـــــبابة * وما منحت الا القتادة والخرطا
فها أنت تهوى وصلها وهى فاركٌ * وتأمل قربا من جفاها وقد شطا
سراط هدى فنكبت عنه عماية * ودار ردى أودعت فى سجنها سرطا
فمالك الا السيد الشافع الذى * له فضل جاه كل ما يرتجى يعطى
دليل الى الرحمن فانهج سبيله * فمن حاد عن نهج الدليل فقد أخطا
محبته شرط القبول فمن خلت * صحيفته منها فقد فقد الشرطا
وما قبلت منه لدى الله قربة * ولا زكت الاعمال بل حبطت حبطا
به الحق وضاح به الافك زاهق * به الفوز مرجو به الذنب قد حطا
هو الملجأ الاحمى هو الموئل الذى * به فى غد يستشفع المذنب الخطا
لقد مازجت روحى محبته التى * بقلبى خطت قبل أن أعرف الخطا
اليك ابن خير الخلق بنت بديهة * تقبل تبجيلا أنا ملك السبطا
وحيدة هذا العصر وافت وحيدة * لتبسط من شتى بدائعها بسطا
وتتلو آيات التشــــــبيع انها * لموثقة عهدا ومحكمة ربطا
لك الشرف المأثور يا ابن محمد * وحسبك أن تنمى الى سبطه سبطا
الى شرفى دين وعلم تظاهرا * تبارك من أعطى وبورك فى المعطى
ورهطك أهل البيت بيت محمد * فأعظم به بيتا وأكرم به رهطا
بعثت به عقدا من الدر فاخرا * وذكر رسول الله درته الوسطى
وأهديت منها للسيادة غادة * تضمت من الدر الثمين بها سمطا
وحاشيتها من كل ما شانها فان * تجد حوشى تجد لفظها سقطا
وفى الطيبين الطاهرين نظمتها * فساعدها من أجل ذلك حرف الطا
عليك سلام الله ما ذر شارق * وما رددت ورقاء فى غصنها الغطا

وقال
لله عصر الشباب عصرا * فتح للخير كل باب
حفظت ما شئت فيه حفظا * كنت أراه بلا ذهاب
حتى اذا ما المشيب وافى * ند ولكن بلا اياب
لا تعتنوا بعدها بحفظ * وقيدوا العلم بالكتاب

وقال
يا أيها الممسك البخيل * الملك المنفق الكفيل
أنفق وثق بالاله ترج * فان احسانه جزيل
وقدم الاقربين واذكر * ما روى ابدأ بمن تعول

وقال
وقائلة لم عراك المشيب * وما ان بعهد الصبا من قدم
فقلت لها لم أشب كبرة * ولكنه الهم نصف الهرم

وقال
أيعتادنى سقم وأنت طبيب * وتبعد آمالى وأنت قريب
يقينى أن الله جل جلاله * يقينى فراجى الله ليس يخيب

فامر له بكل بيت بالف دينار وقال لو زدتنا لزدناك (ودخل) عبد الملك بن صالح على الرشيد فقال له الحاجب ان أمير المؤمنين قد اصيب فى هذه الليلة بولد وولد له ولد فعز وهن فلما مثل قال يا أمير المؤمنين سرك الله فيما ساءك وجعل هذه لهذه ثوابا للصابر وجزاء للشاكر * ولما اشتدت علته وصار الى طوس سنة ثلاث وتسعين ومائة هون عليه الاطباء علته فارسل الى طبيب فارسى كان هنالك فاراه ماءه مع قوارير شتى فلما انتهى الى قارورته قال عرفوا صاحب هذا الماء انه هالك فليوص فانه لا برء له من هذه العلة فبكى الرشيد وجعل يردد هذين البيتين

ان الطبيب بطبه ودوائه * لا يستطيع دفاع محذور أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذى * قد كان يبرئ مثله فيما مضى

واشتد ضعفه وارجف الناس بموته فدعا بحمار ليركبه فلما صار عليه سقطت فخذاه فلم يثبت على السرج فقال أنزلونى صدق المرجفون ثم دعا باكفان فاختار منها ما أراد وأمر بحفر قبر فلما اطلع فيه قال ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه ثم دعا باخى رافع فقال أزعجتمونى حتى تجشمت هذه الاسفار مع علتى وضعفى وكان رافع ممن خرج عليه قال لاقتلنك قتلة ما قتل مثلها احد قبلك ثم أمر ففصل عضوا عضوا

بنى هاشم فقال ان كل مخلوق ميت وكل جديد بال وقد نزل بى ما ترون وأنا أوصيكم بثلاث الحفظ لامانتكم والنصيحة لأئمتكم واجتماع كلمتكم وانظروا محمدا وعبد الله فمن بغى منهما على صاحبه فردوه عن بغيه وقبحوا له بغيه ونكثه وأقطع فى ذلك اليوم أموالا وضياعا (قال) الرياشى قال الاصمعى دخلت على الرشيد وهو ينظر فى كتاب ودموعه تحدر على خديه فظللت قائما حتى سكن وحانت منه التفاتة فقال اجلس يا أصمعى أرأيت ما كان قلت نعم يا أمير المؤمنين قال أما والله لو كان لامر الدنيا ما رأيت هذا ورمى بقرطاس فاذا فيه شعر لابى العتاهية بخط جليل وهو

هل أنت معتبر بمن خليت منه غداة مضى دساكره
وبمن أذل الموت مصرعه فتبرأت منه عشائره
وبمن خلت منه أسرته وبمن خلت منه منابره
أين الملوك وأين غيرهم صاروا مصيرا أنت صائره
يا مؤثر الدنيا بلذته والمستعد لمن يفاخره
نل ما بدا لك أن تنال من الدنيا فان الموت آخره

ثم قال الرشيد كأنى والله أخاطب بذلك دون الناس فلم يلبث بعد ذلك الا يسيرا

وقال

هى النفس ان أنت سامحتها * رمت بك أقصى مهاوى الخديعه
وان أنت جشمتها خطة * تنافى رضاها تجدها مطيعه
فان شئت فوزا فناقض هواها * وان واصلتك أجزها القطيعه
ولا تعبأن بميعادها * فميعادها كسراب بقيعه

وقال

من أنت يا مولى الورى مقصوده * طوبى له قد ساعدته سعوده
فليشهدنك له فؤاد صادق * وشهوده قامت عليه شهوده
وليفنين عن نفسه ورسومه * طراوفى ذاك الفناء وجوده
وليدفظنه بارق برقى به * فى أشرف المعراج ثم يعيده
حتى يظل وليس يدرى دهشة * تقريبه المقصود أم تبعيده
لكنه ألقى السلاح مسلما * فمراده ما أنت منه تريده
فلقد تساوى عنده اكرامه * وهوانه ومفيده ومبيده

وقال ملغزا فى نحل

حاجيت كل فطن لبيب * ما اسم لانثى من بنى يعقوب
ذات كرامات فزرها قربة * فزورها أحق بالتقريب
تشركها فى الاسم انثى لم تزل * حافظة لسرها المحجوب
وقد جرى فى خاتم الوحى الرضى * لها حديث ليس بالمكذوب
وهو اذا ما الهاء منه صحفت * صبغ الحياء لا الحيا المسكوب
فها كها واضحة أسرارها * فامرها أقرب من قريب

وقال أيضا فى آب

حاجيتكم ما اسم علم * ذو نسبة الى العجم
يخبر بالرجعة وهو راجع كما زعم
وصف الحبيب هو بالتصحيف أو بدء قسم
دونكه أوضح من * نار على رأس علم

وقال فى كانون

وما اسم لسميين * ولم يجمعهما جنس
فهذا كلما يأتى * فبالآخر لى انس
وهذا ماله شخص * وهذا ماله حس
وهذا ماله سوم * وذا قيمته فلس
وهذا أصله الارض * وهذا أصله الشمس
وهذا واحد من سبعة تحيا بها النفس
فمن محموله الجن * ومن موضوعه الانس
فقد بان الذى الغز * ت ما فى أمره لبس

وقال فى سلم

ما اسم مركب مفيد الوضع * مستعمل في الوصل لا في القطع
ينصب لكن أكثر استعمال من * يعني به في الخفض أو في الرفع
هو إذا خففته مغيرا * تراه شملا لم يزل ذا صدع
فالاسم إن طليته تجده في * خامسة من الطوال السبع
وهو إذا صحفته يعرب عن * مكسر في غير باب الجمع
له أخ أفضل منه لم تزل * آثاره محمودة في الشرع
هما جميعا من بني النجار والأفضل أصل في حنين الجذع
فها كه قد سطعت أنواره * لا سيما لكل ذاكي الطبع

وقال في مائدة

حاجيت كل فطن نظار * ما اسم لأنثى من بني النجار
وفي كتاب الله جاء ذكرها * فقلما يغفل عنها القاري
في خبر المهدي فاطلبها تجد * إن كنت من مطالعي الأخبار
ما هي إلا العبد عيد درجة * ونعمة ساطعة الأنوار
شركا في الاسم وصف حسن * من وصف قضب الروضة المعطار
فها كه كالشمس في وقت الضحى * فدشق منها حجب الاستار

(ثم قال لسان الدين) وأما نثره فطولات عرفت بما تحلاها من الأحوال متونها وقلت لمكان البديهة والاستعجال عيونها وقد اقتنصت جزأ منها سميته نافه من جم ونقطة من يم وولد بغرناطة في جمادى الأولى عام ثلاثة وسبعين وستمائة وتوفي ليلة الأربعاء الثالث والعشرين من شوال عام تسعة وأربعين وسبعمائة وأنشدت من نظمي في رثائه خامس يوم دفنه على قبره هذه القصيدة

ما للبراع خواضع الأعناق * طرق النعي فهن في إطراق
وكأنما أصبع الشحوب وجوهها * والسقم من جزع ومن إشفاق
ما للصحائف صوحت روضاتها * أسفا ولكن نضيرة الأوراق
ما للبيان كؤوسه مهجورة * غفل المدير لها ونام الساقي
ما لي عدمت تجلدي وتصبري * والصبر في الأزمات من أخلاقي
خطب أصاب بني البلاغة والحجا * شب الزفير به عن الأطواق
أما وقد أودى أبو الحسن الرضا * فالفضل قد أودى على الإطلاق
كنز المعارف لا تبيد نقوده * يوما ولا تفنى على الإنفاق
من للبدائع أصبحت سمر السرى * ما بين شام لاوري وعراق
من للبراع يجيل من خطيها * سمر العدا ومفاتح الأرزاق
قضب ذوابل مثمرات بالمنى * وأراقم ينفثن بالسترياق
من للرقاع الحمر يجمع حسنها * خجل الخدود وصبغة الأحداق
تغتال أحشاء العدو كأنها * صفحات دامية الغرار رقاق

(فلنذكر الآن جملا من أخبار البرامكة) لم يبلغ مبلغ خالد بن برمك أحد من ولده في جودة رأيه وبأسه وجميع خلاله لا يحيى في رأيه ولا الفضل في جوده ولا جعفر بن يحيى في كتابته وفصاحته ولا محمد ابن يحيى في رأيه وهمته ولا موسى بن يحيى في شجاعته وفيمن ذكرنا يقول الشاعر

أولاد يحيى بن خالد وهم * أربعة سيد ومتبوع
الخير فيهم إذا سألت بهم * مفرق فيهم ومجموع

ولما أفضت الخلافة إلى الرشيد استوزر البرامكة فاحتازوا الأموال دونه حتى كان يحتاج إلى اليسير من المال فلا يقدر عليه وكان إيقاعه بهم في سنة سبع وثمانين ومائة واختلف في سبب ذلك فقيل احتيازالأموال وأنهم أطلقوا رجلا من آل أبي طالب كان في أيديهم وقيل غير ذلك والله أعلم (ويحكى) أنه ورد على الرشيد يوما كتاب صاحب البريد بخراسان ويحيى بن خالد بين يديه يذكر فيه أن الفضل بن يحيى تشاغل بالصيد واللذات عن النظر في أمور الرعية فلما قرأه الرشيد رمى به ليحيى وقال له يا أبت اقرأ هذا الكتاب واكتب إليه كتابا يردعه عن مثل هذا فمد يده إلى دواة الرشيد وكتب إلى الفضل على ظهر كتاب الرشيد

وتهــز أعطاف الولى كأنها * راح مشعشعة براحة ساقى
من للفنون يجيل فى ميدانها * خيل البيان كريمة الأعراق
من للحقائق أبهمت أبوابها * للناس يفتحها على استغلاق
من للمساعى الغر تقصد جاهه * حرماً فينصرها على الاخفاق
كم شدّ من عقد وثيق حكمه * فى الله أو أفنى بحل وثاق
رحب الذراع بكل خطب فادح * أعيت رياضته على الحذاق
صعب المقادة فى الهوادة والهوى * سهل على العافين والطراق
ركب الطريق الى الجنان وحورها * يلقينه بتصافح وعناق
فاعجب لأنس فى مظنة وحشة * ومقام وصل فى مقام فراق
أمطيتا بمحامد العمل الرضى * ومكفنا بمكارم الاخلاق
ما كنت أحسب قبل نعشك أن أرى * رضوى تسير به على الاعناق
ما كنت أحسب قبل دفنك فى الثرى * ان اللحود خزائن الأعلاق
يا كوكب الهدى الذى من بعده * ركد الظلام بهذه الآفاق
يا واحداً مهما جرى فى حلبة * جلى بغرة سابق السباق
يا ثاويا بطن الضريح وذكره * أبداً رفيق ركائب ورفاق
يا غوث من وصل الصريخ فلم يجد * فى الارض من وزر ولا من واقى
ما كنت الا ديمة منشورة * من غير ارعاد ولا ابراق
ما كنت الا روضة ممطورة * ماشئت من ثمر ومن أوراق
يا ممزمعا عنا العشى ركابه * هلا ثويت ولو بقدر فواق
رفقا أبانا جل ما حملتنا * لا تنس فينا عادة الاشفاق
واسمع ولو بمزار لقى فى الكرى * تبقى بها منا على الارماق
واذا اللقاء تصرمت أسبابه * كان الخيال تعلة المشتاق
عجباً لنفس ودعتك وأيقنت * أن ليس بعد نواك يوم تلاقى
ما عذرها ان لم تقاسمك الردى * فى فضل كأس قد شربت دهاق
ان قصرت أجفاننا عن أن ترى * تبكى النجيع عليك باستحقاق
واستوقفت دهشا فان قلوبنا * نهضت بكل وظيفة الآماق
ثق بالوفاء على المدى من فتية * بك تقتدى فى العهد والميثاق
سجعت بما طوّقتها من منة * حتى زرت بحمائم الاطواق
تبكى فراقك خلوة عمرتها * بالذكر فى طفل وفى اشراق
أما الثناء على علاك فذائع * قد صح بالاجماع والاصفاق
والله قد قرن الثناء بأرضه * بثنائه من فوق سبع طباق
جادت ضريحك ديمة هطالة * تبكى عليه بوا كف رقراق
وتعمدتك من الاله سعادة * تسمو بروحك للمحل الراقى

حفظك الله يا بنى وأمتع بك قد انتهى الى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن النظر فى أمور الرعية ما أنكره فعاود ما هو أزين بك فانه من عاد الى ما يزينه لم يعرفه أهل دهره الا به والسلام وكتب فى أسفله هذه الابيات

انصب نهاراً فى طلاب العلا * واصبر على فقد لقاء الحبيب
حتى اذا الليل بدا مقبلا * واستترت فيه وجوه العيوب
فبادر الليل بما تشتهى * فانما الليل نهار الاريب
كم من فتى تحسبه ناسكا * يستقبل الليل بأمر عجيب
ألقى عليه الليل أستاره * فبات فى لهو وعيش خصيب
ولذة الاحمق مكشوفة * يسعى بها كل عدو رقيب

والرشيد ينظر الى ما يكتب فلما فرغ قال أبلغت يا أبت فلما ورد الكتاب على الفضل لم يفارق المسجد نهاراً الى أن انصرف عن عمله (قال) اسحق كنت عند الرشيد يوماً وأحضر البرامكة الشراب وأحضر يحيى بن خالد جارية فغنت

أرقت حتى كأنى أعشق الارقا * وذبت حتى كأن السقم لى خلقا
وفاض دمعى على قلبى فأغرقه * يا من رأى غرقا فى الماء محترقا

فقال الرشيد لمن هذا فقيل لخالد بن يزيد الكاتب قال خالد فأحضرت وقيل للجارية أعيدى فأعادت فقال لمن

ـذا فقلت لي يا أمير المؤمنين فبينا نحن كذلك اذ أقبلت وصيفة

صبرا بني الحباب ان فقيدكم * سيسر مقدمه بما هو لاقي
واذا الاسى لفح القلوب أواره * فالصبر والتسليم أي رواق

انشدني هذا الغرض الفقيه أبو عبد الله بن جزي

ألم تر أن المجد أقوت معالمه * فاطنابه قد قوضت ودعائمه
هوى من سماء المعلوات شهابها * وخانت جواد المكرمات قوائمه
وثلت من الفخر المشيد عروشه * وفلت من العز المنيع صوارمه
وعطل من حلى البلاغة قسها * وعرى من جود الانامل حاتمه
أجل انه الخطب الذي جل وقعه * وثلم غرب الدين والعلم جاهمه
والا فللنوم طار مطاره * وما للزيم الحزن قصت قوادمه
وما لصباح الانس أظلم نوره * وما لمحيا الدهر قطب باسمه
وما لدموع العين فضت كأنها * فواقع زهر والجفون كمائمه
قضى الله في قطب الرياسة أن قضى * فشتت ذاك الشمل من هو ناظمه
ومن قارع الايام سبعين حجة * ستنبو غراراه ويندق قائمه
وفي مثلها أعيا النطاسي طبه * وضل طريق الحزم في الرأي حازمه
تساوى جواد في رداه وباخل * فلا الجود واقيه ولا البخل عاصمه
وما نفعت رب الجياد كرامه * ولا منعت منه الغنى كرائمه
وكل تلاق فالفراق أمامه * وكل طلوع فالغروب ملازمه
وكيف مجال العقل في غير منفذ * اذا كان باني مصنع هو هادمه
ليبك عليه مستجير بعدله * يصاخ لشكواه ويحتم ظالمه
ليبك عليه مائح بحر علمه * يروى بانواع المعارف هائمه
ليبك عليه مظهر فضل نجمه * يحلأ عن ورد الماء ثم حائمه
ليبك عليه معتف جود كفه * يواسيه في أمواله ويقاسمه
ليبك عليه ليله وهو قائم * يكابده أو يومه وهو صائمه
ليبك عليه فصل كل بلاغة * يخلده في صفحة الطرس راقمه
وشخص ضئيل الجسم يرهب نفثه * ليوث الشرى في خيسها وضراغمه
تكفل بالرزق المقدر للورى * اذا الله أعطى فهو في الناس قاسمه
يسدده سهما وينضوه صارما * ويشرعه رمحا فكل يلائمه
اذا سال من شقيه سائل حبره * عما شاء منه سائل فهو عالمه
ليبك عليه اليوم من كان باكيا * فتلك مغانيه خلت ومعالمه
تقلده الملك عضب بلاغة * يقد السلوقي المضاعف صارمه
وقلده مثنى الوزارة فاكتفى * بها ألمعي حازم الرأي عازمه
ففي يده وهو الزعيم بحقها * براعته والمشرفي وخاتمه
سخي على العافين سهل قياده * أبي على العادين صعب شكائمه

ومقعدا وسخا وكل شئ عنده رثا وأنا أرى ان لسان النعمة انطق من لسانه وأن ظهور الصنيعة أمدح

معها تفاحة عليها مكتوب بغالية

سرورك الهاك عن موعدي
فصيرت تفاحتي تذكره

فاخذ الرشيد تفاحة وكتب عليها بغالية

تقاضيت وعدي ولم أنسه
فتفاحتي هذه معذره

ثم قال يا خالد قل في هذا شيأ فقال

تفاحة خرجت بالدر من فيها
أشهى الي من الدنيا وما فيها
بيضاء من حمرة غلت بغالية
كانما قطفت من خد مهديها

(حدث الجاحظ) عن أنس بن أبي شيخ قال ركب جعفر بن يحيى ذات يوم وأمر خادما له أن يحمل ألف دينار وقال سأجعل طريقي على الاصمعي فاذا حدثني فرأيتني ضحكت فاجعلها بين يديه ونزل جعفر عند الاصمعي فجعل يحدثه بكل أعجوبة ونادرة تطرب وتضحك فلم يضحك وخرج من عنده فقال له أنس رأيت منك عجبا أمرت بالف دينار للاصمعي وقد حركك بكل مضحكة وليس من عادتك ان ترد الى بيت مالك ما قد خرج عنه فقال له ويحك انه قد وصل اليه من أموالنا مائة ألف درهم قبل هذه المرة فرأيت في داره حبا مكسورا وعليه دراعة خلق

اذا اضلت الآراء فى ليل حادث * رآها برأى يصدع الخطب ناجمه
وقام بأمر الدين والملك حاميا * فذل معاديه وضل مراغمه
وقد كان نيط العلم والحلم والتقى * به وهو ما نيطت عليه تمائمه
ودوخ أعناق الليالى بهمة * يبيت ونجم الافق فيها يزاحمه
وزاد على بعد المنال تواضعا * أبى الله الا أن تتم مكارمه
سقيت الغوادى أى علم وحكمة * ودين متين ذلك القبر كاتمه
ومازال يستسقى بدعوتك الحيا * وهاهو يستسقى لقبرك ساجمه
بكت فقدك الكتاب اذ كان شملهم * يؤلفه من دوح فضلك ناعمه
وطوقتهم بالبر ثم سقيتهم * نداك فكمت الروض ناحت حمائمه
ويكيك منى ذاهب الصبر موجع * توقد فى جنبيه للحزن جاحمه
فتى نال منه الدهر الاوفاءه * فما وهنت فى حفظ عهد عزائمه
عليل الذى زرت عليه جيوبه * قريح الذى شدت عليه حزائمه
لقد كنت ألقى الخطب منه بجنة * تعارض دونى بأسه وتصادمه
سأصبر مضطرا وان عظم الاسى * أحارب حزنى مرة وأسالمه
وأهديك اذ عز اللقاء تحية * وطيب ثناء كالعبير نواسمه

وأنشد الفقيه القاضى أبو جعفر بن جزى قصيدة أولها

أبثكما والصبر للعهد ناكث * حديثا املته على الحوادث

وأنشد القاضى أبو بكر بن على القرشى قصيدة أولها

هى الآمال غايتها انفاد * وفى الغايات تمتاز الجياد

وأنشد الفقيه الكاتب القاضى أبو القاسم بن الحكم قصيدة أولها

لينع الحجا والحلم من كان ناعيا * ويرع العلا والعلم من كان راعيا

وهذه ثلاث قصائد مطولات يخرج استقصاؤها عن الغرض فكان هذا التأبين غريبا لم يتقدم به عهد بالحضرة لكونها دار ملك والتجلة فى مثل هذا مقصورة على أولى الامر انتهى ما لخصته من ترجمته فى الاحاطة ولنزد فنقول ومن ألغازه فى الدرهم

ما بغيض الى الكرام خصوصا * وحبيب الى الانام عموما
فاعجبوا منه كيف يحمى ويحمى * ويكف العدا ويغنى العديما
ان تغير شطريه فالاول اسم * يألف الضرع والغمام السجوما
و يكون الثانى كبير أناس * حطمته حياته تحطيما
فاذا ما قلبت أول شطر * رد منطوق لغزه مفهوما
واذا ما قلبت ثانى شطر * كان كفا وليس كفا رقيما
قلبه بعد حذفك الفاء منه * هو شئ يحال التحريما
أو صغير مستحسن لم يؤدب * ان تعلمه يقبل التعليما
فلتبين ما قلته ولتعين * و به فلتقم مقاما كريما

فعلى أى وجه أعطيه اذا كانت الصنيعة لم تظهر عنده ولم تنطق النعمة بالشكر وأهجى من مدحه وهجائه عنه وفى الرشيد وجعفر يقول الشاعر

أضاف الى بيعته بيعة * فقام بها جعفر وحده
بنو برمك أسسوا ملكه * وشدوا الوارثه عقده

وكان يحيى بن خالد ذا بحث ونظر وله مجلس يجتمع فيه أهل الكلام من أهل الاسلام وغيرهم من أهل النحل فقال لهم يحيى وقد اجتمعوا عنده قد أكثرتم الكلام فى الكون والظهور والقدم والحدوث والاثبات والنفى والحركة والسكون والمماسة والمباينة والوجود والعدم والجر والطفرة والاجسام والاعراض والتعديل والتجرير والكمية والكيفية والمضاف والامامة أنص هى أم اختيار وسائر ما توردونه من الكلام فى الاصول والفروع فقولوا الآن فى العشق على غير منازعة وليورد كل واحد منكم ما سنح له فيه وخطر بباله فقال على بن هيثم أيها الوزير العشق ثمر المشاكلة وهو دليل على تمازج الروحين وهو من بحر اللطافة ورقة الصنيعة وصفاء الجوهر والزيادة فيه نقصان من الجسد وقال أبو مالك الحضرمى وهو خارجى المذهب أيها الوزير العشق نفث السحر وقال

وقال فى المسك

ماظاهر طيب ولكن * ماأصله من ذوى الطهاره
من الظباء الحسان لكن * اذا تأملته فقاره
نص حديث الرسول فيه * شهادة تقتضى بشاره
تصحيفه بعد حذف حرف * منزلك الآهل العماره يعنى مبنى

وقال فى فلك

مااسم لشئ مرتقى * فى مغرب ومشرق
اذا حذفت فاءه * كان لك الذى بقى

وقال أيضا فى الفنار

مااسم اذا حذفت منه فاءه المتوعه
فاءه ابنة الزنا * مضافة لاربعه يعنى ابنة الزناد وهى النار

وقال فى النوم

مااسم مسماه به * يسقط حكم التكليف
وان نخلت البيت بالتصحيف حق التعنيف
وان أردت شبهه * فقلبه بالتصحيف
بينه فهوفى كتا * ب الله بادى التعريف

وقال فى غزال

حاجيتكم مااسم شئ * يروق فى الوصف حسنا
له محاسن شتى * منها فرادى ومثنى
٣ * له بل الشعر أثنى
مهما تنله بحذف * أتاك حرفا لمعنى
ان زال أول حرف * زال الذى منه يعنى
أوزال ثانيه منه * فالقتل أدهى وأفنى
أوزال ثالثه فهو للغوصب معنى
أوزال رابعه فالجهاد فيه تسنى
فأوضح القصد يامن * قدفاق عقلا وذهنا

وقال فى النمل

ماحيوان اسمه * قدجاء فى الذكر الحكيم
وهواذا قلبته * لمن به انت عليم
وان تصحف اسمه * فبعض اوصاف اللئيم

وقال فى دواة

ومااشئ يهارعى الرعايا * وامضاء المنايا والقضايا
وتقصدها بنوها من رضاع * اذاانبعثوا الابرام القضايا

صبيب المزن فى خلل الرمل تنقاد له العقول وتستكين له الآراء وقال أبو الهذيل وهو مغر بى أيها الوزير العشق يختم على النواظر و يطبع على الافئدة مرتعى فى الاجساد ومسرعة فى الاكباد وصاحبه منصرف الظنون متغير الاوهام لايصفوله موجود ولا يسلم له موعود تسرع اليه النوائب وهو جرعة من نقيع الموت وبقية من حياض الثكل غيرانه من أريحية تكون فى الطبع وطلاوة توجد فى الشمائل وصاحبه جواد لا يصغو الى داعية المنع ولا يسخ به نازع العذل وقال النظام ابراهيم بن يسار المعتزلى العشق أرق من الشراب وأدب من الشباب وهو من طينة عطرة عجنت فى اناء الحلى حلو المجتنى مااقتصد فاذا أفرط عاد اصلا قاتلا وفسادا معضلا لا يطمع فى اصلاحه له سحابة غزيرة على القلوب فتعشب شغفا وتثمر كلفا وصريعه دائم اللوعة ضيق المتنفس مشارف الزمن طويل الفكر اذا جنه الليل أرق واذا وضحه

٣ هكذا بياض بالاصل ولعله (المشرفية ثناء) تأمل اه من هامش الاصل المطبوع

ومن يليهم حتى طال الكلام فى العشق بالفاظ مختلفة ومعان تتقارب وتتناسب وفيما مر دليل عليه (قال المسعودى) تنازع الناس فى ابتداء وقوع الهوى وكيفيته وهل ذلك من نظر وسماع واختيار واضطرار وما علة وقوعه بعد أن لم يكن وزواله بعد كونه وهل ذلك فعل النفس الناطقة أو الجسم وطباعه فقال بقراط هو امتزاج النفسين كما لو امتزج الماء بماء مثله عسر تخليصه بحيلة من الاحتيال والنفس ألطف من الماء وأرق مسلكا فن أجل ذلك لا تزيله الليالى ولا تخلقه الدهور دق عن الاوهام مسلكه وخفى عن الابصار موضعه غير أن ابتداء حركته من القلب ثم تسير الى سائر الاعضاء فتظهر الرعدة فى الاطراف والصفرة فى الالوان واللجلجة فى الكلام والضعف فى الرأى حتى ينسب صاحبه الى النقص وذهب بعض الاطباء الى ان العشق طمع يتولد فى القلب وتجتمع اليه مواد الحكمة فاذا قوى زاد بصاحبه الاهتياج واللجاج والفكر والامانى ويبس الدماغ وذلك أن التمادى فى الطمع للدم محرق فاذا احترق استحال الى السوداء فاذا

لما اسم ان أزلت النقط منه * فعذنا بالله من شر البلايا
وان أبدلت آخره بهمز * فقد أبرأت نازلة الشكايا
وان بدلت أوله بنون * أتيت ببعض أرزاق المطايا
فأوضح ما رمزناه بفكر * سديد القصد مبد للخفايا

وقال فى سفينة

ماذات نفع وغناء عظيم * لها حديث فى الزمان القديم
أوحى بها الله الى عبده * فخذا فعل الرسول الكريم
دعا بها فيما مضى صالح * حسبك ما نص الكتاب الحكيم
وفى كتاب الله ترداده * فاقرأ تجده فى قضايا الكليم
ان أنت صحفت اسمها تلقه * محل انس أو بلاء مقيم
أو هو فعل لك فيما مضى * لكن اذا ابرأت داء السقيم
فها كه قد لاح برهانه * مبينا الكل فكر سليم

وقال فى المسك ايضا

كتبتم كثيرا ولم تكتبوا * كهذا الذى سبله واضحه
فما اسم جرى ذكره فى الكتاب * فان شئته فاقرأ الفاتحه
ففيها مصحف مقلوبه * يعبر عن حالة صالحه
ولست بغادية فاعلموا * ولكنها ابدا رائحه

و يعنى بقوله فى الفاتحة قوله اول الابيات كتبتم فافهم

وقال فى صقر

حاجيتكم ما اسم لبعض السباع * تصحيفه مالك به انتفاع
وعكسه ان شئت عكسا له * يوجد لكن عند دور السماع
وان تصحف بعد قلب له * فذهب يعزى لاهل النزاع
فبين الالغاز وارفع لنا * بنور فكر منك عنه القناع

وقال فى الحوت

ما حيوان فى اسمه * ان اعتبرته فنون
أحرفه ثلاثة * والكل منها هو نون
ان انت صحفت اسمه * فما جناه المذنبون
أو ابيض أو أسود * او صفة النفس الحزون
قلب اسمه مصحفا * عليه دارت السنون
كانت به فيما مضى * عبرة قوم يعقلون
اودع فيه زمنا * سر من السر المصون
فها كه كالنار فى الزند له فيها كمون

وقال فى لبن

أفديك ما اسم اذا ما * صحفته فهو سبع
وان تصحف بعكس * ففيه للقبط شرع
والاسم يعرب عما * لديه رى وشبع
في النحل يأتي ولكن * لا يتقي فيه لسع
فليس للنحل أصلا * ولا لما فيه فرع
فها كه قد تبدى * لجيبه عنه رفع

وقال في القلم

ومأموم به عرف الامام * كما باهت بصحبته الكرام
له اذ يرتوى طيشان صاد * ويسكن حين يعروه الاوام
ويذرى حين يستسقى دموعا * يرقن كما يروق الابتسام

وله رحمه الله تعالى كثير من هذا ولم أر أحدا أحكم الالغاز مثل ما احكمه ابن الجياب المذكور ولولا الاطالة لذكرت منها ما يستدل به على صحة الدعوى وفيما ذكرنا كفاية

*(ومن نظم الرئيس ابن الجياب المذكور) في رثاء عمر بن علي بن عتيق القرشي الهاشمي الغرناطي قوله

قضى الامر فيا نفس اصبري * صبر تسليم لحكم القدر
وعزاء يا فؤادي انه * حكم ملك قاهر مقتدر
حكمة أحكمها تدبيره * نحن منها في سبيل السفر
أجل مقدر ليس يستقدم يوما ولا مستأخر
أحسن الله عزاء كل ذي * خشية لربه في عمر
في امامنا التقي الخاشع الطاهر الذات الزكي السير
قرشي هاشمي منتقى * من صميم الشرف المطهر
يشهد الليل عليه أنه * دائم الذكر طويل السهر
في صلاة بعثت وفودها * زمر المصطفى من مضر
قائما وراكعا وساجدا * لطلوع فجره المنفجر
جمع الرحمن شملنا غدا * بحبيب الله خير البشر
وتلقته وفود رحمة الله تأتي بالرضا والبشر انتهى

قلت هذا النظم وان ردما فيه من الزحاف فله من الوعظ وذكر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم خير لحاف *قال لسان الدين ولما نظم القاضي أبو بكر بن شبرين بيت الكتابة وما ألف الجملة هذين البيتين

ألا يا محب المصطفى زد صبابة * وضمخ لسان الذكر منك بطيبه
ولا تعبأن بالمبطلين فانما * علامة حب الله حب حبيبه

وأخذ الاصحاب في تذييل ذلك قال الشيخ الرئيس أبو الحسن بن الجياب رحمه الله تعالى ورضي عنه

طباع السوداء فتختلط الكيموسات فحينئذ يشتد ما به فيموت أو يقتل نفسه وربما شهق فتخفى روحه أربعا وعشرين ساعة فيظن انه مات فيصير حيا وربما تنفس الصعداء فتخفى روحه في تامور قلبه وينضم القلب ولا ينفرج حتى يموت وربما ارتاح وتشوق ونظر الى من يحب فجأة وقد يرى العاشق اذا سمع ذكر من يحب كيف يموت دمه ويحول لونه وقال بعضهم ان الله خلق كل روح مدورة على هيئة الكرة وجزأها انصافا وجعل لكل نصف جسدا فكل جسد لقي قسيمه وهو ذلك النصف من الكرة كان بينهما عشق المناسبة القديمة وقال نبينا صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وذهب ما قوم الى تعتقده العرب في ذلك ومنه قول جميل في بثينة

تعلق روحي روحها قبل خلقها
ومن قبل ما كنا نطافا وفي المهد
فزاد كما زدنا فأصبح ناميا
وليس وان متنا بمنتقض العهد

فيه على طريق واحدة والاحمق لا يجري على ترتيب ولا يجوز أن يتفق فيه اثنان ولا يختلفان وقسم بعض العرب الهوى فقال

ثلاثة أحباب فحب علاقة
وحب لتملاق وحب هو القتل

وقال الصوفية ببغداد ان الله عز وجل انما امتحن الناس بالهوى ليأخذوا أنفسهم بطاعة من يهوونه ليشق عليهم سخطه ويسرهم رضاه فيستدلوا بذلك على قدر طاعة الله اذ كان لا مثل له ولا نظير فاذا أوجبوا على أنفسهم طاعة سواه كان تعالى أحرى أن يتبع رضاه وللباطنية المتصوفة في هذا كلام كثير وقال افلاطون ما ادري ما الهوى غير انه جنون والهوى لا محمود ولا مذموم * وكتب بعض الكتاب الى أخ له اني صادفت منك جوهر نفسي فأنا غير محمود على الانقياد اليك لان النفس يتبع بعضها بعضا وللناس ممن خلف وسلف من الفلاسفة والفلكيين والاسلاميين وغيرهم كلام كثير في العشق قد أتينا على ذلك في كتابنا أخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الدائرة وانما خرجنا عما ذكرنا فيه آنفا من أخبار البرامكة أعمال

فمن يعمر الاوقات طرا بذكره * فليس نصيب في الهدى كنصيبه
ومن كان عنه معرضا طول عمره * فكيف يرجيه شفيع ذنوبه

وقال أبو القاسم بن أبي العافية

أليس الذي جلى دجى الجهل هديه * بنور أقنا بعد منهدى به
ومن لم يكن من ذاته شكر منعم * فشهده في الناس مثل مغيبه

وقال ابو بكر بن ارقم

نبي هدانا من ضلال وحيرة * الى مرتقى سامي المحل خصيبه
فهل ينكر الملهوف فضل مجيره * ويغمط شاكي الداء شكر طبيبه

فانتهى القول الى الخطيب ابي محمد بن ابي المجد فقال

ومن قال مغرور اجابك ذكره * فذلك مغمور طريد عيوبه
وذكر رسول الله فرض مؤكد * وكل محق قائل بوجوبه

وقال يوما الشيخ ابو الحسن بن الجياب تجربة للخاطر على العادة

جاهد النفس جاهدا فاذا ما * فنيت منك فهو عين الوجود
وليكن حكمها المسدد فيها * حكم سعد في قتله لليهود

فاجابه ابو محمد بن ابي المجد بقوله

ايها العارف المعبر ذوقا * عن معان عزيزة في الوجود
ان حال الفناء عن كل غير * كمقام المراد غير المريد
كيف لي بالجهاد غير معان * وعدوي مظاهر بجنود
ولو اني حكمت فيمن ذكرتم * حكم سعد لكنت جد سعيد
فاراها حياتها بي فتونا * واراني في حبها كيزيد
كيف اسلو بحكم عن هواها * ولو ابدت فعل المحب الودود
ليس شيء سوى الهك يبقى * واعتبر صدق ذا بقول لبيد انتهى

وابن أبي المجد المذكور هو عبد الله بن عبد البر بن علي بن سليمان بن محمد بن اشعث الرعيني من ارجدونة من كورة رية يكنى ابا محمد ويعرف بابن ابي المجد كان من اعلام الكورة سلفا وصلاحا ونباهة في الصالحين كثير الايثار عاتبس ما بح التخلق حسن السمت طيب النفس حسن الظن له حظ من الادب والفقه والقراآت والفرائض وخوض في التصوف قطع عمره خطيبا وقاضيا ببلده ووزيرا قرأ على الاستاذ ابي جعفر بن الزبير وابن ابي فضيلة المعافري وابن رشيد واجازه طائفة كبيرة توفي ليلة النصف من شعبان عام تسعة وثلاثين وسبعمائة رحمه الله تعالى (رجع) ومن نظم ابن الجياب ما كتب على باب المدرسة العلمية بغرناطة

ياطالب العلم هذا بابه فتحا * فادخل تشاهد سناه لاح شمس ضحى
واشكر مجيرك من حل ومرتحل * اذ قرب الله من مرماك مانزحا
وشرفت حضرة الاسلام مدرسة * بها سبيل الهدى والعلم قد وضحا

أعمال يوسف مولانا ونيته * قد طرزت صحفا ميرانها رجحا

ومنه قوله

أبى الله الا أن تكون اليد العليا * لاندلس من غير شرط ولا ثنيا
وان هي عضتها بنوب نوائب * فصيرت الشهد المشور بها شريا
فما عدمت أهل البلاغة والحجا * يقيمون فيها الرسم للدين والدنيا
اذا خطبوا قاموا بكل بليغة * تحلي التلوب الغلف والاعين العميا
وان شعروا جاؤا بكل غريبة * تخال النجوم النيرات لها حليا
فأسأل فى الدنيا من الله ستره * علينا وفى الاخرى اذا حانت اللقيا

وقال أبو الحسن بن الجياب

أرى الدهر فى أطواره متقلبا * فلا تأمن الدهر يوما فتخدعا
فما هو الامثل ما قال قائل * مكرمفر مقبل مدبر معا

(وحكى) أنه أهدى له الفقيه ابن قطبة رمانا ثم دخل عليه عائدا فلما رآه قال له يا فقيه نعم بالمدينة رمانك أراد نعمت المدينة رمانك وكان هذا قبل موته من مرضه بيسير وهو مما يدل على ثبوت ذهنه حتى قرب الموت سامحه الله تعالى *(ومن نثر ابن الجياب رحمه الله تعالى) ما كتبه عن سلطانه الى بعض سلاطين وقته وهو السلطان أبو سعيد المريني صاحب فاس ونصه المقام لدى الملك المنصور الاعلام والفضل الثابت الاحكام والمجد الذى أشرقت به وجوه الايام والفخر الذى تتدارس أخباره بين الركن والمقام والعز الذى تعلو به كلمة الاسلام مقام محل الاب الواجب الاكبار والاعظام السلطان الكذا أبقاه الله فى ملك منيع الذمار وسعد باهر الانوار ومجد رفيع المقدار وسلطان عزيز الانصار كريم المآثر والآثار كفيل بالاعلاء لدين الله والاظهار معظم مقامه وموقره ومجل سلطانه ومكبره المثنى على فضله الذى أربى على ظاهره مضمره الشاكر لمجده الذى كرم أثره المعتد بأبوته العلية فى كل ما يقدمه ويؤخره ويورده ويصدره الداعي الى الله تعالى بطول بقائه فى سعد سام مظاهره حام عسكره فلان سلام كريم طيب برعميم يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله الذى أولاكم ملكا منصورا وفخرا مشهورا وأحيا بدولتكم العلية لمكارم الاخلاق ذكرا منشورا والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذى اختاره بشيرا ونذيرا وشرح بهدايته صدورا وجعل الملأ الاعلى له ظهيرا والرضا عن آله وصحبه الذين ظاهروه فى حياته وخلفوه فى أمته بعد وفاته فنالوا فى الحالين فضلا مسطورا وأجرا موفورا والدعاء لمقامكم الاعلى أسماه الله تعالى بنصر لا يزال به الاسلام محبوا محبورا وسعد يملأ أرجاء البسيطة نورا فكتبته كتب الله لكم عوائد السعادة وحباكم من آلائه بالحسنى والزيادة من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولبس بفضل الله سبحانه ثم ببركة مقامكم أيده الله تعالى سلطانه الا الخير الاكمل والبر الاشمل والحمد لله كثيرا كما هو أهله فلا فضل الا فضله واما الذى عندنا معظم أمركم من الاعظام لمقامكم والاكبار والثناء المردد المجدد على توالى الاعصار والشكر الذى تتلى سوره آناء الليل والنهار والعلم بما لكم

أخبارهم واتساق أيامهم وانتظامها لهم بالسعود ثم انعكاسها الى النحوس ذكر ذوي معرفة بأخبار البرامكة أنه لما بلغ جعفر ابن يحيى بن خالد بن برمك ويحيى بن خالد والفضل وغيرهم من آل برمك ما بلغوا فى الملك وتناهوا فى الرياسة واستقامت لهم الامور حتى قيل ان أيامهم عروس وسرور دائم لا يزول قال الرشيد لجعفر بن يحيى ويحك يا جعفر ليس فى الارض طلعة أنا بها آنس ولا اليها أميل وأنا بها أشد استمتاعا وأنسا منى برؤيتك وان للعباسة أختى منى موقعا ليس بدون ذلك وقد نظرت فى أمري معكما فوجدتنى لا أصبر عنك ولا عنها ورأيتنى ناقص الحظ والسرور منك يوم أكون معها وكذلك حكمى فى يوم كونى معك دونها وقد رأيت شيأ يجتمع لى به السرور وتتكانف لى به اللذة والانس فقال وفقك الله يا أمير المؤمنين وعزم لك على الرشد فى أمورك كلها قال له الرشيد قد زوجتكها تزويجا تملك به مجالستها والنظر اليها والاجتماع بها فى مجلس أنا معكما فيه فزوجه الرشيد

بعد امتناع كان من جعفر اليه فى ذلك وأتى فأشهد له من حضره من خدمه وخاصة مواليه وأخذ

من المكارم التي سار ذكرها في الأقطار أشهر من المثل السيار والاعتداد بسلطانكم العلي في الإعلان والإسرار والاستناد إلى جنابكم الكريم في الأقوال والأفعال والأخبار فذلك لا يزال بحمد الله تعالى محفوظاً لهم محفوظاً بعين الاستبصار والله ولي العون على ذلك بفضله وطوله والي هذا أيد الله تعالى سلطانكم ومهد أوطانكم فقد تقدمت مطالعة مقامكم أسماه الله أن ملك قشتالة دس من يتحدث في عقد صلح يعود بالمدنة على البلاد ويرفع به عنها ما كابدته من جهة الأعداء وقدرنا أولاً أن ذلك ليس على ظاهر الحال فيه وأنه يبدي به غير ما يخفيه ولكن جرينا معه في ذلك المضمار قصداً للتشوف على الأخبار فلما دار الحديث في هذا الحكم ظهر منه أنه قد جنح للسلم وكان خديمنا تقروز بحكم الاتفاق قد ورد اشبيلية لبعض أشغاله فاستحضره وأخذ معه في أمر الصلح وشرح أحواله وأعاده إلى معظمكم ليستفهم ما عنده ويعلم مذهبه وقصده فأعيد إليه بأنه إن أراد المصالحة على صلح والده مع هذه الدار النصرية من غير زيادة على شروط تلك القضية ولا يعرض لاسترجاع معقل من المعاقل التي أخلصت من يد النصرانية وأن يكون عقده على الجزيرة الخضراء ورندة وغيرهما من البلاد الأندلسية فلا بد من مطالعة محل والدنا السلطان أمير المسلمين أبي سعيد أيده الله واستطلاع ما يراه وحينئذ نعمل بحسب نظره الجميل ومقتضاه وأكد على تقروز في أنه إن انقاد لهذا الأمر فليعقد معه هدنة لا بد من الدهر بقدر ما يتسع لتعريفكم بهذه الحال وإعلامكم ويستطلع فيها نظر مقامكم فما هو إلا أن عاد يوم تاريخ هذا الكتاب ملك قشتالة وقد أطلب إلى الصلح وانقاد إليه على حسب ما شرط عليه وأعطى مهادنة مدة شهر قبر ليعرف فيها مقامكم ويعلم ما لديه ووافق ذلك وصول الشيخ الفقيه الأجل أبي عبد الله بن حشية أعزه الله من بابكم الكريم أسماه الله فأخذ معه في هذا القصد واستفهم عما لديه من مقامكم في ذلك من الإمضاء أو الرد فذكر أنكم قد أذنتم لمعظمكم في عقد السلم على ما يراه من الأحكام إذ ظهر فيها المصلحة لأهل الإسلام فلما عرف مذهبكم الصائب وقصدكم الناجح رأى أن يوجه إلى ملك النصارى من يخلص معه حال الصلح على ما يعود إن شاء الله تعالى على المسلمين بالنجح وقدم تعريفكم بما دار من الحديث بين يدي جوابكم الوافد من مقامكم بحجة الفقيه أبي عبد الله أعزه الله تعالى ولا يخفى على مقامكم حاجة هذه البلاد في الوقت إلى هدنة يستدرك بها رمقها مما لقيته من جهد الحرب وما حل بها في هذه السنين من القحط والجدب والصلاح بحمد الله في هذه الحال بادي الظهور وإلى الله عاقبة الأمور هذا ما تزيد لدى معظم مقامكم وما يتزيد بعد فليس إلا المبادرة إلى مطالعتكم وإعلامكم وما كان إمساك الفقيه أبي عبد الله بن حشية في هذه الأيام إلا انتظار خبر الصلح حتى يأتيكم به مستوفى الشرح وها هو قد أخذ في الرجوع إلى بابكم الأسمى والقدوم إلى حضرتكم العظمى والله يصل سعودكم ويحرس وجودكم ويبلغكم أملكم ومقصودكم والسلام ﴿ومن إنشاء ابن الجياب رحمه الله تعالى﴾ في العزاء بالسلطان أبي الحسن المريني ما صورته بعد الصدر أما بعد حمد الله الواحد القهار الحي القيوم حياة لا تتقيد بالأعصار القادر الذي كل شيء في قبضة قدرته محصور بحكم الاضطرار الغني في ملكوته فلا

بيت الأول وأمير المؤمنين الرشيد ثالثهما فخلف له جعفر على ذلك ورضي به وألزمه نفسه وكانوا يجتمعون على هذه الحالة التي وصفنا وجعفر في ذلك صارف بصره عنها مزورو بوجهه هيبة لأمير المؤمنين ووفاء بعهده وأيمانه ومواثيقه على ما واثقه الرشيد عليه وعلقته العباسة وأضمرت الاحتيال عليه وكتبت إليه رقعة فأزال رسومها وتهددها وعادت فعاد بمثل ذلك فلما استحكم اليأس عليها قصدت لأمه ولم تكن بالحازمة فاستمالتها بالهدايا من نفيس الجواهر والألطاف وما أشبه ذلك من كثرة المال وألطاف الملوك حتى إذا ظنت أنها لها في الطاعة كالأمة وفي النصيحة والإشفاق كالوالدة ألقت إليها طرفاً من الأمر الذي تريده وأعلمتها ما لها في ذلك من جزيل العاقبة وما لها من الفخر والشرف بمصاهرة أمير المؤمنين وأوهمتها أن هذا الأمر إذا وقع كان به أمان لها ولولدها من زوال النعمة وسقوط مرتبته فاستجابت لها أم جعفر ووعدتها إعمال

الحيلة في ذلك وأنها تلطف لها حتى تجمع بينهما فأقبلت على جعفر يوماً فقالت له يا بني قد وصفت

بقه لاحق الافتقار المريد الذى بارادته تصريف الاقدار وتقدير الآجال والاعمار
العالم الذى لاتعزب عن علمه خفايا الاسرار وخبايا الافكار مالك الملك وأهله ومدبر
الامور بحكمته وعدله تذكرة لاولى الالباب عبرة لاولى الابصار خالق الموت والحياة
نقلنا من دار الفناء الى دار القرار والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المصطفى
المختار الذى نهتدى بهديه الكريم فى الايراد والاصدار والاحلاء والامرار فى الشدة
والرخاء والسراء والضراء بسيره الكريمة الآثار ونتعزى بالمصيبة به عمادهم من
المصائب الكبار ونقدم منه الى ربنا شفيعا ماحيا للاوزار وآخذا بالحجز عن النار ونعلم
أننا باتباع سبيله نسعد سعادة الابرار وباقامة ملته وحماية شرعه ننال مرضاة الملك الغفار
والرضا عن آله وصحبه وأوليائه وحزبه الذين ظاهروه فى حياته على اقامة الحق الساطع
الانوار وخلفوه فى أمته قائمين بالعدل حامين للذمار والدعاء لمحل أبينا والدكم المقدس
قدس الله روحه وبرد ضريحه بالرحمة التى تتعهد روضته التى هى أذكى من الروض المعطار
والرضوان الذى يتبوأ به متبوأ أصدق فى الملوك المجاهدين الاخيار ولمقامكم الاعلى بسعادة
المقدار وتمهيد السلطان وبلوغ الاوطار فانا كتبناه كتب الله لكم عوائد النصر وربط
على قلبكم بالصبر من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى عندما تحقق لدينا النبأ الذى فت فى
الاعضاد وشب نار الاكباد والحادث الذى هد أعظم الاطواد وزلزل الارض الراسية
الاوتاد والواقع الذى لولا وجودكم لحارسم الاجواد وعطل رسوم الجهاد وكسا الآفاق
ثوب الحداد والخطب الذى ضاقت له الارض بما رحبت وأمرت الدنيا بما عذبت من
وفاة محل أبينا أكرم ملوك المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين والدكم أتحفه الله تعالى
برود رضاه وجعل جنته نزله ومثواه ونفعه بما أسلف من الاعمال الكريمه وما خلده من الآثار
العظيمه فانا لله وانا اليه راجعون تسليما لما قضاه ورضاء بما أنفذه وأمضاه وعند الله
نحتسب منه والدا شفيقا حانيا رفيقا لم يزل يولى الجميل قوله وفعله ويصل لنا من أسباب
عنايته ما اقتضاه فضله وما هو أحق به وأهله وكنا طول حياته لم نجد أثر الفقد الوالد
لما أولانا من جميل العوائد وكرم المقاصد جزاه الله أحسن جزائه وأعاننا على توفية حقه
وأدائه ولمثل هذه المصيبة ولا مثل لها تظلم الارجاء ويضيق الفضاء وتبكيه مسومة
الجياد ومعالم الجهاد والسيوف فى الاغماد وشتى العباد والبلاد فلا تسألوا كيف
هو عندنا موقع هذا الخطب العظيم والحادث المقعد المقيم والرزية التى لا رزية مثلها
والحادثة التى أصيبت بها الملة وأهلها فوجدنا الفقد يتضاعف مع الآناء ويتجدد
تذكار ما أسلف من أعمال الملوك الفضلاء ولكنه أمر حتم وقضاء من الله جزم وسبيل
يسلك عليها الاول والآخر والآني والغابر وليس الا التسليم لما حكم به الحكيم العليم
ولما انتهى الينا هذا النبأ الذى ملأ القلب حسره والعين عبره وتواترت شتى الانباء
وغلب اليأس فيها على الرجاء وجدنا له ما يوجد لفقد الاب الذى ابتدأ بالاحسان والاجمال
وأولى عوارف القبول والاقبال ولكنه ما أطفأ نار ذلك الوجد وجبر كسر ذلك الفقد
الا ما من الله به علينا وعلى المسلمين من تقلدكم ذلك الملك الذى بكم سمت معالمه وقامت

ووصيفة فى بعض القصور من تربية الملوك قد بلغت فى الادب والمعرفة والظرف
والحلاوة مع الجمال الرائع
والقد البارع والخصال
المحمودة مالم ير مثله وقد
عزمت على اشترائها لك
وقد قرب الامر بينى وبين
مالكها فاستقبل كلامها
بالقبول وعلقت قلبه
وتطلعت اليها نفسه
وجعلت تمطله حتى اشتد
شوقه وقويت شهوته
وهو فى ذلك يلح عليها فلما
علمت أنه قد عجز عن الصبر
واشتد به القلق قالت له أنا
مهديتها اليك ليلة كذا
وكذا وبعثت الى العباسة
فأعلمتها بذلك فتأهبت
وسارت اليها تلك الليلة
وانصرف جعفر من عند
الرشيد وقد بقى فى نفسه من
الشراب فضلة لما عزم
عليه فدخل منزله وسأل
عن الجارية فخبر بمكانها
فأدخلت على فتى سكران لم
يكن يصور تها عالما ولا على
خلقها واقفا فقام اليها
فواقعها فلما قضى اليها
حاجته قالت له كيف
رأيت حيل بنات الملوك
قال وأى بنات الملوك تعنين
وهو يرى انها من بعض
بنات الملوك فقالت أنا
مولاتك العباسة بنت
المهدى فوثب فزعا قد زال
عنه سكره وفارقه عقله فاقبل
عليها وقال لقد بعتنى بالثمن
الرخيص وحملتنى على المركب الوعر وانظرى ما يؤول اليه حالى وانصرفت مشتملة منه على

مراسمه وعليكم انعقد الاجماع وبولايتكم استبشرت الاصقاع وكيف لا تستبشر بولاية الملك الصالح الخاشع الاوّاب صاحب الحرب والمحراب عدة الاسلام وعلم الاعلام من ثبتت فضائله أوضح من محيا النهار وسارت مكارمه في الآفاق أشهر من المثل السيار وقد كان محل أبينا والدكم رضي الله عنه لما علم من فضائلكم الكريمة الآثار وماقتم به من حقه الذي وفيتموه توفية الصلحاء الابرار ألقى اليكم مقاليد سلطانه وآثر اليكم أثر قبوله ورضوانه حتى انفصل عن الدنيا وقد ألبسكم من أثواب رضاه ما تنالون به قرة العين وعز الدارين والظفر بكلتا الحسنيين فتلك المملكة بحمد الله تعالى قد قام بها حامي ذمارها وابن خيارها ومطلع أنوارها الملك الرضي العدل الطاهر قوّام الدياجي وصوّام الهواجر حسنة هذا الزمان ونخبة ذلك البيت المؤسس على التقوى والرضوان فالحمد لله على أن جبر بكم صدع الايمان وانتضى منكم سيفا مسلولا على عبدة الصلبان وأقر بكم ملك آبائكم الملوك الاعاظم وتدارك بولايتكم أمر هذا الرزء المتفاقم فان فقدنا أعظم مفقود فقد ظفرنا بأكرم مقصود وما مات من أبقى منكم سلالة طاهرة تحيي سنن المعالي والمكارم وتعمل على شاكلة أسلافها الاكارم فتلك المملكة قد أصبحت بحمد الله ونور سعدكم في أرجائها طالع وسيف بأسكم في أعدائها قاطع وعزمكم الامضى لامرها جامع مانع قد أوت منكم الى الملجا الاحمى واستمسكت بأيالتكم العظمى وعرفت انكم ستبدون فيها من آثار دينكم المتين وفضلكم المبين ومعاليكم القاطعة البراهين ما يملؤها عدلا واحسانا وتبلغ به آمالها مثنى ووحدانا فهنيئا لها أن صارت في ملككم وأن تشرفت بملككم وألقت مقاليدها الى من يحمي حماها ويدفع عداها وليهن ذلك المقام الاعلى ما أولاه من العز المكين وما قلده من الملك الذي هو نظام الدنيا والدين وأن أعطاه راية الجهاد فتلقاها باليمين لينصر بها ملة الرسول الصادق الامين فله الفخر بذلك على جميع السلاطين وأما هذه البلاد الاندلسية حماها الله فهي وان فقدت من السلطان الاعلى أبي سعيد أكرم ظهير ووقع مصابه منها بمحل كبير فقد لجأت منكم الى من يحميها ويكف بأس أعاديها ويبتغي مرضاة خالقها فيها فلكم بحمد الله تعالى مقتبل الشباب جديد الاثواب عريق الانساب أصيل الاحساب ومجدكم جار على أعراقه جري الجياد العراب وانا لما ورد علينا هذا النبأ معقبا بهذه البشرى ووفد علينا ذلك الخبر مردفا بهذه المسرة الكبرى علمنا أن الله سبحانه قد رأب ذلك الصدع بهذا الصنع الجميل وتلافى ذلك الخطب بذلك الخير الجزيل فأخذنا من مساهمتكم في الامور النصيب الوافر ورأينا أن آمالنا منكم قد جلت عن محياها السافر وعينا للوفادة على بابكم لينوب عنا في العزاء والهناء عين الاعيان الفضلاء ووجه القوّاد والرؤساء * ولنقتصر على هذا المقدار من كلام الرئيس ابن الجياب رحمه الله تعالى ويظهر لي أن نظمه أعلى طبقة من نثره وعلى كل حال فهو لا يتكلف نظما ولا نثرا رحمه الله تعالى ورضي عنه وعامله بمحض فضله * (ومن أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى) الفقيه الكاتب البارع العلامة النحوي اللغوي صاحب العلامة بالمغرب الشهير الرئيس أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي قال في الاحاطة فيه ما ملخصه

حمل ثم ولدت غلاما فوكلت به خادما من خدمها يقال له رياش وحاضنة تسمى برة فلما خافت ظهور الخبر وانتشاره وجهت الصبي والخادم والحاضنة الى مكة وأمرتها بتربيته وطالت مدة جعفر وغلب هو وأبوه واخوته على أمر المملكة وكانت زبيدة من الرشيد بالمنزلة التي لا يتقدمها أحد من نظرائها وكان يحيي بن خالد لا يزال يتفقد أمر حرم الرشيد ويمنعهن من خدمة الخدم فشكت زبيدة الى الرشيد فقال ليحيي بن خالد يا أبت ما بال أم جعفر تشكوك فقال يا أمير المؤمنين أمتهم أنا في حرمك وتدبير منزلك عندك فقال لا والله قال فلا تقبل قولها قال الرشيد فلست أعاودك فازداد يحيي لها منعا وعليها في ذلك غلظة وكان يأمر بقفل أبواب الحرم بالليل ويمضي بالمفاتيح الى منزله فبلغ ذلك من أم جعفر كل مبلغ فدخلت ذات يوم على الرشيد فقالت يا أمير المؤمنين ما يحمل يحيي على ما لا يزال تفعل من منعه اياي من خدمي ووضعه اياي في غير موضعي فقال لها الرشيد يحيي عندي غير متهم في حرمي فقالت ان كان كذلك لحفظ ابنه مما ارتكبه فقال وماذاك فخبرته وقصت عليه قصة العباسة مع جعفر فسقط في يده وقال لها هل لك على ذلك من دليل وشاهد

ـد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمـد بن علي بن محمد بن عبد الله بن محمد الحضرمي أبو
شيخنا الرئيس صاحب القلم الاعلى بالمغرب من الاكليل تاج المفرق وفخر المغرب على
رق أطلع منه نورا أضاءت له الآفاق وأثر منه بذخيرة حلت أحاديثها الرفاق
ـث من مجد سامي المصاعد والمراقب عز بزعن لحاق النجم الثاقب وسلف زينت
ـوه بنجوم المناقب نشأ بسبتة بلده بين علم يفيده وفخر يشيده وطهارة يلتحف مطارفها
ورياسة يتفيأ وارفها وأبوه رحمه الله تعالى قطب مدارها ومقام حجها واعتمارها فسلك
الوعور من المعارف والسهول وبذ على حداثة سنه الكهول فلما تحلى من الفوائد
العلمية بما تحلى واشتهر اشتهار الصباح اذا تجلى تنافست فيه همم الملوك الاخيار
واستأثرت به الدول على عادتها في الاستئثار بالذخائر فاستقلت بالسياسة ذراعه وأخدم
الذوابل والسيوف يراعه وكان عين الملك التي بها يبصر ولسانه الذي يسهب به أو
يختصر وقد تقدمت له الى هذه البلاد الوفاده وحلت به عليها الافاده وكتب عن بعض
ملوكها وانتظم في عقودها الرفيعة وسلوكها وله في الآداب الراية الخافقه والعقود
المتناسقه ومشيخته حافلة لتزيد عن الاحصاء وشعره منحط عن محله من العلم والشهرة وان
كان داخلا تحت طور الاجادة فمن ذلك قوله

تراءى سحيرا والنسيم عليل * وللنجم طرف بالصباح كليل
وللفجر نهر خاضه الليل فاغتدت * شوى ادهم الظلماء منه تجول
بريق باعلى الرقمتين كأنه * طلائع شهب في السماء تجول
فمزق ساجي الليل منه شرارة * وخرق ستر الغيم منه نصول
تبسم ثغر الروض عند ابتسامه * وفاضت عيون للغمام همول
ومالت غصون البان نشوى كأنها * يدار عليها من صباه شمول
وغنت على تلك الغصون حمائم * لهن حفيف فوقها وهديل
اذا سجعت في لحنها ثم قرقرت * يطيح خفيف دونها وثقيل
سقى الله ربعا لا يزال يشوقني * اليه رسوم دونها وطلول
وجاد رباه كلما ذر شارق * من الودق هتان اجش هطول
ومالي استسقي الغمام ومدمعي * سفوح على تلك العراص همول
وعاذلة باتت تلوم على السرى * وتكثر من تعذالها وتطيل
تقول الى كم ذا فراق وغربة * ونأي على ماخيلت ورحيل
ذريني أسعى للتي تكسب العلا * سناء وتبقي الذكر وهو جميل
فاما تريني من ممارسة الهوى * نحيلا فحد المشرفي نحيل
وفوق أنابيب اليراعة صعدة * تزين وفي قد القناة ذبول
ولولا السرى لم يجتل البدر كاملا * ولا بات منه للسعود نزيل
ولولا اغتراب المرء في طلب العلا * لما كان نحو المجد منه وصول
ولولا نوال ابن الحكيم محمد * لاصبح ربع المجد وهو محيل

ت وأي دليل أدل من الولد قالت وقد كان ههنا فلما خافت ظهور أمره وجهته
الى مكة فقال لها فيعلم
هذا أحد غيرك قالت
ما في قصرك جارية الا وقد
علمت به فأمسك على
ذلك وطوى عليه كشحا
وأظهر أنه يريد الحج فخرج
هو وجعفر بن يحيى وكتبت
العباسة الى الخادم
والحاضنة أن يخرجا بالصبي
الى اليمن فلما صار الرشيد
الى مكة وكل من يثق به
بالفحص والبحث عن أمره
فوجد الامر صحيحا فلما قضى
حجه ورجع اضمر في البرامكة
على ازالة نعمهم فأقام
ببغداد مدة ثم خرج
الى الانبار فلما كان في اليوم
الذي عزم فيه على قتل
جعفر دعا بالسندي بن
شاهك فأمره بالمضي الى
مدينة السلام والتوكيل
بدور البرامكة ودور كتابهم
وقراباتهم وان يجعل ذلك
سرا من حيث لا يكلم أحدا
حتى يصل الى بغداد ثم
يفضي بذلك الى من يثق به من
أهله وأعوانه فامتثل
السندي ذلك وقعد الرشيد
وجعفر عنده في موضع يعرف
في الانبار بالعمر فأقاما
يومهما بأحسن هيئة وأطيب
عيش فلما انصرف جعفر
من عنده خرج الرشيد حتى
ركب مشيعا له ثم رجع
فمضى جعفر الى منزله وفيه

فضلة الشراب ودعا بابي بكار الاعمى الطنبوري وابن أبي نجيح كاتبه ومدت ستارة وجلس جواريه

وزير سما فوق السماك جلالة * وليس له الا النجوم قبيل
من القوم أمالى الندى فانهم * هضاب وأمالى الندى فيول
حووا شرف العلياء ارثا ومكسبا * وطابت فروع منهم وأصول
وماجونة هطالة ذات هيدب * مرتها شمال مرجف وقبول
لها زجل من رعدها ولوامع * من البرق عنها العيون كلول
كما هدرت وسط القلاص وأرسلت * شقاشقها عند الهياج فحول
بأجود من كف الوزير محمد * اذا ما توالت للسنين محول
ولا روضة بالحزن طيبة الشذا * ينم عليها اذخر وجليل
وقد أذكيت للزهر فيها مجامر * تعطر منها للنسيم ذيول
وفى مقل النوار للطل عبرة * ترددها أجفانها وتحيل
بأطيب من أخلاقه الغر كلما * تفاقم خطب للزمان يهول
حويت أبا عبد الاله مناقبا * تفوت يدا من رامها وتطول
فغر بناطة مصر وأنت خصيبها * ونائل يمناك الكريمة نيل
فداك رجال حاولوا درك العلا * ببخل وهل نال العلاء بخيل
تخيرك المولى وزيرا وناصحا * فكان له مما أراد حصول
وألقى مقاليد الامور مفوضا * اليك فلم يعدم يمينك سول
وقام بحفظ الملك منك مؤيد * نهوض بما أعياسواك كفيل
وساس الرعايا منك أشوس باسل * مبيد العدا للمعتفين منيل
وأبلج وقاد الجبين كأنما * على وجنتيه للنضار مسيل
تهيم به العلياء حتى كأنها * بثينته فى الحب وهو جميل
له عزمات لو أعير مضاءها * حسام لما نالت ظباه فلول
سرى ذكره فى الخافقين فأصبحت * اليه قلوب العالمين تميل
وأعدى قريضى جوده وثناؤه * فأصبح فى أقصى البلاد يجول
اليك أبا عبد الوزارة ارقلت * برحلى هوجاء النجاء ذلول
فليت الى لقياك ناصية الفلا * بأيدى ركاب سيرهن ذميل
تسددنى سهما لكل ثنية * ضوامر أشباه القسى نحول
وقد لفظتنى الارض حتى رمت الى * ذراك برحلى هوجل وهجول
فقيدت أفراسى به وركائبى * ولذ مقام لى به وحلول
وقد كنت ذا نفس عزوف وهمة * عليها لاحداث الزمان دخول
وتهوى العلا حظى وتغرى بضده * لذلك عرته رقة ونحول
وتأبى لى الايام الا ادالة * فصونك لى ان الزمان مديل
فكل خضوع فى جنابك عزة * وكل اعتزاز قد عداك خمول

وقال

أبت همتى أن يرانى امرؤ * على الدهر يوما له ذا خضوع

اذا ماهمتهم أن يظهروا ما قد دفنا وأمر الرشيد من ساعته ياسرا خادمه المعروف بوخلة فقال له انى أندبك لامر لم أر محمدا ولا القاسم له أهلا ولا موضعا ورأيتك به مستقلا ناهضا فحقق ظنى واحذر أن تخالفنى فقال ياأمير المؤمنين لو أمرتنى أن أدخل السيف فى بطنى وأخرجه من ظهرى بين يديك لفعلت فمر بأمرك فانى والله مسرع فقال ألست تعرف جعفر بن يحيى البرمكى قال ياأمير المؤمنين وهل أعرف سواه أو ينكر مثل جعفر قال ألم تر تشييعى اياه عند خروجه قال بلى قال فامض الساعة اليه فائتنى برأسه على أى حالة تجده عليها فأرتج على ياسر الكلام وأخذته رعدة ووقف لا يحير جوابا فقال ياياسر ألم أتقدم اليك بترك الخلاف على قال بلى ياأمير المؤمنين ولكن الخطب أجل من ذلك والامر الذى ندبنى اليه أمير المؤمنين وددت لو أنى كنت مت قبل أن يجرى على يدى منه شئ فقال دع عنك هذا وامض لما قد أمرتك فمضى ياسر حتى دخل على جعفر وهو على حال لهوه فقال له ان أمير المؤمنين قد أمرنى فيك بكيت وكيت فقال جعفر

وماذاك الا لاني اتقيت * بعز القناعة ذل الخشوع

ه بسبتة عام ستة وسبعين وستمائة وتوفي بتونس ثاني عشر شوال عام تسعة بعين وسبعمائة في الطاعون وكانت جنازته مشهورة رحمه الله تعالى انتهى (وحكى) ن السلطان أبا الحسن المريني سب الشيخ عبد المهيمن الحضرمي بمجلس كتابه فأخذ عبد المهيمن القلم وكسره وقال هذا هو الجامع بيني و بينك ثم ان السلطان أبا الحسن ندم وأفضل عليه وخجل مما صدر منه وكان عبد المهيمن ينطق بالكلام معربا ويرتفع نسبه الى العلاء بن الحضرمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصل سلفه من اليمن وكان جده الاعلى عبدون لحقه الضيم ببلده فارتحل الى المغرب فنزل سبتة ولعبد المهيمن الحضرمي شيوخ أجلاء كابن الربيع النحوي وابن الشاط وابن مسعود وغيرهم وكان ذا سعد وسودد حسن الخط رأيت خطه باجازته لابي عبد الله بن مرزوق وغيره وكان عالي الهمة سريا أعطى المنصب حقه وكان لا يحتمل الضيم واحتقار العلم وكان سريع الجواب حكى أن القاضي المليلي وأبا محمد عبد المهيمن الحضرمي المذكور وصاحب العلامة للسلطان أبي الحسن حضرا مجلس السلطان فجرى ذكر الفقيه ابن عبد الرزاق فقال المليلي جمع من الفنون كذا حتى وضع يده على أبي محمد عبد المهيمن وقال مخاطبا للسلطان ويكتب لك أحسن من ذا فوضع عبد المهيمن يده على المليلي وقال نعم يا مولاي ويقضي لك أحسن من ذا (وقال) ابن الخطيب القسمطيني الشهير بابن قنفذ في وفياته ما نصه وفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة توفي الشيخ الراوية المحدث الكاتب أبو محمد عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد بن علي بن محمد الحضرمي السبتي ومن أشياخه الاستاذ ابن أبي الربيع وابن الغماز وابن صالح الكناني وغيرهم من الاعلام انتهى وقال غيره ان والد عبد المهيمن توفي غرة صفر سنة اثنتي عشرة وسبعمائة رحمه الله تعالى (وحكى) أن الشيخ أبا محمد عبد المهيمن ذكر يوما بني العزفي فأثنى عليهم فقال له أحد الحسنيين وكان بينهم شيء انهم كانوا يحبون أهل البيت فكيف حبك أنت لهم يعني لاهل البيت فقال أحبهم حب الشرع لا حب التشيع انتهى قيل يعني بالعزفيين أهل الدولة الثانية وأما أهل الاولى فكانوا من المختصين بمحبة الآل وهم احدثوا بالمغرب تعظيم ليلة الميلاد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام ومن أغرب ما وقع للرئيس عبد المهيمن الحضرمي من التشبيه قوله

لقد راقني مرأى بسجلماسة الذي * يقر له في حسنه كل منصف

كأن رؤس النخل في عرصاتها * فواتح سورات بآخر مصحف

وهذا من التشبيه العقيم الذي لم يسبق اليه فيما أظن وكان سبب قوله ذلك أن السلطان أمير المسلمين أبا الحسن المريني لما تحرك لقتال أخيه السلطان أبي علي عمر بسجلماسة وظفر به استمطر أنواء أفكار الكتاب وغيرهم في تشبيه النخل فقال عبد المهيمن ما مر فلم يترك مقالا لقائل وقد أنشد الحافظ ابن مرزوق الحفيد قال أنشدني شيخنا ولي الدين الرئيس أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي لشيخه الرئيس أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي السبتي رحمه الله تعالى قوله

من عقله شيئا ولا ظننته شرب خمرا الى يومه مع ما رأيت من عبارته قال له فان لي عليك حقوقا لم تجد لها مكافاة وقتا من الاوقات الا هذا الوقت قال تجدني الى ذلك سريعا الا فيما خالف أمير المؤمنين قال فارجع اليه فأعلمه انك قد نفذت ما امرك به فان اصبح نادما كانت حياتي على يديك جارية وكانت لك عندي نعمة مجددة وان اصبح على مثل هذا الراي نفذت ما امرت به في غد قال ليس الى ذلك سبيل قال فأصير معك الى مضرب امير المؤمنين حتى اقف بحيث اسمع كلامه ومراجعته اياك فاذا ابديت عذرا ولم يقنع الا بمصيرك اليه برأسي خرجت فأخذت رأسي من قرب قال له أما هذا فنعم فمضيا جميعا الى مضرب الرشيد فدخل اليه ياسر فقال قد أخذت راسه يا امير المؤمنين وها هو ذا بالحضرة فقال له ائتني به والا والله قتلتك قبله فخرج فقال اسمعت الكلام قال نعم فشأنك وما امرت به فأخرج جعفر من كمه منديلا صغيرا فعصب به عينيه ومد رقبته فضربها وأدخل راسه الى الرشيد فلما راى الراس بين يديه اقبل عليه وجعل يذكره بذنوبه ثم قال يا ياسر ائتني بفلان

يخفى الفقير وغنى الناس قاطبة * باب الغنى كذا حكم المقادير
واعما الناس أمثال الفراش فهم * يلفون حيث مصابيح الدنانير

قلت ورأيت هذين البيتين فى كتاب دوح الشحر وروح الشعر للعالم الكاتب ابن الجياب منسوبين لابى المتوكل الهيثم بن أحمد السكونى الاشبيلى قال أنشدنى أبو الحجاج الحافظ قال أنشدنى الهيثم فذكر البيتين وكان تاريخ وفاته قبل أن يخلق عبد المهيمن فتعين أن البيتين لسامن نظمه وانما تمثل بهما ونسبتهما له وهم لا محالة والله أعلم وأما المشتهر على الالسنة بالمغرب من أن أباحيان مدح عبد المهيمن بقوله

ليس فى الغرب عالم * مثل عبد المهيمن
نحن فى العلم اسوة * أنا منه وهو منى

فقد نسبه ابن غازى الى أبى حيان كما اشتهر لكن تاريخ مرور أبى حيان بالمغرب كان قبل ظهور عبد المهيمن بلا خفاء وهو عندى محمول على أحد أمرين أن المراد عبد المهيمن جد عبد المهيمن المذكور أو أن أباحيان كتب بالبيتين من مصر بعدما ظهر عبد المهيمن وصارت له الرياسة بالمغرب اذ أبو حيان عاش الى ذلك الزمان بلا ريب ولذا لما ذكر لسان الدين بن الخطيب فى كتابه الكتيبة الكامنة فى أنباء أهل المائة الثامنة الشيخ أباحيان قال وهذا الرجل طالت حياته حتى أجاز ولدى * ولعبد المهيمن المذكور أخبار غير ما قدمناه منع منها الاختصار وقد ألف الخطيب ابن مرزوق باسم ولد ولده فهرسته المشهورة وحلاه فى صدرها أحسن حلية وهو أهل لذلك وقد ذكره مولاى الجد فى شيوخه كما تقدم وقال فيه انه امام الحديث والعربية وكاتب الدولة العثمانية والعلوية فلتراجع ذلك فيما سبق فى ترجمة الجد وأبو سعيد بن عبد المهيمن كان عالى الهمة كأبيه ولما بويع السلطان أبو عنان طلب منه أن يكون مرتسما فى جملة كتاب بابه فامتنع وقال لا أكون تحت حكم غيرى وعنى بذلك أن أباه كان رئيس الكتاب فكيف يكون هو مرؤسا بغيره فلم ترض همته رحمه الله تعالى الا رتبة أبيه أو الترك وارتحل أبو سعيد محمد المذكور وكان فقيها عالما من فاس لسبتة الى أن توفى بها سنة ٧٨٧ وكان قليل الكلام جميل الرواء حسن الهيئة والبزة والشكل روى عن والده وعن الجبار وكتب له سنة ٧٢٤ وروى عن الفقيه أبى الحسن بن سليمان والرحالة ابن جابر الوادى آشى وابن رشيد وغيرهم وابن أبى سعيد هذا اسمه عبد المهيمن كجده وكان صاحب القلم الاعلى روى عن أبيه وجده وغيرهما رحم الله الجميع *(ومن أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى)* الامام العلامة قاضى الجماعة أبو البركات ابن الحاج البلفيقى نادرة الزمان وشاعر ذلك الاوان وهو محمد بن محمد بن ابراهيم بن محمد ابن الشيخ الولى أبى اسحق بن الحاج البلفيقى وكان أبو البركات أحد رجال الكمال علما ومجدا وسوددا موروثا ومكتسبا وقد عرف به فى الاحاطة بترجمة مدفيها النفس وكتب ابنه على أول الترجمة ماصورته رحمك الله تعالى يا فقيه الاندلس وحسيبها وصدرها وشيخها وبرد ضريحك فلله ما أفدت من نادرة وأكسبت من فائدة انتهى (وحكى) فى الاحاطة أنه لما استسقى وحصلت

الى الرشيد فى تلك الليلة فلما ادخلت اليه قال يا أصمعى قد قلت شعرا فاسمعه قلت نعم يا أمير المؤمنين فانشد
لو أن جعفر هاب أسباب الردى
لنجا بمهجته طمره لجم
ولكان من حذر المنون بحيث لا
يسمو اليه الغراب القشعم
لكنه لما تقرب وقته
لم يدفع الحدثان عنه منجم
قال الاصمعى ورجعت الى منزلى فلم أصر اليه حتى تحدث الناس بقتل جعفر وأصيب على باب قصر على بن عيسى ابن ماهان بخراسان فى صبيحة الليلة التى قتل فيها جعفر رقعة بالبر امكة مكتوب بقلم جليل
ان المساكين بنو برمك
صبت عليهم غير الدهر
ان لنا فى أمرهم عبرة
فليعتبر ساكن ذا القصر
(قال المسعودى) وكان مدة دولة البرامكة وسلطانهم وأيامهم النضرة الحسنة من استخلاف هرون الرشيد الى أن قتل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك سبع عشرة سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما وقد تهم الشعراء فمن ذلك قول على بن أبى معاذ يا أيها المغتر بالدهر * والدهر ذو صرف وذو غدر

الاجابة أنشده لسان الدين

ظمئت الى السقيا الاباطح والربا * حتى دعونا العام عاما مجدبا

والغيث مسدول الحجاب وانما * علم الغمام قدومكم فتأدبا

ثم ذكر في الاحاطة تأليف أبي البركات وشعره الى أن قال وحكيا عن أبي البركات ما صورته ومما نظمته وقد أكثروا من التعجب للازومي البناء وحفر الآبار

في احتفار الاساس والآبار * وانتقال التراب والاحجار

وقعودي ما بين رمل وآجر وجص والطوب والاحجار

وامتهاني بردي بالطين والما * ورأسي ولحيتي بالغبار

نشوة لم تمر قط على قلب خليع وما لها من خمار

من غريب البناء أن بنيه * متعبون يهوون طول النهار

يبتغون الوصال من صانعيه * والبدار اليه كل البدار

فاذا حل في ذراهم تراهم * يشتهون منه بعيد المزار

من عذيري من لائمي في بنائي * وهو لي الترجمان عن أخباري

ليس يدري معناه من ليس يدري * أن ما عنده على مقدار

أقتدي بالذي يقول بناها * ذلك الخالق الحكيم الباري

وبمن رفع القواعد من بيت عتيق للحج والزوار

وبمن كان ذا جدار وقد كا * ن أبوه من صالحي الابرار

وبما قد أقامه الخضر المخصوص علما بباطن الاسرار

كان تحت الجدار كنز وما أد * راك ما كان تحت كنز الجدار

وبمن قد مضى من ابائي الغر الالى شيدوا رفيع المنار

فالذي قد بنوه تبني له مثلا ويجري له على مضمار

قد بنينا من المساجد دهرا * ثم نبني لجارها خير جار

مثل ما قد بنيت للعد أمثا * ل مبانيهم بكل اعتبار

فالمباني لسان حالي ولي فيها لعمري ذكر من الاذكار

روح أعمالنا المقاصد لكن * حيث تخفى تخفى مع الاعذار

فعسى من قضى ببنيان هذي الدار يقضي لنا بعقبى الدار

ثم قال في الاحاطة بعد كلام ومن نظمه في الانحاء على نفسه واستبعاد وجود المطالب في جنسه قال مما نظمته يوم عرفة عام خمسين وسبعمائة وأنا منزو في غار ببعض جبال المرية

زعموا أن في الجبال رجالا * صالحين قالوا من الابدال

وادعوا ان كل من ساح فيها * فسيلقاهم على كل حال

فاخترقنا تلك الجبال مرارا * بنعال طورا وطورا دون نعال

ما رأينا بها خلاف الافاعي * وشبا عقرب كمثل النبال

وسباع يجرون بالليل عدوا * لا تسلني عنهم بتلك الليالي

لا تأمن الدهر وصولاته * وكن من الدهر على حذر ان كنت ذا جهل بتصريفه * فانظر الى المصلوب بالجسر

فان فيه عبرة فاعتبر
يا ذا الحجا والعقل والفكر
وخذ من الدنيا صفا عيشها
واجر مع الدهر كما يجري
كان وزير القائم المرتضى
وذا الحجا والفضل والذكر
وكانت الدنيا بأقطارها
اليه في البر وفي البحر
يشيد الملك بآرائه
وكان فيه نافذ الامر
فبينما جعفر في ملكه
عشية الجمعة بالقصر
يطير في الدنيا بأجناحه
بأهل طول الخلد والعمر
اذ عثر الدهر به عثرة
يا ويلنا من عثرة الدهر
وزلت النعل به زلة
كانت له قاصمة الظهر
فغودر البائس في ليلة السبت قتيلا مطلع الفجر
وأصبح الفضل بن يحيى وقد
أحيط بالشيخ وما يدري
وجيء بالشيخ وأولاده
يحيى معا في الغل والاسر
وآل برمكيين وأتباعهم
من كان في الآفاق والمصر
كأنما كانوا على موعد
كوعد الناس الى الحشر
وأصبحوا للناس أحدوثة
سبحان ذي السلطان والامر
وقال
الى ان أرحنا واستراحت ركابنا
وأمسك من يجدي ومن كان يجتدي

فقل للمطايا قد أمنت من السرى * وطي الفيافي فدفدا بعد فدفد ودونك سيفا برمكيا مهندا * أصيب بسيف هاشمي مهند

ولولانا كنا الذى العدوة الاخـــــرى رأينا نواجذ الرئبال

واذا أظلم الدجا جاءنا بليـــــس الينا نزور طيف خيال

هو كان الأنيس فيها ولولا * ه أصيبت عقولنا بالخبال

خل عنك المحال يامن تعنى * ليس يلقى الرجال غير الرجال انتهى

وجمع شعره وسماه العذب والاجاج من كلام أبى البركات بن الحاج وسمى أبو القاسم الشريف ما استخرجه منه باللؤلؤ والمرجان من بحر أبى البركات بن الحاج يستخرجان ومن نظم الشيخ أبى البركات بن الحاج قوله رحمه الله تعالى

ألا ليت شعرى هل لما أنا أرتجى * من الله فى يوم الجـــزاء بلاغ

وكيف لمثلى أن ينال وسيلة * لها فى سبيل الصالحين مراغ

وكم رمت دهرى فتح باب عبادة * يكون بها فى الفائزين مساغ

فكدت ولم أفعل وكيف وليس لى الـ ــسعيان فيها صحـــــة وفراغ

لا صبحت من قوم دعاهم الى الرضا * منادى الهدى فاستنكروه فراغوا

اباغ ترى أخراه من بزدهيه من * زخارف دنياه الدنية باغ

ويضرب صفحا عن حقيقة ماطوت * فليهيه زور وقد أتته مصاغ

اذا مابدا للرشد نهج بيانه * براع به من وحشة فيراغ

فيارب رد العفو هب لى اذا غلت * من الحر فى يوم الحساب دماغ

فمن حرق للنفس فيه لواعج * ومن خجل للوجد فيه صباغ

وعظتك نفسى لو أنبت وفى الذى * وعظت به لو ترعوين بلاغ

وأنشد القاضى أبو البركات فى هذا الروى قول شيخه الاستاذ أبى على بن سليمان القرطبى

ألا هل الى ما أبتغيه بلاغ * وكيف يرى يوما اليه فراغ

وقد قطعت دونى قواطع جة * أراع لها مهما جرت وأراع

ومالى الاعفو ربى وفضله * ففيه الى ما أرتجيه بلاغ

وكان القاضى أبو البركات من بيت كبير ما لمواصلاح اوزهدا وجده الامام الولى العارف سيدى أبو اسحق بن الحاج أشهر من نار على علم وقبره مشهور بعراكش وقد زرته بها وله كرامات مشهورة (وحكى) فى مزية المرية من كراماته جملة قال حفيده الشيخ أبو البركات دخلت على الشيخ الصالح العابد المجتهد الحاج أبى عبد الله محمد بن على البكرى المعروف بابن الحاج فى منزله بالمرية عائدا قال أظنه فى مرضه الذى مات فيه فقال له حين ساله عن حاله ادع لى فقلت له ياسيدى بل أنت تدعو لى فقال لى شرح الله صدرك ونور قلبك بنور معرفته فمن عرف الله لم يذكر غيره فقد حكى سيدى أبو جعفر بن مكنون عن جدك قال كنت مع سيدى أبى اسحق بن الحاج بمراكش فقال لى هل ترى فى المنام شيأ فقلت نعم أرى كانى فى المرية أمشى من الدار الى المسجد ومن كذا الى كذا فاعرض عنى وقال ألا ترى الا الله قال ثم مربه فى أثناء كلامه ابنه محمد فقال لى رأيت هذا والله ما أدرى أن لى ابنا حتى يمر بى ولا اذكره اذا غاب عنى ولا ارى الا الله انتهى * ومن تا ليف ابى البركات رحمه الله تعالى كتاب ذكر فيه اخبار سلفه رضى الله عنهم وذكر جملة من كرامات جده سيدى ابى اسحق المذكور نفعنا الله به ومن شعر جده المذكور

وقال فيهم مسلم الخاسر

هوت أنجم كانت لابناء برمك * بها يعرف الهادى طويل المسالك

وقال فيهم صالح الاعرابى

لقد خان هذا الدهر أبناء برمك * وأى ملوك لم تخنها دهورها

ألم يك يحيى والى الارض كلها * فأضحى كمن وارته منها قبورها

وقال فيهم أبو حزرة الاعرابى وقيل أبو نواس

مارمى الدهر آل برمك لما * أن رمى ملكهم بأمر بديع

ان دهرا لم يرع حقا ليحيى * غير راع حقا لآل الربيع

وقال

يا بنى برمك واها لكم * ولأيامكم المقتبله

وقال اشجع فيهم

ولى عن الدنيا بنو برمك * فلو توالى الناس ما زادا

كانما أيامهم كلها * كانت لأهل الارض أعيادا

وقال منصور اليمنى

أبدت بنى برمك لدينا * تبكى عليهم بكل وادى

كانت بهم برهة عروسا * فاضحت الارض فى حداد

وقال دعبل

ألم تر صرف الدهر فى آل برمك * وفى ابن نهيك والقرون التى تخلو

وقال أشجع فيهم أيضا

قد سار دهر بنى برمك * ولم يدع فيهم لنا القيا

المذكور قوله

الاكرم الله البلاد بخطبة * هموحسنات الدهر لانابهم خطب
رعايتهم فرض على كل مسلم * وحبهم وحقا قد اوجبه الرب
اذاما سألت الله شيأ فسل بهم * فتعظيمهم قرب وغيبتهم حوب

وقوله

شكا فشكا قلبي خبالا مبرحا * على غير علم كان من شكواه
وما التقت الاسرار الا بجامع * من النعت سلطان الحقيقة سواه
فيا فرحة المجهود ان بات سره * وسر الذى يهواه مأواه ماواه
ومن أجله قد كان بالبعد راضيا * فكيف ترى مغناه والقلب مثواه
بدا فبدت أعلام ضدين في الهوى * هما عجب لولا الدليل وفحواه
برؤيته فارقت موتى لبعده * ومت بها من أجل علمى بيلواه
فها أنا حى ميت بلقائه * ولم ينج من لم يسعد الفهم نجواه
اذا لم تكن أنت الحبيب بعينه * رضا وعتابا ضل من قال يهواه
وأكذب ما يلفى الفتى وهو صادق * اذا لم يحقق بالافاعيل دعواه

وقوله رضي الله تعالى عنه

الحب في الله نور يستضاء به * والمعبر في ذاته نور على نور
جنب أخا حدث في الدين ذا غير * ان المغير في نكس وتغيير
حاشى الديانة أن تبنى على جبل * سبحان خالقنا من قول مثبور
ان الحقائق لا تبدو لمبتدع * كذا المعارف لاتهدى لمغرور
تالله لو أبصرت عيناه أو ظفرت * يمناه ماظل في ظن وتقدير
حقق ترى عجبا ان كنت ذا أدب * ولا يغرنك الجهال بالزور
ان الطريقة في التنزيل واضحة * وماتواتر من وحى ومشهور
فافهم هديت هدى الرحمن واهده * هدى يفيدك يوم النفخ في الصور

وقوله صدر رسالة وجه بها الى ابنه محمد أيام قراءته باشبيلية

اذا شئت ان تحظى بوصلى وقربتى * تجنب قرين السوء واصرم حباله
وسابق الى الخيرات واسلك سبيلها * وحصل علوم الدين واعرف رجاله

وكان رحمه الله تعالى كثيرا ما يتمثل ببيتى مهيار الديلمى وهما

ومن عجب أنى احن اليهم * وأسأل شوقا عنهمو وهمو معى
وتبكيهم عينى وهم في سوادها * ويشكو النوى قلبى وهم بين أضلعى

وحدث القاضى أبو البركات حفيده عن ابن خميس التلمسانى المتقدم الذكر قال سمعت بعض الاشياخ يقول كان الشيخ أبو اسحق البلفيقى الكبير يقول اجتمع لنا في الله أربعون ألف صاحب (وحكى) الشيخ أبو البركات المذكور عن الشيخ الصالح الحاج الصوفى أبى الاصبغ ابن عزرة قال هذه صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أخذتها عن رابك الشيخ الصالح الحاج أبى عبد الله محمد بن على بن الحاج مشافهة وقال لى انها صلاة أبى اسحق بن الحاج جدك وهى

الى الله فيما نابنا نرفع الشكوى
ففى يده كشف المضرة والبلوى
خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها
فلا نحن في الاموات فيها ولا الاحيا
اذا جاءنا السجان يوما لحاجة
عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

وكان الرشيد كثيرا ما ينشد بعد نكبة البرامكة

ان سهامنا اذا وقعت
لبقدر ما تعلو بها رتبه
واذا بدت للنمل اجنحة
حتى يطير فقد دنا عطبه

وقال محمد بن عبد الرحمن الهاشمى دخلت على والدتى يوم نحر فوجدتها وعندها برزة متكلمة فقالت لى أتعرف هذه قلت لا قالت هذه عبادة أم جعفر بن يحيى فاقبلت عليها بوجهى أحدثها واعظمها ثم قلت لها يا أماه ما أعجب ما رأيت فقالت يا بنى لقد أتى على عيد مثل هذا وأنا على رأسى أربعمائة وصيفة وانى أعد ابنى عاقا ولقد أتى على هذا العيد وما أتمنى سوى جلدشاتين أفترش أحدهما والتحف الآخر قال فدفعت اليها خمسمائة درهم فكادت تموت فرحا بها ولم تزل تختلف الينا حتى فرق الموت بيننا (وحكى) عن بعض عمومة الرشيد أنه صار الى يحيى عند تغير الرشيد له قبل الايقاع بهم

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة دائمة مستمرة تدوم بدوامك وتبقى ببقائك وتخلد بخلودك ولا غاية لها دون مرضاتك ولا جزاء لقائلها ومصليها غير جنتك والنظر الى وجهك الكريم (ونقل) أبو البركات المذكور عن جده أنه كان يستفتح مجلسه بالمرية بهذا الدعاء اللهم اجعلنا في عياذ منك منيع وحصن حصين وولاية جميلة حتى تبلغنا آجالنا مستورين محفوظين مبشرين برضوانك يوم لقائك قال وفي وسط الدعاء وآخره وأكفنا عدونا ابليس وأعداءنا من الجن والانس بعافيتنا وسلامتنا * وكان الشيخ رضي الله عنه يواصل أربعين يوما * ومن مآثره انه بنى ثمانية عشر جبا في مواضع متفرقة ونحو عشرين مسجدا وبنى أكثر سور حصن بلفيق كل ذلك من ماله * وقال رضي الله عنه في بعض رسائله الصوفي عبارة عن رجل عدل تقي صالح زاهد غير منتسب لسبب من الاسباب ولا مخل بأدب من الآداب قد عرف شانه وزمانه وملكت مكارم الاخلاق عنانه لا ينتصر لنفسه ولا يتفكر في غده وأمسه العلم خليله والقرآن دليله والحق حفيظه ووكيله نظره الى الخلق بالرحمه ونظاره الى نفسه بالحذر والتهمه انتهى وأحوال هذا الشيخ عجيبة وكراماته شهيرة وانما ذكرنا هذا النزر اليسير تبركا بذكره رضي الله عنه في هذا الكتاب وتطفلا على رب الارباب أن ينفعنا بامثاله ويحقق لنا النجاة والمتاب انه على ذلك قدير (رجع الى أخبار أبي البركات) ولما وقع بينه وبين ابن صفوان ما يقع بين المتعاصرين رد عليه ابن صفوان فانتصر لابي البركات بعض طلبته بتاليف سماه شواظ من نار ونحاس يرسل على من لم يعرف قدره وتعدى غيره من الناس وهو قدر رسالة الشيخ أو أطول وألفى على ظهره بخط الشيخ أبي البركات ما صورته

قد شبع الكلب كما يبغي * من حجر صلد ومن مقرع
فان يعد من بعد ذا للذى * قد كان منه فهو ممن نعي

ومن بديع نظم الشيخ أبي البركات رحمه الله تعالى قوله

يلومونني بعد العذار على الهوى * ومثلي في وجدي له لا يفند
يقولون أمسك عنه قد ذهب الصبا * وكيف أرى الامساك والخيط أسود

وقوله في الجبنات

ومصفرة الخدين مطوية الحشى * على الجبن والمصفر يؤذن بالخوف
لها بهجة كالشمس عند طلوعها * ولكنها في الجبن تغرب في الجوف

وفي هذين البيتين تورية متعددة (وحدث) القاضي أبو البركات انه لما أراد الانصراف عن سبتة قال له السيد الشريف أبو العباس رحمه الله متى عزمت على الرحيل فانشد أبو البركات

أما الرحيل فدون بعد غد * فمتى تقول الدار تجمعنا

فانشد الشريف رحمه الله تعالى

لا مرحبا بغد ولا أهلا به * ان كان تفريق الاحبة في غد

(وحكى) أن السيد أبا العباس الشريف المذكور ساير القاضي أبا البركات في بعض أسفاره

وأموالهم فعلتها لامير المؤمنين وتقربت بها رجوت ان يكون لك السلامة وان يرجع لك أمير المؤمنين فقال له يحيي والله لأن تزول النعمة عني أحب الي من أن أزيلها عن قوم كنت سببها اليهم (وذكر) الخليل بن الهيثم وكان قد وكله الرشيد بيحيى والفضل في الحبس قال أتاني مسرور الخادم ومعه جماعة من الخدم ومع خادم منهم منديل ملفوف فسبق الى نفسي ان الرشيد قد تعطف عليهم فوجه اليهم بلطف فقال لي مسرور أخرج الفضل بن يحيي فلما مثل بين يديه قال ان أمير المؤمنين يقول لك انى قد أمرتك ان تصدقني عن أموالكم فزعمت انك قد فعلت وقد صح عندي أنك أبقيت لك اموالا وقد أمرت مسرورا ان لم تطلعه عليها أن يضربك مائتي سوط فقال له الفضل فعلت والله يا أبا هاشم فقال له مسرور يا أبا العباس ارى لك ان لا تؤثر مالك على مهجتك فاني لا آمن أن انفذ ما أمرت به فيك ان آتي على نفسك فرفع الفضل رأسه الى السماء وقال له يا أبا هاشم ما كذبت أمير المؤمنين ولو كانت الدنيا لي وخيرت بين الخروج

زمن الشباب ببر الاندلس أعاده الله تعالى فلما انتهيا الى قرية ترليانة وأدركهما النصب واشتد عليهما حر الهجير نزلا وأكلا من باكر التين الذى هنالك وشربا من ذلك الماء العذب واستلقى أبو البركات على ظهره تحت شجرة مستظلا بظلها ثم التفت الى السيد أبى العباس وقال

ماذا تقول فدتك النفس فى حالى * يفنى زمانى فى حل وترحال

وأرتج عليه فقال لابى العباس أجز فقال بديها

كذا النفوس اللواتى العز يصحبها * لا ترتضى بمقام دون آمال
دعها تسير فى الفيافى والقفار الى * أن تبلغ السؤل أو موتا بتجوال
الموت أهون من عيش لدى زمن * يعلى اللئيم ويدنى الاشرف العالى

ولما أوقع الشيخ أبو البركات على زوجه الحرة العربية أم العباس عائشة بنت الوزير المرحوم أبى عبد الله محمد بن ابراهيم الكنانى ثم المغيلى طلقة كتب بخطه ما نصه بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آل محمد يقول عبد الله الراجى رحمته محمد المدعو بأبى البركات بن الحاج خار الله له ولطف به ان الله جلت قدرته لما أنشأ خلقه على طبائع مختلفة وغرائز شتى ففيهم السخى والبخيل والشجاع والجبان والغبى والفطن والكيس والعاجز والمسامح والمناقش والمتكبر والمتواضع الى غير ذلك من الصفات المعروفة من الخلق كانت العشرة لا تستمر بينهم الا بأحد أمرين اما بالاشتراك فى الصفات أو فى بعضها واما بصبر أحدهما على صاحبه اذا عدم الاشتراك ولما علم الشارع أن بنى آدم على هذا الوضع شرع لهم الطلاق ليستريح اليه من عيل صبره على صاحبه توسعة عليهم واحسانا منه اليهم فلاجل العمل على هذا طلق كاتب هذا عبد الله محمد المذكور زوجه الحرة العربية المصونة عائشة ابنة الشيخ الوزير الحسيب النزيه الاصيل الصالح الفاضل الطاهر المقدس المرحوم أبى عبد الله محمد المغيلى طلقة واحدة ملكت بها أمر نفسها دونه عارفا قدره قصد بذلك اراحتها من عشرته طالبا من الله أن يغنى كلا من سعته شهد بذلك على نفسه فى صحته وجواز أمره يوم الثلاثاء أول يوم من شهر ربيع الثانى عام أحد وخمسين وسبعمائة انتهى * (ومن نوادره رحمه الله تعالى) انه لما استناب بعض قضاة المرية الفقيه أبا جعفر المعروف بالقرعة فى القضاء من عمله بخارج المرية فاتفق أن جاء بعض الجنانين بفحص المرية يشتكى من جائحة أو اذاية أصابت جنانه ففسدت غلته لذلك فأخذ ذلك الجنان قرعة وأشار اليها متشكيا وقال هذه القرعة تشهد بما أصاب جنانى فقال الشيخ أبو البركات عند ذلك غريبتان فى عام واحد القرعة تقضى والقرعة تشهد وكان له رحمه الله تعالى من هذا النمط كثير * وقال رحمه الله تعالى نظمت صبيحة يوم السبت السابع والعشرين لرجب عام خمسة وأربعين وسبعمائة وقد رأيت فى النوم كأنى أريد اتيان امرأة لا تحل لى فأتى رقيب فيحول بينى وبين ذلك المرة بعد المرة قولى

ألا كرم الله الرقيب فانه * كفانى أمورا لا يحل ارتكابها
وبالغ فى سد الذريعة فاغتدى * يلاحظنى نوما فيغلق بابها

انا كنا نصون أعراضنا بأموالنا وكيف صرنا اليوم نصون أموالنا منكم بأنفسنا فان كنت أمرت بشئ فامض له فأمر بالمناديل فنفض فسقط منه أسواط بأثمارها فضرب مائتى سوط وتولى ضربه أولئك الخدم فضربوه أشد الضرب الذى يكون بغير معرفة فكادوا يأتون على نفسه فخفنا عليه الموت فقال الخليل بن الهيثم لوكيله المعروف بابن يحيى ان هنا رجلا قد كان فى الحبس وهو بصير بالعلاج لمثل هذا أو شبهه فسر اليه واسأله ان يعالجه قال فانتهيت اليه ذلك قال لعلك تريد ان تعالج الفضل بن يحيى فقد بلغنى ما صنع به فقلت اياه أريد قال فامض بنا اليه حتى أعالجه فلما رآه قال أحسبه ضربه خمسين سوطا قال انه ضرب مائتى سوط قال ما أظن الا أن هذا أثر خمسين سوطا ولكن يحتاج أن ينام على بارية وأدوس صدره ساعة فأخذ بيده فجذبه حتى أقامه وقد خرج الفضل ثم جاء به فألقاه على البارية وجعل يدوس صدره ثم جذبه حتى أقامه على البارية فتعلق بها من لحم ظهره شئ كثير ثم جعل يختلف اليه ويعالجه الى أن نظر يوما اليه فخر ساجدا فقلت مالك فقال يا أبا يحيى قد

وقال رحمه الله أنشدني شيخي أبو عبد الله بن رشيد عند قراءتي عليه شرحه لقوافي أبي الحسن حازم وقد باحثته يوما مناقشة في بعض ألفاظه من الشرح المذكور

تسامح ولا تستوف حقك كله * وأغض فلم يستوف قط كريم

ومن نظم الشيخ أبي البركات قوله

ألا خل دمع العين يهمي بعقاني * لفرقة عين الدمع وقف على الدم
فللماء فيه رنة نغمية * كرنة مسلوب الفؤاد متيم
وللطير فيه نغمة موصلية * تذكرني عهد الصبا المتقدم
وللحسن أقمار به يوسفية * ترد الى دين الهوى كل مسلم

وله رحمه الله تعالى

ما كل من شد على رأسه * عمامة يحظى بسمت الوقار
ماقيمة المرء بأثوابه * السر في السكان لا في الديار

وله سامحه الله تعالى

اذا ما كتمت السر عمن أوده * توهم أن الود غير حقيقي
ولم أخف عنه السر من ضنة به * ولكنني أخشى صديق صديقي

وله وقد جلس في حلقة بعض المشايخ واستدبر بعض الفضلاء ولم يره بسببه

ان كنت أبصرتك لا أبصرت * بصيرتي في الحق برهانها
لا غرو وأني لم أشاهدكم * فالعين لا تبصر انسانها

ومما يعجبه رحمه الله من قوله قال في الاحاطة ويحق أن يعجبه

تطالبني نفسي بما ليس لي به * يدان فأعطيها الامان فتقبل
عجبت لخصم لج في طلباته * يصالح عنها بالمحال فيفصل

ومما أورده له في الاحاطة وذكر أنه لو رحل راحل الى خراسان لما أتى الا بهما

رعى الله اخوان الخيانة انهم * كفونا مؤنات البقاء على العهد
فلو قد وفوا كانوا أسارى حقوقهم * نراوح ما بين النسيئة والنقد

وقد عمل القاضي أبو البركات في مخاطبة له للسان الدين بقول القائل

أيتها النفس اليه اذهبي * فحبه المشهور من مذهبي
أيأسني التوبة من حبه * طلوعه شمسا من المغرب

(وحكى) غير واحد منهم ابن داود البلوي أن القاضي أبا البركات لما عزم على الرحلة الى المشرق كتب اليه ابن خاتمة بما صورته

أشمس الغرب حقا ما سمعنا * بانك قد سئمت من الاقامه
وانك قد عزمت على طلوع * الى شرق سموت به علامه
لقد زلزلت منا كل قلب * بحق الله لا تقم القيامه

قال الحاكي تخلف أبو البركات أن لا يرحل من اقليم فيه من يقول مثل هذا انتهى يشير بقوله لقد زلزلت الخ الى طلوع الشمس من مغربها (قلت) ولما عزمت على هذه الرحلة

بري أبو العباس ادن مني خمسين سوطا قلت نعم قال والله لو ضربت ألف سوط ما كان أثرها أشد من ذلك الاثر وانما قلت ذلك لكي تقوى نفسه فيعينني على علاجه فلما خرج الرجل قال لي الفضل يا أبا يحيى قد احتجت عشرة آلاف درهم فسر الى المعروف بالسناني وأعلمه حاجتي اليها قال فاتيته بالرسالة فأمر بحملها اليه فقال يا أبا يحيى أحب أن تمضي بها الى هذا الرجل وتعتذر اليه وتسأله قبول ما وجهت به قال فمضيت اليه فوجدته قاعدا على حصير وطنبور له معلق ودساتيج فيها نبيذ وأداة رثة فقال ما حاجتك يا أبا يحيى فاقبلت أعتذر من الفضل وأذكر ضيق الامر عليه وأعلمه بما وجه به اليه فامتعض من ذلك حتى أفزعني وقال عشرة آلاف درهم فجهدت كل الجهد أن يقبلها فأبى فصرت الى الفضل فاعلمته فقال لي استقلها والله ثم قال لي الفضل أحب أن تعود الى السناني ثانية وتعلمه اني احتجت الى عشرة آلاف درهم أخرى فاذا دفعها اليك فسر بالكل الى الرجل قال فقبضت من السناني عشرة آلاف أخرى ورجعت الى الرجل ومعي المال وعرفته الخبر فأبى أن يقبل شيأ منه فقال

كتب الى بعض أصحابنا المغاربة بالابيات المذكورة متمثلا ولم أرجع عن العزم والله غالب على أمره * قال الوزير لسان الدين رحمه الله تعالى وما أحسن قول شيخنا أبي البركات معتذرا عن زرقة عينيه

حزنت عليك العين يا مغنى الهوى * فالدمع منها بعد بعدك مارقا
ولذاك ما ظهرت بلون أزرق * أوما ترى ثوب المآتم أزرقا

قال رحمه الله تعالى وهو من الغريب * وقال بعض الشيوخ كنت أقرأ على الشيخ أبي البركات التفسير فنسيت ذات ليلة السفر الذي كنت أقرأ فيه بمنزلي فاتفق أن حضر الجامع الصحيح للبخاري فقال الشيخ بعد أن اردت القراءة عليه من أوله افتح في اثناء الاوراق ولا تعين وما خرج لك من ترجمة لجهة اليمين فاقرأها ففعلت فاذا غزوة احد فقرأت الحديث الاول من الباب وهو عن عقبة بن عامر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للاحياء والاموات ثم طلع المنبر فقال انى بين ايديكم فرط وأنا شهيد عليكم وان موعدكم الحوض وانى لأنظر اليه من مقامى هذا وانى لست اخشى عليكم أن تشركوا ولكنى اخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها قال فكانت آخر نظرة نظرتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الشيخ قوله صلى على قتلى احد لفظ الصلاة يطلق لغة على الدعاء وشرعا على الافعال المخصوصة المعلومة واذا دار اللفظ بين الشرعى واللغوى فحمله على الشرعى أولى حتى يدل الدليل على خلافه فقوله صلى على قتلى أحد يحتمل الصلاة الشرعية ويكون ذلك منسوخا اذ قد تقرر أنه لا يصلى على شهيد المعترك ولا على من قد صلى عليه ولمن يعارضه أن يقول ان قتلى أحد متفرقون فى أماكن فلا تتأتى الصلاة الشرعية عليهم اذ الصلاة الشرعية انما تتأتى لو كانوا مجتمعين والجواب أنهم وان كانوا متفرقين تجمعهم جهة واحدة وليس بعد ما بينهم بحيث لا تتأتى معه الصلاة عليهم هذا وان احتمل حمله على الصلاة اللغوية وقوله كالمودع للاحياء والاموات أما وداعه للاحياء فلا اشكال فيه وأما الاموات فمعنى وداعه لهم وداع الدعاء لهم لانه اذا مات فقد حيل بينه وبين الدعاء لهم فلا جرم يودعهم بالدعاء لهم قبل أن يحال بينه وبين ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم انى بين أيديكم أى تقدم قبلكم وقوله صلى الله عليه وسلم بين أيديكم فرط أى متقدم وبين اذا أضيفت الى الايدى تستعمل فيما قبل زمانك وفيما بعده والمعنى هنا فى قوله بين أيديكم أى أتقدم قبلكم قوله صلى الله عليه وسلم وأنا شهيد عليكم فيه وجهان أحدهما أن يخلق الله فى قلبه علما ضروريا يميز به بين البر والفاجر فيشهد بما خلق الله فى قلبه من ذلك اذ لا تكون الشهادة الا على أمر شاهد ومعلوم انه لم يشاهد ما فعل بعده من أمته فيخلق الله له علما بذلك الوجه الثانى أن يخبره الله تعالى بذلك كما فى حديث الحوض وليذادن عنه أقوام كما يذاد البعير الضال فاقول الاهلم الاهلم فيقال انهم قد غيروا بعدك فاقول فسحقا فسحقا فسحقا فيشهد بما أخبره الله تعالى به وهو نظير ما روى فى تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا من أن قوم نوح يقولون كيف تشهدون علينا وزمانكم متأخر عن زماننا فيقولون لان الله تعالى قص علينا أخباركم فى كتابه فقال انا أرسلنا نوحا

أنا أعالج فتى من الابناء بعد اذهب عنى فوالله لو كانت عشرون ألف دينار ما قبلتها فرجعت

الى الفضل وأخبرته الخبر فقال لى يا أبا يحيى حدثنى باحسن ما رأيت أو بلغك من أفعالنا قال فجعلت أحدثه فقال لى دع عنك هذا فوالله ان ما فعله هذا الرجل أحسن من كل ما فعلناه فى أيامنا كلها * وقتل جعفر بن يحيى وهو ابن خمس واربعين سنة ومات يحيى بالرقة فى سنة تسع وثمانين ومائة على ما قدمنا (قال المسعودى) وللبرامكة أخبار حسان وسير وقد قدمنا ذكرها فيما سلف من كتبنا فى ذكر أخبار ملوك الروم بعد ظهور الاسلام وما كان بينه وبين نقفور فيما تقدم من هذا الكتاب وللبرامكة أخبار حسان وما كان منهم من الافضال بالمعروف واصطناع المكارم وغير ذلك من عجائب أخبارهم وسيرهم وما مدحتهم الشعراء به ومراثيهم وقد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط وانما نورد فى هذا الكتاب لمعا من الاخبار لم يتقدم لها ايراد فى غيره من كتبنا وكذلك ذكر بدء أخبارهم قبل ظهور الاسلام وكونهم على بيت النوبهار وهو بيت النار ببلخ المقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب وعلة تسمية برمك وخبر برمك الاكبر مع ملوك

الى قومه الى آخره وقوله صلى الله عليه وسلم وان موعدكم الحوض وانى لانظر اليه من مقامى هذا نظره صلى الله عليه وسلم الى الحوض فيه وجهان أحدهما أن يكون نظره اليه بقلبه اذ كان قد أطلعه الله عليه ليلة الاسراء فصار مرتسما فى قلبه فيكون نظره اليه بعين قلبه كما يرتسم فى قلب أحدنا شكل بيته وما فيه من المتاع والثياب وغير ذلك الثانى أن يكون الله تعالى قد كشف له عنه فيكون نظره اليه بعينه مشاهدة وقوله صلى الله عليه وسلم وانى لست أخشى عليكم أن تشركوا ان قيل كيف قال ذلك وقد ارتد عن الاسلام من ارتد من العرب بعده فالجواب انه انما خاطب بذلك من لم يشرك من أصحابه ومن بعدهم من التابعين وغيرهم من أمته ولم يراع رعاع العرب وجهالهم اذلا اعتبار بهم لاحتقارهم وقوله عليه الصلاة والسلام ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها قد وقع ما خشى منه عليه الصلاة والسلام من المنافسة فى الدنيا كما ذكر صلى الله عليه وسلم انتهى (وحدث) الشيخ أبو البركات قال كنت بجاية بمجلس الامام ناصر الدين المشذالى أيام قراءتى عليه وقد أفاض طلبة مجلسه بين يديه هل الملائكة أفضل أم الانبياء فقلت الدليل لان الملائكة أفضل أن الله أمرهم بالسجود لآدم قال فجعل الطلبة ينظر بعضهم الى بعض حتى قال لى بعضهم استند ياسيدنا كانه يقول استند الى حائط ليزول هوس وأسلك وكانت عباراتهم فى ذلك وكل منهم يقول لى نحو ذلك ازراء وقال لى الامام ناصر الدين أبصر فانهم يقولون لك الحق وكانت لغته أن يقول ابصر قال فقلت أتقولون ان أمر الله للملائكة بالسجود لآدم أمر ابتلاء واختبار قالوا نعم قلت أفيختبر العبد بتقبيل يد سيده ليرى تواضعه قالوا الا فان ذلك من شان العبد دون أن يؤمر بل السيد يختبر تواضعه بان يؤمر بالسجود للعبد قلت فكذا الملائكة لو أمرت بالسجود لافضل منها لكان بمنزلة أمر العبد بالسجود لسيده قال فكأنما ألقمتهم حجرا قال الشيخ أبو البركات وهذه كحكاية أبى بكر بن الطيب مع بعض رؤساء المعتزلة وذلك انه اجتمع معه فى مجلس الخليفة فناظره فى مسئلة رؤية البارى فقال له رئيسهم ما الدليل أيها القاضى على جواز رؤية الله تعالى قال قوله تعالى لا تدركه الابصار فنظر بعض المعتزلة الى بعض وقالوا جن القاضى وذلك أن هذه الآية هى معظم ما احتجوا به على مذهبهم وهو ساكت ثم قال لهم أتقولون ان من لسان العرب قولك الحائط لا يبصر قالوا لا قال أتقولون ان من لسان العرب الحجر لا يأكل قالوا لا قال فلا يصح اذا نفى الصفة الا عما من شأنه صحة اثباتها له قالوا نعم قال فكذلك قوله تعالى لا تدركه الابصار لولا جواز ادراك الابصار له لم يصح نفيه عنه فاذعنوا المقال واستحسنوه *وقال الشيخ أبو البركات كنت بجاية وقدم علينا رجل من فاس برسم الحج يعرف بابن الحداد فركب الناس فى الاخذ عنه والرواية ما يحمله كل صعب وذلول مع انه لم تكن منزلته هنالك فى العلم فعجبت لذلك حتى قلت لبعض الطلبة لقد أخذتموه بكلتا اليدين ولم أركم مع من هو أعلى قدرا منه كذلك فقالوا الى لانه قدم علينا ونحن لا نعرفه وهو فى زى حسن بخادم يخدمه يظن من رآه أن اباه من أعيان أهل بلده فسألناه أحى أبوه أم لا قال بل حى قلنا أهو من أهل العلم قال لا هو دلال فى سوق الخدم فلذلك آثرناه على من هو فوقه فى العلم قال فقلت لهم حق له ان ترتفع منزلته وتعلو صيته لتخلقه وفضله وفوائد أبى البركات كثيرة *ومن تآليفه

منهم فى أيام المنصور واكتفينا بما ذكرناه فى هذا الكتاب من التلويحات من أخبارهم واللمع من آثارهم

(ذكر خلافة محمد الامين)

بويع محمد بن هرون فى اليوم الذى مات فيه هرون الرشيد وهو يوم السبت لاربع ليال خلون من جمادى الاولى بطوس سنة ثلاث وتسعين ومائة وتقدم بيعته رجاء الخادم وكان القيم ببيعته الفضل ابن الربيع وكان محمد يكنى بابى موسى وأمه زبيدة ابنة جعفر بن أبى جعفر وكان مولده بالرصافة وقتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وثلاثة عشر يوما ودفنت جثته ببغداد وحمل رأسه الى خراسان وكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر وكان أصغر من المأمون بستة أشهر وكانت أيامه من خلعه الى مقتله سنة ونصفا وثلاثة عشر يوما حبس فيها يومين

(وذكر جملا من أخباره وسيره ولمعا مما كان فى أيامه)

قبض الرشيد والمأمون بمرو وبعث صالح بن الرشيد رجاء الخادم مولى محمد الامين الى محمد فأتاه بالخبر فى اثنى عشر يوما الى مدينة

المؤتمن على أنباء أبناء الزمن كتاب مفيد جدا وهو رضي الله عنه من ذرية العباس بن مرداس
السلمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم باحسان
الى يوم الدين * وقال الشيخ أبو البركات ذكر لي ان الشيخ الفقيه الكاتب أبا الحسن بن الجياب
يحدث عني ولا أذكر الآن اني قلت ذلك ولكنني لما سمعته علمت انه مما من شاني ان اقوله
وهو اني قلت مثل العالم مثل رجل يصب ماء في قفة ان واظب على صب الماء بقيت القفة
ملأى وان ترك صب الماء بقيت القفة لا شيء فيها من الماء فكذلك العالم ان واظب على طلب
العلم بقي العلم لم ينقص منه شيء وان ترك الطلب ذهب علمه انتهى * ونقلت من رأى كلام
ابن الصباغ في ترجمة ابي البركات ما نصه لما ورد مدينة فاس في غرض الهناء والعزاء على امير
المسلمين ابي بكر السعيد ابن امير المؤمنين ابي عنان وابصر الدار غاصة بارباب الدولة الفاسية
ولم يعدم منها عهدا لشخصه والولد على اريكة أبيه انشد

لما تبدلت المجالس اوجها * غير الذين عهدت من جلسائها
ورأيتها محفوفة بسوى الالى * كانوا حماة صدورها وشائها
انشدت بيتا سائرا متقدما * والعين قد شرقت بجاري مائها
أما القباب فانها كقبابهم * وأرى نساء الحي غير نسائها   انتهى

وأظن أنه تمثل بالابيات في سره والا فيبعد أن يقولها في ذلك الحفل لما في ذلك من التعرض
للهلاك والله سبحانه أعلم * وحكى بعضهم انه كان جالسا في دهليز بيته مع بعض الاصحاب
فدخلت زوجته من الحمام وهي بغير سراويل لقرب الحمام من البيت فانكشف ساقها
فدخل خلفها مسرعا وغاب ساعة ثم خرج وأنشد

كشفت على ساق لها فرأيته * متلألئا كالجوهر البراق
لا تعجبوا ان قام منه قيامتي * ان القيامة يوم كشف الساق

وله في خديم اسمه يحيى احتجم محجمة واحدة

أراني يحيى صنعة في قفائه * مهذبة لما تبادر للباب
أرى الخمس فيها لا تفارق ساعة * فصوّر بالموسى بها شكل محراب

وتوفي الشيخ القاضي أبو البركات المذكور بشوال سنة ٧٧١ رحمه الله تعالى (ومن
أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى) الشيخ الحكيم العلامة التعاليمي الشاعر البليغ
أعجوبة زمانه في الاطلاع على علوم الاوائل أبو زكريا يحيى بن هذيل وقد قال في الاحاطة في
حقه ما ملخصه يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي أبو زكريا شيخنا جرى ذكره في التاج المحلى بما
نصه درة بين الناس مغفله وخزانة على كل فائدة مقفله وهدية من الدهر الضنين لبنيه
محتفله أبدع من رتب التعاليم وعلمها وركض في الالواح قلمها وأتقن من صور
الهيأة ومثلها وأسس قواعد البراهين وأثلها وأعرف من زاول شكانه ودفع عن حسم
نكايته الى غير ذلك من المشاركة في العلوم والوصول من المجهول الى المعلوم والمحاضرة
المستفزة للحلوم والدعابة التي ما خالع العذار فيها بملوم فاشئت من نفس عذبة الشيم
وأخلاق كالزهر من بعد الديم ومحاضرة تتحف المجالس والمحاضر ومذاكرة تروق في

في المنام ليلة علقت بمحمد كأن ثلاث نسوة دخلن عليها وهي بمجلس فقعد اثنتان عن يمينها وواحدة عن يسارها فدنت احداهن فجعلت يدها على بطن أم جعفر ثم قالت ملك عظيم البذل ثقيل الحمل نكد الامر ثم فعلت الثانية كما فعلت الاولى وقالت ملك ناقص الجد مفلول الحد مذوق الود تجور أحكامه وتخونه أيامه ثم فعلت الثالثة كما فعلت الثانية وقالت قصاف عظيم الاتلاف كثير الخلاف قليل الانصاف قالت فاستيقظت وأنا فزعة فلما كان في الليلة التي وضعت فيها محمدا دخلن علي وأنا نائمة كما كن دخلن فقعدن عند رأسي ونظرن في وجهي ثم قالت احداهن شجرة نضرة وريحانة نفحة وروضة زاهرة ثم قالت الثانية عين غدقة قليل لبثها سريع فناؤها عجل ذهابها وقالت الثالثة عدو لنفسه ضعيف في بطشه سريع الى غشه مزال عن عرشه فاستيقظت وأنا فزعة بذلك وأخبرت بذلك بعض قهارمتي فقالت بعض ما يطرق النائم وعبث من عبث التوابع فلما تم فصاله أخذت مرقدي ومحمد أمامي في مهده اذ بهن قد وقفن على رأسي وأقبلن على ولدي محمد فقالت احداهن

محروم وشقي مهموم وقالت الثالثة احفروا قبره ثم شقوا لحده وقدموا أكفانه وأعدوا جهازه فان موته خير من حياته قالت فاستيقظت وأنا مضطربة وجلة وسألت مفسري الاحلام والمنجمين فكل يخبرني بسعادته وحياته وطول عمره وقلبي يأبى ذلك ثم زجرت نفسي وقلت وهل يدفع القدر أو يقدر أحد أن يدفع عن أحبابه الاجل (ومات أبو بكر بن عياش) الكوفي وهو ابن ثمان وتسعين سنة بعد موت الرشيد بثماني عشرة ليلة ولما هم محمد بخلع المأمون شاور عبد الله بن حازم فقال له أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تكون أول الخلفاء نكث عهده ونقض ميثاقه واستخف بيمينه فقال اسكت لله أبوك فعبد الملك بن صالح كان أفضل منك رأيا حيث يقول لا يجتمع فحلان في أجمة وجمع القواد وشاورهم فاتبعوه في مراده الى أن بلغ الى هرثمة بن حازم فقال يا أمير المؤمنين لن ينصحك من كذبك ولن يغشك من صدقك ولا

النواظر زهرها الناضر وله أدب ذهب في الاجادة كل مذهب وارتدى من البلاغة بكل رداء مذهب والادب نقطة من حوضه وزهرة من زهرات روضه وسيمر له في هذا الديوان ما يبهر العقول ويحاسن بروائه ورائق بهائه الفرند المصقول فمن ذلك ما خرجته من ديوانه المسمى بالسليمانيات والعرفيات قوله

ألا أستودع الرحمن بدرا مكملا * بفاس من الدرب الطويل مطالعه
ففي فلك الازرار يطلع سعده * وفي أفق الاكباد تلفى مواقعه
يصير مرآه متجم مقلتي * فتصدق في قطع الرجاء قواطعه
تجسم من ماء الملاحة خده * وماء الحيا فيه ترجرج مائعه
تلون كالحرباء في خجلاته * فيحمر قانيه ويبيض ناصعه
اذا اهتز غني حليه فوق نحره * كغصن النقا غنت عليه سواجعه
يد كر حتف الصب عامل قده * وتعطف من واو العذار توابعه
أعد الورى سيفا كسيف لحاظه * فهذا هو الماضي وذلك يضارعه

وقال

وصالك هذا أم تحية بارق * وهجرك أم ليل السليم لتائق
أباديك والاشواق تركض خيلها * بصفحة خدي من دموع سوابق
أبارق ثغر من عذيب رضابه * قضت مهجتي بين العذيب وبارق

ومنها

فلا تتعب بين ريح الصبا في رسالة * ولا تحمل الطيف الذي كان طارقي
متى طعمت عيني الكرى بعد بعدكم * فاني في دعوى الهوى غير صادق

وقال

بدا بدر تم فوقه الليل عسعسا * وجنة أنس في صباح تنفسا
حوى النجم قرطا والدراري مقلدا * وأسبل من مسك الذوائب حندسا
كأن سنى الاصباح رام يزورنا * وخاف العيون الرامقات فغلسا
أتى يحمل التوراة ظبيا مترنما * لطيف التثني أشنب الثغر ألعسا
وقابل أحبار اليهود بوجهه * فبارك مولانا عليه وقدسا
فصير دمعي أعينا شرب سبطه * وعمري تيها والجوانح مقدسا

وقال منها

رويت ولوعي عن ضلوعي مسلسلا * فأصبحت في علم الغرام مدرسا
نفى النوم عني كي أكون مسهدا * فأصبحت في صيد الخيال مهندسا
غزال من الفردوس تسقيه أدمعي * ويأوي الى قلبي مقيلا ومكنسا
طغى ورد خديه بجنات صدغه * فأضعفه بالآس ندما وما أسا

وهذا البيت محال على معنى فلاحي قال أهل الفلاحة ان الآس اذا اغترس بين شجر الورد أضعفه بالخاصية * وقال رحمه الله تعالى ورضي عنه

نام طفل النبت في حجر النعامى * لاهتزاز الطل في مهد الخزامى
وسقى الوسمي أغصان النقا * فهوت تلثم أفواه الندامى
كحل الفجر لهم جفن الدجى * وغدا في وجنة الصبح لثاما

تحسب البـــدر محيا ثمل * قدسقته راحة الصبح مداما
حوله الزهر كؤس قـدغدت * مسـكة الليل عليهن ختاما
ياعليـل الريح رفقا علـنى * أشف بالسقم الذى حزت سقاما
أبلغن شـوقى عريبا باللوى * همت فى أرض بهـا حلوا غراما
فـرشوا فيهـا من الدرحصى * ضربوا فيها من المسك خياما
كنت أشفى غـلة من صـدكم * لو أذنتم لجفونى أن تناما
واستقدت الروح من ريح الصبا * لو أتت تحمل من سلمى سلاما

وقال منهـا أيضا

نشـات للصب منهـا زفـرة * تسكب الدمع على الربع سجاما
طرب الـبرق مع القلب بها * وبهـا الاناث طارحن الحماما
طال لاتشـتفى الاذن به * وهو للعينين قـد ألقى كلاما
ترك السا كن لى من وصـله * ضمة الجـدران لثما والتزاما
نزعات من سليمـان بهـا * فهـم القلب معانيهـا فهاما
شادن يرعى حشاشات الحشى * حسب حظى منه ان أرعى الذماما

وقال أأرجو أمانا منك واللحظ غادر * ويثبت عقلى فيك والطرف ساحر

ومنها أعــــدّ سليمان أليم عذابه * لطائر قلبى فهو للبين صائر
أشاهـد منه الحسن فى كل نظرة * وناظر أفـكارى بمغناه ناظر
دعت للهوى أنصار سحر جفونه * فقلبى له عن طيب نفس مهاجر
اذا شق عن بدر الدجى أفق ذره * فانى بتمويه العـواذل كافر
وفى حرم السلوان طابت خواطرى * وقلبى لمـاقى وجنتيه مجاور
وقد ينزع القلب المبتلى لسلوة * كما اهـتز من قطر الغمامة طائر
يقـابل أغراضى بضد مرادهـا * ولم يدر أن الضـد للضد قاهر
ونار اشتياقى صعدت حزن أدمعى * فضمر سرى فوق خدى ظاهر
وقد كنت باكى العين والبين غائب * فقل لى كيف الدمع والبين حاضر
وليس النوى بالطبع مرا وانمـا * لـكثرة ما شقت عليـه المرائر

وقال يابارقا قاد الخيـال فاومضـا * اقصد بطيفك مدنفا قد غمضـا
ذاك الذى قد كنت تعهـــد نائمـا * بالسهد من بعد الاحبة عوضـا
لاتحسبنى معـرضـا عن طيفه * لكن منامى عن جفونى أعرضا

ومنها عجب الوشـاة لمهجـتى أن لم تذب * يوم النوى وتشكـكت فيما مضى
خفيت لهـم من سر صـبرى آية * ما فهمت الا سليمان الرضـا
لله درك ناهجا سـبل الهـوى * فلمثله أمر الهوى قـد فوّضـا
أمنت غـلا فوق خدك سارحا * وسللت سيفا من جفونك منتضى

وقال فى المدح

مخذول والناكث مفلول ودخل على بن عيسى بن ماهان فتبسم محمد وقال تمكن شيخ هذه الدعوة وباب هذه الدولة لايخالف امامـــه ولايوهن طاعته ثم رفعه الى موضع ما رفعه اليه فيما مضى وكان على بن عيسى أول مـن أجاب الى خلـع المأمون فسـيره فى جيش عظيـم نحو المأمون فلما قرب من الرى قيـل له ان طاهر بن الحسين مقيم بها وقد كان يظـن ان طاهرا لايثبت له فقال ما طاهـر الاشـوكة من أغصانى وشرارة من نارى وما مثل طاهر يؤمر على جيش وما بينه وبين الامـين الا أن تقع عينه على سواد كم فان السخال لاتقوى على نطا[ح] الـكباش والثعالب لا[تقوى] على لقاء الاسـد فقال [له] ابنه ابعث طـلائع وارت[د] موضعا لعسكرك فقال لبس طاهر يستعد له بالمكايد والتحفـظ ان حال طاهر يؤدى الى أمرين اما أن يتحصـن بالرى فيثب به أهلها ويكفونا مـؤنتـه أو يخليها ويدبر راجعـا لو قد قربت خيولنا منـه فقال له ابنــه ان الشرارة ربمـا صارت ضراما فقـال ان طاهـرا ليس قـرنا فى هذا الموضع وانمـا تحترس الرجال من أقرانها وسار على بن عيسى وبث عـساكره من الرى وتبين ما عليه طاهر من الجد وأهبة الحرب وضم الاطراف فعدل الى رستاق من رساتيق الرى متياسر ا

على بن عيسى وتبين كثرتها وعدة ما فيها فعلم أن لا طاقة له بذلك الجيش فقال لخواصه ومن معه نجعلها خارجية وكردس خيله كراديس وصمد فى القلب فى نحو سبعمائة من الخوارزمية نحو بهم من فرسان خراسان وخرج اليه من القلب العباس بن الليث مولى العهد وكان فارسا فقصده طاهر وضم يديه على سيفه فاتى عليه وكان على على برذون كميت أرجل وتعالا على رأسه الرجال وتنازعوا فى خاتمه ورأسه فذبحه رجل يعرف بطاهر بن الراجى وقبض آخر على خصلة من شعر لحيته وآخر على خاتمه وكان سبب هزيمة الجيش ضربة طاهر بيديه جميعا للعباس ابن الليث وبذلك سمى طاهر ذا اليمينين لجمعه يديه على السيف (وذكر) أحمد ابن هشام وكان من وجوه القواد قال جئت الى مضرب طاهر وقد توهم أنى قتلت فى المعركة ومعى رأس على فقال البشرى هذه خصلة من رأس على مع غلامى فى المخلاة فطرحه قدامه ثم أتى بجثته وقد شدت يداه ورجلاه كما يفعل

حريص على جر الذوائب والقنا * اذا كمت الابطال والجو عابس
وتعتنق الابطال لولا سقوطها * لقلت لتوديع أتته الفوارس
اذا اختطفتهم كفه فسروجهم * مجال وهم فى راحتيه فرائس

وقال يمدح السلطان أبا الوليد بن نصر عند قدومه من فتح اشكو

بحيث البنود الحمر والاسد الورد * كتائب سكان السماء لها جند
وتحت لواء النصر ملك هو الورى * تضيق به الدنيا اذا راح أو يغدو
تأمنت الارواح فى ظل بنده * كأن جناح الروح من فوقه بند
فلو رام ادراك النجوم لنالها * ولوهم لانقادت له السند والهند

ومنها

يعني بحر النقع تحت أسنة * تنمنمه وهنا كما نمنم البرد
سماء عجاج والاسنة شهبها * ووقع القنا رعد اذا برق الهند
وظنوا بان الرعد والصعق فى السما * تحاق به من ايده الصعق والرعد
عجائب أشكال سما هرمس بها * مهندسة تأتى الجبال فتنهد
ألا انها الدنيا تريك عجائبا * وما فى القوى منها فلابد أن يبدو

وقال وهو معتقل

تباعد عنى منزل وحبيب * وهاج اشتياقى والمزار قريب
وانى على قرب الحبيب مع النوى * يكاد اذا اشتد الانين يجيب
لقد بعدت عنى ديار قريبة * عجبت لجار الجنب وهو غريب
أعاشر أقواما تقر نفوسهم * فللهم فيها عند ذاك ضروب
اذا شعروا من جارهم بتأوه * أجابته منهم زفرة ونحيب
فلا ذاك شكوهم هذا تأسفا * لكل امرئ مما دهاه نصيب
كانى فى غاب الليوث مسالم * يروعنى منه الغداة وثوب
يحكم فيها الدهر والعقل حاضر * بكل قياس والاديب اديب
ولو مال بالجهال ميلته بنا * لجاء بعذران ذا لعجيب
رفيق بمن لا ينثنى عن جريمة * بطوش بمن ما أو بقته ذنوب
ويطمعنا منه بوارق خلب * تقول عساه يرعوى فيثوب
اذا ما تشبثنا باذيال برده * دهتنا اذا جر الخطوب خطوب
أدار علينا صوبجانا ولم يكن * سوى أنه بالحادثات لعوب

ومنها

أيا دهر انى قد سئمت تهددى * أجرنى فان السهم منك مصيب
اذا خفق البرق الطروق أجابه * فؤادى ودمع المقلتين سكوب
وان طلع الكف الخضيب سحيرة * فدمعى بحناء الدماء خضيب
تذكرنى الاسحار دارا ألفتها * فيشتد حزنى والحمام طروب
اذا علقت نفسى بليت وربما * تكاد تفيض أو تكاد تذوب
دعوتك ربى والدعاء ضراعة * وأنت تناجى بالدعا فتجيب

بالدواب اذا ماتت فاربه طاهر ذا ألقى فى بئر وكتب الى ذى الرياستين وكان فى الكتاب أطال الله بقاءك

بت أعداك كتابي اليك ورأس علي بن عيسى بين يدي وخاتمه في اصبعي والحمد لله رب العالمين

لئن كان عقبى الصبر فوزا وغبطة * فاني على الصبر الجميل دروب

ال وبعثت اليه هدية من البادية فقال يصف منها ديكا

أيا صديقا جعلته سندا * فراح فيما أحبه وغدا
طلبت منكم سريد كاختشار * وجئتم لي مكانه لبدا
صير مني مؤرخا ولكم * ظلات في علمه من البلدا
قلت له آدم أتعرفه * قال حفيدي بعصر ناولدا
نوح وطوفانه رأيتهما * قال علونا بفيضه أحدا
فقلت هل لي بجرهم خبر * فقال قومي وجيرتي العدا
فقلت قحطان هل مررت به * قال نقشنا ببرده العقدا
فقلت صف لي سبا وساكنها * فعندهذا تنفس الصعدا
فقال كم لي بدجنهم سحرا * من صرخة لي وللنوم هدا
فقلت هاروت هل سمعت به * فقال ريشي لسهمه نهدا
فقلت كسرى وآل شرعته * فقال كنا بجيشه وفدا
ولوا وصاروا واوها أنا لبد * فهل رأيتم من فوقهم احدا
ديك اذا ما انثنى لفكرته * رأى وجودا طرائقا قددا
يرفل في طيلسانه ولها * قد صير الدهر لونه كمدا
اذا دجا الليل غاب هيكله * كأن حبرا عليه قد جمدا
كأنما جلنار لحيته * برجان جازا من الهواء مدى
كأن حصنا علا بهامته * أعده للقتال فيه عدا
يرنو بياقوتتي لواحظه * كأنما اللحظ منه قد رمدا
كأن منجالي ذوائبه * قوس سماء من أهله بعدا
وعوسج مدمس مخالبه * طغى بهاقي تقاره وعدا
فذاك ديك جلت محاسنه * له صراخ بين الديوك بدا
يطلبني بالذي فعلت به * فكم فلانا يليته مدى
وجهته محنة لا يكله * والله ما كان ذاك منك سدى

ولم نزل بعد نستعدي عليه باقراره بقتله ونطلبه بالقود عند تصرفه بالعمل فيوجه الدية لتنافي ذلك رسائل وقال في غرض أبي نواس

طرقنا دير القوم وهنا وتغليسا * وقد شرفوا الناسوت اذ عبدوا عيسى
وقد رفعوا الانجيل فوق رؤسهم * وقد قدسوا الروح المقدس تقديسا
فاستيقظوا الاصلكة بابهم * فادهش رهبانا وروع قسيسا
وقام بها البطريق يسعى مليا * وقد لبن الناقوس رفعا وتأنيسا
فقلنا له أمنا فانا عصابة * أتينا التثليث وان شئت تسديسا
وما قصدنا الا الكؤس وانما * نحاله في القول خبثا وتدليسا

فسر المامون بذلك وسلم عليه في ذلك الوقت بالخلافة وقد كانت أم جعفر لا تعلق من الرشيد فشاور بعض مجالسيه من الحكماء وشكا ذلك اليه فاشار عليه بان يغيرها فان ابراهيم الخليل عليه السلام كانت عنده سارة فلم تسكن تعلق منه فلما وهبت له هاجر علقت منه باسمعيل فغارت سارة عند ذلك فعلقت باسحق فاشترى الرشيد أم المامون فاستخلاها فعلقت بالمامون فغارت أم جعفر عند ذلك فعلقت بمحمد وقد قدمنا التنازع في ذلك أعني قصص ابراهيم واسمعيل واسحق وقول من ذهب الى أن اسحق هو المأمور بذبحه ومن قال بل اسمعيل وما ذكر كل فريق منهم وقد تناظر في ذلك السلف والخلف فمن ذلك ما جرى بين عبد الله بن عباس وبين مولاه عكرمة وقد قال عكرمة من المأمور بذبحه فقال اسمعيل واحتج بقول الله عز وجل ومن وراء اسحق يعقوب الا ترى أنه بشر ابراهيم بولادة اسحق فكيف يأمره بذبحه فقال له عكرمة أنا أوأخذك أن الذبيح

اسحق من القرآن واحتج بقول الله عز وجل وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم

ففتحت الابواب بالرحب منهم * وعرس طلاب المدامة تعريسا
فلما رأى رقى أمامى وزمرى * دعانى أنا أنسا لحنت وتلبيسا
وقام الى دن بفض ختامه * فكبس اجرام الغياهب تكبيسا
وطاف بها رطب البنان مزنر * فأبصرت عبدا صير الحر مرؤسا
سلافا حواها القار لسا نخلتها * مثالا من الياقوت فى الحبر مغموسا
ومنها
الى أن سطا بالقوم سلطان نومهم * ورأس قبيل الشمع نكس تنكيسا
وثبت اليه بالعناق فقال لى * بحق الهوى هب لى من الضم تنفيسا
كتبت بدمع العين صفحة خده * فطلس حبر الشعر كتبى تطليسا
فبئس الذى احتلنا وكدنا عليهم * و بئس الذى قد أضمروا قبل ذا بيسا
فبتنا برانا الله شر عصابة * نطيع بعصيان الشريعة ابليسا

وقال بديهة فى غزالة من النحاس ترمى الماء على بركة

عنت لنا من وحش وجرة ظبية * جاءت لورد الماء ملء عنانها
وأظنها اذ حددت آذانها * ريعت بنا فتوقفت بمكانها
حيث بقرنى رأسها اذلم تجد * يوم اللقاء تحية بنانها
حنت على الندمان من افلاسهم * فرمت قضيب لجينها الحنانها
لله در غزالة أبدت لنا * درالحباب تدوغه بلسانها

(قال لسان الدين) وفلج المذكور فلازم منزلى لمكان فضله ووجوب حقه وقد كانت زوجه توفيت وصحبه عليها وجد فلما ثقل وقربت وفاته استدعانى وكاد لسانه لا يبين فأوصانى وقال

اذامت فادفنى حذاء حليلتى * يخالط عظمى فى التراب عظامها
ولا تدفننى فى البقيع فاننى * أريد الى يوم الحساب التزامها
ورتب ضريحى كيفما شاء الهوى * تكون أمامى أو أكون أمامها
لعل اله العرش يجبر صدعتى * فيعلى مقامى عنده ومقامها

ومات رحمه الله تعالى فى الخامس والعشرين لذى قعدة عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة ودفن بحذاء زوجه كما عهد رحمه الله تعالى انتهى ومن نظم ابن هذيل

وظبى زارنى والليل طفل * الى أن لاح لى منه اكتهال
والقى الشك من وصل فقلنا * بليل الشك يرتقب الهلال

(ومن أشياخ لسان الدين) الشيخ أبو بكر بن ذى الوزارتين وهو أعنى أبا بكر الوزير الكاتب الاديب الفاضل المشارك المتفنن المتبحر فى الفنون أبو بكر محمد ابن الشيخ الشهير ذى الوزارتين ابى عبد الله الحكيم الرندى ومن نظمه قوله

تصبر اذا ما ادركتك ملمة * فصنع اله العالمين عجيب
وما يلحق الانسان عار بنكبة * ينكب فيها صاحب وحبيب
ففيمن مضى للمرء ذى العقل اسوة * وعيش كرام الناس ليس يطيب

نجاه من النار ونعمته على اسحق أن فداه بالذبح وكانت وفاة عكرمة مولى ابن عباس سنة خمس ومائة ويكنى أبا عبد الله مات فى اليوم الذى مات فيه كثير عزة فقال الناس مات أعظم الفقهاء وكبير الشعراء وفيها كانت وفاة الشعبى (وحدث) ابراهيم بن المهدى قال بعث الى الامين وهو محاصر فصرت اليه فاذا هو جالس فى طارمة خشبها من عود وصندل عشرة فى عشرة واذا سليمان بن أبى جعفر المنصور معه فى الطارمة وهى قبة كان اتخذها فرشا مبطنا بانواع الحرير والديباج المنسوج بالذهب الاحمر وغير ذلك من أنواع الابريسم فسلمت فاذا قدامه قدح بلور مخروز فيه شراب ينفذ مقداره خمسة أرطال وبين يدى سليمان قدح مثله فجلست بازاء سليمان فاتيت بقدح كالاول والثانى قال فقال انما بعثت اليك لما بلغنى قدوم طاهر بن الحسين الى النهروان وما قد صنع فى أمرنا من المكروه وقابلنا به من الاساءة فدعوتك

ويوشك ان تهمى سحائب نعمة * فيخصب ربع للسرور جديب
الهك يا هذا قريب لمن دعا * وكل الذى عند القريب قريب

قال ابن خاتمة وانشدنى الوزير ابو بكر مقدمه على المرية غازيا مع الجيش المنصور قال أنشدنى أبى

ولما رأيت الشيب حل بمفرقى * نذيرا بترحال الشباب المفارق
رجعت الى نفسى فقلت لها انظرى * الى ما أرى هذا ابتداء الحقائق

و بيتهم بيت كبير واخذ عن غير واحد وعن والده وهو ذو الوزارتين ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن يحيى اللخمى الرندى الكاتب البليغ الاديب الشهير الذكر بالاندلس واصل سلفه من اشبيلية من أعيانها ثم انتقلوا الى رندة فى دولة بنى عباد و يحيى جد والده هو المعروف بالحكيم لطبه وقدم ذو الوزارتين على حضرة غرناطة ايام السلطان ابى عبد الله محمد بن محمد بن نصر اثر قفوله من الحج فى رحلته التى رافق فيها العلامة اباعبد الله بن رشيد الفهرى فالحقه السلطان بكتابه واقام يكتب له فى دوان الانشاء الى ان توفى هذا السلطان وتقلد الملك بعده ولى عهده ابو عبد الله المخلوع فقلده الوزارة والكتابه واشرك معه فى الوزارة اباسلطان عبد العزيز بن سلطان الدانى فلما توفى ابو سلطان افرده السلطان بالوزاره ولقبه ذا الوزارتين وصار صاحب أمره الى ان توفى بحضرة غرناطة قتيلا نفعه الله تعالى غد وة يوم الفطر مستهل شوال سنة ثمان وسبعمائة وذلك لتاريخ خلع سلطانه وخلافة أخيه أمير المسلمين أبى الجيوش مكانه ومولده برندة سنة ستين وستمائة وكان رحمه الله تعالى علما فى الفضيلة والسراوة ومكارم الاخلاق كريم النفس واسع الايثار متين الحرمة عالى الهمة كاتبا بليغا أديبا شاعرا حسن الخط يكتب خطوطا على أنواع كلها جميلة الانطباع خطيبا فصيح القلم زاكى الشيم مؤثرا لاهل العلم والادب برا باهل الفضل والحسب نفقت عدته للفضائل أسواق وأشرقت بامداده للافاضل آفاق ورحل للشرق كما سبق فكانت اجازته البحر من المرية فقضى فريضة الحج وأخذ عمن لقى هنالك من الشيوخ فمشيخته متوافرة وكان رفيقه كما م الخطيب أباعبد الله بن رشيد الفهرى فتعاونا على هذا الغرض وقضيا منه كل نفل ومفترض واشتمل كافيمن أخذا عنه من الاعلام فى كل مقام وكانت له عناية بالرواية وولوع بالادب وصبابة باقتناء الكتب جمع من أماتها العتيقه وأصولها الرائقة الانيقه مالم يجمعه فى تلك الاعصر أحد سواه ولا ظفرت به يداه أخذ عنه الخطيب الصالح أبو اسحق بن أبى العاصى وتدبج معه رفيقه أبو عبد الله بن رشيد وغير واحد وكان ممدحا وممن مدحه الرئيس أبو محمد عبد المهيمن الحضرمى والرئيس أبو الحسن بن الجياب وناهيك بهما * ومن بديع مدح ابن الجياب له قصيدة رائية رائقة يهنيه فيها بعيد الفطر منها فى أولها

يا قادما عمت الدنيا بشائره * أهلا بمقدمك الميمون طائره
ومرحبا بك من عيد تحف به * من السعادة أجناد تظافره
قدمت فالخلق فى نعمى وفى جذل * أبدى بك البشر باديه وحاضره

حجرها وغنت
كليب لعمرى كان أكثر ناصرا
وأ كثر جرما منك ضرج بالدم
فتطير من قولها ثم قال لها اسكتى قبحك الله ثم عاد الى ما كان عليه من الغم والاقطاب فاقبلنا نحادثه ونبسطه الى أن سلا وضحك ثم أقبل عليها وقال هات ماعندك فغنت
هم قتلوه كى يكونوا امكانه
كما غدرت يوما بكسرى مرازبه
فاسكتها وزأرها وعاد الى الحالة الاولى فسليناه حتى عاد الى الضحك فاقبل عليها الثالثة فقال غنى فغنت
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فابادنا
صروف الليالى والجدود العواثر
وقيل بل انها غنت
أما ورب السكون والحرك
ان المنايا كثيرة الشرك
فقال لها قومى عنى فعل الله بك وصنع بك فقامت فعثرت بالقدح الذى كان بين يديه فكسرته فاهرق الشراب وكانت ليلة قمراء ونحن على شاطئ دجلة فى قصره المعروف بالخلد فسمعنا قائلا يقول قضى الامر الذى فيه تستفتيان قال ابن المهدى فقمت

والارض قد لبست أثواب سندسها * والروض قد بسمت منه أزاهره
حاكت يد الغيث في ساحاته حللا * لما سقاها دراكا منه باكره
فلاح فيها من الانوار باهرها * وفاح فيها من النوار عاطره
وقام فيها خطيب الطير محتلا * والزهر قد رصعت منه منابره
موشى ثوب طواه الدهر آونة * فها هو اليوم للابصار ناشره
فالغصن من نشوة يثني معاطفه * والطير من طرب تشدو مزاهره
وللكمام انشقاق عن أزاهرها * كما بدت لك من خل ضمائره
لله يومك ما أذكى فضائله * قامت لدين الهدى فيه شعائره
فكم سريرة فضل فيك قد خبئت * وكم جمال بدا للناس ظاهره
فافخر بحق على الايام قاطبة * فما لفضلك من ند يظاهره
فانت في عصرنا كان الحكيم اذا * قيست بفخر أولي العليا مفاخره
يلتاح منه بافق الملك نور هدى * تضاءل الشمس مهما لاح زاهره
مجد صميم على عرش السماك سما * طالت مبانيه واستعلت مظاهره
وزارة الدين والعلم الذي رفعت * أعلامه والندى الفياض زاخره
وليس هذا ببدع من مكارمه * ساوت أوائله فيه أواخره
يلقى الامور بصدر منه منشرح * بحر وآراؤه العظمى جواهره
راعى أمور الرعايا معملا نظرا * كمثل علياه معدوما نظائره
والملك سير في تدبيره حكما * تنال ما عجزت عنه عساكره
سياسة الحلم لا بطش يكدرها * فهو المهيب وما تخشى بوادره
لا يصدر الملك الا عن اشارته * فالرشد لا تتعداه مصايره
تجري الامور على أقصى ارادته * كانما دهره فيه يشاوره
وكم مقام له في كل مكرمة * أنست موارده فيها مصادره
ففضلها طبق الآفاق أجمعها * كأنه مثل قد سار سائره
فليس يجحده الا أخو حسد * يرى الصباح فيعشى منه ناظره
لا ملك أكبر من ملك يدبره * لا ملك أسعد من ملك يوازره
يا عز أمر به اشتدت مضاربه * يا حسن ملك به ازدانت محاضره
تثني البلاد وأهلوها بما عرفوا * ويشهد الدهر آتيه وغابره
بشرى لآمله الموصول مأمله * تعسا لحاسده المقطوع دابره
فالعلم قد أشرقت نوارا مطالعه * والجود قد أسبلت سحا مواطره
والناس في بشر والملك في ظفر * عال على كل عالي القدر قاهره
والارض قد ملئت أمنا جوانبها * بيمن من خلصت فيها سرائره
والى أياديه من مثنى وموحدة * تساجل البحران فاضت زواخره
فكل يوم تلقانا عوارفه * كساه أمواله الطولى دفاتره

وقد وثب فسمعت منشدا من ناحية القصر ينشد هذين البيتين

لا تعجبن من العجب * قد جاء ما يقضي العجب
قد جاء أمر فادح * فيه لذي عجب عجب

قال فما قمنا معه بعدها الى ان قتل وكان الامين مولعا بام ولده قطم وهي أم موسى الذي كان سماه الناطق بالحق وأراد خلع المأمون والعقد له من بعده فهلكت أم موسى قطم فجزع عليها جزعا شديدا فلما اتصل الخبر بام جعفر زبيدة قالت احملوني الى أمير المؤمنين فحملت اليه فاستقبلها وقال يا سيدتي ماتت قطم فقالت

نفسي فداؤك لا يذهب بك اللهف * ففي بقائك مما قد مضى خلف
عوضت موسى فهانت كل مرزئة * ما بعد موسى على مفقودة أسف

(وذكر) ابراهيم بن المهدي قال استأذنت على الامين يوما وقد اشتد الحصار عليه من كل وجه فابوا ان يأذنوا لي بالدخول عليه الى ان كاثرت ودخلت فاذا هو قد تطلع الى دجلة بالشباك وكان في وسط قصره بركة عظيمة لها مخترق الى الماء في دجلة وفي المخترق شباك حديد فسلمت عليه وهو مقبل على الماء والخدم والغلمان قد انتشروا الى تفتيش الماء وهو كالواله فقال لي

فمن يؤدى لما أولاه من نعم * شكراولوأن سحبانا يظاهره
ياأيها العيد بادر لثم راحته * فلثمها خير مأمول تبادره
وافخر بأن قد لقيت ابن الحكيم على * عصر يباريك أودهر تفاخره
وللصيام وقد عظمت حرمته * فاجره لك وافيه ووافره
وأقبل العيد فاستقبل به جذلا * واهنأ به قادما عمت بشائره

(ومن نثر ذى الوزارتين آخر اجازة ماصورته) وها أنا أجرى معه على حسن معتقده وأكله فى هذا الغرض الى ماراًه بمقتضى تودده وأجيز له ولولديه أقر الله بهما عينه وجمع بينهما وبينه رواية جميع مانقلته وحملته وحسن اطلاعه يفصل من ذلك ما أجملته فقد أطلقت لهم الاذن فى جميعه وأبحت لهم الجل عنى ولهم الاختيار فى تنويعه والله سبحانه يخلص أعمالنا لذاته ويجعلها فى ابتغاء مرضاته قال هذا محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم حامدالله عزوجل ومصليا ومسلما * ومن شعر ذى الوزارتين بن الحكيم قوله

ماأحسن العقل وآثاره * لولازم الانسان ايثاره
يصون بالعقل الفتى نفسه * كمايصون الحرأسراره
لاسيما ان كان فى غربة * يحتاج أن يعرف مقداره

وقوله رحمه الله

انى لاعسر أحيانا فيلحقنى * يسر من الله ان العسر قدزالا
يقول خير الورى فى سنة ثبتت * أنفق ولاتخش من ذى العرش اقلالا

وهو من أحسن ما قال رحمه الله * ومن شعر ذى الوزارتين المذكور قوله

فقدت حياتى بالعراق ومن غدا * بحال نوى عمن يحب فقد فقد
ومن أجل بعدى عن ديار ألفتها * جحيم فؤادى قد تلظى وقد وقد

وقد سبقه الى هذا القائل

أوارى أوارى بالدموع تجلدا * وكم رمت اطفاء اللهيب وقد وقد
فلاتعذلوا من غاب عنه حبيبه * فمن فقد المحبوب مثلى فقد فقد

كذا رواه ابن خاتمة ورواه غيره هكذا * أوارى أوارى والدموع تبينه * وهو الصواب قال ابن خاتمة وأنشدنى رئيس الكتاب الصدر البليغ الفاضل أبو القاسم عبدالله بن يوسف بن رضوان البخارى قال أنشدنى رئيس الكتاب الجليل أبو محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرمى قال أنشدنى رئيس الكتاب ذوالوزارتين أبو عبدالله محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم رحمه الله

صح الكتاب وعنه * واختم على ملكته
واحذر عليه من عنا * لسة الرقيب بجفنه
واجعل لسانك سجنه * كيلا ترى فى سجنه

قال ابن خاتمة وفى سند هذه القطعة نوع غريب من التسلسل (وحكى) ان ذا الوزارتين المذكور لما اجتمع مع الجليل الفقيه الكاتب بن أبى مدين أنشده ابن أبى مدين

عشقتكم بالسمع قبل لقاكمو * وسمع الفتى يهوى لعمرى كطرفه

صيدت له وهى صغيرة فقرطها حلقتين من ذهب فيهما حبتا در قال فخرجت وأنا مؤيس من فلاحه وقلت لوارتدع من وقت لكان هذا الوقت وكان محمد فى نهاية الشدة والقوة والبطش والبهاء والجمال الا انه كان عاجز الرأى ضعيف التدبير غير مفكر فى أمره (وحكى) انه اصطبح يوما وقد كان خرج أصحاب اللبابيد والحراب على البغال وهم الذين كانوا يصطادون السباع الى سبع كان بلغهم خبره بناحية كوثى والقصر فاحتالوا فى السبع الى أن أتوا به فى قفص من خشب على جمل يحتى حطوا بباب القصر وأدخل فشل فى صحن القصر والامين مصطبح فقال خلوا عنه وشيلوا باب القفص فقيل له يا أمير المؤمنين انه سبع هائل أسود وحش فقال خلوا عنه فشالوا باب القفص فخرج سبع أسود له شعر عظيم مثل الثور فزأر وضرب بذنبه الى الارض فتهارب الناس وغلقت الابواب فى وجهه وبقى الامين وحده جالسا موضعه غير مكترث بالاسد فقصده الاسد حتى دنا منه فضرب الامين بيده الى مرفقة ارمنية فامتنع منه بها ومد السبع يده اليه

وحببنى ذكر الجليس اليكمو * فلما التقينا كنتموفوق وصفه

فأنشده ذو الوزارتين بن الحكيم

مازلت أسمع عن علياك كل سنى * أبهى من الشمس أوأجلى من القمر
حتى رأى بصرى فوق الذى سمعت * اذنى فوفق بين السمع والبصر

ويجبنى فى قريب من هذا المعنى قول الحاج الكاتب أبى اسحق الحساوى رحمه الله

سحر البيان بنانى صاريعقده * والنفث فى عقده من منطق الحسن
لاأنشد المرء يلقانى ويبصرنى * أناالمعيدى فاسمع بى ولاترنى

(رجع) وقال لسان الدين فى عائد الصلة فى حق ذى الوزارتين بن الحكيم ماصورته كان رحمه الله فريد دهره سماحة وبشاشة ولوذعية وانطباعا رقيق الحاشية نافذ العزمة مهتزا للمديح طلقا للآمل كهفا للغريب برمكى المائدة مهلبى الحلوى ريان من الادب مضطلعا بالرواية مستكثرا من الفائدة يقوم على المسائل الفقهية ويتقدم الناس فى باب التحسين والتقبيح ورفع راية الحديث والتحديث نفق بضاعة الطلب واحيا معالم الادب واكرم العلم والعلماء ولم تشغله السياسة عن النظر ولاعاقه تدبير الملك عن المطالعة والسماع وأفرط فى اقتناء الكتب حتى ضاقت قصوره عن خزائنها وأثرت أنديته من ذخائرها قام له الدهر على رجل وأخدمه صدور البيوتات وأعلام الرياسات وخوطب من البلاد النازحه وأمل فى الآفاق النائيه انتهى المقصود منه ومن أحسن مارثى به الوزير ابن الحكيم رحمه الله قول بعضهم

قتلوك ظلما واعتدوا * فى فعلهم حد الوجوب
ورموك أشلاء وذا * أمر قضته لك الغيوب
ان لم يكن لك سيدى * قبر فقبرك فى القلوب

(وقال لسان الدين فى الاحاطة فى حق رحلة ذى الوزارتين بن الحكيم ماصورته) رحل الى الحجاز الشريف من بلده على فتاء سنه اول عام ثلاثة وثمانين وستمائة فحج وزار وتجول فى بلاد المشرق منتجعا عوالى الرواية فى مظانها ومنقرا عن اعلام مشيوخها وقيد الاناشيد الغريبة والابيات المرقصة وأقام بمكة شرفها الله من شهر رمضان الى انقضاء الموسم فاخذ بها عن جماعة وانصرف الى المدينة المشرفة ثم قفل مع الركب الشامى الى دمشق ثم كر الى المغرب لايمر بمجلس علم أوتعلم الاروى أوروى واحتل رندة حرسها الله أواخر عام خمسة وثمانين وستمائة فأقام بها عينا فى قرابته وعلما فى أهله معظما لديهم الى أن اوقع السلطان بالوزراء من بنى حبيب الوقيعة البرمكية وورد رندة فى اثر ذلك فتعرض اليه وهنأه بقصيدة طويلة من اوليات شعره أولها

هل الى ردعشيات الوصال * سبب أم ذاك من ضرب المحال

فلما أنشدها اياه أعجب به وبحسن خطه ونصاعة ظرفه فأثنى عليه واستدعاه الى الوفادة على حضرته فوفد آخر عام ستة وثمانين فاثبته فى خواص دولته وأحظاه لديه الى أن رقاه الى كتابة الانشاء ببابه واستمرت حاله معظم القدر مخصوصا بالمزية الى أن توفى السلطان ثانى

فخذبها الامين وقبض على وتبادر الناس الامين فاذا أصابعه ومفاصل يديه قد زالت عن مواضعها فأتى بجبر فردعظام أصابعه الى مواضعها وجلس كأنه لم يعمل شيئا فشقوا بطن الاسد فاذا مرارته انشقت عن كبده (وحكى) أن المنصور جلس ذات يوم ودخل اليه بنو هاشم من أهله فقال لهم وهو مستبشر أماعلمتم ان محمدا المهدى ولد البارحة له ولد ذكر وقد سميناه موسى فلما سمع القوم ذلك وجموا وكأنما فقئ فى وجوههم الرماد ولم يحيروا جوابا فنظر اليهم المنصور فقال لهم هذا موضع دعاء وتهنئة وأراكم قد سكتم ثم استرجع فقال كأنى بكم لما أخبرتكم بتسميتى اياه موسى اغتممتم به لان المولود المسمى بموسى بن محمد هو الذى على رأسه تختلف الكلمة وتنتهب الخزائن ويضطرب الملك ويقتل أبوه وهو المخلوع من الخلافة ليس هو ذاك ولاهذا زمانه والله ان جد هذا المولود يعنى هرون الرشيد لم يولد بعد قال فدعوا له وهنوه وهنوا المهدى وكان هذا موسى الهادى أخا الرشيد وكان العهد الذى كتبه الرشيد بين الامين والمامون وأودعه الكعبة ان الغادر

الملوك من بني نصر وتقلد الملك بعده ولي عهده أبو عبد الله فزاد في احظائه وتقريبه وجمع له بين الكتابة والوزارة ولقبه بذي الوزارتين واعطاه العلامة وقلده الامر فبعد الصيت وطاب الذكر الى أن كان من أمره ما كان انتهى ملخصا * وقال في الاحاطة بعد كلام طويل في ترجمته قال شيخنا الوزير أبو بكر بن الحكيم ولده وجدت بخطه رحمه الله تعالى رسالة خاطب بها أخاه الاكبر أبا اسحق ابراهيم افتتحها بقصيدة أولها

ذكر اللوى شوقا الى أقماره * فقضى أسى أو كاد من تذكاره
وعلا زفير حريق نار ضلوعه * فرمى على وجناته بشراره

وقد ذكرناها في غير هذا المحل ومن نظمه مما يكتب على قوس

انا عدة للدين في يد من غدا * لله منتصرا على اعدائه
أحكي الهلال وأسهمي في رجمها * لمن اعتدى تحكي نجوم سمائه
قد جاء في القرآن أني عدة * اذ نص خير الخلق محكم آيه
واذا العدو أصابه سهمي فقد * سبق القضاء بهلكه وفنائه

(قال لسان الدين) ومن توقيعه مانقلته من خط ولده يعني أبا بكر في كتابه المسمى بالموارد المستعذبة وكان بوادي آش الفقيه الطريفي فكتب الى خاصة والدي أبي جعفر بن داود قصيدة على روي السين يشكي فيها من مشرف بلدهم اذذاك أبي القاسم بن حسان منها

فياصفي أبي العباس كيف ترى * وأنت أكيس من فيها من اكياس
ولوه ان كان ممن ترتضون به * فقد دنا الفتح للاشراف في فاس

ومنها يستطرد ذكر ذي الوزارتين

للشرق فضل فمنه أشرقت شهب * من نورهم أقبسونا كل مقباس

فوقع عليها رحمه الله تعالى

ان أفرطت بابن حسان عوائله * فالامر يكسوه ثوب الذكر والباس
وان ترك به في جرره قدم * كان الجزاء له ضربا على الراس
فقد أقامني المولى بنعمته * لبث أحكامه بالعدل في الناس

(ثم أطال في أمره الى أن قال في ترجمة قتله ماصورته) واستولت يد الغوغاء على منازله شغلهم بها مدبر الفتنة خيفة من أن يعاجلوه قبل تمام أمره فضاع بها مال لا يكتب وعروض لا يعلم لها قيمة من الكتب والذخيرة والفرش والآنية والسلاح والمتاع والخرثي وأخفرت ذمته وتعدى به عدوه القتل الى المثلة وقانا الله مصارع السوء فطيف بشلوه وانتهب فضاع ولم يقبر وجرت فيه شناعة كبيرة رحمه الله تعالى انتهى المقصود منه *(رجع) ومن مشايخ لسان الدين الاستاذ أبو الحسن علي القيجاطي وقال في حقه في الاحاطة ماتحصله علي بن عمر بن ابراهيم بن عبد الله الكناني القيجاطي أبو الحسن أوحد زمانه علما وتخلقا وتواضعا وتفننا ورد على غرناطة مستدعى عام اثني عشر وسبعمائة وقعد بمسجدها الاعظم يقرئ فنونا من العلم من قراآت وفقه وعربية وأدب وولي الخطابة وناب عن بعض القضاة بالحضرة مشكور المآخذ حسن السيرة عظيم النفع وقصده الناس وأخذوا عنه وكان أديبا لوذعيا

(وذكر ياسر) انه لما احيط بمحمد دخلت أم جعفر باكية فقال لها ماءانه ليس بجزع النساء وهلعن عقدت التيجان والخلافة سياسة لا تسعها صدور المراضع وراءك وراءك ويقال ان محمدا اقصف عند طاهر فبينا طاهر في بستانه اذ ورد كتاب من محمد بخطه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلم انه ماقام لنامذ قمنا قائم بحقنا وكان جزاؤه الا السيف فانظر لنفسك أودع قال فلم يزل والله يتبين موقع الكتاب من طاهر فلما رجع الى خراسان أخرجه الى خاصته وقال لهم والله ماهذا كتاب مضعوف ولكنه كتاب مخذول ولم يكن فيمن سلف من الخلفاء الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من أبوه وأمه من بني هاشم الاعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومحمد بن زبيدة وفي محمد بن زبيدة يقول أبو الهذيل

مات أبوه وأمه من نبعة
منها سراج الامة الوهاج
شربت بمكة من ذرا بطحائها
ماء النبوة ليس فيه مزاج

وفي سنة سبع وتسعين ومائة كان ابتداؤه بالغدر بالمامون وفي سنة سبع وتسعين ومائة مات بالرقة عبد الملك بن صالح بن علي في أيام الامين وكان عبد

مشيد وبستان مغتم بالاشجار كثير الثمار فقال لمن هذا القصر قال لك ولى بك يا أمير المؤمنين قال فكيف بناء القصر قال دون منازلك وفوق منازل الناس قال فكيف مدينتك قال عذبة الماء باردة الهواء صلبة الموطا قليلة الادواء قال كيف ليلها قال سحر كله وقال له يا أبا عبد الرحمن ما أحسن بلادكم قال فكيف لا تكون كذلك وهى تربة حمراء وسنبلة صفراء وشجرة خضراء فيافى فيح وجبال وضح بين قيصوم وشيح فالتفت الرشيد الى الفضل بن الربيع فقال ضرب السياط أهون على من هذا الكلام ولما سمى محمد ابنه الناطق بالحق وأخذ له العهد على الناس الفضل بن الربيع وزفر وموسى يومئذ لا ينطق بام ولا يعرف حسنا ولا يعقل قبيحا ولا يخلو من الحاجة الى من يخدمه فى ليله ونهاره و يقظته وقيامه وقعوده واحضنه على بن عيسى بن ماهان قال فى ذلك رجل أعمى من أهل بغداد يعرف بعلى بن أبى طالب

اضاع الخلافة غش الوزير وفعل الامام ورأى المشير وماذاك الا طريقا غرور وشر المسالك طرق الغرور

فكها حلوا وهو أول أستاذ قرأت عليه القرآن والعربية والادب اثر قراءة المكتب وله تآليف فى فنون وشعر ونثر فمن شعره قوله

روض المشيب تفتحت أزهاره * حتى استبان ثغامه وبهاره
ودجى الشباب قد استبان صباحه * وظلامه قد لاح فيه نهاره
فاتى حمام لا يعاف وقوعه * ومضى غراب لا يخاف مطاره
والعمر مثل البدر يبدو حسنه * حينا ويعقب بعد ذاك سراره
ما للاخاء تقلصت أفياؤه * ما للصفاء تكدرت آثاره
والحر يصفح ان أخل خليله * والبر يسمع ان تجر أجاره
فتراه يدفع ان تمكن جاهه * وتراه ينفع ان علا مقداره
ولانت تعلم أننى زمن الصبا * مازلت زندا والحياء سواره
ولانت تعلم أننى زمن الصبا * مازلت ممن عف فيه ازاره
والهجر ما بين الاحبة لم يزل * ترك الكلام أو السلام مثاره
ولكم تجافى عن جفاء خليله * فطن وقد ظفرت به اظفاره
ولكم أصر على التدابر مدبر * افضى الى ندم به اصراره
فاقام كالكسعى بان نهاره * أو كالفرزدق فارقته نوا[ره]
انكرتم من حق معترف لكم * بالحق مالا ينبغى انكاره
والشرع قد منع التقاطع نصه * قطعا وقد وردت به اخباره
والسن سن تورع وتبرع * وتسرع لتشرع تختاره
ماهو نام من أمسنا متدارك * ذهب الشباب فكيف يبقى عاره
هل لا حظرتم أو حذرتم منه ما * حق عليكم حظره وحذاره
عجبا لمن يجرى هواه لغاية * محدودة اضماره مضماره
يأتى ضحى ماكان يأتيه دجى * فكانه ماشاب منه عذاره
فيعد ما تفنى به حسناته * ويعيد ما تبقى به اوزاره
فالنفس قد أجرته مل عنانها * يشتد فى مضمارها احضاره
والمرء من اخوانه فى جنة * بل جنة تجرى بها أنهاره
واليمن قد مدت اليه يمينه * واليسر قد شدت عليه يساره
شعر به أشعرت بالنصح الذى * يهديه من اشعاره أشعاره
ولو اختبرتم نقده محكه * لامتاز بهرجه ولاح نضاره
هذا هدى فيه اقتده تنل المنى * أو انت ذى هذا وما تختاره
وعليكم منى سلام مثل ما * أرجت بروض يانع أزهاره

وقال من قصيدة رثائية

حمام حمام فوق أيك الاسى تشدو * تهيج من الاشجان ما أوجد الوجد
وذلك شجو فى حناجر اشجى * وذلك هزل فى ضمائرنا جد

أرى أرجل الأرزاء تشتد نحونا * وأيديها تسعى إلينا فتمتد
ونحن أولو سهو عن الأمر ما لنا * سوى أمل إيجابنا عنده جحد
فإن خطرت للمرء ذكرى بخاطر * فتسبيحة الساهي إذا سمع الرعد
مصاب به قدت قلوب وأنفس * لدينا إذا في غيره قطعت برد
ألين له الصم الصلاب وتنهمي * عيون ويبكي عنده الحجر الصلد
إلا مقلة ترنو ولا أذن تعي * ولا راحة تعطو ولا قدم تعدو
وقد كان يبدو الصبر منا تجلدا * وهذا مصاب صبرنا فيه ما يبدو

مولده عام خمسين وستمائة وتوفي بغرناطة ضحى السبت في السابع والعشرين لذي حجة عام ثلاثين وسبعمائة وحضره السلطان فمن دونه رحمه الله تعالى انتهى * (ومنهم العلامة شيخ الشيوخ أبو سعيد فرج بن لب) قال في الإحاطة في حقه ما محصله فرج بن قاسم بن أحمد بن لب قال ابن الصباغ من شعر ابن لب يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذا القلب ثار أثار ادكارا * لقلبي فذكى عليه أوارا
تروم جفوني لنار الهوى * خمودا فتهمي دموعا غزارا
فماء جفوني يسح انهمالا * ونار فؤادي تهيج استعارا
أطيل العويل صباحا مساء * كئيبا ولست أطيق اصطبارا
رقيت مراقي للعيش حتى * فاقني مرارا وأحيا مرارا
أحن اشتياقا إلى ما سرت * وأبدى هياما البرق أمارا

فقال الخليفة أعجوبة * وأعجب منه فعال الوزير وأعجب من ذا وذا أننا * نبايع للطفل فينا الصغير
ومن ليس يحسن مسح انفه * ولم يخل من متنه حجر ظير وما ذاك إلا باغ وغاو * يريدان نقض الكتاب المنير
وهذان لولا انقلاب الزما * ن في العير هذان أم في النفير ولكنها فتن كالجبال * ترفع فيها بضع الحقير
ولما قتل طاهر بن الحسين علي بن عيسى بن ماهان سار فنزل حلوان وذلك على خمسة أيام من مدينة السلام فتعجب الناس من أمره وإدبار أصحاب الأمين وهزيمتهم في كل حال وأيقنوا بقتله وظهور المأمون واسقط في يدي الفضل بن الربيع وأصحابه
فقال الشاعر عجبت لمعشر يرجون نجحا * لأمر ما تتم به الأمور وكيف يتم ما عقدوا وراموا * وأس بنائهم منه الفجور
أهاب إلى الضلال بهم غوي * وشيطان مواعده غرور يصيب بهم ويلعب كل لعب * كما لعبت بشاربها الخمور
وكادوا الحق والمأمون غدرا * وليس بمفلح أبدا غدور هو العدل النجيب البر فينا * تضمن حبه منا الصدور
وعاقبة الأمور له يقينا * به شهد الشريعة والزبور فملك أربعين لها وفاء * يتم به الأهلة والشهور
فكيدوا أجمعين بكل كيد * وكيد كم له فيه السرور وبلغ محمدا الخمع قواده عندما ظهر من ٢٦٥ أمر طاهر وشاورهم
وقال أحضروا إلى عناء كم كما أحضرت خراسان لعبد الله غناءها وكانت كما قال أعشى ربيعة
ثم ما هابوا ولكن قدموا كبش غارات إذا لاقى نطح
أما والله لقد حدثت بحديث الأمم السالفة وقرأت كتب حروبها وقصص من أقام دولها فما رأيت في حديثهم حديثا لرجل منهم وأبي كهذا الرجل في إقدامه وسياسته وقد قصدني واجترأ علي وعلى الهامة العظيمة من الجند ومجمع القواد وساسة الحروب
فهاتوا ما عندكم قالوا يبقي الله أمير المؤمنين ويكفيه كما كفى الخلفاء قبله بغي من بغى عليهم
ولما انهزم جيش محمد بين يدي طاهر ولم يقم له قائمة منهم قال سليمان بن أبي جعفر لعن الله الغدار ماذا جلب على الأمة بغدره وسوء رأيه وأبعد الله نسبه أهل الفضل لأسرع ما انتصر الله للمأمون بكبش المشرق وفي ذلك يقول الشاعر
تبالذي الإمام والمتزندق * ماذا دعاه إلى العظيم الموثق والغدر بالبر الزكي أخي التقى * والسائس المأمون غير الأخرق
زين الخلافة والإمامة والنهى * أهل السماحة والندى المتدفق ان تغدروا جهلا بوارث أحمد * ووصي كل مسدد وموفق
فالله للمأمون خير موازر * والماجد القمقام كبش المشرق ولما أحيط بمحمد من الجانب الشرقي والغربي وكان هرثمة ابن أعين نازلا مما يلي النهروان بالقرب من باب خراسان وثلاثة أبواب وطاهر من الجانب الغربي مما يلي الناشرية وباب المحول والكناس جمع قواده فقال الحمد لله الذي يضع من يشاء بقدرته ويرفع والحمد لله الذي يعطي بقدرته من يشاء ويمنع الحمد لله الذي يقبض ويبسط وإليه المصير أحمده على نوائب الزمان وخذلان الأعوان وتشتت الحال وكسوف البال وصلى

الله على رسوله وآله وسلم وقال انى لا فارقكم بقلب موجع ونفس حزينة وحسرة عظيمة انى محتال لنفسى فاسأل الله أن
يلطف بى بعونته ثم كتب الى طاهر أما بعد فانك تنحيت فتنحيت وحاربت فنصرت و قد يغلب الغالب ويخذل المفلح
وقد رأيت الصلاح فى معاونة أخى والخروج اليه من هذا السلطان اذ كان أولى به وأحق فاعطنى الامان على نفسى وولدى
وأمى وجدتى وحاشيتى وأنصارى واخوانى أخرج اليه وهذا الامر الى أخى فان رأى الوفاء لى بامانك والا كان أولى وأحق
قال فلما قرأ طاهر الكتاب قال الآن ضيق خناقه وهيض جناحه وانهزم فساقه لا والذى نفسى بيده حتى يضع يده فى
يدى وينزل على حكمى فعند ذلك كتب الى هرثمة يسأله النزول على حكم أمانه وقد كان المخلوع جهز جماعة من رجاله
من الابناء وغيرهم ممن استأمن اليه لدفع المامونية عنده فالوا نحو هرثمة وكان طاهر عدهرثمة بالرجال ولم يلق هرثمة مع
ذلك كثير كيد فلما مال من ذكرنا الى حرب هرثمة وعلى الجيش بشرو بشر الازدمان ثم انفض الجمع وكان طاهر قد نزل فى
البستان المعروف بباب الكناس بالطاهرى فى ذلك يقول بعض العيارين من أهل بغداد ومن أهل السجون

لنا من طاهر يوم * عظيم الشان والخطب علينا فيه بالانجا * دعن هرثمة الكلب
ومنا لابى الطيب يوم صادق الكرب أتاه كل كرار * ولص كان ذا نقب وعريان على جنبيه آثار من الضرب
اذا ما حل من شرق
أتيناه من الغرب

وضاق الامر بمحمد الامين
ففرق فى قواده المحدثين
دون غيرهم خمسمائة ألف
درهم وقارورة غالية ولم
يعط قدماء أصحابه شيأ
فاتت طاهرا عيونه
وجواسيسه بذلك فراسلهم
وكاتبهم ووعدهم ومناهم
وأغرى الاصاغر بالقادة
حتى غضبوا لذلك وسعوا
على الامين وقال بعضهم
قل لامين الناس فى نفسه
ماشتت الجند سوى الغاليه
وطاهر نفسى فدا طاهر
برسله والعدة الكافيه
أضحى زمام الملك فى كفه * مقاتلا للفئة الباغيه
قد جاءك الليث بسيدانه * مستكلبا فى أسد ضاريه
طريق فاهرب فلا مهرب من مثله * حقا الى النار أو الهاويه

وانتقل طاهر من الناشرية فنزل بباب الانبار وحاصر أهل
بغداد وغادى القتال وراوحه حتى تواكل الفريقان وخربت الديار وعفت الآثار وغلت الاسعار وذلك فى سنة ست
وتسعين ومائة وقاتل الاخ أخاه والابن أباه هؤلاء محمدية وهؤلاء مامونية وهدمت المنازل وأحرقت الديار وانتهبت
الاموال فقال الاعمى فى ذلك

تقطعت الارحام بين العشائر * وأسلمهم أهل التقى والبصائر
فذاك انتقام الله من خلقه بهم * لما اجترموه من ركوب الكبائر
فلا نحن اظهرنا من الذنب توبة * ولا نحن اصلحنا فساد السرائر
ولا نستمع من واعظ ومذكر * فينجع فينا وعظ ناه وآمر
فأبك على الاسلام لما تقطعت * رجاه ورجى خيرها كل كافر
فاصبح بعض الناس يقتل بعضهم * فمن بين مقهور وعز بزوقاهر
وصار رئيس القوم يحمل نفسه * وصار رئيسا فيهم كل شاطر

حننا وشوقا الى معلم * حوى شرفا خالدا الاعصارى
به أسكن الله أسمى الورى * نبيا كريما وصحبا خيارا
هو المصطفى المنتقى المجتبى * أرى معجزات وآيا كبارا
يحق علينا ركوب البحار * وجوب القفار اليه ابتدارا
ومنها
فيافوز من فاز فى طيبة * بلثم المغانى جدارا جدارا
وألصق خدا على تربها * وأكحل جفنا بها واعتمارا
وأهدى السلام لخير الانام * على حين وافى عليه مرارا
فياهادى الخلق دار نعيم * تناهت جمالا وطابت قرارا
لانت الوسيلة والمرتجى * ليوم يرى الناس فيه سكارى
وماهم سكارى ولكنهم * دهتهم دواه فهاموا حيارى
ترى المرء للهول من أمه * ومن أقربيه يطيل الفرارا
وكل يخاف على نفسه * فيكسوه خوف الاله انكسارا
فصلى الاله رسول الهدى * عليك وأبقى هداك منارا
وقدس ربى ثرى روضة * يعم الجهات سناها انتشارا
أعير شذا المسك منها الثرى * بل المسك منه شذاه استعارا
هنيأ لمن بهداك اهتدى * ومغناك وافى واياك زارا
وقصد رحمه الله تعالى بهذه القصيدة معارضة قصيدة الشهاب محمود التى نظمها بالحجاز فى

فلا فاجر للبر يحفظ حرمة * ولا يستطيع البر دفع الفاجر
تراهم كامثال الذئاب رأت دما * فأمته لا تلوى على رجز زاجر
وأصبح فساق القبائل بينهم * تسل على أقرانها بالخناجر
فأبك لقتلى من صديق ومن أخ * كريم ومن جار شفيق مجاور
ووالدة تبكي بحزن على ابنها * فيبكي لها من رحمة كل طائر
وذات حليل أصبحت وهي أيم * وتبكي عليه بالدموع البوادر
تقول له قد كنت عزا وناصرا * فغيب عني اليوم عزي وناصري
وأبك لاحراق وهدم منازل * وقتل وانهاب اللهى والذخائر
وابراز ربات الخدور حواسرا * خرجن بلا خمر ولا بمآزر
تراها حيارى ليس تعرف مذهبا * نوافر أمثال الظباء النوافر
كأن لم تكن بغداد أحسن منظرا * وملهى رأته عين لاه وناظر
بلى هكذا كانت فأذهب حسنها * وبددها الشمل حكم المقادر
وحل بهم ما حل بالناس قبلهم * فاضحوا أحاديثا لباد وحاضر
أبغداد يا دار الملوك ومجتنى * صروف المنايا مستقر المنابر
ويا جنة الدنيا ويا مطلب الغنى * ومستنبط الاموال عند الضرائر
أبيني لنا أين الذين عهدتهم * يحلون في روض من العيش زاهر

وأين ملوك في المواكب تغتدى * تشبه حسنا بالنجوم الزواهر
وأين القضاة الحاكمون برأيهم * لورد أمور مشكلات الاوامر
أو القائلون الناطقون بحكمة * ورصف كلام من خطيب وشاعر
وأين مراح للملوك عهدتها * مزخرفة فيها صنوف الجواهر
ترش بماء المسك والورد أرضها * يفوح بها من بعد ريح المجامر
وروح الندامى فيه كل عشية * الى كل فياض كريم العناصر
ولهو قيان تستجيب لنغمها * اذا هو لباها حنين المزامر
فما للملوك العز من آل هاشم * وأشياعهم فيها اكتفوا بالمغادر
يروحون في سلطانهم وكأنهم * يروحون في سلطان بعض العشائر
يجادل عما لهم كبراؤهم * فنالتهم وبالكره أيدي الاصاغر
فأقسم لو أن الملوك تناصروا * لزالت لها خوفا رقاب الجبابر

وبعث هرثمة بن أعين بن زهير بن المسيب الضبي من الجانب الشرقي فنزل الماطر عما يلي كلواذا وغشى ما في السفن من أموال التجار الواردة من البصرة وواسط ونصب على بغداد المجانيقات ونزل في رقة كلواذا والجزيرة فتأذى الناس به وصمد نحوه خلق من العيارين وأهل السجون وكانوا يقاتلون عراة في أوساطهم التبابين والمآزر وقد اتخذوا لرؤسهم دواخل من الخوص وسموها الخوذ ودرقا من الخوص والبواري قد قيرت وحشيت بالحصى والرمل على كل عشرة عريف وعلى كل عشرة عرفاء نقيب وعلى كل عشرة نقباء قائد وعلى كل عشرة قواد أمير ولكل ذي مرتبة من المركوب على مقدار ما تحت يده فالعريف له أناس مركبهم غير من ذكرنا من المقاتلة وكذلك النقيب والقائد والامير وناس عراة قد جعل في أعناقهم الجلاجل والصوف

طريق المدينة المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام وهي طويلة ومطلعها

وصلنا السرى وهجرنا الديارا * وجئناك نطوى اليك القفارا

وقد تبارى الشعراء في هذا الوزن وهذا الروي ومنه القصيدة المشهورة

أقول وآنست بالليل نارا *

ولابن لب رحمه الله تعالى الفتاوى المشهورة وقال في الاحاطة في حقه ما محصله فرج بن قاسم بن أحمد بن لب التغلبي غرناطي أبو سعيد من أهل الخير والطهارة والذكاء والديانة وحسن الخلق رأس بنفسه وبرز بزيه ادراكا وحفظه فأصبح حامل لواء التحصيل وعليه مدار الشورى واليه مرجع الفتوى لقيامه على الفقه وغزارة علمه وحفظه الى المعرفة بالعربية واللغة ومعرفة التوثيق والقيام على القراآت والتبريز في التفسير والمشاركة في الاصلين والفرائض والادب وجودة الحفظ وأقرأ بالمدرسة النصرية في الثامن والعشرين لرجب عام أربعة وخمسين وسبعمائة معظما عند الخاصة والعامة مقرونا اسمه بالتنويه فقعد للتدريس ببلده على وفور الشيوخ وولي الخطابة بالجامع معظما عند الخاصة والعامة قرأ على القيجاطي والعربية على ابن الفخار وأخذ عن ابن جابر الوادي آشي فمن شعره في النسيب

خذوا للهوى من قلبي اليوم ما أبقى * فما زال قلبي كله للهوى رقا
دعوا القلب يصلى في لظى الوجد ناره * فنار الهوى الكبرى وقلبي هو الاشقى
سلوا اليوم أهل الوجد ماذا به لقوا * فكل الذي يلقون بعض الذي ألقى
فان كان عبد يسأل العتق سيدا * فلا أبتغي من مالكي في الهوى عتقا

الاحمر والاصفر ومقاود وقد اتخذت لجم من مكانس ومذاب فيأتى العريف وقد أركب واحدا وقدامه عشرة من المقاتلة على رؤسهم خود ودرق البوارى ويأتى النقيب والقائد والامير كذلك فتقف النظارة ينظرون الى حربهم مع أصحاب الخيول المعدة والجواشن والدروع والتجافيف والرماح والدرق التبتية فهؤلاء عراة وهؤلاء على ماذكرنا فكانت للعراة على زهير وأتباعه المدد من هزيمة فانهزمت العراة ودمت بهم خيولهم وتحاصروا جميعا وأخذهم السيف فقتل منهم خلق وقتل من النظارة خلق فقال فى ذلك بعضهم وذكر رمى زهير بالمنجنيق لاتقرب المنجنيق والحجرا * وقد رأيت القتيل اذ قبرا

يا صاحب المنجنيق مابطلت * ولاقتيل وخلف الخبرا * ما كر كيلا يفوته خال

هيهات أن يغلب الهوى القدرا * كأن داره سوى الذى أمرا * كفاك لم تبقيا ولم تذرا

فلما اضاق الامر بالامين فرق الجند ضرب آنية الذهب والفضة سرا وأعطى رجاله وتحيز الى طاهر أهل الارباضيات عما يلى باب الانبار وباب حرب وباب قطربل فصارت الحرب فى وسط الجانب الغربى وعملت المنجنيقات بين الفريقين وكثر الحرق والهدم ببغداد

فى الكرخ وغيره من الجانبين حتى درست محاسنها واشتد الامر وتنقل الناس من موضع الى موضع وعم الخوف فقال الشاعر

من ذا أصابك يابغداد بالعين
ألم تكونى زمانا قرة العين
ألم يكن فيك قوم كان قربهم
وكان مسكنهم زينا من الزين
صاح الزمان بهم بالبين فانقرضوا
ماذا لقيت بهم من لوعة البين
أستودع الله قوما ماذكرتهم
الا تحدر ماء الدمع من عينى
كانوا ففرقهم دهر وصدعهم
والبين يصدع مابين الفريقين

ولم تزل الحرب بين الفريقين أربعة عشر شهرا وضاقت بغداد باهلها وتعطلت المساجد وتركت الصلاة ونزل بها مالم ينزل بها قط مثله مذ بناها المنصور وقد كان لاهل بغداد فى أيام حرب سبق المستعين والمعتز حرب نحو هذا من حروب العيارين ويسير الى الحرب فى خمسين ألف عراة ولم ينزل باهل بغداد شر من هذا الحرب حرب المأمون والمخلوع وقد استعظم أهل بغداد ما نزل بهم فى هذا الوقت فى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من خروج أبى اسحق المتقى عنهم وما كان قبل الوقت من البزيديين وبورون التركى ومادفعوا اليه من الوحشة بخروج أبى محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان الملقب بناصر الدولة وأخيه على بن عبد الله عليهم لبعد العهد عما حل بالمنازل بها وطول السنين وغيبة ذلك عنهم وبعدهم وتقدم مثل أولئك العيارين الذين كانوا فى ذلك العصر واشتد الامر بين المأمونية والعراة وغيرهم من أصحاب المخلوع وحصر محمد فى قصره من الجانب الغربى فكان بينهم فى بعض الايام مواقعة تفانى فيها خلق كثير من الفريقين فقال فى ذلك حسين الخليع أمين الله ثق بالله * تصيب النعم والنصره كل الامر الى الله * كلاك الله ذو القدره رأيت الحرب أحيانا * علينا ولنا مره وكانت وقعة أخرى عظيمة بشارع دار الرقيق هلك فيها خلق كثير وكثر القتل

بدعوى الهوى يدعو أناس وكلهم * اذا سئلوا طرق الهوى جهلوا الطرقا
فطرق الهوى شتى ولكن أهله * يحوزون فى يوم السباق بها السبقا
وكم جمعت طرق الهوى بين أهلها * وكم أظهرت عند السوى بينهم فرقا
بسيما الهوى تسمو معارف أهله * فحيث ترى سيما الهوى فاعرف الصدقا
فمن زفرة ترجى سحائب عبرة * اذا زفرة ترقا فلا عبرة ترقا
اذا سكتوا عن وجدهم أعربت به * بواطن أحوال وما عرفت نطقا

وقال فى وداع شهر رمضان

أأزمعت ياشهر الصيام رحيلا * وقاربت يابدر الزمان أفولا
أجدك قد جدت بك الآن رحلة * رويدك أمسك للوداع قليلا
نزلت فأزمعت الرحيل كأنما * نويت رحيلا اذ نويت نزولا
وماذاك الا ان أهلك قد مضوا * تفانوا فأبصرت الديار طلولا
تفكرت فى الاوقات ناشئة التقى * أشد به وطأ وأقوم قيلا

وهى طويلة وكان موجودا عند تأليف الاحاطة رحمه الله تعالى اه بالمعنى * وقال الحافظ ابن حجر انه صنف كتابا فى الباء الموحدة وأخذ عنه شيخنا بالاجازة قاسم بن على المالقى ومات سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة انتهى * وقال تلميذه المنتورى مانصه من شيوخى الشيخ الاستاذ الخطيب المقرى المتفنن المفتى أبو سعيد بن لب مولده سنة احدى وسبعمائة وتوفى ليلة السبت لسبع عشرة ليلة مضت من ذى الحجة عام اثنين وثمانين انتهى وهو مخالف لما

في الطرق والشوارع ينادي هذا يا مأمون والآخر يا مخلوع ويقتل بعضهم بعضا وانتهب الدار فكان الفوز لمن نجا بنفسه من رجل وامرأة إنما يسلم معه الى عسكر طاهر فيأمن على نفسه وفي ذلك يقول الشاعر

بكت عيني على بغداد لما * فقدت غضارة العيش الانيق
تبدلنا هموما من سرور * ومن سعة تبدلنا بضيق
أصابتنا من الحساد عين * فأفنت أهلها بالمنجنيق
فقوم أحرقوا بالنار قسرا * ونائحة تنوح على غريق
وصائحة تنادي يا صباحي * وقائلة تنادي يا شقيقي
وحوراء المدامع ذات دل * مضمخة المجاسد بالخلوق
تنادي بالشفيق فلا شفيق * وقد فقد الشفيق مع الرفيق
وقوم أخرجوا من ظل دنيا * متاعهم يباع بكل سوق
ومغترب بعيد الدار ملقى * بلا رأس بقارعة الطريق
توسط من قتالهم جميعا * فما يدرون من أي الفريق
فلا ولد يقيم على أبيه * وقد هرب الصديق عن الصديق
ومهما أنس من شيء تولى * فإني ذاكر دار الرقيق

وسأل قائد من قواد خراسان طاهرا أن يجعل له الحرب في يوم ما له فيه ففعل طاهر له ذلك فخرج القائد وقد حقرهم وقال يبلغ من كيد هؤلاء ولا سلاح معهم مع ذوي البأس والنجدة والسلاح والعدة فبصر به بعض ٢٦٩ العراة وقد رماه مدة طويلة حتى فنيت سهام القائد وظن أن العريان فنيت حجارته فرماه بحجر بيت في المخلاة وقد حمل عليه القائد فأخطأ عينه وثناه بحجر آخر فكاد يصرع القائد عن فرسه ووقعت البيضة عن رأسه فكر راجعا وهو يقول يا أبا طاهر ليس هؤلاء بناس هؤلاء شياطين ففي ذلك يقول أبو يعقوب الخزيمي

الكرخ أسواقه معطلة * يستن عيارها وعائرها
خرجت الحرب بين أسواقهم * أسود غيل علت قساورها

وقال علي الأعمى

خرجت هذه الحروب رجالا * لا لقحطان لا ولا لنزار
معشر في جواشن الحصر يعدو * ن الى الحرب كالليوث الضواري
ليس يدرون ما الفرار اذا الأبـ * ـطال عاذوا من القنا بالفرار
واحدهم يشد على ألـ * ـفين عريان ماله من ازار
ويقول الفتى اذا طعن الطعـ * ـنة خذها من الفتى العيار

وتوالت الحرب وطاهر في قوة واقبال وأصحاب المخلوع في نقص وادبار وأصحاب طاهر يهدمون ويأخذون بعض الدور وينهبون المتاع فقال رجل من المحمدية

لنا كل يوم ثلمة لا نسدها * يزيدون فيما يطلبون وننقص
اذا هدموا دارا أخذنا سقوفها * ونحن لأخرى مثلها نتربص
يثيرون بالطبل القنيص وان بدا * لهم وجه صيد من قريب تقنصوا
وقد أفسدوا شرق البلاد وغربها * علينا فما ندري الى أين نشخص
اذا حضروا قالوا بما يبصرونه * وان لم يروا شيئا قبيحا تخرصوا
قد رخصت قراؤنا في قتالهم * وما قتل المقتول الا المرخص

ولما نظر طاهر الى صبر أصحاب المخلوع على هذه الحال لصعبه قطع عنهم مواد الاقوات وغيرها من البصرة وواسط وغيرهما من الطرق فكان الخبز في حد المأمونية عشرين رطلا

سبق عن ابن حجر لكن صاحب البيت أدرى إذ المنتوري تلميذه ونحوه للشيخ أبي زكريا السراج في فهرسته اذ قال شيخنا الفقيه الخطيب الاستاذ المقرئ العالم العلم الصدر الاوحد الشهير كان شيخ الشيوخ وأستاذ الاساتذة بالاندلس اليه انتهت فيها رياسة الفتوى في العلوم كان أهل زمانه يقفون عند ما يشير اليه قرأ على أبي علي القيجاطي بالسبع وتفقه عليه كثيرا في أنواع العلوم ولازمه الى أن مات وأجازه عامة وعليه اعتمد وأخذ عن أبي جعفر ابن الزيات وأبي اسحق بن أبي العاصي وابن جابر الوادي آشي وقاضي الجماعة أبي بكر سمع عليه البخاري وتفقه عليه وقرأ عليه أكثر عقيدة المقترح تفهما وبعض الارشاد وبعض التهذيب وعن أبي محمد بن سلمون والبركة أبي عبد الله الطنجالي الهاشمي وأجازه انتهى بمعناه وبالجملة فهو من أكابر علماء المالكية بالمغرب حتى قال المواق فيه شيخ الشيوخ أبو سعيد بن لب الذي نحن على فتاويه في الحلال والحرام انتهى وقل من لم يأخذ عنه في الاندلس في وقته فمن أخذ عنه الشاطبي وابن علاق وأبو محمد بن جزي والاستاذ القيجاطي والاستاذ الحفار والشيخ الوزير ابن الخطيب السلماني والكاتب ابن زمرك في خلق كثير من طبقتهم ثم من الطبقة الثانية أبو يحيى بن عاصم وأخوه القاضي أبو بكر بن عاصم والشيخ أبو القاسم بن سراج والمنتوري في خلق لا يحصون * وله تواليف منها شرح جمل الزجاجي وشرح تصريف التسهيل وكتاب ينبوع عين الثرة في تفريع مسألة الامامة بالاجرة وله فتاوى مدونة بأيدي الناس وممن جمعها الشيخ ابن تر كاط الاندلسي وله كتابة في مسألة الادعية اثر الصلوات على الهيئة المعروفة وقد رد عليه في هذا التأليف تلميذه أبو

بدرهم وفي حد المحمدية رطل بدرهم وضاقت النفوس وأيسوا من الفرج واشتد الجوع وسر من سار الى حيز طاهر وأسف من بقي مع المخلوع وتقدم طاهر في سائر أصحابه من مواضع كثيرة وقصد باب الكباش فاشتد القتال وتبادرت الرؤس وعمل السيف والنار وصبر الفريقان وكان القتل في أصحاب طاهر وفني من العراة خلق وكان ذلك في يوم الاحد ففي ذلك يقول الاعمى

وقعة يوم الاحد * كانت حديث الابد
كم جسد أبصرته * ملقى وكم من جسد
وناظر كانت له * منية بالرصد
أتاه سهم عائر * فشق جوف الكبد
وآ خر ملتهب * مثل التهاب الاسد
وقائل قد قتلوا * ألفا ولما يز د
وقائل أكثر بل * مالهم من عدد
قلت لمطعون وفيه * طعنة لم تشد
من أنت يا ويلك يا * مسكين من محمد
فقال لا من نسب * دان ولا من بلد
ولا أنا السيف قا * تلت ولا للرشد
ولا لشئ عاجل * يصير منه في يدي

ولما ضاق بمحمد الحال واشتد الحصار أمر قائدا من قواده يقال له ذريح أن يتبع أصحاب الاموال والودائع والذخائر من أهل الملة وغيرهم وقرن معه آخر يعرف بالهرش فكانا يهجمان على الناس ويأخذان بالظنة فاجتبى بذلك السبب أموالا كثيرة فهرب الناس بعلة الحج وفر الاغنياء من ذريح والهرش ففي ذلك يقول على الاعمى

أظهروا الحج وما ينغونه * بل من الهرش يريدون الهرب
كم أناس أصبحوا في غبطة * وكل الليل عليهم بالعطب

من شعر له طويل ولما عم البلاء أهل الستر اجتمع التجار بالكرخ على مكاتبة طاهر انهم ممنوعون منه ومن الخروج اليه ومغلوب على أموالهم وان العراة والباعة هم الآفة في فقال بعضهم ان كاتبتم طاهرا لم تأمنوا صولة المخلوع بذلك فدعوهم فان الله مهلكهم وقال قائلهم

دعوا أهل الطريق فعن قريب * تنالهم مخاليب الهصور
فتهتك حجبا كبادشداد * وشيكا ما تصير الى القبور
فان الله مهلكهم جميعا * لاسباب التمرد والفجور

وثارت العراة ذات يوم في نحو مائة ألف بالرماح والقصب والطرادات والقراطيس على رؤسها ونفخوا في القصب وقرون البقر وغيرهم من المحمدية وزحفوا من مواضع كثيرة نحو المامونية فبعث اليهم طاهر بعدة قواد وأمراء من وجوه كثيرة واشتد الجلاد وكثر القتل وكانت للعراة على المامونية الى الظهر وكان يوم الاثنين ثم ثارت المامونية على العراة من أصحاب محمد فغرق منهم وقتل وأحرق نحو عشرة آلاف ففي ذلك يقول الاعمى

نعم بالامير الطاهر بن الحسين * صبحونا صبيحة الاثنين
جمعوا جمعهم فثار اليهم * كل صلب القناة والساعدين
يا قتيل العراة ملقى على الشط * تطاه الخيول في الجانبين
ما الذي كان في يديك اذا ما * اصطلح الناس أية الخلتين

يحيى بن عاصم الشهيد في تاليف نيل انتصار الشيخه ابى اسحق الشاطبي رحم الله تعالى الجميع * (ومن أشياخ لسان الدين بن الخطيب) أبو القاسم بن جزي ففي الاحاطة ما لخصه محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي الكلبي أبو القاسم من أهل غرناطة وذوي الاصالة والنباهة فيها شيخنا وأصل سلفه من ولبة من حصن البراجلة نزل بها أولهم عند الفتح صحبة قريبهم أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي وعند خلع دولة المرابطين كان لجدهم يحيى رياسة وانفراد بالتدبير وكان رحمه الله تعالى على طريقة مثلى من العكوف على العلم والاقتصار على الاقتيات من حر النشب والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين فقيها حافظا قائما على التدريس مشاركا في فنون من عربية وفقه وأصول وقراآت وأدب وحديث حفظة للتفسير مستوعبا للاقوال جماعة للكتب ملوكي الخزانة حسن المجلس ممتع المحاضرة قريب الغور صحيح الباطن تقدم خطيبا بالمسجد الاعظم من بلده على حداثة سنه فاتفق على فضله وجرى على سنن اصالته قرأ على الاستاذ أبي جعفر بن جعفر ابن الزبير العربية والفقه والحديث والقرآن وعلى ابن الكماد ولازم الخطيب أبا عبد الله بن رشيد وطبقتهم كالحضرمي وابن أبي الاحوص وابن برطال وأبي عامر بن ربيع الاشعري والولي أبي عبد الله الطنجالي وابن الشاط * وله تواليف منها وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم والانوار السنيه في الكلمات السنيه والدعوات والاذكار المخرجة من صحيح الاخبار والقوانين الفقهيه في تلخيص مذهب المالكيه والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبليه وكتاب تقريب الوصول الى علم الاصول وكتاب النور المبين

في قواعد عقائد الدين وكتاب المختصر البارع في قراءة نافع وكتاب أصول القراء الستة غير نافع وكتاب الفوائد العامة في لحن العامة الى غير ذلك مما قيده في التفسير والقراآت وغير ذلك وله فهرسة كبيرة اشتهرت واشتملت على جملة كبيرة من علماء المشرق والمغرب * وله شعر فمن شعره قوله في الابيات العينية ذاهبا مذهب المعرى وابن المظفر والسلفي وأبي الحجاج بن الشيخ وأبي الربيع بن سالم وابن أبي الاحوص وغيرهم

لكل بني الدنيا مراد ومقصد * وان مرادي صحة وفراغ
لأبلغ من علم الشريعة مبلغا * يكون به لي للجنان بلاغ
ففي مثل هذا فلينافس أولو النهى * وحسبي من دار الغرور بلاغ
فما الفوز الا في نعيم مؤبد * به العيش رغد والشراب يساغ

وقال

أروم امتداح المصطفى فيردني * قصوري عن ادراك تلك المناقب
ومن لي بحصر البحر والبحر زاخر * ومن لي باحصاء الحصى والكواكب
ولو أن أعضائي غدت ألسنا اذا * لما بلغت في المدح بعض مآربي
ولو أن كل العالمين تسابقوا * الى مدحه لم يبلغوا بعض واجب
فأمسكت عنه هيبة وتأدبا * وعجزا واعظاما لارفع جانب
ورب سكوت كان فيه بلاغة * ورب كلام فيه عتب لعاتب

وقال

يا رب ان ذنوبي اليوم قد كثرت * فما أطيق لها حصرا ولا عددا
وليس لي بعذاب النار من قبل * ولا أطيق لها صبرا ولا جلدا

أوزيرا من قائد بل بعيد * أنت من ذين موضع الفرقدين
كم بصير غدا بعينين كي ينـ * ـظر ما حالهم فراح بعين

واشتد الامر بمحمد المخلوع فباع ما في خزائنه سرا وفرق ذلك أرزاقا فيمن معه ولم يبق معه ما يعطيهم عند مطالبتهم اياه وضيق عليه طاهر وكان نازلا بباب الانبار في بستان هنالك فقال محمد وددت ان الله قتل الفريقين جميعا فما منهم الا عدو من معي ومن علي أما هؤلاء فيريدون مالي وأما أولئك فيريدون نفسي وقال

تفرقوا أودعوني * يا معشر الاعوان
فكلكم ذو وجوه * كثيرة الالوان
وما أرى غير أفك * وترهات الاماني
ولست أملك شيئا * فسائلوا الخواني
فالويل فيما دهاني * من نازل البستان

يعني طاهر بن الحسين ولما اشتد الامر عليه ونزل هرثمة بن أعين بالجانب الشرقي وطاهر بالجانب الغربي وبقي محمد في مدينة أبي جعفر شاور من حضر من خواصه في النجاة بنفسه فكل أدلى برأي وأشار بوجه فقال قائل منهم تكاتب ابن الحسين وتحلف له انك مفوض أمرك اليه لعله أن يجيبك الى ما تريد منه فقال ثكلتك أمك لقد أخطأت الرأي في طلبي المشورة منك أما رأيت آثار رجل لا يؤول الى عذر وهل كان المأمون لو اجتهد لنفسه وتولى الامر برأيه بالغا عشر ما بلغه له طاهر ولقد دسست وفحصت عن رأيه فما رأيته يطلب تأثيل المكارم وبعد الصيت والوفاء فكيف أطمع في استدلاله بالاموال وفي غدره والاعتماد في عقله ولو قد أجاب الى طاعتي وانصرف الي ثم ناصبني جميع الترك والديلم ما اهتممت بمناصبتهم ولكنت كما قال أبو الاسود الدؤلي في الازد عند اجارتها زياد ابن أبيه

فلما رآهم يطلبون وزيره * وساروا اليه بعد طول تمادي
أتى الازد اذ خاف الذي لا بقاله * عليه وكان الرأي رأي زياد
فقالوا له أهلا وسهلا ومرحبا * أصبت فكاشف من أردت وعاد
فاصبح لا يخشى من الناس كلهم * عدوا ولو مالوا بقوة عاد

والله لوددت انه أجاب الى ذلك فأبحته خزائني وفوضت اليه ملكي ورضيت بالمعاش تحت يديه ولا أظنني مهلته ولو كانت ألف نفس فقال السندي صدقت يا أمير المؤمنين ولو أنك أبوه الحسين بن مصعب ما استقال فقال محمد وكيف لنا بالخلاص الى هرثمة ولات حين مناص وراسل هرثمة ومال الى جنبته فوعده هرثمة بكل ما أحب وانه يمنعه ممن يريد قتله وبلغ ذلك طاهرا فاشتد عليه وزاد غيظه وحنقه ووعده هرثمة ان يأتيه في حراقة الى مشرعة باب خراسان فيصير به الى عسكره ومن أحب فلما هم محمد بالخروج في تلك الليلة وهي ليلة الخميس الخمس ليال بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة دخل اليه الصعاليك من أصحابه وهم فتيان الابناء والجند فقالوا له يا أمير المؤمنين ليس معك من ينصحك ونحن سبعة آلاف رجل مقاتلة وفي اصطبلك سبعة آلاف فرس ونفتح بعض أبواب المدينة ونخرج في هذه الليلة فما يقدم علينا أحد الى ان نصير الى بلد الجزيرة وديار ربيعة فنجبي الاموال ونجمع الرجال ونتوسط الشام وندخل مصر ويكثر الجيش والمال وتعود الدولة مقبلة جديدة فقال هذا والله

الرأى فعزم على ذلك وهم به وجنح اليه وكان لطاهر فى جوف دار الامين غلمان وخدم من خاصة الامين يبعثون اليه بالاخبار ساعة فساعة فخرج الخبر الى طاهر من وقته فخاف طاهر وعلم أنه الرأى ان فعله فبعث الى سليمان بن أبى جعفر والى ابن نهيك والسندى بن شاهك وكانوا مع الامين ان لم تزيلوه عن هذا الرأى لاخربن ضياعكم ولازيل نعمكم ولاتلف نفوسكم فدخلوا على الامين فى ليلتهم فازالوه عن ذلك الرأى وأتاه هرثمة فى الحراقة الى باب خراسان ودعا الامين بفرس يقال له الزهيرى أغر محجل أدهم محذوف ودعا الامين بابنيه موسى وعبد الله فعانقهما وشمهما وبكى وقال الله خليفتى عليكما فلست أدرى ألتقى معكما بعدها أولا وعليه ثياب بيض وطيلسان أسود وقدامه شمعة حتى أتى باب خراسان الى المشرعة والحراقة قائمة فنزل ودخل الحراقة فقبل هرثمة بين عينيه وقد كان طاهر نمى اليه خروجه فبعث بالرجال من الهروية وغيرهم والملاحين فى الزوارق وعلى الشط فدفعت الحراقة ولم يكن مع هرثمة عدة من رجاله فاتى أصحاب طاهر عراة فغاصوا تحت الحراقة فانقلبت بمن فيها فلم يكن لهرثمة شاغل الا بخلاص نفسه فتعلق بزورق وصعد اليه من الماء ومضى الى عسكره الى الجانب الشرقى وشق محمد ثيابه عن نفسه وسبح فوقع نحو العراة الى عسكر قرين الديرانى غلام طاهر فاخذه بعض السواس حين شم منه رائحة المسك والطيب فاستأذن فيه طاهرا فاتاه الاذن فى الطريق وقد حمل الى طاهر فقتل فى الطريق وهو يصيح انا لله وانا اليه راجعون أنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخو المامون والسيوف تأخذه حتى بردوا أخذوا رأسه وكانت ليلة الاحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة (وذكر) أحمد بن سلام وقد كان مع الامين فى الحراقة حين أصيب فسبح فقبض عليه بعض أصحاب طاهر وأراد قتله فارغبه فى عشرة آلاف درهم وانه يحملها اليه فى صبيحة تلك الليلة قال فادخلت بيتا مظلما فبينا أنا كذلك اذ دخل على رجل عريان عليه سراويل بين وعمامة متلثما بها وعلى كتفه خرقة خلق فحلوه معى وتقدموا الى من فى حفظنا فلما استقر فى البيت حسر العمامة عن وجهه فاذا هو محمد فاستعبرت واسترجعت فيما بينى وبين نفسى وجعل ينظر الى ثم قال أيهم أنت قلت أنا مولاك يا سيدى فقال وأى الموالى أنت قلت أحمد بن سلام قال وأعرفك بغير هذا كنت تاتينى بالرقة قلت نعم ثم قال يا أحمد قلت لبيك يا سيدى قال ادن منى وضمنى اليك فانى أجد وحشة شديدة قال فضممته الى فاذا قلبه يخفق خفقانا شديدا ثم قال أخبرنى عن أخى المامون أحى هو قلت له فهذا القتال عمن اذن قال قبحهم الله ثم قال ذكروا انه مات قلت قبح الله وزراءك فهم أوردوك هذا المورد فقال لى يا أحمد ليس هذا موضع عتاب فلا تقل فى وزرائى الا خيرا فما لهم ذنب ولست باول من طلب أمرا فلم يقدر عليه قلت البس ازارك هذا وارم بهذه الخرقة التى عليك فقال يا أحمد من كان حاله مثل حالى فهذه له كثير ثم قال لى يا أحمد ما أشك انهم سيحملونى الى أخى أفترى أخى قاتلى قلت كلا ان الرحم ستعطفه عليك فقال لى هيهات الملك عقيم لا رحم له فقلت

فانظر الهى الى ضعفى ومسكنتى * ولا تذيقنى حر الجحيم غدا

وقال

وكم من صفحة كالشمس تبدو * فيسبى حسنها قلب الحزين
غضضت الطرف عن نظرى اليها * محافظة على عرضى ودينى

مولده يوم الخميس تاسع ربيع الثانى عام ثلاثة وتسعين وستمائة وفقدوه بحرض الناس يوم الكائنة بطريف ضحوة يوم الاثنين تاسع جمادى الاولى عام احد وأربعين وسبعمائة وعقبه طاهر بين القضاء والكتابة انتهى وأذكرنى روى الغين الصعب قول الشيخ أبى عبد الله محمد بن على بن يوسف السكونى الاندلسى المعروف بابن لؤلؤة رحمه الله ورضى عنه

أمن بعد ما لاح المشيب بمفرقى * اميل لزور بالغرور يصاغ
وأرتاح للذات والشيب منذر * بما ليس عنه للانام مراغ
ومن لم يعت قبل الممات فانه * يراع بهول بعده ويراغ
فيارب وفقنى الى ما يكون لى * به للذى أرجوك منه بلاغ

توفى المذكور بالطاعون سنة ٧٥٠ وكان خطيبا بحصن قارش رحمه الله تعالى ومن نظم ابن جزى المذكور قوله

ايا من كففت النفس عنه تعففا * وفى النفس من شوق اليه لهيب * غرام
الا انما صبرى كصبر وانما * على النفس من تقوى الاله رقيب * لجام

وهما من التخيير المعلوم فى فن البديع وقول لسان الدين رحمه الله تعالى وله عقب طاهر

له ان أمان هرثمة أمان أخيك قال فلقنته الاستغفار وذكر الله فبينا نحن كذلك اذ فتح باب البيت فدخل علينا رجل عليه سلاح فاطلع فى وجه محمد مستثبتاً له فلما أثبته معرفة خرج وأغلق الباب واذا هو محمد الطاهرى قال فعلمت ان الرجل مقتول وقد كان بقى على من صلاتى الوتر فخفت أن أقتل معه ولم أوتر فقمت لاوتر فقال لى يا أحمد لا تبعد منى وصل بقربى فانى أجد وحشة شديدة فدنوت منه فلم ما لبثنا حتى سمعنا حركة الخيل ودق باب الدار ففتح الباب فاذا قوم من العجم بايديهم السيوف مصلتة فلما أحس بهم محمد قام قائما وقال انا لله وانا اليه راجعون ذهبت والله نفسى فى سبيل الله أما من حيلة أما من مغيث وجاؤا حتى قاموا على باب البيت الذى نحن فيه وجعل بعضهم يقول تقدم ويدفع بعضهم بعضا فاخذ محمد بيده وسادة وجعل يقول أنا ابن عم رسول الله أنا ابن هرون الرشيد أنا أخو المامون الله الله فى دمى فدخل عليه رجل منهم مولى لطاهر فضربه ضربة فى مقدم رأسه وضرب محمد وجهه بالوسادة التى كانت فى يده واتكأ عليه ليأخذ السيف من يده فصاح بالفارسية قتلنى الرجل فدخل منهم جماعة فنخسه أحدهم بسيفه فى خاصرته وكبوه فذبحوه من قفاه وأخذوا رأسه ومضوا به الى طاهر وقد قيل فى كيفية قتله غير هذا وقد أتينا على التنازع فى ذلك فى الكتاب الاوسط وأتى بخادمه كوثر ٢٧٣ فنصب على باب من أبواب بغداد يعرف بباب الحديد نحو قطربل فى الجانب الغربى الى الظهر ودفنت جثته فى بعض تلك البساتين ولما وضع رأس الامين بين يدى طاهر قال اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير وحمل الرأس الى خراسان الى المامون فى منديل والقطن عليه والاطلية فاسترجع المامون وبكى واشتد تأسفه عليه فقال له الفضل بن سهل الحمد لله يا أمير المؤمنين على هذه النعمة الجليلة فان محمدا كان يتمنى ان يراك بحيث رأيته فامر المامون بنصب الرأس فى صحن الدار على خشبة وأعطى الجند وامر كل من قبض رزقه ان يلعنه فكان الرجل يقبض ويلعن الرأس فقبض بعض العجم عطاءه فقيل له العن هذا الرأس فقال لعن الله هذا ولعن والديه وادخلهم فى كذا وكذا من امهاتهم فقيل له لعنت امير المؤمنين وذلك بحيث يسمعه المامون منه وتغافل وامر بحط الرأس وترك ذلك اللعن وطيب الرأس وجعله فى سفط ورده الى العراق مع جثته ورحم الله اهل بغداد وخلصهم مما كانوا فيه من الحصار والجزع والقتل ورثاه الشعراء وقالت زبيدة ام جعفر

اودى بالفين من لم يترك الناسا * فامنع فؤادك عن مقتولك الباسا * لما رأيت المنايا قد قصدن له
اصبن منه سواد القلب والراسا * فبت متكئا ارعى النجوم له * اخال سنته فى الليل قرطاسا
والموت كان به والهم قارنه * حتى سقاه التى اودى بها الكاسا * رزئته حين باهيت الرجال به
وقد بنيت به للدهر آساسا * فليس من مات مردودا لنا ابدا * حتى يرد علينا قبله ناسا

بين القضاء والكتابة بديهه البارع أبا بكر والعلامة أبا عبد الله والقاضى أبا محمد عبد الله * ولنذكرهم فنقول (أما) أبو بكر أحمد هو الذى ألف أبوه الانوار السنية وهو من أهل الفضل والنزاهة وحسن السمت والهمة واستقامة الطريقة غروب فى الوقار ومال الى الانقباض وله مشاركة حسنة فى فنون من فقه وعربية وأدب وخط ورواية وشعر تسمو ببعضه الاجادة الى غاية بعيدة وقرأ على والده ولازمه واستظهر ببعض تآليفه وتفقه وتادب به وقرأ على بعض معاصرى أبيه ثم ارتسم فى الكتابة السلطانية لاول دولة السلطان أبى الحجاج بن نصر وولى القضاء ببرجة وباندرش ثم بوادى آش مشكور السيرة معروف النزاهة ومن شعره

أرى الناس يولون الغنى كرامة * وان لم يكن أهلا لرفعة مقدار
ويلوون عن وجه الفقير وجوههم * وان كان أهلا أن يلاقى باكبار
بنو الدهر جاءتهم أحاديث جمة * فما صححوا الا حديث ابن دينار

ومن بديع نظمه الصادر عنه تصديره أعجاز قصيدة امرئ القيس بن حجر الكندى بقوله

أقول لعزمى أو لصالح أعمالى * ألا عم صباحا ايها الطلل البالى
أما واعظى شيب سما فوق لمتى * سمو حباب الماء حالا على حال
أنار به ليل الشباب كأنه * مصابيح رهبان تشب لقفال
نهانى عن غى وقال منبها * ألست ترى السمار والناس أحوالى
يقولون غيره لتنعم برهة * وهل يعمن من كان فى العصر الخالى

ورثته زوجته لبابة ابنة علي بن المهدي ولم يكن دخل بها فقالت ابكيك لا للنعيم والانس * بل للمعالي والسيف والترس
ابكي على سيد فجعت به * ارملني قبل ليلة العرس * يا ما لكا بالعراق مطرحا * خانته اشراطه مع الحرس
ولما قتل محمد دخل الى زبيدة بعض خدمها فقال ما يجلسك وقد قتل امير المؤمنين محمد فقالت ويلك وما اصنع فقال تخرجين فتطلبين بثاره كما خرجت عائشة تطلب بدم عثمان فقالت اخسأ لا أم لك ما للنساء وطلب الثار ومنازلة الابطال ثم امرت بثيابها فسودت ولبست مسحا من شعر ودعت بدواة وقرطاس وكتبت الى المامون

لخير امام قام من خير عنصر * وافضل راق فوق اعواد منبر * ووارث علم الاولين وفخرهم
وللملك المامون من ام جعفر * كتبت وعيني تستهل دموعها * اليك ابن عمي مع جفوني ومحجري
اصبت بادني الناس منك قرابة * ومن زال عن كبدي فقل تصبري * اتى طاهر لا طهر الله طاهرا
وما طاهر في فعله بمطهر * فابرزني مكشوفة الوجه حاسرا * وانهب اموالي واخرب ادؤري
يعز على هرون ما قد لقيته * وما نالني من ناقص الخلق اعور * فان كان ما اسدى لامر امرته

صبرت لامر من قدير مقدر
فلما قرأ المامون شعرها بكى ثم قال اللهم اني اقول كما قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لما بلغه قتل عثمان والله ما امرت ولا رضيت اللهم جلل قلب طاهر حزنا (قال المسعودي) وللمخلوع اخبار وسير غير ما ذكرنا قد اتينا عليها في كتابنا اخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط والله سبحانه ولي التوفيق

(ذكر خلافة المامون)

وبويع المامون عبد الله بن هرون وكنيته ابو جعفر وامه باذغيسية واسمها

أغالط دهري وهو يعلم أنني * كبرت وأن لا يحسن اللهو أمثالي
ومؤنس نار الشيب يقبح لهوه * بآنسة كأنها خط تمثال
اشغا وتاتي فعل من كان عمره * ثلاثين شهرا في ثلاثة أحوال
وتشغلك الدنيا وما ان شغفتها * كما شغف المهنوّة الرجل الطالي
ألا انها الدنيا اذا ما اعتبرتها * ديار لسلمى عافيات بذي خال
فاين الذين استاثروا قبلنا بها * لناموا لغاان من حديث ولا صال
ذهلت بها غيا فكيف الخلاص من * لعوب تنسيني اذا قمت سربالي
وقد علمت مني مواعد توبتي * بان الفتى يهذي وليس بفعال
ومد وثقت نفسي بحب محمد * هصرت بغصن ذي شمار يخ ميال
وأصبح شيطان الغواية خاسئا * عليه قتام سيئ الظن والبال
ألا ليت شعري هل تقول عزائمي * لخيلي كرّي كرة بعد اجفال
فانزل دارا للرسول نزيلها * قليل هموم ما يبيت باوجال
فطوبى لنفس جاورت خير مرسل * بيثرب أدنى دارها نظر عالي
ومن ذكره عند القبول تعطرت * صبا وشمال في منازل قفال
جوار رسول الله مجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل امثالي
ومن ذا الذي يثني عنان السري وقد * كفاني ولم أطلب قليل من المال
ألم تر أن الظبية استشفعت به * تميل عليه هونة غير مجفال

مراجل وقيل كنيته ابو العباس وهو ابن ثمان وعشرين سنة وشهرين وتوفي بالبذندون على عين القشيرة وهي عين يخرج منها النهر المعروف بالبذندون وقيل ان اسمها بالرومية رقة وحمل الى طرسوس فدفن بها على يسار المسجد سنة ثماني عشرة ومائتين وهو ابن تسع واربعين سنة فكانت خلافته احدى وعشرين سنة منها ار بعة عشر شهرا كان يحارب اخاه محمد بن زبيدة على ما ذكرنا وقيل سنتان وخمسة اشهر وكان اهل خراسان في تلك الحروب يسلمون عليه بالخلافة ويدعى له على المنابر في الامصار والحرمين والكور والسهل والجبل مما حواه طاهر وغلب عليه ويسلم على محمد بالخلافة من كان ببغداد خاصة لا غيرها *(ذكر جمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه)* وقال وغلب على المامون الفضل بن سهل حتى ضايقه في جارية اراد شراءها فقتله وادعى قوم ان المامون دس عليه من قتله ثم سلم عليه الوزراء بعد ذلك منهم احمد بن خالد الاحول وعمرو بن مسعدة وابو عباد وكل هؤلاء سلم عليهم برسم الوزارة ومات عمرو بن مسعدة سنة سبع عشرة ومائتين فعرض ماله ولم يعرض لمال وزير غيره وغلب على المامون آخرا الفضل بن مروان ومحمد بن يزداد وفي خلافته قبض

على بن موسى الرضا مسموما بطوس ودفن هنالك وهجا المامون ابراهيم بن المهدى المعروف بابن شكلة عمه وكان المامون يظهر التشيع وابن شكلة التسنن فقال المامون

اذا المرجى سرك ان تراه * يموت لحينه من قبل موته
فجدد عنده ذكرى على * وصل على النبي وآل بيته

فاجابه ابراهيم رادا عليه

اذا الشيعى جمجم فى مقال * فسرك ان يبوح بذات نفسه
فصل على النبي وصاحبيه * وزيريه وجاريه برمسه

ولابراهيم بن المهدى مع المأمون اخبار حسان هى موجودة فى كتاب الاخبار لابراهيم بن المهدى (ودخل) ابودلف القاسم ابن عيسى العجلى على المامون فقال له يا قاسم ما احسن ابياتك فى صفة الحرب ولذاذتك بها وزهدك فى المغنيات قال يا امير المؤمنين اى ابيات هى قال قولك

لسل السيوف وشق الصفوف * ونقض التراب وضرب القلل

قال ثم ماذا يا قاسم قال

ولبس العجاجة والخافقات * تريك المنايا بروس القلل
وقد كشفت عن سناها هنالك * كأن عليهم شروق الطفل
خروس نطوق اذا استنطقت * جهول يطيش على من جهل
اذا خضبت اخذت مهرها * وزير السعافظ بين القلل
ألذ وأشهى من المسمعات * وشرب المدامة فى يوم طل
اما ابن الحمام وترب الصفاح * ٢٧٥ وترب المنون وترب الاجل

وقال لها عودى فقالت له نعم * ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى
فعادت اليه والهوى قائل لها * وكان عداء الوحش منى على بالى
رثى لبعير قال أزمع مالكى * ليقتلنى والمرء ليس بفعال
ونور ذبيح بالرسالة شاهد * طويل القرا والروق اخنس ذيال
وحن اليه الجذع حنة عاطش * لغيث من الوسمى رائده خالى
وأحلين من نخل قد التأماله * فما احتبسا من لين مس وتسهال
وقبضة ترب منه دلت لها الظبا * ومسنونة زرق كانياب أغوال
وأضحى ابن جحش بالعسيب مقاتلا * وليس بذى رمح وليس بنبال
وحسبك من سوط الطفيل اضاءة * كمصباح زيت فى قناديل ذبال
وبذت به العجفاء كل مطهم * له حجبات مشرفات على الفال
ويا خسف أرض تحت باغيه اذ علا * على هيكل نهد الجزارة جوال
وقد اخمدت نار لفارس طالما * أصابت غضى جزلا وكفت باجذال
ابان سبيل الرشد اذ سبل الهدى * يقان لاهل الحلم ظلا بتضلال
لاحمد خير العالمين انتقيتها * وريضت فذلت صعبة أى اذلال
وان رجائى أن ألاقيه غدا * ولست بعقنى الخلال ولاقالى
فأدرك آمالى وما كل آمل * بمدرك اطراف الخطوب ولاوالى

ولا خفاء ببراعة هذا النظم واحكام هذا النسج وشدة هذه العارضة (قلت وقد أذكرنى

ثم قال يا امير المؤمنين هذه لذتى مع اعدائك وقوتى مع اوليائك ويدى معك ولئن استلذ مستلذ شيأ من يد المعاقرة ملت الى المقادمة والمحاربة قال يا قاسم اذا كان هذا النمط من الاشعار شانك واللذة لذتك فماذا تركت للوسنان مما خلفت واظهرت له من قليل ما سترت قال يا امير المؤمنين وأى اشعارى قال حيث تقول

أيها الراقد المؤرق عينى * ثم هنيئا لك الرقاد اللذيذ
علم الله ان قلبى مما * قد جنت وجنتاك فيه وقيذ

قال يا امير المؤمنين سهرة بعد سهرة غلبت وذلك متقدم وهذا طارئ متأخر قال يا قاسم ما احسن ما قال صاحب هذين البيتين

أذم لك الايام فى ذات بيننا * وما الليالى فى الذى بيننا عذر
اذا لم يكن بين المحبين زورة * سوى ذكر شئ قد مضى درس الفكر

فقال ابو دلف ما احسن ما قال يا امير المؤمنين هذا السيد الهاشمى والملك العباسى قال وكيف ادتك الفطنة ولم تداخلك الظنة حتى تحققت انى صاحبهما ولم يداخلك الشك فيهما قال يا امير المؤمنين انما الشعر بساط صوف فمن خلط الشعر بنقى الصوف ظهر رونقه عند التصنيف ونار ضوءه عند التاليف وكان المامون يقول يغتفر كل شئ الا القدح فى الملك وافشاء السر والتعريض للحرم وقال المامون أخر الحرب ما استطعت فان لم تجد منها بدا فاجعلها فى آخر النهار وذكر انه من كلام أنوشروان وكان المامون يقول اعيت الحيلة فى الامر اذا أقبل ان يدبر واذا أدبر ان يقبل ولما تاتى الملك للمامون قال هذا جسيم لولا انه عديم وهذا ملك لولا ان بعده هلك وهذا سرور لولا انه غرور وهذا يوم لو كان يوثق بعده وكان المامون يقول البشر منظر مونق وخلق مشرق وزراع للقلوب ومحل مالوف وفضل منتشر وثناء بسط وتحف الاحرار وذرع رحيب وأول الحسنات وذريعة الى

الجاه واجد للشيم وباب لرضا العامة ومفتاح لمحبة القلوب وكان المامون يقول سادة الناس في الدنيا الاسخياء وفي الآخرة الانبياء وان الرزق الواسع لمن لا يستمتع منه بمنزلة طعام على هراب النحل لو كان طريا ما سلكته ولو كان قيصاما لبسته (وحضر) المامون أملاكا لبعض اهل بيته فسأله من حضر أن يخطب فقال الحمد لله المحمود الله والصلاة على المصطفى رسول الله وخير ما عمل به كتاب الله قال الله تعالى وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ولو لم يكن في المناكحة آية محكمة ولا سنة متبعة الا ما جعل الله وذلك من تاليف البعيد والقريب لسارع اليه الموفق المصيب وبادر اليه العاقل اللبيب وفلان من قد عرفتموه في نسب لم تجهلوه خطب اليكم فتاتكم فلانة وبذل من الصداق كذا وكذا فشفعوا شافعنا وأنكحوا خاطبنا وقولوا خيرا تحمدوا عليه وتؤجروا واقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم (وذكر) ثمامة بن أشرس قال كنا يوما عند المامون فدخل يحيى بن اكثم وكان قد ثقل عليه موضعي منه فتذاكرنا شيأ من الفقه فقال يحيى في مسألة دارت هذا قول عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وابن عمر وجابر قلت أخطؤا كلهم وأغفلوا وجه الدلالة ٢٧٦ فاستعظم مني ذلك واكبره وقال يا أمير المؤمنين ان هذا يخطئ اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم فقال المامون سبحان الله أكذا يا ثمامة قلت يا أمير المؤمنين ان هذا لا يبالي ما قال ولا ما شنع به ثم اقبلت عليه فقلت ألست تزعم أن الحق في واحد عند الله عز وجل قال نعم قلت فزعمت ان تسعة اخطؤا وأصاب العاشر وقلت انا أخطأ العاشر فما انكرت قال فنظر المامون الي وتبسم وقال لم يعلم ابو محمد انك تجيب هذا الجواب قال يحيى وكيف ذلك قلت ألست تقول ان الحق في واحد قال بلى قلت فهل يخلي الله عز وجل هذا الحق من قائل يقول به من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قلت أفليس من يخالفه ولم يقل به فقد اخطأ عند ذلك الحق قال نعم قلت وقد دخلت فيما عبت وقلت بما انكرت وبه شنعت وأنا أوضح دلالة منك لاني خطاتهم في الظاهر وكل مصيب عند الله الحق وانما خطاتهم عند الخلاف وادتني الدلالة الى قول بعضهم فخطات من خالفني وانت خطات من خالفك في الظاهر وعند الله عز وجل (وقدم) وفد الكوفة الى بغداد فوقفوا للمامون فاعرض عنهم فقال شيخ منهم أمير المؤمنين يدك احق يد بتقبيل لعلوها في المكارم وبعدها من المآثم وأنت يوسفي العفو في قلة التثريب من أرادك بسوء جعله الله حصيد سيفك وطريد خوفك وذليل دولتك فقال يا عمرو نعم الخطيب خطيبهم اقضوا حوائجهم (وذكر ثمامة) ابن اشرس قال بلغ المامون خبر عشرة من الزنادقة ممن يذهب الى قول ماني ويقول بالنور والظلمة من اهل البصرة فامر بحملهم اليه بعد ان سموا واحدا واحدا فلما جمعوا ابصرهم طفيلي فقال ما اجتمع هؤلاء الا لصنيع فدخل في وسطهم ومضى معهم ولا يعلم بشأنهم حتى صار بهم الموكلون الى السفينة فقال الطفيلي نزهة لا شك فيها فدخل معهم السفينة فما كان باسرع من ان جيء

فصل

هذا التصدير قصيدة الاديب حازم صاحب المقصورة اذ صدر قصيدة امرئ القيس قفا نبك ولنذكرها هنا قال رحمه الله تعالى

لعينيك قل ان زرت أفضل مرسل * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
وفي طيبة فانزل ولا تغش منزلا * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وزر روضة قد طالما طاب نشرها * لما نسجتها من جنوب وشمأل
وأثوابك اخلع محرما ومصدقا * لدى الستر الا لبسة المتفضل
لدى كعبة قد فاض دمعي لبعدها * على النحر حتى بل دمعي محملي
فيا حادي الآمال سر بي ولا تقل * عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل
فقد حلفت نفسي بذاك وأقسمت * علي وآلت حلفة لم تحلل
فقلت لها لا شك أني طائع * وأنك مهما تأمري القلب يفعل
وكم جبت في أظهر العزم رحلها * فيا عجبا من رحلها المتحمل
وعاتبت العجز الذي عاق عزمها * فقالت لك الويلات انك مرجلي
نبي هدى قد قال للكفر نوره * ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي
تلألأ نورا ما قولها بعارض * اذا هي نصته ولا بمعطل
لقد نزلت في الارض ملة هديه * نزول اليماني ذي العياب المحمل
أتت مغربا من مشرق وتعرضت * تعرض أثناء الوشاح المفصل
ففازت بلاد الشرق من زينتها * بشق وشق عندنا لم يحول

بالقيود فقيد القوم والطفيلي معهم فقال الطفيلي بلغ من تطفيلي الى القيود ثم أقبل على الشيوخ فقال فديتكم ايش أنتم
قالوا بل ايش أنت ومن أنت من اخواننا قال والله ما أدري غير اني رجل طفيلي خرجت في هذا اليوم من منزلي فلقيتكم
فرأيت منظرا جميلا وعوارض حسنة وبزة ونعمة فقلت شيوخ وكهول وشبان جمعوا الوليمة فدخلت في وسطكم وحاذيت بعضكم
كاني في جملة أحدكم فصرتم الى هذا الزورق فرأيته قد فرش بهذا الفرش ومهد ورأيت سفرا مملوءة وجربا وسلالا فقلت نزهة
يمضون اليها الى بعض القصور والبساتين ان هذا اليوم مبارك فابتهجت سرورا اذ جاء هذا الموكل بكم فقيدكم وقيدني معكم
فورد علي ما قد أزال عقلي فاخبروني ما الخبر فضحكوا منه وتبسموا وفرحوا به وسروا ثم قالوا الان قد حصلت في الاحصاء
وأوثقت في الحديد وأما نحن فمانية غمز بنا الى المامون وسندخل اليه ويسائلنا عن أحوالنا ويستكشفنا عن مذهبنا
ويدعونا الى التوبة والرجوع عنه بامتحاننا بضروب من المحن منها اظهار صورة ماني لنا ويأمرنا ان نتفل عليها ونتبرأ منها
ويأمرنا بذبح طائر ماء وهو الدراج فمن أجابه الى ذلك نجا ومن تخلف عنه قتل فاذا دعيت وامتحنت فاخبر عن نفسك واعتقادك
على حسب ما تؤديك الدلالة الى القول به وأنت زعمت انك طفيلي والطفيلي يكون

معه مداخلات وأخبار فاقطع سفرنا هذا الى مدينة بغداد بشيء من الحديث وأيام الناس فلما وصلوا الى بغداد وأدخلوا على المامون جعل يدعو بأسمائهم رجلا رجلا فيسأله عن مذهبه فيخبره بالاسلام فيمتحنه ويدعوه الى البراءة من ماني ويظهر له صورته ويأمره ان يتفل عليها والبراءة منها وغير ذلك فيأبون فيمرهم على السيف حتى بلغ الى الطفيلي بعد فراغه من العشرة وقد استوعبوا عدة القوم فقال المامون للموكلين من هذا قالوا والله ما ندري غير انا وجدناه مع القوم فجئنا به

فقال له المامون ما خبرك قال يا أمير المؤمنين امرأتي طالق ان كنت اعرف من أقوالهم شيئا وانما انا رجل طفيلي وقص عليه
خبره من أوله الى آخره فضحك المامون ثم أظهر له الصورة فلعنها وتبرأ منها وقال أعطونيها حتى اسلح عليها والله ما أدري ما ماني
ايهوديا كان أم مسلما فقال المامون يؤدب على فرط تطفله ومخاطرته بنفسه (وكان) ابراهيم بن المهدي قائما بين يدي المامون
فقال يا أمير المؤمنين هب لي ذنبه واحدثك بحديث عجيب في التطفيل عن نفسي قال قل يا ابراهيم قال يا أمير المؤمنين خرجت
يوما فمررت في سكك بغداد متطرفا حتى انتهيت الى موضع فشممت رائحة أبازير من جناح في دار عالية وقدور قد فاح قتارها
فتاقت نفسي اليها فوقفت على خياط فقلت لمن هذه الدار فقال لرجل من التجار من البزازين قلت ما اسمه قال فلان بن فلان
فرفعت طرفي الى الجناح فاذا فيه شباك فنظرت الى كف قد خرج من الشباك ومعصم ما رأيت أحسن منهما قط فشغلني يا أمير
المؤمنين حسن الكف والمعصم عن رائحة القدور فبقيت باهتا قد ذهل عقلي ثم قلت للخياط هو ممن يشرب النبيذ فقال نعم
وأحسب ان عنده اليوم دعوة ولا ينادم الا تجارا مثله فانا كذلك اذ اقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب فقال لي

فصلى عليه الله ما لاح بارق * كلمع اليدين في حبي مكلل
نبي غزا الاعداء بين تلائع * وبين اكام بعدما تأملي
فكم ملك وافاه في زي منجد * بجرد قيد الاوابد هيكل
وكم من يمان واضح جاءه اكتسى * بضاف فويق الارض لبس باعزل
ومن ابيض نيط منه نجاده * بجيد معم في العشيرة مخول
ازالوا بيد رعن بروجهم العدا * كما زلت الصفواء بالمتنزل
وقادوا ظباهم لا يقتل فتى ولا * كبير أناس في بجاد مزمل
وفضى جموعا فغدا جامعا بها * لنا بطن حقف ذي ركام عقنقل
وأحموا وطيسا في حنين كانه * اذا جاش فيه حميه غلي مرجل
ونادوا بنات النبع بالنصر أثمري * ولا تبعدينا من جناك المعلل
ومن له سددت سهمين فاضربي * بسهميك في أعشار قلب مقتل
فما اغنت الابدان درع بها اكتست * ترائبها مصقولة كالسجنجل
وأضحت لواليها ومالكها العدا * يقولون لا تهلك اسى وتجمل
وقد فر منصاع كما فر خاضب * لدى سمرات الحي ناقف حنظل
وكم قال يا ليل الوغى طلت فانجلي * بصبح وما الاصباح منك بامثل
فليت جوادي لم يسر بي الى الوغى * وبات بعيسى قائما غير مرسل
وكم مرتق اوطاس منهم بمسرج * متى ما ترق العين فيه تسهل

الخياط هذان منادماه قلت ما اسماهما وما كناهما فقال فلان وفلان فحركت دابتي حتى دخلت بينهما وقلت جعلت فداكما
قد استبطأكما أبو فلان أعزه الله وسايرتهما حتى انتهينا الى الباب فقدماني فدخلت ودخلا فلما رآني صاحب المنزل لم يشك الا
أني منهما بسبيل فرحب وأجلسني في أجل موضع فجيء يا أمير المؤمنين بالمائدة وعليها خبز نظيف وأتينا بتلك الالوان
فكان طعمها أطيب من رائحتها فقلت في نفسي هذه الالوان قد أكلتها وبقي الكف والمعصم ثم رفع الطعام فغسلنا أيدينا
ثم صرنا الى مجلس المنادمة فاذا أنبل مجلس وأجل فرش وجعل صاحب المجلس يلطف بي ويقبل علي بالحديث والرجلان
لا يشكان انه مني بسبيل وانما كان ذلك الفعل منه بي لما ظن اني منهما بسبيل حتى اذا شربنا أقداحا خرجت علينا جارية
تتثنى كأنها غصن بان فسلمت غير خجلة وهيئت لها وسادة وأتي بعود فوضع في حجرها فجسته فتبينت الحذق في جسها ثم
اندفعت تغني توهمها طرفي فأصبح خدها * فصار مكان الوهم من نظري أثر * وصافحها كفي فآلم كفها
فمن لمس كفي في أناملها عقر * ومرت بقلبي خاطرا فجرحتها * ولم أر شيأ قط يجرحه الفكر فهيجت والله يا أمير المؤمنين

غنائها وحذقها ثم اندفعت تغني
على بلابلي وطربت لحسن

أشرت اليها هل علمت مودتي
فردت بطرف العين اني على
العهد
فحدت عن الاظهار عمدا
لسرها
وحادت عن الاظهار أيضا
على عمد
فصحت السلاح وجاءني من
الطرب ما لا أملك معه
النفس ولا الصبر واندفعت
تغني
أليس عجيبا أن بيتا يضمني
واياك لا نخلو ولا نتكلم
سوى أعين تشكو الهوى
بجفونها
وترجيع أحشاء على النار
تضرم
إشارة أفواه وغمز حواجب

وتكسير أجفان وكف يسلم فحسدتها والله يا أمير المؤمنين على حذقها ومعرفتها بالغناء وأصابتها معنى الشعر وأنها وكم
لم تخرج من الفن الذي ابتدأته فقلت بقي عليك يا جارية شيء فغضبت وضربت بعودها الارض ثم قالت متى كنتم تحضرون
مجالسكم البغضاء فندمت على ما كان مني ورأيت القوم قد تغيروا فقلت أليس ثم عود قالوا بلى يا سيدنا فأتيت بعود فأصلحت
من شانه ما أردت واندفعت أغني ما للمنازل لا يجبن حزينا * أصممن أم بعد المدى فبلينا راحوا العشية روحة مذكورة
* ان متن متن وان حيين حيينا فما استتممته جيدا حتى خرجت الجارية فأكبت على رجلي تقبلها وهي تقول المعذرة
والله لك يا سيدي فما سمعت من يغني هذا الصوت مثلك وقام مولاها وكل من كان عنده فصنعوا كصنعها وطرب القوم
واستحثوا الشرب فشربوا بالطاسة ثم اندفعت أغني أبالله هل تعسين لا تذكرينني * وقد سجمت عيناي من ذكرك الدما
الى الله أشكو بخلها وسماحتي * لها عسل مني وتبذل علقما فردي مصاب القلب أنت قتلته * ولا تتركيه ذاهل العقل مغرما
الى الله أشكو أنها أجنبية * واني لها بالود ما عشت مكرما فجاء من طرب القوم يا أمير المؤمنين ما خشيت ان يخرجوا من

وقرطه خرصا كمصباح مسرج * أمال السليط بالذبال المفتل
فبرنولهدفوق هاديه طرفه * بناظرة من وحش وجرة مطفل
ويسمع من كافورتين بجانبي * أثيث كقنو النخلة المتعثكل
ترفع ان يعزى له شد شادن * وارخاء سرحان وتقريب تتفل
ولكنه يعدي كما مر مزبد * يكب على الاذقان دوح الكنهبل
ويغشى العدا كالسهم أو كالشهاب أو * كجلمود صخر حطه السيل من عل
جياد أعادت رسم رستم دارسا * وهل عند رسم دارس من معول
وربعت بها خيل القياصر فاختفت * جوارحها في صرة لم تزيل
سبت عربا من نسوة العرب تنتمي * اذا ما اسبكرت بين درع ومجول
وكم من سبايا الفرس والصفر أسهرت * نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل
وحزن بدورا من ليالي شعورها * تضل العقاص في مثنى ومرسل
وأبقت بأرض الشام هاما كأنها * بأرجائها القصوى أنابيش عنصل
وما جف من حب القلوب بغورها * وقيعانها كأنه حب فلفل
لخضراء ما دبت ولا نبتت بها * أسارير ظبي أو مساويك إسحل
شدا طيرها في مثمر ذي أرومة * وساق كأنبوب السقي المذلل
فشدت بروض ليس يذبل بعدها * بكل مغار الفتل شدت بيذبل
وكم هجرت في القيظ تحكي ذوارعا * عذارى دوار في ملاء مذيل

عقولهم فامسكت ساعة حتى اذا هدأ القوم اندفعت أغني الثالثة هذا محبك مطوى على كمده * صب مدامعه تجرى على جسده
له يد تسال الرحمن راحته * مما به ويد أخرى على كبده يا من رأى كلفا مستهترا أسفا * كانت منيته فى عينه و يده
فجعلت الجارية يا أمير المؤمنين تصيح السلاح هذا والله الغناء يا مولاى وسكر القوم وخرجوا من عقولهم وكان صاحب المنزل
جيد الشراب ونديما دونه فامر غلمانه مع غلمانهم بحفظهم وصرفهم الى منازلهم وخلوت معه فشربنا أقداحا ثم قال يا سيدى
ذهب والله ما خلا من أيامى باطلا اذ كنت لا أعرفك فمن أنت يا مولاى ولم يزل يلح على حتى أخبرته فقبل رأسى وقال يا سيدى
وانى أعجب ان يكون هذا الادب الا لمثلك واذا أنا منذ اليوم مع الخلافة ولا أعلم وسألنى عن قصتى و كيف حملت نفسى على
ما فعلته فاخبرته خبر الطعام والكف والمعصم فقال يا فلانة لجارية له قولى لفلانة تنزل فجعل ينزل الى جوار يه واحدة واحدة
فانظر الى كفها وأقول ليس هى حتى قال والله ما بقى غير أمى وأختى ولانزلنهما اليك فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت له
جعلت فداك ابدأ بالاخت قبل الام فعسى ان تكون صاحبتى فقال صدقت ففعل فلما رأيت كفها ومعصمها قلت هى
هى جعلت فداك فأمر غلمانه من فوره فصاروا الى عشرة مشايخ من جلة جيرانهم فاحضروا

وجيء ببدرتين فيهما عشرون ألف درهم ثم قال هذه أختى فلانة وأنا أشهدكم انى قد زوجتها من سيدى ابراهيم ابن المهدى وأمهرتها عنه عشرين ألف درهم فرضيت وقبلت النكاح ودفعت اليها البدرة الواحدة وفرقت الاخرى على المشايخ وقلت لهم اعذروا بهذا الذى حضر فى الوقت فقبضوها وانصرفوا ثم قال يا سيدى امهد لك بعض البيوت تنام مع أهلك فاحشمنى والله يا أمير المؤمنين ما رأيت من كرمه وسعة صدره فقلت بل أحضر عمارية وأحملها الى منزلى فقال افعل ما شئت فاحضرت
عمارية وحملتها الى منزلى فوحقك يا أمير المؤمنين لقد حمل الى من الجهاز ما ضاق عنه بعض دورى فتعجب المامون من كرم
ذلك الرجل واطلق الطفيلى وأجازه بجائزة حسنة وامر ابراهيم باحضار ذلك الرجل فصار بعد من خواص المامون واهل مودته
ولم يزل معه على افضل الاحوال السارة فى المنادمة وغيرها (وذكر) المبرد وثعلب قال كان كلثوم العتابى واقفا بباب المامون
فجاء يحيى بن اكثم فقال له العتابى ان رأيت ان تعلم امير المؤمنين بمكانى قال لست بحاجب قال قد علمت ولكنك ذو فضل
وذو الفضل معوان قال سلكت بى غير طريقى قال ان الله قد اتحفك بجاه ونعمة منه فهما مقيمان عليك بالزيادة ان شكرت
وبالتغيير ان كفرت وانا لك اليوم خير منك لنفسك ادعوك لما فيه زيادة نعمتك وأنت تابى ذلك ولكل شئ زكاة وزكاة
الجاه بذله للمستعين فدخل يحيى فأخبر المأمون بالخبر فادخل اليه العتابى وفى المجلس اسحق بن ابراهيم الموصلى فامره بالجلوس
واقبل يسأله عن أحواله وشأنه فيجيبه بلسان ناطق فاستظرفه المامون وأخذ فى مداعبته فظن الشيخ انه قد استخف به فقال
يا أمير المؤمنين الايناس قبل الابساس فاشتبه عليه قوله فنظر الى اسحق ثم قال نعم ألف دينار فاتى بها فوضعت بين يدى العتابى

وكم ادلجت والقتر يهفو هزيره * ويلوى باثواب العنيف المشتمل
وخضن سيولا خضن بالبيد بعدما * اثرن غبارا بالكديد المركل
وكم ركز وارمحا بدعص كانه * من السيل والغثاء فلكة مغزل
فلم تبن حصنا خوف حصنهم العدا * ولا أطما الا مشيدا بجندل
فهدت بعضب شيب بعد صقاله * بأمراس كتان الى صم جندل
وجيش باقصى الارض ألقى جرانه * وأردف أعجازا وناء بكلكل
يدك الصفا دكا ولو ربعضه * وأيسره عالى الستار و يذبل
دعا النصر والتاييد راياته اسعى * على أثر ينا ذيل مرط مرحل
لواء منير النصل طاو كانه * منارة ممسى راهب متبتل
كأن دم الاعداء فى عذباته * عصارة حناء بشيب مرجل
سحاب بر واهام العداة و كم قروا * صفيف شواء او قدير معجل
وكم اكثروا ما طاب من لحم جفرة * وشحم كهداب الدمقس المفتل
وكم جبن من غبراء لم يسق نبتها * دراكا ولم ينضح بماء فيغسل
حكى طيب ذكراهم ومر كفاحهم * مداك عروس او صلاية حنظل
لامداح خير الخلق قلبى قد صبا * وليس فؤادى عن هواها بمنسل
فدع من لايام صلحن له صبا * ولا سيما يوم بدارة جلجل
واصح عن أم الحويرث ماسلا * وجارتها أم الرباب بمأسل

ثم دعا الى المفاوضة وأغرى المأمون اسحق بالعبث به فاقبل اسحق يعارضه في كل باب بذكره ويزيد عليه فعجب منه وهو لا يعلم انه اسحق ثم قال اياذن أمير المؤمنين في مسئلة هذا الرجل عن اسمه ونسبه فقال العتابي من أنت وما اسمك قال أنا من الناس واسمي كل بصل فقال له العتابي أما النسبة فقد عرفت وأما الاسم فمنكر وما كل بصل من الاسماء فقال له اسحق ما أقل انصافك وما كلثوم والبصل اطيب من الثوم قال العتابي قاتلك الله ما أملحك ما رأيت كالرجل حلاوة افيأذن أمير المؤمنين في صلته بما وصلني به فقد والله غلبني فقال له المأمون بل ذلك موفر عليك ونامر له بمثله فانصرف اسحق الى منزله ونادمه بقية يومه وكان العتابي من أرض جند قنسرين والعواصم وسكن الرقة من ديار مضر وكان من العلم والقراءة والادب والمعرفة والترسل وحسن النظم للكلام وكثرة الحفظ وحسن الاشارة وفصاحة اللسان وبراعة البيان وملوكية المجالسة وبراعة المكاتبة وحلاوة المخاطبة وجودة الحفظ وصحة القريحة على ما لم يكن كثير من الناس في عصره مثله ❊ وذكر انه قال كاتب الرجل لسانه وحاجبه وجهه وجليسه كله وتظم في ذلك شعرا فقال لسان الفتى كاتبه ❊ ووجه الفتى حاجبه ونديمانه كله ❊ وكل له واجبه وذكر عنه انه قال اذا وليت عملا فانظر من كاتبك فانما يعرف مقدارك من بعد عنك بكاتبك واستعقل حاجبك فانما يقضي عليك الوفود قبل الوصول اليك بحاجبك واستكرم واستطرب جليسك ونديمك فانما يؤذن للرجل بمن معه (وقد فاخر) كاتب نديما فقال الكاتب أنا معونة وأنت مؤنة وأنا للعدو وأنت للهزل وأنا للشدة وأنت للذة وأنا للحرب وأنت للسلم فقال النديم أنا للنعمة وأنت للنقمة وأنا للحظوة وأنت للمهنة وتقوم وأجلس وتحتشم وأنا مؤنس تدأب لحاجتي وتشقى بما فيه سعادتي وأنا شريك وأنت معين وأنا نائم وأنت قرين

وكن في مديح المصطفى كدبج ❊ بقلب كفيه بخيط موصل
وأمل به الاخرى ودنيا الدع وقد ❊ تمتعت من لهو بها غير معجل
وكن كئيبا للفؤاد منايت ❊ تصيح على تعداله غير موئل
ينادي الهى ان ذنبي قد عدا ❊ على بانواع الهموم ليبتلي
فكن لى مجيرا من شياطين شهوة ❊ على حراص لو يسرون مقتلي
ويشدد نيا اذا ماتدللت ❊ افاطم مهلا بعض هذا التدلل
فان تصلي حبلي بخير وصلته ❊ وان كنت قد ازمعت صرمي فأجملي
وأحسن بقطع الحبل مثلك وبه ❊ فسلي ثيابي من ثيابك تنسل
ايا سامعي مدح الرسول تنشقوا ❊ نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل
وروضة حمد للنبي محمد ❊ غذاها غير الماء غير محلل
وياس أبي الاصغاء ما أنت مهتد ❊ وما ان ارى عنك الغواية تنجلي
فلو مطفلا انشدتها لفظها ارعوت ❊ فالهيتها عن ذى تمائم محول
ولو سمعته عصم طود أمامها ❊ فانزل منها العصم من كل منزل انتهت

وقد عرفت بحازم هذا في أزهار الرياض وذكرت جملة من نظمه ومن بارع ما وقع له قوله

أدر المدامة فالنسيم مؤرج ❊ والروض مرقوم البرود مدبج
والارض قد لبست برود جمالها ❊ فكأنما هي كاعب تتبرج
والنهر مما ارتاح معطفه الى ❊ لقيا النسيم عبابه متموج

وانما سميت نديما للندم على مفارقتي ❊ وللعتابي أخبار حسان وتصنيفات ملاح في ذكرها خروج عما اليه قصدنا يعني ونحوه منا واغاذكرنا عنه هذه الفصول لتغلغل الكلام بنا اليها وتشعبه نحوها (وحكى) الجوهري عن العتبي عن عياش الزبدي قال رفع رجل قصة الى المأمون وسأله أن يأذن له في الدخول عليه والاستماع منه فاذن له فدخل فسلم فقال له المأمون تكلم بحاجتك قال أخبر أمير المؤمنين ان مصائب الدهر وأعاجيب الايام قصدتني فاخذت مني ما كانت الدنيا أعطتني فلم تبق لى ضيعة الا خربت ولا نهر الا أبدى ولا منزل الا تهدم ولا مال الا ذهب وقد أصبحت لا أملك سبدا ولا لبدا وعلى دين كثير ولى عيال أطفال وصبية صغار وأنا شيخ كبير قد قعدت بى المطالب وكبرت عني المكاسب وبى حاجة الى نظر أمير المؤمنين وعطفه قال فبينما هو في الكلام اذ ضرط فقال وهذا يا أمير المؤمنين من عجائب الدهر ومحنته ولا والله ما ظهر مني قط الا في موضعه فقال المأمون لجلسائه ما رأيت قط أقوى قلبا ولا أربط جأشا ولا أشد نفسا من هذا الرجل ثم أمر له بخمسين ألف درهم ❊ قال أبو العتاهية وجه الى المأمون يوما فصرت اليه فالفيته مطرقا مفكرا مغموما

فاجمت فاطرق مليا ثم رفع رأسه فقال يا اسماعيل شان النفس المال وحب الاستطراف والانس بالوحدة كما تانس بالالف
قلت أجل يا أمير المؤمنين ولي من هذا بيت شعر قال وما هو قلت

لاتصلح النفس اذ كانت مطرقة * الا التنقل من حال الى حال

قال أحسنت زدني فقلت حسنت زدني فقلت لا أقدر على ذلك وأنسيته بقية يومه وأمر لي بمال فانصرفت

(ويحكى) أن المامون أمر بعض خواصه من خدمه أن يخرج فلا يرى أحدا في الطريق الا أتى به كائنا من كان من رفيع أو خسيس فاتاه برجل من العامة فدخل وعنده المعتصم أخوه ويحيى بن أكثم ومحمد بن عمر الرومي وقد طبخ كل واحد منهم قدرا فقال محمد بن ابراهيم الطاهري هؤلاء من خواص امير المؤمنين فاجبهم عما يسالون فقال المامون الى أين خرجت في هذا الوقت وقد بقي عليك من الليل ثلاث ساعات فقال غرني القمر وسمعت تكبيرا فلم أشك انه أذان فقال له المامون اجلس فجلس فقال له المامون قد طبخ كل واحد منا قدرا وها هو ذا يقدم اليك من كل واحد منا قدر فاخبر عن فضائلها وما ترى من طبخها فقال هاتوا فقدمت في طبق كبير كلها موضوعة عليه لا يميز بينها ولكل ٢٨١ واحدة من طبخها علامة فبدأ فذاق قدرا طبخها المأمون فقال زهوا كل منها ثلاث لقمات وقال أما هذه فكانها مسكة وطباخها حكيم نظيف ظريف مايح ثم ذاق قدر المعتصم فقال هذه والله فكانها والاولى من يد واحدة خرجتا وبحكمة طبختا ثم ذاق قدر عمر الرومي فقال وهذه قدر طباخ ابن طباخ جاد ما أحكمه ثم ذاق قدر يحيى ابن اكثم فاعرض بوجهه وقال شه هذه والله جعل طباخها فيها مكان بصلها خراء فضحك القوم وذهب بهم الضحك وقعد يحادثهم ويطايبهم ويتلهى وطابوا معه فلما برق الفجر قال له المامون لا يخرجن منك ما كنا فيه وعلم انه علم بهم فوصله باربعة آلاف دينار وقسط له على أصحاب القدور وقال اياك ان تعود الى الخروج في مثل هذا الوقت مرة أخرى فقال لا أعدمكم الله الطبخ ولا أعدمني الخروج فسالوه عن تجارته وعرفوا منزله وجعل في خدمة المامون وخدمة الجميع وصار في جملتهم (وحدث) أبو عباد الكاتب وكان خاصا بالمامون قال قال لي المامون ما أعياني الاجواب ثلاثة أنفس صرت الى أم ذي الرياستين أعزيها عنه فقلت لا تاسي عليه ولا تحزني لفقده فان الله قد أخلف عليك مني ولدا يقوم لك مقامه فهما كنت تنبسطين اليه فيه فلا تنقبضين عني منه فبكت ثم قالت يا امير المؤمنين وكيف لا أحزن على ولد أكسبني ولدا مثلك وأتيت برجل قد تنبأ فقلت له من أنت قال موسى بن عمران عليه السلام فقلت ويحك ان موسى بن عمران عليه السلام كانت له آيات ودلالات باين بها أمره ألقى عصاه فابتلعت كيد السحرة ومنها اخراجه يده من جيبه وهي بيضاء وجعلت أعدد عليه ما أتى به موسى بن عمران عليه السلام من دلائل النبوة وقلت له لو أتيتني بشئ واحد من علاماته أو آية من آياته كنت

يمسي الاصيل بعسجدي شعاعه * ابدا يوشي صفحه ويديج
وتروم ايدي الريح تسلب ما كسي * فتزيده حسنا بما هي تنسج
فارتح اشرب كؤس راح نورها * بل نارها في مائها تتوهج
واسكر بنشوة لحظ من احببته * أو كأس خمر من لماه تمزج
واسمع الى نغمات عود تصطفي * قلب الخلي الى الهوى وتهيج
بم و زير يسعدان مثانيا * ومثالثا طبقاتها تتدرج
من لم يهج قلبه هذا فما * للقلب منه محرك ومهيج
فاجب فقد نادى بالسن حاله * للانس دهر للهموم مفرج
طربت جمادات وأوضح اعجم * فرحا وأصبح من سرور يهزج
أفيفضل الحي الجماد مسرة * والحي للسراء منه احوج
ما العيش الا ما نعمت به وما * عاطاك فيه الكاس ظبي ادعج
من ير وقلك منه ردف مردف * عبل وخصر ذو اختصار مدمج
فاذا نظرت لطرة ولغرة * ولصفحة منه بدت تتأجج
ايقنت ان ثلاثهن وما غدا * من تحتها يناد أو يتموج
ليل على صبح على بدر على * غصن تحمله كثيب رجرج
كاس ومحبوب يظل بلحظه * قلب الخلي الى الهوى يستدرج
يا صاح ما قلبي بصاح عن هوى * شيآن بينهما الملى تستنتج

أوّل من آمن بك والاقتلتك فقال صدقت الاانى أتيت بهذه العلامات لما قال فرعون أنا ربكم الاعلى فان قلت أنت كذلك أتيتك من العلامات بمثل ما أتيته به والثالثة ان أهل الكوفة اجتمعوا يشكون عاملا كنت أحمد مذهبه وأرتضى سيرته فوجهت اليهم انى أعلم سيرة هذا الرجل وأنا عازم على القعود لكم فى غداة غد فاختاروا رجلا يتولى المناظرة عنكم فانا أعلم بكثرة كلامكم فقالوا ما فينا من نرتضيه لمناظرة أمير المؤمنين الا رجل أطروش فان صبر أمير المؤمنين عليه تفضل بذلك فوعدتهم الصبر عليه وحضروا من الغد فامرت بالرجال فدخلوا والاطروش فلما مثل بين يدى أمرته بالجلوس ثم قلت له ما تشكوا من عاملكم فقال يا أمير المؤمنين هو شر عامل فى الارض أما فى أوّل سنة ولينا فانا بعنا أثاثنا وعقارنا وفى السنة الثانية بعنا ضياعنا وذخائرنا وفى السنة الثالثة خرجنا عن بلدنا فاستغثنا بأمير المؤمنين ليرحم شكوانا ويتطول علينا بالامر بصرفه عنا فقلت له كذبت لا أمان لك بل هو رجل أحمدت سيرته ومذهبه وارتضيت دينه وطريقته واخترته لكم لمعرفتى بكثرة سخطكم على عمالكم قال يا أمير المؤمنين صدقت وكذبت أنا ولكن هذا العامل الذى ارتضيت دينه وأمانته وعدله وانصافه كيف خصصتنا به هذه السنين دون البلاد حتى يشملهم من انصافه وعدله مثل الذى شملنا فقلت له قم فى غير حفظ الله فقد عزلته عنكم * وكان يحيى ابن أكثم يقول كان المأمون يجلس للمناظرة فى الفقه يوم الثلاثاء فاذا حضر الفقهاء ومن يناظره من سائر أهل المقالات ادخلوا حجرة مفروشة وقيل لهم انزعوا أخفافكم ثم أحضرت الموائد وقيل لهم أصيبوا من الطعام والشراب وجددوا الوضوء ومن خفه ضيق فلينزعه ومن ثقلت عليه قلنسوته فليضعها فاذا فرغوا أتوا بالمجامر فبخروا وطيبوا ثم خرجوا فاستدناهم حتى يدنون منه ويناظرهم أحسن مناظرة وأنصفها وأبعدها من مناظرة المتجبرين فلا يزالون كذلك الى أن زول الشمس ثم تنصب الموائد الثانية فيطعمون وينصرفون قال فانه يوما لجالس اذ دخل عليه على بن صالح الحاجب فقال يا أمير المؤمنين رجل واقف بالباب عليه ثياب بيض غلاظ مشمرة ويطلب الدخول للمناظرة فقلت انه بعض الصوفية فاردت بان أشير ان لا يؤذن له فبدأ المأمون فقال ائذن له فدخل عليه رجل عليه ثياب قد شمرها ونعله فى يده فوقف على طرف البساط فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال له المأمون وعليك السلام فقال أتأذن فى الدنو منك قال ادن فدنا ثم قال اجلس فجلس ثم قال أتأذن فى كلامك فقال تكلم بما تعلم أن لله فيه رضا قال أخبرنى عن هذا المجلس الذى أنت قد جلسته أباجتماع من المسلمين عليك ورضا منهم أم بالمغالبة لهم بالقوة عليهم بسلطانك قال لم أجلسه باجتماع منهم ولا بمغالبة لهم وانما كان يتولى أمر المسلمين سلطان قبلى أحمده المسلمون اما على رضا واما على كره فعقد لى ولأخ معى ولاية هذا الامر بعده فى أعناق من حضره من المسلمين فأخذ على من حضر بيت الله الحرام من الحاج البيعة لى ولأخ معى فاعطوا ذلك اما طائعين واما كارهين فمضى ولقد

وبهجتى الظبى الذى فى اضلعى * قد حل وهو يشبها ويؤجج
ناديت حادى عيسه يوم النوى * والعيس تحدى والمطايا تحدج
قف ايها الحادى اودع مهجة * قد حازها دون الجوانح هودج
لما توافقنا وفى أحداجها * قمر منير بالهلال متوج
ناديتهم قولوا لبدركم الذى * بضيائه تسرى الركاب وتدلج
يحيا العليل بلفظة أو لحظة * تطفى غليلا فى الحشا يتاجج
قالوا نخاف بان يدلك لاعجا * فاجبتهم خلوا اللواعج تلعج
وبكيت واستبكيت حتى ظل من * عبراتنا بحر بحر يموج
وبقيت أقرع بعدهم باب المنى * ما بيننا طورا وطورا يرتج
وأقول يا نفس اصبرى فعسى النوى * بصباح قرب ليلها يتبلج
فترقب السراء من دهر شجا * والدهر من ضد لضد يخرج
وترج فرجة كل هم طارق * فلكل هم فى الزمان تفرج

وتذكرت هنا جيمية ابن قلاقس وهى

عرضت لمعترض الصباح الابلج * حوراء فى طرف الظلام الادعج
فتمزقت شيم الدجى عن غرتى * شمسين فى أفق وكل له هودج
وورا أستار الحمول لواحظ * غازلن معتدل الوشيج الاعوج
من كل مبتسم السنان اذا جرى * دمع النجيع من الكمى الاهوج

الذى عقدله معى على هذا السبيل التى مضى عليها فلما صار الى علمت انى أحتاج الى اجتماع كلمة المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها على الرضا ثم نظرت فرأيت انى متى تخليت عن المسلمين اضطرب حبل الاسلام وانتقضت أطرافه وغلب الهرج والفتنة ووقع التنازع فتعطلت أحكام الله سبحانه وتعالى ولم يحج أحد بيته ولم يجاهد فى سبيله ولم يكن له سلطان يجمعهم ويسوسهم وانقطعت السبل ولم يؤخذ لمظلوم من ظالم فقمت بهذا الامر حياطة للمسلمين ومجاهدا لعدوهم وضابطا لسبلهم وآخذا على أيديهم الى أن يجتمع المسلمون على رجل تتفق كلمتهم عليه على الرضا به فاسلم الامر اليه واكون كرجل من المسلمين وأنت أيها الرجل رسولى الى جماعة المسلمين فمتى اجتمعوا على رجل ورضوا به خرجت اليه من هذا الامر فقال السلام عليكم ورحمة الله وقام فأمر المأمون على بن صالح بان ينفذ فى طلبه من يعرف مقصده ففعل ذلك ثم رجع وقال وجهت يا أمير المؤمنين الى مسجد فيه خمسة عشر رجلا فقالوا له لقيت الرجل فقال نعم قالوا فما قال قال ما قال لى الا خيرا ذكر أنه ناظر فى أمور المسلمين الى أن تأمن سبلهم ويقوم بالحج والجهاد فى سبيل الله ويأخذ للمظلوم من الظالم ولا يعطل الاحكام فاذا رضى المسلمون برجل سلم الامر اليه وخرج اليه منه قالوا ما نرى بهذا بأسا وافترقوا فاقبل المأمون على يحيى فقال كفينا مؤنة هؤلاء بأيسر الخطب فقلت الحمد لله الذى ألهمك يا أمير المؤمنين الصواب والسداد فى القول (قال المسعودى) وكان يحيى قد ولى قضاء البصرة قبل تأكد الحال بينه وبين المأمون فرفع الى المأمون انه أفسد أولادهم بكثرة لواطه فقال المأمون لو طعنوا عليه فى أحكامه قبل ذلك منهم قالوا يا أمير المؤمنين قد ظهرت منه الفواحش وارتكاب الكبائر واستفاض ذلك عنه وهو القائل يا أمير المؤمنين فى صفة الغلمان وطبقاتهم ومراتبهم فى أوصافهم فقال المأمون وما الذى قال فدفعت اليه القصة فيها جمل مما رمى به وحكى عنه فى هذا المعنى وهو قوله

أربعة تفتتن ألحاظهم * فعين من يعشقهم ساهره
فواحد دنياه فى وجهه * منافق ليست له آخره
وآخر دنياه مقبوحة * من خلفه آخرة وافره
وثالث قد حاز كلتيهما * قد جمع الدنيا مع الآخره
ورابع قد ضاع ما بينهم * ليست له دنيا ولا آخره

فانكر المأمون ذلك فى الوقت واستعظمه وقال أيكم سمع هذا منه قالوا هذا مستفاض من قوله فينا يا أمير المؤمنين فامر باخراجهم عنه وعزل يحيى عنهم وفى يحيى وما كان عليه بالبصرة يقول ابن أبى نعيم

ياليت يحيى لم يلده أكثمه * ولم تطأ أرض العراق قدمه
ألوط قاض فى العراق نعلمه * أى دواة لم يلقها قلمه
وأى شعب لم يلجه أرقمه * وضرب الدهر ضرباته

فاتصل يحيى بالمأمون ونادمه ورخص له فى أمور كثيرة فقال له يوما يا أبا محمد من الذى يقول

قاض يرى الحد فى الزنا ولا * يرى على من يلوط من باس

قال ذلك ابن أبى نعيم يا أمير

ولقد صحبت الليل قلص برده * لعباب بحر صباحه المتموج
وكأن منثر النجوم لآلئ * نظمت على صرح من الفيروزج
وسهرت ارقب من سهيل خافقا * متفردا وكأنه قلب الشجى
واستعبرت مقل السحاب فاضحكت * منها ثغور مفوّف ومدبج

ولنعد الى ذكر أبى بكر بن جزى فنقول وله تقييد فى الفقه على كتاب والده المسمى بالقوانين الفقهية ورجز فى الفرائض واحسانه كثير وتقدم قاضيا بالجماعة بحضرة غرناطة ثامن شوّال عام ستين وسبعمائة ثم صرف عنها ثم لما توفى الاستاذ الخطيب العالم الشهير أبو سعيد فرج بن لب رحمه الله تعالى وكان خطيب الجامع الاعظم بغرناطة ولى موضعه أستاذا وخطيبا عام اثنين وثمانين وسبعمائة فبقى فى الخطابة ثلاثة أعوام ثم توفى وأظن وفاته آخر عام خمسة وثمانين وسبعمائة رحمه الله تعالى وأما أخوه أبو عبد الله محمد فهو الكاتب المجيد أعجوبة الزمان وتوفى بفاس رحمه الله تعالى عام ثمانية وخمسين وسبعمائة وقيل وهو الصواب ان وفاته آخر شوّال من السنة قبلها حسبما ألفيته بخط بعض أكابر الثقات بداره من البيضاء وهى فاس الجديدة قرب مغرب يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شوّال من عام سبعة وخمسين وسبعمائة وكان دفنه يوم الاربعاء بعد صلاة العصر وراء الحائط الشرقى الذى بالجامع الاعظم من المدينة البيضاء وكان مولده فى شوّال من عام واحد وعشرين وسبعمائة انتهى قال الامير ابن الاحمر فى نثير الجمان أدركته ورأيته وهو من أهل بلدنا غرناطة وكان أبوه أبو القاسم محمد أحد المفتين بها عالم الاندلس الطائرة فتياه منها الى طرابلس وقتل شهيدا بطريف

المؤمنين وهو القائل

أميرنا يرتشى وحاكمنا * يلوط والرأس شر ما راس
قاض يرى الحد فى الزناء ولا * يرى على من يلوط من باس
ما أحسب الجور ينقضى وعلى الـ * ـأمة وال من آل عباس

فاطرق المأمون خجلا ساعة ثم رفع رأسه وقال ينفى ابن أبى نعيم الى السند وكان يحيى اذا ركب مع المأمون فى سفر ركب معه بمنطقة وقباء وسيف بمعاليق وساسية واذا كان الشتاء ركب فى اقبية الخز وقلانس السمور والسروج المكشوفة وبلغ من اداعته ومجاهرته باللواط ان المأمون أمره ان يفرض لنفسه فرضا يركبون بركوبه ويتصرفون فى أموره ففرض أربعمائة غلام مرد اختارهم حسان الوجوه فافتضح بهم وقال فى ذلك راشد بن اسحق يذكر ما كان من أمر يحيى فى الفرض

خليلى انظرا متعجبين * لاطرف منظر مقلته عينى
لفرض ليس يقبل فيه الا * اسيل الخد حلو المقلتين

والا كل أشقر اكثمى * قليل نبات شعر العارضين
يقدم دون موقف صاحبيه * بقدر جماله ويقبح ذين
يقودهم الى الهيجاء قاض * شديد الطعن بالرمح الردينى
اذا شهد الوغى منهم شجاع * تجدل للعبين ولليدين
يقودهم على علم وحلم * ليوم سلامة لا يوم حين
وصار الشيخ منحنيا عليه * بصرعه بحو زالركبتين
يغادرهم الى الاذقان صرعى * وكلهم جريح الخصيتين

وفيه يقول راشد أيضا

وكنا نرجى ان نرى العدل ظاهرا * فاعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها * وقاضى قضاة المسلمين يلوط

وكان يحيى بن اكثم بن عمر بن أبى رباح من أهل خراسان من مدينة مرو وكان رجلا من بنى تميم وسخط عليه المأمون فى سنة خمس عشرة ومائتين وذلك بمصر وبعث به الى العراق مغضوبا عليه وله مصنفات فى الفقه وفى فروعه وأصوله وكتاب أورده على العراقيين سماه بكتاب التنبيه وبينه وبين أبى سليمان احمد بن أبى داود بن على مناظرات كثيرة وفى خلافة المامون كانت وفاة ابى عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد الله بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف الشافعى فى رجب ليلة الجمعة وذلك سنة أربع ومائتين ودفن صبيحة الليلة وهو ابن أربع وخمسين سنة وصلى عليه السرى بن الحكم امير مصر يومئذ كذلك ذكر عكرمة بن محمد بن بشر عن الربيع بن سليمان المؤذن وذكر أيضا محمد بن سفيان بن سعيد المؤذن وغيرهما عن الربيع بن سليمان مثل ذلك ودفن الشافعى بمصر نحو قبور الشهداء فى مقبرة بنى عبد الحكم وبين قبورهم وعند رأسه عمود من الحجر كبير وكذلك عند رجليه وعلى العالى الذى عند رأسه حفر قد كتب فيه فى ذلك الحجر هذا قبر محمد بن ادريس الشافعى امين الله وما ذكرنا فمشهور بمصر والشافعى يتفق نسبه

بعد ان ابلى بلاء حسنا وأبو عبد الله ابنه هذا كتب بالاندلس فى حضرة ابن عم أبينا أمير المسلمين أبى الحجاج يوسف وله فيه أمداح عجيبة ولم يزل كاتبا فى الحضرة الاحمدية النصرية الى أن امتحنه أمير المسلمين أبو الحجاج انتهى و يعنى ابن الاحمر بهذا الامتحان أنه ضربه بالسياط من غير ذنب اقترفه بل ظلما ظالما مبينا هكذا ألفيته فى بعض المقيدات ثم قال ابن الاحمر فقوض الرحال عن الاندلس واستقر بالعدوة فكتب بالحضرة المرينية لامير المسلمين أبى عنان الى أن توفى بها رحمه الله تعالى وكان رحمه الله تعالى طلع فى سماء العلوم بدرا مشرقا وسارت براعته مغربا ومشرقا وسما بشعره فوق الفرقدين كما أربى بنثره على الشعرى والبطين له باع مديد فى التاريخ واللغة والحساب والنحو والبيان والآداب بصير بالفروع والاصول والحديث عارف بالماضى من الشعر والحديث ان نظم انساك أبا ذؤيب برقته ونصيبا بمنصبه ونخوته وان كتب أربى على ابن مقلة بخطه وان انشأ رسالة انساك العماد بحسن مساقها وضبطه وهو رب هذا الشان * وفارس هذا الميدان ومع تفننه فى الشعر فهو فى العلوم قد نبغ وما بلغ أحد من شعراء عصره منه ما بلغ بل سلموا التقدم فيه اليه والقوا زمام الاعتراف بذلك فى يديه ودخلوا تحت راية الادب التى حمل اذ ظهر ساطع براعته ظهور الشمس فى الحمل أنشدنى لنفسه يمدح أمير المسلمين أبا الحجاج يوسف بن أمير المسلمين أبى الوليد اسمعيل عم أبينا ابن جدنا الرئيس الامير أبى سعيد فرج هذه القصيدة البارعة وحذف منها الراء المهملة

قسما بوضاح السنى الوهاج * من تحت مسدول الذوائب داج

مع بنى هاشم وبنى أمية فى عبد مناف لانه من ولد المطلب بن عبد مناف وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم نحن وبنو المطلب
كهاتين وأشار باصبعيه مضمومتين وقد كانت قريش حاصرت بنى المطلب مع بنى هاشم فى الشعب (وحدثنى فقير بن مسكين
عن المزنى بهذا وكان فقير يحدث عن المزنى وكان سماعنا من فقير بن مسكين بمدينة اسوان بصعيد مصر قال قال المزنى دخلت
على الشافعى غداة وفاته فقلت له كيف أصبحت يا ابا عبد الله قال اصبحت من الدنيا راحلا ولاخوانى مفارقا وبكاس المنية شاربا
ولا أدرى الى الجنة تصير روحى فاهنيها ام الى النار فاعزيها وانشأ يقول

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى * جعلت الرجا منى لعفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته * بعفوك ربى كان عفوك اعظما

وفى هذه السنة التى مات فيها الشافعى وهى سنة أربع ومائتين مات أبو داود سليمان بن داود الطيالسى وهو ابن احدى
وتسعين سنة وفيها مات هشام بن محمد الكلبى (وادعى) رجل النبوة بالبصرة أيام المأمون فحمل اليه موثقا بالحديد فمثل بين
يديه فقال أنت نبى مرسل قال أما الساعة فانا موثق قال ويلك من غرك قال أبهذا تخاطب الانبياء اما والله لولا انى موثق
لامرت جبريل ان يدمدمها عليكم قال له المأمون والموثق لا يجاب له دعوة قال الانبياء خاصة اذا قيدت لا ترتفع
دعاؤها فضحك المأمون وقال من قيدك قال هذا الذى بين يديك قال فنحن نطلقك وتأمر جبريل أن يدمدمها فان أطاعك آمنا بك وصدقناك فقال صدق الله اذ يقول فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ان شئت فافعل فامر باطلاقه فلما وجد راحة العافية قال يا جبريل ومد بها صوته ابعثوا من شئتم فليس بينى و بينكم الآن خبر غيرى يملك الاموال وأنا لا شئ معى ما يذهب لكم الا السخان فامر باطلاقه والاحسان اليه (حدث) ثمامة بن أشرس قال شهدت
مجلسا للمأمون وقد أتى برجل ادعى انه ابراهيم الخليل فقال له المأمون ما سمعت باجرأ على الله من هذا قلت ان رأى أمير
المؤمنين ان يأذن لى فى كلامه قال شانك واياه قلت يا هذا ان ابراهيم عليه السلام كانت له براهين قال وما براهينه قلت
أضرمت له النار والقى فيها فكانت عليه بردا وسلاما فنحن نضرم لك نارا ونطرحك فيها فان كانت عليك بردا وسلاما كما
كانت عليه آمنا بك وصدقناك قال هات ما هو ألين على من هذا قلت فبراهين موسى عليه السلام قال وما هى قلت ألقى العصا
فاذا هى حية تسعى تلقف ما يأفكون وضرب بها البحر فانفلق و بياض يده من غير سوء قال هذا أصعب ولكن هات ما هو
ألين من هذا قلت فبراهين عيسى عليه السلام قال وما براهينه قلت احياء الموتى فقطع الكلام فى براهين عيسى وقال جئت
بالطامة الكبرى دعنى من براهين هذا قلت فلا بد من براهين قال ما معى من هذا شئ قلت لجبريل انكم توجهونى الى شياطين
فاعطونى حجة اذهب بها والا لم اذهب فغضب جبريل عليه السلام على وقال جئت بالشر من ساعة اذهب أولا فانظر ما يقول
لك القوم فضحك المأمون وقال هذا من الانبياء التى تصلح للمنادمة وفى سنة ثمان وتسعين ومائة خلع المأمون أخاه المعتصم بن

و بابلج بالمسك خطت نونه * من فوق وسنان اللواحظ ساجى
و بحسن خد دبجت صفحاته * فغدت تحاكى مذهب الديباج
و بمبسم كالعقد نظم سلكه * ولمى حكى الصهباء دون مزاج
و بمنطق تصبو القلوب لحسنه * انسى المسامع نغمة الاهزاج
و بمائس الاعطاف تثنيه الصبا * فيميس كالخطى يوم هياج
ومنعم مثل الكثيب ثقيله * مستضعف يشكو من الادماج
وبموعد للوصل انجز خلفه * من بعد طول تمنع ولجاج
وبأكؤس أطلعن فى جنح الدجى * شمس السلافة فى سماء زجاج
وحدائق سحب السحاب ذيوله * فيها و بات لها النسيم يناجى
وجداول سلت سيوفا عندما * جئت بجيش للصبا عجاج
و باقحوان قد تضاحك اذ بكت * عين الغمام بمدمع ثجاج
وقدود أغصان يملن كانها * تخفى حديثا بينها وتناجى
وحمائم يهتفن شجوا بالضحى * فهديلهن لذى الصبابة شاجى
ان المعالى والعوالى والندى * والبأس طوع يدى أبى الحجاج
ملك تتوج بالمهابة عندما * لم يستعز فى الدين لبس التاج
وأفاض حكم العدل فى أيامه * فالحق أبلج واضح المنهاج
هو منقذ العانى ومغنى المعتفى * وملاذ العافى وغوث اللاجى

الرشيد من ولاية العهد وفى سنة تسع وتسعين ومائة خرج أبو السرايا السرى بن منصور الشيبانى بالعراق واشتد أمره ومعه محمد بن ابراهيم بن اسمعيل بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب وهو ابن طباطبا ووثب بالمدينة محمد بن سليمان بن داود ابن الحسن بن الحسن بن على رحمهم الله ووثب بالبصرة على بن محمد بن جعفر بن على بن الحسين عليهم السلام وزيد بن موسى ابن جعفر فغلبوا على البصرة وفى هذه السنة مات أبو طباطبا الذى كان يدعو اليه أبو السرايا وهو محمد بن ابراهيم المقدم ذكره وظهر فى هذه السنة باليمن وهى سنة تسع وتسعين ومائة ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد وظهر فى أيام المامون بمكة ونواحى الحجاز محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين رحمهم الله وذلك فى سنة مائتين ودعا لنفسه واليه دعت السمطية من فرق الشيعة وقالت بامامته وقد افترقوا فرقا فمنهم من غلا ومنهم من قصر وسلك طريق الامامية وقد ذكرنا فى كتاب المقالات فى أصول الديانات وفى كتاب أخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة فى الفن الثلاثين من أخبار خلفاء بنى العباس ومن ظهر فى أيامهم من الطالبيين وقيل ان محمد بن جعفر دعا فى بدء أمره وعنفوان شبابه الى محمد بن ابراهيم ابن طباطبا صاحب أبى السرايا فلما مات ابن طباطبا وهو محمد بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن دعا لنفسه وتسمى بامير المؤمنين غير محمد بن جعفر وكان يسمى بالديباجة لحسنه وبهائه وما كان عليه من البهاء والكمال وكان له بمكة ونواحيها قصص حمل فيها الى المامون بخراسان والمامون يومئذ بمرو فامنه المأمون وحمله معه الى جرجان مات محمد بن جعفر بها فدفن بها وقد أتينا على كيفية وفاته وما كان من أمره وغيره من آل أبى طالب فى كتابنا حدائق الاذهان فى أخبار آل أبى طالب ومقاتلهم فى بقاع الارض وظهر فى أيام المامون أيضا بالمدينة الحسن بن الحسين بن على ابن على بن الحسين بن على وهو المعروف بابن الافطس وقيل انه دعا فى بدء أمره الى ابن طباطبا فلما مات ابن ملك طباطبا دعا الى نفسه والقول بامامته وسار الى مكة فاتى الناس وهم بمنى وعلى الحاج داود بن عيسى بن موسى الهاشمى فهرب داود ومضى الناس الى عرفة ودفعوا الى مزدلفة بغير انسان عليهم من ولد العباس وقد كان ابن الافطس وافى الموقف بالليل ثم صار الى المزدلفة والناس بغير امام فصلى بالناس ثم مضى الى منى فنحر ودخل مكة وجرد البيت مما عليه من الكسوة الا القباطى البيض فقط وفى سنة مائتين ظهر حماد المعروف بالكبدعوس بن السرايا فاتى به الحسن بن سهل فقتله وصلبه على الجسر ببغداد وقد أتينا فى كتابنا فى أخبار الزمان على خبر أبى السرايا وخروجه وما كان منه فى خروجه وقتله عبدوس ابن أبى خالد ومن كان معه من قواد الابناء واستباحته عسكره (قال المسعودى) وفى سنة مائتين بعث المامون برجاء بن أبى الضحاك وياسر الخادم الى على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين الرضا لاشخاصه فحمل اليه مكرما وفيها أمر المامون باحصاء ولد العباس من رجالهم ونسائهم وصغيرهم وكبيرهم فكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفا ووصل الى المامون

ماضى العزيمة والسيوف كليلة * طلق المحيا والخطوب دواجى
علم الهدى والناس فى عمياء قد * ضلوا لوقع الحادث المهتاج
غيث الندى والسحب تبخل بالحيا * والمحل يبدى فاقة المحتاج
ليث الوغى والخيل تزجى بالقنا * والبيض تنهل فى دم الاوداج
يتقشع الاظلام اذ يبدو له * وجه كمثل الكوكب الوهاج
من آل قيلة من ذؤابة سعدها * أعلى بنى قحطان دون خلاج
حيث العلا ممدودة الاطناب لم * تخلق معالمها يد الانهاج
والاعوجيات السوابق تمطى * فتظلل الآ فاق سحب عجاج
والبيض والاسد العوامل تقتضى * مهج الكماة بابلغ الازعاج
مجد لديه وسف جمعت أشتاته * أعياسواه بعد طول علاج
مولاى هاك عقيلة تزهو على * اخواتها كالغادة المغناج
انشاء عبد خالص للحبه * ومن العبيد مداهن ومداجى
آوى الى اكناف نعماك التى * ليست اليه صلاتها بخداج
سباق ميدان البلاغة والوغى * لشعاب كل منهما ولاج
جانبت أخت الزاى منها عامدا * فأتت من الاحسان فى أفواج
فافتح لها باب القبول وأول من * أهدى لها ما يبتغى من حاج

ثم قال ابن الاحمر وأنشدنى أيضا لنفسه يمدح امير المؤمنين المتوكل على الله أبا عنان فارس

علي بن موسى الرضا وهو بمدينة مرو فانزله المامون أحسن انزال وأمر المامون بجمع خواص الاولياء واخبرهم انه نظر في ولد
العباس وولد علي رضي الله عنهم فلم يجد في وقته أحدا أفضل ولا احق بالامر من علي بن موسى الرضا فبايع له بولاية العهد
وضرب اسمه على الدنانير والدراهم وزوج محمد بن علي بن موسى الرضا بابنته أم الفضل وأمر بازالة السواد من اللباس والاعلام
ونمى ذلك الى من بالعراق من ولد العباس فاعظموه اذ علموا ان في ذلك خروج الامر عنهم وحج بالناس ابراهيم بن موسى بن
جعفر اخو الرضا بامر المامون واجتمع من بمدينة السلام من ولد العباس على خلع المامون ومبايعة ابراهيم بن المهدي
المعروف بابن شكلة فبويع له يوم الخميس لخمس خلون من المحرم سنة اثنتين ومائتين وقيل ان ذلك في سنة ثلاث ومائتين وفي
سنة اثنتين ومائتين قتل الفضل بن سهل في حمام غيلة وذلك بمدينة سرخس من بلاد خراسان وذلك في دار المامون
في مسيره الى العراق وقبض علي بن موسى الرضا بطوس لعنب أكله واكثر منه وقيل انه كان مسموما وذلك في صفر سنة
ثلاث ومائتين وصلى عليه المامون وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وقيل سبع وأربعين سنة وستة أشهر وكان مولده بالمدينة
سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة وكان المامون زوج ابنته أم حبيبة لعلي ابن موسى الرضا فكانت احدى
الاختين تحت محمد بن
علي بن موسى والاخرى
تحت أبيه علي بن موسى
واضطربت بغداد في أيام
ابراهيم بن المهدي وثارت
الرويضية وسموا أنفسهم
المطوعية وهم رؤساء العامة
والتوابع وقرب المامون
من مدينة السلام صلى
ابراهيم بن المهدي بالناس
في يوم النحر واختفى في يوم
الثاني من النحر وذلك في
سنة ثلاث ومائتين فخلعه
اهل بغداد وكان دخول
المامون بغداد سنة أربع
ومائتين ولباسه الخضرة
ثم غير ذلك وعاد الى لباس
السواد وذلك حين قدم
طاهر بن الحسين من الرقة اليه وفي سنة احدى ومائتين كان القحط العظيم ببلاد المشرق والوباء بخراسان وغيرها وفيها كان
خروج بابك الخرمي ببلاد البذين في أصحاب جاويذان ابن شهرك وقد قدمنا ذكر بلاد بابك وهي البذين من اذربيجان
والران والبيلقان فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لجبل الفتح والباب والابواب ونهر الرأس وجريانه نحو بلاد البذين
وبث المامون عيونه في طلب ابراهيم بن المهدي وقد علم باختفائه فيها فظفر به لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة
سبع ومائتين في زي امرأة ومعه امرأتان أخذه حارس بن أسود في الدرب المعروف بالطويل ببغداد فادخل الى المامون فقال
هيه يا ابراهيم فقال يا أمير المؤمنين ولي الثار محكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى ومن تناوله الزمان واستولى عليه
الاغترار بما مد له من أسباب الشقاء أمكن عادية الدهر من نفسه وقد جعلك الله فوق كل ذي عفو كما جعل كل ذي ذنب دوني
فان تعاقب فبحقك وان تعف فبفضلك قال بل العفو يا ابراهيم فكبر ثم خر ساجدا فامر المامون فصيرت التي كانت عليه على صدره
ليرى الناس الحال التي أخذ عليها ثم أمر به فصير في دار الحرس أياما ينظر الناس اليه ثم حول الى احمد بن خالد ثم رضي عنه من

ملك المغرب

ان قلبي لعهدة الصبر ناكث * عن غزال في عقدة السحر نافث
أضرم النار في فؤادي وولى * قائلا لا تخف فاني عابث
ورماني من مقلتيه بسهم * ثم قال اصطبر لثان وثالث
كم عذول أتى يناظر فيه * كان تعذاله على الحب باعث
وبعين آليتها بالتسلي * فقضى حسنه باني حانث
جبر الله صدع قلب عميد * صدعت شمله صروف الحوادث
فهو يهفو الى البروق ويروى * عن نسيم الصبا ضعيف الاحادث
سلبته الاشجان الا بقايا * من أماني حبالهن رثائث
وبكاء على عهود مواض * ملأت صدره هموما حدائث
لست وحدي أشكو بليلة وجدي * ان داء الغرام ليس بحادث
يا مضيع العهود والله يعفو * عنك اني ارتضيت خطة ناكث
غرني منك والجمال غرور * وظبا اللحظ في القلوب عوابث
مقبل يقتسمن أعشار قلبي * بالرضا منى اقتسام الموارث
كيف غيرت بانتزاحك حالي * وتغيرت لي ولست بحارث
ذرط حبي وفرط بخلك آلا * أن عينيك بالفتو رنوافث
وندى فارس وحسنك ردا * قول من قال سد باب البواعث

بعد أن كان وكل به فقال ابراهيم فى ذلك من كلمة له ان الذى قسم المكارم حازها * من صلب آدم للامام السابع
جمع القلوب عليك جامع أهلها * وحوى ودادك كل خير جامع فبذلت أعظم مايقوم بحمله * وسع النفوس من الفعال البارع
وعفوت عمن لم يكن عن مثله * عفو ولم يشفع اليك بشافع وانحدر المامون الى فم الصلح فى شعبان سنة تسع ومائتين
وأملك بخديجة ابنة الحسن بن سهل التى تسمى بوران ونثر الحسن فى ذلك من الاموال مالم ينثره ولم يفعله ملك قط فى
جاهلية ولا فى اسلام وذلك انه نثر على الهاشميين والقواد والكتاب بنادق مسك فيها رقاع باسماء ضياع واسماء
جوار وصفات دواب وغير ذلك فكانت البندقة اذا وقعت فى يد الرجل فتحها فقرأ مافيها فيجد على قدر اقباله وسعوده فيها
فيمضى الى الوكيل الذى نصب لذلك فيقول له ضيعة يقال لها فلانة الفلانية من طسوج كذا من رستاق كذا وجارية يقال
لها فلانة الفلانية ودابة صفتها كذا ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك وبيض العنبر وانفق على
المامون وقواده وعلى جميع أصحابه ومن كان معه من جنوده أيام مقامه عنده على المكارين والحمالين والملاحين وكل من ضمه
العسكر من تابع ومتبوع ومرتزق وغيره لم يكن أحد من الناس يشترى شيا فى عسكر المامون مما يطعم ولا مما
تعتلفه البهائم فلما أراد
المامون ان يصعد فى دجلة
الى مدينة السلام قال
للحسن حوائجك يا أبا محمد
قال نعم يا أمير المؤمنين
أسالك ان تحفظ على مكانى
من قلبك فانه لا يتهيا لى
حفظه الا بك وأمر المامون
بحمل خراج فارس وكور
الاهواز اليه سنة فقالت
فى ذلك الشعراء فاكثرت
واطنبت الخطباء فى ذلك
وتكلمت فيما استظرف
مما قيل فى ذلك من الشعر
قول محمد بن حازم الباهلى
بارك الله للحسن
ولبوران فى الختن
يا ابن هرون قد ظفر * ت ولكن ببنت من فلما نمى هذا الشعر
الى المامون قال والله ماندرى خيرا أراد أم شرا ودخل ابراهيم بن المهدى يوما على المامون بعد مدة من الظفر به فقال ان
هذين يحملانى على قتلك يعنى المعتصم أخاه والعباس بن المامون فقال ما أشارا عليك الا بما يشار به على مثلك ولكن تدع
ماتخاف لما ترجو وأنشد ردت مالى ولم تبخل على به * وقبل ردك مالى قد حقنت دمى
فبوت منها وما كافيتها بيد * هما الحياتان من موت ومن عدم البر وطا منك العذر عندك لى * فيما أتيت ولم تعذل ولم تلم
وقام عذرك بى فاحتج عندك لى * مقام شاهد عدل غير متهم ولابراهيم اخبار حسان وأشعار ملاح وما كان من أمره فى حال
اختفائه فى سويقة غالب ببغداد وتنقله من موضع الى موضع بها وخبره فى الليلة التى قبض عليه فيها قد أتينا على جميعها
فيما سلف من كتبنا التى كتابنا هذا تال لها وقد صنف يوسف بن ابراهيم الكاتب صاحب ابراهيم بن المهدى كتابا فى
كتابه فى أخبار المتطببين مع الملوك فى المآكل والمشارب والملابس وغير ذلك وكتابه المعروف بكتاب ابراهيم ابن المهدى

ملك البأس والندى فهو بالسيف وبالسيب عائث أو غائث
محرز المجد والثناء فهذا * سائر فى الورى وذلك لابث
أوطأ الشهب رجله وترقى * صاعدا فى سموه غير ماكث
فدرار تسرى وما لحقته * ونجوم خلف القصور لوابث
وله المقربات لا بل هى العقبان من فوقها الليوث الدلاهث
طالعات من كل نعل هلالا * فلهذا تجلو دجى كل حادث
ان تراقين فالجبال الرواسى * أو تسابقن فالغيوث الحثائث
والمواضى كانها قد أعيرت * حدة الذهن منه عند المباحث
هى نار محرقات الاعادى * وهى ماء مطهرات الخبائث
فيردن الوغى ذكورا عطاشا * ثم يصدرن ناهلات طوامث
من معانيه قد رأينا عيانا * كل فضل ينصه من يحادث
خلق كالنسيم مر سحيرا * بالازاهير فى البطاح الدمائث
فى سبيل الاله يقصى ويدنى * ويوالى فى ذاته وينابث
شرف الملك منه سام وحام * ففدته سام وحام ويافث
هاكها من بنات فكرى بكرا * ليس يسمو لها من الناس طامث
ذات لفظ لا يعتريه اختلال * ومعان لا تنتحيها المباحث
زعماء القريض أبقوا بقايا * كنت دون الورى لهن الوارث

فى أنواع الاخبار وغير ذلك من كتبه ومن أحسن ما اختير من أخبار ابراهيم فى حال تنقله واختفائه ببغداد خبره مع المزين وهو أن المامون لما دخل بغداد على ماذكرناه فيما سلف من هذا الكتاب من بثه العيون طلبا لابراهيم بن المهدى وجعل لمن دل عليه جعلا خطيرا من المال قال ابراهيم فخرجت فى يوم صائف فى وقت الظهر لا أدرى أين أتوجه فصرت الى زقاق ولا منفذ له فرأيت أسود على باب دار فصرت اليه وقلت له أعندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار فقال نعم وفتح بابه فدخلت الى بيت فيه حصير نظيف ووسادة جلد نظيفة ثم تركنى وأغلق الباب فى وجهى ومضى فتوهمته قد سمع الجعالة فى وانه خرج ليدل على فبينما أنا كذلك اذ أقبل ومعه طبق عليه كل ما يحتاج اليه من خبز ولحم وقدر جديد وآلتها وجرة نظيفة وكيزان نظاف كل ذلك جديد وقال لى جعلنى الله فداك انى حجام وانى أعلم أنك تتقذر مما أتولاه فشانك بما لم تقع عليه يدى وكانت بى حاجة شديدة الى الطعام فقمت فطبخت لنفسى قدرا ما أذكر انى أكلت أطيب منها ثم قال لى بعد ذلك هل لك فى النبيذ فقلت ما أكره ذلك ففعل مثل فعله فى الطعام وأتانى بكل شئ نظيف لم يمس شيأ منه يده ثم قال لى بعد ذلك أتأذن لى جعلنى الله فداك أن أقعد ناحية منك فآتى بنبيذ فأشرب منه سرورا بك قال فقلت ٢٨٩ افعل ذلك فلما شرب ثلاثا دخل خزانة له وأخرج منها عودا وقال يا سيدى ليس من قدرى أن أسألك أن تغنى ولكن قد وجبت عليك حرمتى فان رأيت أن تشرف عبدك بان تغنيه قال فقلت وكيف توهمت على أنى أحسن الغناء فقال متعجبا يا سبحان الله أنت أشهر من أن لا أعرفك أنت ابراهيم بن المهدى الذى قد جعل المامون لمن دل عليك مائة ألف درهم قال فلما قال لى ذلك تناولت العود فلما هممت بالغناء قال يا سيدى أتجعل ما تغنيه ما أقترحه عليك فقلت هات فاقترح ثلاثة أصوات أتقدم فيها كل من غنى قلت هبك عرفتنى هذه الاصوات من اين لك قال أنا أخدم ابراهيم بن اسحق الموصلى وكثيرا ما كنت اسمعه يذكر المحسنين وما يجيدونه ولم أتوهم أنى أسمع ذلك منك فى منزلى فغنيته وانست به واستظرفته فلما كان الليل خرجت من عنده وقد كنت حملت معى خريطة فيها دنانير فقلت له خذها اصرفها فى بعض مؤنتك ولك عندنا مزيد ان شاء الله تعالى فقال ما أعجب هذا والله عزمت على أنى أعرض عليك جملة عندى وأسألك ان تتفضل بقبولها ثم اجلالتك عن ذلك فامتنع من قبول شئ ومضى حتى دلنى على الموضع الذى احتجت اليه وانصرف وكان آخر العهد به وفى سنة ست ومائتين وذلك فى خلافة المامون مات يزيد بن هرون بن زاذان الواسطى وله تسع وثمانون سنة وكان مولده سنة سبع عشرة ومائة وهو مولى بنى سليم وكان أبوه يخدم فى مطبخ زياد ابن أبيه وعبيد الله بن زياد ومصعب بن الزبير والحجاج بن يوسف وهذا عمدة اهل الحديث فى علمهم وعظيم من عظمائهم وكانت وفاته بواسط العراق وفيها مات جرير بن خزيمة بن حازم وشبية بن سوار المدنى والحجاج بن محمد الاعور الفقيه وعبد الله بن نافع الصائغ المدنى مولى

من أراد انتقادها فهى هذى * عرضة البحث فليكن جد باحث

ورأيت بخط ابن الصباغ العقيلى على هامش قوله وندى فارس وحسبك ردا البيت ما نصه ما أبدع تخلصه للمدح وأطبعه فانه أشار الى قول الشاعر رادا عليه بالتبكيت ومقابله بالتعنيت

فالوا تركت الشعر قلت ضرورة * باب السماحة والملاحة مغلق
مات الكرام فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق انتهى

وقيل ان السلطان أبا عنان اطل من برج يشاهد الحرب بين الثور والاسد على ما جرت به عادة الملوك فقال ابن جزى المذكور فى وصف الحال

لله يوم بدار الملك مر به * من العجائب مالم يجر فى خلدى
لاح الخليفة فى برج العلا قمرا * يشاهد الحرب بين الثور والاسد

ومن بارع نظمه رحمه الله تعالى قوله

أباحسن ان شتت الدهر شملنا * فليس لودى فى الفؤاد شتات
وان حلت عن عهد الاخاء فلم يزل * لمثلى على حفظ العهود ثبات
وهبنى سرت منى اليك اساءة * ألم تتقدم قبلها حسنات

وقوله وهو بحال مرض

ان يأخذ السقم من جسمى مأخذه * وأصبح القوم من أمرى على خطر
فان قلبى بحمد الله مرتبط * بالصبر والشكر والتسليم للقدر

فالمرء فى قبضة الاقدار مصرفه * للبرء والسقم أو للنفع والضرر

(وحكى) أن الفقيه الرحال أبا اسحق ابراهيم بن الحاج النميرى بقى فى خلوته جميع شهر رمضان المعظم من عام سبعة وخمسين وسبعمائة فلما خرج فى يوم عيد الفطر أنشده صهره أبو عبد الله بن جزى المذكور لنفسه

ماسرار البدور الا ثلاث * فلماذا أرى سرارك شهرا
أتجلته سرار العام * ثم تبقى فى سائر العام بدرا

(وحكى) انه كتب للرئيس صاحب القلم الاعلى والعلامة بماس أبى القاسم بن رضوان يطلب منه شراب سكنجبين وقصد التصحيف بقوله احسن زان بيتك تجيب تسر به برمضى * تصحيفه * أحب شراب سكنجبين شربه برمضى قال فجاوبنى ابن رضوان بقوله ان برك نفيس * تصحيفه * مقلوبا بشفيك ربنا ومن نظم ابن جزى المذكور قوله

رعى الله عهدا بالمرية ما أرى * به أبدا ما عشت فى الناس بالناسى
وكيف ترى بالله صحبة معشر * مجاهد بعض منهم وابن عباس

وقوله فى الزاوية التى أنشأها السلطان أبو عنان

هذا محل الفضل والايثار * والرفق بالسكان والزوار
دار على الاحسان شيدت والتقى * فجزاؤها الحسنى وعقبى الدار
هى ملجأ للواردين ومورد * لابن السبيل وكل ركب سارى
آثار مولانا الخليفة فارس * أكرم بهافى المجد من آثار

لبنى مخزوم ووهب بن جرير ومؤمل بن اسمعيل وروح بن عبادة وفيها مات الهيثم بن عدى وكان يضمر علة نسبه وله يقول القائل اذا نسبت عديا فى بنى ثعل * فقدم الدال قبل العين فى النسب وفى سنة تسع ومائتين مات الواقدى وهو محمد بن عمر بن واقد مولى لبنى هاشم وهو صاحب السير والمغازى وقد ضعف فى الحديث وذكر ابن أبى الازهر قال حدثنى أبو سهل الدارى عمن حدثه عن الواقدى قال كان لى صديقان أحدهما هاشمى وكنا كنفس واحدة فنالتنى ضيقة شديدة وحضر العيد فقالت امرأتى أما نحن فى أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبى رحمة لهم لانهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا فى عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثة فلو احتلت بشئ تصرفه فى كسوتهم قال فكتبت الى صديقى الهاشمى أسأله التوسعة على ما حضر فوجه الى كيسا مختوما ذكر أنه فيه ألف درهم فما استقر قرارى اذ كتب الى الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت الى صاحبى فوجهت اليه الكيس بحاله وخرجت الى المسجد فاقمت فيه ليلى مستحييا من امرأتى فلما دخلت عليها استحسنت ما كان منى ولم تعنفنى عليه فبينا أنا كذلك اذ وافى صديقى الهاشمى ومعه الكيس كهيئته فقال لى اصدقنى عما فعلته

فيما وجهت اليك فعرفته الخبر على جهته فقال انك وجهت الى وما أملك على الارض الا ما بعثت به اليك وكتبت الى صديقنا أسأله المواساة فوجه بكيسى بخاتمى قال فتواسينا الالف أثلاثا ثم انا أخرجنا الى المرأة قبل ذلك مائة درهم ونمى الخبر الى المامون فدعانى فشرحت له الخبر فامر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد ألفا دينار وللمرأة ألف دينار وقبض الواقدى وهو ابن سبع وسبعين سنة وفيها كانت وفاة يحيى بن الحسين بن زيد بن على ابن الحسين بن على ببغداد وصلى عليه المامون وقد أتينا على خبره فيما سلف من كتبنا وفيها مات أزهر السمان

لا زال

وكان صديقا لابى جعفر المنصور فى أيام بنى أمية وكانا قد سافرا جميعا وسمعا الحديث وكان المنصور يألفه ويأنس اليه ويكبر عنده فلما أفضت الخلافة اليه أشخص اليه من البصرة فسأله المنصور عن زوجته وبناته وكان يعرفهن باسمائهن وأظهر بره واكرامه ووصله باربعة آلاف درهم وأمره ان لا يقدم اليه مستميحا فلما كان بعد حول صار اليه فقال له ألم آمرك ان لا تصير الى مستميحا فقال له ما صرت اليك الا مسلما ومجددا بك عهدا قال ما أرى الامر كما ذكرت فامر له باربعة آلاف درهم وأمره أن لا يصير اليه مسلما ولا مستميحا فلما كان بعد سنة صار اليه فقال انى لم أقدم عليك للامرين اللذين نهيتنى عنهما وانما بلغنى أن علة عرضت لامير المؤمنين فاتيته عائدا فقال ما أظنك أتيت الا مستوصلا فامر له باربعة آلاف درهم فلما كان بعد الحول ألح عليه بناته وزوجته وقلن له أمير المؤمنين صديقك فارجع اليه فقال ويحكن ماذا أقول له وقد قلت له أتيتك مستميحا ومسلما وعائدا ماذا أقول فى هذه المرة ويم أحتج فابوا على الشيخ الا الالحاح فخرج فاتى المنصور فقال لم آتك مسترفدا ولا زائرا ولا عائدا وانما جئت لسماع حديث كنا سمعناه جميعا فى بلد كذا من فلان عن

النبي صلى الله عليه وسلم فيه اسم من اسماء الله تعالى من سال الله به لم يرده ولم يخيب دعوته فقال له المنصور لاتروه فانى قد جربته فليس هو بمستجاب وذلك انى منذ جئتنى أسال الله به أن لا يردك الى وها أنت ترجع لاتنفك من قولك مسلما أو عائدا أو زائرا ووصله باربعة آلاف درهم وقال له قد أعيتنى فيك الحيلة فصر الى متى شئت وفى سنة تسع ومائتين ركب المامون الى المطبق بالليل حتى قتل ابن عائشة وهو رجل من ولد العباس بن عبد المطلب واسمه ابراهيم بن محمد بن عبد الوهاب ابن ابراهيم الامام أخى أبى العباس والمنصور وقتل معه محمد بن ابراهيم الافريقى وغيره وابن عائشة هذا أول عباسى صلب فى الاسلام وتمثل المامون حين قتله بقول الشاعر

اذا النار فى أحجارها مستكنة * متى مايهجها قادح تتضرم

وكان رجل من ولد العباس بن على بن ابى طالب ذو مال وثروة وعز ومنعة وفهم وبلاغة وهو العباس بن العباس العلوى بمدينة السلام وكان المعتصم يشنؤه لحال كانت بينهما فكن فى نفس المامون أنه شانئ لدولته ماقت لايامه فلما كان فى تلك الليلة لحق العباس المامون على الجسر فقال له المامون مازلت تنتظرها حتى وقعت فقال أعيذك بالله يا أمير المؤمنين ولكنى ذكرت قول الله عز وجل ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه فحسن موقع ذلك منه ولم يزل يسايره حتى بلغ المطبق فلما قتل ابن عائشة قال يأذن أمير المؤمنين فى الكلام قال تكلم قال الله الله فى الدماء فان الملك اذا ضرى بها لم يصبر عنها ولم يبق على احد قال لو سمعت هذا الكلام منك قبل أن أركب ماركبت ولا سفكت دما وأمر له بثلثمائة ألف درهم وقد أتينا على خبر ابن عائشة هذا وما أراد من الايقاع بالمامون وما كان من أمره فى كتابنا فى أخبار الزمان وفى سنة احدى عشرة ومائتين مات أبو عبيدة العمرى معمر بن المثنى وكان يرى رأى الخوارج وبلغ نحوا من مائة سنة ولم يحضر جنازته أحد من الناس بالمصلى حتى اكترى لها من يحملها ولم يكن يسلم عليه شريف ولا وضيع الا تكلم فيه وله مصنفات حسان فى أيام العرب وغيرها منها كتاب المثالب يذكر فيه العرب وفسادها ويرميهم بمساوى الناس ذكره ولا يحسن وصفه وكان أبو نواس كثير العبث به وكان أبو عبيدة يقعد فى مسجد البصرة الى سارية من سواريه فكتب ابو نواس عليها فى غيبته

صلى الاله على لوط وشيعته * أبا عبيدة قل بالله آمينا

فلما جاء أبو عبيدة الى تلك السارية رأى ذلك فقال هذا فعل الماجن اللوّاط أبى نواس حكوه وان كان فيه دلالة على نبى وفى هذه السنة وهى سنة احدى عشرة ومائتين مات أبو العتاهية اسمعيل بن القاسم متنسكا لابسا للصوف وكان له مع الرشيد أخبار من ذلك ما قد مناذكره فيما سلف من هذا الكتاب ومنها ان الرشيد أمر ذات يوم بحمله وأمر ان لا يكلم فى طريقه ولا يعلم ما يراد منه فلما صار فى بعض الطريق كتب بعض من معه فى الطريق اخبارا دقتلك فقال أبو العتاهية

ولعل ماتخشاه ليس بكائن * ولعل ماترجوه سوف يكون

لازال منصور اللواء مظفرا * ماضى العزائم سامى المقدار

بنيت على يد عبدهم وخديمهم * بهم العلى محمد بن حدار

فى عام أربعة وخمسين انقضت * من بعد سبع مئين فى الاعصار

ومن نظمه قوله موريا

وماأنسى الاحبة يوم بانوا * تخوض مطيهم بحر الدموع

وقالوا اليوم منزلنا الحنايا * فقلت نعم ولكن من ضلوعى

وقوله موريا أيضا

ورب يهودى أتى متطببا * ليأخذ ثارات اليهود من الناس

اذا جس نبض المرء أودى بنفسه * سريعا ألم تسمع بفتكة جساس

وقو[له] من أى أشجانى التى جنت النوى * أشكو العذاب وهن فى تنويع

من وصلى الموقوف أو من هجرى الـ * ـمو صول أو من نومى المقطوع

أو من حديث تولهى وتواهى * خبرا صحيحا ليس بالموضوع

يرويه خدى مسندا عن أدمعى * عن مقلتى عن قلبى المفجوع

وأول هذه القصيدة

ذهبت حشاشة قلبى المصدوع * بين السلام ووقفة التوديع

وقد ضمن شطرها الفقيه عبيد شارح الحلبة اذ قال من قصيدة مطلعها

أدمى دموعك ساعة التوديع * يامقلتى عز وجه بجميع

وامل ماهوّنت ايش يهن * ولعل ماشددت سوف يهون وحج فى بعض الحجج مع الرشيد فنزل الرشيد يوما عن راحلته
ومشى ساعة ثم أعيا فقال هل لك يا أبا العباس أن تستند الى هذا الميل فلما قعد الرشيد قال له يا أبا العتاهية حركنا فقال

ألا يا طالب الدنيا * دع الدنيا لشانيكا * وما تصنع بالدنيا * وظل الميل يكفيكا

ولابى العتاهية أخبار وأشعار كثيرة حسان قد قدمنا فيما سلف من كتبنا جلا مما اختير من شعره وما انتخب من قوافيه
وكذلك قدمنا من ذلك لمعا فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار بنى العباس ومما استحسن من ذلك قوله

أحمد قال لى ولم يدر مابى * أتحب الغداة عتبة حقا فتنفست ثم قلت نعم حبـ
ـا جرى فى العروق عرقا فعرقا * ليتنى مت فاسترحت فانى أبدا ما حييت منها ملقى
لا أرانى أبقى ومن يلق مالا * قيت من لوعة الهوى ليس يبقى فاحتسب صحبتى وقل رحمة الله
على صاحب لنا مات عشقا * أنا عبد لها وان كنت لا أر * زق منها والحمد لله عتقا

ومما استحسن من شعره أيضا قوله ٢٩٢ يا عتب مالى ولك * يا ليتنى لم أرك ملكتنى فانتهكى * ما شئت ان تنتهكى
أبيت ليلى ساهرا
أرعى نجوم الفلك
مفترشا جمر الغضى
ملتحفا بالحسك
ومن قوافيه الغريبة
وأشعاره المستحسنة قوله
أخلاى بى شجو وليس بكم
شجو
وكل امرئ عن شجو صاحبه
خلو
رأيت الهوى جمر الغضى
غير أنه
على جره فى صدر صاحبه
حلو
أذاب الهوى جسمى
وعظمى وقوتى
فلم يبق الا الروح والبدن
النضو

وما من حبيب نال من حبه * هوى صادقا الا بدا له زهو * وانى لنائى الطرف من غير خلتى بالمشرع
ومالى سواها من حديث ولا لهو * لها دون اخوانى واهل مودتى * من الود منى فضلة ولها العفو

ومما انتخب من شعره واستحسنه الناس من قوله قوله بالهف نفسى على الذى اجتنبت * باى جرم ترونها عتبت
تبارك الله بئس ما صنعت * بى فى هواها وبئس ما ارتكبت أتيتها زائرا فانحرفت
على اذ جئتها وما احتسبت * كم من ديون والله يعلمها * لنا عليها لم تقض اذ وجبت
ما وهبت لى من فضلها عدة * الا استردت جميع ما وهبت فأى خير وأى منفعة
لذات دل تريق ما جلبت * الله بينى وبين ظالمتى * طلبت منها وصالها فأبت
ماذا عليها لو انها بعثت * منها رسولا الى أو كتبت رغبت فى وصلها وقد زهدت
عتبة فى وصلنا وما رغبت وكان ابو العتاهيه قبيح الوجه مليح الحركات حلو الانشاد شديد الطرب ومن مليح شعره

بقوله يوم استقلت عيسهم وترحلوا * ذهبت حشاشة قلبى المصدوع
وقوله بخدى وجسمى والفؤاد وأدمعى * شهود بهم دعوى الغرام تصحح
ومن عجب ان رجح الناس نقلهم * وكلهم ذو جرحة فيه تقدح
فجسمى ضعيف والفؤاد مخلط * ودمعى مطروح وخدى مجرح
وقوله يا محيا كتب الحسن به * أحرفا أبدع فيها وبرع
ميم ثغر ثم نون حاجب * ثم عين هى تتميم البدع
أما لا أطمع فى وصلك لى * وعلى وجهك مكتوب منع

ثم قال ابن الاحمر ومن انشائه البارع مورّيا بالكتب ورفعها الامير أمير المؤمنين المتوكل على الله
أبى عنان فارس رحمه الله تعالى يهنيه بابلال ولده ولى عهده الامير أبى زيان محمد من مرض

ماذا عسى أدب الكتاب يوضح من * خصال مجدك وهو الزاهر الزاهى
وما الفصيح بكليات موعبها * كاف فيأتى بأنباء وانباه

أبقى الله تعالى مولانا الخليفة ولسعادته القدح المعلى ولزاهر كماله التاج المحلى تجلى من
حلاه نزهة الناظر ويبهر بعلاه المثل السائر ويتسق من سناه العقد المنظم ويتضح
بهداه القصد الامم ولا زالت مقدمات النصر له مبسوطه ومعونة السعد باشارته منوطه
وهدايته متكفلة باحياء علوم الدين وايضاح منهاج العابدين وارشاده يتولى تنبيه الغافلين
ويأتى من شفاء الصدور بالنور المبين وميقات الخدمة يبا به مطمع الانفس وملخص الجود
من كفه بغية الملتمس فقد حكم أدب الدين والدنيا بانك سراج الملوك لما أتت عوارفك

قوله من لم يذق لصبابة طعما * فلقد أحطت بطعمها علما انى منحت مودتى سكنا * فرأيته قد عدها جرما
ياعتب ما ابقيت من جسدى * لحما ولا ابقيت لى عظما ياعتب ما انا من صنيعك بى * اعمى ولكن الهوى أعمى
ان الذى لم يدر ما كلفى * ليرى على وجهى به وسما وله أشعار خرج فيها عن العروض مثل قوله
هم القاضى بيت يطرب * قال القاضى لما عوتب * مافى الدنيا الا مذنب * هذا عذر القاضى واقلب
وزنه فعلن اربع مرات وقد قال قوم ان العرب لم تقل على وزن هذا شعرا ولا ذكره الخليل ولا غيره من العروضيين (قال المسعودى) وقد زاد جماعة من الشعراء على الخليل بن أحمد فى العروض من ذلك المديد وهو ثلاثة اعاريض وستة ضروب عند الخليل وفيه عروض رابع وضربان محدثان فالضرب الاول من العروض الرابعة المحدثة قول الشاعر
من لعين لاتنام * دمعها سح سجام والضرب الثانى من العروض الرابعة المحدثة قول الشاعر
يا لبكر لاتنوا * ليس هذا حين ونى وغير ذلك مما ذكرناه وتكلموا فيه وذكروا فى هذا المعنى من الزيادات مما قد أتينا على
وصفه وقدمنا من ذكره

فى كتابنا فى أخبار الزمان وقد صنف أبو العباس عبد الله بن محمد الناشى الكاتب الانبارى على الخليل بن احمد عن تقليد العرب الى باب التعسف والنظر ونصب العلل عن أوضاع الجدل كان ذلك له لازما ولما أورده كاسرا وللناشى اشعار كثيرة حسان منها قصيدة واحدة نحو من أربعة آلاف بيت قافية واحدة نونية منصوبة يذكر فيها اهل الآراء والنحل والمذاهب والملل واشعار كثيرة ومصنفات واسعة فى انواع من العلوم فما جورى فيه قوله حين سار من العراق الى مصر وبها كانت وفاته وذلك فى سنة ثلاث وتسعين ومائتين على حسب ما قدمنا ذكره

يا ديار الاحباب هل من مجيب * عنك يشفى غليل نائى المزار ما أجابت ولكن الصمت منها
فيه للسائلين طول اعتبار ان تكن اوحشت فبعد انيس * أوخلت منهم فبعد قرار
قد لهونا بها زمانا وحينا * ووصلنا الاسحار بالاسحار واغتبقنا على صبوح ولهو
وحنين النايات والاوتار بين ورد ونرجس وخزامى * وبنفس وسوسن وبهار
وأقاح وكل صنف من النو * ر الشهى الجنى والجلنار فرمتنا الايام أحسن ما كنا * على حين غفلة واغترار
فافترقنا من بعد طول اجتماع * ونأينا بعد اقتراب الديار وفى سنة اثنتى عشرة ومائتين نادى منادى المامون برئت الذمة من احد من الناس ذكر معاوية بخير أو قدمه على أحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلم فى أشياء من التلاوة انها مخلوقة وغير ذلك وتنازع الناس فى السبب الذى من أجله أمر بالنداء فى أمر معاوية فقيل فى ذلك أقاويل منها ان

بالمشرع السلسل ومعارفك ينظم السلوك ووضحت معالم مجدك وضوح انوار الفجر وزهت بعدلك المسالك والممالك زهو خريدة القصر فلك فى جمهرة الشرف النسب الوسيط ومن جمل المآثر الخلاصة والبسيط وسبل الخيرات لها برعايتك تيسير ومحاسن الشريعة لها بتحصيلك تحبير وانت حجة العلماء الذى تقصر عن تقصى ما تزره فطن الاذكياء ان ابهم التفسير ففى يديك ملاك التاويل اواعتاص تفريع الفقه فعندك فصل البيان له والتحصيل وان تشعب التاريخ فلديك استيعابه اوتطاول الادب ففى ايجاز بيانك قضابه وان ذكر الكلام ففى انتقائك من برهانه المحصول اوالمنطق ففى موجز امالك لبابه المنخول وليس اساس البلاغة الا ما تأتى به من فصل المقال ولا جامع الخير الا ما حزته من تهذيب الكمال ولذلك صارت خدمتك غاية المطلوب وحبك قوت القلوب ولا غرو ان كنت من العلياء درتها المكنونه فاسلافك الكرام هم جواهرها الثمينه بحماستهم أصيبت مقاتل الفرسان وبجود جودهم تسنى رى الظمآن وبتسهيل عدلهم وضحت شعب الايمان وأنت المنتقى من سمط جمانهم والواسطة فى قلائد عقيانهم عنك تؤثر سيرة الاكتفاء وعن فروعك السعداء تروى أخبار نجباء الابناء فهم لمملكتك العلية بهجة مجالسها وأنس مجالسها وقطب سرورها ومطالع نورها وولى عهدك درتهم الخطيره وذخيرتهم الاثيره لازال كامل سعادته بطول مقامك محكما وحرز أمانيه بالجمع بين الصحيحين حبك ورضاك معلما وقد وجبت التهنئة بما كان فى حلبة برئه من التيسير وما تهيأ فى استقامة قانون صحته من نجح التدبير ولم يكن الا أن بعدت به عنك المسالك وازورت طرفه تقريب

بعض سماره حدث محدث عن مطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفي وقد ذكر هذا الخبر ابن بكار في كتابه في الاخبار المعروفة بالموفقيات التي صنفها للموفق وهو ابن الزبير قال سمعت المدائني يقول قال مطرف بن المغيرة بن شعبة وفدت مع ابي المغيرة الى معاوية فكان أبي يأتيه يتحدث عنده ثم ينصرف الى فيذكر معاوية ويذكر عقله ويعجب مما يرى منه اذ جاء ذات ليلة فامسك عن العشاء فرأيته مغتما فانتظرته ساعة وظننت انه لشئ حدث فينا أو في عملنا فقلت له مالي أراك مغتما منذ الليلة قال يا بني اني جئت من عند أخبث الناس قلت له وما ذاك قال قلت له وقد خلوت به انك قد بلغت منا يا أمير المؤمنين فلو أظهرت عدلا و بسطت خيرا فانك قد كبرت ولو نظرت الى اخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شئ تخافه فقال لي هيهات هيهات ملك اخو تيم فعدل وفعل ما فعل فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره الا ان يقول قائل أبو بكر ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمر عشر سنين فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره الا ان يقول قائل عمر ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن احد في مثل نسبه فعمل ما عمل وعمل به فوالله ما عدا ان هلك فهلك ذكره وذكر ما فعل وان اخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات أشهد أن محمدا رسول الله فاي عمل يبقى مع هذا الأم لك والله الا دفنا دفنا وان المامون لما سمع هذا الخبر بعثه ذلك على ان أمر بالنداء على حسب ما وصفنا وانشئت الكتب الى الآفاق بلعنه على المنابر فاعظم الناس ذلك واكبروه واضطربت العامة فاشير عليه بترك ذلك فاعرض عما كان هم به وفي خلافة المامون كانت وفاة أبي عاصم النبيل وهو الضحاك ابن مخلد بن سنان الشيباني وذلك في سنة اثنتي عشرة ومائتين وفيها مات محمد ابن يوسف الفاريابي وفي سنة خمس عشرة ومائتين وذلك في خلافة المامون مات هوذة بن خليفة بن عبد الله بن أبي بكر ويكنى

المدارك وتذكر ما عهده من الايناس المواطن جنابه عند أفضل مالك فورى من شوقه سقط الزند والتهب في جوانحه قبس الوجد فامددته من دعائك الصالح بحلية الاولياء فظفر لما شارف بشارق الانوار من حضرتك بالشفاء وقد حاز اكمال الاجر بذلك العارض الوجيز وكان له كتشبيب الابريز وهاه وقادم بالطالع السعيد آيب بالمقصد الاسنى من الفتح والتمهيد يطلع بين يديك طلوع الشهاب ويبسم عن مفصل الثناء في الغناء بذلك زهر الآداب فأعدله تحفة القادم من احسانك الكامل واخصصه بالتكملة من ايناسك الشامل فهو الكوكب الدري المستمد من أنوارك السنية وفي تهذيب شمائله ايضاح للغلق الكريمة الفارسية لا زالت تزدان بصحاح ماثرك عيون الاخبار وتتعطر بنفحة الزهر من ثنائك روضة الازهار وتتلى من محامدك الآيات البينات وتتوالى عليك الالطاف الالهيات عن الله سبحانه وفضله والسلام الكريم يعتمد المقام العلي ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى * والمذكور عدة مقطعات يورى فيها باسماء الكتب فمنها قوله

ظبي هو الكامل في حسنه * وثغره أبهى من العقد
جماله المدهش لكنما * أخلاقه تحكي صبا نجد

وقوله أيضا

لك الله من خل حباني برقعة * حبتني من آياتها بالنوادر
رسالة رمز في الجمال نهاية * ذخيرة نظام أتحفت بالجواهر

وقوله سامحه الله تعالى

قصتي في الهوى المدونة الكبرى وأخبار عشقي المبسوطه

بأبي الاشهب ببغداد وهو ابن سبعين سنة ودفن بباب البردان في الجانب الشرقي وفيها مات محمد ابن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الانصاري وفيها مات اسحق بن الطباع باذنة من الثغر الشامي ومعاوية ابن عمرو ويكنى بأبي عمرو وقبيصة ابن عقبة ويكنى بأبي عامر من بني عامر بن صعصعة وفي سنة سبع عشرة ومائتين دخل المامون مصر وقتل بها عبدوس وكان قد تغلب عليها وفي سنة ثمان عشرة ومائتين غزا المامون أرض الروم وقد كان شرع في بناء الطوانة مدينة من مدنهم على فم الدرب مما يلي طرسوس وعمد الى سائر حصون الروم ودعاهم الى الاسلام وخيرهم بين الاسلام والجزية والسيف وذل النصرانية فاجابه خلق من الروم الى الجزية (قال المسعودي) وأخبرنا القاضي أبو محمد عبد الله بن أحمد بن زيد الدمشقي بدمشق قال لما توجه المامون غازيا ونزل البذندون جاءه رسول ملك الروم فقال له ان الملك يخيرك بين ان يرد عليك نفقتك التي أنفقتها في طريقك من بلدك الى هذا الموضع وبين ان يخرج كل أسير من المسلمين في بلد الروم بغير فداء ولا درهم ولا دينار وبين ان يعمر لك كل بلد للمسلمين مما خربت النصرانية ويرده كما كان وترجع عن

غزاتك فقام المأمون ودخل خيمة فصلى ركعتين واستخار الله عز وجل وخرج فقال للرسول قل له أما قولك ترد على نفقتي فاني سمعت الله تعالى يقول في كتابنا حاكيا عن بلقيس واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون وأما قولك انك تخرج كل أسير من المسلمين في بلد الروم فما في يدك الا أحد رجلين اما رجل طلب الله عز وجل والدار الآخرة فقد صار الى ما اراد واما رجل يطلب الدنيا فلا فك الله أسره وأما قولك انك تعمر كل بلد للمسلمين قد خربته الروم فلو أني قلعت أقصى حجر في بلاد الروم ما اعتضت بامرأة عثرت عثرة في حال اسرها فقالت وامحمداه وامحمداه عد الى صاحبك فليس بيني وبينه الا السيف يا غلام اضرب الطبل فرحل فلم ينثن عن غزاته حتى فتح خمسة عشر حصنا وانصرف من غزاته فنزل على عين البديدون المعروفة بالقشيرة على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب فأقام هنالك حتى ترجع رسله من الحصون فوقف على العين ومنع الماء فأعجبه برد مائها وصفاؤه وبياضه وطيب حسن الموضع وكثرة الخضرة فأمر بقطع خشب طوال وأمر به فبسط على العين كالجسر وجعل فوقه كالازج من الخشب وورق الشجر وجلس تحت الكنيسة التي قد عقدت له والماء تحته وطرح في الماء درهم صحيح فقرأ كتابته وهو في قرار الماء لصفاء الماء ولم يقدر أحد يدخل يده في الماء من شدة برده فبينا هو كذلك اذ لاحت سمكة نحو الذراع كأنها سبيكة فضة فجعل لمن يخرجها سيفا فبدر بعض الفراشين فأخذها وصعد فلما صارت على حرف العين أو على الخشب الذي عليه المأمون اضطربت وافلتت من يد الفراش فوقعت في الماء كالحجر فنضح من الماء على صدر المأمون ونحره وترقوته فبلت ثوبه ثم انحدر الفراش ثانية فأخذها ووضعها بين يدي المأمون في منديل تضطرب فقال المأمون تقلى الساعة ثم أخذته رعدة من ساعته فلم يقدر يتحرك من مكانه فغطي باللحف والدواويج وهو يرتعد كالسعفة ويصيح البرد البرد ثم حول الى المغرب ودثر وأوقد النيران حوله وهو يصيح البرد البرد ثم أتي بالسمكة وقد فرغ من قليها فلم يقدر على الذوق منها وشغله ما هو فيه عن تناول شيء منها ولما اشتد به الامر سأل المعتصم بختيشوع وابن ماسويه في ذلك الوقت عن المأمون وهو في سكرات الموت وما الذي يدل عليه علم الطب من أمره وهل يمكن برؤه وشفاؤه فتقدم ابن ماسويه فأخذ احدى يديه وبختيشوع الاخرى وأخذا المجسة من كلتا يديه فوجدا نبضه خارجا عن الاعتدال منذرا بالفناء والانحلال والتزقت أيديهما ببشرته لعرق كان يظهر منه من سائر جسده كالزيت أو كلعاب بعض الافاعي فأخبرا المعتصم بذلك فسألهما عن ذلك فأنكرا معرفته وانهما لم يجداه في شيء من الكتب وأنه دال على انحلال الجسد وأفاق المأمون من غشيته وفتح عينيه من رقدته فأمر باحضار أناس من الروم فسألهم عن اسم الموضع والعين فاحضر له عدة من الاسارى والادلة وقيل لهم فسروا هذا الاسم القشيرة فقيل له تفسيره مد رجليك فلما سمعها اضطرب من

حبتي في الغرام واضحة اذ * لم تزل مهجتي بوجد منوطه

وتذكرت بالتورية بأسماء الكتب قول الارجاني

لما تألق بارق من ثغره * جادت دموعي بالسحاب الممطر

فكأن عقد الدر حل قلائد الـ * ـعقيان منه على صحاح الجوهري

وقول لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى

وظبي لاوضاع الجمال مدرس * عليم بأسرار المحاسن ماهر

أرى جيده نص المحلى وقررت * ثناياه ما ضمت صحاح الجواهر

وقول ابن خاتمة

ومعطر الانفاس يبسم دائما * عن در ثغر زانه ترتيب

من لم يشاهد منه عقد جواهر * لم يدر ما التنقيح والتهذيب

وقوله أيضا

سقمني عاذلي عليه * وقال لي وده عليل

فقلت معتل او صحيح * بودعه عينه الخليل

وقوله أيضا

حاز الجمال بصورة قمرية * تجلو عليك مشارق الانوار

وحوى الكمال بصورة عمرية * تتلو عليك مناقب الابرار

وقول الرئيس أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي

هذا الفال وتطير به وقال سلوهم ما اسم الموضع بالعربية فقالوا الرقة وكان فيما عمل من مولد المأمون انه يموت بالموضع المعروف بالرقة وكان المأمون كثيرا ما يحيد عن المقام بمدينة الرقة فرقا من الموت فلما سمع هذا من الروم علم انه الموضع الذى وعد فيه فيما تقدم من مولده وان فيه وفاته وقيل ان اسم البديدون تفسيره مد رجليك والله أعلم بكيفية ذلك فاحضر المعتصم الاطباء حوله يؤمل خلاصه مما هو فيه فلما ثقل قال أخرجونى أشرف على عسكرى وانظر الى رجالى وأتبين ملكى وذلك فى الليل فاخرج فاشرف على الخيم و الجيش وانتشاره وكثرته وما قد وقد من النيران فقال يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ثم رد الى مرقده وأجلس المعتصم رجلا يشهده لما ثقل فرفع الرجل صوته ليقولها فقال له ابن ماسويه لا تصح فوالله ما يفرق بين ربه وبين مانى فى هذا الوقت ففتح عينيه من ساعته وبهما من العظم والكبر والاحمرار ما لم ير مثله قط وأقبل يحاول البطش بيده بابن ماسويه ورام مخاطبته فعجز عن ذلك فرمى بطرفه نحو السماء وقد امتلأت عيناه دموعا فانطلق لسانه من ساعته وقال يا من لا يموت ارحم من يموت وقضى من ساعته وذلك فى يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٩٦ ثمانى عشرة ومائتين وحمل الى طرسوس فدفن بها على حسب ما قدمنا فى أول هذا الكتاب (قال المسعودى) وللمأمون اخبار حسان ومعان وسير ومجالسات وأشعار وأخلاق جميلة قد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا فاغنى ذلك عن ذكرها وفى المأمون يقول أبو سعد المخزومى

هل رأيت النجوم اغنت عن المأ * مون شيأ وملكه المأنوس

خلفوه بعرصتى طرسوس * مثل ما خلفوا أباه بطوس

وكان المأمون كثيرا ما ينشد هذه الابيات

ومن لا يزل غرضا للنو * ن يتركنه ذات يوم عميدا

فان هن اخطأنه مرة * فيوشك مخطئها ان يعودا

فبينا تحيد وتخطئنه * قصدن فاعجلنه أن يحيدا

من اغتدى موطئا أكنافه * صح له التمهيد فى أحواله

وقابل استذكاره بالمنتقى * من رأيه المختار من أعماله

وأضحت المسالك الحسنى له * تدنى تقصيا قصى آماله

وسار من مشارق الانوار فى * ادنى المدارك أوالى اكماله

ولما وقف على هذه القطعة الفاضل أبو على حسين بن صالح بن أبى دلامة عارضها وزاد ذكر القبس والمعلم

قل للوطا للورى اكنافه * بشراه بالتمهيد فى الاحوال

واذا اكتفى بالمنتقى استذكاره * وفى له المختار فى الاعمال

ومسالك الحسنى تؤدبه الى * أقصى التقصى من قصى الآمال

ويلوح من قبس الهداية رشده * من معلم التفصيل والاجمال

(رجع الى ابن جزى) ومن نظمه

يا دوحة الانس من بطحاء واسجة * هل من سبيل الى أيامك الاول

اذ تجتلى أوجه الايناس مسفرة * ونجتنى ثمر اللذات والغزل

ومن نظمه رحمه الله تعالى عند خروجه الى بلاد المغرب وورى بكتابى تحفة القادم وزاد المسافر فقال

وانى لمن قوم يهون عليهم * ورود المنايا فى سبيل المكارم

يطيرون مهما ازور للدهر جانب * باجنحة من ماضيات العزائم

وما (ذكر خلافة المعتصم) وبويع المعتصم فى اليوم الذى كانت فيه وفاة المأمون على عين البديدون وهو يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين واسمه محمد بن هرون ويكنى بأبى اسحق وكان بينه وبين العباس ابن المأمون فى ذلك الوقت تنازع فى المجلس ثم انقاد العباس الى بيعته والمعتصم يومئذ ابن ثمان وثلاثين سنة وشهرين وأمه ٣ اساحية اسمها مارية بنت شبيب وقيل انه بويع سنة تسع عشرة وتوفى بسر من رأى سنة سبع وعشرين وهو ابن ست وأربعين سنة وعشرة اشهر فكانت خلافته ثمان سنين وثمانية اشهر وقبره بالجوسق على ماذكرنا *(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه)* واستوزر المعتصم محمد بن عبد الملك الى آخر أيامه وغلب عليه ابن ابى دواد ولم يزل محمد بن عبد الملك فى أيام المعتصم والواثق الى ان ولى المتوكل وكان فى نفسه عليه شئ فقتله وسنذكر لمعا من مقتله فيما يرد من هذا الكتاب فى أخبار المتوكل وان كنا قد أتينا على ذلك ملخصا فى الكتاب الاوسط وكان المعتصم يحب العمارة ويقول ان فيها أمورا

وما كل نفس تحمل الذل انى * رايت احتمال الذل شان البهائم
اذا أنا لم أظفر بزاد مسافر * لديكم فعند الناس تحفة قادم

وزاد المسافر لصفوان والتحفة لابن الابار ومن نظمه قوله

نصب الحبائل للورى بالحسن اذ * رفع اللثام وذيله مجرور
وأماله عن العواذل غيلة * فهو الممال وقلبي المكسور

وقوله أيضا

تلك الذوائب ذبت من شوقي لها * واللحظ يحميها بأى سلاح
ياقلب قاح وما اخالك ناجيا * من فتنة الجعدى والسفاح

وقوله أيضا

وعاشق صلى ومحرابه * وجه غزال ظل يهواه
قالوا تعبدت فقلت لهم * نعبد ابهم معناه

وقوله رحمه الله تعالى

لا تعدضيفك ان دهيت لصاحب * تعتده لكن تخير واتق
أوما ترى الاشجار مهما ركبت * ان خولفت اصنافها لم تعلق

وقوله رحمه الله تعالى

أيتها النفس قوى عدما * ألزمت فعلا كان أو قولا
فمن يكن يرضى باساءه * أوسره فهو له الاولى

محمودة فاولها عمران الارض التى يحيا بها العالم وعليها يزكو الخراج وتكثر الاموال وتعيش البهائم وترخص الاسعار ويكثر الكسب ويتسع المعاش وكان يقول لوزيره محمد بن عبد الملك اذا وجدت موضعا متى انفقت فيه عشرة دراهم جاءنى بعد سنة أحد عشر درهما فلا تؤامرنى فيه وكان المعتصم ذا بأس وشدة فى قلبه فذكر أحمد بن أبى داود وكان به انسا قال فلما أنكر المعتصم نفسه وقوته دخلت عليه يوما وعنده ابن ماسويه فقام المعتصم فقال لى لا تبرح حتى اخرج اليك فقلت ليحيى بن ماسويه ويحك انى أرى أمير المؤمنين قد حال لونه ونقصت قوته وذهبت سورته فكيف تراه أنت قال هو والله زبرة من زبر الحديد الا ان فى يديه فأسا يضرب بها تلك الزبرة فقلت وكيف ذاك قال كان قبل ذلك اذا أكل السمك اتخذ له صباغا من الخل والكراويا والكمون والسذاب والكرفس والخردل فاكله بذلك الصباغ فدفع اذى السمك واضراره بالعصب واذا أكل الرؤس اتخذت له أصباغ تدفع اذاها وتلطفها وكان فى أكثر أموره يلطف غذاءه ويكثر مشورتى فصار اليوم اذا أنكرت عليه شيئا خالفنى وقال آكل هذا على رغم أنف ابن ماسويه قال وهو خلف الستر يسمع ما نحن فيه فقلت ويحك يا يحيى أدخل أصبعك فى عينه قال جعلت فداك ما أقدر أراده ولا أجترئ عليه فى خلاف فلما فرغ من كلامه خرج علينا المعتصم فقال لى ما الذى كنت فيه مع ابن ماسويه قلت ناظرته يا أمير المؤمنين فى لونك الذى أراه حائلا وفى قلة طعمك الذى قد هد جوارحى وأنحل جسمى قال فما قال لك قلت شكا انك كنت تقبل ما يشير به عليك وكنت ترى فى ذلك على ما يحب وانك الآن تخالفه قال فما قلت له أنت قال فعلت أصرف الكلام قال فضحك وقال هذا بعد ما دخل فى عينى أو قبل ذلك قال فارفضضت عرقا وعلمت انه قد سمع ما كنا فيه ورأى ما قد داخلنى فقال يغفر الله لك يا أحمد لقد فرحت عما ظننت انه أحزنك اذا سمعته وعلمت

أنه نوع من أنواع الانبساط والبسط وكان المعتصم يأنس بعلى بن الجنيد الاسكافى وكان عجيب الصورة عجيب الحديث فيه سلامة أهل السواد فقال المعتصم يوما لمحمد بن حماد اذهب بالغداة الى على بن الجنيد فقل له يتهيا حتى يزاملنى فأتاه فقال ان أمير المؤمنين يأمرك أن تزامله فتهيأ الشروط مزاملة الخلفاء فقال على بن الجنيد وكيف أتهيأ اهيئ لى رأسا غير رأسى اشترى لحية غير لحيتى أ أزيد فى قامتى أنا متهيئ وفضله قال لست تدرى بعد ما شروط مزاملة الخلفاء ومعادلتهم فقال على بن الجنيد وما هى هات ما من تدرى قال له ابن حماد وكان أديبا ظريفا وكان برسم الحجاب شرط المعادلة الامتاع بالحديث والمذاكرة والمناولة وأن لا يبزق ولا يسعل ولا يتنخع ولا يمخط وأن يتقدم الرئيس فى الركوب اشفاقا عليه من الميل وان يتقدمه فى النزول فمتى لم يفعل المعادل هذا كان سواء والمثقلة الرصاص التى تعدل بها القبة واحدا وليس له أن ينام وان نام الرئيس بل يأخذ نفسه بالتيقظ ومراعاة حال من هو معه وما هو راكبه لانهما اذا ناما جميعا مال جانب لا يشعر به كان فى ذلك ما لا خفاء به وعلى

لا يترك العبد وما شاءه * الا اذا اهمله المولى

وقوله أيضا سامحه الله تعالى

لولا ك لاك قد شغفت بحبها * ما عفت في حوض المنية موردي

وهي الرواية للحديث وكتبه * والفقه فيه وذاك حسب المهتدي

وأما أخوهما القاضي أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم بن جزي فهو الامام العالم العلامة المعمر رئيس العلوم اللسانية قال في الاحاطة هذا الفاضل قريع بيت نبيه وسلف شهير وأبوة خير وأخوة بليغة وخؤلة أديب حافظ قائم على فن العربيه مشارك في فنون لسانيه ظرف في الادراك جيد النظم مطواع القريحة باطنه نبل وظاهره غفلة قعد للاقراء ببلده غرناطة معيدا ومستقلا ثم تقدم للقضاء بجهات نبيهة على زمن الحداثة أخذ عن والده الاستاذ الشهير الشهيد أبي القاسم أشياء كثيرة وعن القاضي أبي البركات بن الحاج وقاضي الجماعة الشريف السبتي والاستاذ البياني والاستاذ الاعرف أبي سعيد بن لب والشيخ المقرى أبي عبد الله بن بيبش وأجازه رئيس الكتاب أبو الحسن بن الجياب وقاضي الجماعة أبو عبد الله أبو بكر وأبو محمد بن سلمون والقاضي ابن شبرين والشيخ أبو حيان وقاضي الجماعة أبو عبد الله المقرى وأبو محمد الحضرمي وجماعة آخرون وشعره نبيل الاغراض حسن المقاصد انتهى المقصود منه وممن أخذ عنه العباس البقني شارح البردة والقاضي أبو بكر ابن عاصم وبالاجازة الامام ابن مرزوق الحفيد وغيرهم وقد عرف ابن فرحون في الديباج المذهب بابيه الشهيد أبي القاسم وأخيه القاضي أبي بكر دونه وعرف ابن الخطيب في

إ ابن الجنيد ينظر اليه فلما أكثر عليه في هذا الوصف والشرح وقطع عليه كلامه وقال كما يقول أهل السواد آخرها اذهب له فقل له ما يزاملك الا من أمه زانية وهو كشخان فرجع ابن حماد فقال للمعتصم ما قال فضحك المعتصم وقال جئني به فجاءه فقال يا علي أبعث اليك تزاملني فلا تفعل فقال ان رسولك هذا الجاهل الازعر جاءني بشروط حسان الشاشي وخالويه الحائك فقال لا تبزق ولا تفعل كذا وافعل كذا وجعل يعطط في كلامه ويترفع من صاداته ويشير بيده ولا يسعل ولا يعطس وهذا لا يقوم لي ولا أقدر عليه فان رضيت ان أزاملك فان جاءني الفساء فسوت عليك وضرطت واذا جاءك أنت فأدء فافس واضرط والا فليس بيني وبينك عمل فضحك المعتصم حتى فحص برجليه وذهب به الضحك كل مذهب وقال نعم زاملني على هذه الشريطة قال نعم وكرامة فزامله في قبة على بغل فسار ساعة وتوسطا البر فقال علي يا أمير المؤمنين حضر ذلك المتاع فما ترى قال ذاك اليك اذا اشتهيت قال تحضر ابن حماد فأمر المعتصم باحضاره فقال له علي تعال حتى اسارك فلما دنا منه فسا وتاوله كمه وقال احد دبيب شيء في كمي فانظر ما هو فادخل رأسه فشم رائحة الكنيف فقال ما ارى شيئا ولكني لم أعلم ان في جوف ثيابك كنيفا والمعتصم قد غطى فمه بكمه وقد ذهب به الضحك كل مذهب ثم جعل يفسو فساء متصلا ثم قال لابن حماد قلت لي لا تسعل

ولا تبزق ولا تمخط فلم افعل ولكني اخرأ عليك قال فاتصل فساؤه والمعتصم يخرج رأسه من العمارية ثم قال للمعتصم قد ضجت القدر واريد اخرى فقال المعتصم ورفع صوته حين كثر ذلك عليه ويلك يا غلام الارض الساعة اموت ودخل علي بن الجنيد الاسكافي يوما على المعتصم فقال له بعد أن ضاحكه وزهاله يا علي ما لي لا اراك ويلك انسيت الصحبة وما حفظت المودة فقال له حينئذ بالغ الكلام الذي أريد أن اقوله قلته انت ما انت الا ابليس فضحك ثم قال لا تحتشي قال اما لم أجيء فلا اصل انت اليوم نبيل فكانك من بني ماريه وبنو ماريه أناس من أهل السواد يضرب بهم أهل السواد الامثال لكبرهم في نفوسهم فقال له المعتصم هذا سندان التركي واشار الى غلام على رأسه بيده مذبة وقال له يا سندان اذا حضر علي فاعلمني وان اعطاك رقعة فأوصلها الي وان حملك رسالة فاخبرني بها قال نعم يا سيدي وانصرف فاقام اياما ثم جاء يطلب سندان فقالوا هو نائم فانصرف ثم عاد فقالوا هو داخل ولا تصل اليه فانصرف وعاد فقالوا هو عند أمير المؤمنين فاحتال حتى دخل عند المعتصم من جهة اخرى فضاحكه ساعة وعاتبه وقال له يا علي الك حاجة قال نعم يا أمير المؤمنين ان رأيت سندان التركي فاقرأه مني السلام فضحك وقال ما حاله قال حاله انك جعلت بيني وبينك انسانا رأيتك قبل ان اراه وقد اشتقت اليه فاسالك ان تبلغه مني السلام تغلب المعتصم الضحك وجمع بينه وبين سندان واكد عليه في مراعاة امره فكان لا يمتنع منه وعبر المعتصم من سر من رأى من الجانب الغربي وذلك في يوم مطير وقد تبع ذلك ليلة مطيرة وانفرد من اصحابه واذا حمار قد زلق ورمى بما عليه من الشوك وهو الشوك الذي توقد به التنانير بالعراق وصاحبه شيخ ضعيف واقف ينتظر انسانا يمر فيعينه على حمله

الاحاطة بابيه وأخويه أبي بكر وأبي عبد الله وفيما ذكرناه من أمرهم كفاية ومما نسبه الوادي آشي لابي محمد عبد الله بن جزي قوله

يامن أتاني بعده بعدما * عاملته بالبر واللطف
اني تاملت وقد سرني * بجملة من سورة الكهف

وله أيضا

لقد قطعت قلبي ياخليلي * بهجر طال منك على العليل
ولكن ماعجيب منك هذا * اذا التقطيع من شان الخليل

(رجع) الى مشايخ لسان الدين رحمه الله تعالى (ومنهم القاضي الاديب جملة الظرف أبو بكر ابن شيرين) وقد استوفى ترجمته في الاحاطة وذكره أيضا في ترجمة ذي الوزارتين ابن الحكيم بأن قال بعد حكايته قتل ابن الحكيم ماصورته وممن رثاه شيخنا أبو بكر بن شيرين رحمه الله تعالى بقوله

سقى الله اشلاء كرمن على البلا * وماغض من مقدارها حادث البلا
ومما شجاني أن اهين مكانها * وأهمل قدر ماعهدناه مهملا
الا اصنع بها يادهر ماأنت صانع * فما كنت الا عبدها المتذللا
سفكت دما كان الرقوء نواله * لقد جئتما شنعاء فاضحة الملا
بكفي سبت أزرق العين مطرق * عدا فغدا في غيه متوغلا
لنعم قتيل القوم في يوم عيده * قتيل تبكيه المكارم والعلا
الا ان يوم ابن الحكيم لمثكل * فؤادي فما ينفك ماعشت مثكلا

فوقف عليه وقال مالك ياشيخ قال فديتك حماري وقع عنه هذا الحمل وقد بقيت انظر انسانا يعينني على حمله فذهب المعتصم ليخرج الحمار من الطين فقال جعلت فداك تفسد ثيابك هذه وطيبك الذي اشمه من اجل حماري هذا قال لا عليك فنزل واحتمل الحمار بيد واحدة واخرجه من الطين فبهت الشيخ وجعل ينظر اليه ويعجب ويترك الشغل بحماره ثم شد عنان فرسه في وسطه واهوى الى الشوك وهو حزمتان فحملهما فوضعهما على الحمار ثم دنا من غدير فغسل يديه واستوى على فرسه فقال الشيخ السوادي رضي الله عنك وقال بالنبطية اسعل فرمي باحوا فنا وتفسير ذلك فديتك ياشاب واقبلت الخيول فقال لبعض خاصته أعط هذا الشيخ اربعة آلاف درهم وكن معه حتى تجاوز به أصحاب المسالح وتبلغ به قريته وفي سنة تسع عشرة ومائتين كانت وفاة أبي نعيم الفضل بن دكين مولى طلحة بن عبيد الله بالكوفة وبشر بن غياث المريسي وعبد الله بن رجاء العراقي وفيها ضرب المعتصم أحمد بن حنبل ثمانية وثلاثين سوطا ليقول بخلق القرآن وفي هذه السنة وهي سنة تسع عشرة ومائتين قبض محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وذلك لخمس خلون من ذي الحجة ودفن ببغداد في الجانب الغربي بمقابر قريش مع جده موسى بن جعفر وصلى عليه الواثق وقبض وهو ابن خمس وعشرين سنة وقبض أبوه علي بن موسى الرضا ومحمد ابن سبع سنين وثمانية أشهر وقيل غير ذلك وقيل ان أم الفضل بنت المأمون لما قدمت معه من المدينة الى المعتصم سمته وانما ذكرنا من أمره ماوصفنا لان أهل الامامة اختلفوا في مقدار سنه عند وفاة ابيه وقد اتينا على ماقيل في ذلك في رسالة البيان في اسماء الائمة وماقالت في ذلك الشيعة من القطعية وفي هذه السنة وهي سنة تسع عشرة ومائتين اخاف المعتصم محمد بن القاسم ابن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رحمهم الله وكان بالكوفة من العبادة والزهد والورع ونهاية الوصف فلما خاف على نفسه هرب فصار الى خراسان فتنقل من مواضع كثيرة من كورها كمرو وسرخس والطالقان ونسا فكانت له هنالك حروب وكرائن وانقاد اليه والى امامته خلق كثير من الناس ثم حمله عبد الله بن طاهر الى المعتصم فحبسه في ازج اتخذه في بستان بسر من رأى وقد تنوزع في محمد بن القاسم فمن قائل يقول انه قتل بالسم ومنهم من يقول ان ناسا من شيعته من الطالقان أتوا ذلك البستان فتاقوا للخدمة فيه من غرس وزراعة واتخذوا سلالم من الحبال واللبود والطالقانية ونقبوا الازج واخرجوه فذهبوا به فلم يعرف له خبر الى هذه الغاية وقد انقاد الى امامته خلق كثير من الزيدية الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ومنهم خلق كثير يزعمون أن محمدا لم يمت وانه حي يرزق وانه يخرج فيملؤها عدلا كما ملئت جورا وانه مهدي هذه الامة وأكثر هؤلاء بناحية الكوفة وجبال طبرستان والديلم وكثير من كور خراسان وقول هؤلاء في محمد بن القاسم نحو قول رافضة الكيسانية في محمد بن الحنفية ونحو من قول الواقفية في موسى بن جعفر وهم الممطورة بهذا تعرف هذه

الطائفة من بين فرق الشيعة وقد أتينا على وصف قولهم في المقالات في أصول الديانات ووصف قول غلاتهم من العلوية وغيرهم من المحمدية وسائر فرق أهل الباطل ممن قال بتنقل الارواح في أنواع الاشخاص من بهم الحيوان وغيره في كتابنا المترجم بكتاب سر الحياة وكان المعتصم يحب جميع الأتراك وشراءهم من أيدى مواليهم فاجتمع له منهم أربعة آلاف فالبسهم أنواع الديباج والمناطق المذهبة والحلية المذهبة وأبانهم بالزى عن سائر جنوده وقد كان اصطنع قوما من حوف مصر ومن حوف اليمن وحوف قيس فسماهم المغاربة واستفذ رجال خراسان من الفراغنة وغيرهم من الاشروسنية فكثر جيشه وكانت الاتراك تؤذى العوام بمدينة السلام بجريها الخيول في الاسواق وما ينال الضعفاء والصبيان من ذلك فكان أهل بغداد ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صدمة لامرأة أو شيخ كبير أو صبي أو ضرير فعزم المعتصم على النقلة منهم وأن ينزل في فضاء من الارض فنزل البراذان على أربعة فراسخ من بغداد فلم يستطب هواءها ولا اتسع له هواؤها فلم يزل يتنقل ويتقرى المواضع والاماكن الى دجلة وغيرها حتى انتهى الى الموضع المعروف بالقاطول فاستطاب الموضع وكان هنالك قرية يسكنها خلق من الجرامقة وناس من النبط على النهر المعروف بالقاطول آخذا من دجلة فبنى هنالك قصرا وبنى الناس وانتقلوا عن مدينة السلام وخلت من السكان الا اليسير وكان فيما قاله بعض العيارين في ذلك معيرا المعتصم بانتقاله عنهم

أيا ساكن القاطول بين الجرامقه
تركت ببغداد الكباش البطارقه

ونالت من المعتصم شدة عظيمة لبرد الموضع وصلابة أرضه وتأذوا بالحال ففي ذلك يقول بعض من كان في الجيش

قالوا لنا ان بالقاطول مشتانا
فنحن نأمل صنع الله مولانا
الناس يأتمرون الرأي بينهم
والله في كل يوم محدث شانا

ولما تأذى المعتصم بالموضع وتعذر البناء فيه خرج يتقرى المواضع فانتهى الى موضع سامرا وكان هنالك للنصارى دير عادى فسأل بعض أهل الدير عن اسم الموضع فقال يعرف بسامرا قال له المعتصم وما معنى سامرا قال نجدها في الكتب السالفة والامم الماضية انها مدينة سام بن نوح قال له المعتصم ومن أي بلاد هي والام تضاف قال من بلاد طيرهان واليها تضاف فنظر المعتصم الى فضاء واسع تسافر فيه الابصار وهواء طيب وأرض صحيحة فاستمرأها واستطاب هواءها وأقام هنالك ثلاثا يتصيد في كل يوم فوجد نفسه تتوق الى الغذاء وتطلب الزيادة على العادة الجارية فعلم أن ذلك لتأثير الهواء والتربة فلما استطاب الموضع دعا باهل الدير فاشترى منهم أرضهم باربعة آلاف دينار وارتاد لبناء قصره موضعا فيها فاسس بنيانه وهو الموضع المعروف بالوزيرية بسر من رأى واليها يضاف التين الوزيرى وهو أعذب الأتيان وأرقها قشرا وأصغرها حبا الا يبلغه تين الشام ولا تين أهان وحلوان فارتفع البنيان وأحضر له الفعلة والصناع وأهل المهن من سائر الامصار ونقل اليها من سائر البقاع أنواع الغروس والاشجار وجعل للاتراك قطائع متحيزة وجاورهم بالفراغنة والاشروسنية وغيرهم من مدن خراسان

فقدناه في يوم اغر محجل * وفي الحشر نلقاه اغر محجلا
سمت نحوه الايام وهو عميدها * فلم تشكر النعمى ولم تحفظ الولا
تعاورت الاسياف منه ممدحا * كريما سما فوق السماكين مرجلا
وخانته رجل في الطواف به سعت * فناء بصدر للعلوم تحملا
وجدل لم يحضره في الحي ناصر * فمن مبلغ الاحياء ان مهلهلا
يدالله في ذاك الاديم ممزقا * تبارك ماهبت جنوبا وشمألا
ومن حزني أن لست أعرف لحده * له فارى للترب منه مقبلا
رويدك يامن قد غدا شامتا به * فبالامس ما كان العماد المؤملا
وكنا نعادى أو نراوح بابه * وقد طل في اوج العلا متوقلا
ذكرناه يوما فاستهلت جفوننا * بدمع اذا ما امحل العام اخضلا
ومازج منه الحزن طول اعتبارنا * ولم ندر ما اذا منهما كان اطولا
وهاج لنا شجوا تذكر مجلس * له كان يهدى الحي والملأ الاعلى
به كانت الدنيا تؤخر مدبرا * من الناس حتما أو تقدم مقبلا
لتبكي عيون الباكيات على فتى * كريم اذا ما اسبغ العرف اجزلا
على خادم الآثار تملى صحائحا * على حامل القرآن يتلى مفصلا
على عضد الملك الذى قد تضوعت * مكارمه في الارض مسكا ومندلا
على قاسم الاموال فينا على الذى * وضعنا لديه كل اصر على علا

وأنى لنا من بعده متعلل * وما كان فى حاجاتنا متعللا
ألا يا قصير العمر يا كامل العلا * يمينا لقد غادرت حزنا مؤثلا
يسوء المصلى أن هلكت ولم تقم * عليك صلاة فيه يشهدها الملا
وذلك لأن الامر فيه شهادة * وسنتها محفوظة لن تبدلا
فيا أيها الميت الكريم الذى قضى * سعيدا حميدا فاضلا ومفضلا
لتهنك من رب السماء شهادة * تلاقى ببشرى وجهك المتهللا
رثيتك عن حب ثوى فى جوانحى * فاودع القلب العميد وما قلا
ويارب من اوليته منك نعمة * وكنت له ذخرا عتيدا وموئلا
تناساك حتى ما تمر ببأله * ولم يذكر ذاك الذى والتفضلا
برابض فى مثواك كل عشية * صفيف شواء أو قدير امعجلا
تحى الله من ينسى الاذمة رافضا * ويذهل مهما أصبح الامر مشكلا
حنانيك يا بدر الهدى فلشدما * تركت بدور الافق بعدك أفلا
وكنت لآمالى حياة هنيئة * فغادرت منى اليوم قلبا مقتلا
فلا وأبيك الخير ما أنا بالذى * على البعد ينسى من ذمامك ما خلا
فأنت الذى آويتنى متغربا * وأنت الذى أكرمتنى متطفلا
فآليت لا ينفك قلبى مكمدا * عليك ولا ينفك دمعى مسبلا

وكتب ابن لسان الدين على هامش هذه القطعة ما صورته شكر الله وفاءك يا ابن شيرين

على قدر قربهم منهم فى بلادهم وأقطع اشناس التركى وأصحابه من الاتراك الموضع المعروف بدرب سامرا ومن الفراغنة أنزلهم الموضع المعروف بالعمرى والجسر واختطت الخطط واقتطعت القطائع والشوارع والدروب وأفرد أهل كل صنعة بسوق وكذلك التجار فبنى الناس وارتفع البنيان وشيدت الدور والقصور وكثرت العمارة واستنبطت المياه وجرت من دجلة وغيرها وتسامع الناس أن دار ملك قد اتخذت فقصدوها وجهزوا اليها من أنواع الامتعة وسائر ما ينتفع به الناس وغيرهم من الحيوان وكثر العيش واتسع الرزق وشملهم الاحسان وعمهم العدل وكان بدء ما وصفنا فيما اوله المعتصم سنة احدى وعشرين ومائتين واشتد أمر بابك وسار عساكره نحو تلك الامصار فدق العساكر وكثر الجيوش فسير اليه المعتصم بالجيوش وعليها الافشين وكثرت حروبه واتصلت وضاق بابك فى بلاده حتى انفض جمعه وقتل رجاله وامتنع بالجبل المعروف بالبذ من أرض الران وهى بلاد بابك وبه يعرف الى هذا الوقت فلما استشعر بابك ما نزل به وأشرف عليه هرب عن موضعه وزال عن مكانه فتنكر هو وأخوه وولده وأهله ومن تبعه من خواصه وقد تزيا بزى السفر وأهل التجارة والقوافل فنزل موضعا من بلاد أرمينية على بعض المياه وبالقرب منهم راعى غنم فابتاعوا منه شاة وساموا شراء شئ من الزاد لهم فمضى من فوره الى سهل بن سنباط فاخبره الخبر وقال هو بابك لا شك فيه وقد كان الافشين لما هرب بابك من موضعه وزال عن جبله خشى أن يعتصم ببعض الجبال المنيعة أو يتحصن ببعض القلاع أو ينضاف الى بعض الامم القاطنة ببعض تلك الديار فيكثر جمعه وينضاف اليه فلال عسكره فيرجع الى ما كان من أمره فأخذ الطرق وكاتب البطارقة فى الحصون والمواضع من بلاد أرمينية وأذربيجان والران والبيلقان وضمن فى ذلك الرغائب فلما سمع سهل بن سنباط من الراعى ما أخبره به سار من فوره فيمن حضر من عدده وأصحابه حتى أتى الموضع الذى به بابك فترجل له ودنا منه وسلم عليه بالملك وقال له أيها الملك قم الى قصرك الذى فيه وليك وموضع يمنعك فيه الله من عدوك فسار معه الى أن أتى قلعته وأجلسه على سريره ورفع منزلته ووطأه منزله ومن معه وقدمت المائدة وقعد يأكل معه فقال له بابك بجهله وقلة معرفته بما هو فيه وما دفع اليه أمثلك يأكل معى فقام سهل عن المائدة وقال اخطأت أيها الملك وأنت أحق من احتمل عبده اذ كانت منزلتى ليست بمنزلة من يأكل مع الملوك وجاءه بحداد وقال له مد رجليك أيها الملك وأوثقه بالحديد فقال له بابك أغدرا يا سهل قال يا ابن الخبيثة انما أنت راعى غنم وبقر ما أنت والتدبير للملك ونظم السياسات وقيد من كان معه وأرسل الى الافشين يخبره الخبر وأن الرجل عنده فسرح اليه الافشين أربعة آلاف فارس عليهم الحديد وعليهم خليفة يقال له بومادة فتسلمه ومن معه وأتى به الى الافشين ومعه ابن سنباط فرفع الافشين منزلة سهل وخلع عليه وحمله وتوجه وقاد بين يديه وأسقط عنه الخراج فاطلقه وأطلقت الطيور الى المعتصم وكتب اليه بالفتح فلما وصل اليه ذلك ضج الناس بالتكبير وعمهم الفرح وأظهروا السرور

وبث الكتب الى الامصار بالفتح وقد كان أفنى عساكر السلطان فسار الافشين ببابك وتنقل بالعساكر حتى أتى سر من رأى وذلك سنة ثلاث وعشرين ومائتين وتلقى الافشين هرون بن المعتصم وأهل بيت الخلافة ورجال الدولة ونزل بالموضع المعروف بالقاطول على خمسة فراسخ من سامرا وبعث اليه بالفيل الاشهب وكان قد حمله بعض ملوك الهند الى المامون وكان فيلا عظيما قد حلل بالديباج الاحمر والاخضر وأنواع الحرير الملون ومعه ناقة عظيمة نجيبة قد حللت بما وصفنا وحمل الى الافشين دراعة من الديباج الاحمر منسوجة بالذهب قد رصع صدرها بانواع الياقوت والجوهر ودراعة دونها وقلنسوة عظيمة كالبرنس ذات سفاسك بألوان مختلفة وقد نظم على القلنسوة كثير من اللؤلؤ والجوهر وألبس بابك الدراعة وألبس أخوه الاخرى وجعلت القلنسوة على رأس بابك وعلى رأس أخيه نحوها وقدم اليه الفيل والى أخيه الناقة فلما رأى صورة الفيل استعظمه وقال ما هذه الدابة العظيمة واستحسن الدارعة وقال هذه كرامة ملك عظيم حاول الى أسير فقد العز ذليل اخطأته الاقدار وزالت عنه الجدود وتورطته المحن انها الفرحة تقتضي ترحه وضرب له المصاف صفين فى الخيل والرجل والسلاح والحديد والرايات والبنود من القاطول ٢٠٢ الى سامرا مددا واحدا متصل غير منفصل وبابك على الفيل وأخوه وراءه على الناقة والفيل يخطر بين الصفين به وبابك ينظر الى ذات اليمين وذات الشمال ويميز الرجال والعدد ويظهر الاسف والحنين على ما فاته من سفك دمائهم غير مستعظم لما يرى من كثرتهم وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين ولم ير الناس مثل ذلك اليوم ولا مثل تلك الزينة ودخل الافشين على المعتصم فرفع منزلته وأعلى مكانه وأتى ببابك فطوف به بين يديه فقال له المعتصم أنت بابك فلم يجب وكررها عليه مرارا وبابك ساكت فمال اليه الافشين وقال الويل لك أمير المؤمنين يخاطبك وأنت ساكت فقال نعم أنا بابك فسجد المعتصم عند ذلك وأمر فان بقطع يديه ورجليه (قال المسعودي) ورأيت فى كتاب أخبار بغداد لما وقف بابك بين يديه لم يكلمه طويلا ثم قال له أنت بابك قال نعم أنا عبدك وغلامك وكان اسم بابك الحسين واسم أخيه عبد الله قال جردوه فسلبه الخدام ما عليه من الزينة وقطعت يمينه وضرب بها وجهه وفعل مثل ذلك بيساره وثلث برجليه وهو يتمرغ فى النطع فى دمه وقد كان تكلم بكلام كثير يرغب فى أموال عظيمة قبله فلم يلتفت الى قوله وأقبل يضرب بما بقى من زنديه وجهه وأمر المعتصم السياف أن يدخل السيف بين ضلعين من اضلاعه أسفل من القلب ليكون أطول لعذابه ففعل ثم أمر بحز لسانه وصلب أطرافه مع جسده ثم حمل الرأس الى مدينة السلام ونصب على الجسر وحمل الى خراسان بعد ذلك يطاف به كل مدينة من مدنها وكورها لما كان فى نفوس الناس من استفحال أمره وعظم شانه وكثرة جنوده واشرافه على ازالة ملك وقلب ملة وتبديلها وحمل أخوه عبد الله مع الرأس الى مدينة السلام ففعل به إسحق بن ابراهيم ما فعل باخيه بابك بسامرا وصلب جثة بابك على خشبة طويلة فى اقاصى سامرا وموضعه مشهور الى

وقدس لحدك وأين مثلك فى الدنيا حسنا ووفاء وعلما لا كما صنع ابن زمرك فى ابن الخطيب مخدومه قاله على بن الخطيب انتهى (ومن أشياخ لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى) الشيخ الاستاذ العلامة العلم الاوحد الصدر المصنف المحدث الافضل الاصلح الاورع الاتقى الاكمل أبو عثمان سعد ابن الشيخ الصالح التقى الفاضل المبرور المرحوم أبى جعفر أحمد ابن ليون التجيبى رضى الله تعالى عنه وهو من أكابر الائمة الذين أفرغوا جهدهم فى الزهد والعلم والنصح وله تواليف مشهورة منها اختصار بهجة المجالس لابن عبد البر واختصار المرتبة العليا لابن راشد القفصى وكتاب فى الهندسة وكتاب فى الفلاحة وكتاب كمال الحافظ وجمال اللافظ فى الحكم والوصايا والمواعظ وكان مولعا باختصار الكتب وتواليفه تزيد على المائة فيما يذكر وقد وقفت منها بالمغرب على أكثر من عشرين * ومما حكى عن بعض كبراء المغرب انه رأى رجلا طويلا اقبل لمن حضره لو رآه ابن ليون لاختصره اشارة الى كثرة اختصاره للكتب ومن تواليفه كتاب نفح السحر فى اختصار روح الشعر وروح الشعر لابن الجلاب الفهرى رحمه الله ومنها كتاب أنداء الديم فى الوصايا والمواعظ والحكم وكتاب الابيات المهذبة فى المعانى المقربة وكتاب نصائح الاحباب وصحائح الآداب أورد فيه مائتى قطعة من شعره تتضمن نصائح متنوعة ولننفع منها بنبذة فنقول مما فى التحريض على العلم قوله رحمه الله تعالى

زاحم أولى العلم حتى * تعتدهم حقيقه
ولا يردك عجز * عن أخذ أعلى طريقه

هذه الغاية يعرف بكنيسة بابك وان كانت سامرا فى هذا الوقت عن خلا ساكنها وبان عنها قاطنها الا يسيرا من الناس فى بعض المواضع بها ولما قتل بابك وأخوه وكان من امره ما تقدم ذكره قام فى مجلس المعتصم الخطباء فتكلموا وقالت الشعراء فممن قام فى ذلك اليوم ابراهيم بن المهدى فقال شعرا بدلا من الخطبة وهو

يا أمين الله ان الله * حمد لله كثيرا هكذا النصر فلا زا * ل لك النصر وزيرا
وعلى الاعداء أعط * يت من الله ظهيرا * هنالك الله لك الفتح يسيرا
فهو فتح لم ير النا * س له فتحا نظيرا وجزى الافشين عبد الله خيرا وحبورا * فلقد لاقى به بابك يوما قمطريرا
ذاك مولاك الذي الـ * فيته جلدا صبورا * لك حتى ضرج السيـ * ف له خدا قصيرا * ضربة أبقت على الدهـ * ر له فى الوجه نورا

وتوج الافشين بتاج من الذهب مرصع بالجوهر واكليل ليس فيه من الجوهر الا الياقوت الاحمر والزمرذ الاخضر قد شبك بالذهب والبس وشاحين وزوج المعتصم الحسن بن الافشين باترجة بنت اشناس وزفت اليه وأقيم لها عرس يجاوز المقدار فى البهاء والجمال وكانت توصف بالجمال والكمال ولما كان من ليلة الزفاف ما عم سروره خواص الناس وكثيرا من عوامهم قال المعتصم أبياتا يصف حسنهما وجمالهما واجتماعهما وهى

زفت عروس الى عروس * ٣٠٣ * بنت رئيس الى رئيس
أيهما كان ليت شعرى * أجل فى الصدور والنفوس
أصاحب المذهب المحلى * أم ذو الوشاحين والشموس

وفى هذه السنة وهى سنة ثلاث وعشرين خرج توفل ملك الروم فى عساكره ومعه ملوك برجان والبرغر والصقالبة وغيرهم ممن جاورهم من ملوك الامم حتى نزل على مدينة زبطرة من الثغر الجورى فافتتحها بالسيف وقتل الصغير والكبير وأغار على بلاد ملطية فضج الناس فى الامصار واستغاثوا فى المساجد والديار فدخل ابراهيم بن المهدى على المعتصم فانشده قائما قصيدة طويلة يذكر فيها ما نزل بمن وصفنا ويحثه على الجهاد فيها

يا غارة الله قد عاينت فانتهكى * هتك النساء وما منهن يرتكب هب الرجال على أجرامها قتلت * ما بال أطفالها بالذبح تنتهب

وابراهيم بن المهدى أول من قال فى شعره يا غارة الله فخرج المعتصم من فوره نافرا عليه دراعة من الصوف بيضاء وقد تعمم عمامة الغزاة فعسكر غربى دجلة وذلك يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الاولى سنة ثلاث وعشرين ومائتين ونصبت الاعلام على الجسر ونودى فى الامصار بالنفير والسير مع أمير المؤمنين فسارت اليه العساكر والمطوعة من سائر الاسلام وجعل على مقدمته اشناس التركى ويتلوه محمد بن ابراهيم وعلى ميمنته جعفر بن دينار وعلى ساقته بغا الكبير وعلى القلب عجيف وسار المعتصم من الثغور الشامية ودخل من درب السلامة ودخل الافشين من درب الحرث ودخل الناس من سائر الدروب فلم يكن يحصى الناس العدد ولا يضبطون كثرة فمن مكثر ومقال فالمكثر يقول خمسمائة ألف والمقال مائتى ألف ولقى ملك الروم الافشين فحاربه فهزمه الافشين وقتل أكثر بطارقته وأصحابه وجاء رجل من المتنصرة يقال له نصير فى خلق من أصحابه

فان من جد يعطى * فيما يحب لحوقه
وقوله شفاء داء العى حسن السؤال * فاسأل تنل علما وقل لا ابالى
واطلب فالاستحياء والكبر من * موانع العلم فأنى ينال
وقوله علمت شيأ وغابت عنك أشياء * فانظر وحقق فما للعلم احصاء
للعلم قسمان ما تدرى وقولك لا * أدرى ومن يدعى الاحصاء هذاء
وقوله من لم يكن علمه فى صدره تثبت * يداه عند السؤالات التى ترد
العلم ما أنت فى الحمام تحصره * وما سوى ذلك التكليف والكمد
وقوله الدرس رأس العلم فاحرص عليه * فكل ذى علم فقير اليه
من ضيع الدرس يرى هاذيا * عند اعتبار الناس ما فى يديه
فعزة العالم من حفظه * كعزة المنفق فيما عليه
وقال رحمه الله تعالى فى غير ما سبق
ثلاث مهلكات لا محاله * هوى نفس يقود الى البطاله
وشح لا يزال يطاع دأبا * وعجب ظاهر فى كل حاله
وقال اللهو منقصة بصاحبه * فاحذر مذلة مؤثر اللهو
واللغو نزه عنه سمعك لا * تجنح له لا خير فى اللغو
وقال لا تماري على صديقك وادرأ * عنه ما اسطعت من أذى واهتضام
ما تناسى الذمام قط كريم * كيف ينسى الكريم رعى الذمام

وقد كان الافشين قصر عن أخذ الملك فى ذلك اليوم حين ولى وقال هو ملك والملوك تبقى بعضها على بعض وفتح المعتصم حصونا كثيرة ونزل على مدينة عمورية ففتحها الله على يديه وخرج لاوى البطريق منها وسلمها اليه وأسر البطريق الكبير منها وهو ماطس وقتل منها ثلاثين ألفا وأقام عليها أربعة أيام يهدم ويحرق وأراد المسير الى القسطنطينية والنزول على خليجها والحيلة فى فتحها برا وبحرا فأتاه ما أزعجه وأزاله عما كان عزم عليه من أمر العباس بن المأمون وان ناسا قد بايعوه وانه كاتب طاغية الروم فأعجل المعتصم فى مسيره وحبس العباس وشيعته وفى هذه السنة مات العباس بن المأمون وفى سنة خمس وعشرين ادخل المازيار بن مازن بن بندار هرمس صاحب جبال طبرستان الى سامرا فاقر على الافشين انه بعثه على الخروج والعصيان لمذهب كانوا اجتمعوا عليه ودين اتفقوا عليه من مذاهب الثنوية والمجوس وقبض على الافشين قبل قدوم المازيار بسامرا بيوم وأقر عليه كاتب يقال له سابور فضرب المازيار بالسوط حتى مات بعد أن شهر وصلب الى جانب بابك وقد كان المازيار رغب المعتصم فى أموال كثيرة يحملها ان هو من عليه بالبقاء فأبى قبول ذلك وتمثل

ان الاسود أسود الغيل همتها ٣٠٤ يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

ومالت خشبة مازيار الى خشبة بابك فدانت اجساعهما وقد كان صلب فى ذلك الموضع باطس بطريق عمورية وقد انحنت نحوهما خشبته ففى ذلك يقول أبو الهمام لهما

ولقد شفى الاحشاء من برحائها * اذ صار بابك جار مازيار
ثانيه فى كبد السماء ولم يكن * لاثنين ثان اذهما فى الغار
فكأنما انحنيا لكيما يطويا * عن ماطس خبرا من الاخبار

ومات الافشين فى الحبس بعد أن جمع بينه وبين مازيار فاقر عليه وأخرج الافشين ميتا فصلب بباب العامة وأحضرت أصنام زعموا انها كانت حملت اليه فالقيت عليه وأضرمت النار فأتت على الجميع وفى سنة ست وعشرين ومائتين مات أبو دلف العجلى وكان سيد أهله ورئيس عشيرته من عجل وغيرها من ربيعة وكان شاعرا مجيدا شجاعا بطلا مغنيا مصنفا وهو القائل

يوما ترانى على طمر * ترهبنى الاجبل الرواسى
ويوم لهو أحث كأسا * وخلف أذنى قضيب آس

(وذكر) أن أبا دلف طعن فارسا فنفذت الطعنة الى أن وصل السنان آخر كان خلفه فقتلهما ففى ذلك يقول بكر بن النطاح

قالوا وينظم فارسين بطعنة * يوم الهياج ولا تراه كليلا
لا تعجبوا فلوان طول قناته * ميل اذا نظم الفوارس ميلا

(وذكر) عيسى بن أبى دلف أن أخاه دلف وكان يكنى أبوه أبا دلف كان ينتقص عليا ويضع منه ومن شيعته وينسبهم الى الجهل وانه قال يوما وهو فى مجلس ابيه ولم يكن أبوه حاضرا انهم يزعمون ان لا ينتقص عليا أحد الا كان لغير رشدة وأنتم تعلمون غيرة الامير وأنه لا يتهيأ الطعن على أحد من حرمه وأنا أبغض عليا قال فما كان بأوشك من أن خرج أبو دلف فلما رأيناه قمنا له فقال قد سمعت ما قاله دلف والحديث لا يكذب والخبر الوارد فى هذا المعنى لا يختلف هو والله لزنية وحيضة وذلك

تطعم الكلب مرة فيحامى * عنك والكلب فى عداد اللئام

وقال

احذر مواخاة الدنىء فانها * عار يشين ويورث التضريرا
فالماء يخبث طعمه لنجاسة * ان خالطته ويسلب التطهيرا

وقال

تحفظ من الناس تسلم ولا * تكن فى تقربهم ترغب
ولا تترك الحزم فى كل ما * تريدو لا تبغ ما يصعب

وقال

اخوانك اليوم اخوان الضرورة لا * تثق بهم يا أخى فى قول او فعل
لا خير فى الاخ الا أن يكون اذا * عرتك نائبة يقيك أو يسلى

وقال

طلب الانصاف من قلة انصاف فساهل
لا تناقش وتغافل * فاللبيب المتغافل
قلما يحظى اخو الانصاف فى وقت بطائل

وقال

من خافه الناس عظموه * وأظهروا بره وشكره
ومن يكن فاضلا حليما * فاغتاظه المضره
فامرر وكن صارما مبيرا * يهبك من قد تخاف شره

وقال

ان تبغ عدلا فارتضى لنفسك من * قول وفعل به اعمل فى الورى تسد
وكل ماليس ترضاه لنفسك لا * تفعله مع أحد تكن أخا رشد

وقال

حسبى الله لقد ضلت بنا * عن سبيل الرشد اهواء النفوس
عجبا ان الهوى هون وأن * نؤثر الهون واذلال الرؤس

وقال

اني كنت عليلا فبعثت الى أختي جارية لها كنت بها معجبا فلم أتمالك أن وقعت عليها وكانت حائضا فعلقت به فلما ظهر حملها وهبتها لي فبلغ من عداوته لدلف هذا لابيه ونصبه ومخالفته له لان الغالب على أبيه التشيع والميل الى علي أن شنع عليه بعد وفاته وهو ما حدث به الفرهساني قال حدثنا دلف بن أبي دلف قال رأيت في المنام آتيا أتاني فقال لي أجب الامير فقمت معه فادخلني دارا وحشة وعرة وأصعدني على درج منها ثم أدخلني غرفة في حيطانها أثر الرماد واذا أبي عريان واضع رأسه بين ركبتيه فقال كالمستفهم دلف قلت دلف فأنشأ يقول

فلو أنا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حي ولكنا اذا متنا بعثنا * ونسأل بعده عن كل شي

ثم قال أفهمت قلت نعم وانتبهت * وفي خلافة المعتصم وذلك سنة أربع وعشرين ومائتين مات جماعة من نقلة الاخبار وحملة أصحاب الحديث منهم عمرو بن مرزوق الباهلي البصري وأبو النعمان عارم ومحمد بن الفضل السدوسي وأبو أيوب سليمان بن حرب الواشجي البصري من الازد وسعد بن الحكم بن أبي مريم البصري وأحمد بن عبد الله العراني وسليمان الشاذكوني وعلي ابن المديني وفي سنة تسع وعشرين ومائتين مات بشر الحافي ببغداد ٣٠٥ وكان من مرو وأبو الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسي بالبصرة وهو ابن ثلاث وتسعين سنة وعبد الله بن عبد الوهاب الجمحي وابراهيم بن يسار الرمادي وقيل ان فيها كانت وفاة محمد بن كثير العبدي والصحيح أن وفاته كانت في سنة ثلاث وعشرين ومائتين (قال المسعودي) وفي سنة سبع وعشرين كانت وفاة المعتصم على دجلة في قصره المعروف بالخاقاني يوم الخميس لثمان عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول وقيل لساعتين من ليلة الخميس وهو ابن ثمان وأربعين سنة وقيل ست

٣٩ ط ش

وأربعين سنة على ما قدمنا في انقضاء صدر هذا الباب وكان مولده بالخلد ببغداد سنة ثمان وسبعين ومائة في الشهر الثامن من السنة وهو ثامن الخلفاء والثامن من ولد العباس ومات عن ثمانية بنين وثمان بنات وللمعتصم أخبار حسان وما كان من أمره في فتح عمورية وما كان منه قبل الخلافة في أسفاره نحو الشام ومصر وغير ذلك وما كان منه بعد الخلافة وما حكي عنه من حسن السيرة واستقامة الطريقة ابن أبي دواد القاضي ويعقوب بن الليث الكندي في لمع أوردها في رسالته المترجمة بسبيل الفضائل قد أتينا على جميع ذلك في كتابنا في أخبار الزمان والكتاب الاوسط وقد ذكرنا في هذا المعنى لمعا منبهة على ما سلف وباعثة على درس ما تقدم * (ذكر خلافة الواثق) * وبويع هارون بن محمد ابن هارون الواثق ويكنى بأبي جعفر وأمه أم ولد رومية تسمى قراطيس وذلك في اليوم الذي كانت فيه وفاة المعتصم وهو يوم الخميس لثماني عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين وبويع وهو ابن احدى وثلاثين سنة وتسعة أشهر وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما وقيل انه توفي يوم الاربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة

وقال
من يخف شره يوف الكرامه * ويوالي الرعاية المستدامه
وأخو الفضل والعفاف غريب * يحمل الذل والجفا والملامه

وقال
دع من يسيء بك الظنون ولا * تحفل به ان كنت ذا همه
من لم يحسن ظنه أبدا * بك فاطرحه تكتفي همه

وقال
نزه لسانك عن قول تعاب به * وارغب بسمعك عن قيل وعن قال
لا تبغ غير الذي يعنيك واطرح الـ * ـفضول تحيا قرير العين والبال

وقال
كثرة الاصدقاء كثرة غرم * وعتاب يعيي وادخال هم
واغن بالبعض فاعفو تغافل * عنهم في قبيح فعل وذم

وقال
ذل المعاصي ميتة بالها * من ميتة لا ينقضي عارها
عز التقى هو الحياة التي * ذوا العقل والهمة يختارها

وقال
لا تسمع يوما صديقك قولا * فيه غض ممن يحب الصديق
ان بر الصديق لا شك منه * لصديق الصديق أيضا فريق

وقال
للعار حق فاعتمد بره * واحمل أذاه مغضيا ساترا
فالله قد وصى به فاغتفر * زلاته الباطن والظاهرا

وقال
سالم الناس ما استطعت وداري * أخسر الناس أحمق لا يداري
ضرك الناس ضر نفسك يجني * لا يقوم الدخان الا بنار

وقال
النصح عند الناس ذنب فدع * نصح الذي تخاف أن يهجرك

اثنتين وثلاثين ومائتين وهو ابن أربع وثلاثين سنة ووزيره محمد بن عبد الملك وعلى حسب ما قدمنا فى أيام المعتصم من هذا الكتاب والتواريخ متباينة فى مقادير أعمارهم وأيامهم فى الزيادة والنقصان (ذكر لمع من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه) كان الواثق كثير الاكل والشرب واسع المعروف متعطفا على أهل بيته متفقد الرعيته وسلك فى المذهب مذهب أبيه وعمه من القول بالعدل وغلب عليه أحمد بن أبى دواد ومحمد بن عبد الملك الزيات فكان لا يصدر الا عن رأيهما ولا يعيب عليهما فيما رأيا وقلدهما الامر وفوض اليهما ملكه (وذكر) أبو تمام حبيب بن أوس الطائى الحاسمى نسبة الى حاسم وهى قرية من أعمال دمشق بين بلاد الاردن ودمشق بموضع يعرف بالجولان ويعرف بحاسم على أميال من الجابية وبلاد براوهى من مراعى أيوب عليه السلام قال خرجت فى أيام الواثق الى سر من رأى فلما قربت منها لقينى اعرابى فأردت أن أعلم خبر العسكر منه فقلت يا أعرابى ممن أنت قال من بنى عامر قلت كيف علمك بعسكر أمير المؤمنين قال قتل ارضا عالمها قلت ما تقول فى أمير المؤمنين قال وثق بالله فكفاه اشجى القاصية وقصم العادية ورغب عن كل ذى جناية قلت فما تقول فى أحمد بن أبى دواد قال هضبة لاترام وجبل لايضام تشحذله المدى وتنصب له الحبائل حتى اذا أقبل كان قد وثب وثبة الذئب وختل ختلة الضب قلت فما تقول فى محمد بن عبد الحكم الزيات قال وسع الدانى شره ووصل الى البعيد ضره له فى كل يوم صريع لايرى فيه أثر ناب ولا مخلب قلت فما تقول فى عمرو بن فرج قال ضخم نهم استعذب الدم ينصبه القوم ترسا للدعاء قلت فما تقول فى الفضل بن مروان قال رجل نبش بعدما قبر ليس تعدله حياة فى الاحياء وعليه خفة الموتى قلت فما تقول فى الوزير قال تخاله كبش الزنادقة أما تراه اذا أخمله الخليفة سمن ورتع واذا هزه أمطر فامرع قلت فما تقول فى أحمد بن الخصيب قال ذاك أكل أكلة نهم فذرق ذرقة بشم قلت فما تقول فى ابراهيم أخيه قال أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون قلت فما تقول فى أحمد بن اسرائيل قال لله دره أى فاعل هو وأى صابر هو أعدالصبر دثارا والجود شعارا وأهون عليه بهم قلت فما تقول فى المعلى بن أيوب قال ذاك رجل خبر نصيح السلطان عفيف اللسان سلم من القوم وسلموا منه قلت فما تقول فى ابراهيم بن رباح قال ذاك رجل أوثقه كرمه وأسلمه فضله وله دعاء لا يسلمه ورب لا يخذله وفوقه خليفة لا يظلمه قلت فما تقول فى الحسن ابنه قال ذاك عود نضار غرس فى منابت الكرم حتى اذا اهتز حصدوه قلت فما تقول فى نجاح بن سلمة قال لله دره أى طالب وتر ومدرك ثار يلتهب كأنه شعلة نار له من الخليفة فى الاحيان جلسة تزيل نعما وتحل نقما قلت يا أعرابى أين منزلك حتى آتيك قال اللهم غفرا مالى منزل أنا أشتمل النهار وألتحف الليل فحيثما أدركنى الرقاد رقدت قلت فكيف رضاك عن أهل العسكر قال ان أعطونى لم أحمدهم وان منعونى لم أذمهم وانى كما قال هذا الغلام الطائى وما أبالى وخير القول أصدقه * حقنت لى ماء وجهى أو حقنت دمى

الناس أعداء لناصحهم * فاترك هديت النصح فيمن ترك

وقال
تجرى الامور على الذى قد قدرا * ماحيلة أبدا ترد مقدرا
فارض الذى يجرى القضاء به ولا * تضجر فمن عدم الرضا أن تضجرا

وقال
أخوك الذى يحميك فى الغيب جاهدا * ويستر ماتاتى من السوء والقبح
وينشر ماير ضيك فى الناس معلنا * ويغضى ولا يالو من البر والنصح

وقال
لاتصحب الاردى فتردى معه * وربما قد تقتنى منزعه
فالحبل ان يجرر على صخرة * ابدى بها طريقة مشرعه

وقال
مافات أو كان لاتندم عليه فما * يفيد بعد انقضاء الحادث الندم
ارجع الى الصبر تغنم أجره وعسى * تسلو به فهو مسلاة ومغتنم

وقال
السخط عند النائبات زيادة * فى الكرب تنسى مايكون من الفرج
من لم يكن يرضى بما يقضى فيا * لله ماأشقى وأصعب مانتج

وقال
ان تبتغى الاخوان مالان تجد * أخا سوى الدينار والدرهم
فلا تهنهما وعززهما * تعش عزيزا غير مستهضم

وقال
من يستعن بصديقه * يعن العدو على أذاته
برالصديق مهابة * للمرء تحمل من عداته
فاحفظ صديقك ولتكن * تبدى المحاسن من صفاته

وقال
نعوذ بالله من شر الانسان كما * نعوذ بالله من شر البريات

قالت فأنا قائل هذا الشعر قال أنك أنت الطائي قلت نعم قال لله أبوك وأنت القائل

ماجود كفك ان جادت وان بخلت * من ماء وجهي وقد أخلقته عوض قلت نعم قال أنت أشعر أهل زمانك وفي رواية أخرى ليست في الكتاب قلت أنشدني شيأ من شعرك فأنشدني أقول وجنح الدجا ملبد * ولليل من كل فج يد ونحن ضجيعان في مجسد * فلله ماضمن المجسد فيا غد ان كنت بي محسنا * فلا تدن من ليلتي يا غد ويا ليلة الوصل لا تنقدي * كما ليلة الهجر لا تنفد فقلت لله أبوك ووردته مني حتى لقيت ابن أبي دواد وحدثته بخبره فاوصله الى الواثق فامر له بالف دينار وأخذ له من سائر الكتاب وأهل الدولة ما أغناه به وأغنى عقبه بعده وهذا الخبر فغريبه من أبي تمام فان كان صادقا فيما قال ولا أراه فقد أحسن الاعرابي في الوصف وان كان أبو تمام هو الذي صنعه وعزاه الى هذا الاعرابي فقد قصر في نظمه اذ كانت منزلته أكبر من هذا * وكانت وفاة أبي تمام بالموصل سنة ثمان وعشرين ومائتين وكان خليعا ماجنا وربما أداه ذلك الى ترك موجبات فرضه تماجنا لا اعتقادا (وحدث) محمد بن يزيد المبرد عن الحسن بن رجاء قال صار الي أبو تمام وأنا بفارس فاقام عندي مقاما طويلا وغني الي من غير وجه أنه لا يصلي فوكلت به من

	يجني اللسان على الانسان ميتته *	كم للسان من آفات و زلات
وقال	من لم يكن مقصده مدحة *	فقد أتى بحبوحة العافيه
	محبة المدحة رق بلا *	عتق وذل باله داهيه
	من لا يبالي الناس مدحا ولا *	ذما أصاب العيشة الراضيه
وقال	شر اخوانك من لا *	تهتدى فيه سبيلا
	يظهر الود و يخفي *	مكره داء دخيلا
	يتقي منك اتقاء *	وهو يوليك الجميلا
وقال	قوام العيش بالتدبير فاجعل *	لعيشك منه في الايام قسطا
	وخذ بالصبر نفسك فهو عز *	تلوذ به اذا ما الخطب شطا
وقال	العيش ثلث فطنة *	والغير منه تغافل
	فتغافل ان كنت امرأ *	ايثار عيشك تامل
وقال	ينفذ المقدور حتما لا يرد *	فعلام الحرص دابا والكمد
	أرح النفس تعش في غبطة *	وكل الامر الى الله فقد
وقال	زر من تحب و زره ثم زره ولا *	تمل واجعله دأبا موضع النظر
	لو لا متابعة الانفاس ما بقيت *	روح الحياة ولا دامت مدى العمر
وقال	لا تترك الحزم في شئ فان به *	تمام امرك في الدنيا وفي الدين
	من ضيع الحزم تحجبه الندامة في *	أيامه و يرى ذل المهاوين

يراعيه ويتفقده أوقات الصلاة فوجدت الامر على ما اتصل بي عنه فعاتبته على فعله ذلك فكان من جوابه أن قال لم أنشط للشخوص اليك من مدينة السلام وأتجشم هذه الطرقات الشاقة وأكسل عن ركعات لا مؤنة على فيها لو كنت أعلم أن لمن صلاها ثوابا أو على من تركها عقابا قال فهممت والله بقتله ثم تخوفت أن يصرف الامر الى غير جهته وهو القائل

وأحق الانام أن يقضي الدين امرؤ كان للاله غريما

وهذا قول مباين لدليل العقل والناس في أبي تمام في طرفي نقيض متعصب له يعطيه أكثر من حقه ويتجاوز به في الوصف ويرى أن شعره فوق كل شعر ومنحرف له معاند فهو ينفي عنه حسنه ويعيب مختاره ويستقبح المعاني الظريفة التي سبق اليها وتفرد بها (وذكر) عبد الله بن الحسن بن سعدان عن المبرد قال كنت في مجلس القاضي أبي اسحق واسمعيل بن اسحق وحضر جماعة سماهم منهم الحارثي الذي قال فيه علي بن الجهم الشامي لم يطلعا الا لآبدة * الحارثي وكوكب الذنب فجرى ذلك الشعر وان كان الكلام تسلسل الى ذكر أبي تمام وشعره وان الحارثي أشد الناس لابي تمام معاتبة أحسن فيها وأن المبرد استحيا أن يستعيد الحارثي الشعر أو يكتبه منه لاجل القاضي قال ابن سعدان فاعلمت المبرد أني أحفظ الشعر فانشدته اياه فاستحسنه واستعاده مني مرارا حتى حفظه مني وهو جعلت فداك عبد الله عبدي * تعقب النأي عنه والبعاد له لمة من الفتيان بيض * قضوا حق الصداقة والوداد دعوتهم عليك وكنت ممن * يعينه على الفقر الجياد قال وسألته عن أبي تمام والبحتري أيهما أشعر قال لابي تمام استخراجات لطيفة ومعان ظريفة وجيده أجود من شعر البحتري

٣٠٧

ومن شعر من تقدمه من المحدثين وشعر البحتري أحسن استواء من أبي تمام لان البحتري يقول القصيدة كلها فتكون سليمة من طعن طاعن أو عيب عائب وأبو تمام يقول البيت النادر ويتبعه البيت السخيف وما أشبهه الا بغائص البحر يخرج الدرة والمخشلبة في نظام واحد وأغنى ثقة هو وكثير من الشعراء من البخل باشعارهم والا فلو أسقط من شعره على كثرة عدده ما أنكر منه لكان أشعر نظرائه فدعاني هذا القول منه الى أن قرأت عليه شعر أبي تمام وأسقطت خواطئه وكل ما ذم من شعره وأفردت جيده ووجدت ما يتمثل به ويجري على ألسنة العامة وكثير من الخاصة مائة وخمسين بيتا ولا أعرف شاعرا جاهليا ولا اسلاميا يتمثل له بهذا المقدار من الشعر ثم قال المبرد وبالبحتري يختم الشعر وأنشدني له بيتين زعم المبرد أنهما لو اضيفا الى شعر زهير لجاز أفيه وهما

وماسفه السفيه وان تعدى * بانجع فيك من حلم الحليم

متى احفظت ذا كرم تخطى * اليك ببعض أفعال اللئيم

قال وكان عماد كرنا من شعر البحتري في هذا المجلس وقدمه محمد بن يزيد على نظرائه قوله في بني صاعد بن مخلد

واذا رأيت مخايل ابني صاعد * ادت اليك مخايل ابني مخلد * كالفرقدين اذا تامل ناظر

٣٠٨

لم يعل موضع فرقد من فرقد

وقوله

من شاكر عني الخليفة للذي * أولاه من برومن احسان

حتى لقد أفضلت من افضاله * ورأيت نهج الجود حيث يراني

أغنت يداه يدي وشرد جوده * بخلي فافقرني كما أغناني

ووثقت بالخلق الجميل معجلا * منه وأعطيت الذي أعطاني

وقوله

وددت بياض السيف يوم لقيتني * مكان بياض الشيب كان بمفرقي

وقال

كن اذا زرت حاضر القلب واحذر * أن تمل المزور أو أن تطيلا

لا تثقل على جليس وخفف * ان من خف عده شخصا نبيلا

وقال

من خلا عن حاسد قد * مات في الاحياء ذكره

انما الحاسد كالنا * ر لعود طاب نشره

لا عدمنا حاسدا في * نعمة ليست تسره

وقال

حبيبك من يغار اذا زللتا * ويغلظ في الكلام متى اساتا

يسر ان اتصفت بكل فضل * ويحزن ان نقصت أو انتقصتا

ومن لا يكترث بك لا يبالي * أحدت عن الصواب ام اعتدلتا

وقال

لن لمن تخشى اذاه * والقه في باب داره

انما الدنيا مدارا * ة فمن تخشاه داره

وقال

حسد الحاسد رحمه * لا يرى الا لنعمه

انما الحاسد يشكو * حر أكباد وغمه

لا عدمنا حاسدا في * نعمة تكثر همه

وقال

تبديل شخص بشخص * خسران الاثنين جمله

فاشدد يديك على من * عرفت وارفع محله

فان قطع خليل * بعد التواصل زله

وقال

انت بخير ما تركت الفهو ر * والقال والقيل وطرق الشرور

وقوله دنوت تواضعا وعلوت قدرا * فشأناك انحدار وارتفاع

كذاك الشمس تبعد أن تسامى * ويدنو الضوء منها والشعاع

وقوله في الفتح بن خاقان وقد نزل الى أسد فقتله

حملت عليه السيف لا عزمك انثنى * ولا يدك ارتدت ولا حده نبا

فاحجم لما لم يجد فيك مطمعا * وصمم لما لم يجد منك مهربا

وكنت متى تجمع يمينك والعلا * لدى ضيغم لم تبق للسيف مضربا

وقوله ما زال صرف الدهر يؤيس صفقتي * حتى رهنت على المشيب شبابي

وقوله في المنتصر

وان عليا لاولى بكم * وأزكى يدا عندكم من عمر

وكان له فضله والحجو * ل يوم البراذين قبل الغرر

وقوله تعيب الغانيات علي شيبي * ومن لي أن أمتع بالمشيب

ثم ذكر انتقاض الصلح بين عشيرته فقال

اذا ما الجرح رم على فساد * تبين فيه تفريط الطبيب

وللسهم الشريد أخف عبأ * على الرامي من السهم المصيب

وقوله وما منع الفتح بن خاقان نيله * ولكنها الايام تعطي وتحرم

سحاب خطاني جوده وهو مسبل

وبحر عدانى فيضه وهو مفعم * أأشكو نداه بعد أن وسع الورى * ومن ذا يذم الغيث الا مذمم

وذكر محمد بن الازهر قال كان ابراهيم بن المدبر مع محله فى العلم والادب والمعرفة يسىء الرأى فى أبى تمام ويحلف أنه لا يحسن شيأ قط فقلت له يوما ما تقول فى قوله

غدا الشيب مختطا بفودى خطة * سبيل الردى منها الى النفس مهيع
هو الزور يجفو والمعاشر يجتوى * وذو الالف يقلى والجديد يرقع
له منظر فى العين أبيض ناصع * ولكنه فى القلب أسود أسفع
ونحن نزجيه على الكره والرضا * وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع

وفيمن يقول
فان ترم عن عمرو تداعى به المدى * فخانك حتى لم تجد فيه منزعا
فما كنت الا السيف لاقى ضريبة * فقطعها ثم انثنى فتقطعا

وفيمن يقول
شرف على أول الزمان وانما الشرف المناسب ما يكون كريما

وفيمن يقول
اذا أحسن الاقوام أن يتطاولوا * بلا نعمة أحسنت أن تتطولا

وفيمن يقول
مطر لى الحياة والمال لا ألقاك الا مستوهبا أو وهوبا

قال فوالله لكأنى أغريت ابن المدبر بأبى تمام حتى سبه ولعنه فقلت اذ فعلت ذلك لقد حدثنى عمر بن أبى الحسين الطوسى الراوية أن أباه وجه به الى ابن الاعرابى يقرأ عليه أشعار هذيل فمرت بنا أراجيز فانشدته أرجوزة لابى تمام لم أنسبها اليه وهى

وعاذل عذلته من عذله * فظن أنى جاهل من جهله
ما غبن المغبون مثل عقله * من لك يوما بأخيك كله
لبست ريعانى فدعنى ابله * وملك فى كبره ونبله
وسوقة فى قوله وفعله * بذلت مدحى فيه باغى بذله
فخر حبل أملى من وصله * من بعد ما استغذ بنى بعطله
ثم اعتدى معتديا بجهله * ذا عنق فى الجهل لم يخله
يلحظنى فى جده وهزله * يعجب من تعجبى من بخله
لحظ الاسير حلقات كبله * حتى كأنى جئته بعذله
يا واحدا منفردا بعدله * أكسبته المال فلا تمله
ما يصنع الغمد بغير نصله * والمدح ذم ما لم يكن فى أهله

فقال لابنه اكتبها فكتبها على ظهر كتاب من كتبه فقلت له جعلت فداك انها لابى تمام فقال خرق خرق وهذا من ابن المدبر

من خاض بحرا فهو لا بد يبتل ومن يجر يصبه العثور
سلامة المرء اشتغال عما * يهمه لنفسه من أمور

وقال
انت حر ما تركت الطمعا * وعزيز ما تبعت الورعا
وكفى بالعز مع حرية * شرفا يختاره من قنعا

وقال
خل بنيات الطرق * ووافق الناس تفق
من خالف الناس أتى * أعظم أبواب الحمق
فكن مع الناس فتر * لجملة الناس خرق

وقال
لا تضق صدرا بحاسد * فهو فى نار يكابد
من يرى أنك خير * منه تعروه شدائد
انما الحاسد شقى * وهو لا يحظى بعائد

وقال
من يستمع فى صديق قول ذى حسد * لا شك يقصيه فاحذر غيلة الحسد
يهابك الناس ما تدنى الصديق فان * أقصيته زدت للاعداء فى العدد

وقال
كم من أخ صحبته * والنفس عنه راغبه
خشيت ان فارقته * بالهجر سوء العاقبه

وقال
اذا كانت عيوبك عند نقد * تعد فانت أجدر بالكمال
متى سلمت من النقد البرايا * وحسبك ما تشاهد فى الهلال

وقال
اذا انطوت القلوب على فساد * فان الصمت ستر أى ستر

واذا ما أردت كنت رشاء
واذا ما أردت كنت قليبا
والقائل
خشع والصولتك التى
ودتهم
كالموت يأتى ليس فيه عثار
فالمشى همس والنداء
اشارة
خوف انتقامك والحديث
سرار
أيامنا معقودة أطرافها
بك والليالى كلها أسحار
تبدى عقابك للعصاة
ويغتدى
رفقا الى زوارك الزوار
وفيمن يقول
اذا أوهدت أرضا كان فيها
رضاك فلا تحن الى رباها

قبيح من عمله لان الواجب أن لا ندفع احسان محسن عدوا كان أو صديقا وأن تؤخذ الفائدة من الوضيع والرفيع فقد روى
عن أمير المؤمنين أنه قال الحكمة ضالة المؤمن فخذ ضالتك ولو من أهل الشرك * وقد ذكر عن بزرجمهر وكان من حكماء الفرس
وقد قدمنا ذكره فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار ملوك ساسان وهم الفرس الثانية أنه قال أخذت من كل شئ أحسن
ما فيه حتى من الكلب والهرة والخنزير والغراب قيل ما أخذت من الكلب قال الفه لاهله وذبه عن صاحبه قيل فما أخذت
من الغراب قال شدة حذره قيل فمن الخنزير قال بكوره فى حوائجه قيل فمن الهرة قال حسن نغمتها وتملقها لاهلها عند المسئلة
ومن عاب مثل هذه الاشعار التى ترتاح لها القلوب وتحرك بها النفوس وتصغى اليها الاسماع وتشحذ بها الاذهان ويعلم كل
من له قريحة وفضل ومعرفة أن قائلها قد بلغ فى الاجادة أبعد غاية وأقصى نهاية فانما غض من نفسه وطعن على معرفته
واختياره (وقد روى) عن ابن عباس انه قال الهوى اله معبود واحتج بقوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه * ولابى تمام
أشعار حسان ومعان لطاف واستخراجات بديعة (وحكى) عن بعض العلماء بالشعر أنه سئل عن أبى تمام فقال كانه جمع شعر
العالم فانتخب جوهره وقد كان ٣١٠ أبو تمام ألف كتابا وسماه الحماسة وفى الناس من يسميه كتاب الحبية انتخب
فيه شعر الناس ظهر بعد
وفاته وقد صنف أبو بكر
الصولى كتابا جمع فيه
أخبار أبى تمام وشعره
وتصرفه فى أنواع علومه
ومذاهبه واستدل الصولى
على ما وصف عن أبى تمام
بما يوجد من شعره من ذلك
قوله فى صفة الخمر
جهمية الاوصاف الا انهم
قد لقبوها جوهر الاشياء
وقد رثته الشعراء بعد
وفاته والادباء من اخوانه
منهم الحسن بن وهب
الكاتب وكان شاعرا
ظريفا له حظ فى المنثور
والمنظوم فقال

سقى بالموصل الجدث الغريبا * سحائب ينتحبن له نحيبا اذا أطللنه أطلان فيه * شعيب المزن يتبعها شعيبا وقال
ولطمت البروق به خدودا * وشققت الخدود لها جيوبا فان تراب ذاك القبر يحوى * حبيبا كان يدعى لى حبيبا
لبيبا شاعرا فطنا أديبا * أصيل الرأى فى الجلى أريبا اذا شاهدته روّاك فيما * يسرك رقة منه وطيبا
أبا تمام الطائى ماذا * لقينا بعدك العجب العجيبا فقدنا منك علقا لا ترانا * نصيب له مدى الدنيا ضريبا
وكنت أخا لنا أبدى الينا * ضمير الود والنسب القريبا فلما بنت كدرت الليالى * قريب الدار والاقصى الغريبا
فابدى الدهر أقبح صفحتيه * ووجها كالحا جهما قطوبا فأحرِ بأن يطيب الموت فيه * وأحر بعيشنا أن لا يطيبا
وللعسن أشعار حسان ومعان جياد منها قوله أبت مقلتاك لفرط الحزن * عليك الرقاد وبرد الوسن
وحق لعينيك أن لا تناما * وقلبك مختلس مرتهن وبين الجوانح داء دفين * لعمرك مستتر قد كمن
نجى الهموم وقرن الكلوم * ووهى الحلوم وبعد الوطن شديد النفار كثير العثار * خليع العذار يجر الرسن

فلا تنطق وقلبك فيه شئ * بغير الحق واحذر قول شر
وقال ان كنت لا تنصر الصديق فدع * سماعك القول فيه واجتنب
سماع عرض الصديق منقصة * لا يرتضيها الكريم ذو الحسب
وقال أنت فى الناس تقاس * بالذى اخترت خليلا
فاصحب الاخيار تعلو * وتنل ذكرا جميلا
صحبة الخامل تكسو * من يواخيه خمولا
وقال اسمح يزنك السماح * ان السماح رباح
لا تلق الا ببشر * فالبشر فيه النجاح
تقطيبك الوجه جد * أجل منه المزاح
وقال من كنت تعرفه كن فيه متئدا * يكفيك من خلقه ما أنت تعرفه
لا تبغ من أحد عرفته أبدا * غير الذى كنت منه قبل تألفه
وقال حاسب حبيبك كالعدو تدم له * منك المحبة فالتناصف روحها
من كان يغمض فى حقوق صديقه * نقصت مودته وشيب صريحها
وقال تغافل فى الامور ولا تناقش * فيقطعك القريب وذو المودة
مناقشة الفتى تجنى عليه * وتبدله من الراحات شدة
وقال ان شئت تعرف نعمة الله التى * أولاك فانظر كل من هو دونكا
لا تنظر الاعلى فتنسى ما الذى * لك من من الضعفاء يستجدونكا

أفي كل يوم تطيل الوقوف * تناجي الديار وتبكي الدمن وتستخبر الدار عن أهلها * وتذري الدموع على من ظعن
كأنك لم ترتضي ما مضى * من الدهر ذا صبوة مفتتن عذرتك أيام شرخ الشباب * وفرعك فرع نضير الغصن
فأما وقد زال ظل الشباب عنك * وولى كأن لم يكن والبسك الشيب بعد الشباب * قناع بياض كلون القطن
وصرت قذى في عيون الحسان * يخلنك عهدا وان لم تخن ويصدفن عنك اذا رمتهن * وكنت لهن زمانا سكن
فمالك عذر وأنت امرؤ * بعافيه رشدك طب فطن وفي خلافة الواثق مات على بن الجعد مولى بني مخزوم وكان من
علية أصحاب الحديث وأهل النقل وذلك في سنة ثلاثين ومائتين وفي سنة احدى وثلاثين ومائتين قتل الواثق أحمد بن نصر
الخزاعي في المحنة على القرآن (قال المسعودي) وكان يحضر مجالس الواثق فتى برسم الندماء يقوم قائما لصغر سنه ولم يكن لذلك
يلحق في الجلوس بمراتب ذوي الاسنان وكان ذكيا أذونا له في الافاضة مع الجلساء في كل ما يعرض لهم الكلام فيه والتكلم
بما يسنح ويختلج في صدره من مثل سائر وبيت نادر وحديث ممتع وجواب مسرع قال وكان الواثق من شدة الشهوة للطعام
والنهمة فيه على الحالة المشهورة المتعالية فقال لهم الواثق يوما ما تختارون من النقل فبعض قال نبات السكر

و بعض قال رمان و بعض قال تفاح و بعض قال قصب السكر ينضح بماء الورد وبعض اخر جنسه الفلسفة الى النقض فقال ملح يغلى وبعض قال صبر يعمي عذاب النبيذ ويجلي على سورة الشراب ومرارة النقل قال ماصنعتم شيأ ولكن ما تقول أنت يا غلام قال خشكنانج مشير فوافق ذلك ما في نفس الواثق وقال أصبت وأحسنت بارك الله لك وكان ذلك أول جلوسه وقيل ان أبا جعفر محمد بن على بن موسى الرضا عليهم الرضوان توفي في خلافة الواثق وقد بلغ من السن

ما قدمناه في خلافة المعتصم من هذا الكتاب وقيل انه كتب الى الواثق يا أمير المؤمنين ليس من أحد وان ساعدته المقادير
بمستخلص غضارة عيش الامن خلال مكروه ومن ترك معاجلة الدرك انتظار مؤاجلة الاشياء سلبته الايام فرصته فان شرط
الزمان الآفات وحكم الدهر السلب وفي سنة ثلاثين ومائتين وذلك في خلافة الواثق توفي عبد الله بن طاهر في ربيع الاول من
هذه السنة وفيه يقول الشاعر وقت كون عبد الله بن طاهر بمصر

يقول أناس ان مصر بعيدة * وما بعدت مصر وفيها ابن طاهر * وأبعد من مصر رجال تراهم
بحضرتنا معروفهم غير حاضر * عن الخير موتى ما تبالي أزرتهم * على طمع أم زرت أهل المقابر

وكان الواثق محبا للنظر مكرما لاهله مبغضا للتقليد وأهله محبا للاشراف على علوم الناس وآرائهم ممن تقدم وتأخر من الفلاسفة
والمتطببين فجرى بحضرته أنواع من علومهم في الطبيعيات وما بعد ذلك من الالهيات فقال لهم الواثق قد أحببت أن أعلم كيفية
ادراك معرفة الطب ومأخذ أصوله أذلك من الحس أم من القياس والسنة أم يدرك من جهة العقل أم علم ذلك وطريقه

وقال عجبا أن ترى قبيح سواكا * وتعادي الذي يرى منك ذاكا
لو تناصفت كنت تنكر ما فيك وترضى الوصاة ممن نهاكا
وقال جرب الناس ما استطعت تجدهم * لا يرى الشخص منهم غير نفسه
فالسعيد السعيد من أخذ العفو وداري جميع أبناء جنسه
وقال فرط حب الشيء يعمي ويصم * فليكن حبك قصد الايصم
نقص عقل أن يغطي حسك الحب أو يلهيك عن أمر مهم
وقال سلم وغض احتسابا * فذا هو اليوم أسلم
النقد نار تجلى * في القلب جمرا تضرم
فاطو اعتراضك واغفل * عن عيب غيرك تسلم
وقال عدة الكريم عطية * لامطل في عدة الكريم
المطل تحريض العدا * ة وذاك من فعل اللئيم
فدع المطال اذا وعدت فانه * عمل ذميم
وقال من تناسى ذنوبه قتلته * وابانت عنه الولي الحميما
ذكرك الذنب نفرة عنه تبقى * لك انكار فعله مستديما
وقال عجبا لمادح نفسه لايهتدي * لتنقص يبديه فيه مدحها
مدح الفتى عند التحدث نفسه * ذكرى معايبه فيدري قبحها
وقال من حسنت أخلاقه عاش في * نعمى وفي عز هني وود

يعلم عندكم من جهة السمع كما يذهب اليه جماعة من أهل الشريعة وقد كان ابن بختيشوع وابن ماسويه ومنهم اثيل فيمن حضر وقيل ان حنين بن اسحق وسلمويه فيمن حضر فى هذا المجلس فقال منهم قائل زعم طوائف من الاطباء وكثير من متقدميهم أن الطريق الذى يدرك به الطب هو التجربة فقط وحدوه بان يتكرر الحس على محسوس واحد فى أحوال متغايرة فيوجد بالحس فى آخر الاحوال كما وجد فى أولها والحافظ لذلك المجرب وزعموا أن التجربة ترجع الى مبادئ أربعة هن لها أوائل ومقدمات وبها علمت وصحت واليها تنقسم التجربة فصارت بذلك أجزاءها فزعموا ان قسما من تلك الاقسام طبيعي وهو ما تفعله الطبيعة فى الصحيح والمريض من الرعاف والعرق والاسهال والقىء التى تعقب فى المشاهدة منفعة أو ضررا وقسما اراديا وهو ما يقع من قبل النفس الناطقة وذلك كمثل منام يراه الانسان وهو أن يرى كأنه عالج مرضا به علة مشاهدة معقولة بشئ من الاشياء معروف فيبرأ ذلك المريض من مرضه أو يخطر مثل ذلك بباله فى حال فكره فيتردد ويغلب ظنه بطبه فيعبر به بان يفعله كما يرى فى منامه فيعده كما يرى أو يخالف ذلك ويفعله مرارا فيجده كذلك وقسما هو نقل وهو على ثلاثة أقسام اما أن ينقل الدواء الواحد من مرض الى مرض يشبهه وذلك كالنقلة من ورم الحمرة الى الورم المعروف بالنملة واما من عضو الى عضو يشبهه وذلك كالنقلة من السفرجل الى الزعرور فى علاج انطلاق البطن وكل ذلك لا يعمل به عندهم الا بالتجربة وذهب طائفة أخرى منهم الى أن الحيلة فى تقريب أمر صناعة الطب وتسهيلها أن ترد أشخاص من العلل ومولداتها الى الاصول الحاصرة الجامعة لها اذا كان لا غاية لتولدها وأن يستدل على الدواء من نفس الطبيعة والمرض الحاضر الموجود فى الحال والوقت دون الاسباب الفاعلة التى عدمت ودون الازمان والاوقات والاسباب والعادات ومعرفة طبائع الاعضاء وحدودها والزموا التحفظ بكل ما يكون فى كل علة وجدت ولم توجد وبرهنوا بان زعموا أن من المعلومات الظاهرة التى لا ريب فيها أن الضدين لا يجوز اجتماعهما فى حال وأن وجود أحدهما ينفى الآخر فى الحال لا محالة قالوا وليس هذا كشئ ظاهر يستدل به على كل شئ خفى والشئ الظاهر يحتمل الوجود فيختلف الاستدلال فيكون القطع على ما يوجبه غير بين وهذا قول جماعة من حذاق المتطببين وأهل التقدم فى اليونانيين مثل ماسوس وساساليس وغيرهما وهم قوم يعرفون باصحاب الطب الحيلى قال الواثق لهم جميعا فاخبرونى عن جمهورهم الاعظم الام يذهبون فى ذلك فقالوا القياس قال وكيف ذلك قالوا جميعا زعمت هذه الطائفة أن الطريق والقانون الى معرفة الطب مأخوذ من مقدمات أولية فمنها معرفة طبائع الابدان والاعضاء وأفعالها ومنها معرفة الابدان فى الصحة والمرض ومعرفة الاهوية واختلافها والاعمال والصنائع والعادات والاطعمة والاشربة والاسفار ومعرفة قوى الامراض وقالوا ثبت فى الشاهد أن الحيوان يختلف فى صورته وطباعه وكذلك أعضاؤه مختلفة فى طباعها وصورها وأن الاجساد الحيوانية

ومن تسؤ للخلق أخلاقه * يعش حقيرا فى هموم وكد

وقال
من كان يحمى فاسه صارذا * عز وهابته نفوس البشر
ومن يكن يخذل أحبابه * هان ومن هان فلا يعتبر

وقال
قارب وسددا اذا ما كنت فى عمل * ان الزيادة فى الاعمال نقصان
ما خالف القصد فى كل الامور هوى * نفس وكل هوى شؤم وحرمان

وقال
بقدر همته يعلو الفتى أبدا * لا خير فى خامل الهمات ممتهن
هيهات يعلو فتى خمول همته * يقوده لابتذال النفس والمهن

وقال
اصحب ذوى الجدة وارغب عن الـسخيفة فالصحبة داداؤها
وانظر الى قول نبى الهدى * خيار أمتى أحداؤها

وقال
ما صديق الانسان فى كل حال * يا أخى غير درهم يقتنيه
لا تعول على سواه فتغدو * خائب القصد دون ما تبتغيه

وقال
يستفز الهوى للانسان حتى * لا يرى غير محنة أو ضلال
و يرى الرشد غير رشد ويغدو * يحسب الحق من ضروب المحال

وقال
لا تبالغ فى الشر مهما استطعنا * وتغافل واحلم اذا ما قدرنا
فانقلاب الامور أسرع شئ * وتجازى بضعف ما قد صنعنا

وقال
مثل عواقب ما تأتى وما تذر * واحذر فقد ترتجى أن ينفع الحذر
لا تقدمن على أمر بلا نظر * فان ذلك فعل كله خطر

تتغير بالاهوية المحيطة بها وبالحركة والسكون والاغذية من المأكول والمشروب والنوم واليقظة واستفراغ ما يخرج من الجسد واحتباسه من الاعراض النفسانية من الغم والحزن والغضب والهم قالوا والغرض بالطب هو تدبير الاجسام وحفظ الصحة الموجودة في البدن الصحيح واجتلابها للعليل فالواجب أن يكون حفظ الصحة انما هو بمعرفة الاسباب المصحة فالواجب على الطبيب لا محالة من هذه المقدمات التي قد صحت اذا أراد علاج المريض النظر في طبائع الامراض والابدان والاغذية والعادات والازمان والاوقات الحاضرة والاسباب ليستدل بجميع ذلك وهذا يا أمير المؤمنين قول ابقراط وجالينوس فيمن تقدم وتأخر عنهم قالوا وقد اختلفت هذه الطائفة في كثير من الاغذية والادوية مع اتفاقهم على ما وصفنا وذلك لاختلافهم في كيفية الاستدلال فمنهم من زعم أنه يستدل على طبيعة الشيء من الاغذية والادوية بطعمه أو ريحه أو لونه أو قوامه أو فعله وتأثيره في الجسد وزعموا أن الوثيقة في الاستدلال بالاجزاء اذا كانت الالوان والارايح وسائر ما ذكرنا من أفعال الطبائع الاربع كالاسخان والتبريد والتليين فعل لها وزعمت طائفة أخرى منهم أن أصح الشهادات وأثبت القضايا في الحكم على طبيعة الدواء والغذاء ما أخذ من فعله في الجسد دون الطعم والرائحة وما سوى ذلك فان الاستدلال بما سوى الفعل والتأثير لا يقطع به ولا يعول على طبيعة الدواء المفرد والمركب قال الواثق لحنين من بين الجماعة ما أول آلات الغذاء من الانسان قال أول آلات الغذاء الفم وفيه الاسنان والاسنان اثنتان وثلاثون سنا منها في اللحي الاعلى ستة عشر سنا وفي اللحي الاسفل كذلك ومن ذلك أربعة في كل واحد من اللحيين عراض محددة الاطراف تسميها الاطباء من اليونانيين القواطع وذلك أن بها يقطع ما يحتاج الى قطعه من الاطعمة اللينة كما يقطع هذا النوع من المأكل بالسكين وهي الثنايا والرباعيات وعن جنبي هذه الاربعة في كل واحد من اللحيين سنان رؤسهما حادة وأصولهما عريضة وهي الانياب وبها يكسر كل ما يحتاج الى تكسيره من الاشياء الصلبة مما

فعمدة العاقل التفكير والنظر	وانظر وفكر لما ترجو توقعه
وقال: يشينها من كل ما	حافظ على نفسك من خلل أو زلل
تنجو به من قول أو عمل	واحرص على تخليصها بالذي
وقال: وكلاهما وحياكها زهو	سكر الولاية ماله صحو
فاذا انقضت نابه شجو	يهذي الفتى أيام عزتها
وزمانها فتبوتها محو	فحذار لا تغرر لك صولتها
وقال: فانه سبب للبغض ما وجدا	دع الجدال ولا تحفل به أبدا
قرير عين اذا لم تعترض أحدا	سلم تعش سالما من كل متعبة
وقال: تشمت به ولتسل من ربك العافيه	اذا ترى المبتلى اشكر أن تحوت ولا
كما تراه وما تقيك من واقيه	وخف من أن تبتلى كما ابتلى فترى
وقال: تقضها في السهو والغفلة	العمر ساعات تقضى فلا

يؤكل وعن جنبي النابين في كل واحد من اللحيين خمس اسنان أخر عوارض خشن وهي الاضراس ويسميها اليونانيون الطواحن لانها تطحن ما يحتاج الى طحنه مما يؤكل وكل واحد من الثنايا والرباعيات والانياب له أصل واحد وأما الاضراس فما كان منها في اللحي الاعلى فله ثلاثة أصول خلا الضرسين الاقصيين فانه ربما كان لكل واحد منهما أصول أربعة وما كان من الاضراس في اللحي الاسفل فلكل واحد منها أصلان خلا الضرسين الاقصيين فانه ربما كان لكل واحد منهما أصول ثلاثة وانما احتيج الى كثرة أصول الاضراس دون سائر الاسنان لشدة قوة العمل بها وخصت العليا منها بالزيادة في الاصول لتعلقها بأعلى الفم قال الواثق أحسنت فيما ذكرت من هذه الآلات فصنف لي كتابا تذكر فيه جميع ما يحتاج الى معرفته من ذلك فصنف له كتابا جعله ثلاث مقالات يذكر فيه الفرق بين الغذاء والدواء والمسهل وآلات الجسد (وقد ذكر) أن الواثق سأل حنينا في هذا المجلس وفي غيره عن مسائل كثيرة وأن حنينا أجاب عن ذلك وصنف في كل ذلك كتابا ترجمه بكتاب المسائل الطبيعية يذكر فيه أنواعا من العلوم فكان مما سأل الواثق حنينا من المسائل وقيل بل أحضر له نديما من ندمائه فكان يسأله بحضرته والواثق يسمع ويتعجب مما يورده السائل الى أن قال فما الاشياء المغيرة للهواء قال حنين خمس وهي أوقات السنة وطلوع الكواكب وغروبها والرياح والبلدان والبحار * قال السائل فكم هي أوقات السنة قال أربع الربيع والصيف والخريف والشتاء فمزاج الربيع معتدل في الحرارة والرطوبة ومزاج

الصيف حار يابس ومزاج الخريف بارد يابس ومزاج الشتاء بارد رطب * قال السائل أخبرني عن كيفية تغيير الكواكب للهواء قال ان الشمس متى قربت منها أو قربت هي من الشمس كان الهواء أزيد سخونة وخاصة كلما كانت أعظم ومتى بعدت الشمس أو بعدت هي من الشمس كان الهواء أزيد بردا قال أخبرني عن كمية أعداد الرياح قال أربع الشمال والجنوب والصبا والدبور فأما قوة الشمال فباردة يابسة وأما الجنوب فحارة رطبة وأما الصبا والدبور فمعتدلان غير أن الصبا أميل الى الحرارة واليبس والدبور أميل الى البرودة والرطوبة من الصبا * قال فأخبرني عن أحوال البلدان في ذلك قال هي أربعة الاول الارتفاع والثاني الانخفاض والثالث مجاورة الجبال والبحار والرابع طبيعة تربة الارض والنواحي أربع وهي الجنوب والشمال والمشرق والمغرب فناحية الجنوب أسخن وناحية الشمال أبرد وأما ناحيتا المشرق والمغرب فمعتدلتان واختلاف البلدان بارتفاعها يجعلها أبرد وانخفاضها يجعلها أسخن والبلدان تختلف بحسب مجاورة الجبال لها لان الجبل متى كان من البلد في ناحية الجنوب جعل ذلك البلد أزيد بردا لانه يستره من الرياح الجنوبية وانما تهب فيه الريح الشمالية فقط ومتى كان الجبل من البلد في ناحية الشمال جعل ذلك البلد أسخن * قال فاخبرني عن اختلاف البلدان عند مجاورتها البحار كيف اختلفت قال حين ان كان البحر من البلد في ناحية الجنوب فان ذلك البلد يسخن ويرطب وان كان في ناحية الشمال كان ذلك البلد أبرد * قال السائل فاخبرني عن البلدان كيف اختلفت بحسب طبيعة تربتها قال ان كانت أرضها حجرية جعلت ذلك البلد أبرد وأجف

وان كانت طينا جعلته أبرد وأرطب * قال فلم اختلف الهواء من قبل البحار قال اذا جاورت نقائع ماء أو جيفا أو بقولا عفنة أو غير ذلك مما يعفن تغير هواؤها * فلما كثر هذا الكلام من السائل والمجيب أضجر ذلك الواثق فقطع ذلك وأجاز كل واحد ممن حضر * ثم أمرهم أن يخبر كل واحد منهم عما حضره في الزهد في هذا العالم الذي هو عالم الدثور والفناء والغرور فذكر كل واحد منهم ما سنح له من الاخبار عن زهد الفلاسفة من اليونانيين والحكماء المتقدمين كسقراط وابدأ ودوجانس * قال الواثق قد أكثرتم فيما وصفتم وقد أحسنتم الحكاية فيما ذكرتم فليخبرني كل واحد عن أحسن ما سمع من نطق الحكماء الذين حضروا وفاة الاسكندر وقد جعل في التابوت الاحمر فقال بعضهم يا أمير المؤمنين كل ما ذكروه حسن وأحسن ما نطق به من حضر ذلك المشهد من الحكماء دوجانس وقد قيل انه لبعض حكماء الهند فقال ان الاسكندر أمس انطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه امس وأخذ هذا المعنى من قول الحكيم أبو العتاهية حيث قال

كفى حزنا بدفنك ثم أني * نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

فاشتد بكاء الواثق وعلا نحيبه وبكى كل من حضر من الناس ثم قام من فوره ذلك وهو يقول

وصروف الدهر في تقديره * خلقت فيها انخفاض وانحدار
بينما المرء على اعلائها * اذهوى في هوة منها فحار
انما متعة قوم ساعة * وحياة المرء ثوب مستعار

(قال المسعودي) وللواثق أخبار حسان مما كان في أيامه من الاحداث وما كان يجري من المباحثة في مجلسه الذي عقده للنظر بين الفقهاء والمتكلمين في أنواع العلوم من العقليات والسمعيات في جميع الفروع والاصول وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب في باب خلافة القاهر بن المعتضد جملا من الاخبار في أخلاق الخلفاء من بني العباس لمعنى أوجب ايرادها في باب خلافة القاهر

واعمل لما أنت له صائر * مادمت من عمرك في مهلة
ولا تكن ثاوي لدنيا وقل * لابد لابد من النقلة

وقال
كن رفيقا اذا قدرت حليما * وتغافل تسلك طريقا قويما
لاتظن الزمان يبقى على من * سره أو ينيل عزا لئيما
ان للدهر صولة وانقلابا * ولهذا نعيمه لن يدوما

وقال
من لم يكن ينفع في الشده * فلا تكن معتمدا وده
لاتعتمد الا أخا حرمة * ان ناب خطب تلفه عده
وخل من يهزأ في وده * ولاترى في معضل جده

وقال
أخوك الذي تلفيه في كل معضل * يدافع عنك السوء بالمال والعرض
ويستر ما تأتي من القبح دائما * وينشر ما ترضى وان سؤته يغضى

وقال
لاتنسه عما أنت فاعله * وانظر لما تأتيه من ذنب

*واعتل الواثق فصلى بالناس يوم النحر أحمد بن أبي دواد وكان قاضي القضاة قد عاني خطبته للواثق فقال اللهم اشفه مما ابتليته وقد قدمنا فيما سلف من أخباره في هذا الكتاب فاغنى ذلك عن اعادته *(ذكر خلافة المتوكل على الله)* وبويع جعفر بن محمد بن هرون ولقب بالمنتصر بالله فلما كان في اليوم الثاني لقبه أحمد بن أبي دواد المتوكل على الله وذلك في اليوم الذي مات فيه الواثق أخوه وهو يوم الاربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ويكنى بابي الفضل وبويع له وهو ابن سبع وعشرين سنة وأشهر وقتل وهو ابن احدى وأربعين سنة وتسعة أشهر وتسع ليال وأمه أم ولد لخوارزمية يقال لها شجاع وقتل ليلة الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين *(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)* ولما افضت الخلافة الى المتوكل أمر بترك النظر والمباحثة في الجدال والترك لما كان عليه الناس في أيام المعتصم والواثق وأمر الناس بالتسليم والتقليد وأمر الشيوخ المحدثين بالتحديث واظهار السنة والجماعة واظهر لباس ثياب الملحم وفضل ذلك على سائر الثياب واتبعه من في داره على لبس ذلك وشمل الناس لبسه وبالغوا في ثمنه اهتماما بعمله واصطناع الجيد منها لمبالغة الناس فيها وميل الراعي والرعية اليها فلباقي في أيدي الناس الى هذه الغاية من تلك الثياب يعرف بالمتوكلية وهي نوع من ثياب الملحم نهاية في الحسن والصبغ وجودة الصنع *وكانت أيام المتوكل أحسن أيام وانضرها من استقامة الملك وشمول الناس بالامن والعدل ولم يكن المتوكل ممن يوصف في عطائه وبذله بالجود ولا بتركه وامساكه بالبخل ولم يكن أحد ممن سلف من خلفاء بني العباس ظهر في مجلسه اللعب والمضاحك والهزل مما قد استفاض في الناس تركه الا المتوكل فانه السابق الى ذلك والمحدث له وأحدث أشياء من نوع ما ذكر فاتبعه فيها الاغلب من خواصه وأكثر رعيته فلم يكن في وزرائه والمتقدمين من كتابه وقواده من يوصف بجود ولا افضال أو يتعالى عن مجون وطرب *وكان الفتح بن خاقان التركي مولاه اغلب الناس عليه وأقربهم

وابدأ بنفسك فانهها فاذا * تقفو الصواب فانت ذولب

وقال

ليس الصديق الذي يلقاك مبتسما * ولا الذي في التهاني بالسرور يرى
ان الصديق الذي يولي نصيحته * وان عرت شدة اغنى بما قدرا

وقال

عجبا لمستوف منافع نفسه * ويرى منافع من سواه تصعب
ماذاك الاعدم انصاف ومن * عدم التناصف كيف يرجو يصحب

وقال

من عدم الهمة في راحة * من أمره يكرم أو يهتضم
وانما يشقى أخو همة * فان الانكاد بقدر الهمم

وقال

قلما تنفع المداراة الا * عند أهل الحفاظ والاحساب
من يداري اللئيم فهو كمن يستعمل الدر في نحور الكلاب

وقال

دنياك هذي عرض زائل * تفتن ذا الغرة والغفله
فاعمل لاخراك وقدم لها * مادمت من عمرك في مهله

منه وأكثرهم تقدما عنده ولم يكن الفتح مع هذه المنزلة من الخلافة ممن يرجى فضله ويخاف شره وكان له نصيب من العلم ومنزلة من الادب وألف كتابا في الادب ترجمه بكتاب البستان *وأحدث المتوكل في أيامه بناء لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف بالحيري والكمين والاروقة وذلك أن بعض سماره حدثه في بعض الليالي أن بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بني نصر أحدث بنيانا في دار قراره وهي الحيرة على صورة الحرب وهيئته للهجته بها وميله نحوها لئلا يغيب عنه ذكرها في سائر أحواله فكان الرواق مجلس الملك وهو الصدر والكمان ميمنة وميسرة ويكون في البيتين اللذين هما الكمان من يقرب منه من خواصه وفي اليمين منهما خزانة الكسوة وفي الشمال ما احتيج اليه من الشراب والرواق قد عم فضاؤه الصدر والكمين والابواب الثلاثة على الرواق فسمي هذا البنيان الى هذا الوقت بالحيري والكمين اضافة الى الحيرة واتبع الناس المتوكل في ذلك ائتماما بفعله واشتهر الى هذه الغاية وبايع لبنيه الثلاثة محمد المنتصر بالله وأبي عبد الله المعتز بالله والمستعين بالله وفي ذلك يقول ابن المدبر في ذكره لهذه البيعة

يابيعة مثل بيعة الشجره * فيها لكل الخلائق الخيره
أكدها جعفر وصيرها * الى بنيه الثلاثة البررة

وفي ذلك يقول علي بن الجهم

قل للخليفة جعفر ياذا الندى * وابن الخلائف والائمة والهدى
لما أردت صلاح دين محمد * وليت عهد المسلمين محمدا
وثنيت بالمعتز بعد محمد * وجعلت ثالثهم أعز مؤيدا

وكان استخلاف المتوكل على الله بعد أن استخلف أبو العباس

السفاح بمائة سنة وبعد موت العباس بن عبد المطلب بمائتي سنة وقد قيل غير ذلك والله أعلم على تفاوت التواريخ في كمية
أوقاتهم وعدد سنيهم والزيادة في الايام والشهور والنقصان عن مدة ملكهم وقد كان سخط المتوكل على محمد بن عبد الملك
الزيات بعد خلافته باشهر فقبض أمواله وجميع ما كان له وقلد مكانه أبا الوزير وقد كان ابن الزيات اتخذ للصادرين
والمغضوب عليهم تنورا من الحديد رؤس مساميره الى داخل قائمة مثل رؤس المسال في أيام وزارته للمعتصم والواثق فكان
يعذب الناس فيه فأمر المتوكل بادخاله في ذلك التنور فقال محمد بن عبد الملك الزيات للموكل به أن يأذن له في دواة وبطاقة
ليكتب فيها ما يريد فاستأذن المتوكل في ذلك فأذن له فكتب هي السبيل فمن يوم الى يوم * كأنه ما تريك العين في النوم
لا تجزعن رويدا انها دول * دنيا تنقل من قوم الى قوم قال وتشاغل المتوكل في ذلك اليوم فلم تصل الرقعة اليه فلما كان
الغد قرأها فأمر باخراجه فوجده ميتا وكان حبسه في ذلك التنور الى أن مات أربعين يوما وكان كاتبا بليغا وشاعرا مجيدا وهو
القائل في تحريض المامون على ابراهيم بن المهدي حين خرج عليه ألم تر أن الشئ للشئ علة * يكون له كالنار تقدح بالزند
كذلك جربنا الامور وانما * يدلك ما قد كان قبل على البعد وظني بابراهيم أن فكاكه * سيبعث يوما مثل أيامه النكد
تذكر أمير المؤمنين قيامه * وأيامه في الهزل منه وفي الجد اذا هز أعواد المنابر باسمه * تغنى بليلى أو بمية أو هند
في شعر طويل جدا ومن شعره قوله في مرثيته للمعتصم بالله وظل له سيف انني كأنما * مدامعه من شدة الحزن تذرف
جمانا والبرد تشهد أنه * هو الطيب الاولى الذى كان يعرف أقول ومن حق الذى قلت أنني

أقول وأنني بعد ذاك وأحلف
لما هاب أهل الظلم مثلك
سائسا
ولا أنصف المظلوم مثلك
منصف
وقد أتينا على أخباره وما
استحسن من أشعاره في
الكتاب الاوسط فكانت
أيام أبي الوزير في الوزارة
يسيرة وقد كان اتخذ للوزارة
محمد بن الفضل الجرجاني
ثم صرفه فاستكتب
عبد الله بن يحيى سنة ست وثلاثين ومائتين الى أن قتل وقد أتينا في الكتاب الاوسط على أخباره وقال
واتصاله بالمتوكل وأخبار الفتح بن خاقان (وذكر) محمد بن يزيد المبرد قال ذكرت للمتوكل منازعة جرت بينه وبين الفتح بن خاقان
في تاويل آية وتنازع الناس في قراءتها فبعث الى محمد بن القاسم بن محمد بن سليمان الهاشمي وكانت اليه البصرة فحملني اليه
مكرما فلما اجتزت بناحية النعمانية بين واسط وبغداد ذكر لي أن بدير هرقل جماعة من المجانين يعالجون فلما حاذيته دعتني
نفسي الى دخوله فدخلته ومعي شاب ممن يرجع الى دين وأدب فاذا أنا بمجنون من المجانين قد دنا الي فقلت ما يقعدك بينهم
وأنت بائن عنهم فكسر جفنه ورفع عقيرته وأنشأ يقول ان وصفوني فناحل الجسد * أو فتشوني فابيض الكبد
اضعف وجدي وزاد في سقمي * أن لست اشكو الهوى الى احد وضعت كفي على فؤادي من
حر الاسى وانطويت فوق يدي آه من الحب آه من كبدي * ان لم امت في غد فبعد غد
كأن قلبي اذا تذكرهم * فريسة بين ساعدي اسد فقلت احسنت لله درك زدني فأنشأ يقول
ما اقتل البين للنفوس وما * اوجع فقد الحبيب للكبد عرضت نفسي من البلاء لما * اسرف في مهجتي وفي جلدي
ياحسرتي أن اموت معتقلا * بين اعتلاج الهموم والكمد في كل يوم تفيض معولة * عيني لعضو يموت في جسدي
فقلت احسنت لا فض فوك زدني فأنشأ يقول الله يعلم انني كمد * لا استطيع ابث ما اجد

وقال نصيحة الصديق كنز فلا * تردما حييت نصح الصديق
وخذ من الامور ما ينبغي * ودع من الامور ما لا يليق
وقال أترح ما لم يقيدك حب * أو تمكن في الورى برى لك ذنب
الهوى كله هوان وشغل * والمعاصي ذل يعاني وكرب
وقال هون عليك الامورا * تعش هنيا قريرا
واعلم بان الليالي * تبلي جديدا خطيرا
وتستبيح عظيما * ولا تجير حقيرا
وقال
ألف صديق قليل * والود منهم جميل
كما عدو كثير * اذ ضره لا يزول
فلا تضيع صديقا * فالنفع فيه جليل

نفسانی نفس تضمنها * بلد واخرى حازها بلد واری المقيمة ليس ينفعها * صبر وليس بعينها جلد
وأظن غائبتی كشاهدتی * بمكانها تجد الذی أجد فقلت والله احسنت فاستزدته فقال أراك كلما أنشدتك
استزدتنی وما ذاك الا لفرط أدب وفراق شجن فانشدنی أنت أيضا فقلت للذی معی أنشده فانشأ يقول

عذل و بين وتوديع ومرتحل * أی العيون على ذا ليس تنهمل * تالله ما جلدی من بعدهم جلد
ولا اختزان دموعی منهم بخل * بلى وحرمة ما ألقى من خبل * قلبی اليهن مشتاق وما رحلوا
وددت أن البحار السبع لی مدد * وأن جسمی دموع كلها همل * وأن لی بدلا من كل جانحة
فی كل جارحة يوم النوى مقل * لا در در النوى لو صادفت جبلا * لانهد منها وشيكا ذلك الجبل
الهجر والبين والواشون والابل * طلائع يتراءى أنها الاجل فقال المجنون احسنت وقد حضرنی فی معنى
ما انشدت الی شعر أفانشده قلت هات فانشأ يقول ترحلوا ثم نيطت دونهم سجف * لو كنت املكهم يوما لما رحلوا
يا حادی العيس مهلا كی نودعها * رفقا قليلا فی توديعها الاجل * ما راعنی اليوم شیء غير فقدهم
حتى استقلت وسارت بالدمى الابل * انی على العهد لم انقض مودتهم * فليت شعری وطال الدهر ما فعلوا
قال المبرد فقال الفتى الذی معی ماتوا فقال المجنون آه آه ان ماتوا فسوف اموت وسقط ميتا فما برحت حتى غسل وكفن
وصليت عليه ودفنته ووردت سر من رأى فادخلت على المتوكل وقد عمل فيه الشراب فسئلت عن بعض

وقال دع الحسود تعانيه لظى حسده * حتى تراه التی يموت من كمده
ما للحسود سوى الاعراض عنه وأن * يبقى الی كربه فی يومه وغده
وقال الناس حيث يكون الجاه والمال * فخل عنك ولا تحفل بما قالوا
ودع من يقول العلم قصدهم * أو الصلاح أما تبدو له الحال
انظر لما ذا هم يسعون جهدهم * يبن لك الحق لا يعروه اشكال
وقال توسط فی الامور ولا تجاوز * الى الغايات فالغايات غی
كلا الطرفين مذموم اذا ما * نظرت واخذك المذموم عی
وقال عامل جميع الناس بالحسنى * ان شئت أن تحظى وأن تهنا
لا تسئ يوما الى أحد * فتجمع الراحة والامنا
وقال لا تفكر فالامور مدبر * وارض ما يفعل المهيمن واصبر
أنت عبد وحكم مولاك يجری * بالذی قد قضى عليك وقدر

ما وردت له فاجبت وبين يدی المتوكل البحتری الشاعر فابتدأ ينشده قصيدة يمدح بها المتوكل وفی المجلس أبو العناهية الصيمری فانشد البحتری قصيدته التی أولها
عن أی ثغر تبتسم
وبای طرف تحتكم
حسن يضی بحسنه
والحسن أشبه بالكرم

قل للخليفة جعفر المتوكل بن المعتصم المرتضى ابن المجتبى * والمنعم ابن المنتقم
أما الرعية فهی من * أمان عدلك فی حرم يا بانی المجد الذی * قد كان قوض فانهدم
اسلم لدين محمد * فاذا سلمت فقد سلم تلنا الهدى بعد العمى * بلنا الغنى بعد العدم
فلما انتهى مشى البحتری للانصراف فوثب أبو العنبس فقال يا أمير المؤمنين تأمر برده فقد والله عارضته فی قصيدته هذه
فامر برده فاخذ أبو العنبس ينشد شيئا لولا أن فی تركه بتر الخبر لما ذكرناه وهو

من أی سلح تلتقم * وبای كف تلتطم ادخلت رأس البحتری * ابی عبادة فی الرحم
ووصل ذلك بما اشبهه من الشتم فضحك المتوكل حتى استلقى على قفاه وفحص برجله اليسرى وقال يدفع الى ابی العنبس عشرة
آلاف درهم فقال الفتح يا سيدی البحتری الذی هجی واسمع المكروه ينصرف خائبا قال ويدفع الى البحتری عشرة آلاف درهم
قال يا سيدی وهذا البصری الذی اشخصناه من بلده لا يشركهم فيما حصلوه قال و يدفع اليه عشرة آلاف درهم فانصرفنا
كلنا فی شفاعة الهزل ولم ينفع البحتری جده واجتهاده وحزمه ثم قال المتوكل لابی العنبس أخبرنی عن حمارك ووفاته وما كان
من شعره فی الرؤيا التی اريتها قال نعم يا امير المؤمنين كان اعقل من القضاة ولم يكن له جريرة ولا زلة فاعتل على غفلة فمات منها
فرأيته فيما يرى النائم فقلت له يا حماری الم ابرد لك الماء وانق لك الشعير واحسن اليك جهدی فلم مت على غفلة وما خبرك

قال نعم لما كان في اليوم الذي وقفت على فلان الصيدلاني ثكامه في كذا وكذا مرت بي آتان حسناء فرأيتها فاخذت بمجامع قلبي فعشقتها واشتد وجدي بها فمت كدامنا أسفا فقلت له ياحماري فهل قلت في ذلك شعرا قال نعم وأنشدني

هام قلبي بأتان * عندباب الصيدلاني تيمتني يوم رحنا * بثناياها الحسان

وبخدذي دلال * مثل خدالشنغراني فبهامت ولوعشت اذا طال هواني

قال فقلت ياحماري فما الشنغراني فقال هذا من غريب الحمير فطرب المتوكل وامر الملهين والمغنين أن يغنوا ذلك اليوم بشعر الحمار وفرح في ذلك اليوم فرحا وسرورا لم ير مثله وزاد في تكرمة أبي العنبس وجائزته (وحدث) أبو عبد الله محمد بن عرفة النحوي قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال قال المتوكل لأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم مايقول ولد أبيك في العباس بن عبد المطلب قال وما يقول ولد أبي يا أمير المؤمنين في رجل افترض الله طاعة بنيه على خلقه وافترض طاعته على بنيه فامر له بمائة ألف درهم وانما أراد أبو الحسن طاعة الله على بنيه فعرض وقد كان سعي بابي الحسن علي بن محمد الى المتوكل وقيل له ان في منزله سلاحا وكتبا وغيرها من شيعته فوجه اليه ليلا من الاتراك وغيرهم من هجم عليه في منزله على غفلة ممن في داره فوجد في بيت وحده مغلق عليه وعليه مدرعة من شعر ولا بساط في البيت الا الرمل والحصى وعلى رأسه ملحفة من الصوف متوجها الى ربه يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد فاخذ على ماوجد عليه وحمل ٣٦٨ الى المتوكل في جوف الليل فمثل بين يديه والمتوكل يشرب وفي يده كاس فلما رآه اعظمه وأجلسه الى جنبه ولم يكن في منزله شئ مما قيل فيه ولا حالة يتعلل عليه بها فناوله المتوكل الكاس الذي في يده فقال يا أمير المؤمنين ماخامر لحمي ودمي قط فاعفني منه فعافاه وقال أنشدني شعرا أستحسنه فقال اني لقليل الرواية للاشعار فقال لابد أن تنشدني فأنشده

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم * غلب الرجال فما اغنتهم القلل واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم * فاودعوا حفرا يا بئس مانزلوا

ناداهم صارخ من بعد ماقبروا * أين الاسرة والتيجان والحلل أين الوجوه التي كانت منعمة * من دونها تضرب الاستار والكلل

فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل قد طالما أكلوا دهرا وماشربوا * فاصبحوا بعد طول الاكل قد أكلوا

وطالما عمروا دورا لتحصنهم * ففارقوا الدور والاهلين وانتقلوا وطالما كنزوا الاموال وادخروا * فخلفوها على الاعداء وارتحلوا

أضحت منازلهم قفرا معطلة * وساكنوها الى الاجداث قد رحلوا

قال فاشفق من حضر على علي وظنوا أن بادرة تبدر منه اليه قال والله لقد بكى المتوكل بكاء طويلا حتى بلت دموعه لحيته وبكى من حضره ثم أمر برفع الشراب ثم قال له يا أبا الحسن أعليك دين قال نعم أربعة آلاف دينار فامر بدفعها اليه ورده الى منزله من ساعته مكرما * قال وكانت وفاة محمد بن سماعة القاضي صاحب محمد بن الحسن وصاحب أبي حنيفة في خلافة المتوكل وذلك في سنة ثلاثين ومائتين وهو ابن مائة سنة صحيح الجسم والعقل والحواس يفتض الابكار ويركب الخيل التي تقطف وتعنق لم ينكر من نفسه شيأ وحكى ابنه سماعة بن محمد قال لي أبي محمد بن سماعة وجدت في حياة سوار بن عبد الله قاضي المنصور كتابا له بخطه اراه من شعره أو أبيات استحسنها وهي

سلبت عظامي لحمها فتركتها * عواري في اجلادها تتكسر

وقال اذا رأيت القبيحا * فقل كلاما مليحا

وأغض واستر وسلم * وكن حليما صفوحا

تعش هنيأ وتلقى * برا وشكرا صريحا

وقال من ينكر الاحسان لاتوله * ماعشت احسانا فلا خير فيه

البذر في السباخ مالك له * نفع فذره فهو فعل السفيه

وقال من لم يكن ينفع في وده * دعه ولا تقم على عهده

وديلا ينفع عناء فلا * تعن بشئ حاد عن حده

وقال درمع الدهر كيفما * دار ان شئت تصحبه

ودع الحذق جانبا * ليس بالحذق تغلبه

وحذار انقلابه * فكثير تقلبه

وقال من ليس يغني في مغيب عنك لا * تحفل به فوداده مدخول

واخليت منها مخبأ فكأنها * قوارير في أجوافها الريح تصفر * اذا سمعت ذكر الفراق ترعدت
فرائصها من خوف ما تتحذر * خذي بيدي ثم ارفعي الثوب وانظري * ضنى جسدي لكنني اتستر

ولمحمد بن سماعة تصنيفات حسان في الفقه وروايات عن محمد بن الحسن وغيره منها كتاب نوادر المسائل عن محمد بن الحسن ألوف أوراق * وفي هذه السنة وهي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين مات يحيى بن معين * وفي سنة خمس وثلاثين ومائتين مات أبو بكر بن أبي شيبة والقواريري وكانا من علية أصحاب الحديث وحفاظهم وفيها مات اسحق بن ابراهيم بن مصعب وكان على بغداد وولي مكانه وله أخبار حسان قد أتينا على غررها في كتابنا أخبار الزمان (ومن ظريف) أخباره والمستحسن مما كان في أيامه وسيره ببغداد ما حدث به عنه موسى بن صالح بن شيخ بن عميرة الاسدي أنه رأى في منامه كأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول له أطلق القاتل فارتاع لذلك روعا عظيما ونظر في الكتب الواردة لاصحاب الحبوس فلم يجد فيها ذكر قاتل فامر باحضار السندي وعباس فسألهما هل رفع اليهما أحد ادعى عليه بالقتل فقال له العباس نعم وقد كتبنا بخبره فاعاد النظر فوجد الكتاب في أضعاف القراطيس واذا الرجل قد شهد عليه بالقتل وأقر به فامر اسحق باحضاره فلما دخل عليه ورأى ما به من الارتياع قال له ان صدقتني أطلقتك فابتدأ يخبره بخبره وذكر أنه كان هو وعدة من أصحابه يرتكبون كل عظيمة ويستحلون كل محرم وانه كان اجتماعهم في منزل بمدينة أبي جعفر المنصور يعتكفون فيه على كل بلية فلما كان في هذا اليوم جاءتهم عجوز كانت تختلف اليهم للفساد ومعها جارية بارعة الجمال فلما توسطت الجارية الدار صرخت

	يثني عليك وأنت معه حاضر * فاذا تغيب يكون عنك عيل
وقال	دع نصح من يعيبه رأيه * ومن يرى ينجعه سعيه
	النصح ارشاد فلا توله * الا فتى يحزنه غيه
	لا يقبل النصح سوى مهتد * يقوده لرشده هديه
وقال	البخت أفضل ما يؤتى الفتى فاذا * يفوته البخت لا ينفعك متصنع
	يكفيك في البخت تيسير الامور وأن * يكون ما ليس ترضى عنك يندفع
وقال	افعل الخير ما استطعت ففعل الـ * ـخير ذكر لفاعليه وذخر
	وتواضع تنل علاء وعزا * فاتضاع النفوس عز وفخر
وقال	صديق المرء درهمه * به مادام يعظمه
	فصنه ما استطعت ولا * تكن في اللهو تعدمه
	ففقر المرء مبتنه * لذا تغدو فترجمه

صرخة فبادرت اليها من بين أصحابي فأدخلتها بيتا وسكنت روعها وسألتها عن قصتها فقالت الله الله في فان هذه العجوز خدعتني وأعلمتني أن في خزانتها حقا لم ير مثله فشوقتني الى النظر الى ما فيه فخرجت معها واثقة بقولها فهجمت بي عليكم وجدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمي فاطمة وأبي الحسن بن علي فاحفظوهم في قال الرجل فضمنت خلاصها وخرجت الى أصحابي فعرفتهم فكأني أغريتهم بها وقالوا لما قضيت حاجتك منها أردت صرفنا عنها وبادروا اليها وقمت دونها أمنع عنها فتفاقم الامر بيننا الى أن نالتني جراح فعمدت الى أشدهم كان في أمرها وأكلبهم على هتكها فقتلته ولم أزل امنع عنها الى أن خلصتها سالمة وتخلصت الجارية آمنة مما خافته على نفسها فاخرجتها من الدار فسمعتها تقول سترك الله كما سترتني وكان لك كما كنت لي وسمع الجيران الضجة فتبادروا الينا والسكين في يدي والرجل يتشحط في دمه فرفعت على هذه الحالة فقال لي اسحق قد عرفت لك ما كان من حفظك للمرأة ووهبتك لله ورسوله قال فوحق من وهبتني له لاعاودت معصية ولادخلت في ريبة حتى ألقى الله فاخبره اسحق بالرؤيا التي رآها وأن الله لم يضيع له ذلك وعرض عليه برا واسعا فأبى قبول شئ من ذلك * وفي سنة تسع وثلاثين ومائتين رضي المتوكل عن أبي محمد يحيى ابن أكثم الضبي فاشخص الى سر من رأى وولي قضاء القضاة وسخط على أحمد بن أبي دواد وولده أبي الوليد محمد بن أحمد وكان على القضاء وأخذ من أبي الوليد مائة ألف وعشرين ألف دينار وجوهرا بأربعين ألف دينار وأحدر الى بغداد وقد كان أبو عبد الله أحمد بن أبي دواد فلج بعد موت عدوه ابن الزيات بسبعة وأربعين يوما وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وفي سنة أربعين ومائتين كانت وفاة أبي عبد الله أحمد بن أبي دواد بعد وفاة أبي الوليد محمد بن أحمد بعشرين يوما وكان ممن أدى الله الخير على يديه على ما اشتهر من أمره وسهل الله سبيله اليه وحبب اليه المعروف وفعله (وذكر) ان المعتصم كان بالجوسق يوما مع

ندمائه وقد عزم على الاصطباح وأمر كل واحد منهم ان يطبخ قدرا اذ بصر بسلامة غلام ابن ابى دواد فقال هذا غلام ابن ابى دواد يتعرف خبرنا والساعة يأتى فيقول فلان الهاشمى وفلان القرشى وفلان الانصارى وفلان العربى فيعطلنا بحوائجه عما عزمنا عليه وانا اشهد كم انى لا أقضى اليوم له حاجة فلم يكن بين قوله وبين استئذان الاتباع لابى عبد الله الا هنيهة فقال لجلسائه كيف ترون قولى قالوا فلا تأذن له قال سؤال الحمى سنة اهون على من ذلك ودخل فما هو الا ان سلم وجلس وتكلم حتى اسفر وجه المعتصم وضحكت اليه جوارحه ثم قال له يا ابا عبد الله قد طبخ كل واحد من هؤلاء قدرا وقد جعلناك حكما فى طبخها قال فلتحضر ثم آكل ثم أحكم بحكم بعلم فحملت اليه القدور ووضعت بين يديه فجعل يأكل من أول قدر اكلا تاما فقال له المعتصم هذا ظلم قال وكيف ذلك قال لانى اراك قد امعنت فى هذا اللون وستحكم لصاحبه قال يا امير المؤمنين على ان آكل من هذه القدور كلها كما اكلت من هذا القدر فتبسم له المعتصم وقال له شأنك اذا فاكل كما قال ثم قال أما هذه فقد احسن طابخها اذ كثر فلفلها واقل كمونها وأما هذه فقد اجاد طابخها اذ اكثر خلها واقل زيتها واما هذه فقد طيبها طابخها باعتدال توابلها واما هذه فقد حذق من عملها بقلة مائها وكثرة مرقها حتى وصف القدور بصفات سر اهلها بها ثم اكل مع القوم كما اكلوا انظف اكل واحسنه مرة يحدثهم باخبار الاكلة فى صدر الاسلام معاوية بن ابى سفيان وعبيد الله بن زياد والحجاج بن يوسف وسليمان بن عبد الملك ومرة يحدثهم عن اكلة دهره مثل ميسرة التمار ودورق القصاب وحاتم الكيال واسحق الحمامى فلما رفعت الموائد قال له المعتصم ألك حاجة يا أبا عبد الله قال نعم يا امير المؤمنين قال اذكرها فان أصحابنا يريدون أن يتشاغلوا قال نعم يا أمير المؤمنين رجل من أهلك وطئه الدهر فغير حاله وخشن معيشته قال ومن هو قال سليمان بن عبد الله النوفلى قال قدر له ما يصلحه قال خمسين ألف درهم قال انفذت ذلك له قال وحاجة أخرى قال وما هى قال ضياع ابراهيم بن المعتمر تردها له قال قد فعلت قال وحاجة أخرى قال قد فعلت قال فوالله ما خرج حتى سأل ثلاث عشرة حاجة لا يرده عن شئ منها حتى قام خطيبا فقال يا أمير المؤمنين ربما عمرك الله طويلا فبعمرك تخصب جنات رعيتك ويلين عيشهم وتثمر اموالهم ولا زلت ممتعا بالسلامة محبوا بالكرامة مرفوعا عنك حوادث الايام وغيرها ثم انصرف فقال المعتصم هذا والله الذى يتزين بمثله ويبتهج بقربه ويعد به ألوف من جنسه أما رأيتم كيف دخل وكيف سلم وكيف تكلم وكيف اكل وكيف وصف القدور ثم انبسط فى الحديث وكيف طاب أكلنا ما يرده عن حاجة الا لئيم الاصل خبيث الفرع والله لو سألنى فى مجلسى هذا ما قيمته عشرة آلاف ألف درهم ما رددته عنها وأنا اعلم انه يكسبنى فى الدنيا حمدا وفى الآخرة ثوابا * وفى أحمد بن أبى دواد يقول الطائى

لقد أنسى مساوى كل دهر * محاسن أحمد بن أبى دواد * فما سافرت فى الآفاق الا
ومن جدواه راحلتى وزادى * مقيم الظن عندك والامانى * وان قلقت ركابى فى البلاد

(وحكى) عن الفتح بن خاقان قال كنت عند المتوكل وقد عزم على الصبوح بالجعفرى وقد وجه خلف الندماء والمغنين قال فجعلنا نطوف وهو متكئ على وأنا أحادثه حتى وصلنا الى موضع نشرف منه على الخليج فدعا بكرسى فقعد عليه واقبل يحادثنى اذ بصر بسفينة مشدودة بالقرب من شاطئ الخليج وملاح بين يديه قدر كبيرة يطبخ فيها سكباج من لحم بقر وقد فاحت روائحها فقال يا فتح رائحة قدر سكباج والله ويحك أما ترى ما اطيب رائحتها على بها على حالها فبادر الفراشون

وقال لا تقرب ما استطعت خل دو * تخايل العدو خلف عداوه
وتحفظ منه ودار به وانظر * هل ترى من سيماه الا القساوه

وقال لا تعد ذكر ما مضى فهو أمر * قد تقضى وقد مضى لسبيله
وتكلم فيما تريد من الآتى ودبر للشئ قبل حلوله

وقال قساوة المرء من شقائه فاذا * يلين ساد بلا اين ولا نصب
لا يرحم الله الا الراحمين فمن * يرحم ينل رحمة فى كل منقلب

وقال جئ بالسماح اذا ما جئت فى غرض * ففى العبوس لدى الحاجات تصعيب
سماحة المرء تنبى عن فضيلته * فلا يكن منك مهما اسطعت تقطيب

وقال لا تسامح يوما دنيا اذا ما * قال فى فاضل كلاما رديا
ان قصد الدنى انزال أهل الفضل حتى يرى عليهم عليا

وقال خذ من القول بعضه فهو أولى * وتحفظ مما يقول العداة

فانتزعوها من بين يدي الملاحين فلما عاين الملاحون اصحاب السفينة ما فعل بهم ذهبت نفوسهم فرقا وخوفا وجاؤا المتوكل بالقدر تفور كهيئتها فوضعت بين ايدينا فاستطاب ريحها واستحسن لونها ودعا برغيف فكسر منه كسرة ودفعها الى وأخذ هو منه مثلها واكل كل واحد منا ثلاث لقم واقبل الندماء والمغنون فجعل يلقم كل واحد منهم لقمة من القدر واقبل الطعام ووضعت الموائد فلما فرغ من اكله امر بتلك القدر ففرغت وغسلت بين يديه وامر ان تملأ دراهم فجيء ببدرة ففرغت فيها ففضل من الدراهم مقدار ألفي درهم فقال لخادم كان بين يديه خذ هذه القدر فامض بها حتى تدفعها الى من طبخها وما فضل من هذه البدرة من الدراهم هو هبة له على تجويده طبخها قال الفتح فكان المتوكل كثيرا ما يقول اذا ذكر قدر الملاح ما أكلت أحسن من سكباج أصحاب السفينة فى ذلك اليوم * وأخبرنا القاسم بن جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي الفقيه بجهينة وكان من حديثة الموصل قال حدثنا ابو الحسن الصالحى قال قال الجاحظ ذكرت لامير المؤمنين المتوكل لتاديب بعض ولده فلما رآنى استبشع منظرى فامر لى بعشرة آلاف درهم وصرفنى وخرجت من عنده فلقيت محمد بن ابراهيم وهو يريد الانصراف الى مدينة السلام فعرض علىّ الخروج معه والانحدار فى حراقته فركبنا فيها فلما أتينا فم نهر القاطول وخرجنا من سامرا نصب ستارته وأمر بالغناء فاندفعت عوّادة فغنت كل يوم قطيعة وعتاب * ينقضى دهرنا ونحن غضاب

ليت شعرى أنا خصصت بهذا * دون ذا الخلق أم كذا الاحباب وسكتت فامر الطنبورية فغنت

وارحمتا للعاشقينا * ما ان أرى لهم معينا كم يهجرون ويصرمو * ن ويقطعون فيصبرونا

قال فقالت هذه العوّادة فيصنعون ماذا قالت هكذا يصنعون وضربت بيدها الى الستارة فهتكتها وبرزت كانها فلقة قمر فزجت بنفسها الى الماء وعلى رأس محمد غلام يضاهيها فى الجمال وبيده مذبة فاتى الموضع ونظر اليها وهى تمر بين الماء فانشا يقول

وأنا الذى غرقتنى * بعد القضا لو تعلمينا

فزج بنفسه فى أثرها فادار الملاح الحراقة فاذا بهما معتنقان ثم غاصا فلم يريا فهال ذلك محمدا واستعظمه وقال يا عمرو لتحدثنى حديثا يسلينى عن فقد هذين والا ألحقتك بهما قال فحضرنى حديث يزيد بن عبد الملك وقد قعد للمظالم وعرضت عليه القصص فمرت به قصة فيها ان رأى أمير المؤمنين أعزه الله أن يخرج جاريته فلانة حتى تغنينى ثلاثة أصوات فعل فاغتاظ يزيد وأمر من يخرج اليه ويأتيه برأسه ثم أمر بان يتبع الرسول برسول آخر يامره أن يدخل اليه الرجل فلما وقف بين يديه قال له ما الذى حملك على ما صنعت قال الثقة بحلمك والاتكال على عفوك فامره بالجلوس حتى لم يبق أحد من بنى أمية الا خرج ثم أمر فاخرجت الجارية ومعها عودها فقال لها الفتى غنى

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان كنت قد أزمعت صرمى فاجملى فغنته فقال له يزيد قل قال غنى

تألق البرق نجديا فقلت له * يا أيها البرق انى عنك مشغول يكفيك عنى عدوّ ثائر حنق * فى كفه صارم كالملح مسلول

فغنته فقال قل قال يامر لى برطل خمر فما استتم شرابه حتى وثب وصعد على أعلى قبة ليزيد فرمى بنفسه على دماغه فمات فقال يزيد انا لله وانا اليه راجعون أتراه الاحمق الجاهل ظن انى أخرج اليه جاريتى وأردها الى ملكى يا غلمان خذوا بيدها واحملوها الى أهله ان كان له أهل والا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عنه فانطلقوا بها الى أهله فلما توسطت الدار نظرت الى حفرة فى دار يزيد قد أعدت للمطر فجذبت نفسها من أيديهم وأنشأت تقول من مات عشقا فليمت هكذا * لاخير فى عشق بلا موت

وربما تاخذ الكلام بجدّ * وهو هزل قد دققته عداة
فاحترز من غرور الاقوال واعلم * أن الاقوال بعضها كذبات

وقال
نافس الاخيار كيما * تحرز المجد الاثيلا
لا تكن مثل سراب * رىء لم يشف غليلا
انما أنت حديث * فلتكن ذكرا جميلا

وقال
الصمت عز حاضر * وسلامة من كل شر
فاذا نطقت فلا تكثر واجتنب قول الهذر
وحذار مما يتقى * وحذار من طرق الغرر

وقال
سلامة الانسان فى وحدته * وأنسه فيها وفى حرفته
ما بقى اليوم صديق ولا * من ترتجى النصرة فى صحبته
فقرّ فى بيتك تسلم ودع * من أبتلى بالناس فى محنته

فزجت بنفسها على دماغها فماتت فسرى عن محمد وأحسن صلتى وقيل ان هذا الخبر انما كان مع سليمان بن عبد الملك قال فذكرت هذا الحديث لابى عبد الله محمد بن جعفر الاخبارى بالبصرة فقال أنا اخبرك بنحو من هذا الحديث الذى حدثنى به حدثنى واثق الخادم وكان مولى لمحمد بن حميد الطوسى أن محمد بن حميد كان جالسا مع ندمائه يوما فغنت جارية من وراء الستارة

ياقمر القصر متى تطلع * أشقى وغيرى بك يستمتع
ان كان ربى قد قضى ما أرى * منك على رأسى فما أصنع

وعلى رأس محمد غلام بيده قدح يسقيه فرمى بالقدح عن يده وقال تصنعين هكذا ورمى بنفسه من الدار الى دجلة فهتكت الجارية الستارة ثم رمت بنفسها على اثره فنزلت الغلمة خلفهما فلم يجدوا احدا منهما فقطع محمد الشراب وقام عن مجلسه (قال المسعودى) وفى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين سخط المتوكل على عمر بن مصرح الراجى وكان من علية الكتاب وأخذ منه مالا وجوهرا نحو مائة ألف وعشرين ألف دينار وأخذ من اخيه نحوا من مائة ألف وخمسين الف دينار ثم صولح محمد على احد وعشرين ألف ألف درهم على أن برد اليه ضياعه ثم غضب عليه غضبة ثانية وأمر ان يصفع فى كل يوم فاحصى ما صفع فكان ستة آلاف صفعة وألبسه جبة صوف ثم رضى عنه وسخط عليه ثالثة وأحدر الى بغداد واقام بها حتى مات * وأهدى المؤيد الى المتوكل قارورة دهن وكتب اليه ان الهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير فلطفت ودقت كان ابهى لها واحسن وان كانت من الكبير الى الصغير فعظمت كان ارفع لها وأنفع (قال المسعودى) وكانت وفاة احمد بن حنبل

فى خلافة المتوكل بمدينة السلام وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة احدى وأربعين ومائتين ودفن بباب حرب فى الجانب الغربى وصلى عليه محمد ابن طاهر وحضر جنازته خلق من الناس لم ير مثل ذلك اليوم والاجتماع فى جنازة من سلف قبله وكان للعامة فيه كلام كثير جرى بينهم بالعكس والضد فى الامور منها ان رجلا منهم كان ينادى العنوا الواقف عند الشبهات وهذا بالضد عما جاء عن صاحب الشريعة عليه السلام فى ذلك وكان عظيم من عظمائهم ومقدم فيهم يقف موقفا بعد موقف أمام الجنازة وينادى باعلى صوته

واظلمت الدنيا لفقد محمد * واظلمت الدنيا لفقد ابن حنبل

يريد بذلك ان الدنيا اظلمت عند وفاة محمد عليه السلام وانها أظلمت عند موت ابن حنبل كظلمتها عند موت الرسول صلى الله عليه وسلم * وفى هذه السنة انقضت الكواكب الانقضاض الذى لم ير مثله قط وذلك فى ليلة الخميس لست خلون من جمادى الآخرة وقد كان فى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة انقضاض لكوكب عظيم هائل وهى الليلة التى وقعت فيها القرامطة بحاج العراق من طريق الكوفة وذلك فى ذى القعدة من سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة * وفى السنة التى مات فيها ابن حنبل كانت وفاة محمد بن عبد الله بن محمد الاسكافى وكان من اهل النظر والبحث وما عليه أهل العدل وكانت وفاة جعفر بن المبشر سنة اربع وثلاثين ومائتين وكان من كبار اهل العدلية واهل الديانة من البغداديين ومات جعفر بن حرب سنة ست وثلاثين ومائتين وهو رجل من همدان ووجوه قحطان والى أبيه يضاف شارع باب حرب فى الجانب الغربى من مدينة السلام وهو شيخ البغداديين من المتكلمين ومات عيسى بن طليح سنة خمس وأربعين ومائتين وكان من حذاقهم وأهل الديانات منهم وذكر أبو الحسن الخياط أن أبا الهذيل محمد بن الهذيل كانت وفاته سنة سبع وعشرين ومائتين ثم تنازع أصحابه فى مولده فقال قوم سنة احدى وثلاثين ومائة وقد كان أبو الهذيل هذا اجتمع مع هشام بن الحكم

وقال
مطاوعة النساء الى الندامه * وتوقع فى المهانة والغرامه
فلا تطع الهوى فيهن واعدل * ففى العدل الترضى والسلامه

وقال
كانت مشاورة الاخوان فى زمن * قول المشاور فيهم غير متهم
والآن قد يخدع الذى تشاوره * اشماتا او حسدا يلقيك فى الندم
فاضرع الى الله فيما أنت تقصده * يهديك للرشد فى الافعال والكلم

وقال
عدعمن يراك تصغر عنه * وتحفظ من قربه وأمنه
ان من لا يراك فى الناس خيرا * منه فالخير فى التحفظ منه

وقال
رزانة المرء تعلى قدره أبدا * وطيشه مسقط له وان شرفا
فاربأ بنفسك من طيش تعاب به * وان تكن حزت معه العلم والشرفا

وقال
الصدق عز فلا تعدل عن الصدق * واحذر من الكذب المذموم فى الخلق
من لازم الصدق هابته الورى وعلا * فالزمه دأبا تفز بالعز والسبق

الكوفى الخراز وكان هشام شيخ المجسمة والرافضة فى وقته ممن وافقه على مذهبه وكان أبو الهذيل يذهب الى نفى التجسيم ورفع
التشبيه والى ضد قول هشام فى التوحيد والامامة فقال هشام لابى الهذيل اذا زعمت أن الحركة ترى فلم لا زعمت أنها تلمس
قال لانها ليست بجسم فيلمس لان اللمس انما يقع على الاجسام فقال له هشام فقل أيضا انها لا ترى لان الرؤية انما تقع على
الاجسام فرجع ابو الهذيل مسائلا فقال له من اين قلت ان الصفة ليست الموصوف ولا غيره قال هشام من قبل انه يستحيل أن
يكون فعلى أنا ويستحيل أن يكون غيرى لان التغاير انما أوقعه على الاجسام والاعيان القائمة بانفسها فلما لم يكن فعلى قائما
بنفسه ولم يجز أن يكون فعلى انا وجب انه لا انا ولا غيرى وعلة أخرى أنت قائل بها زعمت يا أبا الهذيل أن الحركة ليست مماسة
ولا مباينة لانها عندك مما لا يجوز عليه المماسة ولا المباينة فلذلك قلت انا ان الصفة ليست انا ولا غيرى وعلتى فى أنها ليست
أنا ولا غيرى علتك فى انها لا تماس ولا تباين فانقطع أبو الهذيل ولم يرد جوابا * وكانت وفاة أبى موسى الفراء سنة ست وعشرين
ومائتين وكان من شيوخ العدلية وكبار المتكلمين من البغداديين ومات واصل بن عطاء ويكنى بابى حذيفة فى سنة احدى
وثلاثين ومائتين وهو شيخ المعتزلة وقديمها وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وهو أن الفاسق من أهل الملة ليس
بمؤمن ولا كافر وبه سميت المعتزلة وهو الاعتزال وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار بنى أمية قول المعتزلة فى
الاصول الخمسة فأغنى ذلك عن اعادته وكذلك فيما سلف من كتبنا خبر عمرو بن عبيد ووفاته وكان شيخ المعتزلة والمتقدمين
فيها وأن وفاته كانت سنة سبع وأربعين ومائة وقد كان عمرو بن عبيد اجتمع مع هشام بن الحكم وهشام
يذهب الى القول بان الامامة نص من الله ورسوله على على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وعلى من يلى عصره من ولده الطاهرين كالحسن والحسين ومن يلى أيامهم وعمرو يذهب الى أن الامامة اختيار من الامة فى سائر الاعصار فقال هشام لعمرو بن عبيد لم خلق الله لك عينين قال
لانظر بهما الى ما خلق الله من السموات والارض وغير ذلك فيكون ذلك دليلا لى عليه فقال هشام فلم خلق الله لك سمعا قال
لاسمع به التحليل والتحريم والامر والنهى فقال له هشام فلم خلق الله لك قلبا قال عمرو لتكون هذه الحواس مؤدية اليه
فيكون مميزا بين منافعها ومضارها قال هشام فكان يجوز أن يخلق الله سائر حواسك ولا يخلق لك قلبا تؤدى هذه الحواس
اليه قال عمرو لا فقال هشام ولم قال لان القلب باعث لهذه الحواس على ما يصلح له فلما لم يخلق الله فيها انبعاثا من نفسها استحال
أن لا يخلق لها باعثا يبعثها على ما خلقت له الا بخلق القلب فيكون هو الباعث لها على ما تفعله والمميز لها بين مضارها
ومنافعها ويكون الامام من الخلق بمنزلة القلب من سائر الحواس اذ كانت الحواس راجعة الى القلب لا الى غيره ويكون
سائر الخلق راجعين الى الامام لا الى غيره فلم يأت عمرو بفرق يعرف وهذا الذى حكيناه ذكره أبو عيسى محمد بن هرون الوراق
ببغداد فى كتابه المعروف بكتاب المجالس وكانت وفاة أبى عيسى بالرملة سنة سبع وأربعين ومائتين وله تصنيفات كثيرة
منها كتابه فى المقالات فى الامامة وغيرها من النظر وكانت وفاة أبى الحسين أحمد بن يحيى بن اسحق الراوندى برحبة مالك بن
طوق وقيل ببغداد سنة خمس ومائتين وله نحو من أربعين سنة وله كتب مصنفة مائة كتاب وأربعة عشر كتابا وقد ذكرنا فى
كتابنا فى أخبار الزمان وفاة أرباب المقالات وأهل المذاهب والجدل والآراء والنحل واخبارهم ومناظراتهم وتباينهم فى
مذاهبهم وكذلك فى الكتاب الاوسط الى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وانما يسنح لنا ذكر بعضهم فى هذا الكتاب

وقال ليس التفضل يا أخى أن تحسنا * لاخ يجازى بالجميل من الثنا
ان التفضل أن تجازى من أسا * لك بالجميل وأنت عنه فى غنى
وقال من واصل اللذات لابد أن * تعقبه منها الندامات
فخذ من اللذات واترك ولا * تسرف ففى الاسراف آفات
وقال دع معجبا بنفسه * فى غيه ولبسه
لا يقبل النصح لما * من نخوة برأسه
خله لكيده * وعجبه بنفسه
وقال عتب الصديق دلالة * منه على صدق الموده
فاذا يقول فقصده التنزيه عما قام عنده
فاحلم اذا عتب الصديق ولا تخيب فيك قصده
وقال ترتجى فى النوائب الاخوان * هم لدى كل شدة أعوان

فذكرلهم اداوكذلك لغيرهم من الفقهاء واصحاب الحديث وفيها مات ابراهيم بن العباس الصولي الكاتب وكان كاتبا بليغا وشاعرا مجيدا لا يعلم فيمن تقدم وتأخر من الكتاب أشعر منه وكان يكتسب في حداثته بشعره ورحل الى الملوك والامراء ومدحهم طالبا لجدواهم وذكر رجل من الكتاب أن اسحق بن ابراهيم أخا زيد بن ابراهيم حدثه انه كان يتقلد الصيمرة والسيروان وأن ابراهيم بن العباس اجتاز به يريد خراسان والمامون بها وقد بايع بالعهد لعلي بن موسى الرضى وقد امتدحه بشعر يذكر فيه فضل آل علي وأنهم أحق بالخلافة من غيرهم قال فاستحسنت القصيدة فسألته أن ينسخها لي ففعل ووهبت له ألف درهم وحملته على دابة وضرب الدهر من ضربه الى أن ولي دوان الضياع مكان موسى بن عبد الملك وكنت أحد عمال موسى وكان يحب أن يكشف أسباب موسى فعزلني وأمر أن تعمل مؤامرة فعملت وكثر علي فيها وحضرت للمناظرة عنها فجعلت احتج بما لا يدفع فلا يقبله ويحكم لي الكتاب فلا يلتفت الى حكمهم ويسمعني في خلال ذلك بدعا من الكلام الى أن أوجب على الكتاب اليمين على باب من الابواب فحلفت عليه فقال ليست يمين السلطان عندك يمينا لانك رافضي فقلت له تاذن لي في الدنو منك فاذن لي فقلت ليس مع تعريضك بمهجتي للقتل صبر وهذا المتوكل ان كتبت اليه بما يسمع منك لم آمنه على نفسي وقد احتملت كل ما جرى سوى الرفض والرافضي من زعم أن علي بن أبي طالب أفضل من العباس وأن ولده احق من ولد العباس بالخلافة قال ومن ذلك قلت أنت وخطك عندي به وأخبرته بالشعر فوالله ما هو الا أن قلت ذلك له حتى سقط في يده ثم قال أحضر الدفتر الذي بخطي فقلت له هيهات لا والله أو توثق لي بما أسكن اليه أنك لا تطالبني بشيء مما جرى على يدي وتخرق هذه المؤامرة ولا تنظر لي في حساب فحلف لي على ذلك وخرق العمل المعمول واحضرته الدفتر فوضعه في خفه وانصرفت وقد زالت عني المطالبة ❊ ولابراهيم بن العباس مكاتبات قد دونت وفصول حسان من كلامه قد جمعت قد أتينا على كثير منها في الكتاب الاوسط فما استحسن من فصوله وان كانت كلها في نهاية الجودة وانتخبناه من كلامه وقال

فاذا لم يشار كوا فسواء ❊ هم والاعداء كيفما قد كانوا

وقال

انصر أخاك على علاته أبدا ❊ تهب وتسلك سبيل العز والظفر

ولا تدعه الى الاشمات مطرحا ❊ فان ذلك عين الذل والصغر

وقال

من عز كانت له الايام خادمة ❊ ترميه آماله في كل ما حين

ومن يهن أولغت فيه المدى وأرت ❊ له النوائب في أنوابها الجون

وقال

خل المنجم يهذي في غوايته ❊ واقصد الى الله رب النجم والفلك

لو كان للنجم حكم لم تجد أحدا ❊ يخالف النجم الا انهد في درك

وقال

حماية المرء لمن يصحب ❊ تدل أن أصله طيب

لا خير فيمن لا يرى ناصرا ❊ صديقه وهو له ينسب

وقال

يا عاتبا من لا له همة ❊ ألا اتئد الى متى تعتب

هل يسمع الميت أو يبصر الاعمى محال كل ما تطلب

وقد بما غذت المعصية أبناءها فخلفت عليهم من درها رضعة وبسطت لهم من أمانيها مطمعة وركبت فيهم مخاطرها موضعة حتى إذا رتعوا فامنوا وركبوا فاطمأنوا وانقضى رضاع وآن فطام سقتهم سما فغرت مجاري ألبانها منها دما وأعقبتهم من غذائها مرا وحطت بهم من معقل الى عقال ومن عز الى حسرة قتلا وأسرا واباحة وقسرا وقل من أوضع في الفتنة مرهما فالهبا ومقتحما عند ضلالها الا استقعمته آخذة بمخنقه وموهنة بالحق كيده حتى تجعله لعا جليهم زاولا آجله حطبا وللحق موعظة وللباطل حجة ذلك لهم جزاء في الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر وما ربك بظلام للعبيد وله أشعار حسان فما استحسن من شعره الذي لم يسبقه عند جماعة أهل الادب أحد من زمانه قوله لنا ابل كوم يضيق بها الفضا ❊ ويفتر عنها أرضها وسماؤها فمن دونها أن تستباح دماؤنا ❊ ومن دوننا أن تستدام دماؤها ❊ حمى وقرى فالموت دون مرامها ❊ وأهون خطب في الحقوق فناؤها وقوله ولكن الجواد أبا هشام ❊ وفي العهد مأمون المغيب وقوله ومن ذخرت زماني ❊ شنأت في الخلان ومن ذخرت لنفسي ❊ فعاد ذخر الزمان لو قيل لي خذ أمانا ❊ من أعظم الحدثان لما أخذت أمانا ❊ الا من الاخوان وقوله واذا جزى الله امرأ بفعاله ❊ يجزى أخاك ماجدا سمعا نبهته من كذبه فكأنما ❊ نبهت اذ نبهته صبحا ومما يجب على الرؤساء أن يحفظوه قوله تزيده الايام ان أقبلت ❊ حزما وعلما بتصاريفها

كأنها في وقت اسعافها * تسمعه صوت مخاريقها وممّا أحسن فيه وبرّز عن نظرائه قوله
سقيا ورعيا لأيام لنا سلفت * بكيت منها فصرت اليوم أبكيها كذاك أيامنا لا شك نندبها * اذا تقضت ونحن اليوم نشكوها
وقوله أولى البرية طرا أن تواسيه * عند السرور لمن واساك في الحزن * ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا
من كان يألفهم في المنزل الخشن وقوله لا تلمني فان همك أن تسـ * ـسري وهمي مكارم الاخلاق
كيف يستطيع حفظ ما جمعت * كفاه من ذاق لذة الانفاق وقوله أسد ضار اذا ما هجته * وأب بر اذا ما قدروا
يعلم الاقصى اذا أثرى ولا * يعلم الادنى اذا ما افتقرا وكان ابراهيم بن العباس يقول مثل أصحاب السلطان مثل قوم
علوا جبلا ثم وقعوا منه فكان أقربهم الى التلف أبعدهم في الارتقاء وكان ابراهيم يدعي نحو ولد العباس بن الاحنف
الشاعر (وحكى) أبو العباس أحمد بن جعفر بن حمدان القاضي عن سليمان بن الحسن بن مخلد عن أبيه الحسن قال أنشدهم
ابراهيم بن العباس قول العباس بن الاحنف ان قال لم يفعل وان سيل لم * يبذل وان عوتب لم يعتب
صب بهجراني ولو قال لي * لا تشرب البارد لم أشرب فقال هذا والله الشعر الحسن المعنى السهل اللفظ العذب المستمع
القليل النظير ما سمعت كلاما أجزل منه في رقة ولا أسهل في صعوبة ولا أبلغ في انصاف من هذا فقال له الحسن كلامك والله
أحسن من شعره وممّا استحسن من شعر العباس بن الاحنف قوله تحمل عظيم الذنب ممن تحبه * وان كنت مظلوما فقل أنا ظالم
فطوبى لمن أغفى من الليل ساعة * وذاق اغماضا ان ذلك ناعم وقوله اصرف فؤادك يا عباس معتمدا *

عنها والا تمت في حبها كمدا لو أنها من وراء الروم في بلد ما كنت أسكن الا ذلك البلدا يا من شكا شوقه من هول غيبته اصبر لعلك تلقى ما تحب غدا وقوله أغب الزيارة لما بدا له الهجر أو بعض أسبابه وما صد عنا ولكنه

وقال لا يعرف الفضل لاهل الفضل * الا أولو الفضل من اهل العقل
هيهات يدري الفضل من ليس له * فضل ولو كان من اهل النبل
وقال لا تطلب المرء اعتدت من * أخلاقه والمرء في وهن
تنتقل الاخلاق لا شك مع * تنقل الحالات والسن
وقال لا تعامل ما عشت غيرك الا * بالذي أنت ترتضيه لنفسك
ذاك عين الصواب فالزمه فيما * تبتغيه من كل أبناء جنسك
وقال باعد الناس يوالوكا * واعتزل عنهم يهابوكا
فاذا ما تصطفيهم * وقعوا فيك وعابوكا
وقال اياك لا تخذل الصديقا * وارع له العهد والحقوقا
تصرته ما قدرت عز * تمهده للعلا طريقا
فلا تسامح به عدوا * وكن له ناصرا حقيقا

طريد ملالة أحبابه (حدثنا) أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي قال حدثنا الرياشي قال ذكر جماعة من أهل البصرة قالوا
خرجنا نريد الحج فلما كنا ببعض الطريق اذا غلام واقف على المحجة وهو ينادي يا أيها الناس هل فيكم أحد من أهل البصرة
قال فملنا اليه وقلنا له ما تريد قال ان مولاي لما به يريد أن يوصيكم فملنا معه فاذا بشخص ملقى على بعد من الطريق تحت
شجرة لا يحير جوابا فجلسنا حوله فأحس بنا فرفع طرفه وهو لا يكاد يرفعه ضعفا وأنشأ يقول
يا غريب الدار عن وطنه * مفردا يبكي على شجنه كلما جد البكاء به * دبت الاسقام في بدنه
ثم أغمي عليه طويلا وانا لجلوس حوله اذ أقبل طائر فوقع على أعلى الشجرة وجعل يغرد ففتح الفتى عينيه وجعل يسمع تغريد
الطائر ثم قال ولقد زاد الفؤاد شجى * طائر يبكي على فننه شفه ما شفني فبكى * كلنا يبكي على سكنه
قال ثم تنفس تنفسا فاضت نفسه منه فلم نبرح من عنده حتى غسلناه وكفناه وتولينا الصلاة عليه فلما فرغنا من دفنه سألنا
الغلام عنه فقال هذا العباس بن الاحنف وقد أخبرنا بهذا الخبر أبو اسحق الزجاجي النحوي عن أبي العباس المبرد عن المازني
قال حدثنا جماعة من أهل البصرة بما ذكرناه وكانت وفاة أبي ثور ابراهيم بن مخلد الكلبي سنة أربعين ومائتين وفي سنة اثنتين
وثلاثين ومائتين نفى المتوكل علي بن الجهم الشاعر الى خراسان وقيل في سنة تسع وثلاثين ومائتين وقد أتينا على خبره وما
كان من أمره ورجوعه بعد ذلك الى العراق وخروجه يريد السفر وذلك في سنة تسع وأربعين ومائتين فلما صار بالقرب من

حلب من بلاد قنسرين والعواصم بالموضع المعروف بخشاف لقيته خيل الكلبيين فقال في ذلك وهو في الشرق

أزيد في الليل ليل * أم سال بالصبح سيل ذكرت أهل دجيل * وأين مني دجيل

وكان علي بن الجهم السامي هذا مع انحرافه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه واظهاره التسنن مطبوعا مقتدرا على الشعر عذب الالفاظ غزير الكلام وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب طعن من طعن على نسبه وما قال الناس في عقب سامة بن لؤي بن غالب وقول علي بن محمد بن جعفر العلوي الشاعر

وسامة منا فأما بنوه * فأمرهم عندنا مظلم أناس أتونا بأنسابهم * خرافة مضطجع يحلم

وقلت لهم مثل قول النبي * وكل أقاويله محكم اذا ما سئلت ولم تدر ما * تقول فقل ربنا أعلم

وقول العلوي فيه أيضا لو اكتنفت النضر أو معدا * أو اتخذت البيت كفا مهدا * وزمزما شريعة ووردا

والاخشبين محضرا ومبدى * ما ازددت الا من قريش بعدا * أو كنت الا مصقليا وغدا

وانما أعدنا هذا الشعر في هذا الموضع وان كنا قد قدمناه فيما سلف من هذا الكتاب لما سنح لنا من ذكر علي بن الجهم في أيام المتوكل ولما احتجنا اليه عند ذكرنا الشعر علي بن الجهم واجابته العلوي على هذا الشعر فكان ما أجاب به علي بن الجهم لعلي ابن محمد بن جعفر العلوي لم تذقني حلاوة الانصاف * وتعسفتني أشد اعتساف

وتركت الوفاء علما بما فيه * وأسرفت غاية الاسراف ٣٢٦ غير أني اذا رجعت الى حق بني هاشم بن عبد مناف

لم أجد لي الى التشفي سبيلا بقواف ولا بغير قوافي لي نفس تأبى الدنيسة والاشراف لا تعتدي على الاشراف وله في الحبس شعر معروف لم يسبقه الى معناه أحد وهو قوله قالوا حبست فقلت ليس بضائر حبسي وأي مهند لا يغمد

وقال	حدث جليسك ما أصغى اليك فان * تراه يعرض فاقطع عنه وانصرف خفف فقد يضجر الذي تجالسه * طول المقام أو التحديث في سرف
وقال	جماع الخير في ترك الظهور * واظهار التواضع والبرور وفي أضدادها من غير شك * جميع وجوه أنواع الشرور
وقال	محبة الدرهم طبع البشر * فاقنع من المرء بما قد حضر وقس على نفسك في بذله * تقف على تحقيق عين الخبر
وقال	لا يلم غيم نفسه كل من قد * عرض النفس أن تهان فذلا ينظر العاقل الامور فيأبى * أن يرى منه غير ما هو اولى
وقال	اعذر الناس من أتته المضره * من أخ كان يرتجى منه نصره مثل من غص بالشراب فكان الـ * ـهلك فيما رجاه يدفع ضره
وقال	سلم تعش سالما مما يقال * من يعترض يعترض في كل حال

أو ما رأيت الليث يألف غيله * كبرا وأوباش السباع تردد

والشمس لولا أنها محجوبة * عن ناظريك لما أضاء الفرقد والنار في أحجارها مخبوءة * لا تصطلى ان لم تثرها الازند

والحبس ما لم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المستورد بيت يجدد للكريم كرامة * و يزار فيه ولا يزور ويحفد لو لم يكن في الحبس الا أنه لا يستذلك بالحجاب الاعبد وما أحسن فيه قوله

خليلي ما أحلى الهوى وأمره * وأعلمني بالحلو منه وبالمر * بما بيننا من حرمة هل رأيتما

أرق من الشكوى وأقسى من الهجر * وأفضح من عين المحب لسره * ولا سيما ان أطلقت عبرة تجري

ومما اختير من قوله حسرت عني القناع ظلوم * وتولت ودمعها مسجوم

شرها أنكرت تصرم عهد * لم يدم لي وأي عهد يدوم أنكرت ما رأت برأسي وقالت * أمشيب أم لؤلؤ منظوم

قلت أولاهما علمت فقالت * آية يستثيرها الهموم هي عندي من الهموم التي يحسن فيها العزاء والتسليم

ان أمر أتى على شيب الرأس في ليلة لأمر عظيم ليس عندي وان تعزيت الا * طاعة حرة وقلب سليم

ومن جيد شعره هي النفس ما حملتها تتحمل * وللدهر أيام تجور وتعدل

وعاقبة الصبر الجميل جميلة * وأفضل أخلاق الرجال التفضل

ولا عار ان زالت عن المرء نعمة * ولكن عارا ان يزول التحمل
وما المال الا حسرة ان تركته * وغنم اذا قدمته متعجل

ومما اعتذر فيه فأحسن قوله فى المتوكل ان ذل السؤال والاعتذار * خطة صعبة على الاحرار
ليس من باطل يورده المر * ولكن سوابق الاقدار فارض للسائل الخضوع وللقا * رف ذنبا بذلة الاعتذار
ان تجافيت منعما كنت أولى * من تجافى عن الذنوب الكبار أو تعاقب فانت أعرف بالله وليس العقاب منك بعار

ومما جوده قوله لما قيد فقلت لها والدمع شتى طريقه * ونار الهوى بالقلب يذكو وقودها
فلا تجزعى اما رأيت قيوده * فان خلاخيل الرجال قيودها وكان فى لسانه فضل قل من سلم معه منه وكان محمد بن عبد الله منحرفا عنه فاستشفع عليه بوصيف التركى حتى أصلح له ناحيته ثم فسد عليه وصيف فاستشفع عليه بمحمد بن عبد الله وكتب اليه الحمد لله شكرا * قلوبنا فى يديه صار الامير شفيعا * الى شفيعى اليه

وله أشعار نادرة وأمثال سائرة اخترنا منها ما قدمنا ذكره واقتصرنا بذلك عن غيره وقد رثاه جماعة من الشعراء بعد قتله منهم أبو صاعد فقال أريق الدمع واجتنبى الهجوعا * وصونى شمل وجدك أن يضيعا
وقولى ان كهف بنى لؤى * غدا بالشام مجدلا صريعا عزاء يا بنى جهم بن بدر * فقد لاقيتم خطبا فظيعا
اما والله لو تدرى المنايا * بما لاقيتم لبكت جميعا ٣٢٧ ثوى كهف الارامل واليتامى * ومن كان الزمان به ربيعا
فتى كان السهام على الاعادى * ولينا دون حادثة منيعا

قال وفى سنة ثلاث وأربعين ومائتين كان خروج المتوكل من دمشق الى سر من رأى فكان بين خروجه منها ورجوعه اليها ثلاثة أشهر وسبعة أيام وفى خروجه يقول المهلبى شعرا طويلا اخترنا منه قوله

أظن الشام يشمت بالعراق * اذا عزم الامام على انطلاق فان تدع العراق وساكنيها * فقد تبلى المليحة بالطلاق

ولما نزل بدمشق أبى أن ينزل المدينة لتكاثف هواء الغوطة عليها وما يرتفع من بخار مياهها فنزل قصر المأمون وذلك بين داريا ودمشق على ساعة من المدينة فى أعلى الارض وهذا الموضع بدمشق يشرف على المدينة وأكثر الغوطة ويعرف بقصر المأمون الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة * وذكر سعيد بن نكيس قال كنت واقفا بين يدى المتوكل فى مضربه بدمشق اذ شغب الجند واجتمعوا وضجوا يطلبون الاعطية ثم خرجوا الى تجريد السلاح والرمى بالنشاب وأقبلت أرى السهام ترتفع فى الرواق فقال لى يا أبا سعد ادع لى رجاء الحضارى فدعوته فقال له يا رجاء أما ترى ما خرج اليه هؤلاء فما الرأى عندك فقال يا أمير المؤمنين قد كنت مشفقا فى هذا السفر من مثل هذا فاشرت بما اشرت من تأخيره فقال امير المؤمنين اليه فقال دع ما مضى وقل الآن بما حضر برأيك فقال يا أمير المؤمنين توضع الاعطية فقال له فهذا ما أرادوا وفيه مع ما خرجوا اليه ما يعلم قال يا أمير المؤمنين مر بهذا فان الرأى بعده فامر عبد الله بن يحيى بوضع الاعطية فيهم فلما خرج المال وبدئ بانفاقه دخل رجاء فقال مر الآن يا امير المؤمنين بضرب الطبل للرحيل الى العراق فانهم لا يأخذون مما أخرج اليهم شيأ ففعل ذلك فترك الناس الاعطية حتى ان المعطى ليتعلق بالرجل ليعطيه رزقه فلا يأخذه * قال سعيد وقد كان الاتراك قد رأوا انهم يقتلون المتوكل بدمشق فلم يمكنهم فيه حيلة بسبب بغا الكبير فانهم دبروا فى ابعاده عنه فطرحوا فى مضرب المتوكل الرقاع يقولون

نقد الفتى غافلا عن عيبه * لا يرتضى عند أرباب الكمال

وقال
تواضع المرء ترفيع لرتبته * وكبره ضعة من غير ترفيع
فى نخوة الكبر ذل لا اعتزاز له * وفى التواضع عز غير مدفوع

وقال
اياك لا تنكر فضيلة كل من * تدرى فضيلته فترمى بالحسد
انكارها يجنى عليك تنقصا * ويزيده شرفا ويدبم لك الكمد

وقال
انصر أخاك ما استطعت فانما * تعتز بالاخوان ما عزوا
من يخذل الاخوان يخذل نفسه * ويهن وما لهوانه عز

وقال
اذا جزاك بسوء من أسأت له * فذاك عدل وما فى العدل من زلل
جزاء سيئة بالنص سيئة * لا حيف فى ذاك فى قول ولا عمل

وقال
نفس وشيطان ودنيا والهوى * يا رب سلم من شرور الاربعه
أنت المخلص من رجا لنواتنى * أرجوك فيما أتقى أن تدفعه

فيها ان بغا يريد ان يقتل أمير المؤمنين والعلامة فى ذلك أن يركب فى يوم كذا فى خيله ورجله فيأخذ عليه أطراف عسكره ثم يأخذ جماعة من الغلمان العجم يدخلون عليه فيفتكون به فقرأ المتوكل الرقاع فبهت مما تضمنته ودخل فى قلبه من بغا كل مدخل وشكا الى الفتح ذلك وقال له فى أمر بغا والاقدام عليه وشاوره فى ذلك فقال يا أمير المؤمنين ان الذى كتب الرقاع قد جعل للامر دلائل فى وقت بعينه من ركوب الرجل الاطراف من العسكر وتوكله بنواحيه وبعد ذلك يتبين الامر وأنا أرى أن تمسك فان صح هذا الدليل نظرنا كيف يفعل وان بطل ما كتب به فالحمد لله وأقبلت الرقاع تطرح فى كل وقت على جهة النصح والصدق فلما علموا ما علم به الخليفة وتمكن به ما عندهم من الامر كتبوا رقاعا فطرحوها فى مضرب بغا يقولون فيها ان جماعة من الغلمان والاتراك قد عزموا على الفتك بالخليفة فى عسكره ودبروا ذلك واتفقوا عليه وتعاقدوا على أن يأتوه من نواحى كذا ونواحى كذا فالله الله الا ما احترست لامير المؤمنين وحرسته فى هذه الليلة من هذه المواضع وحصنتها بنفسك ومن تثق به فانا قد نصحنا وصدقنا وأكثروا طرح الرقاع بهذا المعنى والتوكيد فى حراسة الخليفة فلما وقف بغا عليها وتتابعت عليه لم يأمن ان يكون ما كتب اليه فيها حقا مع ما كان وقع عليه من الامر قبل ذلك فلما كانت الليلة التى ذكروها جمع جيوشه وأمرهم بالركوب بالسلاح وركب بهم الى المواضع التى ذكرت فأخذها على المتوكل وحرسها واتصل الخبر بالمتوكل فلم يشك ان ما كتب له حق فأقبل يتوقع من يوافيه فيفتك به وسهر ليلته وامتنع من الاكل والشرب فلم يزل على تلك الحال الى الغداة وبغا يحرسه والامر عند ٣٢٨ المتوكل على خلاف ذلك وقد اتهم بغا واستوحش من فعله فلما عزم المتوكل على الانصراف قال له يا بغا قد أبت نفسى مكانك منى ورأيت أن أقلدك هذا الصقع واقر عليك ما كان لك من رزق وحباء ونزل ومعونة وكل سبب فقال أنا عبدك يا أمير المؤمنين فافعل ما شئت وأمرنى بما أحببت فخلفه بالشام وانصرف فأحدث الموالى عليه ما أحدثوا فلم يعلم المتوكل وجه الحيلة ولم يعلم كل واحد منهما الحيلة فى ذلك الى أن تمت الحيلة * قال ولما عزم بغا الصغير على قتل المتوكل دعا بباغر التركى من وكان قد اصطنعه واتخذه وملأ عينه من الصلات وكان مقداما أهوج فقال له يا باغر أنت تعلم محبتى لك وتقديمى اياك وايثارى لك واحسانى اليك انى قد صرت عندك فى حد من لا يعصى له أمر ولا يخرج عن محبته وأريد أن آمرك بشئ فعرفنى كيف قلبك فيه فقال أنت تعلم كيف أفعل فقل لى ما شئت حتى أفعله قال ان ابنى فارس قد أفسد على عملى وعمل على قتلى وسفك دمى وقد صح عندى ذلك منه قال فتريد منى ماذا قال أريد أن يدخل على غدا فالعلامة بيننا ان أضع قلنسوتى فى الارض فاذا أنا وضعتها فى الارض فاقتله قال نعم ولكن أخاف أن يبدو لك أو تجد فى نفسك على قال قد آمنك الله من ذلك فلما دخل فارس حضر باغر ووقف موقف الضارب فلم يزل يراعى بغا أن يضع قلنسوته فلم يفعل وظن أنه نسى فغمزه بعينه أى افعل قال لا فلما لم ير العلامة وانصرف فارس قال له بغا اعلم انى فكرت فى أنه حدث وانه ولدى وقد رمت أن استخلصه هذه المدة فقال له يا باغر أنا قد سمعت وأطعت وأنت أعلم وما دبرت وقدرت عليه فيه صلاحه ثم قال له وههنا أمر أكبر من ذلك وأهم فعرفنى كيف تريد أن تكون فيه قال له قل ما شئت حتى أفعله قال أخى وصيف قد صح عندى انه يدبر على وعلى رفقائى وان مكاننا قد ثقل عليه وانه عول على أن يقتلنا ويفنينا ويتفرد بالامور قال فماذا تريد أن يصنع به قال أفعل هذا فانه يصير الى غدا فالعلامة أن أنزل عن المصلى الذى يكون معى قاعدا عليه فاذا رأيتنى نزلت عنه فضع سيفك عليه واقتله قال نعم فلما صار

وقال	لا تعظم يا أخى نفسك ان شئت السلامه
	من يعظم نفسه يجنى امتهانا وملامه
	فتواضع تلق عزا * واحتفاء وكرامه
وقال	دع لذة الدنيا فمن يبتلى * بحبها ذاق عذاب السموم
	لذاتها حلم وأيامها * لمح ولكن كم لها من هموم
	محبة الدنيا هلاك فمن * يروعها أهلكه ما يروم
وقال	كل خل بعد ما انت تخطى * لا تعول على صفاء وداده
	انما الخل من تناسى خطايا * ك ويبقى له جميل اعتقاده
وقال	من عامل الناس بالانصاف شاركهم * فى مالهم وأحبوه بلا سبب
	انصاف الناس عدل لا تزال به * تعلو الى أن ترى فى أرفع الرتب
وقال	قل جميلا ان تكلمت ولا * تقل الشر فتلقى الشر شر

وصيف الى بغا حضر باغر وقام مقام المستعد لظهر العلامة حتى قام وصيف وانصرف قال فقال له بغا يا باغر انى فكرت فى أنه أخى وأنى قد عاقدته وحلفت له فلم أستجز أن أفعل ما دبرته ووصله وأعطاه ثم انه أمسك عنه مدة مديدة ودعا به فقال يا باغر قد حضرت حاجة أكبر من الحاجة التى قدمتها فكيف قلبك قال قلبى على ما تحب فقل ما شئت حتى أفعله فقال هذا المنتصر قد صح عندى أنه على ايقاع التدبير على وعلى غيرى حتى يقتلنا وأريد أن أقتله فكيف ترى نفسك فى ذلك ففكر باغر فى ذلك ونكس رأسه وقال هذا لا يجىء منه شئ قال وكيف قال يقتل الابن والاب باق اذا لا يستوى لكم شئ ويقتلكم أبوه كلكم به قال فما ترى عندك قال نبدأ بالاب أولا فنقتله ثم يكون أمر الصبى أيسر من ذلك فقال له ويحك وتفعل هذا وتتهيأ قال نعم أفعله وأدخل عليه حتى أقتله فجعل يردد عليه فيقول لا تفعل غير هذا ثم قال له فادخل أنت فى اثرى فان قتلته والا فاقتلنى وضع سيفك على وقل أراد أن يقتل مولاه فعلم بغا حينئذ أنه قاتله وتوجه له فى التدبير فى قتل المتوكل * وفى سنة سبع واربعين توفيت شجاع ام المتوكل وصلى عليها المنتصر وذلك فى شهر ربيع الآخر ثم قتل المتوكل بعد وفاتها بستة اشهر ليلة الاربعاء لثلاث ساعات خلت من الليل وذلك لثلاث خلون من شوال سنة سبع واربعين ومائتين وقيل لاربع خلون من شوال سنة سبع واربعين * وكان مولده بفم الصلح حدث البحترى قال اجتمعنا ذات يوم مع الندماء فى مجلس المتوكل فتذاكرنا امر السيوف فقال بعض من حضر بلغنى يا امير المؤمنين انه وقع عند رجل من اهل البصرة سيف من الهند ليس له نظير ولم ير مثله فامر المتوكل بكتاب الى عامل البصرة يطلبه بشرائه بما بلغ فنفذت الكتب على البريد وورد جواب عامل البصرة بان السيف اشتراه رجل من اهل اليمن فامر المتوكل بالبعث الى اليمن بطلب السيف وابتياعه فنفذت الكتب بذلك قال البحترى فبينا نحن عند المتوكل اذ دخل عليه عبيد الله والسيف معه وعرفه انه ابتيع من صاحبه باليمن بعشرة آلاف درهم فسر بوجوده وحمد الله على ما سهل من امره واقتضاه فاستحسنه وتكلم كل واحد منا بما يحب وجعله تحت ثنى فراشه فلما كان من الغداة قال للفتح اطلب لى غلاما تثق بنجدته وشجاعته أدفع له هذا السيف ليكون واقفا به على راسى لا يفارقنى فى كل يوم ما دمت جالسا قال فلم يستتم الكلام حتى أقبل باغر التركى فقال الفتح يا امير المؤمنين هذا باغر التركى قد وصف لى بالشجاعة والبسالة وهو يصلح لما اراد امير المؤمنين فدعا به المتوكل فدفع اليه السيف وامره بما اراد وتقدم ان يزاد فى مرتبته وان يضعف له الرزق قال البحترى فوالله ما انتضى ذلك السيف ولا خرج من غمده من الوقت الذى دفع اليه الا فى الليلة التى ضربه فيها باغر بذلك السيف قال البحترى لقد رايت من المتوكل فى الليلة التى قتل فيها عجبا وذلك أنا تذاكرنا امر الكبر وما كانت تستعمله الملوك من الجبرية فجعلنا نخوض فى ذلك وهو يتبرأ منه ثم حول وجهه الى القبلة فسجد وعفر وجهه بالتراب خضوعا لله عز وجل ثم اخذ من ذلك التراب فنثره فى لحيته وراسه وقال انما انا عبد الله ومن صار الى التراب لحقيق أن يتواضع ولا يتكبر قال البحترى فتطيرت له من ذلك وانكرت ما فعله من نثره التراب على راسه ولحيته ثم قعد للشراب فلما عمل فيه غنى من حضره من المغنين صوتا استحسنه ثم التفت الى الفتح فقال يا فتح ما بقى احد سمع هذا الصوت من شارق غيرى وغيرك ثم أقبل على البكاء قال البحترى فتطيرت من بكائه وقلت هذه ثانية فانا فى ذلك اذ أقبل خادم من خدم قبيحة ومعه منديل وفيه خلعة وجهت بها اليه قبيحة فقال له الرسول يا أمير المؤمنين تقول لك قبيحة انى استعملت هذه الخلعة لامير المؤمنين واستحسنتها ووجهت بها لتلبسها قال فاذا فيه

من يفعل خيرا ينل خيرا ومن * يفعل الشر اذا يخشى الضرر

وقال

اذا التأمت امورك بعض شئ * بارضك فاستتم فيها ولازم
فما فى غربة الانسان خير * وما بالغربة الدنيا بلازم

وقال

الى متى تسرح مرخى العنان * قل يا أخى حتى متى ذا الحران
ارجع الى الله وخل الهوى * فالهوى يا صاح الاهوان
قد أنذر الشيب فهل سامع * أنت فصغ للذى قد أبان

وقال

من يكفر النعمة لابد أن * يسلبها من حيث لا يشعر
ومن يكن يشكرها معلنا * دامت له نامية تكثر

وقال

اعذر أخا الفقر فى أن * يضيق ذرعا بنفسه
الفقر موت ولكن * من للفقير برمسه
ان الفقير لميت * ما بين أبناء جنسه

دراعة حمراء لم أر مثلها قط ومطرف خز أحمر كأنه دبيقي من رقته قال فلبس الدراعة وتلحف المطرف قال فاني على ذلك اذ تحرك
المتوكل فيه وقد كان التف عليه المطرف فجذبه جذبة فخرقه من طرفه الى طرفه قال فأخذه ولفه ودفعه الى خادم قبيحة الذي جاءه
بالخلعة وقال قل لها احتفظي بهذا المطرف عندك ليكون كفنا لي عند وفاتي فقلت في نفسي انا لله وانا اليه راجعون انقضت
والله المدة وسكر المتوكل سكرا شديدا قال وكان من عادته أنه اذا تمايل عند سكره أن يقيمه الخدم الذين عند رأسه قال فبينما
نحن كذلك ومضى نحو ثلاث ساعات من الليل اذ أقبل باغر ومعه عشرة نفر من الاتراك وهم متلثمون والسيوف في أيديهم
تبرق في ضوء تلك الشمع فهجموا علينا وأقبلوا نحو المتوكل حتى صعد باغر وآخر معه من الاتراك على السرير فصاح بهم الفتح
ويلكم مولاكم فلما رآهم الغلمان ومن كان حاضرا من الجلساء والندماء تطايروا على وجوههم فلم يبق أحد في المجلس غير
الفتح وهو يحاربهم ويمانعهم قال البحتري فسمعت صيحة المتوكل وقد ضربه باغر بالسيف الذي كان المتوكل دفعه اليه على
جانبه الايمن فقده الى خاصرته ثم ثناه على جانبه الايسر ففعل مثل ذلك وأقبل الفتح يمانعهم عنه فبعجه واحد منهم بالسيف
الذي كان معه في بطنه فأخرجه من متنه وهو صابر لا يتنحى ولا يزول قال البحتري فما رأيت أحدا كان أقوى نفسا ولا أكرم
منه ثم طرح بنفسه على المتوكل فماتا جميعا فلفا في البساط الذي قتلا فيه وطرحا ناحية فلم يزالا على حالتهما في ليلتهما وعامة
نهارهما حتى استقرت الخلافة للمنتصر فأمر بهما فدفنا جميعا وقيل ان قبيحة كفنته بذلك المطرف المخرق بعينه وقد كان بغا
الصغير توحش من المتوكل ٣٣٠ فكان المنتصر يجتذب قلوب الاتراك وكان أوتامش غلام الواثق مع المنتصر

فكان المتوكل يبغضه لذلك وكان أوتامش يجتذب قلوب الاتراك الى المنتصر وعبيد الله بن خاقان الوزير والفتح بن خاقان منحرفين عن المنتصر مائلين الى المعتز وكانا قد أغريا قلب المتوكل على المنتصر فكان المنتصر لا يبعد أحدا من الاتراك الا اجتذبه فاستمال قلوب الاتراك وكثير من الفراغنة

وقال كماتدين أنت ياصاحبي * تدان فاعمل عمل الفاضل
أنت كما أنت فخل الذي * يزين النفس من الباطل
وأين أنت ثم أنت ادرذا * حسبك فاحذر زلل العاقل

وقال مالك ما أنفقته قربة * لله والباقي حساب عليك
فقدم المال ترد آمنا * من بعده وهو ثواب لديك

وقال دع مدح نفسك ان أردت زكاءها * فبمدح نفسك من مقامك تسقط
ما أنت تخفضها بذ يدعلاؤها * والعكس فانظر أعالك أحوط

وقال ذو النقص يصحب مثله * فالشكل يألف شكله
فاصحب أخا الفضل كيما * تقفو بفعلك فعله
أما ترى المسك أبا * يكسب طيبا محله

وقال من عيني المرء يبدو ما يكتمه * حتى يكون الذي يرعاه يفهمه

والاشروسنية الى أن كان من الامر ما ذكرناه وهذا ما اخترناه في هذا الموضع اذ كان أحسن ألفاظا وأقرب مأخذا وقد أتينا على ما
جميع ما قيل في ذلك في الكتاب الاوسط فأغنى ذلك عن اكثاره في هذا الكتاب ولم يكن المتوكل يوما أشد سرورا منه في
اليوم الذي قتل فيه فلقد أصبح في هذا اليوم نشيطا فرحا مسرورا وقال كأني أجد حركة الدم فاحتجم في ذلك اليوم وأحضر
الندماء والملهين فاشتد سروره وكثر فرحه فانقلب ذلك الفرح ترحا والسرور حزنا فمن ذا الذي يغتر بالدنيا ويسكن اليها ويأمن
الغدر والنكبات فيها الا الجاهل مغرور فهي دار لا يدوم نعيمها ولا يتم فيها سرور ولا يؤمن فيها محذور قد قرنت منها السراء
بالضراء والشدة بالرخاء والنعيم بالبلوى ثم يتبعها الزوال فمع نعيمها البؤس ومع سرورها الحزن ومع محبوبها المكروه ومع
صحتها السقم ومع حياتها الموت ومع فرحاتها الترحات ومع لذاتها الآلام فات عزيزها ذليل وقويها مهين وغنيها محروب وعظيمها
مسلوب ولا يبقى الا الحي الذي لا يموت ولا يزول ملكه وهو العزيز الحكيم وفي ذلك يقول البحتري في غدر المنتصر بابيه وقتله
به من قصيدة له

أكان ولي العهد أضمر غدره * فمن عجب أن ولي العهد غادره
فلا ملك الباقي تراث الذي مضى * ولا جلت ذاك الدعاء منابره

وكانت أيام المتوكل في حسنها ونضارتها ورفاهية العيش بها وحمد الخاص والعام لها ورضاهم عنها أيام سراء لا ضراء كما قال
بعضهم كانت خلافة المتوكل أحسن من أمن السبيل ورخص السعر وأماني الحب وأيام الشباب وقد أخذ هذا بعض الشعراء

فقال قربك أشهى موقعا عندنا * من لين السعر وأمن السبيل ومن ليالى الحب موصولة * بطيب أيام الشباب الجميل

(قال المسعودى) وقد قيل انه لم تكن النفقات فى عصر من الاعصار ولا وقت من الاوقات مثلها فى أيام المتوكل ويقال انه أنفق على الهارونى والجوسق الجعفرى أكثر من مائة ألف ألف درهم هذا مع كثرة الموالى والجند والشاكرية ودرور العطاء لهم وجليل ما كانوا يقبضونه فى كل شهر من الجوائز والهبات ويقال انه كان له أربعة آلاف سرية وطئهن كلهن ومات وفى بيوت الاموال أربعة آلاف ألف دينار وسبعة آلاف ألف درهم ولا يعلم أحد فى صناعته فى جد ولا هزل الا وقد حظى فى دولته وسعد بايامه ووصل اليه نصيب وافر من ماله وذكر محمد بن ابى عون قال حضرت مجلس المتوكل على الله فى يوم نيروز وعنده محمد بن عبد الله بن طاهر وبين يديه الحسن بن الضحاك الخليع الشاعر فغمز المتوكل خادما على رأسه حسن الصورة ان يسقى الحسن كاسا ويحييه بتفاحة عنبر ففعل ذلك ثم التفت المتوكل الى الحسن فقال قل فيه أبياتا فانشا يقول

وكالدرة البيضاء حيا بعنبر * من الورد يسعى فى قراطيس كالورد
له عبثات عند كل تحية * بعينيه تستدعى الخلى الى الوجد
تمنيت أن اسقى بعينيه شربة * تذكرنى ما قد نسيت من العهد
سقى الله دهرا لم أبت فيه ساعة * من الليل الا من حبيب على وعد

قال المتوكل أحسنت والله يعطى لكل بيت مائة دينار فقال محمد بن عبد الله ولقد أجاب فأسرع وذكر فاوجع ولولا أن يد أمير المؤمنين لا تطاولها يد لأجزلت له العطاء ولو بالطارف والتالد فقال المتوكل عند ذلك يعطى لكل بيت ألف دينار قال ويروى أنه لما ٣٣١ أتى بمحمد بن المغيث الى المتوكل وقد دعا له بالنطع والسيف قال له يا محمد ما دعاك الى المشاقة قال الشقوة يا أمير المؤمنين وانت ظل الله الممدود بينه وبين خلقه ان لى فيك لظنين أسبقهما الى قلبى أولاهما بك وهو العفو عن عبدك وأنشأ يقول

أبى الناس الا انك اليوم قاتلى * أمام الهدى والعفو بالحر أجمل
وهل أنا الا جبلة من خطيئة * وعفوك من نور النبوة يجمل
تضاءل ذنبى عند عفوك قلة * فمن لى بفضل منك والمن أفضل
لانك خير السابقين الى العلا * وانك خير الفعلتين ستفعل

قال المتوكل أفعل خيرهما وامن عليك ارجع الى منزلك قال ابن المغيث يا أمير المؤمنين الله أعلم حيث يجعل رسالته ولما قتل المتوكل رثته الشعراء فمن رثاه على بن الجهم فقال من قصيدة له عبيد أمير المؤمنين قتلنه * وأعظم آفات الملوك عبيدها

بنى هاشم صبرا فكل مصيبة * سيبلى على وجه الزمان جديدها

وفيه يقول ابن يزيد المهلبى من قصيدة طويلة جاءت منيته والعين هاجعة * هلا أتته المنايا والقنا قصد خليفة لم ينل ماناله أحد * ولم يضع مثله نور ولا جسد كانت له أسياف من لا دونه أحد * وليس فوقك الا الواحد الصمد وفيه يقول بعض الشعراء سرت ليلا منيته اليه * وقد خلى مناعمه وناما فقالت قم فقام وكم أقامت * اخا ملك الى هلك فقاما وفيه يقول الحسن بن الضحاك الخليع ان الليالى لم تحسن الى أحد * الا اساءت اليه بعد احسان

ما رأيت خطوب الدهر ما فعلت * بالهاشمى وبالفتح بن خاقان وذكر على بن الجهم قال لما افضت الخلافة الى امير المؤمنين جعفر المتوكل على الله اهدى اليه الناس على أقدارهم واهدى اليه ابن طاهر هدية فيها مائتا وصيفة ووصيف

ما يضمر المرء يبدو من شمائله * لناظر فيه يهديه توسمه

وقال
انما الدنيا خيال * وأمانيها خبال
حبها سكر ولكن * وصلها ما ان ينال
فتنزه عن هواها * فهوى الدنيا ضلال

وقال
قلما يؤذيك من لا يعرفك * فتحفظ من صديق يألفك
لا تثق بالود ممن تصطفى * كم صديق تصطفيه يتلفك

وقال
لا تضجرن فى الامور وارض بما * يقضى به الله فهو مكتتب
ما قدر الله لا مرد له * فما يفيد العناء والتعب

وقال
تنزه عن دنيات الامور * وخذ بالحزم فى الامر الخطير
فاشراف الامور لها جمال * وخطر فى البهاء وفى الظهور
وفى سفسافها لا شك وهن * وتهوين يشين مدى الدهور

وفي الهدية جارية يقال لها محبوبة كانت لرجل من أهل الطائف قد أدبها وثقفها وعلمها من صنوف العلم وكانت تحسن كل ما يحسنه علماء الناس فحسن موقعها من المتوكل وحلت من قلبه محلا جليلا لم يكن أحد يعدلها عنده قال علي فدخلت عليه يوما للمنادمة فلما استقر بي المجلس قام فدخل بعض المقاصير ثم خرج وهو يضحك فقال ويلك يا علي دخلت فرأيت قينة قد كتبت في خدها بالمسك جعفر فما رأيت أحسن منه فقل فيه شيئا فقلت يا سيدي أوحدي أو أنا ومحبوبة قال لا بل أنت ومحبوبة قال فدعوت بدواة وقرطاس فسبقتني الى القول ثم أخذت العود فترنمت ثم خفقت عليه حتى صاغت له لحنا وتضاحكت مليا ثم قالت يا أمير المؤمنين تأذن لي فأذن لها فغنت

وكاتبة في الخد بالمسك جعفرا * بنفسي محط المسك من حيث أثرا
لئن أودعت خطا من المسك خدها * لقد أودعت قلبي من الوجد أسطرا
فيا من لمملوك يظل مليكه * مطيعا له فيما أسر وأجهرا
ويا من لعيني من رأى مثل جعفر * سقى الله صوب المستهلات جعفرا

قال علي وتعالت خواطري حتى كأني ما أحسن حرفا من الشعر قال فقال لي المتوكل ويلك يا علي ما أمر ذلك به فقلت يا سيدي أقلني فوالله لقد عزب من ذهني فلم يزل يضرب به على رأسي ويعيرني به الى أن مات قال علي ودخلت اليه أيضا للمنادمة فقال لي ويلك يا علي علمت اني غاضبت محبوبة وأمرتها بلزوم مقصورتها ونهيت الحشم عن الدخول اليها وأنفت من كلامها فقلت يا سيدي ان كنت غاضبتها اليوم فصالحها غدا ويديم الله سرور أمير المؤمنين ويمد في عمره قال فأطرق مليا ثم قال للندماء انصرفوا وأمر برفع الشراب فرفع فلما كان من غد دخلت اليه فقال ويلك يا علي اني رأيت البارحة في النوم أني قد صالحتها فقالت جارية يقال لها شاطر كانت تقف أمامه والله لقد سمعت الساعة في مقصورتها هينمة لا أدري ما هي فقال لي قم ويلك حتى ننظر ما هي فقام حافيا وقت اتبعه حتى قربنا من مقصورتها فاذا هي تخفق عودا وتترنم بشيء كأنها تصوغ لحنا ثم رفعت عقيرتها وتغنت

أدور في القصر لا أرى أحدا * أشكو اليه ولا يكلمني
حتى كأني أتيت معصية * ليس لها توبة تخلصني
فمن شفيع لنا الى ملك * قد زارني في الكرى وصالحني
حتى اذا ما الصباح عاد لنا * عاد الى هجره وصارمني

قال فصفق المتوكل طربا وصفقت معه فدخل اليها فلم تزل تقبل رجل المتوكل وتمرغ خديها على التراب حتى أخذ بيديها ورجعنا وهي ثالثتنا قال علي فلما قتل المتوكل ضمت هي وكثير من الوصائف الى بغا الكبير فدخلت عليه يوما للمنادمة فأمر بهتك الستارة وأمر بالقينات فأقبلن يرفلن في الحلي والحلل وأقبلت محبوبة حاسرة من الحلي والحلل عليها بياض فجلست مطرقة منكسة فقال لها وصيف غني قال فاعتلت عليه فقال أقسمت عليك وأمر بالعود فوضع في حجرها فلما لم تجد بدا من القول تركت العود في حجرها ثم غنت عليه غناء مرتجلا

أي عيش يلذ لي * لا أرى فيه جعفرا
ملك قد رأيته * في نجيع معفرا
كل من كان ذا خبال * أو سقم فقد برا
غير محبوبة التي * لو ترى الموت يشترى
لاشترته بما حوته يداها لتقبرا

قال فغضب عليها وصيف وأمر بحبسها فحبست وكان آخر العهد بها (قال المسعودي) ومات في خلافة المتوكل جماعة من أهل العلم ونقلة الآثار وحفاظ الحديث منهم علي بن جعفر

وقال
من يبتلي من أهله بمنغص * يصبر فما أحد بغير منغص
من أزمنت بالوجه منه قرحة * يعزم على ضرر بشين مخصص

وقال
من كان في عزته داره * وكرر المشي الى داره
قبل يدا تعجز عن قطعها * ولن لمن تخشى من اضراره

وقال
لا تبتغ النعمة من جائع * لم يرها قبل لآبائه
لا يرشح الاناء ما لم يكن * ملآن قد أفعم من مائه

وقال
مروءة المرء رأس ماله * وصونه أشرف اعتماله
من لم يصن نفسه تردى * وزال عن رتبة كماله

وقال
ترك المطامع عزه * واليأس أهنى وأبره
هيهات يعز مثر * أضحى للاطماع نهزه
نزاهة النفس عز * ما ذل من يتنزه

المدني بسامرا يوم الاثنين لثلاث بقين من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين ومائتين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة وأشهر وقد تنوزع في السنة التي مات فيها ابن المديني وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب السنة التي قيل فيها ان وفاته كانت فيها * وفي هذه السنة مات أبو الربيع بن الزهري وقد تنوزع في السنة التي مات فيها يحيى بن معين فمنهم من رأى ما قدمنا في هذا الكتاب ومنهم من رأى وهو الاكثر انه مات في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ويكنى بأبي زكريا مولى بني مرة وقد بلغ من السن خمسا وسبعين سنة وأشهرا بالمدينة وقيل ان في هذه السنة كانت وفاة أبي الحسن علي بن محمد المدائني الاخباري وقيل مات في أيام الواثق في سنة ثمان وعشرين ومائتين وفيها كانت وفاة مسدد بن مسرهد واسمه عبد الملك بن عبد العزيز * وفيها مات الحماني الفقيه وابن عائشة واسمه عبد الله بن محمد بن حفص ويكنى بأبي عبد الرحمن وهو من تيم قريش * وفي خلافة المتوكل مات هند بن خالد وسفيان بن فرج الايلي وابراهيم بن محمد الشافعي وذلك في سنة ست وثلاثين ومائتين * وفي سنة سبع وثلاثين ومائتين مات العباس بن الوليد الرسي بالبصرة وعبد الاعلى بن حماد الرسي وعبيد الله بن معاذ العنبري * وفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين مات اسحق بن ابراهيم المعروف بابن راهويه وبشر بن الوليد القاضي الكندي صاحب أبي يوسف وقد قيل ان في هذه السنة مات العباس بن الوليد الرسي * وفي سنة تسع وثلاثين ومائتين مات عثمان بن أبي شيبة الكوفي بالكوفة والصلت بن مسعود الجحدري * وفي سنة أربعين ومائتين مات هياب بن خليفة العصفري وعبد الواحد بن عتاب * وفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين مات هشام بن عمار الدمشقي وحميد بن مسعود الناجي وعبد الله بن معاوية الجمحي وفيها مات يحيى بن أكثم القاضي في الربذة ومحمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب * وفي سنة ست وأربعين ومائتين مات محمد بن المصطفى الحمصي وعنبسة ابن اسحق بن شمر وموسى ابن عبد الملك (قال المسعودي) وللمتوكل اخبار وسير حسان غير ما ذكرنا وقد أتينا عليها على الشرح والاختصار في كتابنا في أخبار الزمان والله الموفق للصواب

(ذكر خلافة المنتصر بالله)

وبويع محمد بن جعفر المنتصر في صبيحة الليلة التي قتل فيها المتوكل وهي ليلة الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين ويكنى بأبي جعفر وأمه أم ولد يقال لها حبشية رومية واستخلف وهو ابن خمس وعشرين سنة وكانت بيعته بالقصر المعروف بالجعفري الذي احدث بناءه المتوكل ومات سنة ثمان وأربعين ومائتين وكانت خلافته ستة اشهر *

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه) *

كان الموضع الذي قتل فيه المتوكل هو الموضع الذي قتل فيه شيرويه أباه كسرى ابرويز وكان الموضع يعرف بالماخورة وكان مقام المنتصر بعد أبيه في الماخورة سبعة أيام ثم انتقل عنه وأمر بتخريب ذلك الموضع وحكي عن أبي العباس محمد بن سهل قال كنت أكتب لعتاب بن عتاب على ديوان جيش الشاكرية في خلافة المنتصر فدخلت الى بعض الاروقة فاذا هو مفروش ببساط سوسنجرد ومسند ومصلى ووسائد بالحمرة والزرقة وحول البساط دارات فيها أشخاص ناس وكتابة بالفارسية وكنت أحسن القراءة بالفارسية واذا عن يمين المصلى صورة ملك وعلى رأسه تاج كأنه ينطق فقرأت الكتابة فاذا هي صورة شيرويه القاتل لأبيه ابرويز الملك ملك ستة أشهر ثم رأيت صور ملوك شتى ثم انتهى بي النظر الى صورة عن يسار المصلى عليها مكتوب صورة يزيد بن الوليد بن عبد الملك قتل ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ملك ستة أشهر فعجبت من ذلك واتفاقه عن يمين مقعد المنتصر وعن شماله فقلت لا أرى يدوم ملكه أكثر من ستة أشهر فكان والله كذلك فخرجت من الرواق الى

وقال
تعظيمك الناس تعظيم لنفسك في * قلوب الاعداء طرا والاوداء
من يعظم الناس يعظم في النفوس بلا * مؤنة وينل عز الاعزاء

وقال
اقنع من الناس بمقدار ما * يعطون لا تبغ منهم مزيد
حسبك من كل امرئ قدر ما * يعطيك فالاطماع مالا تفيد

وقال
لن اذا كانت الامور صعابا * وتواضع لها تجدها قرابا
دار من شئت تنتفع منه واترك * صولة الكبر فهي تجني عذابا
لا تكن تأخذ الامور بعنف * من يعاني الامور بالعنف خابا

وقال
سامح الناس ان أساؤا اليكا * وتغافل اذا تجنوا عليكا
فاترى كيف أنت تعصي ومولا * ك يزيد الانعام دأبا لديكا

وقال
اغتنم ساعة انس * وانس ما كان بامس
ليس للمرء من دنيا * ه سوى راحة نفس

مجلس وصيف و بغا وهما في الدار الثانية فقلت لوصيف أعجز هذا الفراش أن يفرش تحت أمير المؤمنين الاهذا البساط الذي عليه صورة يزيد بن الوليد قاتل ابن عمه وصورة شيرويه قاتل أبيه ابرويز وعاشا ستة أشهر بعدما قتلا فجزع وصيف من ذلك وقال علي بأيوب بن سليمان النصراني خازن الفرش فمثل بين يديه فقال له وصيف لم تجد ما يفرش في هذا اليوم تحت أمير المؤمنين الاهذا البساط الذي كان تحت المتوكل ليلة الحادثة وعليه صورة ملك الفرس وغيره وقد كان ناله آثار الدماء قال ما التي امير المؤمنين المنتصر عنه وقال ما فعل البساط فقلت عليه آثار دماء فاحشة وقد عزمت أن لا أفرشه من ليلة الحادثة فقال لم لا تغسله وتطويه فقلت خشيت أن يشيع الخبر عند من يرى ذلك البساط من اثر الحادثة فقال ان الامر اشهر من ذلك يريد قتل الاتراك لابيه المتوكل فطويناه و بسطناه تحته فقال وصيف وبغا اذا قام امير المؤمنين من مجلسه فخذه وأحرقه بالنار فلما قام احرق بحضرة وصيف و بغا فلما كان بعد ايام قال لي المنتصر افرش ذلك البساط الفلاني فقلت واين ذلك البساط فقال وما الذي كان من امره فقلت ان وصيفا وبغا امراني باحراقه قال فسكت ولم يعد في امره شيأ الى أن مات * وقد كان المنتصر طرب في هذه الايام فدعا بنان بن الحرث العواد وكان مطربا مجيدا وقد كان غضب عليه فاحضره فغناه

لقد طال عهدي بالامام محمد * وما كنت اخشى أن يطول به عهدي
فاصبحت ذا بعد وداري قريبة * فيا عجبا من قرب داري ومن بعدي
رايتك في برد النبي محمد * كبدر الدجا بين العمامة والبرد

وكان ذلك ثاني يوم الاضحى ٣٣٤ وقد كان المنتصر صلى بالناس في هذا العيد ومما غني به من الشعر للمنتصر في ذلك اليوم

رايتك في المنام اقل بخلا * واطوع منك في غير المنام
فليت الصبح بادولا نراه * وليت الليل آخر الف عام
ولوان النعاس يباع بيعا * لاغليت النعاس على الانام

ومن شعر المنتصر ايضا مما غني بحضرته

انى رايتك في المنام كانني * اعطيتني من ريق فيك البارد
وكأن كفك في يدي وكأنما * بتنا جميعا في لحاف واحد
ثم انتبهت ومعصماك كلاهما * بيدي اليمين وفي يمينك ساعدي
فظللت يومي كله متراقدا * لاراك في نومي ولست براقد

وقد كان استوزر احمد بن الخصيب وندم على ذلك وكان نهى عبد الله بن خاقان وذلك أن احمد ركب ذات يوم فتظلم اليه متظلم بقصة فاخرج رجله من الركاب فزج بها في صدر المتظلم فقتله فتحدث الناس بذلك فقال بعض شعراء ذلك الزمان

قل للخليفة يا ابن عم محمد * اشكل وزيرك انه ركال
اشكله عن ركل الرجال فان ترد * مالا فعند وزيرك الاموال

(قال المسعودي) ولو لحق هذا الشاعر الوزير حامد بن العباس في وزارته للمقتدر بالله لرأى منه قريبا مما ظهر من ابن الخصيب وذلك انه خاطبه مخاطب ذات يوم فقلب ثيابه على كتفه ولكم حلقه ولقد دخلت عليه ذات يوم أم موسى القهرمانة الهاشمية أو غيرها من القهارمة فخاطبته في شيء من الاموال عن رسالة المقتدر فكان مما خاطبها به أن قال

اضرطي والتقطي * واحسبي لا تغلطي

فأخجلها ذلك فقطعها عما له قصدت فمضت من فورها الى المقتدر والسيدة فاخبرتهما بذلك فامر القيان يغنين ذلك اليوم بذلك الكلام وكان يوم طرب وسرور وقد أتينا على خبره وأخبار غيره من وزراء بني العباس وكتاب بني أمية الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في الكتاب الاوسط وأخبرت عن أبي العباس أحمد بن محمد بن موسى ابن الفرات قال كان أحمد بن الخصيب سيئ الرأي في والده وكان عاملا له فجاءني مخبر من خدم الخاصة فقال ان الوزير قد ندب

من يكن حلف هموم * باع دنياه ببخس

وقال

حسبك الشيء يغطي قبحه * فتراه حسنا في كل حال
لا يرى المحبوب الاحسنا * كان قبح فيه مع ذا أو جمال
حتم الحب على ذي الحب أن * لا يرى المحبوب الا في كمال

وقال

يحسب الناقص أن الناس قد * غفلوا عن حاله في ضعته
لا يرى الناقص الا أنه * كامل من نعته في صفته
غلط المرء يغطي عقله * أن يرى النقص الذي في جهته

وقال

أيام عمرك هذي * ساعاتها رأس مالك
فاحرص على الخير فيها * قبل أوان ارتحالك
فانما أنت طيف * تجتاب سبل المهالك

وقال

تجد الناس على النقص ولا * تجد الكامل الا من ومن
زمن

لاعمالكم فلانا وقد أمره فى والدك بكل مكروه وأن يصادره على جملة من المال غليظة ذكرها فقعدت وعندى بعض أصدقائنا
من الكتاب أبادر بالكتاب الى والدى بذلك فاشتغلت عن جليسى الكاتب فاتكأ على الوسادة وغفا فانتبه مرعوبا وقال انى قد
رأيت رؤيا عجيبة رأيت أحمد بن الخصيب واقفا فى هذا الموضع وهو يقول يموت الخليفة المنتصر الى ثلاثة أيام قال قلت له الخليفة فى
الميدان يلعب بالصولجان وهذه الرؤيا ضرب من البلغم والمرار وقد قدمنا الطعام فما استتممنا الكلام حتى دخل علينا داخل فقال
رأيت الوزير بدار الخاصة غير مسفر الوجه وانى سألت عن سبب ذلك فقيل لى ان الخليفة المنتصر انصرف من الميدان وهو
عرق فدخل الحمام ونام فى البازهنج فضربه الهواء وركبته حمى هائلة قد دخل عليه أحمد بن الخصيب فقال ياسيدى أنت متقلب
وحكم الزمان تنزل من الركوب تعبا فتدخل الحمام ثم تخرج عرقا فتنام فى البازهنج فقال له المنتصر أتخاف أن أموت ورأيت
فى المنام البارحة آتيا أتانى فقال لى تعيش خمسا وعشرين سنة فعلمت أن ذلك بشارة فى المستقبل من عمرى وأنى أبقى فى
الخلافة هذه المدة قال فمات فى اليوم الثالث فنظروا فاذا هو قد استوفى خمسا وعشرين سنة * وقد ذكر جماعة من أصحاب
التواريخ أن المنتصر ضربته الريح يوم الخميس لخمس بقين من شهر ربيع الاول ومات مع صلاة العصر لخمس ليال خلون من
ربيع الآخر وصلى عليه أحمد بن محمد المستعين وكان أول خليفة من بنى العباس أظهر قبره وذلك ان أمه حبشية سألت ذلك
فاذن لها وأظهرته بسامرا * وقد قيل ان الصنفورى الطبيب سمه فى مشراط حجمه به وقد كان عزم على تفريق جمع الاتراك
فأخرج وصيفا فى جمع كثير الى غزاة الصائفة بطرسوس ونظر يوما الى بغا الصغير وقد ٣٣٥ أقبل فى القصر وحوله جماعة
من الاتراك فأقبل على الفضل بن المأمون فقال قتلنى الله ان لم اقتلهم وافرق جمعهم بقتلهم المتوكل على الله فلما نظر الاتراك الى ما يفعل بهم وما قد عزم عليه وجدوا منه الفرصة وقد شكا ذات يوم حرارة فاراد الحجامة فخرج له من الدم ثلثمائة درهم لما كان فى المبضع وشرب شربة بعد ذلك فخلت قواه ويقال
ان السم كان فى مبضع الطبيب حين فصده * وقد ذكر ابن أبى الدنيا عن عبد الملك بن سليمان بن أبى جعفر قال رأيت فى
نومى المتوكل والفتح بن خاقان وقد أحاطت بهما نار وقد جاء محمد المنتصر فاستأذن عليهما فمنع الوصول ثم أقبل المتوكل على
فقال يا عبد الملك قل لمحمد بالكأس الذى سقيتنا تشرب قال فلما أصبحت غدوت على المنتصر فوجدته محموما فواظبت على
عيادته فسمعته فى آخر علته يقول عجلنا فعوجلنا فمات من ذلك المرض * وكان المنتصر واسع الاحتمال راسخ العقل كثير
المعروف راغبا فى الخير سخيا أديبا عفيفا وكان يأخذ نفسه بمكارم الاخلاق وكثرة الانصاف وحسن المعاشرة بما لم يسبقه
خليفة الى مثله وكان وزيره أحمد بن الخصيب قليل الخير كثير الشر شديد الجهل وكان آل أبى طالب قبل خلافته فى محنة
عظيمة وخوف على دمائهم قد منعوا زيارة قبر الحسين والغرى من أرض الكوفة وكذلك منع غيرهم من شيعتهم حضور
هذه المشاهد وكان الامر بذلك من المتوكل سنة ست وثلاثين ومائتين وفيها أمر المعروف بالديزج بالمسير الى قبر الحسين بن
على رضى الله تعالى عنهما وهدمه ومحو أرضه وازالة أثره وأن يعاقب من وجد به فبذل الرغائب لمن يقدم على هذا القبر
فكل خشى العقوبة وأحجم فتناول الديزج مسحاة وهدم أعالى قبر الحسين فحينئذ أقدم الفعلة فيه وانهم انتهوا الى الحفرة
وموضع اللحد فلم يروا فيه أثر رمة ولا غيرها ولم تزل الامور على ما ذكرنا الى ان استخلف المنتصر فأمن الناس وتقدم بالكف عن
آل أبى طالب وترك البحث عن أخبارهم وأن لا يمنع أحد زيارة الحيرة لقبر الحسين رضى الله تعالى عنه ولا قبر غيره من آل

زمن الباطل وأى أهله * وكذاك الناس أشباه الزمن

وقال
قل جميلا اذا أردت الكلاما * تجن عزا مهنأ مستداما
ان قول القبيح يورث بغضا * وصغارا عند الورى وملاما

وقال
حسن الظن تعش فى غبطة * ان حسن الظن من أقوى الفطن
من يظن السوء يجزى مثله * قلما يجزى قبيح حسن

وقال
ان تبغ اخوان الصفاء فهم * تحت التراب انتقلوا للقبور
اخوانك اليوم كأزمانهم * مشتبهون فى جميع الامور

وقال
ومستقبح من أخ خلة * وفيه معايب تسترذل
كأعمى يخاف على أعور * عثارا وعن نفسه يغفل

وقال
من يبتغ الود من الناس * يكن لما قالوه بالناسى
اغض عن الناس تنل ودهم * انك لا تغنى عن الناس

أبى طالب وأمر بردفدك الى ولد الحسن والحسين وأطلق أوقاف آل أبى طالب وترك التعرض لشيعتهم ودفع الاذى عنهم وفى ذلك يقول البحترى من أبيات له

وان عليا الاولى بكم * وأزكى يدا عندكم من عمر
وكل له فضله والحجو * ل يوم ترالتراهين دون الغرر

وفى ذلك يقول يزيد بن محمد المهلبى وكان من شيعة آل أبى طالب وما كان امتحن به الشيعة فى ذلك الوقت واغريت بهم العامة

ولقد بررت الطالبية بعدما * ذموا زمانا بعدها وزمانا
ورددت ألفة هاشم فرأيتهم * بعد العداوة بينهم اخوانا
آنست ليلهم وجدت عليهم * حتى نسوا الاحقاد والاضغانا
لو يعلم الاسلاف كيف بررتهم * لرأوك أثقل من بها ميزانا

وفى سنة ثمان وأربعين ومائتين خلع المنتصر بالله أخويه المعتز وابراهيم من ولاية العهد بعده وقد كان المتوكل بالله أخذ لهم العهد فى كتب كتبها وشروط اشترطها وأفرد لكل واحد منهم جزأ من الاعمال رسمه له وجعل ولى عهده والتالى الملك محمدا المنتصر وتالى المنتصر وولى عهده المعتز وتالى المعتز وولى عهده ابراهيم المؤيد وأخذت البيعة على الناس بما ذكرنا وفرق فيها أموالا وعم الناس بالجوائز والصلات وتكلمت فى ذلك الخطباء ونطقت به الشعراء فما اختير من قولهم فى ذلك قول مروان بن أبى الجنوب من قصيدة

ثلاثة أملاك فاما محمد * فنور هدى يهدى به الله من يهدى
وأما أبو عبد الاله فانه * شبيهك فى التقوى ويحدى كما تحدى
وذو الفضل ابراهيم للناس عصمة * تقى وفى بالوعيد وبالوعد
فأولهم نور وثانيهم هدى * وثالثهم رشد وكلهم مهدى

وقوله للمتوكل مما أجاد فيه وأحسن

يا عاشر الخلفاء دمت ممتعا * بالملك تعقد بعدهم للعاشر
حتى تكون أمامهم وكأنهم * زهر النجوم دنت لبدر زاهر

وفى بيعة المتوكل لمن ذكرنا من ولده الثلاثة بولاية العهد يقول الشاعر المعروف بالسلمى

لقد شد ركن الدين بالبيعة الرضا * وطاب ثرى بعد جعفر بن محمد
لمنتصر بالله أثبت ركنه * وأكد بالمعتز قبل المؤيد

وقال

اعييت مع الناس الحيل * وبار فيهم العمل
فى أى وجه أملوا * يخيب منهم الامل
فاترك العزلة عنهم تنج من كل خالى

وقال

لا ترج غير الله فى شئ تنل * ما تبتغيه وتكف كل مخوف
الله أعظم من رجوت فثق به * فهو الذى أعطى وأنجى من كفى

وقال

توسل الى الله فى كل ما * تحب بمحبوبه المصطفى
تنل ما تحب كما تبتغى * وحسبك جاها به وكفى

انتهى ما لخصت واخترت من الكتاب المذكور

وهذه نبذة من كتابه الابيات المهذبة فى المعانى المقربة فمن ذلك قوله

اكتم السر واجعل الصدر قبره * لا تبح ما حييت منه بذره
انت ما لم تبح بسرك حر * فاذا بحت صرت عبدا غيره

وممن قال فى ذلك فأحسن القول وأجاد النظم من ادريس بن أبى حفصة

ان الخلافة ما لها عن جعفر * نور الهدى وبنيه من تحويل
فاذا قضى منها الخليفة جعفر * للناس لا فقدوه خير بديل
فبقاء ملكك وانتظار محمد * خير لنا وله من التعجيل

وقد كان خرج بأيام المنتصر بناحية اليمن والبوازيج والموصل أبو العمود الشارى فعظم واشتد أمره فيمن انضاف اليه من المحكمة من ربيعة وغيرهم من الاكراد فسرح اليه المنتصر جيشا عليهم سيما التركى فكانت له مع الشارى حروب فأسر الشارى وأتى به المنتصر فعاد عليه بالعفو وأخذ عليه العهد وخلى سبيله (وحكى) عنه وزيره احمد بن الخصيب بن الضحاك الجرجانى أنه قال حين رضى عن الشارى ان لذة العفو أعذب من لذة التشفى وأقبح أفعال المقتدر الانتقام * وأخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال رأى بعض الكتاب فى المنام فى الليلة التى استخلف فى صبيحتها المنتصر كأن قائلا يقول

هذا الامام المنتصر * والملك الحادى عشر
وأمره اذا أمر * كالسيف ما لاقى بتر
وطرفه اذا انظر * كالدهر فى خير وشر

وقد كان أظهر الانصاف فى الرعية فمالت اليه قلوب الخاصة والعامة مع شدة الهيبة منها له * وحدثنى أبو الحسن أحمد على بن يحيى المعروف بابن النديم قال حدثنا على بن يحيى المنجم قال ما رأيت أحدا مثل المنتصر ولا أكرم أفعالا بغير تبجح منه ولا تكلف لقد رآنى يوما وأنا مغموم شديد الفكر بسبب ضيعة مجاورة لضيعتى وكنت أحب شراءها فلم أزل أعمل الحيلة

على مالكها حتى أجابني الى بيعها ولم يكن عندي في ذلك الوقت قيمة ثمنها فصرت الى المنتصر وأنا على تلك الحال فتبين الانكسار في وجهي وشغل القلب فقال لي أراك مفكرا فما قصتك فجعلت أزوي عنه خبري وأستر قصتي فاستحلفني فصدقته عن خبر الضيعة فقال لي المنتصر فكم مبلغ ثمنها فقلت ثلاثون ألف درهم قال فكم عندك منها قلت عشرة آلاف فامسك عني ولم يجبني وتشاغل عني ساعة ثم دعا بدواة وبطاقة ثم وقع فيها بشئ لا أدري ماهو وأشار الى خادم كان على رأسه عالم أفهم فمضى الغلام مسرعا وأقبل يشغلني بالحديث ويطاعمني الكلام الى أن اقبل الغلام فوقف بين يديه فنهض المنتصر وقال لي يا علي اذا شئت فانصرف الى منزلك وقد كنت قدرت عند مسئلته انه سيأمر لي بالثمن أو نصفه فاتيت وأنا لا أعقل غما فلما وصلت الى داري استقبلني وكيلي فقال ان خادم أمير المؤمنين صار الينا ومعه بغل عليه بدرتان فسلمهما الي وأخذ خطي بقبضهما قال فداخلني من الفرح والسرور مالم أملك به نفسي ودخلت وأنا لا أصدق قول الوكيل حتى أخرج الي البدرتين فحمدت الله تعالى على ما حباه لي ووجهت في وقتي الى صاحب الضيعة فوفيته الثمن وتشاغلت سائر يومي بتسليمها والاشهاد بها على البائع ثم بكرت الى المنتصر من الغد فما أعاد علي حرفا ولا سألني عن شئ من خبر الضيعة حتى فرق الموت بيننا (قال المسعودي) وذكر الفضل بن أبي طاهر في كتابه في أخبار المؤلفين قال حدثني أبو عثمان سعيد بن محمد الصغير مولى أمير المؤمنين قال كان المنتصر في أيام امارته ينادمه جماعة من أصحابه وفيهم صالح بن أحمد المعروف بالحريري فجرى في مجلسه ذات يوم ذكر الحب والعشق فقال المنتصر لبعض من في المجلس أخبرني عن أي شئ أعظم عند النفس فقدا وهي به أشد تفجعا قال فقد خل مشاكل وموت شكل موافق وقال آخر من حضر ما أشد جولة الرأي عند أهل الهوى وفطام النفس عند الصبا وقد تصدعت أكباد العاشقين من لوم العاذلين فلوم العاذلين قرط في آذانهم ولوعات الحب نيران في أبدانهم مع دموع المغاني كغروب السواني وانما يعرف ما أقول من أبكته المغاني والطلول وقال آخر مسكين العاشق كل شئ عدوه هبوب الرياح يقلقه ولمعان البرق يؤرقه والعذل يؤلمه والبعد ينحله والذكر يسقمه والقرب يهيجه والليل يضاعف بلاءه والرقاد يهرب منه ورسوم الدار تحرقه والوقوف على الطلول يبكيه ولقد تداوت منه العشاق بالقرب والبعد فما نجع فيه دواء ولا هدأه عزاء ولقد أحسن الذي يقول

وقد زعموا أن المحب اذا دنا * يمل وأن النأي يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد

فكل قال وأكثر الخطب في ذلك فقال المنتصر لصالح بن محمد الحريري يا صالح هل عشقت قط قال اي والله أيها الامير وان بقايا ذلك في صدري قال ويلك لمن قال أيها الملك كنت آلف الرصافة في أيام المعتصم وكانت لقينة أم ولد الرشيد جارية تخرج في جواريها وتقوم في أمرها وتلقى الناس عنها وكانت قينة تتولى أمر القصر اذ ذاك وكانت تعرفني فاحتشمها وأعاينها ثم راسلتها فطردت رسولي وهددتني وكنت أقعد على طريقها لأكلمها فاذا رأتني ضحكت وغمزت الجواري بالعبث بي والهزء ثم فارقتها وفي قلبي منها نار لا تخمد وغليل لا يبرد ووجد يتجدد فقال له المنتصر فهل لك أن أحضرها وأزوجكها ان كانت حرة وأشتريها ان كانت أمة فقال والله أيها الامير اني الى ذلك أعظم الفاقة وأشد الحاجة قال فدعا المنتصر بأحمد بن الخصيب وسأله أن يوجه له في ذلك غلاما من غلمانه منفردا ويكتب معه كتابا مؤكدا الى ابراهيم بن اسحق وصالح الخادم المتولي لأمر الحرم بمدينة الرسول عليه السلام فمضى الرسول وقد كانت أعتقتها

من يرد ان يعيش عيشا هنيئا * يتحفظ عما عسى ان يضره

وقال

عداوة العاقل مع عسرها * آمن من صداقة الاحمق
يمكن الاحمق من نفسه * عمدا ومن احبابه يتقي
لا يحفظ الاحمق خلا ولا * يرضاه للصحبة الاشفق

وقال

اذا أمعنت في الدنيا اعتبارا * رأيت سرورها رهن انتحاب
بعاد عن تدان وافتقار * عن استغنا وشيب عن شباب
حياة كلها اضغاث حلم * وعيش ظله مثل السراب

وقال

من تره يسرف في ماله * يتلفه في لذة وانهماك
فذلك المغبون في رأيه * يسلك بالنفس سبيل الهلاك

وقال

من لا يرى نفسه في الناس قاصرة * عن الكمالات لم يكمل له أدب
ومن يكن راضيا عن نفسه أبدا * فذاك عن غرض الآداب محتجب

وخرجت من حد الجوارى الى حد النساء البوالغ فحملها الى المنتصر فلما حضرت نظر اليها فاذا عجوز قد حدبت وهنت وبها بقية من الجمال فقال لها تحبين ان ازوجك قالت انما انا امتك ايها الامير ومولاتك فافعل ما بدا لك فاحضر صالحا واملكه بها واعطاه مهرها ثم زوجه فاحضرحو راء صصا وعركا فخلا فنثره عليه واقامت مع صالح مدة طويلة ثم ملها ففارقها وقال يعقوب التمار فى ذلك

منع الله اباالفضل حياة لا تنغص * وتولاه فقد دبا لمغ فى الحب واخلص

عاشقا كان على التز * ويح للعقد تحرص * من هوى من شعرها يخضب بالحنا المعقص

فتراه عندما ينصل كالبرد المحرص * فهى من اصلح خلق الله فى التاج المقصص

رزق الصبر عليها * فتأنى وتربص * شيخة هام بها من * وجده شيخ مقرفص

قرنصت فى عهد نوح * صاحب الفلك وقرنص * اى حظ نال لولا الـعرك والحور المرصص

ليته قد جعل الامسر اليها وتخلص * فانوالحوذن منها * حـمن يدنو يتقلص

وذكر ابو عثمان سعيد بن محمد الصغير قال كان المنتصر فى ايام امارته قد وجهنى الى مصر فى بعض اموره السلطان فعشقت جارية كانت لبعض النخاسين عرضت للبيع محسنة فى الصنعة مقبولة فى الخلقة قائمة على الوزن من المحاسن والكمال فساومت مولاها فابى أن يبيعها الا بالف دينار ولم يكن ثمنها متهيئا معى فازعجنى السفر وقد علقها قلبى فاخذنى المقيم المقعد من حبها وندمت على مافاتنى من شرائها فلما قدمت وفرغت مما وجهنى اليه وأديت اليه ما عملت جد

أثرى فيه وسالنى عن حاجتى وخبرى فاخبرته بمكان الجارية وكلفى بها فاعرض عنى وجعل لا يزداد الاحدة وقلبى لا يزداد الا كلفا وصبرى لا يزداد الاضعفا وسليت نفسى عنها بغيرها فكانى أغريتها ولم تنسل عنها وجعل المنتصر كلما دخلت اليه وخرجت من عنده يذكرها ويهيج شوقى

آداب الانسان تحقيقا تواضعه * وجريه دائما على الذى يجب

وقال

يحق الحق حتما دون شك * وان كره المشكك والملد

صريح الحق قد يخفى ولكن * بعيد خفاته لاشك يبدو

وقال

كل ماقد فات لارد له * فلتكن عن ذاك مصروف الطمع

ايعود الحسن من بعد الصبا * قلما اد برشئ فرجع

وقال

اغتنم غفلة الزمان وبادر * لذة العيش مابقيت سليما

امر هذى الحياة ايسر من أن * تقتدى فيه لائما وملوما

وقال

لا تغرنك صولة الجاه يوما * او تظنن انها تتمادى

صولة الجاه لفح نار ولكن * كل نار لابد تلقى رمادا

وقال

تنح عن الناس مهما استطعت * ولا تك فى الناس بالراغب

من اعتمد الناس يشقى ولا * يرى غير منتقد عائب

اليها وتحيلت اليه بندمائه واهل الانس به وخاصه من يحظى من جواريه وامهات اولاده وجدته ام الخليفة أن يشتريها الى وهو لا يجيبنى الى ذلك ويعيرنى بقلة الصبر وكان قدام احمد بن الخصيب ان يكتب الى عامل مصر فى ابتياعها وحملها اليه من حيث لا أعلم فحملت اليه وصارت عنده فنظر اليها وسمع منها فعذرنى فيها ودفعها الى قيمة جواريه فاصلحت من شانها فلما كان يوم من الايام استجلسنى وامرها ان تخرج الى الستارة فلما سمعت غناءها عرفتها وكرهت انى أعلمه انى قد عرفتها حتى ظهر فى ما كتمت وغلب على صبرى فقال مالك ياسعيد قلت خيرا ايها الامير قال فاقترح عليها صوتا فاقترحت عليها صوتا كنت قد أعلمته انى سمعته منها وانى استحسنته من غنائها فغنته فقال أتعرف هذا الصوت قلت اى والله ايها الامير وكنت اطمع فى صاحبته فاما الآن فقد ايست منها وكنت كالقاتل نفسه بيده وكالحالب الحتف الى حياته فقال والله ياسعيد ما اشتريتها الا لك ويعلم الله انى ما رأيت لها وجها الا ساعة دخلت عليها وقد استراحت من ألم السفر وخرجت من شحوبة التبذل فهى لك فدعوت له بما امكننى من الدعاء وشكره عنى من حضره من الجلساء وامر بها فهيئت وحملت الى فردت الى حياتى بعد أن اشرفت على الهلكة ولا احد عندى احظى منها * ومن ملاحات احاديث الملهين المجان ماذكره ابو الفضل بن ابى طاهر قال حدثنى احمد بن الحرث الخزاز عن ابى الحسن المدائنى وابى على الحرمازى قالا كان بمكة سفيه يجمع بين الرجال والنساء على الفحش والريب وكان من اشراف قريش ولم يذكر اسمه فشكا اهل مكة ذلك الى الوالى

فغر به الى عرفات فاتخذها منزلا ودخل الى مكة مستترا فلقى بها حرفاءه من الرجال والنساء فقال وما يمنعكم منى فقالوا وابن بك وانت بعرفات فقال جار بدرهمين وصرتم الى الامن والنزهة والخلوة واللذة قالوا نشهد انك لصادق فكانوا ياتونه فكثر ذلك حتى افسد على اهل مكة احداثهم وحواشيهم فعادوا بالشكية الى اميرهم فارسل اليه فاتى به فقال اى عدو الله طردتك من حرم الله فصرت الى المشعر الاعظم تفسد فيه وتجمع بين الخبائث فقال اصلح الله الامير انهم يكذبون على ويحسدونى فقالوا للوالى بيننا وبينه واحدة تجمع حمر المكارين وترسلها الى عرفات فان لم تقصد الى بيته لما تعودت من اتيان السفهاء والفجار فالقول ما قال فقال الوالى ان فى هذا الدليلا وامر بجمع الحمر فجمعت ثم ارسلت فقصدت منزله وانا امناؤه فقال ما بعد هذا شئ جردوه فلما نظر الى السياط قال ولا بد من ضربى قال لا بد يا عدو الله قال اضرب فو الله ما فى هذا شئ اشد من ان يسخر بنا اهل العراق ويقولون اهل مكة يجيزون شهادة الحمير مع تقريعهم لنا بقبول شهادة الواحد مع يمين الطالب قال فضحك الوالى وقال لا اضربك اليوم وامر بتخلية سبيله وترك التعرض له ❊(قال المسعودى) وللمنتصر بالله اخبار حسان واشعار وملح ومنادمات ومكاتبات ومراسلات قبل الخلافة وقد اتينا على مبسوطها وما استحسناه منها مما لم نورده فى هذا الكتاب فى كتابنا اخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الدائرة وكذلك فى الكتاب الاوسط اذ كنا ما ضمناه كل كتاب منها لم نتعرض لذكره فى الآخر ولو كان كذلك لم يكن بينها فرق وكان الجميع واحدا وسنورد بعد فراغنا من هذا الكتاب كتابا نضمنه فنونا من الاخبار ونخلله بالآداب وفنون الآثار تاليا لما سلف من كتبنا ومعقبا لما تقدم من تصنيفنا ان شاء الله تعالى

وقال

لا تقل يوما انا ❊ فتقاسى محنا

من يعظم نفسه ❊ يلق هوانا وعنا

شر ما يأتى الفتى ❊ مدحه لو فطنا

وقال

الناس اخوان ذى الدنيا وان قبحت ❊ افعاله وغدا لا يعرف الدينا

يعظمون اخا الدنيا وان عثرت ❊ يوما به اولغوا فيه السكاكينا

وقال

العدل روح به تحيا البلاد كما ❊ هلاكها ابدا بالجور ينحتم

الجور رشين به التعمير منقطع ❊ والعدل زين به التمهيد ينتظم

يا قاتل الله اهل الجور كم خربت ❊ بهم بلاد وكم بادت بهم امم

وقال

اليأس اسلى واغنى ❊ من نيل ما يتمنى

يسلو اخو اليأس حتى ❊ يهنا ولا يتعنى

لليأس برد فمن لم ❊ يذقه لم يتهنا

❊(ذكر خلافة المستعين بالله)❊

وبويع احمد بن محمد بن المعتصم فى اليوم الذى توفى فيه المنتصر وهو يوم الاحد لخمس خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثمان واربعين ومائتين ويكنى بابى العباس وكانت امه ام ولد صقلبية يقال لها مخارق وخلع نفسه وسلم الخلافة الى المعتز فكانت خلافته ثلاث سنين وثمانية اشهر وقيل ثلاث سنين وتسعة اشهر وكانت وفاته يوم الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين وقيل وهو ابن خمس وثلاثين سنة

❊(ذكر جمل من اخباره وسيره ولمع مما كان فى ايامه)❊ واستوزر المستعين بالله ابا موسى اوتامش وكان المتولى لامر الوزارة والقيم بها كاتبا لاوتامش يقال له شجاع وبعد ان قتل اوتامش وكاتبه صار على وزارته احمد بن صالح بن شيرزاد ولما قتل وصيف وبغا باغر التركى تعصبت الموالى واتحدر وصيف وبغا الى مدينة السلام والمستعين معهما فانزلاه دار محمد بن عبد الله بن طاهر وذلك فى المحرم سنة احدى وخمسين ومائتين والمستعين لا امر له والامر لبغا ووصيف وكان من حصار بغداد ما ذكرناه فى الكتاب الاوسط وفى المستعين بالله يقول بعض الشعراء

خليفة فى قفص ❊ بين وصيف وبغا

يقول ما قالا له ❊ كما يقول الببغا

وقد كان المستعين نفى احمد بن الخصيب الى اقريطش سنة ثمان واربعين ومائتين ونفى عبد الله بن يحيى بن خاقان الى برقة واستوزر عيسى بن فرخانشاه وقلد سعيد بن حميد ديوان الرسائل وكان سعيد حافظا لما يستحسن من الاخبار ويستجاد من الاشعار متصرفا فى فنون العلم ممتعا اذا حدث مفيدا اذا جولس وله اشعار كثيرة حسان فمما يستحسن ويختار من شعره قوله

وكنت اخوفه بالدعاء ❊ واخشى عليه من المأثم

فلما اقام على ظلمه ❊ تركت الدعاء على الظالم

وقوله اسيدنى مالى اراك بخيلة * مقيم على الحرمان من يستزيدها * فاصبحت كالدنيا تذم صروفها
وتتبعها ذما ونحن عبيدها وقوله الله يعلم والدنيا مولية * والعيش منتقل والدهر ذو دول
فللفراق وان هاجت فجعته * عليك اخوف فى قلبى من الاجل وكنت أفرح بالدنيا ولذتها
والياس يحكم للاعداء فى الامل وقوله وماكان حبها الاول نظرة * ولا غمرة من بعدها فتجلت
ولكنها الدنيا تولت وما الذى * يسلى عن الدنيا اذا ما تولت وقوله كأن انحدار الدمع حين تحيله
على خدها الريان در على در الا أن سعيدا على ما وصفنا عنه من الادب كان يتنصب و يظهر التسنن والتحيل وظهر عنه
الانحراف عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وعن الطاهرين من ولده وفى ذلك يقول بعض الشعراء
مارأينا لسعيد بن حميد من شبيه * ماله يؤذى رسول الله فى شتم أخيه * انما الزنديق مستوهل على دين أبيه
وكان سعيد بن حميد من أبناء المجوس وفيه يقول بعض الشعراء وهو أبو على البصير
رأس من يدعى البلاغة منى * ومن الناس كلهم فى حرامه * وأخونا ولست أعنى سعيد بن حميد تؤرخ الكتب باسمه
وكان لسعيد بن حميد وأبى على البصير وأبى العيناء معاتبات ومكاتبات ومداعبات وقد أتينا على ذكرها فى الكتاب الاوسط
وكان أبو على البصير من أطبع الناس فى زمانه لا يزال يأتى بالبيت النادر والمثل السائر الذى لا يأتى به غيره وكان ابن ميادة
بسوء اختياره يرى أنه أشعر من جرير ويحسبه مقدما على أهل عصره وهو فوق نظرائه فى وقته ودون البحترى

فمن مشهور شعره قوله فى المعلى بن أيوب
لعمر أبيك ما نسب المعلى
الى كرم وفى الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرت
وصوح نبتها رعى الهشيم
ومما استحسن له من شعره قوله
اذا ما اعتدت طلابة العلم ما لها
من العلم الا ما يخلد فى الكتب
غدوت بتشمير وجد عليهم * فمحبرتى سمعى ودفترها قلبى ومما استحسن من قوله وهو يريد الحج ان
خرجنا نبتغى مكة حجاجا وعمارا فلما شارف الحير * دعاعى ابلى حارا فقلت احطط بها رحلى * ولا تعبأ بمن حارا
فصادفنا بها حوا * وبستانا وخمارا وظبيا عاقدا بين النقا والخصر زنارا فاظنك بالخلفا * ان أشعلتها نارا
وظهر فى هذه السنة وهى سنة ثمان وأربعين ومائتين بالكوفة أبو الحسن يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن عبد الله بن
اسمعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب الطيار وقيل ان ظهوره كان بالكوفة سنة خمسين ومائتين فقتل وحمل رأسه الى
بغداد وصلب فضج الناس من ذلك لما كان فى نفوسهم من المحبة له لانه استفتح أموره بالكف عن الدماء والتورع عن أخذ
شئ من أموال الناس وأظهر العدل والانصاف وكان ظهوره لذل نزل به وجفوة لحقته ومحنة نالته من المتوكل وغيره من
الاتراك ودخل الناس الى محمد بن طاهر يهنئونه بالفتح ودخل عليهم أبو هاشم الجعفرى وهو داود بن القاسم بن اسحق بن عبد الله
ابن جعفر بن أبى طالب بينه وبين جعفر الطيار ثلاثة آباء ولم يكن يعرف فى ذلك الوقت أقعد نسبا فى آل أبى طالب
وسائر بنى هاشم وقريش منه وكان ذا زهد وورع ونسك وعلم صحيح العقل سليم الحواس منتصب القامة وقبره مشهور وقد
أتينا على خبره وما روى عنه من الرواية عن أبيه ومن شاهد من سلفه فى كتاب حدائق الاذهان فى أخبار النبى صلى الله عليه
وسلم فقال لابن طاهر ايها وخرج من داره وهو يقول يا بنى طاهر ا البيتين وقد كان المستعين أمر بنصب الرأس فامر ابن طاهر

وقال اذا عظمت نفس امرئ صار قدره * حقيرا وحيث احتل فالذل صاحبه
يسود ويعلو ذو التواضع دائما * و يحظى كما يرضى وتقضى مآربه
وقال ودمن يصطفيك للنفع زور * والجميل الذى يريك غرور
انما الودود من ليس يخشى * فيك ممن يلوم أو من يضير
وقال اشكر لمن والاك معروفا * تكن بفضل النفس معروفا
شكر أخى المنة عدل فكن * بالعدل مهما اسطعت موصوفا
من يكفر الاحسان لابد أن * يلقى عن الاحسان مصروفا
وقال حسب الانسان ماله * وهو فى الدنيا كماله
يهجر الفقر أخا الحلم وان طال احتماله
عزة المرء غناه * وبه تحسن حاله
وقال لا تصاحب أبدا من * عقله غير متين

بانزاله بماوأى من الناس وماهم عليه وفى ذلك يقول أبو هاشم الجعفرى   يابنى طاهر كلوه وبيا * ان لحم النبى غير مرى
ان وترا يكون طالبه الله لوتر بالفوت غير حرى   وقد رثى أبو الحسن يحيى بن عمر باشعار كثيرة وقد أتينا على خبر مقتله
وما رثى به من الشعر فى الكتاب الاوسط ومما رثى به ماقاله فيه أحمد بن أبى طاهر الشاعر من قصيدة طويلة

سلام على الاسلام فهو مودع * اذا ما مضى آل النبى فودعوا
فقدنا العلا والمجد عند افتقادهم * وأضحت عروس المكرمات تضعضع
أتجمع عين بين نوم ومضجع * ولابن رسول الله فى الترب مضجع
فقد أقفرت دار النبى محمد * من الدين والاسلام فالدار بلقع
وقتل آل المصطفى فى خلالها * وبدد شمل منهم ليس يجمع
ألم تر آل المصطفى كيف تصطفى * نفوسهم أم المنون فتتبع
بنى طاهر واللؤم منكم سجية * وللغدر منكم حاسر ومقنع
قواطعكم فى الترك غير قواطع * ولكنها فى آل أحمد تقطع
لكم كل يوم مشرب من دمائهم * وغلتها من شربها ليس تنقع
رماحكم للطالبيين شرع * وفيكم رماح الترك بالقتل شرع
لكم مرتع فى دار آل محمد * وداركم للترك والجيش مرتع
أخلتم بان الله يرعى حقوقكم * وحق رسول الله فيكم مضيع
وأضحوا يرجون الشفاعة عنده * وليس لمن يرميه بالوتر يشفع
فيغلب مغلوب ويقتل قاتل * ويخفض مرفوع ويدنى المرفع

قال وكان يحيى دينا كثير التعطف والمعروف على عوام الناس بارا بخواصهم واصلا لاهل بيته مؤثرا لهم على نفسه مثقل الظهر بالطالبيات يجهد نفسه ببرهن والتحنن عليهن لم تظهر له زلة ولا عرفت له خزية ولما قتل يحيى جزعت عليه نفوس الناس جزعا كثيرا ورثاه القريب والبعيد وحزن عليه الصغير والكبير وجزع لقتله الملى والدنى وفى ذلك

ان نقص العقل داء * يتقى مثل الجنون
صحبة الاحمق عار * لاحق فى كل حين

وقال

وافق الناس ان أردت السلامه * ان روح الوفاق روح كرامه
من يوافق يعش هنيئا قريرا * آمنا من أذية وملامه
فتوقى الخلاف واحذر أذاه * فركوب الخلاف عمد اندامه

وقال

ظلمات الخطوب مهما ادلهمت * يجلها كالصباح فجر انفراج
أرح النفس لاتبت حلف هم * كم هموم فيها السرور يفاجى

وقال

من لم يكن يقصد أن يحمدا * يعش هنيئا و ينل أسعدا
من يبتغى المدحة لابد أن * يلحقه الذل وأن يجهدا
عش الفتى فى ترك تقييده * وموته البحت اذا قيدا

وقال

ذل لاهل الحاجات مهما ابتغوها * حسبكم ما أتى من التنبيه

٣٤١

يقول بعض شعراء عصره وممن جزع على فقده

بكت الخيل شجوها بعد يحيى * و بكاه المهند المصقول
وبكته العراق شرقا وغربا * و بكاه الكتاب والتنزيل
والمصلى والبيت والركن والحجر جميعا لهم عليه عويل
كيف لم تسقط السماء علينا * يوم قالوا أبو الحسين قتيل
وبنات النبى يندبن شجوا * موجعات دموعهن تسيل
ويؤبن للرزية بدرا * فقده مفظع عزيز جليل
قطعت وجهه سيوف الاعادى * بابى وجهه الوسيم الجميل
وليحيى الفتى بقلبى غليل * كيف يرضى بالجسم ذاك العليل
قتله مذكر لقتل على * وحسين ويوم أوذى الرسول
فصلاة الاله وقفا عليهم * ما بكى موجع وحن ثكول

وكان عمن رثاه على بن محمد بن جعفر العلوى الحمانى الشاعر وكان ينزل بالكوفة فى حمان فاضيف اليهم فقال

يابقايا السلف الصا * لح والتجر الربيح
نحن للايام من بين قتيل و جريح
خاب وجه الارض كم غيب من وجه صبيح
آه من يومك ماأو * داه للقلب القريح

وفيه يقول   تضوع مسكا جانب القبر اذ ثوى * وما كان لولا شلوه يتضوع
مصارع فتيان كرام أعزة * اتيح ليحيى الخير منهن مصرع   وقوله   انى لقومى من احساب قومكم * بمسجد الخيف فى بحبوحة الخيف

ثما علق السيف منا بابن عاشرة * الا وهمته أمضى من السيف وقد كان علي بن محمد بن جعفر العلوي هذا وهو أخو اسمعيل العلوي لامه المادخل الحسن بن اسمعيل الكوفة وهو صاحب الجيش الذي لقي يحيى بن عمر قعد عن سلامه ولم يعتز اليه ولم يتخلف عن سلامه أحد من آل علي بن أبي طالب الهاشميين وكان علي بن محمد الحماني مقيمهم بالكوفة وشاعرهم ومدرسهم ولسانهم ولم يكن أحد بالكوفة من آل علي بن أبي طالب يتقدمه في ذلك الوقت فتفقده الحسن بن اسمعيل وسال عنه وبعث بجماعة فاحضروه فانكر الحسن تخلفه فاجابه علي بن محمد بجواب مستقتل آيس من الحياة فقال أردت أن آتيك مهنئا بالفتح وداعيا بالظفر وأنشد شعرا لا يقدم على مثله من رغب في الحياة

قتلت أعز من ركب المطايا * وجئتك أستلينك في الكلام
وعز علي أن ألقاك الا * وفيما بيننا حد الحسام
ولكن الجناح اذا أهيضت * قوادمه يرف على الاكام

فقال له الحسن بن اسمعيل أنت موتور فلست أنكر ما كان منك وخلع عليه وحمله الى منزله قال وكان أبو أحمد الموفق بالله حبس علي بن محمد العلوي لامر شنع به عليه من انه يريد الظهور فكتب اليه من الحبس

قد كان جدك عبد الله خير أب * لابني علي حسين الخير والحسن
فالكف يوهن منها كل أعلة * ما كان من أختها الاخرى من الوهن

فلما وصل هذا الشعر اليه كفل وخلى الى الكوفة وله أشعار ومراث في أخيه اسمعيل وغيره من أهله وفي ذم الشيب قد أتينا على كثير من ذكرها في كتابنا أخبار الزمان عند ذكر أخبار الطالبيين وفي كتاب زاهر الاخبار وطرائف الآثار في أخبار النبي صلى الله عليه وسلم * ومما رثى به علي بن محمد أيضا أبا الحسن يحيى بن عمر فاجاد فيه وافتخر على غيرهم من قريش قوله

لعمري لئن سرت قريش بهلكه * لما كان وقافا غداة التوقف
فان مات تلقاء الرماح فانه * لمن معشر يشفون موت الترف
فلا تشمتوا فالقوم من يبق منهم * على سنن منهم مقام المخلف
لهم معكم اما جحدتم أو فكم * لا مقامات ما بين الصفا والمعرف
تراث لهم من آدم ومحمد * الى الثقلين من وصايا ومصحف

وفيه يقول أيضا في الشيب

قد كان حين علا الشباب به * يقق السوالف حالك الشعر
وكأنه قمر تطلق في * أفق السماء بدارة البدر
يا ابن الذي جعلت فضائله * فلك العلا وقلائد السور
من أسرة جعلت مخايلهم * للعالمين مخايل النظر
تتهيب الاقدار قدرهم * فكأنهم قدر على قدر
والموت لا تسوى رميته * فلك العلا ومواضع الغرر

ومن مراثيه المستحسنة في أخيه

هذا ابن أمي عديل الروح في جسدي * شق الزمان به قلبي الى كبدي
فاليوم لم يبق شئ أستريح به * الا التفت أعضائي من الكمد
أو مقلة تحيا الهم باكية * أو بيت مرثية تبقى على الابد
ترى أناجيك فيها بالدموع وقد * نام الخلي ولم أهجع ولم أكد
من لي بمثلك يا نور الحياة ويا * يمني يدي التي شلت من العضد
من لي بمثلك أدعوه لحادثة * تشكى اليه ولا أشكو الى أحد
قد ذقت أنواع ثكل كنت أبلغها * على القلوب وأجناها على كبد
قبل الردى لا تغادر بعده أحدا * والمنية من أحببت فاعتمدي
ان الزمان تقضى بعد فرقته * والعيش آذن بالتفريق والنكد

ان تريدوا الحاجات من غير بطء * فاطلبوها عند الحسان الوجوه

وقال

خذ الامور برفق واتئد أبدا * اياك من عجل يدعو الى وصب
الرفق أحسن ما تؤتى الامور به * يصيب ذو الرفق أو ينجو من العطب
من يصحب الرفق يستكمل مطالبه * كما يشاء بلا أين ولا تعب

وقال

من يبتغي السودد لا بد أن * يرهقه الجهد فلا يضجر
يصعب ادراك المعالي فمن * يرم لحاق بعضها يصبر
لا تحصل السودد هينا ولا * يظفر بالبغية الا الجري

وقال

عاش في الناس من درى قدر نفسه * ثم دارى جميع أبناء جنسه
علم الانسان قدره نبل عقل * وذكاء يبين عن فضل حدسه

وقال

عظم الناس تنل تعظيمهم * واجتنب تحقيرهم فهو الردى
من يرى الناس بتحقير يكن * عندهم مؤذى حقيرا أبدا

كانت وفاة محمد العلوى فى خلافة المعتمد فى سنة ست ومائتين وفى خلافة المستعين وذلك فى سنة خمسين ومائتين ظهر ببلاد طبرستان الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم فغلب عليها وعلى جرجان بعد حروب كثيرة وقتال شديد وما زالت فى يده الى أن مات سنة سبعين ومائتين وخلفه أخوه محمد بن زيد فيها الى أن حاربه رافع بن هرثمة ودخل محمد بن زيد الى الديلم فى سنة سبع وسبعين ومائتين فصارت فى يده وبايعه بعد ذلك رافع بن هرثمة وصار فى جملته وانقاد لدعوته والقول بطاعته وكان الحسن بن زيد ومحمد بن زيد يدعوان الى الرضا من آل محمد وكذلك من طرأ بعدهما ببلاد طبرستان وهو الحسن بن على الحسنى المعروف بالاطروش وولده ثم الداعى الحسن بن القاسم الذى قتله التنار بطبرستان وكان الحسن بن القاسم من ولد الحسن بن على بن أبى طالب وقد أتينا على خبر سائر آل أبى طالب بطبرستان ومن ظهر منهم بالمشرق والمغرب وغير ذلك من بقاع الارض الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى كتابنا أخبار الزمان وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا من سائر ما يجب ذكره لئلا يخلو هذا الكتاب من ذكرهم وظهر فى هذه السنة وهى سنة خمسين ومائتين بالرى محمد بن جعفر بن الحسن ودعا للحسن بن زيد صاحب طبرستان وكانت له حروب بالرى مع أهل خراسان من المسودة فأسر وحمل الى نيسابور الى محمد بن عبد الله بن طاهر فمات فى مجلسه بنيسابور وظهر بعده بالرى أحمد بن عيسى بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ودعا الى الرضا من آل محمد وحارب محمد بن طاهر وكان بالرى فانهزم عنها وسار الى مدينة السلام فدخلها العلوى ٣٤٣ وفى هذه السنة وهى سنة خمسين ومائتين ظهر بقزوين الكركى وهو الحسن بن اسمعيل بن محمد بن عبد الله بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وهو من ولد الاوسط وقيل ان اسم الكركى الحسن بن أحمد ابن محمد بن اسمعيل بن محمد بن عبد الله بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم

لا يغرنك اهمال امرئ ✻ ربما يؤذى الذباب الاسدا

وقال

حب الرياسة بالدمن داء ✻ كم فيه من محن وطول عناء
طلب الرياسة فت أعضاد الورى ✻ واذاق طعم الذل للكبراء
ان الرياسة دون مرتبة التقى ✻ فاذا اتقيت علوت كل علاء

وقال

لا تركنن الى شر ✻ ان شئت تأمن كل شر
ذهب الذين اذا ركنت لهم امنت من الضرر
لم يبق الا شامت ✻ او من يضر اذا قدر

وقال

خل راى الجهال ما سطعت واتبع ✻ راى اهل الحلوم والتجريب
لا تحيدعن مشورة فى مهم ✻ فهى مما تنمى حياة القلوب
راى اهل الصلاح نور يجلى ✻ ظلمة الكرب فى ليالى الخطوب

وقال

لا يرتضى بالدون الا امرؤ ✻ مقصر ذو همة خامله

فحاربه موسى وبغا وصار الكركى الى الديلم ثم وقع الى الحسن بن زيد الحسنى فهلك قبله وظهر بالكوفة الحسين بن محمد ابن حمزة بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب فسرح اليه محمد بن عبد الله بن طاهر من بغداد جيشا عليه ابن خاقان فانكشف الطالبى واختفى لترك أصحابه له وتخلفهم عنه وكان ذلك فى سنة احدى وخمسين ومائتين وفى سنة تسع وأربعين ومائتين عقد المستعين لابنه العباس على مكة والمدينة والبصرة والكوفة وعزم على البيعة له فأخرها الصغر سنه وكان عيسى ابن فرخانشاه قال لابى البصير الشاعر أن يقول فى ذلك شعرا يشير فيه بالبيعة له فقال فى ذلك قصيدة طويلة يقول فيها

بك الله حاط الدين واحتاش أهله ✻ من الموقف الدحض الذى مثله يردى فول ابنك العباس عهدك انه
له موضع واكتب الى الناس بالعهد فان حلفته السن فالعقل بالغ ✻ به رتبة الشيخ الموفق للرشد
فقد كان يحيى أوتى العلم قبله ✻ صبيا وعيسى كلم الناس فى المهد

وقال أبو العباس المكى كنت أنادم محمد بن طاهر بالرى قبل مواقعته الطالبيين فارأيته فى وقت من الاوقات أشد سرورا منه ولا أكثر نشاطا قبل ظهور العلوى بالرى وذلك فى سنة خمسين ومائتين ولقد كنت عنده ليلة أتحدث والخير وافدو الستر مسبل اذ قال كانى أشتهى الطعام فما آكل قلت صدر دراج أو قطعة من جدى باردة قال يا غلام هات رغيفا وخلا وملحا فأكل من ذلك فلما كان فى الليلة الثانية قال يا أبا العباس كانى جائع فاترى أن آكل قلت مثل ما كان البارحة فقال أنت لا تعرف فرق ما بين الكلامين قلت البارحة كانى

أشتهي الطعام وقلت الليلة كاني جائع و بينهما فرق فدعا بالطعام ثم قال لي صف لي الطعام والشراب والطيب والنساء والخيل قلت أيكون ذلك منثورا أو منظوما قال لا بل منثورا قلت أطيب الطعام مالقي الجوع بطعم وافق شهوة قال فما أطيب الشراب قلت كاس مدام تبرد بها غليلك وتعاطي بها خليلك قال فأي السماع أفضل قلت أوتار أربعة وجارية مترعة غناؤها عجيب وصوتها مصيب قال فاي الطيب أطيب قلت ريح حبيب تحبه وقرب ولد تربه قال فاي النساء أشهى قلت من تخرج من عندها كارها وترجع اليها والها قال فاي الخيل أفره قلت الاشدق الاعين الذي اذا طلب سبق واذا طلب لحق قال أحسنت يا بشر أعطه مائة دينار قلت وأين تقع مني مائة دينار قال أو قد زدت نفسك مائة دينار يا غلام أعطه المائة كما ذكرنا والمائة الاخرى لحسن ظنه بنا فانصرفت بمائتي دينار فما كان بين هذا الحديث و بين تنحيه من الري الا جمعة ❊ وكان المستعين حسن المعرفة بايام الناس واخبارهم لعابا باخبار الماضين (وحدث) محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني أبو البيضاء مولى جعفر الطيار وكان طيب الحديث قال وفدنا في أيام المستعين من المدينة الى سامرا وفينا جماعة من آل أبي طالب وغيرهم من الانصار فاقمنا ببابه نحوا من شهر ثم وصلنا اليه فكل تكلم وعبر عن نفسه فقرب وآنس وابتدأ بذكر المدينة ومكة وأخبارهما وكنت اعرف الجماعة بما شرع فيه فقلت ايأذن أمير المؤمنين في الكلام قال ذلك اليك فشرعت معه فيما قصد اليه وتسلسل بنا الكلام الى فنون من العلم في أخبار الناس ثم انصرفنا واقيم لنا الانزال والافضال فلما كان في أول الليل أتانا خادم ومعه عدة من الاتراك فرسان ٣٤٤ فحملت على جنيبة كانت معهم وأتى بي الى المستعين فاذا هو جالس في الجوسق فقربني وأدناني ثم أخذ بعد أن أنسني في أخبار العرب وأيامها وأهل التيم فانتهى بنا الكلام الى اخبار العذريين والمتيمين فقال ما عندك من أخبار عروة بن حزام وما كان منه مع عفراء فقلت يا أمير المؤمنين ان عروة بن حزام لما انصرف من عند عفراء بنت عقال توفي وجدا بها وصبابة اليها فمر به ركب فعرفوه فلما انتهوا الى منزل عفراء صاح صائح منهم

ألا أيها القصر المغفل اهله ❊ نعينا اليكم عروة بن حزام

ففهمت صوته وأشرفت عليه وقالت

ألا أيها الركب المجدون ويحكم ❊ بحق نعيتم عروة بن حزام

فاجابها رجل من القوم فقال

نعم قد تركناه بارض بعيدة ❊ مقيما بها في سبسب واكام

فقالت لهم

فان كان حقا ما تقولون فاعلموا ❊ بان قد نعيتم بدر كل ظلام
فلا لقي الفتيان بعدك لذة ❊ ولا رجعوا من غيبة بسلام
ولا وضعت انثى شريفا كمثله ❊ ولا فرحت من بعده بغلام
ولا بلغتم حيث وجهتم له ❊ ونغصتم لذات كل طعام

ثم سالتهم أين دفنوه فاخبروها فصارت الى قبره فلما قاربته قالت أنزلوني فاني أريد قضاء حاجة فانزلوها فانسلت الى قبره فاكبت عليه فما راعهم الا صوتها فلما سمعوه بادروا اليها فاذا هي ممتدة على القبر قد خرجت نفسها فدفنوها الى جانب قبره قال وقال لي فهل عندك من خبره غير ما ذكرت قلت نعم يا أمير المؤمنين هذا ما أخبرنا به مالك بن الصباح العدوي عن الهيثم بن عدي بن عروة عن أبيه قال بعثني عثمان بن عفان مصدقا في بلادعي منهم يقال لهم بنو منبذة فاذا ببيت جديد منحاش عن الحي فملت اليه فاذا بشاب قائم في ظل البيت واذا كسر البيت فلما رآني ترنم بصوت ضعيف يقول

الموت خير من حياة الفتى ❊ مهتضما ذارتبة سافله
روح حياة المرء في عزه ❊ من ذل مات الميتة العاجله

وقال

استغن عمن تشاء ❊ فالله يغنيك عنه
من أمل الناس يشقى ❊ وليس يقنع منه
فان ظفرت بحر ❊ فاحفظ عليه وصنه

وقال

خذ من صديقك قدر ما يعطيكا ❊ لا تبغ ازيد واحذر ان يجفوكا
من يبغ مقدار الذي يحتاجه ❊ من اخيه يبق مخيا متروكا
شان الالى رزقوا الحجا أن يقنعوا ❊ فابغ القناعة انها تغنيكا

وقال

هن اذا عز اخوكا ❊ واحش ان يقرض فيكا
ان من عاند أقوى ❊ منه قد ضل سلوكا
نقص عقل أن تعادي ❊ بشرا الا يتقيكا

وقال

جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجد ان هما شفيانى فقالا نعم نشفى من الداء كله
وقاما مع العواد يبتدران * فما تركا من رقية يعرفانها * ولا شربة الا بها سقيانى
وقالا شفاك الله والله مالنا * بما حملت منك الضلوع يدان فلهفى على عفراء لهفا كانه
على النحر والاحشاء حد سنان * فعفراء أحظى الناس عندى مودة * وعفراء عنى المعرض المتدانى
وانى لأهوى الحشر اذ قيل اننى * وعفراء يوم الحشر ملتقيان * ألا لعن الله الوشاة وقولهم
فلانة أضحت خلة لفلان ثم شهق شهقة خفيفة فنظرت فى وجهه فاذا هو قد مات فقلت أيتها العجوز ما أظن هذا النائم بفناء
بيتك الا قد مات قالت وأنا والله أظن ذلك فنظرت فى وجهه وقالت فاض ورب الكعبة فقلت من هذا فقالت عروة بن حزام
العذرى وأنا أمه والله ما سمعت له أنة من سنة الا فى صدر يومى هذا فانى سمعته يقول

من كان من أمهاتى باكيا أبدا * فاليوم انى أرانى فيه مقبوضا
تسمعيه فانى غير سامعه * اذا علوت رقاب القوم مفروضا

قال فاقمت حتى شهدت غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه قال فقال عثمان وما دعاك الى ذلك قال اكتساب الاجر فيه
والله قال فوصل الجماعة وفضلنى عليهم فى الجائزة (قال المسعودى) ولمن سلف من المتيمين أخبار عجيبة وأشعار حسان فمن
ذلك ما حدثنا به أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى القاضى ٣٤٥ قال حدثنا محمد بن سلام الجمحى قال أخبرنى
أبو الهياج بن سابق النجدى ثم الثقفى قال خرجت الى أرض بنى عامر لا لشئ الا للقاء المجنون فاذا أبوه شيخ كبير واذا اخوته رجال واذا نعم ظاهرة وخير كثير فسألتهم عن المجنون فاستعبروا وقال الشيخ كان والله آثر هؤلاء عندى فهوى امرأة من قومه والله ما كانت تطمع فى مثله فلما عرف أمره

وقال	تنزه ما حييت عن القبيح * وخالف من يرى رد النصيح
	وخذ بالحزم مهما اسطعت واحذر * من ان يلقيك حزمك فى فضوح
	فلا تعدل عن الحق التفاتا * لغير الحق من بعد الوضوح
وقال	لا تخف فى الحق لوما * صدقه ينجيك حتما
	يجلى الحق ويبدو * نوره لا يتعمى
	شأن ذى الحق اهتداء * واخو الباطل اعمى
وقال	عامل بجد جميع الناس تحظ به * وجنب الهزل ان الهزل يرديكا
	الجد احسن ما تبديه من خلق * والجد اشرف ما فى الناس يعليكا
	من لازم الجد هابته النفوس ومن * يهزل يكن ابدا فى الناس مهتوكا
وقال	كفاك انه شر من اصطفينا * وضر من اعتمدت ومن عرفتا
	جميع الناس مونى عنك الا * معارفك الذين لهم ركنتا

٤٤ ط ث وأمرها كره أبوها أن يزوجها منه فزوجها من رجل آخر فقيدناه فكان يعض شفتيه ولسانه حتى
خشينا أن يقطعهما فلما رأينا ذلك خلينا سبيله فرفى هذه الفيافى يذهب اليه فى كل يوم بطعامه فيوضع له بحيث يراه فاذا
عاينه جا فا كل واذا خلقت ثيابه جاؤه بثياب فوضعت بحيث يراها فالتمم أن يدلونى عليه فدلونى على فتى من الحى وقالوا
انه لم يزل صديقا له وليس يأنس باحد سواه فسألته أن يدلنى عليه فقال ان كنت تريد شعره فكل شعره عندى الى أمس وأنا
ذاهب اليه غدا فان كان قد ذكر شيئا آتيتك به قلت أريد أن تدلنى عليه قال ان رآك يفر منك وأخاف أن يذهب منى
فيما بعد فيذهب شعره فابيت الا أن يدلنى فقال اطلبه فى هذه الصحراء فاذا رأيته فادن منه مستأنسا فانه يتهددك ويتوعدك
أن يرميك بشئ فى يده فاجلس كانك لا تنظر اليه والحظه فاذا رأيته قد سكن فاجهد أن تروى لقيس بن الذريح شيأ فانه معجب
به قال فخرجت اليه يومى فوجدته بعد العصر جالسا على تل يخط باصبعه خطا فدنوت منه غير منقبض ففر والله كما يفر
الوحش من الانسان والى جانبه أحجار فتناول منها واحدا فاقبلت حتى جلست قريبا منه فمكثت ساعة وهو كانه نافر فلما
طال جلوسى سكن وأقبل يعبث باصبعه فنظرت اليه وقلت أحسن والله قيس بن الذريح حيث يقول

وانى لمفن دمع عينى بالبكا * حذار الما قد كان أو هو كائن وقالوا غدا أو بعد ذاك بليلة * فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتى * بكفى الا ان ما حان حائن قال فبكى والله حتى سالت دموعه ثم قال أنا والله أشعر منه

حيث أقول أبى القلب الا حبها عامرية * لها كنية عمرو وليس لها عمرو * تكاد يدى تندى اذا ما لمستها
و ينبت فى أطرافها الورق الخضر عجبت لسعى الدهر بينى وبينها * فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
فيا حبها زدنى جوى كل ليلة * ويا سلوة الايام موعدك الحشر قال ثم نهض فانصرفت ثم عدت من الغد
فاصبته ففعلت فعلى بالامس وفعل مثل فعله فلما أنس قلت أحسن والله قيس بن الذريح حيث يقول قال ماذا قلت
هبونى امرأ ان تحسنوا فهو شاكر * لذاك وان لم تحسنوا فهو صافح فان يك قوم قد أشاروا بهجرنا * فان الذى بينى وبينك صالح
قال فبكى وقال أنا والله أشعر منه حيث أقول وأدنيتنى حتى اذا ما سبيتنى * بقول يحل العصم سهل الاباطح
تجافيت عنى حيث مالى حيلة * وخلفت ما خلفت بين الجوانح ثم ظهرت لنا ظبية فوثب فى أثرها فانصرفت ثم عدت
فى اليوم الثالث فلم أصادفه فرجعت فاخبرتهم فوجهوا الذى كان يذهب بطعامه فرجع وأخبرهم ان الطعام على حاله ثم
غدوت مع أخوته فطلبناه يوما وليلتنا فلما أصبحنا أصبناه فى واد كثير الحجارة واذا هو ميت فاحتمله اخوته ورجعت الى بلدى
(قال) وفى سنة ثمان وأربعين ومائتين كانت وفاة بغا الكبير التركى وقد نيف على التسعين سنة وقد كان باشر من الحروب
ما لم يباشره أحد فما أصابته جراحة قط وتقلد ابنه موسى بن بغا ما كان يتقلده وضم اليه أصحابه وجعلت له قيادته وكان بغا
دينا بين الاتراك وكان من غلمان المعتصم يشهد الحروب العظام ويباشرها بنفسه فيخرج منها سالما ويقول الاجل جوشن
ولم يكن يلبس على بدنه شيئا من الحديد فعذل فى ذلك فقال رأيت فى نومى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه ٣٤٦
جماعة من أصحابه فقال لى يا بغا أحسنت الى رجل من أمتى فدعا لك بدعوات استجيبت له فيك قال فقلت يا رسول الله ومن ذلك الرجل قال الذى خلصته من السباع فقلت يا رسول الله سل ربك أن يطيل عمرى فرفع يديه نحو السماء وقال اللهم أطل عمره وأتم أجله فقلت يا رسول الله خمس وتسعون
سنة فقال رجل كان بين يديه ويوقى من الآفات فقلت للرجل من أنت قال أنا على بن أبى طالب فاستيقظت من نومى وأنا أقول على بن أبى طالب وكان بغا كثير التعطف والبر للطالبيين فقيل له من كان ذلك
الرجل الذى خلصته من السباع قال كان أتى المعتصم برجل قد رمى ببدعة فجرت بينهم فى الليل مخاطبة فى خلوة فقال لى
المعتصم خذه فألقه الى السباع فاتيت بالرجل الى السباع لالقيه اليها وأنا مغتاظ عليه فسمعته يقول اللهم انك تعلم ما تكلمت
الا فيك ولم أرد بذلك غيرك وتقربا اليك بطاعتك واقامة الحق على من خالفك أفتسلمنى قال فارتعدت ودخلتنى له رقة وملئ
قلبى له رعبا فجذبته عن طرف بركة السباع وقد كدت أن أزج به فيها وأتيت به حجرتى فاخفيته فيها وأتيت المعتصم فقال هيه
قلت ألقيته قال فما سمعته يقول قلت أنا أعجمى وهو يتكلم بكلام عربى ما أدرى ما يقول وقد كان الرجل اغلظ فلما كان فى
السحر قلت للرجل قد فتحت الابواب وأنا مخرجك مع رجال الحرس وقد آثرتك على نفسى ووقيتك بروحى فاجهد أن لا تظهر
فى أيام المعتصم قال نعم قلت فما خبرك قال هجم رجل من عماله فى بلدنا على ارتكاب المكاره والفجور واماتة الحق ونصر
الباطل فسرى ذلك الى فساد الشريعة وهدم التوحيد فلم أجد عليه ناصرا فوثبت عليه فى ليلة فقتلته لان جرمه كان يستحق
به فى الشريعة أن يفعل به ذلك (قال المسعودى) ولما انحدر المستعين ووصيف وبغا الى مدينة السلام اضطربت الاتراك
والفراغنة وغيرهم من الموالى بسامرا وأجمعوا على بعث جماعة اليه يسألونه الرجوع الى دار ملكه فصاروا اليه عدة من وجوه

تحفظ من قريب أو صديق * وكن فى الغير دهرك كيف شئتا

وقال
من كان يرغب عن أحبابه ويرى * تقريب أعدائه لاشك يهتضم
يدنى العدو فلا تدنوه مودته * هيهات كل معاد قربه ندم
فاحفظ صديقك واحذر أن تعاديه * ان الصديق اذا عاديته يصم

وقال
جامل عدوك كى يلين حقده * فيكف بعض البعض من ايذائكا
واحفظ صديقك ما استطعت فانه * أدرى بطرق الضر من أعدائكا

وقال
اذا ظفرت بمن أخنى عليك فخذ * بالحلم فيه ودع ما منه قد فرطا
ان المسيء اذا جاز يته أبدا * بفعله زدته فى غيه شططا
العفو أحسن ما يجزى المسيء به * يهينه أو يريه أنه سقطا

وقال
قاتل عدوك بالفضائل انها * أعدى عليه من السهام النفذ
كسب الفضائل عدة لعليك فى * رتب بها سبل السعادة تحتذى

الموالي ومعهم البردة والقضيب وبعض الخزائن وما ثنا الغداة بنار ويسألونه الرجوع الى دار ملكه واعترفوا بذنوبهم وأقروا بخطئهم وضمنوا أن لا يعودوا ولا غيرهم ممن نظرائهم الى شيء من ذلك مما أنكره عليهم وتذللوا وخضعوا فأجيبوا بما يكرهون وانصرفوا الى سر من رأى فأعلموا أصحابهم وأخبروهم بما نالهم وايأسهم من رجوع الخليفة وقد كان المستعين اعتقل المعتز والمؤيد حين انحدر الى بغداد ولم يأخذهما معه وقد كان حذر من محمد بن الواثق حين انحداره فأخذه معه ثم انه هرب منه مع رجال الحرب فأجمع الموالي على اخراج المعتز والمبايعة له والانقياد الى خلافته ومحاربة المستعين ومناصبته ببغداد فأنزلوه من الموضع المعروف بلؤلؤة الجوسق وكان معتقلا فيه مع أخيه المؤيد فبايعوه وذلك يوم الاربعاء لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة احدى وخمسين ومائتين وركب من ذلك اليوم الى دار العامة فأخذ البيعة على الناس وخلع على أخيه المؤيد وعقد له عقدين أسود وأبيض فكان الاسود لولاية العهد بعده والابيض لولاية الحرمين وتقلدهما وانشئت الكتب في سامرا بخلافة المعتز بالله من سائر الامصار وأرخت باسم جعفر بن محمد الكاتب وأحدر أخاه أبا أحمد مع عدة من الموالي لحرب المستعين الى بغداد فنزل عليها فكان أول حرب جرت بينهم ببغداد بين أصحاب المعتز والمستعين وهرب محمد بن الواثق الى المعتز بالله ولم تزل الحرب بينهم وبين أهل بغداد النصف من صفر من هذه السنة فلما نشبت الحرب بينهم كانت أمور المعتز تقوى وحالة المستعين تضعف والفتنة عامة فلما رأى محمد بن عبد الله بن طاهر ذلك كاتب المعتز وجنح اليه ومال الى الصلح على خلع المستعين وقد كانت العامة ببغداد حين علمت ما قد عزم عليه من خلع

المستعين ثارت منكرة لذلك متحيزة الى المستعين ناصرة له فأظهر محمد بن عبد الله المستعين على أعلى قصره فخاطبته العامة وعليه البردة فأنكر ما بلغهم من خلعه وشكر محمد بن عبد الله ابن طاهر ثم التقى محمد بن عبد الله بن طاهر وأبو أحمد الموفق بالشماسية فاتفقا على خلع المستعين على أن له الامان ولأهله وولده وما حوته أيديهم من أموالهم وعلى أنه ينزل مكة هو ومن شاء من أهله وأن يقيم بواسط العراق الى وقت مسيره الى مكة فكتب له المعتز على نفسه شروطا أنه متى نقض شيئا من ذلك فالله ورسوله منه براء والناس في حل من بيعته وعهودا يطول ذكرها وقد خذل المعتز بعد ذلك لما فتها حين عالج في نقضها فخلع المستعين نفسه من الخلافة وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين فكان له مذ ولي بمدينة السلام الى أن خلع سنة كاملة وكانت خلافته منذ تقلد الامر على ما بيناه آنفا الى أن زال عنه ثلاث سنين وثمانية أشهر وثمانية وعشرين يوما على ما ذكرناه من الخلاف وأحدر الى دار الحسن بن وهب ببغداد وجمع بينه وبين أهله وولده ثم أحدر الى واسط وقد وكل به أحمد بن طولون التركي وذلك قبل ولايته مصر وعلم محمد بن عبد الله بن طاهر عن قيامه بأمر المستعين حين استجاره وخذلانه اياه وميله الى المعتز بالله وفي ذلك يقول بعض شعراء العصر من أهل بغداد

أطافت بنا الاتراك حولا كحرزها * وما برحت في جسرها أم عامر
أقامت على ذل بها ومهانة * فلما بدت أبدت لنا اللؤم غادر
ولم ترع حق المستعين فأصبحت * تعين عليه حادثات المقادر
لقد جمعت لؤما وخبثا وذلة * وأبقت لها عارا على آل طاهر

ولما كان من الامر ما قدمنا من خلع المستعين انصرف أبو أحمد الموفق من بغداد الى سامرا فخلع عليه المعتز وتوج ووشح بوشاحين وخلع على من كان معه من قواده وقدم على المعتز عبد الله بن عبد الله بن طاهر أخو محمد بن عبد الله بالبردة والقضيب والسيف وبجوهر الخلافة ومعه شاهك الخادم

فاحرص على نيل الفضائل جاهدا * ان الفضيلة صعبة في المأخذ

وقال
وعد الكريم وفاء * تجنيه كيف تشاء
ما حال قط كريم * ولا تشاه التواء
فأنجز الوعد مهما * وعدت فهو الزكاء

وقال
ليس الغنى عن كثرة العرض * ان الغنى في النفس أن ترض
رأس الغنى ترك المطامع عن * زهد بلا ميل ولا غرض
فازهد تعش أغنى البرية في * عز بلا هم ولا مضض

وقال
زمن الفضائل قد مضى لسبيله * ولوى بطيب العيش وشك رحيله
ركدت رياح الجد بعد هبوبها * وعلا فريق الهزل بعد خموله
هيهات ما زمن الكرام وما هم * ذهبوا وجد الدهر في تحويله

وقال
مروءة المرء ثوبه * والعري في الناس عيبه

وكتب محمد بن عبد الله الى المعتز في شاهك انه من أتاك بأرث رسول الله صلى الله عليه وسلم لجدير أن لا تخفر ذمته وخلع المستعين وعلى وزارته أحمد بن صالح بن شيرزاد ولما كان في شهر رمضان من هذه السنة وهي سنة اثنتين وخمسين ومائتين بعث المعتز بالله سعيد بن صالح الحاجب ليلقى المستعين وقد كان في جملة من حمله من واسط فلقيه سعيد وقد قرب من سامرا فقتله واحتز رأسه وحمله الى المعتز بالله وترك جثته ملقاة على الطريق حتى تولى دفنها جماعة من العامة * وكانت وفاة المستعين بالله يوم الاربعاء لست خلون من شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين وهو ابن خمس وثلاثين سنة على ما قدمنا في صدر هذا الباب * وذكر شاهك الخادم قال كنت عديلا للمستعين عند اشخاص المعتز له الى سامرا ونحن في عمارية فلما وصل الى القاطول تلقاه جيش كثير فقال يا شاهك انظر من رئيس القوم فان كان سعيد الحاجب فقد هلكت فلما عاينته قلت هو والله سعيد فقال انا لله وانا اليه راجعون ذهبت والله نفسي وجعل يبكي فلما قرب سعيد منه جعل يقنعه بالسوط ثم ضجعه وقعد على صدره واحتز رأسه وحمله على ما ذكرنا واستقامت الامور للمعتز واجتمعت الكلمة عليه * وللمستعين أخبار غير ما ذكرناه في هذا الكتاب وأوردناه في هذا الباب قد أتينا على ذكرها في كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما ذكرنا ما أوردنا في هذا الكتاب لئلا يتوهم أنا أغفلنا ذكرها أو عزب عنا فهمها فانا بحمد الله لم نترك شيئا من أخبار الناس وسيرهم وما جرى في أيامهم الا وقد ذكرناه وأوردنا في كتبنا أحسنه وفوق كل ذي علم عليم والله الموفق للصواب *(ذكر خلافة المعتز بالله)* بويع المعتز بالله وهو الزبير بن جعفر المتوكل وأمه أم ولد

يقال لها قبيحة ويكنى أبا عبد الله وله يومئذ ثماني عشرة سنة بعد خلع المستعين لنفسه وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من المحرم وقيل لثلاث خلون منه سنة اثنتين وخمسين ومائتين على ما قدمنا وبايعه القواد والموالي والشاكرية وأهل بغداد وخطب له في المسجد الجامع ببغداد في الجانبين ثم خلع المعتز نفسه يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ومات بعد أن خلع نفسه بستة أيام فكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر ودفن بسامرا في الجملة أيامه منذ بويع بسامرا قبل خلع المستعين الى اليوم الذي خلع فيه أربع سنين وستة أشهر وأياما ومنذ بويع له بمدينة السلام ثلاث سنين وسبعة أشهر وتوفي وله أربع وعشرون سنة *(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)* ولما خلع المستعين بالله وأحدر الى واسط بعد أن أشهد على نفسه انه قد برئ من الخلافة وانه لا يصلح لها لما رأى من الخلاف الواقع وانه قد جعل الناس في حل من بيعته قالت في ذلك الشعراء فأكثرت ووصفته في شعرها فأغرقت فقال في ذلك البحتري من قصيدة طويلة

الى واسط خلف الدجاج ولم يكن * لينبت في لحم الدجاج مخالب

وفي ذلك يقول الشاعر المعروف بالكناني من قصيدة

اني أراك من الفراق جزوعا * أمسى الامام مسيرا مخلوعا

وغدا الخليفة أحمد بن محمد * بعد الخلافة والبهاء خليعا

كانت به الايام تضحك زهرة * وهو الربيع لمن أراد ربيعا

فأزاله المقدور من رتب العلا * فثوى بواسط لا يحس رجوعا

وكان بين خلع المستعين وقتله تسعة أشهر ويوم * ومات في خلافة المستعين جماعة من أهل العلم والمحدثين منهم أبو هاشم محمد بن زيد الرفاعي وأيوب بن محمد الوراق وأبو بكر محمد بن العلاء الهمداني بالكوفة وأحمد بن صالح المصري وأبو الوليد السري الدمشقي وعيسى بن حماد زغبة المصري بمصر ويكنى أبا موسى وأبو جعفر بن سوار الكوفي وذلك في سنة ثمان وأربعين ومائتين * وفي خلافة المستعين وذلك في سنة تسع

بذو به المرء يعلو * قدرا ويحفظ قربه
من لم يصن ثوبه * لم يصن وان لاح شيبه

وقال

لا تصحبن ما بقيت حالقول * ليس يجني عليك الا المضره
واطرح ما أتاك منه وجنب * من يرى بالفضول واتق ضره

وقال

ثقيل تراه النفس في العين كالقذى * وكالجبل الراسي على الصدر والقلب
تشير غموم المرء رؤية وجهه * وتشكو جفاه الارض شكوى ذوي الكرب

وقال

أما ترى الاشجار مصفرة * أوراقها كالشمس عند المغيب
ماهي الاصفرة آذنت * بأنها ترحل عما قريب

وقال

كل ما تحب وتشتهي * ودع الطبيب وما يرى
حفظ الغذاء مشقة * ليست ترد مقدرا
كم عد من متحفظ * كم صح ممن قصرا

وأربعين ومائتين كانت وفاة الحسن بن ... البزار وكان من علية أصحاب الحديث وهشام بن خالد الدمشقي ومحمد بن سليمان الجهني بالمصيصة والحسن بن محمد بن طالوت وأبو جعفر الصيرفي بسامرا ومحمد بن زنبور المكي بمكة وسليمان بن أبي طيبة وموسى ابن عبد الرحمن البرقي * وفي خلافة المستعين وذلك في سنة خمسين ومائتين مات ابراهيم بن محمد التيمي قاضي البصرة ومحمود بن خداش وأبو ... أحمد بن شعيب الحراني والحرث بن مسكين المصري وأبو طاهر أحمد بن عمرو بن السرح وغير هؤلاء ممن أعرضنا عن ذكره من شيوخ المحدثين ونقلة الآثار ممن قد أتينا على ذكرهم من أول زمن الصحابة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في سنة ست من كتابنا المترجم بالاوسط وانما ذكرنا من وفاة من ذكرنا لئلا نخلى هذا الكتاب من نبذ مما يحتاج الى ذكره على قدر الطالب له وقد كان المستعين في سنة ثمان وأربعين ومائتين أخرج من خزانة الخلافة فص ياقوت أحمر يعرف بالجبل وكانت الملوك تصونه وكان الرشيد اشتراه بأربعين ألف دينار ونقش عليه اسمه أحمد ووضع ذلك الفص في أصبعه فتحدث الناس بذلك وقد ذكر أن ذلك الفص قد تداولته الملوك من الاكاسرة وقد نقش في قديم الزمان وذكر أنه لم ينقشه ملك الامات قتيلا وكان الملك اذا مات وجلس تاليه في الملك حك النقش فتداولته في اللبس الملوك وهو غير منقوش فيقع النادر من الملوك فينقشه وكان ياقوتا أحمر يضيء بالليل كضياء المصباح اذا وضع في بيت لا مصباح فيه أشرق ويرى فيه بالليل تماثيل تلوح وله خبر طويل طريف قد ذكرناه في كتابنا أخبار الزمان في ذكر خواتيم ملوك الفرس وقد كان هذا الفص ظهر في أيام المقتدر ثم خفي أثره بعد ذلك وقد كان جماعة من الشعراء فالوا في المعتز حين استتم له الامر واستقامت له الخلافة وخلعها المستعين أقوالا كثيرة فمن ذلك قول مروان بن أبي الجنوب من قصيدة طويلة

ان الامور الى المعتز قد رجعت
والمستعين الى حالاته رجعا
قد كان يعلم أن الملك ليس له
وأنه لك لكن نفسه خدعا

وفي ذلك يقول رجل من أهل سامرا وقد قيل انه البحتري

لله در عصابة تركية * ردوا نوائب دهرهم بالسيف
قتلوا الخليفة أحمد بن محمد * وكسوا جميع الناس ثوب الخوف
وطغوا فاصبح ملكنا متقسما * واماما فيه شبيه الضيف

كل التحفظ زائد * لابد مما قد جرى

وقال

من كان يأكل ما اشتهى * ويرى محالفة الطبيب
سيرى مضرة ما أتى * بطرا ويندم عن قريب
ان التحفظ في الامور * لشيمة الفطن اللبيب
من لم يكن متحفظا * يخطي ويبعد أن يصيب

وقال

وللعصر أم حاجات اذا ما * ظفرت بها عثرت على النعيم
غناء وحكاك مجيد * وقول جزير عر على الاديم
وحوض مفعم ماء لذيذا * وحمام على النهج القويم
والعلق الحديدة حين تمنى * وأطيبها حديث أخ كريم

(وقال في الغزل) وهي آخر كتابه المذكور

الله أكبر جلت فتنة البشر * بنور غرتك المغني عن البصر

وفي المعتز ورجوع الامر اليه واتفاق الكلمة عليه يقول أبو علي البصير

آب أمر الاسلام خير مآب * وغدا الملك ثابتا في نصابه
مستقرا قراره مطمئنا * آهلا بعد نأيه واغترابه
فاحمد الله وحده والتمس بالعفو عمن هفا جزيل ثوابه

وكان على وزارة المعتز جعفر بن محمد ثم استوزر جماعة فكانت الكتب تخرج باسم صالح بن وصيف كانه مرسوم بالوزارة وكانت وفاة أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد في خلافة المعتز بالله وذلك في يوم الاثنين لاربع بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين وهو ابن أربعين سنة وقيل ابن اثنتين وأربعين وقيل أكثر من ذلك وسمع في جنازته جارية تقول ماذا لقينا في يوم الاثنين قديما وحديثا وصلى عليه أحمد بن المتوكل على الله في شارع أبي أحمد في داره بسامرا ودفن هنالك حدثنا أبو الازهر قال حدثني القاسم بن عباد قال حدثني يحيى بن هرثمة قال وجهني المتوكل الى المدينة لاشخاص علي ابن محمد بن علي بن موسى بن جعفر لشيء بلغه عنه فلما صرت اليه ضج أهلها وعجوا ضجيجا وعجيجا ما سمعت مثله فجعلت أسكنهم وأحلف لهم اني لم أومر فيه بمكروه وفتشت بيته فلم أجد فيه الا مصحفا ودعاء وما أشبه ذلك فاشخصته وتوليت خدمته وأحسنت عشرته فبينا أنا نائم يوما من الايام والسماء صاحية والشمس طالعة اذ ركب وعليه ممطر وقد عقب ذنب دابته فعجبت من فعله

فلم يكن بعد ذلك الا هنيهة حتى جاءت سحابة فارخت عز اليها ونالنا من المطر أمر عظيم جدا فالتفت الى وقال أنا أعلم انك أنكرت ما رأيت وتوهمت أني علمت من الامر ما لا تعلمه وليس ذلك كما ظننت ولكن نشأت بالبادية فانا أعرف الرياح التي يكون في عقبها المطر فلما أصبحت هبت ريح لا تخلف وشممت منها رائحة المطر فتاهبت لذلك فلما قدمت مدينة السلام بدأت باسحق ابن ابراهيم الطاهري وكان على بغداد فقال يا يحيى ان هذا الرجل قد ولده رسول الله صلى الله عليه وسلم والمتوكل من تعلم وان حرضته على قتله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمك فقلت والله ما وقفت له الا على كل أمر جميل فصرت الى سامرا فبدأت بوصيف التركي وكنت من اصحابه فقال والله لئن سقطت من رأس هذا الرجل شعرة لا يكون المطالب بها غيري فعجبت من قولهما وعرفت المتوكل ما وقفت عليه وما سمعته من الثناء عليه فاحسن جائزته واظهر بره وتكرمته وحدثني محمد بن الفرج بمدينة جرجان في المحلة المعروفة سراى غسان قال حدثني أبو دعامة قال أتيت علي بن محمد بن علي بن موسى عائدا في علته التي كانت وفاته منها في هذه السنة فلما هممت بالانصراف قال لي يا أبا دعامة قد وجب حقك أفلا احدثك بحديث تسر به قال فقلت له ما احوجني الى ذلك يا ابن رسول الله قال حدثني أبي محمد بن علي قال حدثني أبي علي بن موسى قال حدثني أبي موسى بن جعفر قال حدثني أبي جعفر بن محمد قال حدثني أبي محمد بن علي قال حدثني أبي علي بن الحسين قال حدثني أبي الحسين بن علي قال حدثني أبي علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب قال قلت وما اكتب قال لي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم الايمان ما وقرته القلوب وصدقته الاعمال ٣٥٠ والاسلام ما جرى به اللسان وحلت به المناكحة قال أبو دعامة فقلت يا ابن رسول الله ما أدري والله أيهما أحسن الحديث أم الاسناد فقال انها لصحيفة بخط علي بن أبي طالب باملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم نتوارثها صاغرا عن كابر (قال المسعودي) وقد ذكرنا خبر علي بن محمد بن موسى رضي الله عنه مع زينب الكذابة بحضرة المتوكل ونزوله الى بركة السباع وتذللها له ورجوع زينب عما ادعته من انها ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وأن الله تعالى أطال عمرها الى ذلك الوقت في كتابنا أخبار الزمان وقيل انه مات مسموما عليه السلام (قال المسعودي) وفي سنة ثلاث وخمسين ومائتين وذلك في خلافة المعتز مات محمد بن عبد الله بن طاهر للنصف من ذي القعدة بعد قتل وصيف بثلاثة عشر يوما والقمر مكسوف وكان من الجود والكرم وغزارة الادب وكثرة الحفظ وحسن الاشارة وفصاحة اللسان وملوكية المجالسة على ما لم يكن عليه أحد من نظرائه وفيه يقول الحسن بن علي بن طاهر من قصيدة له

كسف البدر والامير جميعا * فانجلى البدر والامير عميد

عاود البدر نوره لتجليه ونور الامير ليس يعود * يا كسوفين ليلة الاحد الخامس أحلتكما هناك السعود

واحد كان حده مثل حد السيف والآرشب فيها الوقود * (وذكر) أبو العباس المبرد قال ارتاح محمد بن عبد الله بن طاهر [illegible] وقد حضره ابن طالوت وكان وزيره وأخص الناس به واحضرهم لخلواته فاقبل عليه وقال لابد لنا اليوم من ثالث [illegible] تلذ بمنادمته المؤانسة فمن ترى أن يكون وأعفنا أن يكون شرير الاخلاق أو دنس الاعراق أو ظاهر [illegible] الفكر وقلت أيها الامير خطر ببالي رجل ليس علينا من مجالسته من مؤنة وقد برئ من ابرام المجالس خفيف الوطأة اذا أجبت سريع الوثبة اذا أردت قال ومن ذلك قلت ماني الموسوس قال أحسنت

شمس تطلع في أفق الجمال لها * نور تألق في داج من الشعر
ووردة الخد في أبراد سوسنها * شقائق زانها التغليف بالدرر
ومسكة الخال فوق الخد شاهدة * بان ابداعها احكام مقتدر

(وهذه نبذة من كتابه أنداء الديم في المواعظ والوصايا والحكم) وكل ما فيه كالذي قبله من نظمه رحمه الله تعالى فمن ذلك قوله رحمه الله

العلم نور وهدى * فكن مجد طالبه
واحرص عليه واعتمد * فيه الامور الواجبه
من لازم العلم علا * على الانام قاطبه

وقال خالف النفس عند قصد هواها * تبق ما عشت سالما من أذاها
فاتباع الهوى هوان ولكن * هان للنفس كي تنال مناها

وقال من يخالف في شئ الناس يرجع * هدفا للسهام من كل راشق

والله فليتقدم الى أصحاب الثعالبة والعشرين الرابع فى طلبه برفعه رفعة فما كان باسرع من ان اقتنصه صاحب الكرخ فصار به الى باب الامير فاخذ وحذف وتقف وأدخل الحمام والبس ثيابا نظافا وأدخل عليه فقال السلام عليك أيها الامير فقال محمد وعليك السلام ياماني أما آن لك أن تزورنا على حين توقان منا اليك ومنازعة قلوب منا نحوك فقال ماني الشوق شديد والحب عتيد والمزار بعيد والحجاب صعب والبواب فظ ولو سهل لنا فى الاذن لسهلت علينا الزيارة فقال ألطف فى الاستئذان فليلطف لك فى الاذن لا يمنع مانى أى وقت ورد من ليل أو نهار ثم أذن له فى الجلوس فجلس ودعا بالطعام فاكل ثم غسل يديه وأخذ مجلسه وكان محمد قد تشوق الى السماع من مؤنسة جارية بنت المهدى فاحضرت فكان أول ما غنت به

ولست بناس اذ غدوا فتحملوا * دموعى على الاحباب من شدة الوجد

وقولى وقد زالت بليل حمولهم * بوا كر نجد لا يكن آخر العهد

فقال مانى أحسنت وبحق الامير الا ما زدت فيه * وقت أناجى الفكر والدمع حائر * بمقلة موقوف على الضر والجهد ولم يعدنى هذا الامير بغيرة * على ظالم قد لج فى الهجر والصد فاندفعت تغنيه فقال له محمد أعاشق أنت يا مانى فاستحيى وغمزه ابن طالوت أن لا يبوح له بشئ فسقط من عينيه فقال مبلغ طرب وشوق كان كامنا فظهر وهل بعد الشيب صبوة ثم اقترح محمد على مؤنسة هذا الصوت حجبوها عن الرياح لانى * قلت يا ريح بلغيها السلاما

لو رضوا بالحجاب هان ولكن * منعوها عن الرياح الكلاما ٣٥١ فغنته فطرب محمد ودعا برطل فشرب فقال مانى ما على قائل هذا الشعر لو زاد فيه فتنعست ثم قلت لطيف آه ان زرت طيفها المناما خصه بالسلام منى فاخشى يمنعوه الشقوتى ان تناما لكان انقب لزند الصبابة بين الاحشاء وأشد تغلغلا الى الكبد الصديا من زلال الماء مع حسن تاليف نظمه والانتهاء بالمعنى الى نهاية تمامه فقال محمد أحسنت يا مانى ثم أمر مؤنسة بالحاقهما بالبيتين الاولين والغناء بهما ففعلت ثم غنت بهذين البيتين

ياخليلى ساعة لا تريما * وعلى ذى صبابة فاقيما ما مررنا بدار زينب الا * هتك الدمع سرنا المكتوما

فاستحسنه محمد فقال مانى ولولا رهبة التعدى لاضفت الى هذين البيتين بيتين لا يردان على سمع ذى لب فيصدران الاعن استحسان لهما فقال محمد يا مانى الرغبة فى حسن ما تاتى به حائلة دون كل رهبة فهات ما عندك فقال

ظبية كالهلال لو تلحظ الصخـر بطرف لغادرته هشيما واذا ما تبسمت خلت ايما * ض بروق أو لؤلؤا منظوما

فقال أحسنت يا مانى فأجز هذا الشعر لم تطب اللذات الا بمن * طابت بها اللذات مأنوسه * غنت بصوت أطلقت عبرة كانت بسجن الصبر محبوسه فقال مانى وكيف صبر الناس عن غادة * أظلمها ان قلت طاووسه

وجرت ان سميتها بانة * فى جنة الفردوس مغروسه وغير عدل ان عدلنا بها * جوهرة فى البحر مغموسه

ثم سكت فقال محمد ما عدا فى وصفها فقال مانى جلت عن الوصف فما فكرة * تلحقها بالنعت محسوسه

فقال محمد أحسنت فقالت مؤنسة وجب شكرك يا مانى فساعدك دهرك وعطف عليك الفك وقارنك سرورك وفارقك محذورك والله يديم لنا ذلك ببقاء من به اجتمع شملنا فقال لها مانى عند قولها وعطف عليك الفك مجيبا

ليس لى الف فيعطفنى * فارقت نفسى الاباطيل أنا موصول بنعمة من * حبله بالمجد موصول

كن مع الناس كيف كانوا ووافق * ان من لا يوافق الناس مائق

وقال

أرح النفس تتنعم بحياتك * واغنم العيش قبل يوم وفاتك

واطرح عيب من سواك وسالم * جملة الناس يغفلوا عن اذاتك

واعتبر بالذين بادوا وبادر * ما بدا نيك من سبيل نجاتك

وقال

سالم الناس ما استطعت وجامل * من يعاديك ان اردت السلامه

وتنزه عن القبيح وجنب * من يرى بالفضول واحذر كلامه

وقال

صديقى أنت ما أبقى بخير * وموتى غير محتاج اليكا

فان أحتج اليك فانت منى * برئ لا صداقة لى عليكا

وقال

من أنت عنه غنى * كن فيه مثل اعتقاده

فان يكن منه ود * فجازه بوداده

وان يكن منه بعد * فخله لبعاده

أنا مغبوط بنعمة من * طبعه بالمجد مأمول فأوما اليه ابن طالوت بالقيام فنهض وهو يقول
ملك قل النظيرله * وانه الغر البهاليل طاهري في مواكبه * عرفه في الناس مبذول
دم من يشقى بصارمه * مع هبوب الريح مطلول يا أبا العباس صن أدبا * حده بالدهر مفلول

وقال محمد وجب جزاؤك لشكرك على غير نعمة سبقت ثم أقبل على ابن طالوت فقال ليست خساسة المرء ولا اتضاع الدهر ولا نبو العين عن الظاهر بمذهب جوهرية الادب المركب في الانسان وما أخطأ صالح بن عبد القدوس حيث يقول

لا يعجبنك من يصون ثيابه * خوف الغبار وعرضه مبذول فلربما افتقر الفتى فرأيته * دنس الثياب وعرضه مغسول

قال ابن طالوت فما رأيت أحضر ذهنا منه اذ تقول الجارية عطف عليك الف وانشاده عند قولها ذلك

ليس لي الف فيعطفني * فارقت نفسي الاباطيل قال فلم يزل محمد مجريا عليه رزقه حتى توفي * ونمى الى المعتز ان المؤيد يدبر عليه وانه قد استمال جماعة من الموالي فحبس المؤيد وأبا احمد وهما الاب والام وطولب المؤيد بان يخلع نفسه من ولاية العهد فضرب أربعين عصا الى ان أجاب وأشهد على نفسه بذلك ثم اتصل بالمعتز ان جماعة من الاتراك اجتمع رأيهم على اخراج المؤيد من حبسه فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة اثنتين وخمسين ومائتين أخرج المؤيد ميتا وأحضر القضاة والفقهاء حتى رأوه ولا اثر فيه فيقال انه أدرج في لحاف مسموم وشد طرفاه حتى مات فيه وضيق حبس أبي أحمد فكان بين دخوله سر من رأى وما لقي ٣٥٢ بها من الاكرام و بين حبسه ستة أشهر وثلاثة أيام ثم أنحص الى البصرة

لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان بعد قتل المؤيد بخمسين يوما ورتب اسمعيل بن قبيحة وهو أخو المعتز لابيه وأمه مكان المؤيد في ولاية العهد واجتمع قواد الموالي الى المعتز فسألوه الرضا عن وصيف وبغا فاجابهم الى ذلك * وفي هذه السنة مات زرافة صاحب دار المتوكل بمصر * وقد كان يوسف ابن اسمعيل العلوي غلب على مكة فمات في هذه السنة فخلفه بعد وفاته أخوه محمد بن يوسف وكان أسن منه بعشرين سنة فنال الناس في هذه السنة جهد شديد فبعث المعتز بأبي الساج الاشر وسني الى الحجاز فهرب محمد بن يوسف وقتل خلق من أصحابه وفيها أوقع الحسن بن زيد الحسني بسليمان بن عبد الله بن طاهر فاخرجه عن طبرستان * وفي هذه السنة قدم الى سامرا عيسى ابن الشيخ الشيباني من مصر ومعه مال كثير وستة وسبعون رجلا من سائر ولد أبي طالب من ولد علي وجعفر وعقيل كانوا اخرجوا من الحجاز خوف الفتنة والجهد النازل بالحجاز الى مصر فحملوا منها فامر المعتز بتكفيلهم والتخلية عنهم لما وقف عليه من أمرهم * وولى عيسى بن الشيخ فلسطين * وفي هذه السنة وهي سنة ثلاث وخمسين ومائتين مات صفوان العقيلي صاحب ديار مضر في حبس سامرا * وفي هذه السنة قتل أهل كرخ سامرا من الفراغنة والاتراك لوصيف التركي وتخلص بغا منهم واشتد أمر شاور الشاري ورتب صالح بن وصيف في موضع وصيف * وفي سنة أربع وخمسين ومائتين خرج بغا من سامرا الى ناحية الموصل فانتهبت الموالي داره وانفض من كان معه من الجيش وانحدر في زورق فوقع به بعض المغاربة بجسر سامرا فقتل ونصب رأسه بسامرا وهو بغا الصغير ثم أخذ الرأس الى مدينة السلام فنصب على الجسر وكان المعتز في حياة بغا لا يلتذ بالنوم ولا يخلع سلاحه لا في ليل ولا في نهار خوفا من بغا وقال لا أزال على هذه الحالة حتى أعلم لبغا رأسي أو رأسه لي وكان يقول اني لا اخاف أن ينزل علي بغا من السماء أو يخرج علي من الارض وقد كان بغا عزم على أن ينحدر

وقال عليك بنفسك لا تشتغل * بشئ سواها وخل الفضول
تعش رائح القلب في غبطة * فلا من يذم ولا من يقول
وقال اترك الفكر في الامور ودعها * فكما قدرت تكون الامور
كل فكر وكل رأي وحزم * غير مجد اذا جرى المقدور
وقال هون عليك خطوب الدهر ان لها * نهاية والتناهي عنده الفرج
واصبر فان لحسن الصبر عاقبة * يصبحها ظلمة المكروب تنبلج
وقال احذر البخل انه شر خلق * يتحلى به وشر طريقه
من يجد غير مسرف فهو في النا * س موقى تثني عليه الخليقه
وقال الذل في طلب الافادة عزة * فاحرص على نيل الافادة ترشد
ان التعزز في الذي تحتاجه * كبر وكبر المرء أقبح مقصد
وقال دع من عرفت ولا تشدد عليه يدا * وداره وتحفظ منه ما بقيا

سر امن فيصل الى سامرا في الليل و يصرف الاتراك عن المعتز ويفيض فيهم الاموال فكان من امره ما وصفنا ولما رأى الاتراك من اقدام المعتز على قتل رؤسائهم واعمال الحيلة في فنائهم وانه قد اصطنع المغاربة والفراغنة دونهم صاروا اليه باجمعهم وذلك لاربع بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وجعلوا يقرعونه بذنوبه ويوبخونه على افعاله وطالبوه بالاموال وكان المدبر لذلك صالح بن وصيف مع قواد الاتراك فلج وأنكر أن يكون قبله شئ من المال فلما حصل المعتز في أيديهم بعث الى مدينة السلام في محمد بن الواثق الملقب بالمهتدي وقد كان المعتز نفاه اليها واعتقله فيها فاتى به في يوم وليلة الى سامرا فتلقاه الاولياء في الطريق ودخل الى الجوسق وأجاب المعتز الى الخلع على ان يعطوه الامان أن لا يقتل وأن يؤمنوه على نفسه وماله وولده وأبى محمد بن الواثق أن يقعد على سرير الملك أو يقبل البيعة حتى يرى المعتز ويسمع كلامه فاتى بالمعتز وعليه قميص مدنس وعلى رأسه منديل فلما رآه محمد بن الواثق وثب اليه فعانقه وجلسا جميعا على السرير فقال له محمد بن الواثق يا أخي ما هذا الامر قال المعتز أمر لا أطيقه ولا أقوم به ولا أصلح له فاراد المهتدي أن يتوسط امره ويصلح الحال بينه وبين الاتراك فقال المعتز لا حاجة لي فيها ولا يرضوني لها قال المهتدي فانا في حل من بيعتك قال أنت في حل وسعة فلما جعله في حل من بيعته حول وجهه عنه فاقيم عن حضرته ورد الى محبسه فقتل في محبسه بعد أن خلع بستة أيام على ما قدمنا في صدر هذا الباب ❊ وقد قالت الشعراء في خلع المعتز وقتله فاكثرت ورثته فاحسنت فمن ذلك قول بعض أهل ذلك العصر من قصيدة له

عين لا تبخلي بسفح الدموع ❊ واندبي خير فاجع مفجوع

	أماترى البلد الذي نشأت به ❊ محقرا كلما أصبحت معتليا
	وغيره من بلاد الله قاطبة ❊ يعليك لا سيما ان كنت متقيا
وقال	ينبغي للذي تحلى بعقل ❊ أن يرى كالبازي مدة عمره
	بين أيدي الملوك أو في فلاة ❊ خيفة من شر وأبناء دهره
وقال	العزل يضحك ذا ❊ من تيه سلطان الولايه
	فاذا وليت فسر على ❊ نهج الدماثة والرعايه
	واقصد مداراة الورى ❊ واحذر كيود ذوي السعايه
وقال	لا تقبل الحكم على بلدة ❊ نشأت فيها انه يحقد
	رياسة المرء على الاهل والـ ❊ ـجيران والخلان لا تحمد
وقال	هي الدنيا اذا فكرت فيها ❊ رأيت نعيمها سما نقيعا
	فلا تحفل بها واحذر أذاها ❊ فان لسمها قبلا ذريعا

خانه الناصح الشفيق وخالته ا كف الردي بحتف سريع
بكر الترك ناقمين عليه
خلعته افديه من مخلوع
قتلوه ظلما وجورا فالقوه كريم الاخلاق غير جزوع
كان يغشي بحسنه بهجة البدر فتلقاه مظهرا للخضوع
وترى الشمس تستكين فلا تشرق امارأته وقت الطلوع

لم يهابوا جيشا ولا رهبوا السيف فلهفي على القتيل الخليع

أصبح الترك مالكي الامر والعا ❊ لم ما بين سامع ومطيع وترى الله فيهم مالك الامر سيجزيهم بقتل ذريع

وقال فيه آخر من قصيدة طويلة ❊ أصبحت مقلتي بدمع سفوحا ❊ حين قالوا أضحى الامام ذبيحا
قتلوه ظلما وجورا وغدرا ❊ حين أهدوا اليه حتفا مريحا ❊ نضر الله ذلك الوجه وجها ❊ وسقى الله ذلك الروح روحا
أيها الترك سوف تلقون للدهر سيوفا لا تستبل الجريحا ❊ فاستعدوا للسيف عاقبة الامر فقد جئتم فعالا قبيحا
وقال آخر من قصيدة طويلة أيضا ❊ أصبحت مقلتي تسح الدموعا ❊ اذ رأت سيد الانام خليعا
لهف نفسي عليه ما كان أملا ❊ ه واسراه تابعا متبوعا ❊ ألزموه ذنبا على غير جرم ❊ فثوى فيهم قتيلا صريعا
وبنو عمه وعم أبيه ❊ أظهروا ذلة وأبدوا خضوعا ❊ ما بهذا يصح ملك ولا يغزى عدو ولا يكون جميعا
وكان المعتز أول خليفة أظهر الركوب بحلية الذهب وكان من سلف قبله من خلفاء بني العباس وكذلك جماعة من بني أمية يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة والمناطق واتخاذ السيوف والسروج واللجم فلما ركب المعتز بحلية الذهب اتبعه الناس في فعل ذلك ❊ وكذلك المستعين قبله أحدث لبس الاكمام الواسعة ولم يكن يعهد ذلك فجعل عرضها ثلاثة أشبار ونحو ذلك وصغر القلانس وكانت قبل ذلك طوالا كاقباع القضاة ❊ وفي سنة خمس وخمسين ومائتين ظهر بالكوفة علي بن زيد وعيسى

ابن جعفر العلوى فسرح اليهما المعتز سعيد بن صالح المعروف بالحاجب فى جيش عظيم فانهزم الطالبيان لتفرق أصحابهما عنهما * وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب وفاة اسمعيل بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وما نال أهل المدينة وغيرهم من أهل الحجاز فى أيامه من الجهد والضيق وما كان من أمر أخيه بعد وفاة محمد بن يوسف مع أبى الساج وحربه اياه ولما انكشف من بين يدى أبى الساج سار الى اليمامة والبحرين فغلب عليها وخلفه بها عقبه المعروف ببنى الاخيضر الى اليوم وقد كان ظهر بناحية المدينة بعد ذلك ابن لموسى ابن عبد الله بن موسى بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب (قال المسعودى) وقد ذكرنا فى كتابنا أخبار الزمان سائر أخبار من ظهر من آل أبى طالب ومن مات منهم فى الحبس و بالسم وغير ذلك من أنواع القتل منهم عبد الله بن محمد بن على بن أبى طالب وهو أبو هاشم سقاه عبد الملك بن مروان السم ومحمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب حمله سعيد الحاجب من البصرة فحبس حتى مات وكان معه ابنه على فلما مات الاب خلى عنه وذلك فى ايام المستعين وقيل غير ذلك وجعفر بن اسمعيل بن موسى بن جعفر قتله ابن الاغلب بارض المغرب والحسن بن يوسف بن ابراهيم بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب قتله العباس بمكة وحمل فى أيام المعتز من الرى على بن موسى بن اسمعيل بن موسى بن جعفر بن محمد ومات فى حبسه * وحمل سعيد الحاجب من المدينة موسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن بن على بن أبى طالب وكان من النسك والزهد فى نهاية الوصف وكان معه ادريس بن موسى فلما صار سعيد

بناحية زبالة من جادة الطريق اجتمع خلق من العرب من بنى فزارة وغيرهم لاخذ موسى من يده فسمه فات هنالك وخلصت بنو فزارة ابنه ادريس بن موسى * وفى خلافة المعتز فى سنة اثنتين وخمسين ومائتين كان بدو الفتنة بين البلالية والسعدية بالبصرة وما نتج من ذلك من ظهور صاحب الزنج

ولا تأسف على ما فات منها * وبادر فى حياتك ان تطيعا

وقال

كن وحيدا ما عشت تحيا بخير * سالما من شرور كل البريه
ان من لا يخالط الناس يبقى * دهره لا تعروه منهم أذيه

وقال

لا تبح ما حييت يوما بسر * لصديق ولا لغير صديق
ان سرا جاوز الصدر فاش * يدريه العدا ومن فى الطريق

وقال

لا تصاحب ما عشت الا الكبارا * تنم ذكرا وتعتلى مقدارا
ان من ماشى فى طريق حقيرا * يكتسى منه مهنة واحتقارا
فتحفظ من أن تواخى دنيا * فهو يهديك ذلة وصغارا

وقال

محدثات الامور أردى الشرور * فتحفظ من محدثات الامور
انما المحدثات غى فدعها * واجتهد ان ترى مع الجمهور
كل من يتبع الحوادث يشقى * ويرى نفسه بغير نظير

وقال

*وللمعتز أخبار حسان غير ما ذكرنا قد أتينا على مبسوطها فى كتابنا أخبار الزمان والأوسط وبالله التوفيق

(ذكر خلافة المهتدى بالله) وبويع المهتدى محمد بن هرون الواثق قبل الظهر من يوم الاربعاء لليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وأمه أم ولد رومية يقال لها قرب ويكنى بابى عبد الله وله يومئذ سبع وثلاثون سنة وقيل تسع وثلاثون سنة وانه قتل ولم يستكمل الاربعين سنة فى سنة ست وخمسين ومائتين فكانت ولايته أحد عشر شهرا ودفن بسامرا وقيل ان مولده كان فى سنة ثمانى عشرة ومائتين

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه)

واستوزر المهتدى بالله جماعة على قصر مدته فسلموا امنه من قتل وغيره منهم عيسى بن فرخانشاه وبنى المهتدى قبة لها أربعة أبواب وسماها قبة المظالم وجلس فيها للعام والخاص للمظالم وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وحرم الشراب ونهى عن القيان وأظهر العدل وكان يحضر كل جمعة الى المسجد الجامع ويخطب الناس ويؤمهم فثقلت وطأته على العامة والخاصة بحمله اياهم على الطريق الواضحة فاستطالوا خلافته وسئموا أيامه وعملوا الحيلة عليه حتى قتلوه وذلك أن موسى بن بغا الكبير كان عاملا غائبا بالرى مشتغلا بحرب آل أبى طالب كالحسن بن زيد الحسنى وما كان من الديلم ببلاد قزوين ودخولهم اياها عنوة وقتالهم أهلها فلما نمى الى موسى بن بغا قتل المعتز وما كان من أمر صالح بن وصيف والاتراك فى ذلك قفل من تلك الديار متوجها الى سامرا منكرا لما جرى على المعتز وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار المعتز قتل المعتز مجملا ولم نبين

كيفية قتله وتنازع الناس في ذلك مفصلا ورأيت أصحاب السير والتواريخ وذوي العناية بأخبار الدول قد تباينوا في مقتله فمنهم من ذكر أن المترمات في حبسه في خلافة المهتدي بالله على ما قدمنا من التاريخ حتف أنفه ومنهم من ذكر أنه منع في حبسه من الطعام والشراب فمات عند قطع مواد الغذاء عنه من المأكل والمشرب ومنهم من رأى أنه حقن بالماء الحار المغلى فمن أجل ذلك حين أخرج الى الناس وجدوا جوفه وارما والاشهر في الاخبار بين من عنى بأخبار العباسيين أنه أدخل حماما وأكره في دخوله اياه وكان الحمام محميا ومنع الخروج منه ثم تنازع هؤلاء فمنهم من قال انه ترك في الحمام حتى فاضت نفسه ومنهم من ذكر أنه أخرج بعد أن كادت نفسه تتلف للحمى ثم أسقي شربة ماء مبردة بثلج فنثرت الكبد وغيره فخمد من فوره وذلك ليومين خلوا من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين وقد أتينا على مبسوط هذه الاخبار في كتابنا أخبار الزمان ولما اتصل بالمهتدي مسير موسى بن بغا الى دار الخلافة أنكر ذلك وكاتبه بالمقام في موضعه وان لا يخل عن مركزه للحاجة اليه فأبى موسى ابن بغا الا اغذاذ المسير والسرعة فيه حتى وافى سامرا وذلك في سنة ست وخمسين ومائتين وصالح بن وصيف يدبر الامر مع المهتدي فلما دنا موسى من سامرا صاحت العامة في مواضعها والغوغاء في طرقاتها يا فرعون قد جاءك موسى وكان صالح بن وصيف قد نفر عن المهتدي حين علم بموافاة موسى وقال ان المهتدي راسل موسى في السر في المسير الى سامرا والشخوص اليها وكاتبه في ظاهر الامر وراسله أن لا يقدم وكان رجل من قواد الاتراك يقال له بايكبال قد غلب على الامر أيضا وترأس فدخل موسى سامرا حتى انتهى الى مجلس ٣٠٠ المهتدي وهو جالس للمظالم والدار غاصة بخواص الناس وعوامهم فشرع أصحاب موسى فدخلوا الدار وجعلوا يخرجون العامة منها بأشد ما يكون من الضرب بالدبابيس والطبرزينات والعسف فضجت العامة فقام المهتدي منكرا عليهم فعلمهم من في الدار فلم يرجعوا عما هم عليه فتنحى مغضبا فقدم اليه فرس وقد استشعر منهم الغدر فمضى به الى دار ماروج وقد كان موسى بن بغا انصرف عن دار المهتدي لما نظر الى ضجة العامة فيها فنزل تلك الدار فسير بالمهتدي اليها فأقام فيها ثلاثا عند موسى بن بغا وكان فيه ديانة وتقشف حتى ان الجند تاسوا به ولم يكن يشرب النبيذ وكان المهتدي في أخلاقه شراسة فنافر موسى وكاد الامر أن ينفرج والحال أن يتسع غير أن موسى تعطف عليه وأعملا الحيلة في قتل صالح بن وصيف وخاف موسى أن يكون صالح بن وصيف يعمل الحيلة عليهم في حال اختفائه فبث في طلبه العيون حتى وقع عليه فقاتل ومانع عن نفسه فقتل واحتز رأسه وأتى به الى موسى بن بغا ومنهم من رأى أنه احمى له حمام وأدخل اليه فمات على حسب ما فعل بالمعتز وقوي أمر مساور الشاري ودنا في عسكر من سامرا وعم الناس بالاذى وانقطعت السابلة وظهرت الاعراب فأخرج المهتدي بالله موسى بن بغا وبايكبال الى حرب الشاري وخرج معهما فشيعهما ثم قفلا من غير أن يلقيا شرا فلما استشعر المهتدي رجوعهما خرج فعسكر بحضرة سامرا في جمع من المغاربة والفراغنة وغيرهم من الرسوم ليحارب بايكبال فانصرف موسى على ظهر سامرا متحرجا لقتال المهتدي فكانت بين المهتدي وبين بايكبال حرب عظيم قتل فيها خلق كثير من الناس وانكشف بايكبال واستظهر المهتدي عليه فخرج كمين لبايكبال على المهتدي وفيه ماروج التركي فولى المهتدي وأصحابه ودخل سامرا مستغيثا بالعامة مستنصرا بالناس يصيح في الاسواق فلا مغيث وقدامه أناس من الانصار فمضى مؤيسا من النصر الى دار ابن خيعونة بسامرا فاختفى فهجموا عليه وعزلوه وجاؤوا منها الى دار ماروج وقيل له أتريد أن تحمل الناس على سيرة عظيمة لم يعرفوها فقال أريد أن أحملهم على سيرة الرسول

وقال

من تفضلت عليه * أنت لاشك أميره
ومن احتجت اليه * أنت بالرغم أسيره
ومن استغنيت عنه * أنت في الدنيا نظيره

وقال

لم يبق من يطمع في وده * كلا ولا من ترتضى صحبته
الناس أشباه ذئاب فهل * يعلم ذئب حسنت عشرته
من يبتغي اليوم صديقا كما * يرضى فقد زلت به بغيته

وقال

فاعل الخير موقى كل ما * يتقى من ضر ومن فتنة
ليس يخشى فاعل الخير أذى * ان فعل الخير أوقى جنة

وقال

تحفظ من صديقك في أمور * فربما ضر بك الصديق
من اعتمد الصديق ولم يبالي * يصبه الضر وهو به خليق

وقال

لا تركنن لمخلوق وكن أبدا * ممن توكل في الدنيا على الله

صلى الله عليه وسلم وأهل بيته والخلفاء الراشدين فقيل له الرسول صلى الله عليه وسلم كان مع قوم قد زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم وأنت انما رجالك تركي وخزري ومغربي وغير ذلك من أنواع الاعاجم لا يعلمون ما يجب عليهم من أمر آخرتهم وانما غرضهم ما استعجلوه من هذه الدنيا فكيف تحملهم على ما ذكرت من الواضحة فكثر منهم ومنه الكلام والمراجعة في هذا المعنى وأشباهه ثم انقادوا اليه على حسب ما ظهر للناس من ذلك فلما كاد الامر أن يتم قام فيهم سليمان بن وهب الكاتب وقيل غيره وقال هذا سوء رأي منكم وخطأ في تدبيركم ان أعطاكم بلسانه فنيته فيكم غير هذا قال وسيأتي عليكم جميعا ويفرق جمعكم فلما سمعوا هذا القول استرجعوا وجاؤه بالخناجر فكان أول من جرحه ابن عم لبايكيال جرحه بخنجر في أوداجه وانكب عليه فالتقم الجرح والدم يفور منه وأقبل يمص الدم حتى روي منه والتركي سكران فلما روي من دم المهتدي قام قائما وقد مات المهتدي فقال يا أصحابنا قد رويت من دم المهتدي كما رويت في هذا اليوم من الخمر وقد تنوزع فيما ذكرنا من قتل المهتدي والاشهر ما ذكرناه من قتله بالخناجر ومنهم من رأى أنه عصرت مذاكيره حتى مات ومنهم من رأى انه جعل بين لوحين عظيمين وشد بالحبال الى أن مات وقيل خنقا وقيل كبس عليه بالبسط والوسائد حتى مات ولما مات داروا به ينوحون ويبكون عليه وندموا على ما كان منهم من قتله لما تبينوا من نسكه وزهده وقيل ان ذلك كان يوم الثلاثاء لاربع عشرة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وكان موسى بن بغا وماجوج التركي غير داخلين في فعل الاتراك وكان حنق الاتراك على المهتدي بسبب قتله بايكيال وذلك أن بايكيال وقع بيد

المهتدي فضرب عنقه ورمى به الى أصحابه ومنهم من رأى انه قتل في الحرب المتقدم ذكرها في الموضع المعروف بجسر سامرا وقد كان المهتدي لما افضت الخلافة اليه أخرج أحمد ابن اسرائيل الكاتب وأبا نوح الكاتب الى باب العامة بسامرا يوم الخميس لثلاث خلون من شهر رمضان فضرب كل واحد منهما خمسمائة سوط فماتا وذلك لامور كانت منهم استحقا عند المهتدي فيما يجب في حكم الشريعة

ولا تمل لسواه ما حييت ومن * يرجو سوى الله هاوحبله واهي

وقال
طلب الغاية اتباع غوايه * فاعتمد في الامور ترك النهايه
من يكن راضيا بما يتسنى * عاش عيش الملوك دون اذايه

وقال
لا تعتمد أبدا على مخلوق ان * تبغ النجاح وتقصد الرشدا
من يرج غير الله يحرم رشده * ويذل وهو مخيب قصدا

وقال
سفر المرء قطعة من عذابه * فيه تخليق جسمه وثيابه
انما العيش للفتى بين أهليه * وخلانه وفي أحبابه
من برده بخير الله يكفه * كرب تحواله وذل اغترابه

وقال
سلم ولا تعترض يوما على أحد * ان شئت تسلم من حقد واضرار
من يعترض يعترض لا شك وهو حر * بذاك فالشر مقدار بمقدار

وقال
ان الصديق لعون * في كل ما تبتغيه

فلا أن يفعل بهما ذلك وقتل المهتدي وله من الولد سبعة عشر ذكرا وست بنات وقد كان المهتدي ولى أحمد بن المدبر خراج فلسطين وكانت له معه أخبار قد أتينا على جميعها فيما سلف من كتبنا وأخبار ابن المدبر لما وصل الى فلسطين وما حمل الى سامرا وقيل ان المعتز بالله كان أخرجه الى الشام ولاحمد بن المدبر أخبار حسان ولابراهيم بن المدبر أخيه مع صاحب الزنج أخبار حين أسره (قال المسعودي) في أخبار أحمد بن المدبر المستحسنة مما دونها الناس في أخبار الطفيليين أن أحمد كان قليل الجلوس للمنادمة وكان له سبعة ندماء لا يأنس بغيرهم ولا ينبسط الى سواهم قد اصطفاهم لعشرته وأخذهم لمنادمته كل رجل منهم قد انفرد بنوع من العلم لا يساويه فيه غيره وكان طفيلي يعرف بابن دراج من أكمل الناس أدبا وأخفهم روحا وأشدهم في كل مليحة افتنانا فلم يزل يحتال الى ان عرف وقت جلوس أحمد بن المدبر للندماء فتزيا في زي ندمائه ودخل في جملتهم وظن حاجبه ان ذلك بعلم من صاحبه ومعرفة من اولئك الندماء ولم ينكر شيأ من حاله وخرج احمد بن المدبر فنظر اليه بين القوم فقال لحاجبه اذهب الى ذلك الرجل فقل له ألك حاجة فسقط في يد الحاجب وعلم ان الحيلة قد تمت عليه وان ابن المدبر لا يرضى في عقوبته الا بقتله فرهو ويجربر جليه فقال له الاستاذ يقول لك ألك حاجة فقال قل له لا فقال له ارجع اليه فقل له ما جلوسك فقال الساعة جلسنا يا بغيض فقال ارجع اليه فقل له اي شئ انت فقال قل له طفيلي يرحمك الله فقال له اين

المدبر انت طفيلي قال نعم اعزك الله قال ان الطفيلي يحتمل على دخوله بيوت الناس وافساده عليهم ما يدونه من الخلوة بندمائهم والخوض فى اسرارهم لخصال منها ان يكون لاعبا بالشطرنج أو بالنرد أو ضاربا بالعود أو الطنبور فقال ايدك الله انا أحسن هذه الاشياء كلها قال وفى اى وظيفة انت منها قال فى العليا من جميعها قال لبعض ندمائه لاعبه بالشطرنج فقال الطفيلي أصلح الله الاستاذ فان قمرت قال أخرجناك من دارنا قال فان قمرت قال أعطيناك ألف درهم قال فان رأيت أيدك الله إن تحضر الالف درهم فان فى حضورها قوة للنفس والايقان بالظفر فاحضرت فلعبا فغلب الطفيلي ومد يده ليأخذ الدراهم فقال الحاجب لينفي عن نفسه بعض ما وقع فيه أعز الله الاستاذ انه زعم أنه فى الطبقة العليا وابن فلان غلامك يغلبه فاحضر الغلام فغلب الطفيلي فقال له انصرف فقال أحضروا النرد فاحضرت فلوعب فغلب فقال الحاجب ولا هذا يا سيدى فى الطبقة العليا من النرد ولكن بوابنا فلان يغلبه فاحضر البواب فغلب الطفيلي فقال له اخرج فقال يا سيدى فالعود فاتى بالعود فضرب فاصاب وغنى فاطرب فقال الحاجب يا سيدى فى جوارنا شيخ هاشمى يعلم القيان أحذق منه فاحضر الشيخ فكان أطرب منه فقال له اخرج فقال فالطنبور فأعطى طنبورا فضرب ضرب بالمهر الناس أحسن منه وغنى غناء فى النهاية فقال الحاجب أعز الله الاستاذ فلان المحتكر فى جوارنا أحذق منه فاحضر المحتكر فكان أحذق منه وأطيب فقال له ابن المدبر قد تقصيناك بكل جهد فابت حرفتك الا طردك عن منزلنا فقال يا سيدى بقيت معى بابة حسنة قال ماهى قال تامر لى بقوس بندق مع خمسين بندقة رصاص ويقام هذا الحاجب على أربع وأرميه فى دبره بهن وان اخطأت بواحدة منهن

ضربت رقبتى فضحك الحاجب من ذلك ووجد ابن المدبر فى ذلك شفاء لنفسه وعقوبة ومكافأة له عن ما فرط منه فى ادخال الطفيلي الى مجلسه فامر بالكافيين فاحضرا وجعل أحدهما فوق الآخر وشد الحاجب فوقهما وأمر بالقوس والبندق فدفع الى الطفيلي فرمى به فما أخطأ وخلى عن الحاجب وهو يتأوه لما به فقال له الطفيلي أعلى باب الاستاذ من يحسن مثل هذا فقال يا قرنان ما دام البرجاس استى فلا وللطفيليين أخبار حسان مثل خبر ساسان الطفيلي مع المتوكل فى اللوزينج وما ابتدأ من العدد من الواحد الى ما فوقه من الاقراز ولغيره منهم ما قد أتينا على ذكره فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط على الشرح والتمام والكمال وانما نورد فى هذا الكتاب لمعا مما لم يتقدم له ذكر فيما سلف من كتبنا فى هذا المعنى وقد كان المهتدى بالله ذهب فى أمره الى القصد والدين فقرب العلماء ورفع من منازل الفقهاء وعمهم ببره وكان يقول يا بنى هاشم دعونى حتى أسلك مسلك عمر بن عبد العزيز فاكون فيكم مثل عمر بن عبد العزيز فى بنى أمية وقلل من اللباس والفرش والمطعم والمشرب وأمر باخراج آنية الذهب والفضة من الخزائن فكسرت وضربت دنانير ودراهم وعمد الى الصور التى كانت فى المجالس فمحيت وذبح الكباش التى كان يناطح بها بين يدى الخلفاء والديوك وقتل السباع المحبوسة ورفع بسط الديباج وكل فرش لم ترد الشريعة باباحته وكانت الخلفاء قبله تنفق على موائدها فى كل يوم عشرة آلاف درهم فازال ذلك وجعل لمائدته وسائر مؤنه فى كل يوم نحو مائة درهم وكان يواصل الصيام وقيل انه لما قتل أخرج رحل من الموضع الذى كان يأوى اليه فاصيب له سفط مقفل فتوهموا أن فيه مالا أو جوهرا فلما فتح وجد فيه جبة صوف وغل وقيل جبة شعر فسألوا من كان يخدمه فقال كان اذا جن الليل لبسها وغل نفسه وكان يركع ويسجد الى أن يدركه الصباح وانه كان ينام من الليل ساعة من بعد العشاء الآخرة ثم يقوم وانه سمعه بعض من كان يأنس اليه قبل أن يقتل وقد صلى المغرب وقد دنا من افطاره وهو يقول

فلا تسئ لصديق * واحذر وقوعك فيه
فالمرء قيل كثير * بنفسه وأخيه

وقال
افعل الخير ما استطعت تنل ما * تبتغيه من الثناء الجميل
فاعل الخير آمن ليس يخشى * صرف دهر ولا حلول جليل

وقال
يحق الحق حتما دون شك * وان كره المشكك والملد
صريح الحق قد يخفى ولكن * بعيد خفائه لا شك يبدو

وقال
ان شئت عزا دائما * فاسلك سبيل من اقتنع
ان القناعة عزة * والذل عاقبة الطمع
المرء ان قنع اعتلى * قدرا وان طمع اتضع

وقال
استعن فى الامور بالكتمان * وتحفظ من شر كل لسان
كل ما لا يدرى من امرك فضل * ليس فيه شئ من الخسران

اللهم انه قد صح عن نبيك محمد صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا تحجب لهم دعوة عن الله دعوة الامام العادل وقد أجهدت نفسي في العدل على رعيتي ودعوة المظلوم وأنا مظلوم ودعوة الصائم حتى يفطر وأنا صائم وجعل يدعو عليهم وأن يكفي شرهم

(وذكر) صالح بن علي الهاشمي قال حضرت يوما من الايام جلوس المهتدي للمظالم فرأيت من سهولة الوصول اليه ونفوذ الكتب عنه الى النواحي فيما يتظلم به اليه ما استحسنته فاقبلت أرمقه ببصري اذ نظر في القصص فاذا رفع طرفه الى أطرقت فكانه علم ما في نفسي فقال يا صالح أحسب أن في نفسك شيأ تحب ان تذكره قلت نعم يا أمير المؤمنين فامسك فلما فرغ من جلوسه أمر في ان لا أبرح ونهض فجلست جلوسا طويلا ثم دعاني فدخلت اليه وهو على حصير الصلاة فقال لي يا صالح أتحدثني بما في نفسك أو أحدثك به قلت بل هو من أمير المؤمنين أحسن فقال كاني بك قد استحسنت ما رأيت من مجلسنا فقلت أي خليفة ان لم يكن يقول بخلق القرآن فقلت نعم فقال قد كنت على ذلك برهة من الدهر حتى أقدم على الواثق شيخ من أهل الفقه والحديث من أهل أذنة من الثغر الشامي مقيد طوال حسن الهيئة فسلم عليه غير هائب ودعا فاوجز فرأيت الحياء منه في حماليق عين الواثق والرحمة له فقال له يا شيخ أجب أبا عبد الله أحمد بن أبي دواد فيما يسالك عنه فقال يا أمير المؤمنين احمد يقل ويضعف عن المناظرة فرأيت الواثق قد صار في مكان الرقة والرحمة له غضبا فقال له ابو عبد الله يضعف عن المناظرة فقال له هون عليك يا أمير المؤمنين أتاذن في كلامه فقال له الواثق قد أذنت لك فاقبل الشيخ على أحمد فقال له يا احمد الى ماذا دعوت الناس اليه فقال الى القول بخلق القرآن فقال الشيخ مقالتك هذه التي دعوت الناس اليها من القول بخلق القرآن

داخلة في الدين فلا يكون الدين تاما الا بالقول بها قال نعم قال الشيخ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس اليها أو تركهم قال تركهم قال فعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يعلمها قال علمها قال فلم دعوت الناس الى ما لم يدعهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم منه فامسك أحمد فقال الشيخ يا أمير المؤمنين هذه واحدة ثم قال له بعد ساعة يا أحمد قال الله في كتابه العزيز اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فقلت أنت لا يكون الدين تاما الا بمقالتك بخلق القرآن فالله أصدق في اكماله واتمامه أو أنت في نقصانك فامسك فقال الشيخ يا أمير المؤمنين وهذه ثانية ثم قال له بعد ساعة اخبرني يا احمد عن قول الله عز وجل في كتابه يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الآية فمقالتك هذه التي دعوت الناس اليها فما بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم للامة أم لا فامسك فقال الشيخ يا امير المؤمنين وهذه ثالثة ثم قال بعد ساعة اخبرني يا احمد ما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقالتك هذه التي دعوت الناس اليها والى القول بها من خلق القرآن اوسعه أن امسك عنهم ام لا قال احمد بل اتسع [illegible] لو كذلك لابي بكر وعمر وكذلك لعثمان وكذلك لعلي رضي الله عنهم قال نعم فصرف وجهه الى الواثق وقال يا امير المؤ[illegible] [illegible] ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه فلا وسع الله علينا فقال الواثق نعم لا وسع الله علينا ان لم يت[illegible] [illegible] الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه ثم قال الواثق اقطعوا قيده فلما فكوا قيده جاذب عليه فقال الواثق دعو[illegible] [illegible] عليه قال لاني عقدت في نيتي ان اجاذب عليه فاذا أخذته اوصيت ان يجعل بين كفني وبدني حتى اق[illegible] [illegible] هذا لم قيدني ظلما واراع في اهلي فبكى الواثق وبكى الشيخ وكل من حضر ثم قال له المدبر لا برضى [illegible] [illegible] المؤمنين ما حجت من منزلي حتى جعلتك في حل اعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ما جلوسك [illegible]

وقال

من مال عنك بشبر * مل أنت عنه بميل

فالله يغنيك عنه * فمنه كل جميل

فليس في الود خير * مع ترك حسن القبول

وقال

لا تقطعن صديقا * وان ضق بك صدرا

واحرص عليه وزده * ان يجف برا وشكرا

فان قطع صديق * لا شك يعقب ضرا

وقال

خل التأنق في اللباس وسر على * نهج الافاضل في اختصار الملبس

ان التأنق في اللباس يكثر الحساد والاعداء للمتلبس

فالبس كثل الناس لا تخرج عن المعتاد في شئ فتخطئ او تسي

وقال

لا تحقرن عدوا * ولو يكون كذره

واحذره ما اسطعت واجهد * أن لا تحرك شره

لقرابتك منه فتهلل وجه الواثق وسر ثم قال له اقم عندى آنس بك فقال مكانى فى ذلك الثغر أنفع أنا شيخ كبير ولى حاجة قال سل ما بدالك قال يأذن أمير المؤمنين لى فى الرجوع الى الموضع الذى أخرجنى منه هذا الظالم قال قد أذنت لك وأمر له بجائزة فلم يقبلها فرجعت من ذلك الوقت وأحسب أن الواثق رجع عنها * قال وعرض على المهتدى يوما دفاتر خزائن الكتب فاذا على ظهر كتاب منها هذه الابيات قالها المعتز بالله وكتبها بخطه وهى

انى عرفت علاج الطب من وجعى * وما عرفت علاج الحب والخدع
جزعت للحب والحمى صبرت لها * انى لأعجب من صبرى ومن جزعى
من كان يشغله عن الفه وجع * فليس يشغلنى عن حبكم وجعى
وما أمل حبيبى ليتنى أبدا * مع الحبيب ويا ليت الحبيب معى

فقطب وجه المهتدى بالله وقال حدث وسلطان الشباب وكان المهتدى كثيرا ما ينشد البيت الاول من هذا الشعر * وكان محمد بن على الربعى ممن يكثر ملازمة المهتدى فقال قال لى ذات ليلة أتعرف خبر نوف الذى حكاه عن على بن أبى طالب حين كان يأتيه قلت نعم يا أمير المؤمنين ذكر نوف قال رأيت عليا رضى الله عنه قد أكثر الخروج والدخول والنظر الى السماء ثم قال لى يا نوف أنائم أنت قال قلت بل رامق أرمق بعينى منذ الليلة يا أمير المؤمنين فقال لى يا نوف طوبى للزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة أولئك قوم اتخذوا أرض الله بساطا وترابها فراشا وماءها طيبا والكتاب شعارا والدعاء دثارا ثم قرضوا الدنيا قرضا على منهاج المسيح عيسى بن مريم عليه السلام يا نوف أن الله تعالى أوحى الى عبده عيسى عليه السلام أن قل لبنى اسرائيل أن لا يدخلوا الى

	ان البعوضة تؤذى الملوك فوق الاسره
وقال	ما أهنأ الانسان فى عيشه * ما بين أهليه وفى منزله
	الذل فى الغربة يا كربها * وكرب من قوض عن معقله
	وفى اقتلوا أو اخرجوا شاهد * ساوى خروج المرء مع مقتله
وقال	المال يستر عيب المرء فاقتنه * واحفظه تبنى موقى مدة الزمن
	من ضيع المال أبدى عيبه وجنى * تمهينه أبدا من كل ممتهن
وقال	سريرة المرء تبديها شمائله * حتى يرى الناس ما يخفيه اعلانا
	فاجعل سريرتك التقوى ترى أملا * فى كل ما أنت تبغيه وبرهانا
وقال	ما تمت الدنيا لشخص ولا * أمل ذا فيها سوى من فتن
	عادتها القتل لمن رامها * وكل من أعرض عنها أمن
	فلا تغرنك بلذاتها * فان من غر بها قد غبن

الا بقلوب وجلة وأبصار خاشعة وأكف نقية واعلم انى لا أجيب لاحد منهم دعوة ولا لاحد من خلقى قبلهم مظلمة قال محمد بن على الربعى فوالله لقد كتب المهتدى هذا الخبر بخطه ولقد كنت أسمعه فى جوف الليل وقد خلا بربه فى بيت كان لخلوته وهو يبكى ويقول يا نوف طوبى للزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة ويمر فى الخبر الى أن كان من أمره ما كان مع الاتراك وقتلهم اياه * قال محمد بن على قلت للمهتدى ذات يوم وقد خلوت به وقد أكثرنا من ذكر آفات الدنيا ومن رغب فيها ومن انحرف عنها يا أمير المؤمنين ما للانسان العاقل المميز مع علمه بجميع آفات الدنيا وسرعة انتقالها وزوالها وغرورها طلابها يحبها ويأنس اليها قال المهتدى حق ذلك له منها خلق فهى أمه وفيها انشأ فهى عيشه ومنها قدر رزقه فهى حياته وفيها يعاد فهى كفاته وفيها اكتسب الجنة فهى مبدأ سعادته والدنيا ممر الصالحين الى الجنة فكيف لا يحب طريقا تأخذ بسالكها الى الجنة فيها نعيم مقيم خالدا ان كان من أهلها وقيل ان هذا الكلام فى جواب على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجاب به سائلا سأله عن ذلك وهو مأخوذ من كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه حين مدح الدنيا وذم الذام لها على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من باب ذكر زهده وأخباره (قال المسعودى) وكان خروج صاحب الزنج بالبصرة فى خلافة المهتدى وذلك فى سنة خمس وخمسين ومائتين وكان يزعم انه على بن أحمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب وأكثر الناس يقول انه دعى آل أبى طالب وكان من أهل قرية من أعمال الرى يقال لها وزنين وظهر من فعله ما دل على تصديق ما رمى به أنه كان يرى رأى الازارقة من الخوارج لان أفعاله فى قتل النساء والاطفال وغيرهم من الشيخ الفانى وغيره ممن لا يستحق القتل يشهد بذلك عليه وله خطبة يقول فى أولها الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر الا لا حكم الا لله وكان يرى الذنوب كلها شركا وكان

أنصاره الزنج وكان ظهوره ببرغمل بين مدينة الفتح وكرخ البصرة في ليلة الخميس لثلاث بقين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين وقيل ليلة السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين وذلك في خلافة المعتمد على الله وقد صنف الناس في أخباره وحروبه وما كان من أمره كتبا كثيرة وكان أول من صنف أخباره وما كان من بدو أمره ووقوعه الى بلاد البحرين وما كان من خبره مع الاعراب محمد بن الحسن بن سهل ابن أخي ذي الرياستين الفضل بن سهل صاحب المامون وهو الرجل الذي كان من أمره مع المعتضد بالله ما قد ذكرناه واشتهر قبل ذلك في الناس وما كان من أمره الى أن جعله كدجاج على النار وجلده يتنفخ ويتفرقع * وقد ذكر الناس صاحب الزنج في أخبار المبيضة وكتبهم وقد أتينا على جميع خبره وبدو خبر البلالية والسعدية بالبصرة في الكتاب الاوسط فأغنى ذلك عن اعادته وانما أوردنا في هذا الكتاب في الموضع المستحق له لمعا من ذكره وما كان من أمره في مقتله (قال المسعودي) وفي هذه السنة سنة خمس وخمسين ومائتين وقيل سنة ست وخمسين ومائتين كانت وفاة عمرو بن بحر الجاحظ بالبصرة في المحرم ولا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر كتبا منه مع قوله بالعثمانية وقد كان أبو الحسن المدائني كثير الكتب الا أن أبا الحسن المدائني كان يؤدي ما سمع وكتب الجاحظ مع انحرافه المشهور تجلو صدأ الاذهان وتكشف واضح البرهان لانه نظمها أحسن نظم ورصفها أحسن رصف وكساها من كلامه أجزل لفظ وكان اذا تخوف ملال القارئ وسآمة السامع خرج من جد الى هزل ومن حكمة بليغة الى نادرة ظريفة وله كتب حسان منها كتاب

البيان والتبيين وهو أشرفها لانه جمع فيه بين المنثور والمنظوم وغرر الاشعار ومستحسن الاخبار وبليغ الخطب ما لو اقتصر عليه مقتصر لاكتفى به وكتاب الحيوان وكتاب الطفيليين والبخلاء وسائر كتبه في نهاية الكمال ما لم يقصد منها الى نصب ولا الى دفع حق ولا يعلم ممن سلف وخلف من المعتزلة أفصح منه وكان غلام ابراهيم بن يسار النظام وعنه أخذ ومنه تعلم (وحدث) يموت بن المزرع وكان الجاحظ خاله قال دخل الى خالي أناس من البصرة من أصدقائه في العلة التي مات فيها فسألوه عن حاله فقال عليل من مكانين من الاسقام والدين ثم قال أنا في هذه العلة المتناقضة التي يتخوف من بعضها التلف وأعظمها نيف وسبعون سنة يعني عمره قال يموت بن المزرع وكان يطلى نصفه الايمن بالصندل والكافور لشدة حرارته والنصف الآخر لو قرض بالمقاريض ما شعر به من خدره وبرده قال ابن المزرع وسمعته يقول رأيت رجلا يروح ويغدو في حوائج الناس فقلت له قد أتعبت بذلك بدنك وأخلقت ثيابك وأعجفت برذونك وقتلت غلامك فما لك راحة ولا قرار فلو اقتصدت بعض الاقتصاد قال سمعت تغريد الاطيار فاطربت طربي لنغمة شاكر أوليته معروفا أو سعيت له في حاجة وكان يموت لا يعود مريضا خوفا من أن يتطير باسمه وله أخبار حسان وأشعار جياد وقد كان سكن طبرية من بلاد الاردن من الشام فمات بها وذلك بعد الثلثمائة وكان من أهل العلم والنظر والمعرفة والجدل وله ولد يقال له مهلهل بن يموت بن المزرع وهو شاعر مجيد من شعراء هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وفيه يقول أبوه يموت بن المزرع

مهلهل قد حلبت شطور دهر * فكافحني بها الزمن العنوت
وجاريت الرجال بكل ربع * فادعت الجبالة والذموت
فاوجع ما أجن عليه قلبي * كريم عضه زمن عنوت
كفى حزنا بغيبة ذي وداع * وابقاء العتيد لها النحوت
وقد أسهرت عيني بعد غمض

وقال
لا يكن عندك الخديم نديما * ان قدر الخديم دون النديم
من ينادم خديمه يتأذى * ويصير الخديم غير خديم
انما يصلح الخديم ابتعاد * واشتغال بشأنه المعلوم

وقال
تثبت في الامور ولا تبادر * لشيء دون ما نظر وفكر
فيح أن تبادر ثم تخطي * وترجع للتثبت دون عذر

وقال
كن في زمانك كيف يرضى أهله * لا تعد طورهم ولا تتبدل
فاذا ترى الحمقى تحامق معهمو * واذا ترى العقلاء فاستعقل
من لم يكن أبدا كأهل زمانه * يشقى ولا يحظى بنيل مؤمل

وقال
الفاضل اليوم غريب بلا * عون على شيء من الحق
ان غاب لم يحضر وان قال لم * يسمع ولم يؤبه بما يلقى
ما أضيع الفاضل يا ويحه * كأنه ليس من الخلق

مخافة أن يضيع اذا فنيت * وفي لطف المهيمن لي عزاء * بذلك ان فنيت وان بقيت
وان يشتد عظمك بعد موتي * فلا تقطعك جائحة سيوت * وقل بالعلم كان أبي جوادا
يقال ومن أبوك فقل يموت * تقرلك الاباعد والاداني * بعلم ليس يجحده البهوت

وللمهتدي أخبار حسان قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا والله ولي التوفيق *(ذكر خلافة المعتمد على الله)* وبويع المعتمد أحمد بن جعفر المتوكل يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وهو ابن خمس وعشرين سنة ويكنى أبا العباس وأمه أم ولد كوفية يقال لها فتيان ومات في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وهو ابن ثمان وأربعين سنة فكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة *(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)* ولما أفضت الخلافة الى المعتمد على الله استوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان ثم استوزر الحسن بن مخلد ثم صارت الوزارة الى سليمان بن وهب ثم صارت الى صاعد وخلع المعتمد على أخيه أبي أحمد الموفق وعلى مفلح يوم الخميس مستهل ربيع الاول سنة ثمان وخمسين ومائتين وأشخصهما الى البصرة لمحاربة صاحب الزنج فاوقع مفلح التركي بصاحب الزنج يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى سنة ثمان وخمسين ومائتين فاصاب مفلحا سهم في صدغه فاصبح يوم الاربعاء ميتا وحمل الى سامرا فدفن بها وانصرف أبو أحمد عن محاربة صاحب الزنج * وفي سنة ستين ومائتين قبض أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام في خلافة المعتمد وهو ابن تسع وعشرين سنة وهو أبو المهدي المنتظر والامام الثاني عشر عند القطعية من الامامية وهم جمهور الشيعة وقد تنازع هؤلاء في المنتظر من آل النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاة الحسن بن علي عشرين فرقة وقد ذكرنا حجاج كل طائفة منهم لما أجتبته نفسها واختارته لمذهبها في كتابنا المترجم بسر الحياة وفي كتاب المقالات في أصول الديانات وماذهبوا اليه من الغيبة وغير ذلك (وقد كان المهتدي) سير بقبيحة أم المعتز وعبد الله بن المعتز واسمعيل بن المتوكل وطلحة بن المتوكل وعبد الوهاب بن المنتصر الى مكة فلما أفضت الخلافة الى المعتمد بعث بحملهم الى سامرا وفي سنة اثنتين وستين ومائتين كان مسير يعقوب بن الليث الصفار نحو العراق في جيوش عظيمة فلما نزل دير العاقول على شاطئ دجلة بين واسط وبغداد وقد أتينا في كتابنا في أخبار الزمان على بدو خبر يعقوب بن الليث ببلاد سجستان وكونه في حال صغره صفارا وخروجه مع مطوعة سجستان الى حرب الشراة واتصاله بدرهم بن نصر وخبر شاروق مدينة الشراة مما يلي بلاد سجستان المعروفة باوق وترقي الامر بيعقوب الى أن كان من أمره ودخوله بلاد زباستان وهي بلاد فيروز بن كبك بن زباستان وما كان من أمره مع زميل ملك السند على جسر نسط ودخوله لادهراة ثم بلخ واعماله الحيلة الى أن دخل بلاد نيسابور وقبضه على محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ثم دخوله الى بلاد طبرستان ومواقعته الحسن بن زيد الحسني مع ما ذكرنا قبل وصفنا من خبر حمزة بن أدرك الخارجي وما كان من أمره أيام عبد الله بن طاهر واليه تضاف الحمزية من الخوارج وأتينا باخبار يعقوب بن الليث من بدئه الى غايته ووفاته بجنداسابور من كور الاهواز فلما نزل يعقوب بن الليث دير العاقول خرج المعتمد فعسكر يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين ومائتين في الموضع المعروف بالقائم بسامرا واستخلف ابنه المفوض ووصل المعتمد الى سيب

٤٦ ط ث

وقال وهو آخر أنداء النديم

العز عاقبة التقى * والذل عاقبة الرياسه
فاذا اتقيت علوت في * أهل المجادة والنفاسه
واذا رأست نزلت في * طرق التذلل والسياسه
فلتختر التقوى ولا * ترأس فتخطيك الكياسه

وكان تاريخ فراغه من كتاب أنداء النديم نصف شعبان عام واحد وثلاثين وسبعمائة (ولنذكر بعض أناشيده التي كان ينشدها أهل مجلسه بيانقصبة المرية أعادها الله تعالى) فما أنشده رحمه الله تعالى لابي العباس أحمد بن العريف صاحب محاسن المجالس

من لم يشاور عالما باصوله * فيقينه في المشكلات ظنون
من أنكر الاشياء دون تيقن * وتثبت فمعاند مفتون
الكل تذكار لمن هو عالم * وصوابها بمحالها معجون

كرمان يوم الخميس لخمس خلون من رجب من هذه السنة فواقع الصفار يوم الاحد لتسع خلون من رجب من السنة في الموضع المعروف باصطربند بين السيب ودير العاقول فهزم الصفار واستباح عسكره وأخذ من أصحابه نحو عشرة آلاف رأس من الدواب وذلك أنه فجر عليه النهر المعروف بالسيب فغشي الماء الصحراء وعلم الصفار أن الحيلة قد توجهت عليه وقد كان حمل على أصحاب السلطان في ذلك اليوم بضع عشرة حملة وغرق ابراهيم بن سيما وقتل بيده خلقا كثيرا وطعن محمد بن أوتامش التركي وكان يتوهم أنه خادم وقال لاصحابه ما رأيت في عسكرهم مثل هذا الخادم وقد كان الصفار في هذا اليوم قصد الميمنة وكان عليها موسى بن بغا وقتل خلقا كثيرا من الناس منهم المغربي المعروف بالمبرقع ونجا الصفار بنفسه والخواص من أوليائه واتبعه جيش المعتمد وأهل القرى والسواد فغنم الاكثر من ماله وعدده واستنقذ محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر وكان مقيدا كان أسره من نيسابور على ما قدمنا ومعه الحسن بن قريش وأتى الموفق وكان في القلب محمد بن طاهر ففك قيوده وخلع عليه ورده الى مرتبته وقيل ان السبب كان في هزيمة الصفار في ذلك اليوم مع ما ذكرنا من فجر النهر وانتظام الخيول فيه أن نصيرا الديلمي مولى سعيد بن صالح الحاجب كان في الشذوات في بطن دجلة فوافى مؤخر عسكر الصفار وسواده فخرج من الشذوات فطرح النار في الابل والبغال والخيول وكان في عسكره خمسة آلاف جمل بختي من حمر وغيرها فتفرقت الابل في العسكر وشردت البغال والخيل واضطرب الناس في مصاف الصفار لما سمعوه ورأوه في عسكره وسواده من ورائهم فكانت الهزيمة على الصفار عام ذكرنا ٢٦٢ ويقال ان يعقوب بن الليث قال في سفرته هذه أبياتا وفي مسيره وأنه خرج منكرا على المعتمد ومن معه من الموالي اضاعتهم الدين واهمالهم أمر صاحب الزنج فقال

خراسان أحويها وأعمال فارس ... وما أنا من ملك العراق بآيس
اذا ما أمور الدين ضاعت وأهملت ... ورثت فصارت كالرسوم الدوارس
خرجت بعون الله يمناه ونصرة ... وصاحب رايات الهدى غير حارس

فاذا

والفكر غواص عليها مخرج ... والحق فيها لؤلؤ مكنون

وأنشد رحمه الله تعالى من وجادة

أعوذ بالله من أناس ... تشيخوا قبل ان يشيخوا
احدودبوا وانحنوا رياء ... فاحذرهم انهم فخوخ

وأنشد لنفسه رحمه الله تعالى

أقلل العشرة تغبط ... ان من أكثر يخط
وعليك الصدق واحذر ... أن ترى في القول تشتط
والزم الصمت اذا ما ... خفت أن تلهى فتغلط
فعلى الفاضل يلفى ... كل مفضول مسلط

وأنشد لنفسه أيضا

جنة العالم لا أد ... ري اذا ما احتاج جنه

(وكانت وفاة الصفار) يوم الثلاثاء لسبع بقين من شوال سنة خمس وستين ومائتين على ماذكرنا بجند اسابور (وخلف) في بيت ماله خمسين ألف ألف درهم وثمانمائة ألف ألف دينار وخلفه أخوه عمرو بن الليث مكانه وكانت سياسة يعقوب ابن الليث لمن معه من الجيوش سياسة لم يسمع بمثلها فيمن سلف من الملوك من الامم الغابرة من الفرس وغيرهم ممن سلف وخلف بحسن انقيادهم لامره واستقامتهم على طاعته لما كان قد شملهم من احسانه وغمرهم من بره وملأ قلوبهم من هيبته فما ذكر من ظهور طاعتهم له أنه كان بارض فارس وقد أباح الناس أن يرتعوا ثم حدث أمر أراد النقلة والرحيل من تلك الكورة فنادى مناديه بقطع الدواب عن الرتع وأنه رؤي رجل من أصحابه قد أسرع الى دابته والحشيش في فيها فأخرجه من فيها مخافة أن تلوكه بعد سماعه النداء وأقبل على الدابة مخاطبا لها فقال بالفارسية أمير المؤمنين دوابرا أزتر بريدند وتفسير ذلك اقطعوا الدواب عن الرطبة وأنه رؤي في عسكره في ذلك الوقت رجل من قواده ذو مرتبة والدرع الحديد على بدنه لا ثوب بينه وبين بشرته فقيل له في ذلك فقال نادى منادي الامير البسوا السلاح وكنت أغتسل من جنابة فلم يسعني التشاغل بلبس الثياب عن السلاح وكان الرجل اذا أتاه راغبا في خدمته مؤثرا الانقطاع اليه تفرس فيه فاذا أعجبه منظره امتحن خبره واستبر ما عنده من رمي أو طعان أو غير ذلك من ثقافة فاذا رأى منه ما يعجبه سال عن خبره وحاله ومن أين أقبل ومع من كان فاذا

واقفه باسمه منه قال له اصدقنى عما معك من المال والمتاع والسلاح فيقف على جميع مامعه ثم يبعث اناسا فذر بو الدالات فيبيعون جميع ذلك ويجعلونه عينا أو ورقا ويدفع اليه ويثبت فى الديوان ثم يزيح علله فى اللباس والسلاح والمأكل والمشرب والدواب والبغال والجمير من اصطبله حتى لا يفقد الرجل جميع مايحتاج اليه من أمره على قدر مكانه ومرتبته فان نقم عليه بعد ذلك مذهبه ولم يرض اختياره سلبه جميع ما أنعم به عليه حتى يخرج من عسكره نحو مادخل اليه محتملا بما معه من ذلك العين والورق الا أن يكون ذلك الرجل مقتصدا فيصير له فضل من أرزاقه فلا يمنعه ما كان له من متقدم ماله وكان جميع دوابه ملكا له وان اعلافها من قبله ولها سياسة ووكلاء يقومون بامرها الا خصوص دوابهم التى تكون عندهم الا ان ملكها له واتخذ لنفسه عريشا من خشب يشبه السرير حيثما توجه من مسيره فيكثر الجلوس عليه ويشرف منه على أهل عسكره وعلى قضيم دوابه ويؤمن الخلل من وكلائه فاذا رأى شيئا يكرهه بادر بتغييره وقد كان انتخب من أصحابه ألف رجل على اختيارهم والغنى الظاهر منهم والنكاية فى حروبهم فجعلهم أصحاب الاعمدة الذهب كل عمود منها فيه ألف مثقال من الذهب ثم يليهم فى اللباس والغنى فوج ثان أصحاب الاعمدة الفضة فاذا كان فى الاعياد أو فى الايام التى يحتاج فيها الى مباهاة الاعداء والاحتفال دفع اليهم تلك الاعمدة واعماضر بت هذه الاعمدة عدة للنوائب (وسئل) بعض ثقاته ممن ينظر حاله عن اشغاله فى خلواته وعن مجالسته مع أهل بطانته وهل يسير مع أحد أو يجالسه فذكر أنه لا يطلع أحدا على سره ولا يعرف أحد ابتدبيره وعزمه وأكثر نهاره خاليا بنفسه يفكر فيما يريده ويظهر غيرما يضمره ولا يشرك أحدا فيما يريده برأى ولا غيره وان تفرجه واشتغاله بغلمان صغار يتخذهم ويؤدبهم ويخرجهم ويدعوهم ويدفع لهم ماقد عمله لهم من السيور يتضاربون بها بين يديه ففى هذا أكثر شغله اذا فرغ من تدبيره ولما واقع الصفار الحسن بن زيد الحسنى بطبرستان وذلك فى سنة ستين ومائتين وقيل سنة تسع وخمسين ومائتين وانكشف الحسن بن زيد وأمعن يعقوب فى الطلب وكانت معه رسل السلطان قد قصدوه بكتب ورسالة من المعتمد وهم راجعون فى طلب الحسن بن زيد قال له بعضهم لما رأى من مناعة رجاله وما كان منهم فى تلك الحرب ما رأيت أيها الامير كاليوم قال له الصفار وأعجب منه ما أريك اياه ثم قربوا من الموضع الذى كان فيه عسكر الحسن بن زيد فوجدوا البدر والكراع والسلاح والعدد وجميع ماخلف فى العسكر حين الهزيمة على حاله لم يلتبس أحد من أصحابه منه بشئ ولا دنوا اليه معسكرين بالقرب منه من حيث يرونه بالموضع الذى خلفهم فيه الصفار فقال له الرسول هذه سياسة ورياضة راضهم الامير بها الى أن تأتى له منهم ما أراده وكان لا يجلس الا على قطعة مسح يشبه أن يكون طوله سبعة أشبار فى عرض ذراعين أو نحو والى جانبه ترسه وعليه اتكاؤه وليس فى مضربه شئ غيره فاذا أراد أن ينام من ليله أو نهاره اضطجع على ترسه ونزع رايته يجعلها مخدته وأكثر لباسه خفتان مصبوغ فاختى (وكان) من سنته للقواد والرؤساء والعظماء عنده مراتب فى الدخول باب مضربه بحيث تقع عينه عليهم ويرى مداخلهم فيمرون مع أطناب الشقاق الى خيمة مضروبة بحيث لا يرى هو موضعها لكنه يرى مداخلهم اليها ومخرجهم منها فمن احتاج اليه منهم واحتاج الى كلامه او أمره او نهيه دعاه فأمره وكان دخولهم بحيث يقع نظره عليهم عوضا من السلام عليه ولم يكن لاحد أن يتقدم الى باب مجلسه الا رجل من خواصه يعرف بالعزيز ولخوته وله من وراء خيمته خيمة تقرب من أطناب مجلسه فيها غلمان من خواصه فاذا احتاج الى أمر يأمر به صاح بهم فخرجوا اليه والا

فاذا ما ترك الجنة بانت فيه جنه
فالزم الجنة تسلم * انما الجنة جنة

وأنشد للعلاج رحمه الله تعالى

يابدر ياشمس يانهار * انت لنا جنة ونار
تجنب الاثم فيك اثم * وخشية العار فيك عار
يخلع فيك العذار قوم * فكيف من لا له عذار

وانشد مما ينسب للعلاج أيضا

سقمى فى الحب عافيتى * ووجوى فى الهوى عدمى
وعذاب ترتضون به * فى فى احلى من النعم
مالضر فى محبتكم * عندنا والله من ألم

وأنشد لسيدى ابى العباس بن العريف فى محاسن المجالس وهى احسن ماقيل فى طول

فهو في أكثر نهاره وليله في ذلك الموضع لا يقومون على رأسه وخيمته من داخل أخبية مظنبة كلها يدور فيها خمسمائة غلام يبيتون من داخل مضربه على كل نفس منهم ثقة قد وكل بتفقد أحواله لئلا يكون منهم عبث أو فساد فهو المأخوذ به ويذبح له في كل يوم عشرون شاة فتطبخ في خمس قدور ومن الصغر الكبار وله قدور حجارة يتخذ له فيها بعض ما يشتهيه وله أوزة في كل يوم وخبيصة وفالوذج مع القدور الخمس وهي ألوان غليظة فيأكل منها ويفرق الباقي في الغلمان الذين في داخل مضربه ثم أهل عسكره حول مضربه وقربهم منه على حسب مراتبهم عنده (وقال) بعض من وردا إليه برسالة السلطان أيها الأمير أنت في رياستك ومجلسك لست في خيمتك الاسلاحك ومع أنت عليه قال ان رئيس القوم يأتم به أصحابه في أفعاله وسيرته فلو استعملت ما ذكرت من الآلات لأثقلنا البهائم ولا تتم بي فعلي من في عسكري ونحن نقطع في كل يوم الهامه والمفاوز والاودية والقيعان ولا يصلح لنا الا التخفيف وكان قليل الاستعمال للبغال في عسكره وكان في عسكره خمسة آلاف جمل بخت وأضعاف عددها حمير شهب كالبغال وهي الحمير المعروفة بالصفارية تحمل الأثقال عوضا من البغال وكان السبب في ذلك أنه اذا نزل خليت الجمال والحمير للرعي وليس في وسع البغال ذلك (قال المسعودي) وليعقوب بن الليث الصفار وعمرو بن الليث أخيه سير وسياسات عجيبة وحيل ومكايد في الحروب قد أتينا على ذكرها وما انتظم لنا في وصفها في كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر في هذا الكتاب منها المعالم نعرض لذكرها فيما سلف من كتبنا (وفي سنة أربع وستين ومائتين) وذلك في خلافة المعتمد كانت وفاة موسى بن بغا ٢٦٤ وفيه يقول بعض الشعراء وكان قد امتدحه فلم يصله بشيء

مات موسى فهان ذاك علينا
لم يضرني اذ قيل قد مات شيا
وكذا لا يضرني موت من لم
يسد خيرا الي اذ كان حيا

(وفي هذه السنة) وهي سنة أربع وستين ومائتين مات أبو ابراهيم اسمعيل بن يحيى المزني صاحب المختصر من علم محمد بن ادريس الشافعي يوم الخميس لست بقين من شهر ربيع الاول من هذه السنة بمصر

الليل

لست ادري اطال ليلي ام لا * كيف يدري بذاك من يتقلى
لو تفرغت لاستطالة ليلي * ولرعي النجوم كنت مخلا
ان للعاشقين عن قصر الليـ ـل وعن طوله من الفكر شغلا

وأنشد رحمه الله تعالى مما أنشده بعض الوعاظ الغرباء

عانقت لام صدغها صادلثمى * فارتها المرآة في الخد لصا
فاسترابت لما رأت ثم قالت * أكتابا ارى ولم ار شخصا
قلت بالكشط يمحى قالت اكشطه بالثنايا وتابع الكشط مصا
ثم لما ذهبت أكشط قالت * كان لصا فصار والله فصا
قلت ان الفصوص تطبع بالاثم على خد كل من كان رخصا

وأنشد لابن خفاجة

(وفيها مات) أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ابن أخي عبد الله بن وهب وهو واغر صاحب مالك بن أنس وقد روى عن عمه عبد الله بن وهب عن مالك (وفيها) مات يونس بن عبد الاعلى الصدفي بمصر وهو ابن اثنتين وتسعين سنة (وفيها) مات أبو خالد يزيد بن سنان بمصر وصلى عليه بكار بن قتيبة القاضي (وشخص الموفق) لمحاربة صاحب الزنج في صفر سنة سبع وستين ومائتين وقدم الموفق ابنه أبا العباس في ربيع الآخر الى سوق الخميس وقد كان الشعراني صاحب العلوي قد تحصن بها في جمع كثير من الزنج ففتح هذا الموضع وغنم جميع ما كان فيه وفتح مواضع كثيرة وقتل من كان فيها من الزنج وسار الموفق الى الاهواز فأصلح ما أفسده الزنج ثم عاد الى البصرة فلم يزل منازلا لصاحب الزنج حتى قتل فكانت مدة أيامه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر يقتل الصغير والكبير والذكر والانثى ويحرق ويخرب وقد كان أتى بالبصرة في وقعة واحدة على قتل ثلثمائة ألف من الناس (وقد كان المهلبي) من علية أصحاب علي بن محمد بعد هذه [illegible] فنصب منبرا بالموضع المعروف بمقبرة بني يشكر وكان يصلي يوم الجمعة بالناس ويخطب على ذلك المنبر لعلي [illegible] على أبي بكر وعمر ولا يذكر عثمان ولا عليا في خطبته ويلعن جبابرة بني العباس وأبا موسى الاشعري [illegible] بن أبي سفيان على ما قدمنا من قوله في هذا الكتاب وانه كان يذهب الى رأي الازارقة من [illegible] بالبصرة الى هذا الفعل من المهلبي فاجتمعوا في بعض الجمع فوضع فيهم السيف فمن ناج سالم ومن

مقتول ومن غريق واختفى كثير من الناس في الدور والآبار فكانوا يظهرون بالليل فيأخذون الكلاب فيذبحونها ويأكلونها والفيران والسنانير فافنوها حتى لم يقدروا منها على شيء فكانوا اذا مات منهم الواحد أكلوه وعدموا مع ذلك الماء العذب (وذكر) عن امرأة منهم انها حضرت امرأة تنازع ومعها أختها وقد احتوشوها ينظرون أن تموت فيأكلوا لحمها قالت المرأة فما ماتت حتى ابتدرناها فقطعناها وأكلناها ولقد حضرت أختها وقد جاءت على النهر وهي تبكي ومعها رأس أختها فقيل لها ويحك مالك تبكين قالت اجتمعوا على أختي فما تركوها حتى تموت موتا حسنا حتى قطعوها فظلموني فلم يعطوني من لحمها شيئا الا رأسها هذا وهي تشتكي ظلمهم لها في أختها ومثل هذا كثير وأعظم مما وصفنا (وبلغ) من أمر عسكره أنه كان ينادي فيه على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من ولد هاشم وقريش وغيرهم من سائر العرب وأبناء الناس تباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة وينادى عليها بنسبها هذه ابنة فلان الفلاني لكل زنجي منهم العشرة والعشرون والثلاثون يطؤهن الزنج ويخدمن النساء الزنجيات كما تخدم الوصائف ولقد استغاثت الى علي بن محمد امرأة من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب كانت عند بعض الزنج وسألته أن ينقلها منه الى غيره من الزنج أو يعتقها مما هي فيه فقال هو مولاك وأولى بك من غيره (وقد تكلم) الناس في مقدار ما قتل في هذه السنين من الناس فمكثر ومقلل فأما المكثر فانه يقول أفنى من الناس ما لا يدركه العدد ولا يقع عليه الاحصاء ولا يعلم ذلك الا عالم الغيب فيما فتح من هذه الامصار والبلدان والضياع وأباد أهلها والمقلل يقول أفنى من الناس خمسمائة ألف ألف وكلا الفريقين يقول في ذلك ظنا وحدسا اذ كان شيئا لا يدرك ولا يضبط (وكان) مقتله ما بينا آنفا سنة سبعين ومائتين وذلك في خلافة المعتمد (وقد كان) الموفق بعد ذلك وجه بصاعد ابن مخلد في سنة اثنتين وسبعين ومائتين الى حرب الصفار فأمره على من معه من الجيوش وشيعه الموفق فلما صار الى بلاد فارس تجبر واشتد سلطانه وانصرف من المدائن في بعض الايام فاحتجم في حقنة وأذنه عليه ونمى ذلك الى الموفق وما هو عليه من التجبر فقال في ذلك أبو محمد عبد الله بن الحسن بن سعيد القطربلي الكاتب في قصيدة طويلة اقتصرنا منها على ما نذكره وهو

بكتمن لما طمن * ودان بدين العجم وأصبح في حقنة * وفي أذنه محتجم

غضب الموفق الى واسط فكان مدة مقامه في الوزارة سبع سنين الى أن قبض عليه وعلى أخيه عبدون النصراني وماتت ابنة لصاعد بعد حبسه وكانت الغالبة على أمره وكان يقال لها جعفر وماتت بعدها بأيام أم الموفق ففي ذلك يقول عبد الله بن الحسين بن سعيد من أبيات له

اخذت جعفر برأس القطار * ثم قالت آذنتكم بالبوار

جاءت أم الامير وقالت * قد أتيناك أول الزوار وسيأتيك صاعد عن قريب * كتبه للتلاق والاشكدار

وأحصي ما وجد لصاعد من الرقيق والمتاع والكسوة والسلاح والآلات في خاصة نفسه دون ما وجد لأخيه عبدون فكان قيمته ثلثمائة ألف دينار وكان مبلغ غلته في سائر ضياعه ألف ألف وثلثمائة ألف (ومات صاعد) في الحبس وذلك في سنة ست وسبعين ومائتين (وفي سنة) سبعين ومائتين كانت وفاة أبي سليمان بن وهب الكاتب وأحمد بن طولون وذلك بمصر يوم ... بقين لعشر خلون من ذي القعدة من سنة سبعين ومائتين وله خمس وستون سنة (وكانت) ولاية أحمد بن طولون سبع عشرة سنة وكان ابن المظفر صاحب الزنج ومرض أحمد بن طولون عشرة أشهر ولما يئس أحمد بن طولون من نفسه بايع لابنيه أبي

واغر كاد لطافة وطلاقة * ينساب ماء بيننا مسكوبا
قد قام في سطر الندامى فاستوى * فحسبته ألفا به مكتوبا
واكب يشربها وتشرب ذهنه * فرأيت منه شاربا مشروبا
مشمولة بيد ساترى في كفه * ما ترى في خده الهوبا

وانشد لابن عبد ربه صاحب العقد مما نسبه له الفتح في مطمح الانفس ومسرح التأنس

يا لؤلؤا يسبي العقول أنيقا * ورشا بتقطيع القلوب رفيقا
ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * درا يعود من الحياء عقيقا
واذا نظرت الى محاسن وجهه * ألفيت وجهك في سناه غريقا
يا من تقطع خصره من رقة * ما بال قلبك لا يكون رقيقا

وأنشد لابن عبد ربه أيضا

ودعتني بزورة واعتناق * ثم قالت متى يكون التلاقي

الجيش بالامر من بعده فلما توفى جدّ ابو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون العهد لنفسه (ووجه الموفق) ابنه أبا العباس لمحاربة أبي الجيش خمارويه فى سنة احدى وسبعين ومائتين فكانت الوقعة بينهما بالطواحين من أعمال فلسطين يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة بقيت من شوال من هذه السنة فكانت الهزيمة على أبي الجيش واحتوى أبو العباس على جميع عسكره وأفلت أبو الجيش فى جماعة من قواده حتى أتى الفسطاط وتخلف غلامه سعيد الاعسر فواقع أبا العباس فهزمه واستباح عسكره وقتل رؤساء قواده وجلة أصحابه ومضى أبو العباس لا يلوى على شئ حتى أتى العراق وقلد أبو الجيش أمر وزارته على ابن أحمد المادرانى وأبو بكر محمد بن على بن أحمد المادرانى هو المعتقل فى يد الاخشيد أحمد بن طغج فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وقد كان على وزارته بمصر هو وولده الحسن بن محمد فلما استوزر الاخشيد أبا الحسن على بن خلف ابن طباب وانفصل من دمشق الى الفسطاط قبض عليه وعلى أخيه ابراهيم بن خلف واستوزر أبا الحسن محمد بن عبد الوهاب (وفى سنة) سبعين ومائتين كانت وفاة الربيع بن سليمان المرادى المؤذن صاحب محمد بن ادريس الشافعى والراوى لاكثر كتبه عنه بمصر وأخبرنا أبو عبد الله الحسن بن مروان المصرى وغيره عن الربيع بن سليمان قال استعار الشافعى من محمد بن الحسن الكوفى شيأ من كتبه فلم يبعث بها اليه فكتب اليه الشافعى

يا قل لمن لم تر عيـ ـن من رآه مثله   من كان من قد راه * ما قد رأى من قبله   ومن كلا مناله * حيث عقلنا عقله
لأن ما يحسنه * ٣٦٦ فاق الكمال كله   العلم ينهى أهله * أن يمنعوه أهله

لعله يبذله
لاهله لعله

فبعث اليه محمد بن الحسن بأكثر كتبه التى سال عنها (وبايع المعتمد) لابنه جعفر وسماه المفوض الى الله وقد كان المعتمد آثر اللذة وغلب الملاهى وغلب أخوه أبو أحمد الموفق على الامور ويدبرها ثم حصر على المعتمد وحبسه فكان أول خليفة

قهر وحجر عليه ووكل به فى الصلح وقد كان قبل ذلك هرب وصار الى حديثة الموصل فبعث الموفق بصاعد خفت الى سامرا وكتب الى اسحق بن كنداج فرده من الموصل (وفى سنة) أربع وستين ومائتين كان خروج أحمد بن طولون من مصر مظهرا للغزو فى عساكر كثيرة وخلق من المطوعة قد انجذبوا معه من مصر وفلسطين فقبل وصوله الى دمشق مات ماجور التركى وقد كان عليها فدخلها أحمد واحتوى على جميع تركته من الخزائن وغيرها وسار منها الى حمص وسار منها الى بلاد انطاكية ووصلت مقدمته الى اسكندرية من شاطئ بحر الروم ووصل هو الى الموضع المعروف بسفواس من جبل اللكام وقد تقدمته المطوعة والغزاة الى الثغر الشامى ثم عطف هو راجعا من غير أن يكون تقدم الى الناس معرفة ذلك منه حتى نزل مدينة انطاكية وفيها يومئذ سيما الطويل فى عدة منيعة من الاتراك وغيرهم وقد قدمنا فيما تقدم من هذا الكتاب الخبر عن كيفية بناء انطاكية وقصة سورها والملك البانى لها وصفة سورها فى السهل والجبل وقد كان قبل نزول أحمد بن طولون على انطاكية وقع بين سيما وبين أحمد المؤيد حروب كثيرة ببلاد جند قنسرين والعواصم من أرض الشام وكان سيما الطويل قد عم أذاه أهلها من قتل وأخذ مال وكان نزول ابن طولون على باب من أبوابها يعرف بباب البحر وقد كان لؤلؤ بعد ذلك انحدر الى السلطان مستأمنا فاتى الموفق وهو ومنازل لصاحب الزنج فكان من أمره وقتل صاحب الزنج بما قدمنا ذكره فيما سلف من كتبنا من وقوع المشاجرة بين أصحاب لؤلؤ وأصحاب الموفق كما قدمنا أيهم القاتل لصاحب الزنج

وتصدت فاشرق الصبح منها * بين تلك الجيوب والاطواق
يا سقيم الجفون من غير سقم * بين عينيك مصرع العشاق
ان يوم الفراق افظع يوم * ليتنى مت قبل يوم الفراق

وأنشدله أيضا

هيج البين دواعى سقمى * وكسا جسمى ثوب الالم
أيها البين أقلنى مرة * فاذا عدت فقد حل دمى
يا خلى الذرع نم فى غبطة * ان من فارقته لم ينم
ولقد هاج لقلبى سقما * حب من لو شاء داوى سقمى

وانشد للمصحفى

صفراء تطرق فى الزجاج فان سرت * فى الجسم دبت مثل صل لادغ
عبث الزمان بجسمها فتسترت * عن عينه برداء نور سابغ

خفت على شرابها دائما * يجـــــدون ر يا فى اناء فارغ

انشد لابن شهيد

هب من رقدته منكسرا * مسبل للكم مرخ للردا
يمسح النعسة عن عيني رشا * صائد فى كل يوم أسدا
شربت اعطافه خمر الصبا * وسقاه الحسن حتى عربدا
رشأ بـــــل غادة ممكورة * عممت صبحا بليل اسودا
اجمعت من عضتى فى نهدها * ثم عضت حرو جهى عمدا
فانا المجروح من عضتها * لاشفانى الله منها أبدا

وانشد لصفوان بن ادريس

جى الهوى قلبه واوقد * فهو على أن يموت أوقد
وقال عنه العذول سال * قلده الله ما تقلد

دت الحال أن تفرج بينهم فى ذلك اليوم حتى قيل فى عسكر الموفق ... * ...

ان ابن طولون على انطاكية فى آخر سنة أربع وستين ومائتين وكان افتتاحه اياها فى سنة خمس وستين ومائتين
يسلة من داخلها من بعض أهلها بالليل وقد أخذوا بجراسهم سورها فتحدر بعضهم مما يلى الجبل و باب فارس فاتى ابن
لون وقد يئس من فتحها لمنعها وحصانة سورها وعدوه فتحها فضم اليه عدة من رجاله فتسلقوا من حيث نزلوا واستعدهم
سكره وأخذ أهبته وسيما فى داره فما انفرج عمود الصبح الا والطولونية قد كبروا على سورها ونزلوا منحدرين اليها
تفع الصوت وكثر الضجيج وركب سيما فيمن يسرع معه من خواصه فارسلت عليه امرأة من أعالى سطح حجر رحا فاتت
نه وأخذ بعض من عرفه رأسه فاتى به ابن طولون وقد دخل من باب فارس ونزل على عين هنالك ومعه الحسين بن
الرحمن القاضى المعروف بابن الصابونى الانطاكى الحنفى فعاث أصحاب ابن طولون ساعة بانطاكية وشمل الناس أذاهم ثم
ع ذلك لساعتين من النهار وارتحل ابن طولون يؤم الثغر الشامى فاتى المصيصة وأذنة وامتنع منه أهل طرسوس وفيها مازنار
نادم فلم يكن له فى فتحها حيلة فرجع عنها وقد أراد الغزو على ما قيل والله أعلم لامر بلغه أن العباس ولده قد عصى عليه
نزع أن يحال بينه و بين مصر فحث فى السير ودخل الفسطاط ولحق العباس ببرقة من بلاد المغرب خوفا من أبيه وقد حمل
معه ما أمكنه حمله من الخزائن والاموال والعدد وقد أتينا على ما جرى بين أحمد بن طولون وولده العباس من المراسلات فى
تابنا أخبار الزمان وكانت وفاة مازنار الخادم فى أرض النصرانية غازيا فى ٣٦٧ جيش الاسلام تحت الحصن
المعروف بكوكب وكان
مولى للفتح بن خاقان فحمل
الى طرسوس فدفن بباب
الجهاد وذلك للنصف من
رجب سنة ثمان وسبعين
ومائتين وكان معه فى
تلك الغزاة من أمراء
السلطان المعروف
بالعجيفى وابن أبى عيسى
وكان على امرة طرسوس
وكان مازنار فى نهاية
البلاغة فى الجهاد فى البر
والبحر وكان معه رجال من البحريين لم ير مثلهم ولا أشد منهم وكان له فى العدو نكاية عظيمة وكان العدو يهابه وتفزع منه
النصرانية فى حصونها ولم ير فى الثغور الشامية والجزرية بعد عمرو بن عبيد الله الاقطع صاحب ملطية وعلى بن يحيى الارمنى
صاحب الثغور الشامية أشد اقداما على الروم من مازنار الخادم (وكانت) وفاة عمرو بن عبيد الله الاقطع وعلى بن يحيى الارمنى
فى سنة واحدة استشهدا جميعا وذلك فى سنة تسع وأربعين ومائتين فى خلافة المستعين بالله وقد كان عمرو بن عبيد الله غازيا فى
تلك السنة فى الملطيين فلقى ملك الروم فى خمسين ألفا فصبر الفريقان جميعا فاستشهد عمرو بن عبيد الله ومن كان معه من
المسلمين الا اليسير وذلك يوم الجمعة للنصف من رجب من هذه السنة وقد كان على بن يحيى الارمنى انصرف عن الثغر
الشامى وولى أرمينية ثم صرف عنها فلما صار الى بلاد ميافارقين من ديار بكر عدل الى ضياع له هنالك ووقع النفير فخرج
مسرعا وقد أغارت جيوش الروم فقتل على بن يحيى مقدار أربعمائة نفس والروم لا تعلم أنه على بن يحيى الارمنى
(وأخبرنى) بعض الروم ممن كان قد أسلم وحسن اسلامه أن الروم صورت عشرة أنفس فى بعض كنائسها من أهل البأس
والنجدة والمكايد فى النصرانية والحيلة من المسلمين منهم الرجل الذى بعث به معاوية حين احتال على البطريق فاسره من
القسطنطينية فأقادمنه بالضرب ورده الى القسطنطينية وعبد الله البطال وعمرو بن عبيد الله وعلى بن يحيى الارمنى والعربل
... أحد ... أبى قطيعة وقرماس السلقانى صاحب مدينة ابريق وهى اليوم للروم وكان بطريق البيالقة وكانت

وفاته فى سنة تسع وأربعين ومائتين وحرس حارس أخت قرماس ومارنار الخادم فى موكبه والرجال حوله وابو القاسم بن عبد الباقى وقد أتينا على وصف مذهب البيالقة واعتقاداتهم وهو مذهب بين النصرانية والمجوسية وقد دخلوا فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى جملة الروم وقد فسرنا خبرهم فى كتابنا اخبار الزمان (فاما خبر معاوية) وما ذكرناه من خبر الرجل الذى أسر البطريق من مدينة القسطنطينية فهو أن المسلمين غزوا فى أيام معاوية فاسر جماعة منهم فاوقفوا بين يدى الملك فتكلم بعض أسارى المسلمين فدنا منه بعض البطارقة ممن كان واقفا بين يدى الملك فلطم وجهه فآلمه وكان رجلا من قريش فصاح واسلاماه أين أنت عنا يامعاوية اذ اهملتنا وضيعت ثغورنا وحكمت العدو فى ديارنا ودمائنا وأعراضنا فنمى الخبر الى معاوية فآلمه وامتنع من لذيذ الطعام والشراب وخلا بنفسه وامتنع من الناس ولم يظهر ذلك لاحد من المخلوقين ثم أجمل الامر فى اعمال الحيلة باقامة الفداء للمسلمين فلما صار الرجل الى دار الاسلام دعاه معاوية فبره وأحسن اليه ثم قال له لم نهملك ولم نضيعك ولا أبحنا دمك وعرضك ومعاوية مع ذلك يجيل الرأى ويعمل الحيلة ثم بعث الى رجل من ساحل دمشق من مدينة صور وكان به عارفا كثير الغزوات فى البحر مبل من الرجال مرطان بالرومية فاحضره وخلا به وأخبره بما قد عزم عليه وساله اعمال الحيلة فيه والتانى له فتوافقا على أن يدفع للرجل مالا عظيما يبتاع به أنواعا من الطرف والملح والجهاز والطيب والجوهر وغير ذلك وابتنى له مركب لا يلحق فى جريه سرعة ولا يدرك فى مسيره بنيانا عجيبا فسار الرجل حتى أتى مدينة قبرس فاتصل برئيسها وأخبره أن معه جارية للملك وأنه يريد التجارة الى القسطنطينية قاصدا الى الملك وخواصه بذلك فروسل الملك بذلك وأعلم بحال الرجل فاذن له فى الدخول فدخل خليج القسطنطينية وسار فيه حتى انتهى الى القسطنطينية وقد أتينا على مقدار مساقة هذا الخليج واتصاله بالبحر الرومى وبحر مانطش عند ذكر البحار فيما سلف من هذا الكتاب فلما وصل الى القسطنطينية أهدى للملك وجميع بطارقته وبايعهم وشاراهم ولم يعط للبطريق الذى لطم وجه القرشى شيئا وقصده الى ذلك البطريق الذى لطم الرجل القرشى وتانى الصورى فى الامر على حسب مارسمه معاوية وأقبل الرجل من القسطنطينية الى الشام وقد أمره البطارقة والملك بابتياع حوائج ذكروها وأنواع من الامتعة وصفوها فلما صار الى الشام سار الى معاوية سرا وذكر له من الامر ما جرى فابتيع له جميع ما طلب منه وما علم أن رغبتهم فيه وتقدم اليه فقال ان ذلك البطريق اذا عدت الى كرتك هذه سيعذلك عن تخلفك عن بره واستهانتك به فاعتذر اليه ولاطفه بالقصد والهدايا واجعله القيم بامرك والمتعهد لاحوالك وانظر ماذا طلب منك حين أوبك الى الشام فان منزلتك ستعلو واحوالك تزداد عندهم فاذا أتقنت جميع ما أمرتك به وعلمت غرض البطريق منك وأى شئ يأمرك بابتياعه تكون الحيلة بحسب ذلك فلما رجع الصورى الى القسطنطينية ومعه جميع ما طلب منه والزيادة على مالم يطلب منه زادت منزلته وارتفعت أحواله عند الملك والبطارقة وسائر الحاشية فلما كان فى بعض الايام وهو يريد الدخول الى الملك قبض عليه ذلك البطريق فى دار الملك وقال له ما ذنبى اليك واذا استحق غيرى أن تقصده وتقضى حوائجه وتعرض عنى فقال له الصورى أكثر من ذكرت ابتدائى وأنا غريب أدخل الى هذا الملك والبلد كالمتنكر من اسارى المسلمين وجواسيسهم لئلا ينموا بخبرى ويعنوا بأمرى الى المسلمين فيكون فى ذلك فقدى واذ قد علمت ميلك الى فاست احب ان يعتنى أمرى سواك ولا يقوم به عند الملك وغيره غيرك

و باللوى شادن عليه * جيد غزال ولحظ فرقد
عاله ريقه بخمر * حتى انتشى طرفه فعربد
لا تعجبوا الانهزام طرفى * بجيش اجفانه مسوّد
انا له كالذى تمنى * عبد نعم عبده وازيد
ان بسملت عينه لقتلى * صلى فؤادى على محمد

وأنشد لابى على ادريس بن اليمانى

عاقته شادنا صغيرا * وكنت لا أعشق الصغارا
يسفر عن مستنير وجه * صير جنح الدجى نهارا
لم أر من قبل ذاك ماء * اضرم فيه الحياء نارا

وأنشد للرمادى أو لابن بردا القرطبى

ما بدالى لازور * دى الحرير وقد بهر

كرت

فامر فى بجميع حوائجك وجميع مايعرض من امورك بارض الاسلام واهدى الى البطريق هدية [illegible]
والطيب والجواهر والطرائف والثياب ولم يزل هذا فعله يتردد من الروم الى معاوية ومن معاوية الى الروم ويسال الملك
والبطريق وغيره الحوائج والحيلة لا تتوجه لمعاوية حتى مضى على ذلك سنون فلما كان فى بعضها قال البطريق للصورى وقد
أراد الخروج الى دار الاسلام قد اشتهيت أن تعمر فى بقضاء حاجة وتمن بها على أن تبتاع لى بساطا سوسنجرديا بمخاده ووسائده
يكون فيه من أنواع الالوان من الحمرة والزرقة وغيرهما ويكون من صفته كذا وكذا ولو بلغ ثمنه كل مبلغ فانعم له بذلك وكان
من شان الصورى اذا ورد الى القسطنطينية تسكون مركبه بالقرب من موضع ذلك البطريق وللبطريق ضيعة سرية وفيها قصر
مشيد ومنتزه حسن على أميال من القسطنطينية راكبة على الخليج وكان البطريق أكثر أوقاته فى ذلك المنتزه وكانت الضيعة
مما يلى فم الخليج مما يلى بحر الروم والقسطنطينية فانصرف الصورى الى معاوية مسرا وأخبره بالحال فاحضر معاوية بساطا
بوسائده ومخاده ومجلس فانصرف به الصورى مع جميع ما طلب منه من دار الاسلام وقد تقدم اليه معاوية بالحيلة وكيفية
ايقاعها وكان الصورى فيما وصفنا من هذه المدة قد صار كاحدهم فى المؤانسة وفى العشرة وفى الروم طمع وشره فلما دخل من
البحر الى خليج القسطنطينية وقد طابت له الريح وقد قرب من ضيعة البطريق أخذ الصورى خبر البطريق من أصحاب
القوارب والمراكب فاخبر أن البطريق فى ضيعته وذلك أن الخليج طوله نحو من ثلثمائة ميل وخمسين ميلا بين هذين البحرين
وهما الرومى ومانطش على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ٣٦٩ والضياع والعمائر على هذا الخليج من
حافتيه والمراكب تختلف
والقوارب بانواع المتاع
والاقوات الى القسطنطينية
وهذه المراكب لا تحصى
فى هذا الخليج كثرة فلما
علم الصورى ان البطريق
فى ضيعته فرش ذلك
البساط ونضد ذلك الصدر
والمجلس بالوسائد والمخاد
فى صحن المركب ومجلسه
والرجال تحت المجلس
بأيديهم المجاذف مشكلة
قائمة غير قاذفين بها ولا يعلم بهم أنهم فى بطن المركب الا من ظهر منهم فى المركب عمله
والريح فى القلع والمركب مار فى الخليج كانه سهم قد خرج من كبد قوس لا يستطيع القائم على الشط أن يملأ بصره منه لسرعة
سيره واستقامته فى جريه فاشرف على قصر البطريق وهو جالس فى مستشرفه مع حرمه وقد أخذت منه الخمر وعلاه الطرب
وذهب به الفرح والسرور فلما رأى البطريق مركب الصورى على طرباو صاح فرحا وسرورا وابتهاجا بقدومه فدنا من أسفل
القصر وحط القلع وأشرف البطريق على المركب فنظر الى ما فيه من حسن ذلك البساط ونظم ذلك الفرش كانه رياض تزهر
فلم يستطع اللبث فى موضعه حتى نزل قبل أن يخرج الصورى من مركبه اليه فطلع المركب فلما استقرت قدمه فى المركب ودنا
من المجلس ضرب الصورى بعقبه على من تحت البساط من الوقوف وكانت علامة بينه وبين الرجال الذين فى بطن المركب
فما استقر دقه بقدمه حتى اختطف المركب بالمجاذيف فاذا هو فى وسط البحر لا يلوى على شئ وارتفع الصوت ولم يدر ما الخبر
لمعاجلة الامر فلم يكن الليل حتى خرج من الخليج وتوسط البحر وقد أوثق البطريق كتافا وطابت له الريح وأسعده الجد وجملة
المجاذيف فى ذلك الخليج فتعلق اليوم السابع بساحل الشأم ورأى البرو حمل الرجل فكانوا اليوم الثالث عشر حضورا بين
يدى معاوية بالفرح والسرور ولا ثلاجه بالامر وتمام الحيلة وأيقن معاوية بالظفر وعلو الجد فقال على بالرجل القرشى فاتى به
وقد حضره خواص الناس فاخذوا مجالسهم وانغص المجلس باهله فقال له معاوية انظر لا تتعد ما جرى عليك منه واقتص

كبرت من فرط الجمال لو قلت ماهذا بشر
فاجابنى لا تنكروا * ثوب السماء على القمر

وأنشد من وجادة
ياذا الذى عذب محبوبه * أنحت عيس العز مغنى الهوان
لم ينبت الشعر على خده * بل دب فى أصداغه عقربان
رفقا على نفسك لا تفنها * فجوهر الانفس در يصان

وأنشد من حديقة ابن يربوع
غزا القلوب غزال * حجت اليه العيون
خطت بخديه نون * وآخر الحسن نون

وأنشد من وجادة
أودع فؤادى حرقا أودعى * ذاتك تؤذى أنت فى أضلعى

منه على حسب ما صنع بك ولا سعد وواع ما أوجب الله عليك من المماثلة فلطمه القرشي لطمات ووكزه في حلقه ثم انكب القرشي على يد معاوية وأطرافه يقبلها وقال ما أضاع من سودك ولا خاب فيك أمل من أملك أنت ملك لا تضام تمنع جارك وتصون رعيتك وأغرق في دعائه ووصفه وأحسن معاوية الى البطريق وخلع عليه وبره وحمل معه البساط وأضاف الى ذلك أمورا كثيرة وهدايا الى الملك وقال له ارجع الى ملكك وقل له تركت ملك العرب يقيم الحدود على بساطك ويقتص لرعيته في دار مملكتك وسلطانك وقال للصوري سر معه حتى تأتي الخليج فتطرحه فيه ومن كان أسر معه ممن بادر فصعد المركب من غلمان البطريق وخاصته فحملوا الى صور مكرمين وحملوا في المركب فطابت لهم الريح فكانوا في اليوم الحادي عشر متعلقين ببلاد الروم وقربوا من فم الخليج واذا به قد أحكم بالسلاسل والمنعة من الموكلين به فطرح البطريق ومن معه وانصرف الصوري راجعا وحمل البطريق من ساعته الى الملك ومعه الهدايا والامتعة فتباشرت الروم بقدومه وتلقوه مهنئين له من الاسر فكافأ الملك معاوية على ما كان من فعله بالبطريق والهدايا فلم يكن يستضام أسير من المسلمين في أيامه وقال الملك هذا أمكر الملوك وأدهى العرب ولهذا قدمته العرب عليها فساس أمرها والله لو هم بأخذي لتمت له الحيلة على (وقد أتينا) على خبر معاوية فيما سلف من هذا الكتاب وأتينا على مبسوطه وأخبار الوافدين والوافدات عليه من الامصار فيما سلف من كتبنا وان كنا قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب من أخبار معاوية جملا والملوك الروم وبطارقتها ممن سلف وخلف الى هذا الوقت أخبار حسان

مع ملوك بني أمية والخلفاء من بني العباس في المغازي والسرايا وغيرها وكذلك لاهل الثغور الشامية والحرورية الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة قد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا وقدمنا في هذا الكتاب جملا من أخبارهم ومقادير أعمارهم وأيامهم ولمعا من سيرهم وكذلك أخبرنا عن ملوك الامم وسيرهم (قال المسعودي) وكان المعتمد مشغوفا بالطرب والغالب عليه المعاقرة ومحبة أنواع اللهو والملاهي وذكر عبد الله بن خرداذبه أنه دخل عليه ذات يوم أيها وفي المجلس عدة من ندمائه من ذوي العقول والمعرفة والخلفاء فقال له أخبرني عن أول من اتخذ العود قال ابن خرداذبه قد قيل في ذلك يا أمير المؤمنين أقاويل كثيرة أول من اتخذ العود لمك بن متوشلخ بن محويل بن عاد بن خنوخ بن قادين بن آدم وذلك أنه كان له ابن يحبه حبا شديدا فمات فعلقه بشجرة فتقطعت أوصاله حتى بقي منه فخذه والساق والقدم والاصابع فأخذ خشبا فرققه والصقه فجعل صدر العود كالفخذ وعنقه كالساق ورأسه كالقدم والملاوي كالاصابع والاوتار كالعروق ثم ضرب به وناح عليه فنطق العود قال الحمدوني

وناطق بلسان لا ضمير له * كأنه فخذ نيطت الى قدم
يبدي ضمير سواه في الحديث كما * يبدي ضمير سواه منطق القدم

واتخذ توبلس بن لمك الطبول والدفوف وعملت ضلال بنت لمك المعازف ثم اتخذ قوم لوط الطنابير يستميلون بها الغلمان والاكراد نوعا منها يصفر به فكانت أغنامهم اذا تفرقت صفر وافاجتمعت ثم اتخذ الفرس الناي للعود والثاني للطبول والسرياني للطبل والسنج الصنج وكان غناء الفرس بالعيدان والصنوج وهي لهم ولهم النغم والايقاعات والمقاطع والطرق الملوكية وهي سبع طرق فأولها اسكاف وهو أكثرها استعمالا لا تفعل الانهار وهو أفصحها مقاطع وأمرنه وهو أجمعها لمحاسن النغم وأكثرها تصعدا وانحدارا ومادار وسنان وهو أثقلها وسابكاد وهو المحبوب للارواح وسيسم وهو المجنس المنقل وجوبران وهو الدرج الموقوف على نغمة وكان غناء أهل خراسان

وارم بسهام اللحظ أو كفها * أنت بما ترمي مصاب معي
موقعها قلبي وأنت الذي * مسكنه في ذلك الموضع

وأنشد من حديقة ابن بروع

يخط الشوق شخصك في ضميري * على بعد التزاور خط زور
وتدنيك الاماني من فؤادي * دنو البرق من لمح البصير
فلا تذهب فانك نور عيني * اذا ما غبت لم تطرف بنور

وأنشد للوزير المصحفي

لعينيك في قلبي على عيون * وبين ضلوعي للشجون فنون
لئن كنت صبا خلقا في الهوى * فحبك غض في الفؤاد مصون
نصيبي من الدنيا هواك وانه * عذابي ولكني عليه ضنين

وأنشد لصالح بن شريف

أيها العاذل بالله اتئد * لك قلب فى ضلوعى أو كبد
هى أجفانى فذرها تنهمى * هى أحشائى فدعها تتقد
لا تظن الحب شيأ هينا * ليس فى الحب قياس يطرد
أنت خلو وأنا صب شجى * فاذا حدثت عنى قل وزد
فاترك اليوم ملامى انه * يترك الشئ اذا مالم يفد
انا أسلو عن حبى ساعة * ياعذولى قل هو الله أحد

أنشد له أيضا

وافى وقد زانه جمال * فيه لعشاقه اعتذار
ثلاثة ما لها شبيه * الوجه والخد والعذار
فمن رآه رأى رياضا * الورد والآس والبهار

وأنشد من حديقة ابن يربوع

وما وبه ... ايقاع الطنابير وقال
الفرس تقدم الطنبور على كثير من الملاهى وكان غناء النبط والجرامقة بالعيروارات وايقاعها يشبه ايقاع الطنابير وقال
فندروس الرومى جعلت الاوتار اربعة بازاء الطبائع فجعلت الزير بازاء المرة الصفراء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم
والبم بازاء المرة السوداء وللروم من الملاهى الاورغن وعليه ستة عشر وترا وله صوت بعيد المذهب وهو من صنعة اليونانيين
والسلبان وله اربعة وعشرون وترا وتفسيره الغصون ولهم اللورا وهى الرباب وهى من خشب ولها خمسة أوتار ولهم
القيثاوة ولها ثمانية عشر وترا ولهم الصنج وهو من جلود العجاجيل وكل هذه معازف مختلفة الصفة ولهم الارغين وهو منافخ
الجلود والحديد وللهند الكنكلة وهو وتر واحد يمد على قرعة فيقوم مقام العود والصنج قال وكان الحداء فى العرب قبل الغناء
قد كان مضر بن نزار بن معد سقط عن بعير فى بعض أسفاره فانكسرت يده فجعل يقول يا يداه يا يداه وكان من
أحسن الناس صوتا فاستوسقت الابل وطاب لها السير فاتخذه العرب حداء برجز الشعر وجعلوا كلامه أول الحداء فمن قول
الحادى يا هاديا يا هاديا و يا يداه يا يداه فكان الحداء أول السماع والترجيع فى العرب ثم اشتق
الغناء من الحداء ونحن نساء العرب على موتاها ولم تكن أمة من الامم بعد فارس والروم أولع بالملاهى والطرب من العرب وكان
غناؤهم النصب ثلاثة أجناس الركبانى والسناد الثقيل والهزج الخفيف (وكان أول) من غنى من العرب الجرادتان وكانتا
قينتين على عهد عاد لمعاوية بن بكر العلقمى وكانت العرب تسمى القينة الكرينة والعود المزهر وكان
غناء أهل اليمن بالمعازف
وايقاعها جنسا من واحد
وغناؤهم جنسان حنفى
وحميرى والحنفى أحسنهما
ولم تكن قريش تعرف
من الغناء الا النصب حتى
قدم النضر بن الحرث بن
كلدة بن علقمة بن عبد مناف
ابن عبد الدار بن قصى من
العراق وافدا على كسرى
بالحيرة فتعلم ضرب العود
والغناء عليه فقدم مكة فعلم
أهلها فاتخذوا القينات (والغناء) يرق الذهن ويلين العريكة ويهيج النفس ويسرها ويشجع القلب ويسخى البخيل وهو مع
النبيذ يتعاونان على الحزن الهادم للبدن ويحدثان له نشاطا ويفرجان الكرب والغناء على الانفراد يفعل ذلك وفضل الغناء
على المنطق كفضل المنطق على الخرس والبرء على السقم وقد قال الشاعر

لا تبعثن على همومك اذ ثوت * غير المدام ونغمة الاوتار

فلله در حكيم استنبطه وفيلسوف استخرجه
أى غامض أظهر وأى مكنون كشف وعلى أى فن دل والى أى علم وفضيلة سبق فذلك نسيج وحده وقريع دهره (وقد كانت
الملوك) تنام على الغناء ليسرى فى عروقها السرور وكانت ملوك الاعاجم لا تنام الا على غناء مطرب او سهر لذيذ والعربية
لا تنوم ولدها وهو يبكى خوف أن يسرى الهم فى جسده ويدب فى عروقه ولكن تنازعه وتضاحكه حتى ينام وهو فرح مسرور
فينمو جسده ويصفو لونه ودمه ويشف عقله والطفل يرتاح الى الغناء ويستبدل ببكائه ضحكا وقد قال يحيى بن خالد بن برمك
الغناء ما اطربك فارقصك وابكاك فاشجاك وما سوى ذلك فبلاء وهم (قال المعتمد) قد قلت فاحسنت ووصفت فاطنبت
وأنت فى هذا اليوم سوق للغناء وعلم أنواع الملاهى وان كان كلامك لمثل الثوب الموشى يجتمع فيه الاحمر والاصفر والاخضر
وسائر الالوان فاصفة المغنى الحاذق قال ابن خرداذبه المغنى الحاذق يا أمير المؤمنين من تمكن من أنفاسه ولطف فى اختلاسه
وتفرع فى اجناسه (قال المعتمد) فعلى كم تنقسم أنواع الطرب قال على ثلاثة أوجه يا أمير المؤمنين وهى طرب محرك مستخف

لاريحية بنعش النفس ودواعي الشيم عند السماع وطرب شجن وحزن لاسيما اذا كان الشعر في وصف أيام الشباب والشوق الى الاوطان والمراثي لمن عدم الصبر من الاحباب وطرب يكون في صفاء النفس ولطافة الحس لاسيما عند سماع جودة التأليف واحكام الصنعة اذ كان من لا يعرفه ولا يفهمه لا يسر به بل تراه متشاغلا عنه فذلك كالحجر الجلمد والجماد الصلد سواء جودته وعدمه وقد قال يا أمير المؤمنين بعض الفلاسفة المتقدمين وكثير من حكماء اليونانيين من عرضت له آفة في حاسة الشم كره رائحة الطيب ومن غلظ حسه كره سماع الغناء وتشاغل عنه وعابه وذمه (قال المعتمد) فما منزلة الايقاع وأنواع الطرق وفنون الغناء قال قد قال في ذلك يا أمير المؤمنين من تقدم ان منزلة الايقاع من الغناء بمنزلة العروض من الشعر وقد أوضحوا الايقاع ورسموه بسمات ولقبوه بالقاب وهو أربعة أجناس ثقيل الاول وخفيفه وثقيل الثاني وخفيفه والرمل الاول وخفيفه والهزج وخفيفه والايقاع هو الوزن ومعنى أوقع وزن ولم يوقع خرج من الوزن والخروج ابطاء عن الوزن أو سرعة فالثقيل الاول نقرة ثلاثة ثلاثة اثنتان ثقيلتان بطيئتان ثم نقرة واحدة وخفيف ثقيل الثاني نقرة اثنتان متواليتان وواحدة بطيئة واثنتان مزدوجتان وخفيف الرمل نقرة اثنتان اثنتان مزدوجتان وبين كل زوج وقفة والهزج نقرة واحدة واحدة مستويتان ممسكة وخفيف الهزج نقرة واحدة واحدة متساويتان في نسق واحد أخف قدرا من الهزج والطرائق ثمان الثقيلان الاول والثاني وخفيفاهما وخفيف الثقيل منهما يسمى بالماخوري وانما سمي بذلك لان ابراهيم بن ميمون الموصلي وكان من أبناء فارس وسكن الموصل كان كثير الغناء في هذه المواخير بهذه الطريقة

والرمل وخفيفه ويتفرع من كل واحد من هذه الطرائق مزموم ومطلق وتختلف مواقع الاصطلاح فيها فيحدث لها ألقاب تميزها كالمحصور والمخبول والمحثوث والمخدوع والارواح والعود عند كثير الامم وجل الحكماء يوناني صنعة أصحاب أهل الهندسة على هيئة طبائع الانسان فان اعتدلت أوتاره على الاقدار الشريفة جانس الطبائع فاطرب والطرب رد النفس الى الحال الطبيعية دفعة وكل وتر مثل الذي يليه ومثل ثلثه والرسان وصلاها الذي يلي الانف موضوع على خط النسع من جملة الوتر فهذه يا أمير المؤمنين جوامع في صفة الايقاع ومنتهى حدوده فغمر المعتمد في هذا اليوم وخلع على ابن خرداذبه وعلى من حضره من ندمائه وفضله عليهم وكان يوم لهو وسرور (فلما كان في صبيحة تلك الليلة دعا المعتمد من حضر في اليوم الاول فلما أخذوا مراتبهم من المجلس قال لبعض من حضره من ندمائه صف لي الرقص وأنواعه والصفة المحمودة من الرقاص واذكر لي شمائله فقال المسؤل يا أمير المؤمنين أهل الاقاليم والبلد مختلفون في رقصهم من أهل خراسان وغيرهم فجملة الايقاع في الرقص ثمانية أجناس الخفيف والهزج والرمل وخفيف الرمل وثقيل الثاني وخفيفه وخفيف الثقيل الاول وثقيله والرقاص يحتاج الى أشياء في طباعه وأشياء في خلقته وأشياء في عمله فاما ما يحتاج اليه في طباعه فخفة الروح وحسن الطبع على الايقاع وأن يكون طالبه مرحا الى التدبير في رقصه والتصرف فيه ما يحتاج اليه في خلقته فطول العنق والسوالف وحسن الدل والشمائل والتمايل في الاعطاف ودقة الخصر وحسن أقسام واقع المناطق واستدارة الثياب من أسافلها وتخارج النفس والاراحة والصبر على طول الغاية ولطافة الاقدام ولين الاصابع وامكان لينها في نقلها وفيما يتصرف فيه من أنواع الرقص من الابل ورقص السكرة وغيره ولين المفاصل وسرعة الانفتال الدوران ولين الاعطاف وأما ما يحتاج اليه في عمله فكثرة التصرف في ألوان الرقص واحكام كل جزء من حدوده و...

عليك باكرام وبرلستة * من الناس واحذر شرهم وتوقه
طبيب وحجام وشيخ وشاعر * وصاحب ديوان ومن يتفقه

وأنشد لبعض الصوفية

ماترى عند أحمق * في أمور توسطا
بل تراه في أمره * مفرطا أو مفرطا

وأنشد لبعض الادباء

الصبر أولى بوقار الفتى * من قلق يهتك ستر الوقار
من لازم الصبر على حاله * كان على أيامه بالخيار

ولنقتصر من ترجمة ابن ليون على هذا القدر فقد حصلت الاطالة بل ونكتفي من مشائخ لسان الدين بمن ذكرناه لورود ما في الاحاطة في ترجمة مشيخته وان تم ومع ما تقدم * ونص المشيخة قرأت كتاب الله عز وجل على المكتب نسيج وحده في تحمل المنزل حتى جمله تقوى

لاستدارة وثبات القدمين على مدارهما واستواء ما تعمل يدى الرجل ويسراها حتى يكون فى ذلك واحدا ولوضع القدم رفعها وجهان أحدهما أن يوافق بذلك الايقاع والآخر أن يتبطه فاكثر ما يكون هو فيه أمكن وأحسن فليكن ما يوافق الايقاع فهو من الحب والحسن سواء وأما ما يتبط به فاكثر ما يكون هو فيه أمكن وأحسن فليكن ما يوافق الايقاع مترافعا ما يتبط به متسافلا (قال المسعودى) وللمعتمد مجالسات ومذاكرات ومجالس قد دونت فى أنواع من الآداب منها مدح النديم بصفاته وعفافه وأمن عبثه والتداعى فى المنادمات والمراسلات فى ذلك وعدد أنواع الشرب فى الكثرة وهيئة السماع وأقسامه وأنواعه وأصول الغناء ومباديه فى العرب وغيرها من الامم وأخبار الاعلام من مشهورى المغنين المتقدمين والمحدثين وهيئة المجالس ومنازل التابع والمتبوع وكيفية مراتبهم وتعبية مجالس الندماء والتحيات كما قال العطوى فى ذلك

حى التحية أصحاب التحيات * القائلين اذا لم تسقهم هات
أما الغداة فسكرى فى نعيمهم * وبالعشى فصرعى غير أموات
وبين ذلك قصف لا يعادله * قصف الخليفة فى لهو ولذات

وقد أتينا على وصف جميع ذلك فى كتابنا أخبار الزمان مما لم يتقدم له ذكر كصنوف الشراب والاستعمال لانواع النقل اذا وضع ذلك فى المناقل والاطباق فنض نضا ورصف رصفا والابانة عن المراتب فى ذلك ووصف جميل لذات الطبيخ مما يحتاج اليه الملك رقته والاريب الى قيمته من المتولدات فى معرفة الالوان ومقادير التوابل والابزار وأنواع المحادثات ونس يمين بحضرة الرئيس والمقام عن مجلسه وادارات الكاسات وما حكى ٣٧٣ فى ذلك عن الاسلاف من ملوك الامم وغيرهم وما قيل فى الاكثار والاقلال من الشراب وما ورد فى ذلك من الاخبار وطلب الحاجات والاستماحات من أهل الرياسة على المعاقرات وهيئة النديم وما يلزمه لنفسه وما يلزم الرئيس لنديمه والفرق بين التابع والمتبوع والنديم والمنادم وما قال الناس فى العلة التى من أجلها سمى النديم نديما وكيفية الادب فى لعب الشطرنج والفرق بينها وبين النرد وما ورد فى ذلك من الاخبار وانتظمت فيه من الدلائل والآثار وما ورد عن العرب فى أسماء الخمر وورود التحريم فيها وتنازع الناس فى ردغيرها من أنواع الانبذة عليها قياسا ووصف أنواع آنيتها ومن كان يشربها فى الجاهلية ومن حرمها ووصف السكر وما قال الناس فى ذلك وكيفية وقوعه من الله أم من خلقه وغير ذلك مما لحق بهذا الباب واتصل بهذه المعانى وانما نذكر هذه اللمع منبهين بها على ما قدمنا فيما سلف من كتبنا (وكان أبو العباس) المعتضد محبوسا فلما خرج أبوه الموفق خلفه بدار الوزير اسمعيل بن بلبل وكان مضيقا عليه الى أن وافى الموفق من أذربيجان عليلا مدنفا موروما فى بيت من الخشب قد اتخذ له مبطنا بالخز والحرير وفى أسفله حلق قد جعل فيها الدهن فتحمله الرجال على أكتافها نوائب وكان وصوله الى بغداد يوم الخميس لليلتين خلتا من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين فأقام بمدينة السلام أياما فاشتدت علته وأرجف بموته وانصرف اسمعيل بن بلبل وقد يئس منه فوجه اسمعيل بن بلبل الى كفهمن وقيل الى بكتمن وكان موكلا بالمعتضد بالمدائن على أقل من يوم من مدينة السلام ان ينصرف بالمعتضد والمفوض الى الله الى بغداد فدخل المعتضد اليها فى يومه واتصل باسمعيل صلاح الموفق فانحدر ومعه المعتضد والمفوض فى طيارة الى ولده وقد كان يأنس الخادم ومؤنس الخادم ووصاف الحرمين وغيرهم من خدم الموفق وغلمانه أخرجوا أبا العباس من الموضع الذى كان فيه محبوسا وساروا به الى الموفق ولما حضر اسمعيل بن بلبل الموفق والمعتضد معه وكثر اضطراب القواد والموالى

وصلاحا وخصوصية واتقانا ونعمة وعناية وحفظا وتبحرا فى هذا الفن واطلاعا لغرائبه واستيعابا لمقطات الاعلام الاستاذ الصالح أبى عبد الله بن عبد المولى العواد تكتبا ثم حفظا ثم تجويدا الى مقرآت أبى عمرو رحمة الله عليهما ثم نقلنى الى أستاذ الجماعة ومطية الفنون ومفيد الطلبة الشيخ الخطيب المتفنن أبى الحسن على القيجاطى فقرأت عليه القرآن والعربية وهو أول من انتفعت به وقرأت على الخطيب الحسيب الصدر أبى القاسم بن جزى رحمه الله ولازمت قراءة العربية والفقه والتفسير والمعتمد عليه العربية على الشيخ الاستاذ الخطيب أبى عبد الله بن الفخار البيرى الامام المجمع على امامته فى فن العربية المفتوح عليه من الله حفظا واطلاعا ونقلا وتوجيها بما لا مطمع فيه لسواه وقرأت على قاضى الجماعة الصدر المتفنن أبى عبد الله بن بكر رحمه الله وتأدبت بالشيخ الرئيس صاحب القلم الاعلى الصالح الفاضل أبى الحسن بن الجياب ورويت عن الكثير ممن جمعهم الزمان بهذا القطر من أهل الرواية كالمحدث أبى عبد الله بن جابر وأخيه أبى جعفر والقاضى الشهير الشيخ بقية السلف شيخنا أبى البركات

وأسرعت العامة وسائر الخدم فى النهب فانتهبوا دار اسمعيل بن بلبل ولم تبق دار جليل ولا كاتب نبيل الا نهبوها وفتحت الجسور وابواب السجون ولم يبق أحد فى المطبق ولا فى الحديد الا اخرج وكان أمرا فظيعا غليظا وخلع على أبى العباس وعلى اسمعيل بن بلبل وانصرف كل واحد منهما الى منزله فلم يجد اسمعيل فى داره ما يقعد عليه حتى وجه اليه الشاه بن ميكال ما قعد عليه وقام بامر طعامه وشرابه وقد كان اسمعيل أسرع فى بيوت الاموال وأسرف فى النفقات والجوائز والخلع وأمد العرب واجزل لهم الانزال والارزاق واصطنع بنى شيبان من العرب وغيرهم من ربيعة وكان يزعم أنه رجل من بنى شيبان وطالب بخراج سنة مبهمة فثقل على الرعية وكثر الداعى عليه ومكث الموفق بعد ذلك ثلاثة ايام ثم توفى يوم الخميس لثلاث بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين ومات وله تسع وأربعون سنة وامه أم ولد رومية يقال لها اسحق وكان اسم الموفق طلحة وفيه يقول الشاعر

لما استقل بظل الملك واجتمعت * له الامور فمنقاد ومقسور
حطت عليه لمقدار منيته * كذاك تصنع بالناس المقادير

فلما مات الموفق قام المعتضد بامور الناس فى التدبير مكان أبيه الناصر وهو الموفق وخلع جعفر المفوض من ولاية العهد وقام اسمعيل بن بلبل فى الوزارة بعد شغب كثير كان فى مدينة السلام وكان لابى عبد الله بن أبى الساج ولخادمه وصيف خطب جليل وقيد اسمعيل بن بلبل ووجه أبو العباس الى أبى عبد الله بن سليمان بن وهب فاحضره وخلع عليه ورد اليه أمر كتابته وذلك فى يوم الثلاثاء لثمان بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين ولم يزل اسمعيل بن بلبل يعذب بانواع العذاب وجعل فى عنقه غل فيه رمانة حديد والغل والرمانة مائة وعشرون رطلا والبس جبة صوف قد صبغت فى ودك الاكارع وعلق معه رأس ميت فلم يزل على ذلك حتى مات فى جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين ومائتين ودفن بغله وقيوده وامر المعتضد بضرب جميع الآنية التى كانت فى خزائنه فضربت وفرقت فى الجند (قال المسعودى) وقد كان المعتضد قعد للغداء واصطبح يوم الاثنين لاحدى عشرة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين فلما كان عند العصر قدم الطعام فقال ياموشكير ابعث للموكل به ما فعلت الرؤس بارقابها وقد كان قدم من الليل ان يقدم له رأسا حملين وقد فصل فيهما ارقابهما فقدمتا وكان معه على المائدة رجل من ندمائه يعرف بقفا الملقم ورجل آخر يعرف بخلف المضحك فاول من ضرب بيده الى الرؤس الملقم فانتزع أذن واحد منهما واما المضحك فانه يقتلع اللهازم والاعين فاكلوا اكل المعتضد واعوانهم فاما الملقم صاحب اللقمة الاولى فانه تهرى فى الليل واما المضحك فانه مات قبل الصباح واما المعتضد فاصبح ميتا قد لحق بالقوم ودخل اسمعيل بن حماد القاضى الى المعتضد وعليه السواد فسلم عليه بالخلافة وكان اول من سلم عليه بها وحضر الشهود منهم أبو عوف والحسن بن سالم وغيرهم من العدول حتى أشرفوا على المعتضد ومعهم بدر غلام المعتضد يقول هل ترون به من باس أو اثر مات فجأة وقتلته مداومته لشرب النبيذ فنظروا اليه فاذا ليس به من أثر فغسل وكفن وحمل فى تابوت قد أعد له الى سامرا فدفن بها (وذكروا) والله اعلم ان سبب وفاته أنه سقى نوعا من السم فى شرابهم الذى كانوا يشربونه وهو نوع يقال له البيش يحمل من بلاد الهند وجبال الترك والتبت وربما وجدوه فى سنبل الطيب وهو الوان ثلاثة وفيه خواص عجيبة (وللمعتضد) أخبار حسان وما كان فى أيامه من الكوائن والحوادث مما كان من حروب الصفار وما كان بديار بكر من بلاد واسر وغيرهما من أحمد بن عيسى بن الشيخ وما كان باليمن قد أتينا على مبسوطها وجميع ذلك كله والغرر منه وما حدث فى

ابن الحاج والشيخ المحدث الصالح أبى محمد بن سلمون وأخيه القاضى أبى القاسم سلمون وأبى عمرو ابن الاستاذ أبى جعفر بن الزبير وله رواية عالية والاستاذ اللغوى أبى عبد الله بن بيش والمحدث الكاتب أبى الحسن التلمسانى المسن والحاج أبى القاسم بن المنهى المالقى والعدل أبى محمد السعدى تحمل عن الامام ابن دقيق العيد والقائد الكاتب ابن ذى الوزارتين أبى بكر بن الحكيم والقاضى المحدث الاديب جملة الظرف أبى بكر بن شيرين والشيخ أبى عبد الله بن عبد الملك والخطيب أبى جعفر الطنجالى والقاضى أبى بكر بن منظور والراوية أبى عبد الله بن حزب الله كلهم من مالقة والقاضى أبى عبد الله المقرى التلمسانى والشريف أبى على حسن بن يوسف والخطيب الرئيس أبى عبد الله بن مرزوق كلهم من تلمسانى والمحدث الفاضل الحسيب أبى العباس بن يربوع والرئيس أبى محمد الحضرمى السبتيين والشيخ المقرى أبى محمد بن أيوب المالقى آخر الرواة عن ابن أبى الاحوص وأبى عثمان بن ليون من أهل المرية والقاضى أبى الحجاج المنتشافرى من أهل رندة وطائفة كبيرة من المعاصرين تحملا وتدبجا ومن أهل العدوة

كل سنة من أيامه من الحوادث فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط فاغنى ذلك عن اعادته فى هذا الكتاب

(ذكر خلافة المعتضد بالله) وبويع أبو العباس احمد بن طلحة المعتضد بالله فى اليوم الذى مات فيه المعتمد على الله عمه وهو يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وأمه أم ولد رومية يقال لها ضرار وكانت وفاته يوم الاحد لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين فكانت خلافته تسع سنين وتسعة اشهر ويومين وتوفى بمدينة السلام وله سبع وأربعون سنة وقيل انه ولى الخلافة وهو ابن احدى وثلاثين سنة وتوفى فى سنة تسع وثمانين على ما ذكرناه اربعون سنة واشهر على تباين اصحاب التواريخ فى كتبهم وما أرخوه فى ايامهم والله الموفق

(ذكر جمل من اخباره وسيره ولمع مما كان فى ايامه) ولما افضت الخلافة الى المعتضد بالله سكنت الفتن وصلحت البلدان وارتفعت الحروب ورخصت الاسعار وهدأ الهرج وسالمه كل مخالف وكان مظفرا قد دانت له الامور وانفتح له المشرق والغرب واديل له فى اكثر المخالفين عليه والمنابذين له وظفر بهرون الشارى وكان صاحب المملكة والقيم بامر الخلافة مولاه واليه جميع المعارف فى جميع الآفاق واليه حل الجيوش وسائر القواد وخلف المعتضد فى بيوت الاموال تسعة آلاف دينار ومن الورق اربعين الف الف درهم والدواب والبغال والحمير والجمال اثنى عشر الف رأس وكان مع ذلك بخيلا لا ينظر فيما لا ينظر فيه العوام (وحكى عبد الله بن حمدون) وكان نديمه وخاصته وممن كان يأنس به فى خلواته انه امر ان نقص حشمه ومن كان يجرى عليه من الاتراك من كل رغيف اوقية وان يبتدأ

بامر خبزه لان للوصائف عددا من الرغفان فيها ثلاث وأربع كذا وأكثر من ذلك قال ابن حمدون فتعجبت من ذلك فى اول أمره ثم تبينت القصة فاذا أنه يتوفر من ذلك فى كل شهر مال عظيم وتقدم الى خزانه ان يختار له من الثياب التسترية والدبيقية أحسنها لتقطيعها لنفسه (وكان) مع ذلك قليل الرحمة كثير الاقدام سفاكا للدماء شديد الرغبة فى ان يمثل بمن يقتله (وكان) اذا غضب على القائد النبيل والذى يختصه من غلمانه أمر ان تحفر له حفيرة ثم يدلى على رأسه فيها ويطرح التراب عليه ونصفه الاسفل ظاهر على التراب ويداس التراب فلا يزال كذلك حتى تخرج روحه من دبره (وذكر) من عذابه انه كان يأخذ الرجل فيكتف ويقيد فيؤخذ القطن فيحشى فى اذنه وخيشومه وفمه وتوضع المنافخ فى دبره حتى ينتفخ ويعظم جسمه ثم يسد الدبر بشئ من القطن ثم يفصد وقد صار كالجمل العظيم من العرقين اللذين فوق الحاجبين فتخرج النفس من ذلك الموضع وربما كان يقتل الرجل فى أعلى القصر مجردا موثقا ويرمى بالنشاب حتى يموت (واتخذ) المطامير وجعل فيها صنوف العذاب وجعل عليها الحرمى المتولى لعذاب الناس ولم يكن له رغبة الا فى النساء والبناء فانه أنفق على قصره المعروف بالثريا اربعمائة ألف دينار وكان طول قصره المعروف بالثريا ثلاثة فراسخ (وأقر) عبيد الله بن سليمان على وزارته فلما مات استوزر القاسم بن عبيد الله (وقد كان المعتضد) فى هذه السنة وهى سنة تسع وسبعين ومائتين ركب يوم الفطر وهو يوم الاثنين الى مصلى اتخذه بالقرب من داره وكبر فى الركعة الاولى ست تكبيرات وفى الآخرة تكبيرة واحدة ثم صعد المنبر فحصر ولم تسمع له خطبة (ففى ذلك) يقول بعض الشعراء

حصر الامام ولم يبين خطبة * للناس فى حل ولا احرام
ماذاك الا من حياء لم يكن * ما كان من عى ولا افحام

(فى هذه السنة) قدم الحسن بن عبد الله المعروف بابن الجصاص رسولا من مصر لخمارويه بن أحمد ومعه هدايا كثيرة

العدوة الغربية والمشرق وأفريقية الكثير بالاجازة وأخذت الطب والتعاليم والمنطق وصناعة التعديل عن الامام أبى زكريا بن زهر ولازمته هذا على سبيل الالماع ولو تفرغت لذكر أفذاذهم لخرج هذا التأليف عما وضع له انتهى كلامه فى الاحاطة وقد ذكرت فى هذا الباب زيادة فى بعض التراجم على ما فى الاحاطة على ما اقتضاه الحال اذ ذلك لا يخلو من فائدة زائدة وحكمة بالخير عائدة ولو لم يكن فى هذا الكتاب غير هذا الباب لكان كافيا لاشتماله على تصوف وحكم وكرامات وآداب ووصايا وانشادات وغيرها مما يغنى عن خبره العيان ويشتاق الى الوقوف عليه ذوو الملكة فى البيان ولو لم يشتمل الا على المدائح النبوية التى فيه لتمت محاسنه والله سبحانه ينفع به بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وتابعيه وحزبه

(الباب الرابع)

فى مخاطبات الملوك والاكابر الموجهة الى حضرته العليه وثناء غير واحد من أعلام اهل

وأموال جليلة فوصل الى المعتضد يوم الاثنين لثلاث خلون من شوّال وخلع عليه وعلى سبعة نفر معه ثم سعى فى تزويج ابنة
خمارويه من على المكتفى فقال المعتضد انما أراد أن يتشرف بنا وأنا أزيد فى تشريفه أنا أتزوجها فتزوجها وتولى ابن الجصاص
أمرها وحمل جهازها فيقال انه حمل معها جوهرا لم يجتمع مثله عند خليفة قط فاقتطع ابن الجصاص بعضه واعلم قطر الندى
بنت خمارويه به ان ما أخذه ودع لها عنده الى وقت حاجتها اليه فماتت والجوهر عنده فكان ذلك سبب غناه واستقلاله وقد
كانت لابن الجصاص محن بعد ذلك فى أيام المقتدر وما كان من القبض عليه وما أخذ منه من الاموال بهذا السبب وغيره
وحمل المعتضد صداق قطر الندى وهو بمدينة بلد الى أبى الجيش وكان الصداق ألف ألف درهم وغير ذلك من المتاع
والطيب ولطائف الصين والهند والعراق وكان مما خص به أبا الجيش فى نفسه وحباه به بدرة من الجوهر المثمن فيها در
وياقوت وأنواع من الجوهر ووشاح وتاج وأكاليل وتبل قلنسوة وكرد فوكان وصولهم الى مصر فى رجب سنة ثمانين
ومائتين وانحدر المعتضد من مدينة بلد والموصل بعد أن حمل ما وصفنا الى مدينة السلام فى الماء (وحدث أبو سعيد) أحمد بن
الحسين بن منقذ قال دخلت يوما على الحسين بن الجصاص واذا بين يديه سفط خيار مبطن بالحرير فيه جوهر قد نظم منه سبح
فرأيت شيأ حسنا ووقع فى نفسى أن عددها يجاوز العشرين فقلت له جعلنى الله فداك كم عدد كل سبحة فقال لى مائة حبة وزن
كل حبة كوزن صاحبتها لا تزيد ولا تنقص قد عدلت كل سبحة وزن صاحبتها واذا بين يديه سبائك ذهب توزن بقبان كما يوزن
الحطب فلما خرجت من عنده تلقانى أبو العيناء فقال لى يا أبا سعيد على أى حال تركت هذا الرجل

فوصفت له ما رأيت فقال
واقعا رأسه الى السماء
اللهم انك لم تساو بينى
وبينه فى العمى ثم اندفع
يبكى فقلت يا أبا عبد الله
ما شأنك فقال لا تنكر
ما رأيت منى لو رأيت
ما رأيت لشغفت ثم قال
الحمد لله على هذه الحالة
وقال يا أبا سعيد ما حمدت
الله تعالى على العمى الا فى
وقتى هذا فقلت لمن يخبر
حال ابن الجصاص بأى شئ ختم هذه السبح فقال بياقوتة حمراء لعل قيمتها أكثر مما تحتها (وكانت
وفاة أبى العيناء) سنة اثنتين وثمانين ومائتين بالبصرة فى جمادى الآخرة وكان يكنى بأبى عبيد الله وكان قد انحدر من مدينة
السلام الى البصرة فى زورق فيه ثمانون نفسا فى هذه السنة فغرق الزورق ولم يتخلص ممن كان فيه الا أبو العيناء وكان
ضريرا تعلق بطلال الزورق فأخرج حيا وتلف كل من كان معه فبعد أن سلم ودخل البصرة مات (وكان) لابى العيناء من اللسان
وسرعة الجواب والذكاء ما لم يكن عليه أحد من نظرائه وله أخبار حسان وأشعار ملاح مع أبى البصير وغيره وقد أتينا على
ذكرها فيما سلف من كتبنا (وحضر) مجلس بعض الوزراء فتفاوضوا حديث بعض البرامكة وكرمهم وما كانوا عليه من
الجود فقال الوزير لابى العيناء وقد كان أمعن فى وصفهم وما كانوا عليه من البذل والافضال قد أكثرت من ذكرهم
ووصفك اياهم وانما هذا من تصنيف الوراقين وتأليف المحسنين فقال له أبو العيناء فلم لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير
بالبذل والجود فأمسك عنه الوزير وتعجب الناس من اقدامه عليه (واستأذن) يوما على الوزير صاعد بن مخلد فقال له الحاجب
الوزير مشغول فانتظر فلما أبطأ اذنه قال للحاجب ما صنع الوزير قال يصلى قال صدقت لكل جديد لذة يعيره بأنه حديث
عهد بالاسلام (وقد كان أبو العيناء) دخل على المتوكل فى قصره المعروف بالجعفرى وذلك فى سنة ست وأربعين ومائتين
فقال له كيف قولك فى دارنا هذه فقال ان الناس بنوا الدور فى الدنيا وأنت بنيت الدنيا فى دارك فاستحسن ذلك ثم قال له

عصره عليه وصرف القاصدين وجوه التأميل اليه واجتلائهم أنوار رياسته الجليه
وكتبهم بعض المؤلفات باسمه ووقوفهم عند اشارته ورسمه وما ضاهى ذلك فى حظه
وقسمه وسعيهم بين يديه (اعلم) سلك الله بى وبك الطريق الاقوم الاقوى وحلى صدور
جميعنا بزينة التقوى أن لسان الدين ذكر فى كتبه كالاحاطة ونفاضة الجراب وغيرهما
جملة مما خاطبه به الملوك وغيرهم من تبجيل وتنويه ولنذكر بعض ذلك من كتبه ومن غيرها
تتميما للمقصود وتبليغا لنفوس الناظرين فى هذه العجالة ما تؤمله وتنويه فمن ذلك ما ذكره
فى الاحاطة من اكرام السلطان أبى زيان المرينى ابن الامير أبى عبد الرحمن ابن السلطان أبى
الحسن له وسرد ما كتب له به من قوله هذا ظهير الى قوله أيده الله ونصره وسنى له الفتح
المبين ويسره وبعد ما صورته للشيخ الفقيه الاجل الاسنى الاعز الاحظى الارفع الامجد
الاسمى الاوحد الانوه الارقى العالم العلم الرئيس الاعرف المتفنن الابرع المصنف المفيد
الصدر الاحفل الافضل الاكمل أبى عبد الله ابن الشيخ الفقيه الوزير الاجل الاسنى الاعز
الارفع

كيف شربك النبيذ فقال أعجز عن قليله وأفتضح من كثيره فقال له دع هذا عنك ونادمنا فقال أنا امرؤ محجوب والمحجوب تتخطرف اشارته ويجور قصده وينظر منه الى مالا ينظر اليه وكل من فى مجلسك يخدمك وأنا احب أن اخدم وأخرى لست آمن ان تنظر الى بعين راض وقلبك غضبان أو بقلب غضبان وعينك راضية ومتى لم أميز بين هاتين هلكت فأختار العافية على التعرض للبلاء واحفظ فقال بلغنا عنك بذاء قال يا أمير المؤمنين قد مدح الله تعالى وذم فقال نعم العبد انه اوّاب وقال جل ذكره هماز مشاء بنميم الآية فان لم يكن البذاء بمنزلة العقرب بالدغ النبي والذمى فلا ضير فى ذلك قال الشاعر

اذا أنا بالمعروف لم اثن صادقاً * ولم أشتم النكس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه * وشق لى الله المسامع والفما

قال من أين أنت قال من البصرة قال ما تقول فيها قال ماؤها أجاج وحرها عذاب وتطيب فى الوقت الذى تطيب فيه جهنم وكان وزيره عبد الله بن يحيى بن خاقان واقفا على رأسه قال ما تقول فى عبد الله بن يحيى بن خاقان قال نعم العبد منقسم بين طاعة الله تعالى وخدمتك ودخل ميمون بن ابراهيم صاحب ديوان البريد فقال له ما تقول فى ميمون قال يد تسرق واست تضرط هو بمنزلة يهودى قد سرق نصف خزينة له أقدام ومعه احجام احسانه تكليف واساءته طبيعة فاضحك ذلك منه ووصله وصرفه (وفى سنة) ثلاث وثمانين ومائتين وردت هدايا من قبل عمرو بن الليث الصفار مائة دابة من مهارى خراسان وجمارات كثيرة وصناديق كثيرة وأربعة آلاف ألف درهم وكان معها صنم من صفر على مثال امرأة لها أربعة أيد وعليها وشاحان من فضة مرصعان بالجوهر الاحمر والابيض وبين يدى هذا المثال أصنام صغار لها أيد ووجوه وعليها الحلى والجوهر وكان هذا التمثال على عجل قد عمل على مقدارها تجره الجمارات فصير بذلك اجمع الى دار المعتضد ثم رد هذا التمثال الى مجلس الشرطة فى الجانب الشرقى فنصب للناس ثلاثة أيام ثم رد الى دار المعتضد وذلك يوم الخميس لاربع خلون من شهر ربيع الآخر من هذه السنة فسمت العامة هذا التمثال شغلا لاشتغالهم عن أعمالهم بالنظر اليه عدة هذه الايام وقد كان عمرو بن الليث قد حمل هذا الصنم من مدن افتتحها من بلاد الهند ومن جبالها مما يلى بلاد بسط ومعبر وبلاد الدوار وهى ثغور فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مما يليها من الاكابر والامم المختلفة حضر وبدو فى الحضر بلاد كابل وبلاد داماجان وهى بلاد متصلة ببلاد زابلستان والرخج وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار الامم الماضية والملوك الغابرة أن زابلستان تعرف ببلاد فيروز بن كبك ملك زابلستان (وقد كان) عيسى بن على بن ماهان دخل فى طلب الخوارج فى أيام الرشيد الى السند وجبالها والقندهار والرخج وزابلستان يقتل و يفتح فتوحا لم يتقدم مثلها فى تلك الديار (فى ذلك) يقول الاعمى الشاعر المعروف بابن القذافى القمى

كاد عيسى يكون ذا القرنين * بلغ المغربين والمشرقين
لم يدع كابلا ولا زابلستا * ن فما حولها الى الرخجين

وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا الاخبار عن قلاع فيروز بن كبك الملك ببلاد زابلستان التى ليس فى قلاع العالم على ما ظهر للناس من ذوى العناية والتنقير ومن أكثر فى الارض المسير احصن منها ولا أمنع ولا أعلى فى الجو ولا أكثر عجائب منها ذكرنا عجائب تلك الديار الى بلاد الطبسين و بلاد خراسان واتصالها بسجستان وعجائب المشرقين والمغربين من عامر وغامر وما فى العالم من الامم المختلفة الخلق والخلق (وقد كان) أهل البصرة وردوا على المعتضد فى ... تقدم

رفع الامجد الوجيه الانوه الاحفل الافضل الحسيب الاصيل الاكمل المبرور المرحوم أبى محمد بن الخطيب قابله أيده الله بوجه القبول والاقبال وأضفى عليه ملابس الانعام والافضال ورعى له خدمة السلف الرفيع الجلال وما تقرر من مقاصده الحسنة فى خدمة أمرنا العال وأمر فى جملة ما سوّغه من الآلاء الوارفة الظلال الفسيحة المجال بان يجدد له حكم ما بيده من الاوامر المتقدم تاريخها المتضمنة تمشية خمسمائة دينار من الفضة العشرية فى كل شهر عن مرتب له ولولده الذى لنظره من مجبى مدينة سلا حرسها الله فى كل شهر ومن حيث جرت العادة أن يتمشى له ورفع الاعتراض ببابها فيما يجلب من الادم والاقوات على اختلافها من حيوان وسواه وفيما يستفيده خدامه بخارجها او أحوازها من عنب وقطن وكتان وفاكهة وخضر وغير ذلك فلا يطلب فى شئ من ذلك بغرم ولا وظيف ولا يتوجه فيه اليه بتكليف يتصل له حكم جميع ما ذكر فى كل عام تجديدا تاما واحتراما عاما أعلن بتجديد الحظوة واتصالها واتمام النعمة واكمالها من تواريخ الاوامر المذكورة الى

مشحمة بالشحم والنورة على ما في بحرهم ووفد فيها خلق من خطبائهم ومتكلميهم وأهل الرياسة والشرف والعلم منهم أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي وكان مولى آل جمح من قريش وكان ولي القضاء بعد ذلك يشكون الى المعتضد ما نزل بهم من محن الزمان وجدب لحقهم وجور من العمال اعتورهم وألحوا بالصياح والضجيج في مراكبهم في دجلة فجلس لهم المعتضد من وراء حجاب وأمر الوزير القاسم بن عبيد الله وغيره من كتاب الدواوين بالجلوس لهم من حيث يسمع المعتضد خطابهم فيقضون لهم بما يشكونه من حكم الدواوين ثم أذن للبصريين فدخلوا وأبو خليفة في أولهم عليهم الطيالسة الزرق والاقباع على رؤسهم ذوو عوارض جليلة وهيئة حسنة فاستحسن المعتضد ما رأى منهم وكان المبتدئ منهم بالنطق أبو خليفة فقال عمر العامر ودثر الظاهر واختلفت العواء وخسفت الجوزاء وناخت علينا المصائب واعتورتنا المحن وقام كل رجل منا في ظلمة واصطلمت الضياع وانخفضت القلاع فانظر الينا بعين الامام تستقم لك الايام وتنقاد لك الانام والاقصين البصريون لاندفع عن فضيلة ولا نتنافس عن جليلة وسجع في كلامه وأغرق في خطابه فقال له الوزير أحسبك مؤدبا أيها الشيخ فقال له أيها الوزير المؤدبون أجلسوك هذا المجلس قال له الوزير كم في خمس من الابل قال له أبو خليفة للخبير سألت في خمس من الابل شاة وفي العشر شاتان ثم مضى في وصف فرائض الابل واصفا لما يجب فيها اذا كثر التنازع في موضعه منها ثم شرع في البقر والغنم بلسان فصيح وخطاب حسن في ايجاز من خطاب وبيان من الوصف فبعث المعتضد وقد أعجبه ما سمعوا وأكثر لذلك من الفضل بخادم الى الوزير فقال له

ا كتب لهم عما يريدون واجبهم الى ما سألوه ولا تصرفهم الا شاكرين فهذا شيطان قذف به البحر ومثله فليقذف على الملوك (وكان) ابو خليفة لا يتكلف الاعراب بل قد صار له كالطبع لدوام استعماله اياه من عنفوان حداثته وكان ذا محل من الاسناد (وله أخبار) ونوادر حسان قد دونت (منها) أن بعض عمال الخراج بالبصرة كان مصروفا من عمله وأبو خليفة مصروفا عن قضائه فبعث العامل الى أبي خليفة ان مبرمان النحوي صاحب أبي العباس المبرد قد زارني نفسه في هذا اليوم الى بعض الانهار والبساتين فاتوه متنكرين مع من حضرنا من أصحابنا وسألوه الحضور معهم فجلسوا في سمارية متفكهين قد غيروا ظواهر زيهم حتى أتوا نهرا من أنهار البصرة وقدموا اليهم ما حملوا معهم من الطعام وكان أيام البادي وهي الايام التي يجر فيها التمر والرطب فيكبسونه في القواصر غمرا ويكونون حينئذ البساتين مشحونة بالرجال ممن يحمل في التمر من الاكرة وهم الزراع وغيرهم فلما أكلوا قال بعضهم لابي خليفة غير مكترث له خوفا أن يعرفه من حضر ممن ذكرنا من الاكرة والعمال في النخل أخبرني أطال الله بقاءك عن قول الله عز وجل قوا أنفسكم وأهليكم نارا هذه الواو وما موقعها من [illegible]عراب قال أبو خليفة موقعها رفع وقوله قوا هو أمر للجماعة من الرجال قال له كيف تقول للواحد من الرجال وللاثنين قال [illegible]ن الرجال ق وللاثنين قيا وللجماعة قوا قال كيف تقول للواحدة من النساء وللاثنتين منهن وللجماعة منهن [illegible] للواحدة قي وللاثنتين قيا وللجماعة قين قال فاسألك أن تعل بالعجلة كيف يقال للواحد من الرجال [illegible]ت من النساء والاثنتين منهن والجماعة منهن قال أبو خليفة ع لان قي قياه واقي قيا قين وكان بالقرب [illegible] سمعوا ذلك استعظموه وقالوا يا زنادقة أنتم تقرؤن القرآن بحرف الدجاج وعدوا عليهم [illegible]ليفة والقوم الذين كانوا معه من أيديهم الا بعد كد طويل (وقد أتينا) على نوادر أبي خليفة

الآن ومن الآن الى ما يأتي على الدوام واتصال الايام وأن يحمل جانبه فيمن يشركه أو يخدمه محمل الرعي والمحاشاة في السخر مهما عرضت والوظائف اذا افترضت حتى يتصل له تالد العناية بالطارف وتتضاعف أسباب المنن والعوارف بفضل الله وتحرر له الازواج التي يحرثها بالمغت من كل وجيبة وتحاشى من كل مغرم أو ضريبة بالتحرير التام بحول الله وعونه ومن وقف على هذا الظهير الكريم فليعمل بمقتضاه وليمض ما أمضاه ان شاء الله وكتب في العاشر من شهر ربيع الآخر من عام ثلاثة وستين وسبعمائة و كتب في التاريخ انتهى وقوله وكتب في التاريخ هو العلامة السلطانية في ذلك الزمان يكتب بقلم غليظ وبعض ملوك المغرب يكتب عند العلامة صح في التاريخ * وقد عرف لسان الدين في الاحاطة بهذا السلطان عما نصه محمد بن يعقوب بن عبد الرحمن بن علي أمير المسلمين بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق أمير المسلمين بالمغرب الى هذا العهد يكنى أبا زيان وصل الله نصره على عدو الدين وأرشده الى سنن الخلفاء المهتدين (حاله) فاضل سكون منقاد مشتغل بخاصة

وأخبارهم ومخاطبته لبغلته حين ألقته وما تكلم به حين دخول اللص الى داره وغير ذلك فى كتابنا الاوسط (وكانت) وفاة أبى خليفة بالبصرة فى سنة خمس وثلثمائة (وفى سنة) ست وثمانين ومائتين فى ربيع الاول نزل المعتضد على آمد وذلك بعد وفاة أحمد بن عيسى ابن الشيخ عبد الرزاق وقد تحصن بها ولده محمد بن أحمد بن عيسى بن عبد الرزاق فبث جيوشه حولها وحاصرها فحدث علقمة بن عبد الرزاق قال حدثنا رواحة بن عيسى بن عبد الملك عن شعلة بن شهاب اليشكرى قال وجهنى المعتضد الى محمد بن أحمد بن عيسى ابن الشيخ لآخذ الحجة عليه فلما سرت اليه واتصل الخبر بام الشريف أرسلت الى فقالت يا شهاب كيف خلفت أمير المؤمنين قال فقلت خلفته والله ملكا جذلا وحكما عدلا آمرا بالمعروف فعالا للخير متعززا على أهل الباطل متذللا للحق لا تأخذه فى الله لومة لائم قال فقالت لى هو والله أهل لذلك ومستحقه ومستوجبه وكيف لا يكون ذلك كذلك ... على بلاده وخليفته المؤتمن على عباده أعز به دينه وأحيا به سنته وثبت به شريعته ثم قالت لى وكيف ... ابن أخيها محمد بن أحمد قال فقلت رأيت غلاما حدثا معجبا قد استحوذ عليه السفهاء فاستمد بآرائهم وأنصت لأقوالهم فهم يزخرفون له الكلام ويوردونه الندم فقالت لى فهل لك أن ترجع اليه بكتاب فلعلنا أن نحل ما عقده السفهاء قال قلت أجل فكتبت اليه كتابا لطيفا أحسنا اجزلت فيه الموعظة وأخلصت فيه النصيحة وكتبت فى آخره هذه الابيات

اقبل نصيحة أم قلبها وجع * عليك خوفا واشفاقا وقل سددا
واستعمل الفكر فى قولى فانك ان * فكرت ألفيت فى قولى لك الرشدا
ولا تثق برجال فى قلوبهم * ضغائن تبعث الشنآن والحسدا ٢٧٩

مثل النعاج تجول فى بيوتهم * حتى اذا أمنوا ألفيتهم أسدا
وداو ذلك والادواء ممكنة * واذ طبيبك قد ألقى اليك يدا
وأعط الخليفة ما يرضيه منك ولا * تمنعه مالا ولا أهلا ولا ولدا
واردد أخا يشكر ردا يكون له * ردا من السوء لا تشمت به أحدا

قال فاخذت الكتاب وسرت به الى محمد بن أحمد فلما نظر فيه رمى به الى ثم قال

تأ... حسن الكلام حسن الشكل درب بركض الخيل مفوض للوزراء عظيم التأنى لاغراضهم ووكل الامور لمن استكفاه منهم استقدم من أرض النصارى بالاندلس وقد فر اليهم خوفا على نفسه فسمح به ملك الروم بعد اشتراط واشتطاط فكان وصوله الى مدينة الملك بفاس يوم الاثنين الثانى والعشرين لصفر عام ثلاثة وستين وسبعمائة ودخوله داره مغرب ليلة الجمعة بطالع الثامن من السرطان وبه السعد الاعظم كوكب المشترى من الكواكب السيارة وقد كان الوزير قيم الامر والمثل فى الكفاية والاستطلاع بالعظمة عمر بن عبد الله بن على اليابانى لما ثار بعمه السلطان أبى سالم رحمه الله تعالى وأقام الرسم باخيه المعتوه المدعو بابى عمر استدعى هذا المترجم به وقد نازله الامير عبد الحليم ابن عمهم وتوجه عنه رسوله أثناء الحصار لما رأى الامر لا يستقيم عن نصبه فتلطف فيه الى طاغية النصارى واستعان بالسلطان أبى عبد الله بن نصر وقد جمعتهما ايالته فتم له اللعاق بالمغرب وانصرف الامير عبد الحليم الى سجلماسة فتملكها وتم الامر للامير أبى زيان يقوم به عنه وزيره

يا أخا يشكر ما بآراء النساء تساس الدول ولا بعقولهن يساس الملك ارجع الى صاحبك فرجعت الى أمير المؤمنين فاخبرته الخبر عن حقه وصدقه فقال وأين كتاب أم الشريف قال فاظهرته فلما عرض عليه أعجبه شعرها وعقلها ثم قال والله انى لا رجو ان أشفعها فى كثير من القوم فلما كان فى فتح آمد ما كان ونزل محمد بن أحمد على الامان لما عظم القتال وجه الى أمير المؤمنين فقال يا شعلة بن شهاب هل عندكم علم من أم الشريف قال قلت لا والله يا أمير المؤمنين قال امض مع هذا الخادم فانك تجدها فى جملة نسائها قال فمضيت فلما بصرت بى أسفرت عن وجهها وأنشأت تقول

ريب الزمان وصرفه * وعتوه كشف القناعا
وأذل بعد العز منا الصعب والبطل الشجاعا
ولقد نصحت فما أطعت وكم حرصت بان أطاعا
فأبى بنا المقدور الا أن نقسم أو نباعا
يا ليت شعرى هل نرى * يوما لفرقتنا اجتماعا

قال ثم بكت وضربت بيدها على الاخرى ثم قالت لى يا شهاب كأنى والله كنت أرى ما أرى فانا لله وانا اليه راجعون قال فقلت لها ان أمير المؤمنين قد وجهنى اليك وما ذاك الا لحسن رأيه فيك قالت فهل لك أن توصل اليه كتابى هذا عافيه قلت نعم فكتبت اليه بهذه الابيات

قل للخليفة والامام المرتضى * رأس الخلائق من قريش الابطح
بك أصلح الله البلاد وأهلها * بعد الفساد وطالما لم تصلح
وتزحزحت بك قبة العز التى * لولاك بعد الله لم تتزحزح
وأرى الذى ما تحب فلا ترى * ما لا يحب فجد بعفوك واصفح

يا بهجة الدنيا وبدر ملوكها * هب ظالمي ومفسدي لمصلح قال فأخذت الكتاب وسرت به الى أمير المؤمنين فلما عرضت عليه الابيات أعجبته وأمر أن يحمل اليها تخوت من الثياب وجملة من المال والى ابن أخيها محمد بن أحمد مثل ذلك وشفعها فى كثير من أهلها ممن عظم جرمه واستحق العقوبة عليه (وكتب) المعتضد الى أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف بمواقعة رافع بن هرثمة وذلك فى سنة سبع وسبعين ومائتين فسار أحمد بن عبد العزيز الى رافع والتقوا بالرى لسبع بقين من ذى القعدة من هذه السنة وأقامت الحرب بينهم أياما ثم كانت على رافع بن هرثمة فولى وركب أصحاب ابن أبى دلف أكتافهم واستولوا على عسكرهم وكان وصول هذا الخبر الى بغداد لست خلون من ذى الحجة من هذه السنة (وفى سنة) ثمانين ومائتين أخذ ببغداد رجل يعرف بمحمد بن الحسن بن سهل ابن أخى ذى الرياستين الفضل بن سهل يلقب بشميلة ومعه عبد الله بن المهتدى ولمحمد ابن الحسن بن سهل هذا تصنيفات فى أخبار المبيضة وله كتاب مؤلف فى أخبار على بن محمد صاحب الزنج على حسب ماذكرنا من أمره فيما سلف من هذا الكتاب فأقر عليه جماعة من المستأمنة من عسكر العلوى وأصيبت له جرائد فيها أسماء رجال قد أخذ عليهم البيعة لرجل من آل أبى طالب وكانوا قد عزموا على أن يظهروا ببغداد فى يوم بعينه ويقتلوا المعتضد فادخلوا الى المعتضد فأبى من كان مع محمد بن الحسن أن يقروا وقالوا أما الرجل الطالبى فانا لانعرفه وقد أخذت علينا البيعة له ولم نره وهذا كان الواسطة بيننا وبينه يعنون محمد بن الحسن فأمر بهم فقتلوا واستبقى شميلة طمعا فى أن يدله على الطالبى وخلى عبيد الله بن المهتدى لعلمه ببراءته ثم أراد المعتضد بالله محمد بن الحسن بجميع الجهات أن يدله على الطالبى الذى أخذ له العهد على الرجال فأبى وجرى بينه وبين المعتضد خطب طويل وكان فى مخاطبته للمعتضد أن قال لو شويتنى على النار مازدتك على ما سمعته منى ولم أقر على من دعوت الناس الى طاعته وأقررت بامامته فاصنع ما أنت له صانع فقال له المعتضد لسنا نعذبك الا بما ذكرت فذكر أنه جعل فى حديدة طويلة أدخلت فى دبره وأخرجت من فمه وأمسك باطرافها على نار عظيمة حتى مات بحضرة المعتضد فكل وهو يسبه ويقول فيه العظائم والاشهر أنه جعل بين رماح ثلاثة وشد أطرافها وكتف وجعل فوق النار من غير أن يمسها وهو فى الحياة يدار عليها ويشوى كما تشوى الدجاج وغيرها الى ان تفرقع جسمه وأخرج فصلب بين الجسرين من الجانب الغربى (وفى هذه السنة) كان خروج المعتضد فى طلب الاعراب من بنى شيبان وكانوا عتوا وأكثروا الفساد وأوقع بهم مما يلى الجزيرة والدواب فى الموضع المعروف بوادى الذئاب فقتل وأسر وساق الذرارى وسار الى الموصل (وفى هذه السنة) افتتح أبو عبيد الله بن أبى الساج المراغة من بلاد أذربيجان فقبض على عبد الله بن الحسن واستبقى أمواله ثم أتى عليه بعد ذلك (وفى هذه السنة) كانت وفاة أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف (وفى هذه السنة) افتتح أحمد بن ثور عمان وكان مسيره اليها من بلاد البحرين ذوا قع الشراة من الاباضية وكانوا فى نحو من مائتى ألف وكان أمامهم الصلت بن مالك ببلاد دبر وامن أرض عمان وكانت له عليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة وحمل كثيرا من رؤسهم الى بغداد (وفيها) دخل المعتضد بغداد منصرفا من الجزيرة (وفى هذه السنة) كان دخول عمرو بن الليث نيسابور (وفى هذه السنة) نقلت ابنة محمد بن أبى الساج الى بدر غلام المعتضد وقد أتينا على خبر ابن أبى الساج وما كان من تزويجه ابنته لبدر بحضرة المعتضد وما كان من خبر ابن أبى الساج ورحلته عن باب خراسان متوجها الى أذربيجان فى الكتاب الاوسط (وفى هذه السنة) سار اسمعيل بن احمد بعد وفاة أخيه نصر بن أحمد

ومستدعيه المذكور مصنوعا له فى خدمته أعانه الله تعالى وأصلح حال وأحوال الخلق على يديه ووفدت عليه من محل الانقطاع بسلا وأنشدته قولى

لمن علم فى هضبة الملك خفاق * أفاقت به من غشية الهرج آفاق
تقل رياح النصر عنه غمامة * تمد لها أيد وتخضع أعناق
وبيعة شورى أحكم السعد عقدها * وأعمل اجماع عليها واصفاق
قضى عمر فيها بحق محمد * فسجل عهد للوفاء وميثاق
أحلما ترى عيناى ام هى فترة * أعندكما فى مشكل الامر مصداق
وفاض لفضل الله فى الارض تبتغى * ومجتمعات لاتريب وأسواق
وسرح تهنيه الكلاءة بالكلا * وفلج لسقى الغيث قام له ساق
وقد كان طيف الحلم لايعمل الخطا * وللفتنة العمياء فى الارض اطباق
وللغيث امساك وفى الارض رجة * وللدين والدنيا وجوم واطراق

استيلائه على امرة خراسان الى ارض الترك ففتح المدينة الموصوفة من مدنهم بدار الملك وأسر خاتون زوجة الملك وأسر خمسة
شر الفا من الترك وقتل منهم عشرة آلاف ويقال ان هذا الملك يقال له طفكس وهذا الاسم سمة لكل ملك ملك هذا البلد
ن ملوكهم وأراه من الجنسين المعروفين بالخلجية وقد أتينا فيما سلف من هذا الكتاب على جمل من أخبار الترك وأجناسهم
أوطانهم وكذلك فيما سلف من كتبنا (وفي سنة) احدى وثمانين ومائتين كانت الحرب بين وصيف خادم ابن أبي الساج
عمرو بن عبد العزيز ببلاد الجبل وكان من امره ما ذكرنا فيما سلف من كتبنا وكان المعتضد خرج في هذه السنة الى الجبل لامور
لغته منها قصة محمد بن زيد العلوي الحسني صاحب بلاد طبرستان فولى ولده عليا المكتفي الري وأنزله بها واضاف اليه
زوين وأرجان وابهر وقم وهمذان وانصرف المعتضد الى بغداد وقد قلد عمرو بن عبد العزيز اصبهان وكرخ بعد ابن ابي دلف
فيها استأمن الى المكتفي على كوره وسار الى المعتضد في عدة كثيرة وفيها سار طغج بن شدت بن الاخشيد صاحب مصر في هذا
الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في عساكر كثيرة من دمشق فدخل طرسوس غازيا وافتتح لوريه مما يلي بلاد برغوث
وب الراهب (وفي هذه السنة) نزل المعتضد على حمدان بن حمدون وقد تحصن في القلعة المعروفة بالصوارة نحو عين
فران وسار ع اسحق بن ايوب العنبري ومن كان معه من أصحابه الى المعتضد وقد أتينا على خبر حمدان بن حمدون وما كان
ن امره وصعوده الجبل الجودي وعبوره دجلة وكاتبه النصراني ودخول عسكر المعتضد ليلا الى اسحق بن يعقوب حتى اتى به
لى المعتضد وانتزاب المعتضد لهذه القلعة وقد كان حمدان أنفق عليها أموالا جليلة وهو حمدان بن حمدون
ابن الحرث بن منصور بن
لقمان وهو جد أبي محمد
الحسن بن عبد الله الملقب
بناصر الدولة في هذا الوقت
وهو سنة اثنتين وثلاثين
وثلثمائة وما كان من
الحسن بن حمدان في طلبه
هرون الشاري وما كان من
أخذ الحسين بن حمدان
اياه بعد هذا الموضع فيما
يرد من هذا الكتاب (قال
المسعودي) وفي سنة اثنتين
وثمانين ومائتين ذبح أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون بدمشق في ذي القعدة وقد كان بنى في سفح الجبل أسفل من دير
مروان قصرا وكان يشرب فيه في تلك الليلة وعنده طغج وكان الذي تولى ذلك خادما من خدمهم وأتى بهم على أميال فقتلوا
وصلبوا ومنهم من رمي بالنشاب ومنهم من شرح لحمه من أفخاذه وعجيزته وأكله السودان مماليك أبي الجيش وقد أتينا على أخبار
الخدم من السودان والصقالبة والروم والصين وذلك أن أهل الصين يخصون كثيرا من أولادهم كفعل الروم باولادهم وما
يحدث عليه الخصيان من التضاد وذلك لما حدث بهم من قطع هذا العضو في كتابنا أخبار الزمان وما أحدثته الطبيعة عند الفلاسفة
فيهم عند ذلك كما قاله الناس فيهم وما ذكروه من الصفات (وذكر المدائني) أن معاوية بن أبي سفيان دخل ذات يوم على امرأته
فاختة وكانت ذات عقل وحزم ومعه خصي وكانت مكشوفة الرأس فلما رأت معه الخصي غطت رأسها فقال لها معاوية انه
خصي فقالت يا أمير المؤمنين أترى المثلة به أحلت له ما حرم الله عليه فاسترجع معاوية وعلم ان الحق ما قالته فلم يدخل بعد ذلك
على حرمه خادما وان كان كبيرا فانيا (وقد تكلم) الناس فيهم وذكروا الفرق بين المجبوب والمسلوت وأنهم رجال مع النساء
ونساء مع الرجال وهذا خلف من الكلام وفاسد من المقال بل هم رجال وليس في عدم عضو من أعضاء الجسد ما يوجب
ما قالوا ما ذكروا ولا عدم نبت اللحية محيلا لهم عما وصفوا ومن زعم أنهم بالنساء أشبه فقد أخبر عن تغيير فعل الباري جل
وعز لانه خلقهم رجالا ذكرانا الا انا تأولنا في الجناية عليهم ما يقلب أعيانهم ويزيل خلق الباري جل وعز وقد قلنا في علة

فكل فريق فيه للبغي راية	وكل طريق فيه للغيث طراق
أجل انه من آل يعقوب وارث	يحن له البيت العتيق ويشتاق
له من جناح الروح ظل مصحف	ومن رفرف العز الالهي رستاق
اطل على الدنيا وقد عاد ضوءها	دجى وعلى الاحداق للذعر احداق
فاشرقت الارجاء من نور ربها	وساح بها لله لطف واشفاق
فمن ألسن لله بالشكر أعلنت	وكان لها من قبل همس واطباق
وليس لامر ابرم الله ناقض	وليس لمسعى النجح في الله اخفاق
محمد قد احييت دين محمد	وللخلق أذماء تفيض وأرماق
ولولم تنب غطى على شفق الضحى	دم لسيوف البغي في الارض مهراق
فأين يعتصون من الفلك سابح	له باختيار الله حط وايساق
اقلك والدأماء تظهر طاعة	اليك وصفع الماء أزرق رقراق

هدم نتن الآباط فى الخدم وما قالته الفلاسفة فيما سلف من كتبنا الان الخادم بطىء لا يوجد لآباطه رائحة وهذا من فضائ
الخدم (وحمل أبو الجيش) فى تابوت الى مصر وورد الخبر بذلك الى مصر فاخرج من التابوت وجعل على السرير وذلك على باب
مصر وخرج ولده الامير جيش وسائر الامراء والاولياء فتقدم القاضى أبو عبيد الله محمد بن عبدة المعروف بالعبدانى وصلى عليه
وذلك فى الليل فحكى أبو بشر الدولابى عن أبى عبد الله النجارى وكان شيخا من أهل العراق وكان يقرأ فى دور آل طولون
ومقابرهم أنه كان بات فى تلك الليلة ممن يقرأ عند القبر وقد قدم أبو الجيش ليدلى فى القبر ونحن نقرأ جماعة من القراء سبع
سورة الدخان فاحدر من السرير ودلى فى القبر وانتهينا من السورة فى هذا الوقت الى قوله عز وجل خذوه فاعتلوه الى سواء
الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انك أنت العزيز الكريم قال فخفضنا اصواتنا وأذعرنا حياء ممن حضر (وممـ
ذكر) من خبر المعتضد وحزمه فى الامور وحيله أنه أطلق من بيت المال لبعض الرسوم فى الجند عشر بدر فحملت الى منز
صاحب عطاء الجيش ليصرفها فيهم فنقب منزله فى تلك الليلة واخذت العشر البدر فلما أصبح نظر الى النقب ولم ير المال فا
باحضار صاحب الحرس وكان على الحرس يومئذ مؤنس الفحلى فلما أتاه قال له ان هذا المال للسلطان والجند ومتى لم تأت
أو بالذى نقبه واخذ المال ألزمك امير المؤمنين غرمه فخذ فى طلبه وطلب اللص الذى جسر على هذا الفعل فصار الى مجلسه
واحضر التوابين والشرط والتوابون هم شيوخ انواع اللصوص الذين قد كبروا وتابوا فاذا جرت حادثة علموا من فعل من هو
فدلوا عليه وربما يتقاسمون اللصوص ما سرقوه فتقدم اليهم فى الطلب وتهددهم واوعدهم وطالبهـ
فتفرق القوم فى الدروب
والاسواق والغرف
والمواخير ودكاكين
الرواسين ودور القمار فما
لبثوا أن احضروا رجلا
نحيفا ضعيف الجسم رث
الكسوة هين الحالة فقالوا
ياسيدى هذا صاحب
الفعلة وهو غريب من غير
هذا البلد واطبق القوم
كلهم على انه صاحب النقب
ولص المال فاقبل عليه
مؤنس الفحلى فقال له ويلك من كان معك ومن اعانك واين اصحابك ما اظنك تقدر على عشر بدر فمن
وحدك فى ليلة ما كنتم الا عشرة واقل ذلك خمسة فاقر لى بالمال ان كان مجتمعا وعلى اصحابك ان كان المال قد قسم فما زاده على
الانكار شيأ فاقبل يترفق به ويعده أن يثيبه ويرزقه ويعظم جائزته ويعده بكل جميل على رده والاقرار به ويتوعده بكل مكروه
على جحوده وانكاره فلما غاظه ذلك وانكره ويئس من اقراره أخذ فى عقوبته ومساءلته فضربه بالسوط والقلوس والمقارع
والدرة على ظهره وبطنه وقفاه ورأسه واسفل رجليه وكعابه وعضله حتى لم يكن للضرب فيه موضع وبلغ به ذلك الى حالة
لا يعقل فيها ولا ينطق فلم يقر بشئ فبلغ ذلك المعتضد فاحضر صاحب الجيش فقال له ما صنعت فى المال فاخبره الخبر فقال له
ويلك تاخذ لصا قد سرق من بيت المال عشر بدر فتبلغ به الموت والتلف حتى يهلك الرجل ويضيع المال فاين حيل الرجال
فاتى به وقد حمل فى جل فوضع بين يديه وقد عقل فساله فانكر فقال له ويلك ان مت لم ينفعك وان برئت من هذا الضرب ا
أدعك تصل اليه فلك الامان والضمان على ما تصلح به حالتك ويحمد به أمرك فابى الا الانكار فقال على باهل الطب فاحضرو
فقال خذوا هذا الرجل اليكم فعالجوه بارفق العلاج واطلوا عليه بالمراهم والغذاء والتعاهد واجتهدوا ان تبرؤه فى اسرع
وقت فاخذوه اليهم واخرج ما لا مكان المال وأمر بتفريقه على الجند فقال انه برئ وصلح فى ايام يسيرة ثم واظبوا عليه بالطعام
والشراب والوطاء والطيب حتى صح وقوى جسمه وظهر لونه ورجعت اليه نفسه ثم ذكره فامر باحضاره فلما حضر بين يديه

الى هدف السعد انبرى منه والدجى * يضل الحجا سهم من السعد رشاق
نخطت لتقويم القوام جداول * وصحت من التوفيق واليمن أوفاق
تباركت من اهداك للخلق رحمة * ومستبعد أن يهمل الخلق خلاق
هو الله يبلوا الناس بالخير فتنة * وبالشر والايام سم وترياق
سمت منك أعناق الورى لخليفة * له فى مجال السعد عدو واعناق
وقالوا بنان ما استقل بكفه * تفيض على العافين أم هى أرزاق
وأطنب فيك المادحون وأغرقوا * فلم يجد اطناب ولم يغن اغراق
ألست من القوم الذين اكفهم * غمام ندى ان اخلف الغيث غيداق
ألست من القوم الذين وجوههم * بدور لها فى ظلمة الروع اشراق
رياض اذا العافى استظل ظلالها * ففيها جنى ملء الاكف وايراق
أبوك ولى العهد لو سالم الردى * وجدك قد فاق الملوك وان فاقوا

ساله عن حاله فدعا وشكر وقال انا بخير ما ابقى الله امير المؤمنين ثم ساله عن المال فعاد الى الانكار فقال له ويلك لست تخلو من ان تكون اخذته وحدك كله او وصل اليك بعضه فان كنت اخذته كله فانك تنفقه فى اكل وشرب ولهو ولا اظنك تفنيه قبل موتك وان مت فعليك وزره وان كنت اخذت بعضه سمحنا لك به فاقر على اصحابك فانى اقتلك ان لم تقر ولا ينفعك بقاء المال بعدك ولا يبالى اصحابك بقتلك ومتى اقررت دفعت اليك عشرة آلاف درهم واخذت لك من اصحاب الجسر مثل ذلك وسمتك من التوابين واجريت لك فى كل شهر عشرة دنانير تكفيك لاكلك وشربك وكسوتك وطيبك وتكون عزيزا وتنجو من القتل وتتخلص من الاثم فابى الا الانكار فاستحلفه بالله واظهر له مصحفا فحلف عليه فقال انى ساظهر على المال فان انا ظهرت عليه بعد هذه اليمين قتلتك ولم استبقك فابى الا الانكار فقال له فضع يدك على راسى واحلف بحياتى فوضع يده على راسه وحلف بحياته انه ما اخذه وانه مظلوم متهم وان التوابين قد تبرؤا به فقال له المعتضد فان كنت قد كذبت قتلتك وانا برىء من دمك ثم قام باحضار ثلاثين اسود بحيث يراهم ويرونه وامرهم ان يتناوبوا فى ملازمته فاتت عليه ايام وهو قاعد لا يتكئ ولا ينام ولا يضطجع وكلما خفق خفقة وجئ فكه وقمع راسه حتى اذا ضعف وقارب التلف امر باحضاره فاعاد عليه ما كان طلبه به واستحلفه بالله وبغير ذلك من الايمان فحلف على ذلك كله وعالم يستحلفه به انه ما اخذ المال ولا يعرف من اخذه فقال المعتضد لمن حضر قلبى يشهد انه برىء وان ما يقول حق وان التوابين قد عرفوا صاحبه وقد اثمنا فى هذا الرجل وساله ان يجعله فى حل ففعل ثم امر باحضار مائدة عليها طعام واحضر باردا الشراب وامره بالجلوس والاكل والشرب فاقبل ياكل ويشرب ويحث على الاكل ويلقم ويعاد الشراب عليه ويكرر حتى لم يبق للاكل والشرب موضع ثم امر ببخور وطيب فبخر وطيب واتى له بحشية ريش فوطئ له ومهد فلما استلقى واستراح وغفا امر بازعاجه وسرعة ايقاظه فحمل من موضعه حتى اقعد بين يديه وفى عينيه الوسن فقال له حدثنى كيف صنعت وكيف نقبت ومن اين خرجت والى اين ذهبت بالمال ومن كان معك قال ما كنت الا وحدى وخرجت من النقب الذى دخلت منه وكان مقابل الدار حمام له كوم شوك يوقد به فاخذت المال ورفعت ذلك الشوك والقمام والقصب فوضعته تحته وغطيته وهو هنالك فامر برده الى فراشه فردوه واضجعوه عليه ثم امر باحضار المال فاحضر عن آخره واحضر مؤنس العجلى واحضر الوزير والجلساء وقد غطى المال بالبساط ناحية من المجلس ثم امر بايقاظ اللص وقد اكتفى فى النوم وذهب عنه الوسن فقال له بحضرة الجميع مثل قوله الاول فجحد وانكر فامر بكشف البساط وقال له ويلك اليس هذا المال اليس فعلت كذا وكذا يصف له ما كان حدثه به فسقط فى يد اللص ثم امر فقبض على يديه ورجليه واوثق ثم امر بمنفاخ فنفخ فى دبره واتى بقطن فحشى فى اذنيه وفمه وخيشومه واقبل ينفخ وخلى عن يديه ورجليه من الوثاق وامسك بالايدى وقد صار كاعظم ما يكون من الزقاق المنفوخة وقد ورم سائر اعضائه وعظم جسمه وعيناه قد امتلأتا وبرزتا فلما كاد ان ينشق امر بعض الاطباء فضربه فى عرقين فوق الحاجبين وهما فى الجبين فاقبلت الريح تخرج منهما مع الدم ولها صوت وصفير الى ان خمد وتلف وكان ذلك اعظم منظر روى فى ذلك اليوم من العذاب وقيل ان البدر كانت عيناه وان عددها كان اكثر مما وصفنا (وقد كان ببغداد رجل) يتكلم على الطريق ويقص على الناس باخبار ونوادر ومضاحك ويعرف بابن المغازلى وكان فى نهاية الحذق لا يستطيع من يراه ويسمع كلامه ان لا يضحك قال ابن المغازلى فوقفت يوما فى خلافة المعتضد على باب الخاصة اضحك وانادى

فمن ذا له جد كجدك أو أب * لآلئ والمجد المؤثل نساق
وحسب العلا فى آل يعقوب انهم * هم الاصل فى العلياء والناس الحاق
اسود سروج او بدور اسرة * فان حاربوا راعوا وان سالموا راقوا
يطول لتحصيل الكمال سهادهم * فهم للمعالى والمكارم عشاق

ومنها

لئن نسيت احسان جدك فرقة * تزرع على اعناقهم منه اطواق
اجازت خروج ابن ابنه عن تراثه * ولم تدر ما ضمت من الذكر اوراق
ومن دون ما راموه لله قدرة * ومن دون ما راموه للفتح اغلاق
خذ العفو وابذل فيهم العرف وليسع * جريرة من ابدى لك الغدر اخلاق
فربتما تنبو مهندة الظبا * وتهفو حلوم القوم والقوم حذاق
وما الناس الا مذنب وابن مذنب * ولله ارفاد عليهم وارفاق

فحضر حلقتي بعض خدمة المعتضد فأخذت في حكاية الخدم فأعجب الخادم بحكايتي وأشغف بنوادري ثم انصرف عني فلم يلبث أن عاد وأخذ بيدي وقال اني لما انصرفت عن حلقتك دخلت فوقفت بين يدي المعتضد أمير المؤمنين فذكرت حكايتك وما جرى من نوادرك فاستضحكت فرآني أمير المؤمنين فانكر ذلك مني وقال ويلك مالك فقلت يا أمير المؤمنين على الباب رجل يعرف بابن المغازلي يضحك ويحاكي ولا يدع حكاية اعرابي وتركي ومكي ونحوي ونبطي وزنجي وسندي وخادم الا حكاها ويخلط ذلك بنوادر تضحك الثكول وتصبي الحليم وقد أمرني باحضارك ولي نصف جائزتك فقلت له وقد طمعت في الجائزة السنية ياسيدي أنا ضعيف وعلي عيلة وقد من الله علي بك فما عليك ان أخذت بعضها سدسها أو ربعها فأبى الا النصف فطمعت في النصف وقنعت به فأخذ بيدي وادخلني عليه فسلمت واحسنت ووقفت في الموضع الذي أوقفت فيه فرد علي السلام وقد كان ينظر في كتاب فلما نظر في أكثره أطبقه ثم رفع رأسه الي وقال انت ابن المغازلي قلت نعم يا امير المؤمنين قال قد بلغني انك تحكي وتضحك وانك تأتي بحكايات عجيبة ونوادر ظريفة قلت نعم يا امير المؤمنين الحاجة تفتق الحيلة أجمع بها الناس وأتقرب الى قلوبهم بحكايتها التمس برهم وأتعيش بما أناله منهم قال فهات ما عندك وخذ في فنك فان اضحكتني اجزتك بخمسمائة درهم وان لم اضحك فمالي عليك فقلت للحين والخذلان مامعي الا قفاي فاصفعه ما احببت وكم شئت وبما شئت فقال لي قد انصفت ان أضحكت فلك ما ضمنت وان أنا لم أضحك صفعتك بهذا الجراب عشر صفعات فقلت في نفسي ملك لا يصفع الا بشئ يسير وبشئ خفيف هين ثم التفت واذا أنا بجراب أدم ناعم في زاوية البيت فقلت في نفسي ما أخطأ حزري ولا أخاف ظني وما عسى أن يكون من جراب فيه ريح ان أنا أضحكته ربحت وان أنا لم أضحكه فأمر عشر صفعات بجراب منفوخ هين ثم أخذت في النوادر والحكايات والنفاسة والعبارة فلم أدع حكاية اعرابي ولا نحوي ولا مخنث ولا قاض ولا زطي ولا نبطي ولا سندي ولا زنجي ولا خادم ولا شطارة ولا عبارة ولا نادرة ولا حكاية الا احضرتها وأتيت بها حتى نفد جميع ما عندي وتصدع رأسي ولم يبق ولي

ورائي خادم الا هرب ولا غلام الا ذهب لما استفزهم الضحك وورد عليهم من الامر فقلت يا أمير المؤمنين قد نفد والله ما معي وتصدع رأسي وذهب معاشي وما رأيت قط مثلك وما بقيت لي الا نادرة واحدة فقال هاتها فقلت يا أمير المؤمنين وعدتني أن تصفعني عشرا وجعلتها امكان الجائزة فاسألك ان تضعف الجائزة وتضيف اليها عشرا فاراد أن يضحك فاستمسك ثم قال افعل يا غلام خذ بيده فأخذ بيدي ومددت قفاي فصفعت بالجراب صفعة فكأنما سقط على قفاي قلعة واذا فيه حصى مدور كأنه صنجات فصفعت به عشرا كادت أن تنفصل رقبتي وينكسر عنقي وطنت أذناي وقدح الشعاع من عيني فلما استوفيت العشرة صحت ياسيدي نصيحة فرفع الصفع عني بعد أن عزم على ايفاء ما كنت سألته من اضعاف جائزتي فقال ما نصيحتك قلت ياسيدي انه ليس في الدنيا أحسن من الامانة ولا اقبح من الخيانة وقد ضمنت للخادم الذي أدخلني عليك نصف هذه الجائزة على قلتها أو كثرتها وامير المؤمنين أطال الله بقاءه بفضله وكرمه قد اضعفها فقد استوفيت نصفها وبقي لخادمك نصفها فضحك حتى استلقى واستفزه ما كان قد سمعه مني أولا وتحامل له وصبر عليه فما زال يضرب بيده ويفحص برجله ويمسك بمراق بطنه حتى اذا سكن ضحكه ورجعت اليه نفسه قال علي بفلان الخادم فأتي به وكان طوالا فأمر بصفعه فقال يا أمير المؤمنين أي شئ قضيتي وأي جنايتي جنايتي فقلت له هذه جائزتي وأنت شريكي وقد استوفيت نصفها وبقي نصيبك منها فلما أخذه الصفع

ولا ترج في كل الامور سوى الذي * خزائنه ماضرها قط انفاق
اذا هو أعطى لم يضر منع مانع * وان حشدت طسم وعاد وعملاق
عرفت الردى واستأثرت بك للعدا * تحوم بغيظ الصليب وأعماق
فيسر لليسرى وأحيابك الورى * وللروع ارعاد عليك وابراق
فحاز صنيع الله وازدد بشكره * مواهب جود غيثها الدهر دفاق
وأوف لمن أوفى وكاف الذي كفى * فانت كريم طهرت منك أعراق
وتهنيك يا مولى الملوك خلافة * شهدتها تباريح اليك وأشواق
وقد بلغت أقصى المنى بك نفسها * وكم فاز بالوصل المهنا مشتاق
فلا راع منها السرب للدهر رائع * ولا نال منها جدة السعد اخلاق
أمولاي راع الدهر سربي وغالني * فطرفي مذعور وقلبي خفاق
وليس لكسري غيرك اليوم جابر * ولا ليدي الا بجدك اعلاق

وطرق قفاه الصافع أقبلت عليه أقول له أقول لك انى ضعيف معيل وشكوت اليك الحاجة والمسكنة وأقول ياسيدى
لا تأخذ نصفها لك سدسها لك ربعها وأنت تقول ما آخذ الا نصفها ولو علمت أن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه جوائزه صفع
وهبتها لك كلها فعاد الى الضحك من قولى للقادم وعتابى له فلما استوفى صفعه وسكن أمير المؤمنين من ضحكه أخرج من تحت
مسكائه صرة قد كان أعدها فيها خمسمائة درهم ثم قال له وقد أراد الانصراف قف هذه كنت أعددتها لك فلم يدعك فضولك
حتى أحضرت لك شريكا فيها ولعلنى كنت أمنعه منها فقلت يا أمير المؤمنين وأين الامانة وقبح الخيانة وودت أنك كنت
تدفعها كلها اليه وتصفعه مع العشرة عشرة أخرى وتدفع له الخمسمائة درهم فقسم الدراهم بيننا وانصرفنا (وفى سنة) اثنتين
وثمانين ومائتين كانت وفاة اسمعيل بن اسحق القاضى والحرث بن أبى أسامة وبلال بن العلاء الرقى (وفى سنة) ثلاث
وثمانين ومائتين نزل المعتضد تكريت وسار الحسين بن حمدان فى الاولياء لحرب هرون الشارى فكانت بينهم حروب عظيمة
ثم أتت الحسين بن حمدان عليه فاتى به المعتضد أسيرا بغير أمان ومعه أخوه فدخل المعتضد بغداد وقد نصبت له القباب وزينت
الطرقات وعبى المعتضد بالله جيوشه بباب الشماسية أحسن ما يكون من التعبية وأكمل هيئة فاشتقوا بغداد الى القصر
المعروف بالحسنى ثم خلع المعتضد على الحسين بن حمدان خلعا شرفه بها وطوقه بطوق من ذهب وخلع على جماعة من فرسانه
ورؤساء أصحابه وأهله وشهرهم فى الناس كرامة لما كان من فعلهم وحسن بلائهم ثم أمر بالشارى فاركب فيلا وعليه دراعة
ديباج وعلى رأسه برنس خز طويل وخلفه أخوه على جمل فالج وهو ذو السنامين وعليه دراعة ديباج

ولى فيك ود واعتداد غرسته * فراقت به من يانع الحمد أوراق
وقد عيل صبرى فى ارتقابى خليفة * تحل به للضر عنى أوهاق
وأنت حسام الله والله ناصر * وأنت أمين الله والله رزاق
وأنت الامان المستجار من الردى * اذا راع خطب أو توقع املاق
وأهون ما ترجى لديك شفاعة * اذا لم يكن عزم حثيث وارهاق
ودونكها من ذائع الحمد مخلص * له فيك تشييد بروق واطلاق
اذا قال أصاخ كل سمع لقوله * وصح وأما كل أنف فنشاق
ودم خافق الاعلام بالنصر كلما * ذهبت لمسعى لم يكن فيه اخفاق

ووجدت منه بر كثير واحترام شهير (دخوله غرناطة) لحق بها مفلتا عند القبض على قرابته
بنى عمه وتقريبهم الى مصارعهم فكان وصوله فى رمضان من عام خمسين وسبعمائة ثم
نه راتب لحق لأجله بصاحب قشتالة وأقام فى جملته الى حين استدعائه المتقرر آنفا وهو

وبرنس خز وسيرهم فى اثر الحسين بن حمدان وأصحابه ثم دخل المعتضد فى اثره عليه قباء أسود وقلنسوة محدودة على فرس صاف عن يساره أخوه عبدالله ابن الموفق وخلفه بدر غلامه وأبو القاسم وعبيدالله ابن سليمان بن وهب وزيره وابنه القاسم بن عبيدالله فاكثر الناس الدعاء له وتكاثف الناس
فى منصرفهم من الجانب الشرقى الى الغربى فانخسف بهم كرسى الجسر الاعلى وسقط على زورق
فيه ناس فغرق فى هذا اليوم نحو من ألف نفس ممن عرف دون من لم يعرف واستخرج الناس من دجلة بالكلاليب
والغاصة وارتفع الضجيج وكثر الصراخ من الجانبين جميعا فبينما الناس كذلك اذ أخرج بعض الغاصة صبيا عليه حلى
من ذهب وجوهر فبصر به شيخ من النظارة طرار فجعل يلطم وجهه حتى دمى أنفه ثم تمرغ فى التراب وأظهر انه ابنه
وجعل يقول ياسيدى لم تمت اذ أخرجوك صحيحا سويا لم يأكلك السمك ولم تمت حبيبى اذ كحلت عينى بك مرة قبل الموت وأخذه
فحمله على حمار ثم مضى به فما برح القوم الذين رأوا من الشيخ ما رأوا حتى أقبل رجل معروف باليسار مشهور من التجار حين
بلغه الخبر وهو لا يشك الا أن الصبى فى أيديهم وليس يهمه ما كان عليه من حلى وثياب وانما أراد أن يكفنه ويصلى عليه
ويدفنه فخبره الناس بالخبر فبقى هو ومن معه من التجار متحيرين مبهوتين وسألوا عنه واستبحثوا فافاد الاعين ولا أثر وعرف
تو أبو هذا الجسر هذا الشيخ المحتال فأيسوا أبا الغريق منه وذكروا أنه شيخ قد أعياهم أمره وحيرهم كيده وأنه بلغ من
حيله وخبثه ودهائه أنه أتى يوما من أول الصباح الى باب بعض العدول الكبار المشهورين بالرياستين واليسار ومعه مرة فارغة
على عاتقه وفأس وزنبيل فقام فى ثوب خلق ولم يتكلم حتى وضع الفأس فى الدكان التى على باب ذلك العدل فهدمها
وجعل ينقى الآجر ويعزله فسمع ذلك العدل بهدمها ووقع الفأس والهدم فخرج لينظر فاذا الشيخ دائب بهدم دكانه

التي على باب داره فقال يا عبد الله أي شئ تصنع ومن أمرك بهذا الفعل الشيخ يعمل عمله ولا يلتفت الى العدل ولا يكلمه فاجتمع الجيران وهما في المحاورة فاخذوا بيد الشيخ فوكزه هذا ودفعه هذا فالتفت اليهم فقال ويلكم أي شئ تريدون مني أما تستحيون تعبثون بي وأنا شيخ كبير فقالوا اما انا والعبث بك ويحك من أمرك بهذا قال ويحكم أمرني صاحب الدار فقالوا هذا صاحب الدار يكلمك قال لا والله ما هو هذا فلما سمعوا كلامه وغفلته رحموه وقالوا هذا مجنون أو مخدوع خدعه بعض جيران هذا العدل ممن قد حسده على ما أنعم الله تعالى به عليه وهم الذين حملوا هذا الشيخ على هذا الفعل فلما منعوه من الهدم مضى الى الجرة التي جاء بها وقد كان وضعها الى جانب الباب فادخل يده فيها كانه قد خبا ثيابه فيها فصرخ وبكى فلم يشك العدل أن محتالا خدعه وأخذ ثيابه فقال وأي شئ ذهب لك قال قميص جديد اشتريته امس وملحفة لبيتي وسراويل فرقوا له جميعا ودعاه العدل فكساه ووهب له دراهم كثيرة ووهب له الجيران دراهم كثيرة وانصرف غانما وهذا الشيخ كان يعرف بالعقاب ويكنى بابي البازوله أخبار عجيبة وحيل وهو الذي احتال للمتوكل حين بايعه بختيشوع الطبيب انه ان سرق من داره شيأ يعرفه في ثلاث ليال ذكرت من ذلك الشهر فعليه أن يحمل الى خزانة أمير المؤمنين عشرة آلاف دينار وان خرجت هذه الليالي ولم يتم عليه ما ذكرنا فله الضيعة المعين ذكرها في المبايعة فاتى بهذا الشيخ في عنفوان شبابه الى المتوكل فضمن للمتوكل أن يأخذ من دار بختيشوع شيئا لا ينكره وقد كان بختيشوع حرس داره وحصنها في هذه الليالي فاحتال هذا الشيخ المعروف بالعقاب بحيل لطيفة الى أن سرق بختيشوع وجعله في صندوق واتى به المتوكل في خبر ظريف وانه رسول لعيسى ابن مريم نزل الى بختيشوع بشمع اسرجه وتخليط عمله وبنج في طعام اتخذه وأطعمه الحراس لداره في تلك الليلة وقد ذكرنا ذلك في كتابنا أخبار الزمان وهذا الشيخ قد برز في مكايده وما أورده من حيله على دالة المحتالة وغيرها من سائر المكارين والمحتالين ممن سلف وخلف منهم (ولطلاب صنعة الكيمياء) من الذهب والفضة وانواع الجواهر من اللؤلؤ وغيره وصنعه أنواع الاكسيرات من سدي الاكسير المعروف بالفرار وغيره واقامة الزئبق وصنعته فضة وغير ذلك من خدعهم وحيلهم في القرع والمغناطيس والتقطير والتكليس والبوادق والحطب والفحم والمنافخ أخبار عجيبة وحيل قد أتينا على ذكرها ووجوه الخدع فيها وكيفية الاحتيال بها في كتابنا أخبار الزمان وما ذكروه في ذلك من الاشعار وما عزوه الى من سلف من اليونانيين والروم مثل قلوبطرة الملكة ومارية وما ذكره خالد بن يزيد بن معاوية في ذلك وهو عند أهل الصنعة من المتقدمين فيهم في شعره الذي يقول فيه

خذ الطلق مع الاشق * وما يوجد في الطرق وشيأ يشبه البرقا
فدبره بلا حرق * فان أحببت مولاكا فقد سودت في الخلق

(وقد صنف) يعقوب بن اسحق بن الصباح الكندي رسالة في ذلك وجعلها مقالتين يذكر فيها تعذر فعل الناس لما انفردت الطبيعة بفعله وخدع أهل هذه الصناعة وحيلهم وترجم الرسالة بابطال دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة من غير معادنها وقد نقض هذه الرسالة على الكندي أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الفيلسوف صاحب الكتاب المنصوري في صناعة الطب الذي هو عشر مقالات وأرى القول أن ما ذكره الكندي فاسد وان ذلك قد يتأتى فعله ولابي بكر بن زكريا في هذا المعنى كتب قد صنفها وأفرد كل واحد منها بنوع من الكلام في هذه الصنعة في الاحجار المعدنية وغير ذلك من كيفية الاعمال وهذ

لهذا العهد امير المسلمين بالمغرب أعانه الله تعالى على الخير وأطلق به يده والهمه الى ما يرضى منه بفضله وكرمه انتهت الترجمة ورأيت على هامش هذا المحل من الاحاطة بخط الخطيب الشهير الامام أبي عبد الله بن مرزوق التلمساني رحمه الله ما صورته توفي يعني السلطان أبا زيان مغتالا عام ستة وستين على يد مظاهره الخائن عمر بن عبد الله بن علي الوزير ترداه في بئر وأشاع انه افرط في السكر والقى نفسه في البئر المعروفة برياض الغزلان وبايع لعمه عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن فسلطه الله عليه وأخذ حقوق الخلائق على يديه فقتله غيلة بعد أن كان تغلب عليه فأعمل الحيلة في قتله واستمر ملك عبد العزيز ظاهرا ظافرا قد جمع بين المغرب الى اقصاه وبين ملك تلمسان وقد شرد اهلها كل مشرد فعندما اقبلت الدنيا عليه واستقام ملكه وكاد يلحق ملك ابيه اوبز يد مات رحمه الله تعالى قيل مطعونا وقيل غير ذلك وذلك في حدود اربع وسبعين وولي ولده ثم عزل بابن عمه ابي العباس ابن السلطان ابي سالم وحاز ملك المغرب الى حين كتب هذا سنة سبع وسبعين وسبعمائة انتهى ما الفيته بخط

باب قد تنازع الناس فيه من فعل قارون وغيره ونحن نعوذ بالله من التهوس بما يخسف الدماغ ويذهب بنور الابصار ويكسف الالوان من بخار التصعيدات ورائحة الزاجات وغيرها من الجمادات (وفي سنة) ثلاث وثمانين ومائتين كان الفداء بالاسرى بين المسلمين والروم في شعبان وكان بدؤه يوم الثلاثاء وفيه كان مسير جيش بن خمارويه بن أحمد بن طولون من الشأم الى مصر في جيوشه فخالفه طغج بدمشق بعد ذلك (وفيها) خرج عن جيش بن خمارويه خاقان المفلحي ونيدفسة بن كبجور وابن كنداج فساروا الى وادي القرى ودخلوا مدينة السلام فخلع عليهم المعتضد (وفيها) كان الشغب بمصر وقتل احمد المارداني بن محمد بن علي المارداني المقبوض عليه في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بمصر وقبض على جيش بن خمارويه ونصب أخوه هرون بن خمارويه مكانه وكانوا اقد نقموا على جيش تقدمه لغلامه نجح المعروف بالطولوني وأخيه سلامة المعروف بالمؤتمن وقد كان أخوه سلامة هذا بعد ذلك صحب جماعة من الخلفاء منهم القاهر والراضي وأراه مع المتقي في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة (وفي سنة) ثلاث وثمانين ومائتين كانت وفاة أبي عمر ومقدام بن عمرو الرعيني بمصر ليومين بقيا من شهر رمضان وكان من جلة الفقهاء ومن كبار أصحاب مالك (وفيها) ولى المعتضد يوسف بن يعقوب القضاء بمدينة السلام وخلع عليه وانتدبه للجانب الشرقي (وفي هذه السنة) وهي سنة ثلاث وثمانين ومائتين قبض المعتضد على أحمد بن الطيب بن مروان السرخسي صاحب يعقوب بن اسحق الكندي وسلمه الى بدر غلامه ووجه الى داره من قبض على جميع ماله وقرر جواريه على المال حتى استخرجوه فكان جملة ماحصل من العين والورق وثمن الآلات خمسين ومائة ألف دينار وكان ابن الطيب قد ولي الحسبة ببغداد وكان موضعه من الفلسفة لا يجهل وله مصنفات حسان في أنواع من الفلسفة وفنون من الاخبار (وقد تنازع الناس) في كيفية قتله والسبب الذي من أجله كان قتل المعتضد اياه وقد أتينا على ما قيل في ذلك في كتابنا المترجم بالاوسط فاغنى ذلك عن اعادته في هذا الكتاب (وفيها) ورد الخبر بقتل عمرو بن الليث ورافع بن هرثمة (وفي سنة أربع وثمانين ومائتين) أدخل الى بغداد رأس رافع بن هرثمة ثم صلب ساعة من نهار ثم رد الى دار السلطان (وفي هذه السنة) كان لاهل بغداد ثورة مع السلطان لصياحهم بالخدم السودان ياعقيق صب ماء واطرح دقيق ياعاق ماطويل الساق وذلك ان الخدم في دار السلطان منهم اجتمعوا فكلموا المعتضد بما لحقهم في الازقة والشوارع والدروب وسائر الطرق من الصغير والكبير من العوام فامر المعتضد بجماعة من العامة فضربوا بالسياط فتشغب العامة لذلك (وفي هذه السنة) ظهر للمعتضد شخص في صور مختلفة في داره فكان تارة يظهر في صورة راهب ذي لحية بيضاء وعليه لباس الرهبان وتارة يظهر شابا حسن الوجه ذا لحية سوداء بغير تلك البزة وتارة يظهر شيخا أبيض اللحية ببزة التجار وتارة يظهر بيده سيف مسلول وضرب بعض الخدم فقتله فكانت الابواب تؤخذ وتغلق فيظهر له أين كان في بيت أو صحن أو غيره وكان يظهر له في أعلى الدار التي بناها فأكثر الناس القول في ذلك واستفاض الامر واشتهر في خواص الناس وعوامهم وسارت به الركبان وانتشرت به الاخبار والقول في ذلك على حسب ما كان يقع لكل واحد منهم فمن قائل ان شيطانا ماردا اصمد له يظهر فيؤذيه ومنهم من يقول ان بعض مؤمني الجن رأى ماهو عليه من المنكر وسفك الدماء فظهر له رادعا وعن المنكر زاجرا ومنهم من رأى ان ذلك بعض خدمه كان قد هوى بعض جواريه فاحتال بحيلة فلسفية من بعض العقاقير الخاصة فيضعها في فمه فلا يدرك بحاسة البصر وكل ذلك

سيدي ابي عبدالله بن مرزوق ورأيت تحته بخط ابن لسان الدين أبي الحسن علي ما صورته رحمة الله عليك ياعمر بن عبدالله بن علي فلقد كنت غسلت ملك الغرب من درن كبير وقت على ملك لهو وضعف شهير وشهرت سيف الحق على الزواكرة الخرق فابتهج منبر الدين انتهى ومراده بهذا الكلام الرد على ابن مرزوق في دمه للوزير عمر وقوله الزواكرة لفظ يستعمله المغاربة ومعناه عندهم المتلبس الذي يظهر النسك والعبادة ويبطن الفسق والفساد وعند الله تجتمع الخصوم * ولنرجع الى ما كنا بسبيله فنقول ومما خوطب به ابن الخطيب رحمه الله تعالى من قبل سلطان المغرب المستعين بالله أبي سالم ابراهيم ابن السلطان أبي الحسن المريني ما صورته بعد البسملة والصلاة من عبدالله المستعين بالله ابراهيم أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الحسن ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف يعقوب بن عبدالحق أيد الله أمره وأعز نصره الى الشيخ الفقيه الاجل الاسنى الاعز

سعيد بن عبد الاعلى (ودخل) أبو الاغر مدينة السلام وقدامه رأس صالح وبحش ورأس غلام لصالح أسود وأربعة أسارى وهم بنو عم صالح بن مدرك فخلع السلطان فى ذلك اليوم على أبى الاغر وطوقه بطوق من ذهب ونصب الرؤس على الجسر من الجانب الغربى وادخل الاسارى المطبق (وفى هذه) السنة مات اسحق بن أيوب العبدى وكان على حرب ديار ربيعة (وفيها) شخص العباس بن عمرو الغنوى الى البصرة لحرب القرامطة بالبحرين (وفى هذه السنة) كانت الحرب بين اسمعيل بن أحمد وعمرو بن الليث صاحب بلخ وأسر عمرو وقد أتينا على كيفية اسره فى الكتاب الاوسط (وفى سنة) سبع وثمانين ومائتين كان خروج العباس بن عمرو من البصرة فى جيش عظيم ومعه خلق من المطوعة نحو هجر فالتقى هو وأبو سعيد الجبائى فكانت بينهم وقائع انهزم فيها أصحاب العباس وأسر وقتل من أصحابه نحو سبعمائة صبرا دون من هلك من الرمل والعطش فاحرقت الشمس أجسادهم ثم ان أبا سعيد من على العباس بن عمرو وبعد ذلك فاطلقه فصار الى المعتضد فخلع عليه وبعد هذه الوقعة افتتح ابو سعيد مدينة هجر بعد حصار طويل وقد أتينا على مبسوط هذه الحروب والسبب الذى كان من اجله تخلية أبى سعيد العباس بن عمرو الغنوى مع من بالبحرين من قومه وعصبتهم له (وفى هذه السنة) وهى سنة سبع وثمانين ومائتين كان مسير الداعى العلوى من طبرستان الى بلد جرجان فى جيوش كثيرة من الديلم وغيرهم فلقيته جيوش المسودة من قبل اسمعيل بن أحمد وعليهم محمد بن هرون فكانت وقعة لم ير مثلها فى ذلك العصر وصبر الفريقان جميعا وكانت للبيضة على المسودة ثم كانت مكيدة من محمد بن هرون لما رأى من ثبوت الديلم على مصافها ٣٩٠ فلم ينقض صفوفه وولى فاسرعت الديلم ونقضت صفوفها فرجعت عليهم المسودة وأخذهم السيف فقتل منهم بشر كثير وأصاب الداعى ضربات وذلك أن أصحابه لما نقضوا صفوفهم فى الغنيمة ولم يعرجوا عليه ثبت مع من وقف لنصره فكرت عليهم الجيوش فاسفرت الحرب وقد أثخن بالكلوم وأسر ولده زيد بن محمد بن زيد وغيره وبقى محمد الداعى أياما يسيرة وتوفى لما ناله فدفن بباب جرجان وقبره هنالك معظم الى هذه الغاية (وقد أتينا) على خبره بطبرستان وغيرها وما كان من سيرته وخبر بكر بن عبد العزيز بن أبى دلف حين دخل اليه مستأمنا فى كتابنا اخبار الزمان وكذلك ذكرنا خبر يحيى بن الحسين الحسنى الرسى باليمن وتظافره هو وأبو سعد بن يعفر على ما كان من حروبهم باليمن مع القرامطة وما كان من أمرهم مع على ابن الفضل صاحب المذيخرة وما كان من قصته وخبر وفاته وقصة شيخ لاعة صاحب قلعة نحل وخبر ولده الى هذا الوقت بها وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ونزول يحيى بن الحسين الرسى مدينة صعدة من بلاد اليمن وخبر ولده أبى القاسم وخبر ولد ولده الى هذه الغاية وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا منبه على ما قدمناه من تصنيفنا مما بسطناه من أخبار من ذكرناه وشرحناه من قصصهم وسيرهم وما كان منهم (وفى هذه السنة) وهى سنة ثمان وثمانين ومائتين كان دخول المعتضد الى الثغر الشامى فى طلب وصيف الخادم ومراسلة مع رشيق المعروف بالحرامى واستأمن الى المعتضد وصيف الشكرى وغيره من القواد قواد الخادم وأصحابه وقد كان وصيف الخادم لما أخذ الا كثر من أصحابه أراد الدخول الى أرض الروم والتعلق بالدروب وقد كان المعتضد أسرع فى السير من بغداد وستر أخباره ولم يعلم بذلك وصيف مع شدة حذره وتفقده لامره حتى عبر المعتضد الفرات وسار الى الشام فلم يفلح جيش المعتضد لذلك لما أتعب نفسه فى سرعة السير وقد كان المعتضد لما توسط الثغر الشامى خلف سواده بالكنيسة السوداء وجرد القواد فى طلب وصيف فساروا فى طلبه خمسة عشر ميلا الى أن أدركه أوائل الخيل وفيهم

غمرة برأبيكم فى البنين وصنع لكم فى عدوكم الصنع الذى لا يقف عند معتاد وأذاق العذاب الاليم من أراد فى مثابتكم بالحاد عبدكم الذى ملكتم رقه وآويتم غربته وسترتم أهله وولده وأسنيتم رزقه وجبرتم قلبه بقبل مواطئ الاخمص الكريم من رجلكم الطاهرة المستوجبة بفضل الله تعالى لموقف النصر الفارعة هضبة العز المعملة الخطو فى مجال السعد وميسر الحظ ابن الخطيب من ثالة التى تأكد عليكم الرضى احترامها وتجدد برعيكم عهدها واستشعر بملككم دفئها وأشرق بحسناتكم نورها وقد ورد على العبد الجواب المولوى البر الرحيم المنعم المحسن بما يليق بالملك الاصيل والقدر الرفيع والهمة السامية والعزة القعساء من رعى الدخيل والنصرة للذمام والاهتزاز لبر الاب الكريم فثاب الرجاء وانبعث الامل وقوى العضد وزار اللطف فالحمد لله الذى أجرى الخير على يدكم الكريمة وأعانكم على رعى زمام الصالحين المتوسل اليكم أولا بقبورهم ومتعبداتهم وتراب أجدانهم ثم بقبر مولاى ومولاكم ومولى الخلق أجمعين الذى تسبب فى وجودكم واختصكم

خاقان المفلحى ووصيف موشكير وعلى كوزه وغيرهم من القواد فقاتلهم وصيف وذلك فى الموضع المعروف بدرب الحب فلما أشرف المعتضد ووصيف قد خذله أصحابه وتفرق عنه جمعه أسر وأتى به للمعتضد فسلمه الى مؤنس الفحلى وأمن جميع أصحابه الانفر انضافوا اليه من الثغر الشامى وغيره وأحرق المعتضد المراكب الحربية وحمل من طرسوس أبا اسحق امام الجامع وأبا عمير عدى بن أحمد بن عبد الباقى صاحب مدينة اذنة من الثغر الشامى وغيرهم من البحرين مثل اسمعيل وابنه وكان دخول المعتضد الى مدينة السلام فى المساء لسبع خلون من صفر سنة ثمان وثمانين ومائتين ودخل جعفر بن المعتضد وهو المقتدر وبدر الكبير وسائر الجيش على الظهر وقد زينت الطرق وبين أيديهم وصيف الخادم على جمل فالج وعليه دراعة ديباج وبرنس وخلفه على جمل آخر البغيل وخلف البغيل ابنه على جمل آخر وخلف ابن البغيل على جمل آخر رجل من أهل الشام يعرف بابن المهندس وقد لبسوا الدراريع من الحرير الاحمر والاصفر وعلى رؤسهم البرانس وطوق وسور خاقان المفلحى وغيره من القواد ممن أبلى فى ذلك اليوم الذى كان فيه أسر وصيف الخادم وقد كان المعتضد أراد استحياء وصيف وأسف على موت مثله لشهامته وشجاعته وحسن حيله واقدامه ثم قال ليس فى طبع هذا الخادم أن يرأسه احد بل فى طبعه أن يرؤس فى نفسه وقد كان بعث اليه بعد أن قبض عليه وأوثق بالحديد هل لك من شهوة فقال نعم باقة من الريحان اشمها وكتب من سير الملوك الغابرة انظر فيها فلما رجع الرسول الى المعتضد وأخبره انه يديم النظر فى سير الملوك وحروبها ومحنها دون سائر ما حمل الى حضرته من الدفاتر فتعجب المعتضد وقال هو يهون على نفسه الموت (وفى هذه السنة) كانت وفاة أبى عبيد الله محمد بن أبى الساج باذربيجان واختلفت كلمة أصحابه وغلمانه بعده فمنهم من انحاز الى اخيه يوسف بن أبى الساج ومنهم من انحاز الى ولده يوادر (وفى هذه السنة) ادخل عمرو بن الليث الى مدينة السلام فى جمادى الاولى قدم به عبد الله بن الفتح رسول السلطان فشهر عمرو واركب على جمل فالج وقد ألبس عليه ديباج وخلفه بدر والوزير القاسم بن عبيد الله فى الجيش فأتوا به الثريا فرآه المعتضد ثم أدخل المطامير وقد كان فى هذا الوقت ثارت عساكر الشاكرية من قبل طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث غضبا لجده عمرو ولحقته ببلاد الاهواز وخرجت عن حدود فارس واضطرب الامر وبعث المعتضد بعبد الله بن الفتح واستأمن الى اسمعيل بن أحمد بهدايا امامها مائة بدلة ديباج منسوجة بالذهب مرصعة بالجوهر ومنطقة ذهب مرصعة بالجوهر وغير ذلك من الجواهر وثلثمائة ألف دينار ليفرقها فى أصحابه ويبعثهم الى بلاد سجستان الى حرب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث وامر عبد الله بن الفتح ان يحمل فى طريقه من خراج ما يجتازبه من بلاد الجبل عشرة آلاف ألف درهم ويضيفها الى الثلثمائة ألف دينار وسار بدر غلام المعتضد بالله فى عساكره الى بلاد فارس من هذه السنة فنزل شيراز وانكشف عن البلد الشكرية (وفى اول يوم) من المحرم وهو يوم الثلاثاء من سنة تسع وثمانين ومائتين توفى وصيف الخادم فاخرج وصلب على الجسر بدنا بلا رأس وقد كان الخدم سألوا المعتضد أن يستروا عورته فاباح لهم ذلك فالبس ثيابا ولف عليه ثوب جديد وخيط على سكان الثياب من سرته الى الركبتين وطلى بدنه بالصبر وغيره من الاطلية القابضة والماسكة لاجزاء جسمه فاقام مصلوبا على الجسر لا يبلى الى سنة ثلثمائة فى خلافة المقتدر بالله (وفى هذه السنة) تشغب الجند والعامة فعمدت العامة اليه عماجنا وحطوه من فوق الخشبة وقالوا قد وجب علينا حق الاستاذ أبى على وصيف الخادم لطول مجاورته لنا وصبره علينا الا يبلى على هذه الخشبة فلفوه فى رداء بعضهم وحملوه على اكتافهم وهم نحو

اختصكم بحبه وغمركم بلطفه وحنانه وعلمكم آداب الشريعة وأورثكم ملك الدنيا وهيأتكم دعواته بالاستقامة الى ملك الآخرة بعد طول المدى وانفساح البقاء وفى علومكم المقدسة ما تضمنت الحكايات عن العرب من النصرة عن طائر داست أفراخه ناقة فى جوار رئيس منهم وما انتهى اليه الامتعاض لذلك مما أهينت فيه الانفس وهلكت الاموال وقصارى من امتعض لذلك ان يكون كبعض خدامكم من عرب تأسنا فالظن بكم وأنتم الكريم ابن الكريم ابن الكريم فيمن لجأ أولا الى رحمكم بالاهل والولد عن حسنة برعتم بها وصدقة جمتكم لحرعلى بذلها ثم فيمن حط رحل الاستجارة بضريح أكرم الخلق عليكم دامع العين خافق القلب واهى الفزعة يتغطى بردائه ويستجير بعليائه كأنى اميت عليهم فى الحياة أمام الذعر الذى يذهل العقل ويحجب عن التمييز قصر داره ومضجع رقاده مامن يوم الاوأجهر بعد التلاوة يا ليعقوب بالمر بن نسأل الله تعالى أن يقمع عنى معروفكم ولا يسلبنى عنايتكم ويستعملنى ما بقيت فى خدمتكم ويتقبل دعائى

من مائة ألف من الناس يرقصون ويغنون ويصيحون حوله الاستاذ الاستاذ فلما ضجروا من ذلك طرحوه في دجلة وذلك أنهم شيعوه في الماء سباحة فغرق منهم في جرية الماء خلق كثير (وفي هذه السنة) أتي بجماعة من القرامطة من ناحية الكوفة منهم المعروف بابي الفوارس وبعد ان قطعت يداه ورجلاه صلب الى جانب وصيف الخادم ثم حوّل الى ناحية الكناس مما يلي الناشرية من الجانب الغربي فصلب مع قرامطة هناك (وقد كان لاهل بغداد) في قتل أبي الفوارس هذا أراجيف كثيرة وذلك أنه لما قدم ليضرب عنقه اشاعت العامة انه قال لمن حضر قتله من العوام هذه عمامتي تكون قبلك فاني راجع بعد اربعين يوما فكان يجتمع في كل يوم خلائق من العوام تحت خشبته ويحصون الايام ويقتلون ويتناظرون في الطرق في ذلك فلما تمت الاربعون ليلة وقد كان كثر لغطهم واجتمعوا فكان بعضهم يقول هذا جسده ويقول آخر قد مر وانما السلطان قتل رجلا آخر وصلبه موضعه لكي لا يفتتن الناس فكثر تنازع الناس في ذلك حتى نودي بتغريقهم فترك التنازع والخوض فيه (وكان) ورد مال من محمد بن زيد من بلاد طبرستان ليفرق في آل أبي طالب سرا فغمز بذلك الى المعتضد فاحضر الرجل الذي كان يحمل المال اليهم فانكر عليه اخفاء ذلك وأمره باظهاره وقرب آل أبي طالب وكان السبب في ذلك قرب النسب ولما أخبرنا به أبو الحسن محمد بن علي الوراق الانطاكي الفقيه المعروف بابن الغنوي بانطاكية قال أخبرني محمد بن يحيى بن أبي عباد الجليس قال رأى المعتضد بالله وهو في سجن أبيه كأن شيخا جالسا على دجلة يمد يده الى ماء دجلة فيصير في يده وتجف دجلة ثم يرده من يده فتعود دجلة كما كانت قال فسألت عنه فقيل لي هذا علي بن أبي طالب عليه السلام قال فقمت

اليه وسلمت عليه فقال يا أحمد ان هذا الامر صائر اليك فلا تتعرض لولدي ولا تؤذهم فقلت السمع والطاعة يا أمير المؤمنين وعم الناس تأخر الخراج عنهم وكان انعام المعتضد عليهم فقالت الشعراء في ذلك وأكثرت ووصفت في أشعارها ذلك واطنبت فاحسن يحيى بن علي المنجم وقال

فيكم وتحين وصول الجواب الكريم نهضت الى القبر المقدس ووضعته بازائه وقلت يا مولاي يا كبير الملوك وخليفة الله وبركة بني مرين صاحب الشهرة والذكر في المشرق والمغرب عبدك المنقطع اليك المترامي بين يدي قبرك المتوسل الى الله ثم الى ولدك بك ابن الخطيب وصله من مولاه ولدك ما يليق بمقامه من رعي وجهك والتقرب الى الله تعالى برعيك والاشتهار في مشرق الدنيا ومغربها ببرك وأنتم من أنتم من اذا اصنع صنيعة كملها واذا من منة تممها واذا أبدى يدا أبرزها طاهرة بيضاء غير معيبة ولا ممنونة ولا منتقضة وأنا بعد تحت ذيل حرمتك وظل دخيلك حتى يتم أملي ويخلص قصدي وتحف نعمتك بي ويطمئن الى مأملك قلبي ثم قلت للطلبة أيها السادة بيني وبينكم تلاوة كتاب الله تعالى منذ أيام ومناسبة النحلة وأخوة التالف بهذا الرباط المقدس والسكنى بين أظهركم فامنوا على دعائي باخلاص من قلوبكم واندفعت في الدعاء والتوسل الذي نرجو أن يتقبله الله تعالى ولا يضيعه وخاطب العبد مولاه شاكرا لنعمته مشيدا بصنيعته مسرورا بقبوله وشأنه من التعلق

يا محيي الشرف اللباب * ومجددا الملك الخراب ومعيد ركن الدين فيـــنا ثابتا بعد اضطراب
والتطارح فت الملوك مبرزا * فوت المبرز في الحلاب اسعد بنيروز جعـــبت الشكر فيه الى الثواب
قدّمت في تأخيرها * قد قدموه الى الصواب وقوله يوم نيروزك يوم * واحد لا يتأخر
من حزيران يوافي * أبدا في أحد عشر (وكان) وصول قطر الندى بنت خمارويه الى مدينة السلام مع ابن الجصاص في ذي الحجة سنة احدى وثمانين ومائتين ففي ذلك يقول علي بن العباس الرومي

يا سيد العرب الذي زفت له * باليمن والبركات سيدة العجم
اسعد بها كسعودها بك انها * ظفرت بما فوق المطالب والهمم
ظفرت بملء ناظريها بهجة * وضميرها نبلا وكفيها كرم
شمس الضحى زفت الى بدر الدجى * فتكشفت بهما عن الدنيا الظلم

(ولما أدخل) عمرو بن الليث الى مدينة السلام من المصلى العتيق رافعا يديه يدعو وهو على جمل فالج وهو ذو السنامين وكان أنفذه الى المعتضد في هدايا تقدمت له قبل أسره فقال في ذلك الحسن بن محمد بن مهر

ألم تر هذا الدهر كيف صروفه * يكون عسيرا مرة ويسيرا
وحسبك بالصفار نبلا وعزة * يروح ويغدو في الجيوش أميرا
حباهم باجمال ولم يدر أنه * على جمل منها يقاد أسيرا

وفي ذلك يقول محمد بن بسام

أيها المغتر بالدنـــيا أما أبصرت عمرا * مقبلا قد ركب الفا لج بعد الملك قسرا

وعليه برنس المخمــطة اذلالا وقهرا   وانما كفيه يده والله اسرارا وجهرا

أن يحبيه من القتــل وأن يعمل صفرا   ولما قتـل محمد بن هرون محمد بن زيد العلوى أظهر المعتضـد لذلك النكير والحزن تأسفا على قتله (وكانت) وفاة نصر بن أحمد صاحب ما وراء نهر بلخ فى أيام المعتضد وذلك فى سنة تسع وثمانين ومائتين وصار الامر الى أخيه اسمعيل بن أحمد (وكانت) وفاة أحمد بن أبى طاهر الكاتب صاحب كتاب أخبار بغداد سنة ثمانين ومائتين (وفيها كانت) وفاة أحمد بن محمد القاضى الذى يحدث (وفى سنة) احدى وثمانين ومائتين كانت وفاة أبى بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا القرشى مؤدب المكتفى بالله فى المحرم وهو صاحب الكتب المصنفة فى الزهد وغيره (وفى سنة اثنتين) كانت وفاة أبى سهل محمد بن أحمد الرازى المحدث وانما نذكر وفاة هؤلاء لدخولهم فى التاريخ وحمل الناس العلم عنهم من الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكانت) وفاة عبيد الله بن شريك المحدث فى سنة خمس وثمانين ومائتين ببغداد (وفيها) وفاة بكر بن عبد العزيز بن أبى دلف بطبرستان (وفيها) مات محمد بن الحسين بن الجنيد (وفى سنة ثمان وثمانين ومائتين) مات أبو على بشر بن عميرة الاسدى وله نيف وتسعون سنة وقبض ولده وهو ابن تسع وتسعين سنة وفيها مات أبو المثنى معاذ بن المثنى بن معاذ العبدى فى أيام المعتضد (قال المسعودى) وقد ذكرنا من اشتهر من الفقهاء والمحدثين وغيرهم من أهل الآراء والادب فى كتابينا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا ملوحين على ما سلف (وكانت) وفاة المعتضد لاربع ساعات خلت من ليلة الاثنين لثمان بقين من ربيع الآخر   ٣٩٣   سنة تسع وثمانين ومائتين

فى قصره المعروف بالحسنى بمدينة السلام وقيل ان وفاته كانت بسم اسمعيل ابن بلبل قبل قتله اياه فكان يسرى فى جسده ومنهم من ذكر أن جسمه تحلل فى مسيره فى طلب وصيف الخادم على ما ذكرنا ومنهم من رأى أن بعض جواريه سمته فى منديل أعطته اياه يتنشف به وقيل غير ذلك

٥٠   ط   ش   مما عنه أعرضنا (وقد كان) أوصى أن يدفن فى دار محمد بن عبد الله بن طاهر فى الجانب الغربى من الدار المعروفة بدار الرخام فلما اعتراه الغشى ووقع للموت شكوا فى وفاته فتقدم الطبيب الى بعض أعضائه يجسه فاحس به وهو على ما به من السكرات فانف من ذلك وركله برجله فقلبه أذرعا فيقال ان الطبيب مات منها ومات المعتضد من ساعته وسمع ضجة وهو على ما به من الحال ففتح عينيه وأشار بيديه كالمستفهم فقال له مؤنس الخادم يا سيدى الغلمان قد ضجوا عند القاسم بن عبيد الله فاطلقنا لهم العطاء فقطب وهمهم فى سكرته فكادت أنفس الجماعة أن تخرج من هيبته وحمل الى دار محمد بن عبد الله بن طاهر فدفن بها (قال المسعودى) وللمعتضد أخبار وسير وحروب ومسير فى الارض غير ما ذكرنا قد أتينا على ذكرها والغرر من مبسوطها فى كتاب أخبار الزمان والاوسط

(ذكر خلافة المكتفى بالله)

وبويع المكتفى بالله وهو على بن أحمد المعتضد بمدينة السلام فى اليوم الذى كانت فيه وفاة أبيه المعتضد وهو يوم الاثنين لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وأخذ له البيعة القاسم بن عبيد الله والمكتفى يومئذ بالرقة وللمكتفى يومئذ نيف وعشرون سنة ويكنى بأبى محمد فكان وصول المكتفى الى مدينة السلام يوم الاثنين لسبع ليال بقين من جمادى الاولى سنة تسع وثمانين ومائتين وكان دخوله فى الماء ونزل قصر الحسنى على دجلة وكانت وفاته يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين وهو يومئذ ابن احدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر فكانت

والتطارح شأنه حتى يكمل القصد ويتم الغرض معمور الوقت بخدمة يرفعها ودعاء يردده والله المستعان انتهى * وكان تقدم من لسان الدين كتاب للسلطان المذكور وكان ما سبق من كتاب السلطان جوابا له وذلك بعد رجوع لسان الدين من مراكش واستقراره فى مدينة سلا برباط شالة مدفن السلاطين من بنى مرين ومنهم السلطان أبو الحسن والد السلطان أبى سالم المذكور ونص الكتاب مولاى المرجو لاتمام الصنيعة وصلة النعمة واحراز الفخر أبقاكم الله تعالى تضرب بكم الامثال فى البر والرضا وعلو الهمة ورعى الوسيلة مقبل موطئ قدمكم المنقطع الى تربة المولى والدكم ابن الخطيب من الضريح المقدس بشالة وقد حط رحل الرجاء فى القبة المقدسة وتيمم بالتربة الزكية وقعد بازاء لحد المولى أبيكم ساعة ايابه من الوجهة المباركة وزيارة الربط المقصودة والترب المعظمة وقد عزم أن لا يبرح طوعا من هذا الجوار الكريم والدخيل المرعى حتى يصله من مقامكم ما يناسب هذا التطارح على قبر هذا المولى العزيز على أهل الارض ثم عليكم والتماس شفاعته فى أمر سهل عليكم لا يحجر انفاد مال ولا اقتحام خطر انما هو اعمال لسان وخط بنان وصرف عزم واحراز فخر وأجر واطابة ذكر

خلافته ست سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوما وقيل ست سنين وستة أشهر وستة عشر يوما على تباين الناس فى تواريخهم والله أعلم

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه) *

ولم يتقلد الخلافة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من خلافة المتقى لله من اسمه على الا على بن أبى طالب والمكتفى ولما نزل المكتفى قصر الحسنى فى اليوم الذى كان دخوله الى مدينة السلام خلع على القاسم بن عبيد الله ولم يخلع على أحد من القواد وأمر بهدم المطامير التى كان المعتضد اتخذها لعذاب الناس واطلاق من كان محبوسا فيها وأمر برد المنازل التى كان المعتضد اتخذها لموضع المطامير الى أهلها وفرق فيهم أموالا فمالت قلوب الرعية اليه وكثر الداعى له بهذا السبب وغلب عليه القاسم بن عبيد الله وفاتك مولاه ثم غلب عليه بعد وفاة القاسم بن عبيد الله وزيره العباس بن الحسين وفاتك وقد كان القاسم بن عبيد الله أوقع بمحمد بن غالب الاصبهانى وكان يتقلد ديوان الرسائل وكان ذا علم ومعرفة وأوقع بمحمد بن بسار وابن منارة لشئ بلغه عنهم فاوثقهم بالحديد وأحدرهم الى البصرة فيقال انهم غرقوا فى الطريق ولم يعرف لهم خبر الى هذه الغاية ففى ذلك يقول على بن بسام

عذرناك فى قتلك المسلمين * وقلنا عداوة أهل الملل

فهذا المنارى ما ذنبه * ودين كما احد لم يزل

وقد كانت الحال انفرجت بين القاسم بن عبيد الله وبدر قبل هذا الوقت فلما استخلف المكتفى أغراه القاسم ببدر وكان ميل جماعة من القواد الى بدر فساروا الى حضرة السلطان وسار بدر الى واسط فاخرج القاسم المكتفى الى نهروان فعسكر هنالك وجعل فى نفس المكتفى من بدر كل حالة

٣٩٤

يقدر عليها من الشر وأغراه به فأحضر القاسم أبا حازم القاضى وكان ذا علم ودراية فأمره عن أمير المؤمنين بالمسير الى بدر فيأخذ له الأمان ويجئ به معه وضمن له عن أمير المؤمنين ما أحب فقال أبو حازم ما كنت أبلغ عن أمير المؤمنين رسالة لم أسمعها منه فلما امتنع عليه أحضر أبا عمرو بن يوسف القاضى فارسل به الى بدر فى سر فاعطاه الامان والعهود والمواثيق عن المكتفى وضمن له أنه لا يسلمه عن يده الدنيا الا عن رؤية أمير المؤمنين فخلى عسكره وجلس معه فى السمار مصعدين فلما انتهوا الى ناحية المدائن والسيب تلقاه جماعة بالحذر فاحاطوا بالسمار ونحى أبو عمرو عنه الى طيار فركب فيه وقرب بدر الى الشط وسالهم ان يصلى ركعتين وذلك فى يوم الجمعة لست خلون من شهر رمضان سنة تسع وثمانين ومائتين وقت الزوال فامهلوه للصلاة فلما كان فى الركعة الثانية قطعت عنقه وأخذ رأسه فحمل الى المكتفى فلما وضع الرأس بين يدى المكتفى سجد وقال الآن ذقت طعم الحياة ولذة الخلافة ودخل المكتفى الى مدينة السلام يوم الاحد لثمان خلون من شهر رمضان ففى محمد بن يوسف القاضى يقول بعض الشعراء فى ضمانه لبدر العهود والمواثيق عن المكتفى

قل لقاضى مدينة المنصور * بم أحللت أخذ رأس الامير

بعد اعطائه المواثيق والعهد * وعقد الامان فى مسطور

أين أيمانك التى يشهد الله * على انها يمين فجور

أين تأكيدك الطلاق ثلاثا * ليس فيهن نية التخيير

أن كفيك لا تفارق كفيه * الى ان ترى مليك السرير

يا قليل الحياء يا أكذب الامة * يا شاهدا شهادة زور

ليس هذا فعل القضاة ولا يحسن * أمثاله ولاة الجسور

قد مضى من قتلت فى رمضان * راكعا بعد سجدة التكبير

أى ذنب أتيت فى الجمعة الزهراء * فى خير خير الشهور

فاعد الجواب للحكم العدل * من بعد منكر ونكير

يا بنى يوسف بن يعقوب أضحى * أهل بغداد منكم فى غرور

وذلك أن العبد عرفكم يوم وداعكم انه ينقل عنكم الى المولى المقدس بلسان المقال ما يحضر مما يفتح الله تعالى فيه ثم ينقل عنه لكم بلسان الحال ما يتلقى عنه من الجواب وقال لى صدر دولتكم وخالصتكم وخالصة المولى والدكم سيدى الخطيب يعنى ابن مرزوق سنى الله تعالى أمله من سعادة مقامكم وطول عمركم انت يا فلان والحمد لله ممن لا ينكر عليه الوفاء بهذين الفرضين وصدر عنكم من البشر والقبول والانعام ما صدر جزاكم الله تعالى جزاء المحسنين وقد تقدم تعريف مولاى بما كان من قيام العبد بما نقله الى التربة الزكية عنكم حسبما أداه من حضر ذلك المشهد من خدامكم والعبد الآن يعرض عليكم الجواب وهو أنى لما فرغت من مخاطبته بمرأى من الملا الكبير والجم الغفير أكببت على اللحد الكريم داعيا ومخاطبا وأصغيت باذنى نحو قبره وجعل فؤادى يتلقى ما يوحيه اليه لسان حاله فكأنى به يقول لى قل لمولاك يا ولدى وقرة عينى المخصوص برضاى وبرى وستر حريمى ورد ملكى وصان أهلى وأكرم صنائعى وصل على أسلم عليك وأسال الله تعالى أن يرضى عنك ويقبل عليك

شتت الله شملكم وأراني * بكم الذل بعد ذل الوزير أنتم كلكم فداء أبي حا * زم المستقيم كل الامور

قالوا وكان بدر حرا وهو بدر بن خير من موالى المتوكل وكان بدر في خدمة ناشئ غلام الموفق صاحب ركابه ثم اتصل بالمعتضد وقرب من قلبه وخف بين يديه في أيام الموفق وكان للمعتضد غلام يقال له فاتك وكان من أعلى غلمانه فبعد من قلبه وانحطت مرتبته وكان السبب في ذلك ان المعتضد غضب على بعض جواريه وأمر ببيعها فدس فاتك من ابتاعها له فكان السبب في ابعاده من قلب المعتضد عند علو ذلك اليه وزاد أمر بدر وعلت مرتبته حتى كان يلتمس الحوائج به من المعتضد وكانت الشعراء تقرن مدح بدر بمدح المعتضد وكذلك من خاطبه فيما عدا المنظوم من الكلام (قال المسعودى) وأخبرنى أبو بكر محمد ابن يحيى الصولى النديم الشطرنجى بمدينة السلام قال كان لى وعد على المعتضد فاظفرت به حتى عملت قصيدة ذكرت فيها بدرا أولها

أيها الهاجر عزما لا يجد * أجزاء الود أن يلقى بصد

لامير المؤمنين المعتضد * بحر جود ليس يعدوه أحد وأبو النجم إن يقصده * جدول منه الى البحر يرد

قد مضى الفطر الى الاضحى وقد * آن أن يقرب وعد قد بعد ما اقتضانى الوعد أن لست على

ثقة من أنه أحسن بد * غير أن النفس تهوى عاجلا * وسواء أعطى كريم أو وعد

قال فضحك وأمر لى بما وعدنى به (وأخبرنا) محمد بن الديم بمدينة السلام قال سمعت المعتضد يقول أنا آنف من هبة القليل ولا أرى الدنيا لو كانت لى أموالها وجمعت عندى تفى بقدر جودى والناس

يزعمون انى بخيل أتراهم لا يعلمون أنى جعلت أبا النجم بدى و بينهم أعرف ما مبلغ ما ينفقه يوما فيوما لو كنت بخيلا ما أطلقت ذلك له (وأخبرنا) أبو الحسن محمد بن على الفقيه الوراق الانطاكى بمدينة انطاكية قال أخبرنى ابراهيم بن محمد الكاتب عن يحيى بن على المنجم النديم قال كنت يوما بين يدى المعتضد وهو مقطب فاقبل بدر فلما رآه من بعيد ضحك وقال لى يا يحيى من الذى يقول من الشعراء

في وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا

فقلت يقول الحكم بن مرة المازنى فقال لله دره أنشدنى هذا الشعر فانشدته

ويلى على من أطار النوم فامتنعا * وزاد قلبي على أوجاعه وجعا

كأنما الشمس فى أعطافه لمعت * حسنا أو البدر من أزراره طلعا مستقبل بالذى يهوى وان كثرت

منه الذنوب ومعذور بما صنعا في وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا

قال وأخذ قوله أو البدر من أزراره طلعا أحمد بن يحيى بن العراف الكوفى فقال

بدا وكأنما قمر * على أزراره طلعا بحت المسك عن عرق السجين بنانه ولعا

(وفى سنة) تسع وثمانين ومائتين ظهر القرمطى بالشام وكان فى حروبه مع طغج وعساكر المصريين ما قد اشتهر خبره وقد أتينا على ذكره فيما سلف وما كان من خروج المكتفى الى الرقة وأخذ القرامطة وذلك فى سنة احدى وتسعين ومائتين وكذلك ما كان من ذكرويه بن مبرويه ووقوعه بالحاج فى سنة أربع وتسعين ومائتين الى أن قتل وأدخل الى مدينة السلام (قال المسعودى) وكان فداء الغدر فى ذى القعدة من سنة اثنتين وتسعين ومائتين بالامنيين بعد أن فادوا بجماعة المسلمين ثم ان الروم غدروا بعد ذلك وكان فداء التمام بالامنيين بين المسلمين على التمام فى شوال من سنة خمس وتسعين ومائتين

الدنيا دار غرور والآخرة خير لمن اتقى * وما الناس الا هالك وابن هالك * ولا تجد الا ما قدمت من عمل يقتضى العفو والمغفرة أو ثناء يجلب الدعاء بالرحمة ومثلك من ذكر فذكر وعرف فانكر وهذا ابن الخطيب قد وقف على قبرى وتهمم بى وسبق الناس الى رثائى وأنشدنى وبجدنى وبكانى ودعا لى وهنانى بمصير أمرى اليك وعفر وجهه فى تربى وأملنى لما انقطعت منى آمال الناس فلو كنت يا ولدى حيا لما وسعنى أن أعمل معه الا ما يليق بى وأن أستقل فيه الكثير وأحتقر العظيم لكن لما عجزت عن جزائه وكلته اليك وأحلته يا حبيب قلبى عليك وقد أخبرنى انه سليب المال كثير العيال ضعيف الجسم قد ظهر فى عدم نشاطه أثر السن وأمل أن ينقطع بجوارى ويستريد خيلى وحدمتى ويرد عليه حقه بخدمتى ووجهى ووجوه من صاحبنى من سلفى ويعبد الله تعالى تحت حرمتك وحرمتى وقد كنت تشوقت الى استخدامه فى الحياة حسبما يعلمه حبيبنا الخالص المحبة وخطيبنا العظيم المزية القديم القربة أبو عبد الله بن مرزوق فاسأله يذكرك واستخبره يخبرك فأنا اليوم أريد أن يكون هذا الرجل

والامير في الفداء ابن جيغارستم وكان على الثغور الشامية فكان عدة من فدى به من المسلمين في فداء ابن طغان في سنة ثلاث وثمانين ومائتين على حسب ما قدمناه فيما سلف من هذا الكتاب من ذكره ألفي نفس وأربعمائة وخمسا وتسعين نفسا من ذكر وأنثى وكان عدة من فدى به من المسلمين في الغدر ألفا ومائة وأربعة وخمسين نفسا ومدد من فودي به في فداء التمام ألفين وثمانمائة واثنين وأربعين نفسا ومات المكتفي وقد خلف في بيوت الاموال ثمانية آلاف ألف دينار ومن الورق خمسة وعشرين ألف ألف درهم ومن الدواب والبغال والجمارات وغيرها تسعة آلاف رأس وكان مع ذلك بخيلا ضيقا (وأخبرنا) أبو الحسن أحمد بن يحيى المنجم المعروف بابن النديم وكان من حذاق أهل النظر والبحث وأهل الرياسة من أهل التوحيد والعدل وفي ابنه علي بن يحيى يقول ابو هفان لربيع الزمان في الحول وقت * وابن يحيى في كل وقت ربيع رجل عنده المكارم سوق * يشتري دهره ونحن نبيع قال وكانت وظيفة المكتفي بالله عشرة ألوان في كل يوم وجدي في كل جمعة وثلاث جامات حلوا وكان يرد عليه الحلوا وكل على مائدته بعض خدمه وأمره أن يحصي ما فضل من الخبز فما كان من المكسر عزله للثريد وما كان من الصحاح رد الى مائدته من الغد وكذلك كان يفعل بالبوارد والحلوا وأمر أن يتخذ له قصر بناحية الشماسية بازاء قطربل فاخذ بهذا السبب ضياعا كثيرة ومزارع كانت في تلك النواحي بغير ثمن من ملاكها فكثر الداعي عليه فلم يستتم ذلك البناء حتى توفي وكان هذا الفعل مشاكلا لفعل أبيه المعتضد في بناء المطامير

(وكان وزيره) القاسم بن عبيد الله عظيم الهيبة شديد الاقدام سفاكا للدماء وكان الكبير والصغير على رعب منه لا يعرف أحد منهم لنفسه نعمة معه (وكانت) وفاته عشية الاربعاء لعشر خلون من شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين ومائتين وله نيف وثلاثون سنة ففي ذلك يقول بعض أهل الادب وأراه عبد الله بن الحسن بن سعد

شربنا عشية مات الوزير ونشرب يا قوم في ثالثه

فلا قدس الله تلك العظام * ولا بارك الله في وارثه

خدمي بعد الممات الى أن ألحق جميعا برضوان الله تعالى ورحمته التي وسعت كل شئ وله يا ولدي ولد نجيب يخدم ببابك وينوب عنه في ملازمة بيت كتابك وقد استقر ببابك قراره وتعين بامرك ترتيبه ودثاره فيكون الشيخ خديم الشيخ والشاب خديم الشاب هذه رغبتي منك وحاجتي اليك واعلم أن هذا الحديث لابد له أن يذكر ويتحدث به في الدنيا وبين أيدي الملوك والكبار فاعمل ما يبقى لك فخره ويتلذذ ذكره وقد أقام مجاورا واضر يحي تاليا كتاب الله تعالى على منتظر اما يصله منك ويقروءه على من السعي في خلاص ماله والاحتجاج بهذه الوسيلة في جبره واجراء ما يليق بك من الحرمة والكرامة والنعمة فالله الله يا ابراهيم اعمل ما يسمع عني وعنك فيه ولسان الحال أبلغ من لسان المقال انتهى والعبد يا مولاي مقيم تحت حرمته وحرمة سلفه منتظر منكم قضاء حاجته ولتعلموا وتحققوا أني لو ارتكبت الجرائم ورزأت الاموال وسفكت الدماء وأخذت حسائن الملوك الاعزة ممن وراء النهر من الططر وخلف البحر من الروم ووراء الصحراء من الحبشة وأمكنهم الله تعالى مني من غير عهد

بعد

(وكان) ممن قتل القاسم بن عبيد الله عبد الواحد بن الموفق وكان معتقلا عند مؤنس فبعث اليه حتى أخذ برأسه وذلك في أيام المكتفي وقد كان المعتضد يعزه ويميل اليه ميلا شديدا ولم يكن لعبد الواحد همة في خلافة ولا سمو الى رياسة بل كان همته في اللعب وسماع الاحداث وقد كان المكتفي أخبر عنه انه أرسل عدة من غلمانه الخاصة فوكل به من يراعي خبره وما يظهر من قوله اذا أخذ الشراب منه فسمع منه وقد طرب وهو ينشد شعر العتابي حيث يقول

تلوم على ترك الغناء باهله * طوى الدهر عنها من طريف وتالد
رأت حولها النسوان يمشين حلقة * مقلدة أجيادها بالقلائد
يسرك أني نلت ما نال جعفر * من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وان أمير المؤمنين أغصني * مغصهما بالمرهفات البوارد
ذريني تجئني ميتتي مطمئنة * ولم أتجشم هول تلك الموارد
فان نفيسات الامور مشوبة * بمستوغدات في بطون الاساود
وان الذي يسمو الى درك العلا * ملقى باسباب الردى والمكايد

فقال له بعض ندمائه وقد أخذ منه الشراب يا سيدي أين أنت عما تمثل به يزيد بن المهلب

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد * حياة لنفسي مثل أن أتقدما

فقال له عبد الواحد به لقد أخطأت الغرض وأخطأ ابن المهلب وأخطأ قائل هذا البيت وأصاب أبو فرعون التميمي حيث

يقول قال النديم حيث يقول ماذا قال قال   ومالى شئ فى الوغى غير أننى * أخاف على عجزاى أن يقطما

ولو كنت مبتاعا من السوق مثلها * لدى الدرع ما باليت أن أتقدما   فلما انتهى ذلك الى المكتفى ضحك وقال قد قلت للقاسم ليس عمى عبد الواحد ممن تسمو همته اليها هذا قول من ليس له همة غير فرجه وجوفه وأمرد يعانقه وكلاب يهارش بها وكباش يناطح بها ودوك يقاتل بها أطلقوا العمى كذا وكذا فلم يزل القاسم بعبد الواحد حتى قتله (وقد كان) المكتفى لما أن مات القاسم وتبين قتله لعبد الواحد أراد نبش القاسم من قبره وضربه بالسوط وحرقه بالنار وقد قيل غير ذلك والله أعلم (وممن أهلك) القاسم بن عبيد الله على ما قيل بالسم فى خشكانجة على بن العباس بن سريج الرومى وكان منشؤه ببغداد ووفاته بها وكان من مختلقى معانى الشعراء والمجودين فى القصير والطويل متصرفا فى المذاهب تصرفا حسنا وكان أقل أدواته الشعر ومن محكم شعره وجيده قوله   رأيت الدهر يجرح ثم ياسو * يعوض أو يسلى او ينسى

أبت نفسى الهلاك لفقد شئ * كفى حزنا النفسى فقد نفسى   (ومن قوله) العجيب الذى ذهب فيه الى معانى فلاسفة اليونانيين ومن مهر من المتقدمين قوله فى القصيدة التى قالها فى صاعد بن مخلد

لما تؤذن الدنيا به من زوالها * يكون بكاء الطفل ساعة يوضع والا فما يبكيه منها وانها * لافسح مما كان فيه وأوسع

ومما دق فيه فأحسن وذهب الى معنى لطيف من النظر على ترتيب الجدليين وطريقة حذاق المتقدمين قوله

غموض الشئ حين تذب عنه * يقلل ناصر الخصم المحق   ٣٩٧

تضيق عقول مستمعيه عنه * فيقضى للمجل على المدق

(ومما أجاد) فيه فى وصف القناعة قوله

اذا ما شئت أن تعلـ * ـم يوما كذب الشهوه

فكل ما شئت يصدرك * عن المرة والحلوه

وطأ ما شئت يحصنك * عن الحسناء والدره

وكم أنساك ما تهوا * ه نيل الشئ لم تهوه

وله بأبى حسن وجهك اليوسفى * يا كفى الهوى وفوق الكفى   فيه ورد ونرجس وعجيب * اجتماع الشتوى والصيفى

وله فى العنب الرازقى ورازقى مخطف الخصور * كأنه مخازن البلور   ألين فى المس من الحرير

لو أنه يبقى على الدهور * لقرطوه الحسان الحور   *(ولابن الرومى) أخبار حسان مع القاسم بن عبيد الله وأبى الحسن على بن سليمان الاخفش النحوى وأبى العباس الزجاجى النحوى وكان ابن الرومى الاغلب عليه من الاخلاط السوداء وكان شرها نهما وله أخبار تدل على ما ذكرناه من هذه الجمل مع أبى سهل اسمعيل بن على النوبختى وغيره من آل نوبخت (وفى سنة) تسعين ومائتين مات عبد الله بن أحمد بن حنبل يوم السبت لعشر بقين من جمادى الآخرة (وفى سنة) احدى وتسعين ومائتين كانت وفاة أبى العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب ليلة السبت لثمان بقين من جمادى الاولى ودفن فى مقابر الشام فى حجرة اشتريت له وخلف احدى وعشرين ألف درهم وألفى دينار وغلة بشارع باب الشام قيمتها ثلاثة آلاف دينار ولم يزل أحمد بن يحيى مقدما عند العلماء منذ أيام حداثته الى ان كبر وصار اماما فى صناعته ولم يخلف وارثا الا ابنة لابنه فرد ماله عليها وكان هو وأحمد بن المبرد عالمين قد ختم بهما تاريخ الادباء وكانا كما قال بعض الشعراء من المحدثين

أيا طالب العلم لا تجهل * وعذ بالمبرد أو ثعلب   تجد عند هذين علم الورى * وأنك كالجمل الاجرب

علوم الخلائق مقرونة * بهذين فى الشرق والمغرب   (وكان) محمد بن يزيد المبرد يحب أن يجتمع فى المناظرة

بعد أن بلغهم تذممى بهذا الدخيل ومقامى بين هذه القبور الكريمة ما وسع أحدا منهم من حيث الحياء والحشمة من الاحياء والاموات وايجاب الحقوق التى لا يغفلها الكبار الا الجود الذى لا يتعقبه البخل والعفو الذى لا تفسده المؤاخذة فضلا عن سلطان الاندلس أسعده الله تعالى بعلو الانكم فهو فاضل وابن ملوك أفاضل وحوله أكياس ما فيهم من يجهل قدركم وقدر سلفكم لا سيما مولاى والدكم الذى أتوسل به اليكم واليهم فقد كان يتبنى مولاى أبا الحجاج ويشمله بنظره ويصارخه بنفسه وأمده بأمواله ثم صير الله تعالى ملكه اليكم وأنتم من أنتم ذاتا وقبيلا فقد قرت يا مولاى عين العبد بما رأت فى هذا الوطن المراكشى من وفور حشودكم وكثرة جنودكم وترادف أموالكم وعددكم زادكم الله تعالى من فضله ولا شك عند عاقل أنكم ان انحلت عروة تأميلكم وأعرضتم عن ذلك الوطن استولت عليه يد عدوه وقد علم التارحى بين الملوك الكرام الذين خضعت لهم التيجان وتعلق بثوب الملك الصالح والد الملوك الكرام مولاى والدكم وشهرة حرمة شالة معروفة حاش لله أن يضيعها أهل الاندلس وما

مع أحمد بن يحيى ويستكثر منه وكان أحمد بن يحيى يمتنع من ذلك (وأخبرنا) أبو القاسم جعفر بن حمدان الموصلي الفقيه وكان صديقهما قال قلت لابي عبد الله الدينوري ختن ثعلب لم يأبى احمد بن يحيى الاجتماع مع المبرد فقال لي أبو العباس محمد بن يزيد حسن العبارة حلو الاشارة فصيح اللسان ظاهر البيان وأحمد بن يحيى مذهبه مذهب المعلمين فاذا اجتمعا في محفل حكم لهذا على الظاهر الى أن يعرف الباطن (وأخبرنا) أبو بكر القاسم بن بشار الانباري النحوي ان أبا على الدينوري هذا كان يختلف الى أبي العباس المبرد يقرأ عليه كتاب سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر فكان ثعلب يعذله على ذلك فلم يكن ذلك يردعه وقيل ان وفاة احمد بن يحيى ثعلب كانت في سنة اثنتين وتسعين ومائتين (وفي هذه السنة) مات محمد بن محمد الجذوعي القاضي وله أخبار عجيبة فيما كان به من المذهب قد أتينا على وصفه ونوادره فيها وما كان به من التعزز في الاوسط (وفي سنة) اثنتين وتسعين ومائتين كانت وفاة أبي حازم عبد العزيز بن عبد الحميد القاضي يوم الخميس لسبع ليال خلون من جمادى الآخرة من هذه السنة ببغداد وله نيف وتسعون سنة (وفي هذه السنة) تغلب ابن الخليجي في سنة آلاف وتسعين بمصر وأبوه على مصر (وفيها) وقع الحريق العظيم فاحرق الغلة بباب الطاق نحوا من ثلثمائة دكان وأكثر وظفر بابن الخليجي في سنة ثلاث وتسعين ومائتين بمصر وأدخل الى بغداد وقد أشهر وقدامه أربعة وعشرون انسانا من أصحابه منهم العراجي الخادم الاسود وذلك للنصف من شهر رمضان من هذه السنة (وفي سنة) أربع وتسعين ومائتين مات موسى بن هرون بن عبد الله بن مروان البزاز المحدث المعروف بالجمال في يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان ببغداد ويكنى أبا عمران وهو ابن نيف وثمانين سنة ودفن في مقابر باب حرب الى جانب أحمد بن حنبل وقد قدمنا العذر فيما سلف من هذا الكتاب لذكرنا وفاة هؤلاء الشيوخ اذ كان الناس في أغراضهم مختلفين وفي طلابهم الفوائد متباينين ورب قد يقف على هذا الكتاب من لا غرض له فيما ذكرناه فيه ويكون غرضه معرفة وفاة هؤلاء الشيوخ (وكانت) وفاة أبي مسلم ابراهيم بن عبد الله الكجي البصري المحدث في المحرم سنة اثنتين وتسعين ومائتين وكان مولده في شهر رمضان سنة مائتين (وقبض) أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب وهو في سن أبي مسلم على ماذكرنا من تنازع الناس في تاريخ وفاته وقد كان أبو العباس أحمد بن يحيى قد ناله صمم وزاد عليه قبل موته حتى كان المخاطب له يكتب ما يريده في رقاع (وأخبرنا) محمد بن يحيى الصولي الشطرنجي قال كنا يوما نأكل بين يدي المكتفي فوضعت بين أيدينا قطائف رفعت من بين يديه في نهاية النضارة ورقة الخبز واحكام العمل فقال هل وصفت الشعراء هذا فقال له يحيى بن علي نعم قال أحمد بن يحيى فيها

قطائف قد حشيت باللوز * والسكر المازي حشو الموز
تسبح في أزى دهن الجوز * سررت لما وقعت في حوزي
سرور عباس بقرب فوز

قال وانشدت لابن الرومي

وأتت قطائف بعد ذاك لطائف

فقال هذا يقتضي ابتداء فانشدني الشعر من أوله فانشدته لابن الرومي

وخبيصة صفراء دينارية * ثمنا ولونا زفها لك جؤذر
عظمت فكادت أن تكون أوزة * ونوت فكاد اهابها يتفطر
طفقت تجود بوبلها جوزابه * فاذا الباب اللوز فيها السكر
نعم السماء هناك ظل صبيبها * يهمي ونعم الارض ظلت تمطر
يا حسنها فوق الخوان وبنتها * ندامها بصبيرها تتغرغر
ظالنا نقشر جلدها عن لحمها

توسل اليهم قط بها الا الآن وما يجهلون الاغتنام هذه الفضيلة الغريبة وأملي منكم أن يتعين من بين يديكم خديم بكتاب كريم يتضمن الشفاعة في رد ما أخذ لي ويجبر بمنواي مترامياً على قبر والدكم ويقرر ما ألزمكم بسبب هذا الترامي من الضرورة المهمة والوظيفة الكبيرة عليكم وعلى قبيلكم حيث كانوا وتطالبون منه عادة المكارمة بحل هذه العقدة ومن المعلوم أني لو طلبت بهذه الوسائل من صلب ماوسعهم بالنظر العقلي الاحفظ الوجه مع هذا القبيل وهذا الوطن فالحياء والحشمة يابيان العذر عن هذا في كل ملة ونحلة واذا تم هذا الغرض ولا شك في اتمامه بالله تعالى تقع صدقتكم على القبر الكريم بي وتعينوني لخدمة هذا المولى وزيارته وتفقده ومدح النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المولد في جواره وبين يديه وهو غريب مناسب لبركم به الى أن أحج بيت الله بعناية مقامكم وأعود داعياً مثنياً مستدعياً للشكر والثناء من أهل المشرق والمغرب وأتعوض من ذمتي بالاندلس ذمة بهذا الرباط المبارك برتها ذريتي وقد ساومت في شيء من ذلك منتظراً ثمنه مما يباع بالاندلس بشفاعتكم ولو ظننت انهم يتوقفون لكم

وكأن تبراعن لجسين بقشر * وتقدمتها قبل ذاك ثرائد * مثل الرياض عثلهن بصدر
ومرققات كلهن مزخرف * بالبيض منها ملبس ومدثر * وأتت قطائف بعد ذاك لطائف
ترضى اللهاة بها ويرضى الحنجر * ضحك الوجوه من الطبرزذ فوقها * دمع العيون مع الدهان يقصر

استحسن المكتفي بالله الابيات وأومأ الى أن أكتبها له فكتبتها له (قال محمد) بن يحيى الصولي وأكلنا يوما بين يديه بعد هذا بمقدار شهر فجاءت لوزينجة فقال هل وصف ابن الرومي اللوزينج فقلت نعم فقال أنشدنيه فانشدته

لا يخطئني منك لوزينج * اذا بدا أعجب أو أعجبا
لم تغلق الشهوة أبوابها * الا أبت زلفاه أن تحجبا
لو شاء أن يذهب في صخره * لسهل الطيب له مذهبا
يدور بالنفحة في جامه * دورا ترى الدهن له لولبا
عاون فيه منظر مخبرا * مستحسن ساعد مستعذبا
كالحسن المحسن في شدوه * تم فاضحى مغربا مطربا
مستكثف الحشو ولكنه * أرق جلدا من نسيم الصبا
كأنما قدت جلابيبه * من أعين القطر الذي طنبا
تخال في رقة خرسانه * شارك في الاضحية الجندبا
لو أنه صور من خبزه * ثغر لكان الواضح الاشنبا
من كل بيضاء يود الفتى * ان يجعل الكف لها مركبا
مدهونة أرقاء مدفونة * ٩٩٣ شهباء تحكي الاورق الاشهبا

دين له اللوز فلا مرة
مرت على الذائق الا أبا
وانتقد السكر نقاده
وشار فوا في نقده المذهبا
فلا اذا العين رأتها نبت
ولا اذا الضرس علاها نبا
فحفظها المكتفي فكان ينشدها (ومما استحسن) من شعر المكتفي لنفسه
اني كلفت فلا تحلو بجارية
كأنها الشمس بل زادت على الشمس

لكم في مثل هذا أو يتوقع فيه وحشة أو جفاء والله ما طلبته لكنهم أسرى وأفضل وانقطاعي أيضا والدكم مما لا يسع مجدكم الاعمل ما يليق بكم فيه وها أنا أرتقب جوابكم عالي عندكم من القبول ويسعني مجدكم في الطلب وخروج الرسول لاقتضاء هذا الغرض والله سبحانه يطلع من مولاي على ما يليق به والسلام وكتب في الحادي عشر من رجب عام احد وستين وسبعمائة * وفي مدرج الكتاب بعد نثر هذه القصيدة

مولاي ها أنا في جوار أبيكا * فابذل من البر المقدر فيكا
أسمعه ما يرضيه من تحت الثرى * والله يسمعك الذي يرضيكا
واجعل رضاه اذا نهدت كتيبة * تهدي اليك النصر أو تهديكا
واجبر بجبري قلبه تنل المنى * وتطالع الفتح المبين وشيكا
فهو الذي سن البر وربامه * وأبيه فاشرع شرعه لبنيكا
وابعث رسولك منذرا ومحذرا * وبما تؤمل نيله يأتيكا

ولمكتفي أيضا
لها من الحسن أعلاه ورؤيتها * سعدي وغيبتها عن ناظري نحسي

بلغ النفس ما اشتهت * فاذا هي قد اشتفت
انما العيش ساعة * أنت فيها وما انقضت
كل من يعذل المحب * اذا ما هدا اسكت

أيضا
من لي بان تعلم ما ألقى * فتعرف الصبوة والعشقا
ما زال لي عبدا وحبي له * صيرني عبدا له رقا
أعتق من رقي والمكتني * من حبه لا أملك العتقا

(أخبرنا) أبو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة النحوي المعروف بنفطويه قال أخبرنا أبو محمد عبد بن حمدون قال تذاكرنا بحضرة المكتفي فقال فيكم من يحفظ في نبيذ الدوشاب شيأ فانشدته قول ابن الرومي

اذا أخذت حبه ودبسه * ثم أخذت ضربه ومرسه * ثم أطلت في الاناء حبسه * شربت منه البابلي نفسه

فقال المكتفي قبحه الله ما أشرهه لقد شوقني في هذا اليوم الى شرب الدوشاب وقدم الطعام فوضع بين أيدينا طيفورية عظيمة فيها هريسة وقد جعل في وسطها مثل السكرجة الضخمة فيها دسم الدجاج فضحكت وخطر ببالي خبر الرشيد مع أبان القاري فلحظني المكتفي وقال يا أبا عبد الله ما هذا الضحك فقلت خبر ذكرته في الهريسة يا أمير المؤمنين ودهن الدجاج مع جدك الرشيد فقال ما هو قلت نعم يا أمير المؤمنين ذكر العتبي والمدائني أن أبان القاري تغدى مع الرشيد فأتوا بهريسة عليه

في وسطها مثل السكرجة الضخمة على هذا المثال من دهن الدجاج قال أبان فاشتهيت من ذلك الدسم وأجالت الرشيد من أن أمد يدي فاغمس فيه قال فغفلت باصبعي فيه فنحا يسيرا فانقلب الدسم نحوي فقال الرشيد يا أبان أخرقتها لتغرق أهلها فقال أبان لا يا أمير المؤمنين ولكن سقناه لبلد ميت فضحك الرشيد حتى أمسك صدره (وفي سنة) خمس وتسعين ومائتين وردت الى مدينة السلام هدية زيادة الله بن عبد الله ويكنى أبا مضر وكانت الهدية مائتي خادم أسود وأبيض ومائة وخمسين جارية ومائة من الخيل العربية وغير ذلك من اللطائف وقد كان الرشيد في سنة أربع وثمانين ومائة وذلك بالرقة قلد ابراهيم بن الاغلب أمر افريقية من أرض المغرب فلم يزل آل الاغلب أمراء افريقية حتى أخرج عنها زيادة الله بن عبد الله هذا في سنة ست وتسعين ومائتين وقيل في سنة خمس وتسعين ومائتين أخرجه من المغرب أبو عبد الله المحتسب الداعية الذي ظهر في كتا: وغيرها من البربر فدعا الى عبد الله صاحب المغرب وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب تولية المنصور للاغلب بن سالم السعد: المغرب (قال) واشتدت علة المكتفي بالله بالدرب فأحضر محمد بن يوسف القاضي وعبد الله بن علي بن أبي الشوارب فاشهدهما على قضيته بالعهد الى أخيه جعفر وقد قدمنا ذكر وصيته فيما سلف من هذا الكتاب فاغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع (قال المسعودي) وللمكتفي بالله أخبار حسان وما كان في عصره من الكوائن في قصة ابن الخليجي بمصر وأمر القرمطي بالشام وأمر ذكرويه وخروجه على ٤٠٠ الحاج وغير ذلك مما كان في خلافته قد أتينا على جميع ذلك في كتابنا أخبار الزمان والاوسط فاغنى ذلك عن اعادة ذكره

قد هز عزمك كل قطر نازح *	وأخاف عدلوك به ومايكا
فاذا سموت الى مرام شاسع *	فقصونه عمر المنى تجنيكا
ضمنت رجال الله منك مطالبي *	لما جعلتك في الثواب شريكا
فلئن كفيت وجوهها في مقصدي *	ورعيتها بركاتها تكفيكا
واذا قضيت حوائجي وأريتني *	أملا فريك ما أردت بريكا
واشدد على قولي يدا فهو الذي *	برهانه لا يقبل التشكيكا
مولاي ما استأثرت عنك بمهجتي *	أني ومهجتي التي تفديكا
لكن رأيت جناب شالة مغنما *	يصفي على العز في ناديكا
وفروض حقك لا تفوت فوقها *	باق اذا استجزيته يجزيكا
ووعدتني وتكرر الوعد الذي *	أبت المكارم أن تكون أفيكا
أضفى عليك الله ستر عناية *	من كل محذور الطريق يقيكا

(ذكر خلافة المقتدر بالله)

وبويع المقتدر جعفر بن أحمد في اليوم الذي توفي فيه أخوه المكتفي بالله وكان يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين ويكنى أبا الفضل وأمه أم ولد يقال لها شغب وكذلك أم المكتفي أم ولد يقال لها ظلوم وقيل غير ذلك وكان له يوم بويع ثلاث عشرة سنة وقتل ببغداد بعد صلاة العصر يوم الاربعاء لثلاث ليال بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة فكانت خلافته أربعا وعشرين سنة واحد عشر شهرا وستة عشر يوما وبلغ من السن ثمانيا وثلاثين سنة وخمسة عشر يوما وقد قيل في مقدار عمره غير ما ذكرنا والله أعلم

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه) وبويع المقتدر وعلى وزارته العباس بن الحسن الى أن وثب الحسين بن حمدان ووصيف بن سوار تكين وغيرهما من الاولياء على العباس بن الحسن فقتلوه وفاتكا معه وذلك في يوم السبت لاحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين وكان من أمر عبد الله بن المعتز ومحمد بن داود وغيرهما ما قد اتضح في الناس واشتهر وأتينا على ذكره في الكتاب الاوسط وغيره من أخبار المقتدر وقد صنف جماعة من الناس أخبار المقتدر مجتمعة مع أخبار غيره من الخلفاء ومفردة وعمل ذلك في أخبار بغداد وقد صنف أبو عبد الله بن عبدوس الجهشاري أخبار المقتدر في ألوف من الاوراق ووقع لي منها أجزاء يسيرة (وأخبرني) غير واحد من أهل الدراية أن ابن عبدوس صنف أخبار المقتدر في ألف ورقة وانما نذكر من أخبار كل واحد منهم لمعا وانما الغرض جوامع من أخباره تبعث على درسه وحفظ ما فيه ونسخه (وكان) عبد الله بن المعتز أديبا بليغا شاعرا مطبوعا مجودا مقتدرا على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة حسن الاختراع للمعاني

بقائك الدنيا تحاط وأهلها * فالله جل جلاله يبقيكا انتهى

فلما وصل الكتاب الى السلطان أجابه عما مر آنفا * ورأيت بخط الفقيه الاديب المؤرخ أبى عبد الله محمد بن الحداد الوادى آشى نزيل تلمسان على هامش قول ابن الخطيب فى هذه الرسالة ولا شك عند عاقل أنكم ان انحات عروة تأميلكم الخ ما صورته كذلك وقع آخر الامر وكان الاستيلاء على مدينة غرناطة آخر ما بقى من بلاد الاندلس للاسلام فى محرم عام سبعة وتسعين وثمانمائة فرحم الله تعالى ابن الخطيب العاقل اللبيب وغفر له برحمته انتهى * ومما خاطب به لسان الدين السلطان أبا سالم فى الغرض المتقدم قوله

عن باب والدك الرضا الأبرح * يأسو الزمان لاجل ذا أو يجرح
ضربت خيامى فى حماه فصبيتى * تجنى النعيم به وبهمى تسرح
حتى يراعى وجهه فى وجهتى * بعناية تشفى الصدور وتشرح
أيسوغ عن مثواه سيرى خائبا * ومنابر الدنيا بذكرك تصدح

فمن ذلك قوله يقول العاذلون تعزعنها * وأطفىء لهيب قلبك بالسلو وكيف وقبلة منها اختلاسا * ألذ من الشماتة بالعدو (وقوله) ضعيفة أجفانه * والقلب منه حجر * كانما الحاظه * من فعله تعتذر (وقوله) تولى الجهل وانقطع العتاب * ولاح الشيب وافتضح الخضاب لقد أبغضت نفسى فى مشيبى * فكيف تحبنى الخود الكعاب (وقوله) عجبا للزمان من حالتيه * وبلاء دفعت منه اليه رب يوم بكيت فيه فلما * صرت فى غيره بكيت عليه وقوله فى أبى الحسن على بن محمد بن الفرات الوزير أبا حسن ثبت فى الارض وطاتى * وأدركتنى فى المعضلات المزاهز والبستنى درعا على حصينة * فناديت صرف الدهر هل من مبارز (وقوله) ومن شر أيام الفتى بذل وجهه * الى غير من خفت عليه الصنائع متى يدرك الاحسان من لم تسكن له * الى طلب الاحسان نفس تنازع (وقوله) فان شئت غادتنى السقاة بكاسها * وقد فتح الاصباح فى ليلة فا خلت الدجا والفجر قدمد خيطه * رداء موشى بالكواكب معلما (وقوله) وأبكى اذا ما غاب نجم كاننى * فقدت صديقا أو رزئت حميما فلو شق من طرفى الا الى كواكب * شققت لها من ناظرى نجوما ومما أحسن فيه قوله فى عبيد الله بن سليمان لآل سليمان بن وهب صنائع * الى ومعروف لدى تقدما هم علموا الايام كيف بنوتى * وهم غسلوا من ثوب والدى الدما وقوله عند وفاة المعتصم بالله قضوا ما قضوا من حقه ثم قدموا * اماما يؤم الخلق بين يديه وصلوا عليه خاشعين كانهم صفوف قيام للسلام عليه وقوله فى قصادة المعتضد بالله يا دما سال من ذراع الامام أنت أذكى من عنبر ومدام قد ظننتك اذ جريت الى الطشت دموعا من مقلتى مستهام انما عرق الطبيب شبا المبضع فى نفس مهجة الاسلام (وقوله) اصبر على حسد الحسود * فان صبرك يقتله النار تأكل نفسها * ان لم تجد ما تأكله (وقوله) يطوف بالراح بيننا بشر * محكم فى القلوب والمقل يكاد لحظ العيون حين بدا * يسفك من خده دم الخجل (وقوله) رشا تيه بحسن صورته * عبث الفتور بلحظ مقلته ان عقرب صدغه وقفت * لما دنت من نار وجنته (وقوله) اذا اجتنى وردة من خده فه * تكونت تحتها أخرى من الخجل (قال) وكانت وفاة أبى بكر محمد بن داود بن على بن خلف الاصبهانى الفقيه سنة ست وتسعين ومائتين وكان ممن قد علا فى رتبة الادب وتصرف فى بحار اللغة وتمنن فى موارد المذاهب وأشفى على أغراض المطالب وكان عالما بالفقه منفردا وواحدا فيه فريدا وألف فى عنفوان صباه وقبل كماله وانتهائه الكتاب المعروف بالزهرة ثم تناهت فكرته ونسقت قوته فصنف الفقهيات ككتابه فى الوصول الى معرفة الأصول وكتاب الانذار وكتاب الأعذار والأيجار وكتابه المعروف بالانتصار على محمد بن جرير وعبيد الله بن شرشى وعيسى بن ابراهيم الضرير (ومما قال) فيه فأحسن فى عنفوان شبابه وأثبته فى كتابه المترجم بالزهرة وعزاه الى بعض أهل عصره وان كان محسنا فى سائر كلامه من منظومه ومنثوره قوله

على كبدى من خيفة البين لوعة * يكاد لها قلبى أسى يتصدع
يخاف وقوع البين والشمل جامع * فيبكى بعين دمعها متسرع
فلو كان مسرورا بما هو واقع * كما هو محزون بما يتوقع

وكان سواء برؤه وسقامه * ولكن وشك البين أدهى وأوجع (وقوله)
تمتع من حبيبك بالوداع * الى وقت السرور بالاجتماع فكم جربت من وصل وهجر * ومن حال ارتفاع واتضاع
وكم كأس أمر من المنايا * شربت فلم يضق منها ذراعي فلم أرى في الذي لاقيت شيأ * أمر من الفراق بلا وداع
تعالى الله كل مواصلات * وان طالت تؤل الى انقطاع (وقوله)
لا خير في عاشق يخفي صبابته * بالقول والشوق في زفراته بادي يخفي هواه وما يخفى على أحد
حتى على العيس والركبان والحادي (وفي سنة ثلاث وثلثمائة) في خلافة المقتدر بالله كانت وفاة علي بن محمد بن
نصر بن منصور بن بسام وكان شاعرا لسنا مطبوعا في الهجاء ولم يسلم منه وزير ولا أمير ولا صغير ولا كبير وله في هجاء أبيه
واخوته وسائر أهل بيته فما قال في أبيه بنى أبو جعفر دارا فشيدها * ومثله لخيار الدور بناء
فالجوع داخلها والذل خارجها * وفي جوانبها بؤس وضراء (وله فيه)
ما ينفع الدار من تشييد حائطها * وليس داخلها خبز ولا ماء (وله فيه)
هبك عمرت عمر عشرين نسرا * أترى أنني أموت وتبقى فلئن عشت بعد يومك يوما * لأشقن جيب مالك شقا
(وله فيه) رأى الجوع طبا فهو يحمى ويحتمي * فلست ترى في داره غير جائع * ويزعم ان الفقر في الجود والسخا
وأن ليس حظ في اكتساب الصنائع ٤٠٢ * لقد أمن الدنيا ولم يخش صرفها * ولم يدر أن المرء رهن الفجائع

أناك جاه وأنت أبصر بالذي * يرضيه منك فوزن عقالك أرجح
في مثلها سيف الحمية ينتضى * في مثلها زند الحفيظة يقدح
وعسى الذي بدأ الجميل يعيده * وعسى الذي سد المذاهب يفتح انتهى
وقد عرف في الاحاطة بالسلطان أبي سالم فقال بعد كلام أملاك المسلمين وحماة الدين
وأمراء المغرب الاقصى من بني مرين غيوث المواهب وليوث العرين ومعتمد الصريخ
وسهام الكافرين حفظ الله تعالى على الاسلام والمسلمين ظلهم وزين بهم الدنيا والدين
هالتهم وأبقى الكلمة فيمن اختاره منهم أو من أقاربهم فما عسى أن يطنب اللسان في
مدحهم وأين تقع العبارة وماذا يحصر الوصف الى أن قال وفاته وفي ليلة العشرين من
ذي القعدة من عام اثنين وستين وسبعمائة ثار عليه بدار الملك وبلد الامارة المعروف
بالبلد الجديد من مدينة فاس الخائن الغادر مخلفه عليها عمر بن عبد الله بن علي نسمة
السوء وجلة الشؤم والمثل البعيد في الجراءة على الله تعالى وقد اهتبل غرة انتقاله الى القصر

(وأنشدني) أبو الحسن محمد ابن علي الفقيه الوراق الانطاكي بانطاكية لعلي ابن محمد بن بسام يهجو الموفق والوزير أبا الصقر اسمعيل بن بلبل والطائي أمير بغداد وعبدون النصراني أخا صاعد وأبا العباس بن بسام وحامد بن العباس وزير المقتدر بالله بعدة للشواسحق بن عمران أمير الكوفة يومئذ

أيرجو الموفق نصر الاله * وأمر العباد الى دانيه ومن قبلها كان أمر العباد * لعمر أبيك الى زانيه السلطاني
فان رضيت رضيت أنه * كذا الية فوقها داليه وظل ابن بلبل يدعى الوزير * ولم يك في الاعصر الخاليه
وطحان طي تولى الجسور * وسقي الفرات وزرقاميه ويحكم عبدون في المسلمين * ومن ضله موجد الحاليه
وأحول بسطام ظل المشير * وكان يحوك بيرزاطيه وحامد يا قوم لو أمره * الى لألزمته الزاويه
نعم ولا رجعته صاغرا * الى بيع رمان حصراويه واسحق عمران يدعى الامير * لداهية أيما داهيه
فهذي الخلافة قد ودعت * وظلت على عرشها خاويه فخل الزمان لا وغاده * الى لعنة الله والهاويه
فيا رب قد ركب الارذلون * ورجلي في رجلهم عاليه فان كنت حاملنا مثلهم * والا فأرجل بني الزانيه
جمع في شعره هذا جميع رؤساء أهل الدولة في ذلك العصر (وأنشد) أبو اسحق الزجاج النحوي صاحب المبرد في المعتضد وقد
ختن ابنه جعفرا المقتدر وانصرف الناس من ختان * يدعون من جوعهم جزاما فقلت لا تعجبوا لهذا * فهكذا تختن اليتامى
(وله أيضا في المعتضد) الى كم لا ترى ما ترتجيه * ولا تنفك من امل كذوب
لئن يعوك معتضدا فاني * اظنك سوف تعضد عن قريب (وله في الوزير) العباس بن الحسن وابن عمرويه الخراساني
وكان أمير بغداد يومئذ لعن الله الذي قلد عباس الوزاره والذي ولى ابن عمر * ويه بغداد الاماره

لوز يرنجع الوجـــــه بطين كالقواره وقفا فيه سناما * ن ورأس كالخياره لم يزل يعرف بالزفـــن قديما والعياره

وأمير أعـــمى * كحمار ابن حماره رحل الاسلام عنا * بتوليه الوزاره (وأنشدني في أبي الحسن جحظة البرمكي المغني)

بجحظة المحسن عندي يد * أشكرها منه الى المحشر لما أراني وجه برذونه * وصانني عن وجهه المنكر

(وله في أبيه محمد بن نصر بن منصور بن بسام) خبيصة تعقد من سكره * وبرمة تطبخ في قنبره

عندفني أسمح من حاتم * يطبخ قدرين على مجمره وليس ذا في كل أيامه * لكنه في الدعوة المنكره

في يوم لهو وفطع هائل * ومجمع اللذات والقرقره يقول للآكل من خبزه * تعسا لهذا البطن ما أكبره

(وله في أبيه أيضا) خبز أبي جعفر طباشير * فيه الافاويه والعقاقير فيه دواء لكل معضلة * للبطن والصدر والبواسير

وقصعة الاكل مثل مدهنة * يرهق من حولها النواظير ونيل ما ترتجيه من يده * ما ليس تجرى به المقادير

(وله فيه) بعثت لاستهديه عيرا ولم أكن * لأعلم أن العير صار لنا صهرا

فوجه لي كي نستوي في ركوبه * فيركبه بطنا وأركبه ظهرا (وقال في جماعة من الرؤساء)

قل للرؤس ومن ترجى نوافلهم * ومن يؤمل فيه الرفد والعمل ان تشغلوني بأعمال أصيرها * شغلا والا ففي أعراضكم شغل

وقوله مالي رأيتك دائبا * مستسخطا أبدا الرزقك ارجع الى ما تستحق فان قوتك فوق حقك

(وله في عبيد الله بن سليمان الوزير) عبيد الله ليس له معاد * ولا عقل وليس له سداد

رددت الى الحياة فعدت عنها * لقول الله لو ردوا لعادوا

(وله في القاسم بن عبيد الله ابن سليمان)

قل للولي دولة السلطان * عند الكمال توقع النقصان

كم من وزير قد رأيت معظما * أضحى بدار مذلة وهوان

(وله في عبيد الله بن سليمان)

لابد يا نفس من سجود * في زمن القرد للقرود

هبت لك الريح يا ابن وهب * فخذ لها أهبة الركود (وله في اسمعيل بن بلبل الوزير)

لابي الصقر دولة * مثله في التخلف حرة حين المعت * آذنت بالتكشف (وله في العباس بن الحسن الوزير)

تحمل أوزار البرية كلها * وزير يظلم العالمين يجاهر ألم تر أسباب الذين تقدموا * وكيف أتتهم بالبلاء الدوائر

(وله في الوزير صاعد بن مخلد) سجدنا للقرود رجاء دنيا * حوتها دوننا أيدي القرود

فما نالت أناملنا بشيء * عملناه سوى ذل السجود (وله في العباس بن الحسن الوزير)

بنيت على دجلة مجلسا * تباهي به فعل من قد مضى فلا تفرحن فكم مثل ذا * رأيناه ما تم حتى انقضى

(وله في الوزير علي بن محمد بن الفرات) وقفت شهور اللوزير أعدها * فلم تدنه مني الحقوق السوالف

فلا هو يرعى لي رعاية مثله * ولا أنا أستحي الوقوف وآنف (وله في أبي جعفر محمد بن جعفر القوملي)

سألت أبا جعفر * فقال يدي تقصر فقلت له عاجلا * يكون كما تذكر (وله فيه)

لحية كنة أضربها التسف ووجه مشوه ملعون قلت لما بدا يحمحم في القو * لو يهذي كأنه مجنون

صدق الله أنت من ذكر الله مهين ولا يكاد يبين (وله في ابن المرزبان وقد كان سأله دابة فمنعه)

بخلت عني بعقرف عطب * فلم تراني ما عشت أركبه وان تكن صنته فما خلق الله مصونا وأنت تركبه .

السلطاني بالبلد انقديم متحولا اليه حذرا من قطع فاتكي كان يحذر منه استعجله بضعف نفسه وأعانه على فرص صحة الحكم به وسد الباب في وجهه ودعا الناس الى بيعة أخيه المعتوه وأصبح حائرا بنفسه يروم ارتجاع أمر ذهب من يده ويطوف بالبلد يلتمس وجها الى نجاح حيلة فاعياه ذلك ورشقت من معه السهام وفرت عنه الاجناد والوجوه وأسلمه الدهر وتبرأ منه الجد وعندما جن عليه الليل فر لوجهه وقد التف عليه الوزراء فسفهت حلومهم وذالت آراؤهم ولو قصدوا به بعض الجبال المنيعة لولوا أوجههم شطر مظنة الخلاص واتصفوا بالاغ الاعذار ولكنهم نكلوا عنه ورجعوا أدراجهم وتسللوا راجعين الى يد غادر الجملة وقد سلبهم الله سبحانه لباس الحياء والرجولية وتأذن الله تعالى لهم بعد بسوء العاقبة وقصد بعض بيوت البادية وقد فضحه نهار الغد واقتفى المتبعة أثره حتى وقعوا عليه فسيق الى مصرعه وقتل بظاهر البلد ثاني اليوم الذي غدر به فيه جعلها الله تعالى له شهادة ونفعه فلقد كان بقية البيت وآخر القوم دماثة وحياء وبعدا عن الشر وركونا للعاقبة وأنشدت على قبره

(وله مما أحسن فيه) تضمن لي في حاجة ما أحبه * فلما اقتضيت الوعد قطب واءتلى

وصيرت عذرا شغله واتصاله * ولولا اتصال الشغل ما كان أشغلا (ولعلي بن محمد بن بسام) في هذه المعاني أشعار كثيرة اكتفينا بذكر البعض عن ايرادها وأكثره منه في هذا الكتاب لما قدمنا ذكره فيما سلف قبله من الكتب وقد كان أبوه محمد بن جعفر في غاية الستر والمروءة وكان رجلا مترفا حسن الزي ظاهر المروءة مشغوفا بالنساء (وذكر) أبو عبد الرحمن العتبي قال دخلت عليه يوما شاتيا شديد البرد ببغداد فاذا هو في قبة واسعة قد طليت بالطين الاحمر الارمني وهو يلوح بريقا فقدرت أن تكون القبة عشرين ذراعا في مثلها وفي وسطها كانون برزافين اذا اجتمع ونصب كان مقداره عشرة أذرع في مثلها وقد ملئ جمر الغضي وهو جالس في صدر القبة عليه غلالة تسترية وما فضل عن الكانون مفروش بالديباج الاحمر فاجلسني بالقرب منه فكدت أتلظى فدفع الي جام ماء الورد وقد مزج بالكافور فمسحت به وجهي ثم رأيته قد استسقى ماء فأتوه بماء رأيت فيه ثلجا فلم يكن لي وكد الا قطع ما بيني وبينه ثم خرجت من عنده الى بردمانع وقد قال لي لا يصلح هذا البيت لمن يريد الخروج منه (قال) ودخلت عليه في بعض الايام وهو جالس في موضع في آخر داره وقد رفعه على بركة وفي صدره صفة وهو يشرف منها على البستان وعلى حير الغزلان وحظيرة القماري وأشباهها فقلت يا أبا جعفر أنت والله جالس في الجنة قال فليس ينبغي لك أن تخرج من الجنة حتى تصطبح فيها فما جلست واستقر بي المجلس حتى أتوه بمائدة جزع لم أر أحسن منها وفي وسطها جام جزع مملوءة قد لوى على جنباتها الذهب الاحمر

وهي مملوءة من ماء ورد وقد جعل ساقا على ساق كهيئة الصومعة من صدور الدجاج وعلى المائدة سكرجات جزع فيها الاصباغ وأنواع الملح ثم أتينا بشنبوشق بلور وبعده جامات اللوزينج ورفعت المائدة وقمنا من فورنا الى موضع الستارة فقدم بين أيدينا اجانة صيني بيضاء قد كرمت بالبنفسج والخيري واخرى مثلها قد عبي فيها التفاح الشامي قدرنا مقدارا ساحضر فيها الفحبة فما رايت طعاما الطف منه ولا ربما اظرف منه فقال لي هذا احق الصبوح فما انسى الى الساعة طيب ذلك اليوم (قال المسعودي) وانما ذكرنا هذا الخبر عن محمد بن جعفر ليعلم ان علي بن محمد ابنه أخبر بضد ما كان عليه وانه لم يسلم من لسانه انسان وله أخبار وهجو كثير في الناس قد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا وما كان من قوله في القاسم بن عبيد الله عند دخوله الى المعتضد وهو يلعب بالشطرنج وتمثل بقول علي بن بسام

حياة هذا كموت هذا * فليس يخلو من المصائب

فلما شال رأسه نظر الى القاسم فاستحيا فقال يا قاسم اقطع لسان ابن بسام عنك فخرج القاسم مبادرا ليقطع لسانه فقال له المعتضد بالبر والشغل ولا تعرض له بسوء فولاه القاسم البريد والخراج بجسر قنسرين والعواصم من أرض الشام وما كان من قوله في أسد بن جهور الكاتب وخبره معه وما عم بهجائه أسدا وغيره من الكتاب وهو

تعس الزمان لقد أتى بعجائب * ومحا رسوم الظرف والآداب

أو ما ترى أسد بن جهور قد أتى * متشبها بأجلة الكتاب

وأتى بأقوام لو انبسطت يدي * فيهم رددتهم الى الكتاب

(ولما قتل) العباس بن الحسن استوزر المقتدر علي بن محمد بن موسى بن الفرات يوم الاربعاء لاربع ليال خلون من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين فكانت وزارته الى أن سخط عليه ثلاث سنين وتسعة أشهر وأياما واستوزر محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان في اليوم الذي سخط فيه على علي بن محمد بن موسى بن الفرات وهو يوم الاربعاء لاربع خلون من ذي الحجة

الذي ووريت به جثته بالقلعة من ظاهر المدينة قصيدة أديت فيها بعض حقه

بني الدنيا بني لمع السراب * لدوا للموت وابنوا للخراب

انتهى المقصود من الترجمة وكان صف لسان الدين عقّر لي وجلسي كما سبقت الاشارة اه من كلام لسان الدين فيما خاطب به ابن أبي رمانة والله يسبل على الجميع رداء عفوه سبحانه وقد تقدم انه شفع لابن الخطيب عند أهل الاندلس ولذلك قال يخاطبهم

سمي خليل الله أحييت مهجتي * وعاجلني منك الصريخ على بعد

فان عشت أبلغ فيك نفسي عذرها * وان لم أعش فالله يجزيك من بعدي

(وقال الرئيس الامير الاديب أبو الوليد اسمعيل بن الاحمر في حق ابن الخطيب ما صورته) هو شاعر الدنيا وعلم المفرد والثنيا وكاتب الارض الى يوم العرض لا يدافع مدحه في الكتب ولا يجنح فيه الى العتب آخر من تقدم في الماضي وسيف مقوله ليس بالكهام اذ هو الماضي والا فانظر كلام الكتاب الاول من العصبة كيف كان فيهم بالافادة صاحب القصبه

وخلع عليه ولم يخلع على أحد غيره وقبض عليه يوم الاثنين لعشر خلون من المحرم سنة احدى وثلثمائة وخلع على الوزير علي بن عيسى بن داود بن الجراح يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة احدى وثلثمائة وقبض عليه يوم الاثنين لثمان خلون من ذي الحجة سنة أربع وثلثمائة واستوزر علي بن محمد بن الفرات ثانية وخلع عليه يوم الاثنين لثمان خلون من ذي الحجة سنة أربع وثلثمائة وقبض عليه يوم الخميس لاربع بقين من جمادى الاولى سنة ست وثلثمائة وخلع على الوزير حامد بن العباس يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة ست وثلثمائة وأطلق علي بن عيسى في اليوم الثاني من وزارته وهو يوم الاربعاء وفوضت الامور اليه وقبض على حامد بن العباس واستوزر علي بن محمد بن الفرات وهي الثالثة من وزارته وقد كان ولده محسن بن علي هو الغالب على الامور في هذه الوزارة فاتى على جماعة من الكتاب واستوزر المقتدر عبد الله بن محمد بن عبد الله الخاقاني ثم استوزر بعده أحمد بن عبيد الله الخصيبي ثم استوزر علي بن عيسى ثانية ثم استوزر علي بن محمد بن علي بن مقلة ثم استوزر بعده سليمان بن الحسن بن مخلد ثم استوزر بعده عبيد الله بن محمد الكلواذي ثم استوزر بعده الحسن ابن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وهو المقتول بالرقة ثم استوزر بعده الفضل بن جعفر بن موسى بن الفرات (وقتل المقتدر بالله) ببغداد وقت صلاة العصر يوم الاربعاء لثلاث ليال بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة وكان قتله في الوقعة التي كانت بينه وبين مؤنس الخادم بباب الشماسية من الجانب الشرقي وتولى دفن المقتدر العامة وكان وزيره في ذلك اليوم أبا الفتح الفضل بن جعفر (وذكر) أن الفضل أخذ الطالع في وقت ركوب المقتدر ٤٠٥ بالله الى الوقعة التي قتل فيها فقال له المقتدر أي وقت هو فقال وقت الزوال فقطب له المقتدر وأراد أن لا يخرج حتى أشرفت عليه خيل مؤنس فكان آخر العهد به من ذلك الوقت وكل سادس من خلفاء بني العباس مخلوع مقتول فكان السادس منهم محمد بن هرون المخلوع والسادس الآخر المستعين والسادس الآخر المقتدر بالله (وللمقتدر أخبار حسان) وما كان في أيامه من الحروب والوقائع وأخبار ابن أبي الساج وأخبار مؤنس وأخبار سليمان بن الحسن الجباري وما كان منه بمكة في سنة سبع عشرة وثلثمائة وغيرها وما كان في المشرق والمغرب قد أتينا على جميع ذلك في كتابنا أخبار الزمان مفصلا وفي الكتاب الاوسط مجملا وذكرنا منه في هذا الكتاب لمعا وأرجو أن يفسح الله لنا في البقاء ويمد لنا في العمر ويسعدنا بطول الايام فنعقب تأليف هذا الكتاب بكتاب آخر نضمنه فنون الاخبار وأنواعا من طرائف الآثار على غير نظم من تأليف ولا ترتيب من تصنيف على حسب ما يسنح من فوائد الاخبار ويوجد من نوادر الآثار ونترجمه بكتاب وصل المجالس بجوامع الاخبار ومخلط الآداب تاليا لما سلف من كتبنا ولاحقا لما تقدم من تصنيفنا (وكانت) وفاة موسى بن اسحق القاضي في خلافة المقتدر وذلك في سنة سبع وتسعين ومائتين ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة الكوفي ودفن في الجانب الشرقي وكان هذا من علماء أهل الحديث وكبار أهل النقل وورد الخبر الى مدينة السلام بأن أركان البيت الحرام الاربعة غرقت حتى عم الغرق المطاف وفاضت بئر زمزم وان ذلك لم يعهد فيما سلف من الزمان (وفيها) كانت وفاة يوسف بن يعقوب ابن اسمعيل بن حماد القاضي وذلك في شهر رمضان بمدينة السلام وهو ابن خمس وتسعين سنة وقيل ان في هذه السنة كانت وفاة محمد بن داود بن خلف الاصبهاني الفقيه وقد قدمنا ذكره وأن وفاته كانت في سنة ست وتسعين ومائتين وانما حكينا الخلاف في ذلك (وفي هذه السنة) وهي سنة سبع وتسعين ومائتين كانت وفاة ابن أبي عوف البروري المعدل ببغداد وذلك في شوال

القصبة للبراعة بالبراعه وبه أسكت صائلهم وما جحدت بكرهم وأصائلهم للجزالة المشربة بالحلاوه الممكنة من مفاصل الطلاوه وهو نفيس العدوتين ورئيس الدولتين بالاطلاع على العلوم العقليه والامتاع بالفهوم النقليه لكن صل لسانه في الهجاء ألسع ونجاد نطاقه في ذلك أوسع حتى صدمني وعلى القول فيه أقدمني بسبب هجوه لابن عمي ملك الصقع الاندلسي سلطان ذلك الوطن في النفر الجنسي المعظم في الملوك بالقول الجني والانسي ثم صفحت عنه صفحة القادر الوارد من مياه الظفر غير القاذر لان مثلي لا يليق به اظهار العورات ولا يجمل له تتبع العثرات اتباعا للشرع في تحريم الغيبه وضربا عن الكريهة واثباتا لحظوظ النقيبة الرغيبه فاضره لو اشتغل بذنوبه وتاسف على ما شرب من ماء اللهو بذنوبه وقد قال بعض الناس من تعرض للاعراض صار عرضه هدفا لسهام الاغراض انتهى * ومثل هذا في لسان الدين لا يقدح ومازالت الاشراف تهجى وتمدح وعلى تقدير صدور ما يخدش وجه جنابه الرفيع فالاولى

وهو ابن نيف وثمانين سنة ودفن في الجانب الغربي وانما نذكر هؤلاء لتقلهم السنن واشتهارهم بذلك وحاجة أهل العلم وأصحاب الآثار الى معرفة وقت وفاتهم (وفيها) مات أبو العباس أحمد بن مسروق المحدث وهو ابن أربع وثمانين سنة ودفن بباب آل حرب من الجانب الغربي وقد قدمنا في هذا الكتاب أخبار من ظهر من آل أبي طالب في أيام بني أمية وبني العباس وفي غيره مما سلف من كتبنا وما كان من أمرهم من قتل أو حبس أو حرب وقد كان ظهر بصعيد مصر أحمد بن محمد بن عبد الله ابن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب فقتله أحمد بن طولون بعد أقاصيص قد أتينا عليها فيما سلف من كتبنا وانما نذكر من ظهر من آل أبي طالب واللمع من أخبارهم في هذا الكتاب لاشتراطنا فيه على أنفسنا من ايراد ذكرهم ومقاتلهم وغير ذلك من أخبارهم من منذ أمير المؤمنين الى الوقت الذي ينتهي اليه تصنيفنا لهذا الكتاب (وكانت) وفاة يحيى بن الحسين الرسي بعد أن قطن بمدينة صعدة من أرض اليمن في سنة ثمان وتسعين ومائتين وقام بعده ولده الحسين بن يحيى وكان ظهور أبي الرضا وهو محسن بن جعفر بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد في أعمال دمشق في سنة ثلثمائة وكانت له مع أبي العباس أحمد بن كيغلغ وقعة فقتل صبرا وقيل قتل في المعركة وحمل رأسه الى مدينة السلام فنصب على الجسر الحديد بالجانب الغربي وظهر ببلاد طبرستان والديلم الاطروش وهو الحسن بن علي وأخرج عنها المسودة وذلك في سنة احدى وثلثمائة وقد كان ذا فهم وعلم ومعرفة بالآراء والنحل وقد كان أقام في الديلم سنين وهم كفار على دين المجوسية ومنهم جاهلية وكذلك الجيل فدعاهم

الى الله عز وجل فاستجابوا وأسلموا وقد كان للمسلمين بازائهم ثغور مثل قزوين وغيرها وبني في الديلم مساجد والديلم زعم كثير من الناس من ذوي المعرفة بالنسب أنهم من ولد باسل ابن ضبة بن أد وأن الجيل من تميم وقد قيل ان دخول الاطروش الى طبرستان كان في أول يوم من المحرم سنة احدى وثلثمائة وان في هذا اليوم دخل صاحب البحرين البصرة وقتل أميرها عسكرا المفلحي وقد أتينا على خبر الاطروش العلوي وخبر ولده وخبر أبي محمد الحسن بن القاسم الحسني الداعي واستيلائه على طبرستان ومقتله وما كان من الجيل والديلم في أمره في كتابنا أخبار الزمان (وكانت) وفاة أبي العباس أحمد بن سريج القاضي في سنة ست وثلثمائة (وكانت) وفاة أبي جعفر محمد بن ابراهيم بن جابر القاضي بحلب وأدخل الليث بن علي بن الليث ابن أخي الصفار الى مدينة السلام على الفيل في سنة سبع وتسعين ومائتين وقدامه الجيش وحوله وقد شهر وقيل ان الليث أدخل الى مدينة السلام في سنة ثمان وتسعين ومائتين (وفي هذه السنة) وهي سنة ثمان وتسعين ومائتين مات ببغداد أبو بكر محمد بن سليمان المروزي المحدث صاحب الجاحظ وقيل أيضا ان وفاته كانت في سنة ثمان وتسعين (وفي هذه السنة) كان دخول فارس صاحب مراكب الروم وحربها الى ساحل الشام فافتتح حصن القبة بعد حرب طويل وعدم مغيث يغيثهم من المسلمين وافتتح مدينة اللاذقية فسبى منها خلقا كثيرا ووقع في الكوفة برد عظيم الواحدة منه رطل بالبغدادي وريح مظلمة وذلك في شهر رمضان وانهدم كثير من المنازل والبنيان وكان فيها رجفة عظيمة هلك فيها خلق كثير من الناس هكذا كان بالكوفة في سنة تسع وثمانين ومائتين وكان بمصر في هذه السنة زلزلة عظيمة وفيها طلع نجم الذنب (وفيها) غزا وهنانة صاحب الغزو والبحر الرومي في مراكب المسلمين جزيرة قبرس وقد كانوا نقضوا العهد الذي كان في صدر الاسلام أن لا يعينوا الروم على المسلمين ولا المسلمين على الروم وأن خراجه نصفه للمسلمين ونصفه للروم وأقام وهنانة في هذه الجزيرة أربعة أشهر يسبي ويحرق

أن ينشد

واذا الحبيب أتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بألف شفيع

*(وممن أثنى على لسان الدين بن الخطيب) رحمه الله تعالى بعض أكابر علماء تلمسان ولم يحضرني الآن اسمه في تأليف عرّف فيه بالشيخ العلامة سيدي أبي عبد الله الشريف التلمساني وابنيه العالمين أبي يحيى وسيدي عبد الله فقال بعد كلام في حق الشريف ما نصه وكان علماء الاندلس أعرف الناس بقدره وأكثرهم تعظيما له حتى ان العالم الشهير لسان الدين بن الخطيب صاحب الانباء العجيبة والتآليف البديعة كلما ألف تأليفا بعثه اليه وعرضه عليه وطلب أن يكتب عليه بخطه وكان الشيخ الامام الصدر المفتي أبو سعيد بن لب شيخ علماء الاندلس وآخرهم كلما أشكلت عليه مسئلة كاتبه بها وطلب منه بيان ما أشكل عليه مقرا له بالفضل انتهى ما نقلته من الكتاب المذكور *(رجع) وكتب لسان الدين بن الخطيب متمثلا بشيخه الاوحد قاضي الجماعة أبي البركات ابن الحاج البلفيقي

ويفتح مواضع قد تحصن فيها وقد أتينا على خبر هذه الجزيرة فيما سلف من هذا الكتاب عند اخبارنا عن جبل البحار ومبادي الانهار ومطارحها فمنع ذلك من اعادة وصفها (وفي سنة احدى وثلثمائة) مات عبد الله بن ناجية المحدث بمدينة السلام وكان مولده في سنة اثنتي عشرة ومائتين وكان القبض على ابن الجصاص الجوهري بمدينة السلام في سنة اثنتين وثلثمائة والذي صح مما قبض من ماله من العين والورق والجوهر والفرش والثياب والمستغلات خمسة آلاف ألف وخمسمائة ألف دينار (وفيها) مات القاسم بن الحسن بن الاشيب ويكنى أبا محمد يوم الاثنين لليلتين بقيتا من جمادي الاولى وكان من كبار العلماء والمحدثين ودفن في الجانب الغربي في الشارع المعروف بشارع الجاليق وحضر جنازته محمد بن يوسف القاضي وأبو جعفر محمد ابن اسحق بن البهلول القاضي وغيرهم من الفقهاء والعدول والكتاب وأهل الدولة وهو أبو أبي عمران موسى بن القاسم بن الحسن المعروف بابن الاشيب وهو كبير من فقهاء الشافعيين في هذا الوقت (وفي هذه السنة) وهي سنة اثنتين وثلثمائة ثورة الجيش من الغرب فكان لاهل مصر من أصحاب السلطان معهم حروب عظيمة وقتل فيها خلق كثير واستأمن رجل من وجوه البرابرة يعرف بأبي حرة الى السلطان وسار الى مدينة السلام فخلع عليه (وفي سنة سبع عشرة وثلثمائة) أدخل يوسف بن أبي الساج الى مدينة السلام وقد شهر على الجمل الفالج وعليه دراعة الديباج التي لبسها عمرو بن الليث ووصيف الخادم وعلى رأسه برنس طويل بشقائق وجلاجل وحوله الجيوش ومؤنس الخادم ووراءه مع أرباب الدولة من أصحاب السيوف وقد أتينا على خبر هذه الوقعة التي أسر فيها مؤنس الخادم ابن أبي الساج بناحية اردبيل ومن حضرها من الامراء مثل ابن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان وعلي بن حسان وأبي الفضل المروى وأحمد بن علي بن صعلوك وغيرهم من الامراء والقواد وذكرنا تخلية المقتدر لابن أبي الساج وخروجه من ديار ربيعة ومضر الى بلاد اذربيجان التي هي من أعماله وأرمينية وما كان من غلامه مفلح واستيلائه على عمل مولاه ومفارقته الفارقي وما كان من سائر أخبار ابن أبي الساج ومسيره الى واسط ثم مسيره الى الكوفة وما كان من خبره في حربه لابي طاهر سليمان بن الحسن الجنابي وأسره اياه وقتله له نحو الانبار وهيت حين أشرف على سواده بليق غلام ابن أبي الساج وما كان في هذه الوقعة وهزمه لبليق ونظيف ومسير القرمطي ونزوله على هيت وغير ذلك وذلك في سنة خمس عشرة وثلثمائة فيما سلف من كتبنا وكذلك ذكرنا ما كان من مؤنس الخادم ومن كان معه من أولياء السلطان وقتال الجيش صاحب المغرب بمصر وذلك في سنة تسع وثلثمائة

(ذكر خلافة القاهر بالله)

وبويع القاهر محمد بن أحمد المعتضد بالله يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلثمائة ثم خلع يوم الاربعاء لخمس خلون من جمادي الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وسملت عيناه وكانت خلافته سنة وستة أشهر وستة أيام ويكنى بأبي منصور وأمه أم ولد

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)

واستوزر القاهر أبا علي محمد بن علي ابن مقلة في سنة احدى وعشرين وثلثمائة ثم عزله واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله الخصيبي وكانت أخلاقه لا تكاد تحصى لتقلبه وتلونه وكان شهما شديد البطش باعدائه وأباد جماعة من أهل الدولة منهم مؤنس الخادم وبليق وعلي بن بليق فهابه الناس وخشوا صولته واتخذ حربة عظيمة يحملها في يده اذا سعى في داره ويطرحها بين يديه في حال جلوسه ويباشر الحرب بتلك الحربة لمن يريد قتله فسكن من كان يتعدى على من قبله من الخلفاء والتشغب والوثب عليهم وكان

رحمهما الله تعالى

أيتها النفس اليه اذهبي * فحبه المشهور من مذهبي
أيأسني التوبة من حبه * طلوعه شمسا من المغرب

ويغلب على ظني انه خاطبه بذلك عند قدومه أعني لسان الدين من المغرب الى الاندلس والله تعالى أعلم *(وكان قاضي القضاة برهان الدين الباعوني الشامي) كثير الثناء على لسان الدين رحمه الله تعالى لانه تلقى أخباره من قاضي القضاة ابن خلدون حسبما ذكرناه في غير هذا الموضع ولقد رأيت بخطه على هامش بعض تآليف لسان الدين في الانشاء مانصه هذا بليغ الى الغاية انتهى *وكتب اثره بعض أكابر علماء المشرق مانصه هذا خط العلامة قاضي القضاة برهان الدين الباعوني وهو شديد الاعتناء والمدح للمصنف ابن الخطيب الاندلسي معظم له ولانشائه وهو خليق بالتعظيم جدير بمزيد التمجيد والتكريم وكيف لا وهو شاعر مفلق وخطيب مصقع وكاتب مترسل بليغ لولا مافي انشائه من الاكثار

قليل التثبت في أمره مخوف السطوة فاذا ما وصفنا من فعله الى أن احتيل عليه في داره فقبض عليه وسملت كلتا عينيه وهو
حي هذا في الجانب الغربي في دار ابن طاهر على ما نمي الينا من خبره واتصل بنا من أمره وذلك أن الراضي بالله غيب خبره
وقطع ذكره فلما بويع ابراهيم المتقي لله أصيب القاهر معتقلاً في بعض المقاصير فأمر به الى دار ابن طاهر فاعتقل بها الى هذه
الغاية التي وصفنا (وذكر) محمد بن علي العبدي الخراساني الاخباري وكان القاهر به آنسا قال خلا بي القاهر فقال اصدقني
أو هذه وأشار الى الحربة فرأيت والله الموت عيانا بيني وبينه فقلت أصدقك يا أمير المؤمنين فقال لي انظر يقولها ثلاثا فقلت
نعم يا أمير المؤمنين قال عما أسألك عنه ولا تغيب عني شيئا ولا تحسن القصة ولا تسجع فيها ولا تسقط منها شيئا قلت نعم يا أمير
المؤمنين قال أنت علامة بأخبار بني العباس من أخلاقهم وشيمهم من أبي العباس فمن دونه فقلت على أن لي الأمان يا أمير
المؤمنين قال ذلك لك قال قلت أما أبو العباس السفاح فكان سريعا الى سفك الدماء واتبعه عماله في الشرق والغرب من
فعله واستنوا بسيرته مثل محمد بن الاشعث بالمغرب وصالح بن علي بمصر وحازم بن خزيمة وحميد بن قحطبة وكان مع ذلك بحرا
سمحا وصولا جوادا بالمال وسلك من ذكرنا ممن كان في عصره سبيله وذهبوا مذهبه مؤتمين به قال وأخبرني عن المنصور
قلت الصدق يا أمير المؤمنين قال الصدق قلت كان والله أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس بن عبد المطلب وبين آل أبي
طالب وقد كان قبل ذلك أمرهم واحدا وكان أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم وكان معه نوبخت المجوسي المنجم
وأسلم على يديه وهو أبو هؤلاء النوبختية وابراهيم الفزاري المنجم صاحب القصيدة في النجوم وغير ذلك من علوم

النجوم وهيئة الفلك وعلي بن عيسى الاسطرلابي المنجم وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية الى العربية منها كتاب كليلة ودمنة وكتاب السندهند وترجمت له كتب ارسطاطاليس من المنطقيات وغيرها وترجم له كتاب المجسطي لبطليموس وكتاب الارثماطيقي وكتاب
اقليدس وسائر الكتب القديمة من اليونانية والرومية والفهلوية والفارسية والسريانية وخرجت الى
الناس فنظروا فيها وتعلقوا الى علمها وفي أيامه وضع محمد بن اسحق كتاب المغازي والسير وأخبار المبتدا ولم تكن قبل ذلك
مجموعة ولا معروفة ولا مصنفة وكان أول خليفة استعمل مواليه وغلمانه وصرفهم في مهماته وقدمهم على العرب فاتخذت ذلك
الخلفاء من بعده من ولده فسقطت وبادت العرب وزال بأسها وذهبت مراتبها وأفضت الخلافة اليه وقد نظر في العلوم وقرأ
المذاهب وارتاض في الآراء ووقف على النحل وكتب الحديث فكثرت في أيامه روايات الناس واتسعت عليهم علومهم
قال القاهر قد قلت فأحسنت وعبرت فبينت فأخبرني عن المهدي كيف كانت خلافته قلت كان سمحا سخيا كريما
جوادا فسلك الناس في عصره سبيله وذهبوا في أمرهم مذهبه واتسعوا في مساعيهم وكان من فعله في ركوبه أن يحمل معه بدر
والدراهم فلا يسأله أحد الا أعطاه وان سكت ابتدأه المفرق بين يديه وقد تقدم بذلك اليه وأمعن في قتل الملحدين
عن الدين لظهورهم في أيامه واعلانهم باعتقاداتهم في خلافته لما انتشر من كتب ماني وابن ديصان ومرقيون
المقفع وغيره وترجمت من الفارسية والفهلوية الى العربية وما صنف من ذلك ابن أبي العرجاء وحماد عجرد
اياس من تأييد المذاهب المانية والديصانية والمرقونية فكثر بذلك الزنادقة وظهرت آراؤهم
من أمر الجدليين من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب على الملحدين ممن ذكرنا

الذي لا يكاد يخلو من عثار والاطناب الذي يفضي الى الاجتناب والاسهاب الذي
يفقد الاهاب ويورث الالتهاب انتهى قلت وهذا الانتقاد غير مسلم فان لسان الدين
وان أطنب وأسهب فقد سلك من البلاغة أحسن مذهب ورحم الله تعالى العلامة
البرهان الباعوني المذكور أعلاه اذ كتب بخطه في آخر بعض تآليف لسان الدين في
الانشاء ما صورته قال كاتبه ابراهيم بن أحمد الباعوني لطف الله تعالى به الحمد لله على ما ألهم
من البيان وعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم وقفت على هذا الكتاب من أوله
الى آخره وعمت من بحر بلاغته في زاخره وعددته من مناقب مؤلفه ومفاخره فانه برز
فيه غاية التبريز وأتى بما هو أحسن من الذهب الابريز لا بل بما هو أبهى من الجواهر
والنجوم الزواهر وعجبت من تلك الالفاظ المشبهة لسحر الالحاظ ورقة المعاني المحكمة
المباني انتهى فانظر أيدك الله تعالى بعين الانصاف الى كلام هذا الفاضل المنصف
الكامل وقسه مع كلام ذلك المنتقد المتعصب الناقص الخامل مع أن الكلام الذي

تعرض

من الجاحدين وغيرهم وأقاموا البراهين على المعاندين وأذالوا شبه الملحدين فاوضحوا الحق للشاكين وشرع في بناء المسجد الحرام ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم على ما هما عليه الى هذه الغاية وبنى بيت المقدس وقد كان هدمته الزلازل قال فأخبرني عن الهادي على قصر أيامه كيف كانت أخلاقه وشيمه قلت كان جبارا عظيما وأول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة والاعمدة المشهورة والقسي الموتورة فسلكت عماله طريقته و يمموا منهجه و كثر السلاح في عصره قال لقد أجدت في وصفك وبالغت فيما ذكرت من قولك فاخبرني عن الرشيد كيف كانت طريقته قلت كان مواظبا على الحج والغزو واتخاذ المصانع والآبار والبرك والقصور في طريق مكة وأظهر ذلك بها وبمنى وعرفات ومدينة النبي صلى الله عليه وسلم فعم الناس احسانه مع ما قرن به من عدله ثم بنى الثغور ومدن المدن وحصن فيها الحصون مثل طرسوس وأذنة وعمر المصيصة ومرعش وأحكم بناء الحرب وغير ذلك من دور السبيل والمواضع للمرابطين واتبعه عماله وسلكوا طريقته واقتفت رعيته مقتدية بعمله مستنة بامامته فقمع الباطل وأظهر الحق وأنار الاسلام و برز على سائر الامم وكان أحسن الناس في أيامه فعلا أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور لما أحدثته من بناء دور السبيل بمكة واتخاذ المصانع والبرك والآبار بمكة وطريقها المعروف الى هذه الغاية وما أحدثته من الدور للسبيل بالثغر الشامي وطرسوس وما أوقفت على ذلك من الوقوف وما ظهر في أيامه من فعل البرامكة وجودهم وافضالهم وما اشتهر عنهم من أفعالهم وكان الرشيد أول خليفة لعب بالصولجان في الميدان ورمى بالنشاب في البرجاس ولعب بالاكرة والطبطاب وقرب الحذاق في ذلك فعم الناس ذلك الفعل وكان أول من لعب بالشطرنج من خلفاء بني العباس والنرد وقدم اللعاب وأجرى عليهم الرزق فسمى الناس أيامه لنضارتها وكثرة خيرها وخصبها أيام العروس وكثير ممن يجاوز النعت و يتفاوت فيه الوصف قال القاهر فاراك قد قصرت في تفضيل أم جعفر فلم ذلك قلت يا أمير المؤمنين

ميلا الى الاختصار وطلبا للايجاز قال فتناول الحربة وهزها فرأيت الموت الاحمر في طرفها ثم برق عينيه مع ذلك فاستسلمت وقلت هذا ملك الموت ولم أشك أنه يقبض روحي فاهوى بها نحوي ففرغت منها فاسترجع وقد أخطأتني فقال و يلك أبغضت ما فيه عيشك ومللت الحياة قلت هو يا أمير المؤمنين قال أخبار أم جعفر زدني منها قلت نعم يا أمير المؤمنين كان من فعلها وحسن سيرتها في الجد والهزل ما برزت فيه على غيرها فاما الجد والآثار الجميلة التي لم يكن في الاسلام مثلها مثل حفرها العين المعروفة بعين المشاش بالحجاز فانها حفرتها ومهدت الطريق لمائها في كل خفض ورفع وسهل وجبل ووعر حتى أخرجتها من مسافة اثني عشر ميلا الى مكة فكان جملة ما أنفق عليها مما ذكر وأحصى ألف ألف وسبعمائة ألف دينار وما قدمت ذكره من المصانع والدور والبرك والآبار بالحجاز والثغور وانفاقها الالوف على ذلك دون ما كان في وقتها من البذل وما عم أهل الفاقة من المعروف والخصب وأما الوجه الثاني مما تتباهى به الملوك في أعمالهم وينعمون به في أيامهم ويصونون به دولهم ويدونون في أفعالهم وسيرهم فهو أنها أول من اتخذ الآلة من الذهب والفضة المكللة بالجوهر وصنع لها الرفيع من الوشي حتى بلغ الثوب من الوشي الذي اتخذ لها خمسين ألف دينار وهي أول من اتخذ الشاكرية من الخدم والجواري يختلفون على الدواب في جهاتها ويذهبون في حوائجها برسائلها وكتبها وأول من اتخذ القباب الفضة والآبنوس والصندل وكلاليبها من الذهب والفضة ملبسة بالوشي والسمور والديباج وأنواع الحرير من الاحمر والاصفر

تعرض له ذلك بالقدح هو الذي تصدى له الباعوني بالمدح وكل اناء بالذي فيه ينضح وانما يعرف الفضل لاهل الفضل أهل الفضل والامر أجلى من أن يقام عليه دليل وأوضح (رجع) الى ما كنا بصدده وقال الوزير ابن عاصم عندما أجرى ذكر سلطان ابن الخطيب أمير المسلمين الغني بالله بعد كلام كثير ما صورته محل الحاجة منه وكان هذا السلطان من نيل الاغراض على أكمل ما يكون عليه مثله ممن نزع غرقا في قوس الخلافة وحكى لي شيخنا القاضي أبو العباس الحسني أن كبير ولده الامير أبا الحجاج طلب من الشيخ ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب أن يطلب من أبيه الغني بالله أن يبادر باعذاره اذ كان قد جاوز سن الاثغار دون اعذار فكان ما لحق والده من التمحيص وغير ذلك من الحوادث المهمة فاسعده الشيخ بذلك وقال للغني بالله يا مولانا ان سيدي يوسف وكلني على طلب اعذاره من مولانا نصره الله على ما يليق بك وبه فقال له الغني بالله حسبي الله وسكت سكتة لطيفة تشعر بفصل الكلام بعضه من بعض ثم قال ونعم الوكيل فعدها الاكياس

والاخضر والازرق واتخذت الخفاف المرصعة بالجوهر وشمع العنبر وتشبه الناس في سائر افعالهم بام جعفر ولما افضى الامر الى ولدها يا امير المؤمنين قدم الخدم وآثرهم ورفع منازلهم ككوثر وغيره من خدمه فلما رأت أم جعفر شدة شغفه بالخدم واشتغاله بهم اتخذت الجوارى المقدودات الحسان الوجوه وعممت رؤسهن وجعلت لهن الطرر والاصداغ والاقفية وألبستهن الاقبية والقراطق والمناطق فبانت قدودهن وبرزت أردافهن وبعثت بهن اليه فاختلفن فى يديه فاستحسنهن واجتذبن قلبه اليهن وأبرزهن للناس من الخاصة والعامة واتخذ الناس من الخاصة والعامة الجوارى المطمومات وألبسوهن الاقبية والمناطق وسموهن الغلاميات فلما سمع القاهر ذلك الوصف ذهب به الفرح والطرب والسرور ونادى بأعلى صوته يا غلام قدح على وصف الغلاميات فبادر اليه جوار كثيرة قدهن واحد توهمتهن غلمانا بالقراطق والاقبية والطرر والاقفية ومناطق الذهب والفضة فاخذ الكاس بيده فاقبلت أتامل صفاء جوهر الكاس ونور به الشراب وشعاعه وحسن أولئك الجوارى والحربة بين يديه وأسرع فى شربه فقال هيه فقلت نعم يا أمير المؤمنين ثم أفضى الامر الى المامون فكان فى بدء أمره لما غلب عليه الفضل بن سهل وغيره يستعمل النظر فى أحكام النجوم وقضاياها وينقاد الى موجباتها ويذهب مذاهب من سلف من ملوك ساسان كاردشير بن بابك واجتهد فى قراءة الكتب القديمة وأمعن فى درسها وواظب على قراءتها فافتن فى فهمها وبلغ درايتها فلما كان من الفضل بن سهل ذى الرياستين ما اشتهر وقدم العراق فانصرف عن ذلك كله وأظهر القول بالتوحيد والوعد والوعيد وجالس المتكلمين وقرب اليه كثيرا من الجدليين والنظارين

كأبى الهذيل وأبى اسحق ابراهيم بن سيار النظام وغيرهم ممن وافقهم وخالفهم وألزم مجلسه الفقهاء وأهل المعرفة من الادباء وأقدمهم من الامصار وأجرى عليهم الارزاق فرغب الناس فى صنعة النظر وتعلموا البحث والجدل ووضع كل فريق منهم كتبا ينصر فيها مذهبه ويؤيد بها قوله وكان أكثر الناس عفوا وأشدهم احتمالا وأحسنهم مقدرة وأجودهم بالمال الرغيب وأبذلهم لم للعطايا وأبعدهم من التسافه واتبعه وزراؤه وأصحابه فى فعله وسلكوا سبيله وذهبوا مذهبه ثم المعتصم فانه يا أمير المؤمنين سلك فى النحلة رأى أخيه المامون وغلب عليه حب الفروسية والتشبه بالملوك الاعاجم فى الآلة ولبس القلانس والشاشيات فلبسها الناس اقتداء بفعله وائتماما به فسميت المعتصميات وعم الناس افضاله وأمنت به السبل فى أيامه وشمل احسانه ثم هرون بن محمد الواثق فانه اتبع ديانة أبيه وعمه وعاقب المخالف وامتحن الناس وكثر معروفه وأمر القضاة فى سائر الامصار أن لا يقبلوا شهادة من خالفه وكان كثير الاكل واسع العطاء سهل الانقياد متحببا الى رعيته ثم المتوكل يا أمير المؤمنين فانه خالف ما كان عليه المامون والمعتصم والواثق من الاعتقاد ونهى عن الجدل والمناظرة فى الآراء وعاقب عليه وأمر بالتقليد وأظهر الرواية للحديث فحسنت أيامه وانتظمت دولته ودام ملكه وغير ذلك يا أمير المؤمنين مما اشتهر من أخلاقه قال القاهر قد سمعت كلامك وكأنى مشاهد للقوم على ما وصفت معاين لهم فيما ذكرت ولقد سرنى ما سمعت منك ولقد فتحت أبواب السياسة وأخبرت عن طرق الرياسة ثم أمر لى بجائزة عجل لى عطاءها فى وقتها ثم قال لى اذا شئت فقم فقمت وقام على أثرى بحربته فخيل والله لى أن يرمينى بها من ورائى ثم عطف نحو دار الخدم فما مضت الايام يسيرة حتى كان من أمره ما ظهر (قال المسعودى) وهذا الرجل الذى أخبرت عنه بهذا الحديث له أخبار حسان وهو حى يرزق الى هذه الغاية وهى

من مدارك نبله ومحاسن قوله وفعله انتهى قلت هذا من السلطان فى حق لسان الدين غاية التبجيل أعنى قوله ونعم الوكيل فاين هذا من سماع كلام أعدائه فيه بعد حتى آل أمره الى النحس بعد ذلك السعد وسقاه دهره بعد الحلاوة مامر ولم يكن قتله الا بسبب السلطان المذكور ركام

ثلاثة ليس لها أمان * البحر والسلطان والزمان

(وقال لسان الدين رحمه الله تعالى) ولما قضى الله عز وجل بالادالة ورجعنا الى أوطاننا من العدوة واشتهر عنى ما اشتهر من الانقباض عن الخدمة والتيه على السلطان والدالة والتكبر على أعلى رتب الخدمة وتطارحت على السلطان فى استنجاز وعد الرحلة ورغبت فى تبرئة الذمة ونفرت عن الاندلس بالجملة خاطبنى يعنى أبا جعفر بن خاتمة بعد صدر بلغ من حسن الاشارة وبراعة الاستهلال الغاية بقوله والى هذا يا سيدى ومحل تعظيمى واجلالى أمتع الله تعالى الوجود بطول بقائكم وضاعف فى العز درجات ارتقائكم فانه من الامر الذى

سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة مدحا للملوك شاعر الاهل الرياسات حسن الفهم جيد الرأى (وفى خلافة القاهر بالله) وهى سنة احدى وعشرين وثلثمائة كانت وفاة أبى بكر محمد بن الحسن بن دريد ببغداد وكان ممن قد برع فى زماننا هذا فى الشعر وانتهى فى اللغة وقام مقام الخليل بن أحمد فيها وأورد أشياء فى اللغة لم توجد فى كتب المتقدمين وكان يذهب فى الشعر كل مذهب فطورا يجزل وطورا يرق وشعره أكثر من أن نحصيه أو يأتى عليه كتابنا هذا فمن جيد شعره قصيدته المقصورة وأولها

أما ترى رأسى حاكى لونه * طرة صبح تحت أذيال الدجى

واشتعل المبيض فى مسوده * مثل اشتعال النار فى جزل الغضى

(ومنها)

ان الجديدين اذا ما استوليا * على جديد أدنياه للبلى * لست اذا ما أبهضتنى غمرة * ممن يقول بلغ السيل الزبى

(ومنها) وان ثوت بين ضلوعى زفرة * تملأ ما بين الرحا الى الرجا وقد عارضه فى هذه القصيدة المقصورة جماعة من الشعراء منهم أبو القاسم على بن محمد بن داود بن الفهم التنوخى الانطاكى وهو فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بالبصرة فى جملة البريديين وأول قصيدته المقصورة التى يمدح فيها تنوخ وقومه من قضاعة

لولا انتهائى لم أطع نهى الهوى * مدى الصبا نطالب من حاز المدى ان كنت أقصرت فما أقصر قلـ

ـب داميا ترميه ألحاظ الدمى ومقلة ان مقلت أهل الغضى * أغضت وفى أجفانها جمر الغضى

(وفيها يقول) وكم ظباء رعيها ألحاظها * أسرع فى الانفس من حد الظبا * ٤١١ أسرع من حرف الى جرومن

حب الى حبة قلب وحشى فصاعد من ملك ابن حجر ما بعده للمرتقين مرتقى وقد سبق الى المقصورة أبو القاسم نصر بن نصر الحلوانى بن محمد بن زيد الداعى بطبرستان بقوله

قفا خليلى على تلك الربا * وسائلاها أين هاتيك الدمى

أين اللواتى ربعت ربوعها * عليك باستعبادها تشفى الجوى

(ولابن ورقاء فى المقصورة أيضا) ماشئت قل هى المها هى القنا * جواهر يكبن أطراف الدمى

وممن تأخر بعد موت ابن دريد العمانى أبو عبد الله المفجع وكان كاتبا شاعرا بصيرا بالغريب وهو صاحب الباهلى المصرى الذى كان يناقض ابن دريد فمما جوده فيه المفجع قوله ألا طرب الفؤاد الى ردين * ودون مزارها ذو الحلمتين

الحبا لما وهنا رحلى * فولى رعيه الشرطين عينى وقد أتينا على ما كان فى أيام القاهر مع قصر مدته من الكوائن فى الكتاب الاوسط فمنع ذلك من ذكره فى هذا الكتاب *(ذكر خلافة الراضى بالله)* وبويع الراضى بالله محمد بن جعفر المقتدر ويكنى أبا العباس يوم الخميس لست خلون من جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة فأقام فى الخلافة الى أن مضى من ربيع الاول عشرة أيام سنة تسع وعشرين وثلثمائة ومات حتف أنفه بمدينة السلام وكانت خلافته ست سنين واحد عشر شهرا وثلاثة أيام وأمه أم ولد يقال لها ظلوم *(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه)* واستوزر الراضى أبا على محمد بن على بن مقلة ثم استوزر أبا على عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح ثم أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخى ثم أبا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد ثم أبا الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ثم أبا عبد الرحمن بن محمد البريدى وكان الراضى أديبا شاعرا ظريفا وله أشعار حسان فى معان مختلفة ان لم يكن ضاهى بها ابن المعتز فما تقصر عنه فمن ذلك قوله فى حاله وحال معشوقه اذا التقيا

يصفر وجهى اذا تأمله * طرفى ويحمر وجهه خجلا

لم يغب عن رأى العقول ولا اختلف فيه أرباب المعقول أنكم بهذه الجزيرة شمس أفقها وتاج مفرقها وواسطة سلكها وطراز ملكها وقلادة نحرها وفريدة درها وعقد جيدها المنصوص وتمام زينتها على العموم والخصوص ثم أنتم مدار أفلاكها وسر سياسة أملاكها وترجمان بيانها ولسان احسانها وطبيب مارستانها والذى عليه عقد ادارتها وبه قوام امارتها ولديه يحل المشكل واليه يلجأ فى الامر المعضل فلا غر وأن تتقيد بكم الاسماع والابصار وتحدق نحوكم الاذهان والافكار ويزجر عنكم السانح والبارح ويستنبأ ما تطرف عنه العين وتختلج الجوارح استقراء لمرامكم واستطلاعا لطالع اعتزامكم واستكشافا عن مرامى سهامكم لا سيما مع اقامتكم على جناح خفوق وظهور ركم فى ملتمع بروق واضطراب الظنون فيكم مع الغروب والشروق حتى تستقر بكم الديار ويلقى عصاه التسيار ولها العذر فى ذلك اذ صدعها بفراقكم لم يندمل وسرورها بلقائكم لم يكتمل ولم يبر بعد جناحها المهيض ولا جم ماؤها المغيض ولا

حتى كأن الذي يوجنته * من دم وجهي اليه قد نقلا (ومن جيد شعره قوله)

يارب ليل قد نام زاره * يسترني ومؤنسي أزراره * ساق مليح القد كجاره
سراجه ووجهه مناره * يشهد لي بسذله زناره * تاه بخده طه سراحمراره
ماس مع الجمرة جلناره * أي كثيب قد حوى ازاره * وأي نور ضمنت أزراره
طوع الكؤس غره عذاره * اخفاؤه تعتاده اراؤه * لا كان لهولم يسر غباره

(وقد كان) أبو بكر الصولي يروى كثيرا من أشعار الراضي ويذكر حسن أخلاقه وجميل أخباره وارتياضه بالعلم وفنون الادب واشرافه على علوم المتقدمين وخوضه في بحار الجدليين من أهل الدراية والمتفلسفين (وذكر) أن الراضي رأى في بعض متنزهاته بالبوناب بستانا مونقا وزهرا رائقا فقال لمن حضر هل رأيتم أحسن من هذا فكل قال أشياء ذهب فيها الى مدحه ووصف محاسنه وانها لا يفي بها شيء من زهرات الدنيا فقال لعب الصولي بالشطرنج والله أحسن من هذا ومن كل ما تصفون (وذكر) أن الصولي في بدء دخوله الى المكتفي وقد كان ذكر له بجودة لعبه الشطرنج وكان الماوردي اللاعب معجبا بلعبه فلعبا جميعا بحضرة المكتفي فحمل المكتفي حسن رأيه في الماوردي وتقدم الخدمة والالفة على نصرته وتسميعه حتى أدهش ذلك الصولي في أول وهلة فلما اتصل اللعب بينهما وجمع له الصولي غايته غلبا لا يكاد يرد عليه شيأ وتبين حسن لعب الصولي للمكتفي فعدل عن هواه ونصره للماوردي

وقال له صار ماء وردك بولا (قال المسعودي) وقد تناهى بنا الكلام وتغلغل بنا التصنيف الى جمل من أخبار الشطرنج وما قيل فيه مع ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الاخبار الهند ومبادي اللعب بالشطرنج والنرد واتصال ذلك بالاجسام العلوية والاجرام السماوية فلنذكر جملا مما ذكر في ذلك مما لم يتقدم له ذكر فيما سلف من هذا الكتاب وذكر عمرو بن بحر الجاحظ في كتابه في تفصيل صنعة الكلام وهي الرسالة المعروفة بالهاشمية أن الخليل ابن أحمد من أجل احسانه في النحو والعروض وضع كتابا في الايقاع وتراكيب الاصوات وهو لم يعالج وتر اقط ولا مس بيده قضيبا قط ولا كثرت مشاهدته للمغنين وكتب كتابا في الكلام ولو جهد كل بليغ في الارض أن يتعمد ذلك الخطأ والتعقيد لما وقع له ولو أن ممرورا استغرق قوى مرته في الهذيان لما تهيأ له مثل ذلك منه ولا يتأتى مثل ذلك لاحد الا بخذلان لان الله الذي لا يبقى منه شيء قال الجاحظ ولولا أن أسخف الكتاب واهجر الرسالة وأخرجها من حد الجد الى الهزل حكيت صدر كتابه في التوحيد وبعض ما وصفه في العدل قال ولم يرض بذلك حتى عمد الى الشطرنج فزاده في الدولاب جملا فلعبت به أناس من حاشية الشطرنجيين ثم رموا به وقد ذكر الناس ممن سلف وخلف أن جميع الآلات على هيآتها سائست صور ولم يظهر في اللعب غيرها فأولها آلة المربع المشهورة وهي ثمانية في مثلها ونسبت الى قدماء الهند ثم الآلة المستطيلة وأبياتها أربعة في ستة عشر والامثلة تنصب فيها في أول وهلة في أربعة صفوف من كلا الوجهين حتى تكون الرقاب منها في صفين والبيادق أيضا أمامها صفين ومسيرها كمسير أمثلة الصورة الاولى والآلة المربعة وهي عشرة في مثلها والزيادة في أمثلتها قطعتان تسميان الدبابين ومسيرهما كمسير الشاة الا أنهما يأخذان ويؤخذان ثم الآلة المدورة المنسوبة الى الروم ثم الآلة النجومية التي تسمى الفلكية وأبياتها على عدد نجوم الفلك مقسومة نصفين وينقل فيها سبعة أمثلة مختلفة الالوان على عدد الخمسة

عبرت من داجيها الليالي البيض ولا استوى نهارها ولا تألفت أنهارها ولا اشتملت نعماؤها ولا نسيت غماؤها بل هي كالناقه والحديث العهد بالمكاره يستشعر نفس العافيه ويتمسح منكم باليد الشافيه فبعنايتكم عليها وعظم حرمتكم على من لديها لا تشوبوا الماء عذب المجاج بالاجاج وتفطموها عما عودت من طيب المزاج فالداء هاوحياة قربكم غير طبكم من علاج واني ليخطر بخاطري محبتكم وعنايتكم بما يعنيكم ما نال جانبكم صانه الله تعالى بهذا الوطن من الجفاء ثم اذكر ما نالكم من حسن العهد وكرم الوفاء وان الوطن احدى المواطن الاوطار التي يحق لمن جيل الاحتفاء وما يتعلق بكم من حرمة أولياء القرابة وأوداء الصفاء فيغلب على ظني أنكم لحسن العهد أنجح ويحق نفسكم عن حق أوليائكم اسمح ولانى هي أعظم قيمة من فضائلكم أوهب وأسمح وهب أن الدر لا يحتاج في الاثبات الى شهادة النحور واللبات والياقوت غني المكان عن مظاهرة القلائد والتيجان أليس أنه أعلى للعيان وأبعد عن مكابرة البرهان تألقها في تاج الملك أنوشروان

الانجم والنيرين وعلى ألوانها (وقدبينا) فيما سلف من أخبار الهند كيفية اتصالها بالاجسام السماوية وتقدّ قيل في صنعها للاشخاص العلوية أو تحرك الفلك بعشقه لما فوقه وقولهم في النفس ونزولها من عالم العقل الى عالم الحس حتى نسيت بعد الذكر وجهلت بعد العلم وغير ذلك من تخاليطهم مما يتصل علمه عنده م عند ... الشطرنج ثم آلة أخرى تسمى الجوارحية استحدثت في زماننا هذا وهي سبعة أبيات في ثمانية وأمثالها اثناعشر في كل جهة ... ستة كل واحد من الستة يسمى باسم جارحة من جوارح الانسان التي بها يميز وينطق ويسمع ويبصر ويبطش ويسعى وهي ست ... س والخامس المشترك وهو الذي من القلب (وقد ذكرت) الهند وغيرها من اليونانيين والفرس والروم وغيرهم ممن لعب ... كيفية صورها ومباديها ووجوه عللها والغرائب فيها وتصنيف القوائم والمفردات وأنواع طرائف المنصوبات (وقد استعمل) نصاب الشطرنج عليها فنون الهزل والنوادر المدهشة فزعم كثير منهم أن ذلك مما يبعث على لعبها وانصباب المواد وصحيح الافكار اليها وأن ذلك بمنزلة الارتجاز الذي يستعمله أهل القتال عند اللقاء والحادي عند الاعياء والمائح للعرب عند الاستقاء وأن ذلك عدة للاعب كان الشعر والارتجاز من عدة التحارب (وقد قيل) فيما وصفنا أشعار كثيرة مما قاله بعض اللعاب فمن ذلك

نوادر الشطرنج في وقتها * أحرمن ملتهب الجمر كم من ضعيف اللعب كانت له * عرنا على مستحسن القمر

(ومما قيل فيها) وبالغ في وصف اللعب بها المأمون أرض مربعة حمراء من أدم * ما بين الفين موصوفين بالكرم

تذاكرا الحرب فاحتالا لها شبها * من غير أن يسعيا فيها بسفك دم * هذا يغير على هذا وذاك على

هذا يغير وعين الحرب لم تنم فانظر الى الخيل قد جاشت بمعركة في عسكرين بلا طبل ولا علم

ومما قيل لها وبولغ في وصفها واستوعب النظر لا ... ثرمعانيها ما قاله أبو الحسن بن أبي البغل الكاتب وكان من جملة الكتاب وكبار العمال وممن اشتهر بمعرفتها واللعب بها وهو

أنوشروان والشمس وان كانت أم الانوار وجلاء الابصار مهما أعمى مكانها من الافق قيل أليل هو أم نهار وكافى علمكم مافارق ذووا الارحام وأولوا الاحلام مواطن استقرارهم وأماكن قرارهم الا برغمهم واضطرارهم واستبدال دار خير من دارهم ومتى توازن الاندلس بالمغرب أو يعوض عنها الاعكة أو يثرب ماتحت أديمها أشلاء أولياء وعباد وما فوقه مرابط جهاد ومعاقد ألوية في سبيل الله ومضارب أوتاد ثم يبوؤا أولاده مبوأ أجداده ويجمع له بين طارفه وتلاده أعيد أنظاركم المسددة من رأي فائل وسعي طويل لم يحل منه بطائل فحسبكم من هذا الاياب السعيد والعود الحميد وهي طويلة قال لسان الدين رحمه الله تعالى فاجبته بقولي

لم في الهوى العذرى أولا تلم * فالعذل لا يدخل اسماعي

شأنك تعنيفي وشأني الهوى * كل امرئ في شأنه ساعي

أهلا بتحفة القادم وريحانة المنادم وذكر الهوى المتقادم لا يصغر الله مسراك فما أسراك

فتى نصب الشطرنج كيما يرى بها * عواقب لا يسمو بها غير جاهل وأبصر أعقاب الاحاديث في غد

بعيني مجد في مخيلة هازل ليجرى على السلطان في ذاك أنه * أراه بها كيف اتقاء الغوائل

وتصريف مافيها اذا ما اعتبرته * شبيه بتصريف القنا والقنابل (قال المسعودى) فاما ماقيل في النرد وأوصافها فقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب كيفية نصبها والمحدث للعبها على ماحكى من التنازع في ذلك عند ذكرنا أخبار الهند وفيها عند ذوي المعرفة بها ضروب من اللعب وفنون من الترتيب ووجوه من النصب الآن عند البيوت واحد لازيادة فيها ولا نقصان على ماتقدم في ذلك من عملها والمعهود في أصولها وان الفصين فيها محكمان واللاعب بهما وان لم يكن مختارا ولا خارجا عن حكم الفصين فيها وقضائهما محتاج الى أن يكون صحيح النقل وسابقه صحيح الحساب حسن الترتيب جيده (وقد قيل) في لعبها ووصفها وأحكام الفصين فيها وقضائهما على لعابها أشعار كثيرة بالغوا بالقول فيها وأغرقوا في استيعاب معانيها (من ذلك قول بعضهم) لا خير في النرد لا يغني ممارسها * حسن الذكاء اذا ما كان محروما

ترك أفعال فصيها بحكمهما * ضدين في الحال ميمونا ومشؤما فما تكاد ترى فيها أخا أدب * يفوته القمر الا كان مظلوما

(وأخبرني) أبو الفتح محمد بن الحسن السندي بن شاهك الكاتب المعروف بكشاجم وكان من أهل العلم والرواية والمعرفة والادب انه كتب الى صديق له يذم النرد وكان بها مشتهرا أبياتا وهي

أيها المعجب المفاخر بالسنر * دليزهو بها على الاخوان فلعمري حرصت جهدا على فـسـرك لولم تواتك الفصان
غيران الاديب يكذبه الظن ويبكي لشدة الحرمان واذا ما القضاة جاءت بحكم * لم يحد عن قضائها الخصمان
ولعمري ما كنت أول انسا * ن نعمي فاخلفته الاماني وأنشدني أبو الفتح أيضا لابي نواس
ومأمورة بالامر تاتي بغيره * ولم تتبع في ذاك غيا ولا رشدا اذا قلت لم تفعل وليست مطيعة * وأفعل ما قالت فصرت لها عبدا

(وقد قدمنا) في أخبار ملوك الهند فيما سلف من هـذا الكتاب قول من قال في النرد والفصين انها جعلت مثلا للمكاسب وانها لا تنال بالكيس ولا بالحيل وماذكر عن أردشير بن بابك في ذلك أنه أول من لعب بها وأرى تقلب الدنيا باهلها وجعله لبيوتها اثنى عشر على ترتيب عدد الشهور وان كلابها ثلاثون كلبا بعدد أيام الشهور وان الفصين مثال القدر وتلعبه باهل هذا العالم وغير ذلك مما وصفنا من أحوالها وما قدمنا من ذكرها في هذا الكتاب وغيره مما سلف من كتبنا (وذكر) بعض أهل النظر من الاسلاميين أن واضع الشطرنج كان عدليا مستطيعا فيما يفعل وان واضع النرد كان مجبرا فتبين باللعب بها انه لا صنع له فيها بل تصرفه فيها على ما يوجبه القدر عليه بها (وذكر) العروضي وهو ممن كان له أدب الراضي وغيره من الخلفاء وابنائهم قال حدثت الراضي ذات يوم خبرا ألفيته عن مسلم الباهلي في الكبر وغيره من الخصال التي توجد في أهل الرياسات مما يحمد فيهم ويكره منهم من الاخلاق فكتب ذلك مني في حال صباه وعنفوان حداثته ولقد رأيته مواظبا على درسه الى أن استكمل اتقانه في مجلسه دداخله عند ذلك طرب وفرح وارتيحية لم أعهدها منه ثم قال لي وقد أقبل على

اهل الزمان أن يبلغ بي أن آتادب بهذه الخصال وأكون في مرتبة من يرتاض بهذه الآداب وهو أنه قيل لقتيبة بن مسلم وهو وال على خراسان للحجاج محارب للترك لو وجهت فلانا الرجل من أصحابه الى حرب بعض الملوك على الجيش فقال قتيبة انه رجل عظيم الكبر ومن عظم كبره اشتد عجبه

ومن اعجب برأيه لم يشاور كفيئا ولم يؤامر نصيحا ومن تبجح بالاعجاب وفخر بالاستبداد كان من الصنع بعيدا ومن الخذلان قريبا والخطا مع الجماعة خير من الصواب مع الفرقة ومن تكبر على عدوه حقره واذا حقره تهاون بامره ومن تهاون بامر عدوه وثق بامر قوته وسكن الى جميع عدته ومن سكن الى جميع عدته قل احتراسه ومن قل احتراسه كثر عثاره وما رأيت عظيما تكبر على صاحب حرب قط الا كان منكوبا ومهزوما ومخذولا لا والله حتى يكون أسمع من فرس وابصر من عقاب واهدى من قطاة واحذر من عقعق وأشد اقداما من أسد وأوثب من فهد واحقد من جمل واروغ من ثعلب واسخى من ديك واشح من ظبي واحرس من كركي وأحفظ من كلب وأصبر من ضب واجمع من النمل وان النفس انما تسمح بالعناية على قدر الحاجة وتتحفظ على قدر الخوف وتطمع على قدر السبب وقد قيل على وجه الدهر ليس لمعجب رأي ولا لمتكبر صديق ومن احب ان يحب تحبب (قال المروضي) وتذاكرنا يوما بحضرة الراضي بالله في حال صباه وقد حضر جماعة من ذوي العلم والمعرفة باخبار الناس ممن غبر فانتهى بنا الامر الى خبر معاوية بن ابي سفيان حين ورد عليه كتاب من ملك الروم ان يرسل اليه سراويل احسم رجل عنده فقال معاوية لا أعلمه الا قيس بن سعد فقال لقيس اذا انصرفت فابعث الي سراويلك فخلعها ورمى بها فقال معاوية هلا بعثت بها من منزلك فقال قيس أردت لكيما يعلم الناس انها
سراويل قيس والوفود شهود وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه سراويل عاد قد نمته ثمود

لقد جنت الي من هموي ليلا وجنت رجلا وخيلا ووفيت من صاع الوفاء كيلا وظننت بي الاسف على ما فات فأعملت الالتفات لكيلا فاقسم لو أن الامر اليوم بيدي أو كانت اللمة السوداء من عددي ما أفلت أشراكي المنصوبة لامثالك حول المياه وبين المسالك ولا علمت ما هنالك لكنك طرقت حمى كسعته الغارة الشعواء وغيرت ربعه الانواء فخمد بعد ارتجاجه وسكت أذين دجاجه ولاعبت الرياح الموج فوق فجاجه وطال عهده بالزمن الاول وهل عند رسم دارس من معول وحيا الله ندبا الى زيارتي ندبك وبآدابه الحكمية أدبك فكان وقد أفادتك الاماني كمن أهدى الشفاء الى العليل وهي شيمة بوركت من شيمه وهبة الله تعالى قبله من لدن المشيمة ومن مثله في صلة رعى وفضل سعى وقول ووعى
قسما بالكواكب الزهر والزهر عاتمه
انما الفضل ملة * ختمت بابن خاتمه

فقال قائل ممن حضر قد كان جبلة بن الايهم أحد ملوك بني غسان طوله اثنا عشر شبرا فاذا ركب مسحت قدماه الارض فقال له
الراضي بالله قد كان قيس بن سعد هذا المذكور تخط قدماه الارض واذا مشى بين الناس يتوهمون انه راكب وقد كان
جدي علي بن عبد الله بن العباس طويلا جميلا يتعجب الناس من طوله وكان يقول كنت الى منكب عبد الله بن عباس وكان
عبد الله الى منكب جدي العباس وكان العباس بن عبد المطلب اذا طاف بالبيت يرى كأنه فسطاط أبيض قال فتعجب والله
من حضر من ايراده هذا الخبر مع صغر سنه ثم تذاكرنا عجائب البلدان وما خص به كل صقع من الارض من أنواع النبات
والحيوان والجماد من أحجار أنواع الجواهر وغيرها فقال لي قائل ممن حضر ان أعجب ما في الدنيا طير يكون بارض طبرستان
على شاطئ الانهار شبيه بالباشق وأهل طبرستان يسمونه بالككم وهو صياحه الذي يصيح به ولا يصيح في السنة الا في هذا
الفصل فاذا صاح اجتمعت عليه العصافير وصغار الطيور مما يكون في المياه وغيرها فتزقه من أول النهار حتى اذا كان في آخره
أخذ واحدا مما قرب من الطير فأكله وكذلك يفعل في كل يوم الى أن ينقضي هذا الفصل الربيعي فاذا انقضى ذلك انعكست
عليه الطيور فلا تزال تجتمع عليه وتضربه وتطرده وهو يهرب منها ولا يسمع له صوت الى الفصل الربيعي وهو طير حسن موشى
حسن العينين قال وذكر علي بن يزيد الطبيب الطبري صاحب كتاب فردوس الحكمة ان هذا الطائر ليس يكاد يرى ولم تر قط
قدماه على الارض معا بل يطأ على الارض باحدى قدميه على البدل لا يطأ الارض بهما في حالة واحدة قال وقد ذكر الجاحظ
أن هذا الطير من احدى عجائب الدنيا وذلك انه لا يطأ الارض بقدميه بل باحداهما خوفا على الارض أن
تخسف به من تحته قال
والعجب الثاني دودة
تكون من المثقال الى
الثلاثة تضيء بالليل كضوء
الشمع وتطير بالنهار وترى
لها أجنحة خضراء ملساء
لا جناحين لها غذاؤها
التراب لا تشبع منه قط
خوفا أن يفنى تراب الارض
فتهلك جوعا وفيها خواص
كثيرة ومنافع واسعة قال
والعجب الثالث أعجب
الطير والدودة من يكري نفسه للقتل يعني المرتزقة من الجند فاستحسن هذا الخبر من حضر فقال أبو العباس الراضي
عرضا لهذا الخبر الذي أخبر بالخبر الاول قد ذكر عمرو بن بحر الجاحظ أن أعجب ما في الدنيا ثلاث البوم لا تظهر بالنهار خوفا أن
يصيبها العين لحسنها وجمالها ولما قد تصور في نفسها أنها احسن الحيوان فتظهر بالليل والعجب الثاني الكركي لا يطأ
بقدميه الارض بل باحداهما فاذا وطئ باحداهما لا يعتمد عليها اعتمادا قويا ومشى بالتاني خوفا من أن تخسف الارض
تحته لثقله والعجب الثالث الطائر الذي يقعد على سوق الماء من الانهار اذا انحرزت الذي يعرف بمالك الحزين على شبه
الكركي خوفا من الماء أن يفنى من الارض فيموت عطشا قال العروضي فافترق من حضر وكل متعجب من الراضي مع صباه
وصغر سنه كيف تتاتى منه هذه المذاكرات مع ان من حضره من اهل الرأي والسن والمعرفة (قال المسعودي) وقد أتينا
فيما سلف من كتبنا على عجائب الارض والبحار وما فيها من عجائب البنيان والحيوان والجماد والمائع والرجراج فاغنى ذلك
عن ايرادها في هذا الموضع وانما ذكرنا أخبار الراضي وما كان من أمره في صباه وما أخبره عنه مؤدبه وتظمنا من أخباره ما تاتي
ذكره في هذا الكتاب (وأخبرنا) العروضي قال سهرت عند الراضي في ليلة شاتية صحا كية فرأيته قلقا متململا فقلت له
يا أمير المؤمنين أرى منك خصالا لم أعهدها وضيق صدر لم أعرفه فقال له دع عنك هذا وحدثني بحديث فان أنت أزلت
عني ما أجده من الهم فلك ما لي وما تحتى على ان أشترط عليك ازالة الهم بالضحك قلت يا أمير المؤمنين رجل رجل من بني

كساني حلة فضله وقد ذهب زمان التجمل وحلى شكره وكتدي واه عن التحمل
ينظرني بالعين الكليلة عن العيب فهلا أجاد التامل واستطلع طلع ثني ووالى في سبرك
الهجرة حتى انما أشكو بثي * ولو ترك القطا ليلا لناما * وما حال شمل وتده مفروق
وقاعدته فروق وصواع بني أبيه مسروق وقلب قرحه من عضة الدهر دام وجمرة
حسرته ذات احتدام هذا وقد صارت الصغرى التي كانت الكبرى لمشيب لم يرع أن
هجم لما نجم ثم تهال عارضه وانسجم

لا تحمدي هجرا على وغربة * فالهجر في تلف الغريب سريع

نظرت فاذا النفس فريسة ظفر وناب والمال أكيلة انتهاب والعمر رهن ذهاب واليد
صفر من كل اكتساب وسوق المعاد مترامية والله سريع الحساب

ولو نعطى الخيار لما افترقنا * ولكن لا خيار مع الزمان

ب أن العمر جديد وظل الامن مديد ورأى الاغتباط بالوطن سديد فما الحجة لنفسي

هاشم الى ابن عمه بالمدينة فاقام عنده حولا لم يدخل مستراحا فلما كان بعد الحول أراد الرجوع الى الكوفة فحلف عليه أن يقيم عنده أياما أخر فاقام وكان للرجل قينتان فقال لهما أما رأيتما ابن عمي وظرفه أقام عندنا حولا لم يدخل الخلاء فقالتا له فعلينا ان نصنع له شيئا لا يجد معه بدا من الخلاء قال شأنكما وذلك فعمدتا الى خشب العشر فدقتاه وهو مسهل وطرحتاه في شرابه فلما حضر وقت شرابهما قدمتاه اليه وسقيا مولاهما من غيره فلما اخذ الشراب منهما تناوم المولى وتمغص الفتى فقال للتي تليه ياسيدتي أين الخلاء فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسالك أن تغنيه

خلا من آل فاطمة الديار * فمنزل اهلها منها قفار فغنته فقال الفتى أظنهما كوفيتين ومافهمتا ثم التفت الى الاخرى فقال لها ياسيدتي اين الحش فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسالك ان تغنيه

أوحش الدقرات والدير منها * فمغناهما بالمنزل المعمور فغنته فقال الفتى أظنهما عراقيتين ومافهمتا عني ثم التفت الى الاخرى فقال لها أعزك الله أين المتوضأ فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسالك ان تغنيه

توضأ للصلاة وصل خمسا * وأذن بالصلاة على النبي فغنته فقال أظنهما حجازيتين ومافهمتا عني ثم التفت الى الاخرى فقال لها ياسيدتي اين الكنيف قالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسالك ان تغنيه

تكنفني الواشون من كل جانب * ولو كان واش واحد لكفانيا فغنته فقال اظنهما يمانيتين ومافهمتا عني ثم التفت الى الاخرى فقال لها ياهذه ٤١٦ أين المستراح فقالت لها صاحبتها ما قال لك قالت يسالك أن تغنيه

ترك الفكاهة والمزاحا
وقلا الصبابة واستراحا

فغنته والمولى يسمع ذلك وهو متناوم فلما اشتد به الامر أنشأ يقول

تكنفني السلاح وأذعروني
على مابي بتكرير الاغاني

فلما ضاق عن ذاك اصطباري
زرقت به على وجه الزواني

ثم انه حل سراويله وسلح عليهما فتركهما آية للناظرين وانتبه المولى في اثر ذلك فلما رأى ما نزل بجواريه قال يا أخي ما حملك على هذا الفعل قال يا ابن الفاعلة لك جوار يرون المخرج صراطا مستقيما لا بد للنبي عليه فلم أجد جزاء غير هذا ثم رحل عنه قال فذهب بالراضي الضحك كل مذهب وسلم الى كل ما كان عليه وتحته من لباس وفرش فكان مبلغ ثمن ذلك نحوا من الف دينار (وذكر) الصولي قال قال الراضي ما كان السبب في لبس المامون الخضرة ورفعه السواد ثم لبسه السواد بعد ذلك قلت هو ما اخبرنا به محمد بن زكريا العلائي قال حدثنا يعقوب بن جعفر بن سليمان قال لما قدم المامون بغداد اجتمع الهاشميون الى زينب بنت سليمان بن علي وكانت اقعد ولد العباس نسبا وأكرمهم بيتا فسالوها أن تكلم أمير المؤمنين في تغييره الخضرة فضمنت لهم ذلك وجاءت الى المامون فقالت يا أمير المؤمنين انك على بر أهلك من ولد علي بن أبي طالب اقدر منك على برهم لنا من غير أن تزيل سنة من مضى من آبائك فدع لباسك الخضرة ولا تطمعن احدا فيما كان منك قال لها يا عمة ما كلمني احد في هذا المعنى بكلام اوقع من كلامك ولا أقصد لما اردت لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي فولي الامر ابو بكر فقد عرفت ما كان من امره فينا أهل البيت ثم وليها عمر فلم يتعد فيها فعل من تقدمه ثم وليها عثمان فاقبل على بني أمية وأعرض عن غيرهم ثم آل الامر الى علي بن ابي طالب من غير صفو كصفوها لغيره بل مشوبة بالاكدار فولى مع ذلك عبد الله بن العباس البصرة وولى عبيد الله بن العباس اليمن وولى قثم البحرين وما احد منهم الا ولاه فكانت هذه في اعناقنا حتى كافاته في ولده بما فعلت

اذا مرت بعطارح جفوتها وملاعب هفوتها ومناقف قناتها ومظاهر عزاها ومناتها والزمان ولود وزناد الكون غير صلود

واذا أمرؤ لدغته افعى مرة * تركته حين يجر حبل فرق

ثم ان المرغب قد ذهب والدهر قد استرجع ما وهب والعارض قد اشتهب وآراء الاكتساب مرجوحة مرفوضه وأسماؤه على الجوار مخفوضة والنية مع الله على الزهد فيما بايدي الناس معقوده والتوبة بفضل الله عز وجل منقوده والمعاملة سامريه ودروع الصبر سابريه والاقتصاد قد قرت العين بصحبته والله قد عوض حب الدنيا بمحبته فاذا راجعها مثلي من بعد الفراق وقد رقي لدغتها ألف راق وجعتني بها التجربه ما الذي تكون الاجره جل شاني وان رضي الوامق وسخط الشاني اني الى الله تعالى مهاجر وللعرض الادنى هاجر ولا ظعان السري زاجر لتجدان شاء الله تعالى وحاجر لكن دعاني للهوى الى هذا المولى المنعم هوى خلعت نعلي الوجود وما خلعته وشوقي أمرني فاطعته وغالب والله صبري

ولا يكون بعد هذا الا ما تحبون ثم رجع الى لبس السواد وللمامون بامير المؤمنين شعر ينشا كل معنى ما ذكرت من هذا الخبر وهو قوله

الام على شكر الوصي ابي الحسن * وذلك عندي من عجائب ذا الزمن

خليفة خير الناس والاول الذي * اعان رسول الله في السر والعلن

ولولاه ما عدت لهاشم امرة * وكانت على الايام تقصي وتمتهن

فولي بني العباس ما اختص غيرهم * ومن فيه اولى بالتكرم والمنن

فاوضح عبد الله بالبصرة الهدى * وفاض عبيد الله جودا على اليمن

وقسم اعمال الخليفة بينهم * فلا زلت مربوطا بذا الشكر مرتهن

وكان القاهر قد عمد الى كثير من الاموال عند قتله لمؤنس وبليق وابنه على وغيرهم فغيبها فلما قبض عليه وسملت عيناه وافضت الخلافة الى الراضي طولب القاهر بالاموال فانكر أن يكون عنده شيء من ذلك فاوذي وعذب بانواع من العذاب وكل ذلك لا يزيده الا انكارا فاخذه الراضي وقربه وأدناه وطالت مجالسته اياه واكرامه واعطاه حق العمومية والسن والتقدم في الخلافة ولاطفه واحسن اليه غاية الاحسان وكان للقاهر في بعض الحصون بستان من ريحان وغرس من النارنج قد حمل اليه من البصرة وعمان مما حمل الى أرض الهند قد اشتبكت أشجاره ولاحت ثماره كالنجوم من أحمر وأصفر وبين ذلك انواع الغروس والرياحين والزهر وقد جعل مع ذلك في الصحن انواع الاطيار من القماري والدباسي والشحارير والببغاء مما قد جلب اليه من الممالك والامصار وكان في غاية الحسن وكان القاهر كثير الشرب عليه والجلوس في تلك المجالس فلما أفضت الخلافة الى الراضي اشتد شغفه بذلك الموضع فكان يداوم الجلوس والشرب فيه ثم ان الراضي رفق بالقاهر واعلمه بما هو فيه من مطالبة الرجال بالاموال والحاجة اليها ولا شيء قبله منها وساله أن يسعفه بما عنده منها اذ كانت الدولة له وأن يدبر تدبيره ويرجع في كل الامور الى قوله وحلف له بالايمان الوكيدة أن لا يسعى في قتله ولا الاضرار به ولا باحد من

ولده وأنعم له القاهر بذلك وقال ليس لي مال الا في بستان النارنج فسار به الراضي الى البستان وساله عن الموضع فقال له القاهر قد حجب بصري فلست أعرف موضعه ولكن مر بحفره فانك تظهر على الموضع ولا يخفى عليك فكان ذلك فحفر البستان وقلع تلك الاشجار والغروس والازهار حتى لم يبق منه موضع الا حفره وبولغ في حفره فلم يجد شيئا فقال له الراضي فما ههنا شيء مما ذكرت فما الذي حملك على ما صنعت فقال له القاهر وهل عندي من مال شيء انما كانت حسرتي جلوسك في هذا الموضع وتمتعك به وكان لذتي من الدنيا فتأسفت على ان يتمتع به بعدي غيري فتاسف الراضي على ما توجه عليه من الحيلة في أمر ذلك البستان وندم على قبوله منه وأبعد القاهر فلم يكن يدنو منه خوفا على نفسه أن يتناول بعض أطرافه وكان الراضي كثير الاستعمال للطيب حسن الهيئة سخيا جوادا حسن المذاكرة باخبار الناس وأيامهم مقربا لاهل العلم والادب والمعرفة كثير الدنو منهم فائضا بجوده عليهم ولم يكن ينصرف عنه أحد من ندمائه في كل يوم الا بصلة أو خلعة أو طيب وكانوا عدة ندماء منهم محمد بن يحيى الصولي وابن حمدون النديم وغيرهما فعوتب على كثرة افضاله على من يحضره من الجلساء فقال أنا أستحسن فعل أمير المؤمنين أبي العباس لانه كانت فيه فضائل لا تكاد تجتمع في أحد لا يحضره نديم ولا مغن ولا قينة فينصرف الا بصلة أو كسوة قلت أو كثرت وكان لا يؤخر احسان محسن لغد ويقول العجب من انسان يفرح انسانا فيعجل السرور و يؤخر ثواب من سره تسويفا وعدة فكان أبو العباس في كل ليلة أو يوم بعد تشاغله

فما استطعته والحال أغلب وعسى أن لا يخيب المطلب فان يسر رضاه فامر كل وراحل احتمل وحاد أشجى الناقة والجمل وان كان خلاف ذلك فالزمان جم العلائق والتسليم بمقامي لائق

ما بين غمضة عين وانتباهتها * يصرف الامر من حال الى حال

وأما تفضيله هذا الوطن ليمن طيره وعموم خيره وبركة جهاده وعمران رباه ووهاده باشلاء عباده وزهاده حتى لا يفضله الا أحد الحرمين فحق بريء من المين لكنني للحرمين جنحت وفي جو الشوق اليهما سبحت فقد أفضت الى طريق قصدي محجته ونصرتني والمنة لله تعالى حجته وقصد سيدي أسنى قصد توخاه الحمد والشكر ومعروف عرف به النكر والآمال من فضل الله بعد تعار والله تعالى يخلق ما يشاء ويختار ودعاؤه بظهر الغيب مدد وعدة وعدد وبره حالي الظعن والاقامة معتمل ومعتمد ومجال المعرفة بفضله لا يحصره أمد والسلام انتهى * ومن خط ابن الصباغ ما صورته يكفي ابن خاتمة الغاية التي سلمها

لا ينصرف أحد ممن حضره الا مسرورا ونحن وان لم تتات لنا الامور كتاتيها لمن سلف فانا نواسي جلساءنا بل اخواننا ببعض ماحضرنا وكان سخيا على سائر الاشياء لا يستكثر لاحد من ندمائه كثرة ما يصل اليه على طول الايام حتى كان بعضهم ربما يتانون عن الحضور لما يترادف عليه من فضله وكان الغالب عليه من الخدم راغب الخادم وزيرك ومن الغلمان ذكى وغيره (وحدث) أبو الحسن العروضي مؤدب الراضي قال اجتزت في يوم مهرجان بدجلة بدار بجكم التركي فرأيت من الهرج والملاهي واللعب والفرح والسرور ما لم أر مثله ثم دخلت الى الراضي بالله فوجدته خاليا بنفسه قد اعتراه هم فوقفت بين يديه فقال لي ادن فدنوت فاذا بيده دينار ودرهم في الدينار نحو من مثاقيل وفي الدرهم كذلك عليه صورة بجكم شاك في سلاحه وحوله مكتوب

انما العز فاعلم * للامير المعظم * سيد الناس بجكم

ومن الجانب الآخر الصورة بعينها جالس في مجلسه كالمفكر المطرق فقال الراضي أما ترى صنع هذا الانسان وما تسمو اليه همته وما تحدثه به نفسه فلم أجبه بشيء وأخذت به في أخبار من مضى من ملوك الفرس وغيرها وما كانت تلقى من أتباعها وصبرهم عليهم وحسن سياستهم لذلك حتى تصلح أمورهم وتستقيم أحوالهم فسلا عما عرض لنفسه ثم قلت يمتع الله أمير المؤمنين أن يكون كالمأمون في هذا الوقت حيث يقول

صل الندمان يوم المهرجان * بصاف من معتقة الدنان
بكأس خسرواني عتيق * فان العيد عيد خسرواني
وجنبني الزبيبين طرا * فشان ذوي الزبيب خلاف شاني
فأشربها وأزعمها حراما * وأرجو عفو رب ذي امتنان
ويشربها ويزعمها حلالا * وتلك على الشقي خطيئتان

فطرب وأخذته أريحية فقال لي صدقت ترك الفرح في مثل هذا اليوم عجز وأمر باحضار الجلساء وقعد في مجلس التاج على دجلة فلم أر يوما كان أحسن منه في الفرح والسرور وأجاز في ذلك اليوم من حضر من الندماء والمغنين والملهين بالدنانير والدراهم والخلع وأنواع الطيب وأتته هدايا بجكم والطافه من أرض العجم فسر في ذلك اليوم وجميع من حضره (قال المسعودي) وقد أتينا على ما كان في أيام الراضي من الكوائن والحوادث مجملا ومفصلا في كتابنا أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الدائرة وما كان من أمره حال خروجه بجكم الى بلاد الموصل وديار ربيعة وما كان بين بجكم وأبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان المسمى بعد ذلك بناصر الدولة وقصدنا فيما ذكرنا في هذا الكتاب الى الاختصار دون الشرح والاكثار اذ كان في الاكثار من الاخبار ثقل على القلوب وملل للسامع وقليل الاخبار يغني عن كثير الاقتدار *(ذكر خلافة المتقي لله)* وبويع المتقي لله وهو أبو اسحق ابراهيم المقتدر لعشر خلون من ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلثمائة وخلع وسملت عيناه يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وكان خلافته ثلاث سنين واحد عشر شهرا او ثلاثة وعشرين يوما وأمه أم ولد (ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)* ولما أفضت الخلافة الى المتقي لله أقر على الوزارة سليمان بن الحسن بن مخلد ثم استوزر أبا الحسن أحمد بن محمد بن ميمون وكان كاتبه قبل الخلافة ثم استوزر أبا اسحق محمد بن أحمد القراريطي ثم استوزر أبا العباس أحمد بن عبد الله الاصبهاني ثم استوزر أبا الحسن علي بن مقلة وغلب على الامر أبو الوفاء تورون التركي واشتد أمر البريدي بالبصرة ومنعوا السفن أن تصعد وعظم جيشهم وكثرت رجالهم وصار لهم جيشان جيش في الماء في الشذوات والطيارات والسماريات والزبازب وهذه أنواع من المراكب يقاتل فيها صغار وكبار وجيش في البر عظيم واصطنعوا الرجال وبذ

له امام الطريقه وواحدها الفذ على الحقيقه حيث قال

انما الفضل ملة * ختمت بابن خاتمه

ومن نظامه وقد تخلى عن الكتابة وطلب منه أن يعود فابى وأنشد

تقضى في الكتابة لي زمان * كشان العبد ينتظر الكتابه
فمن الله من عتقي عالا * يطيق الشكر أن علا كتابه
وقالوا هل تعود فقلت كلا * وهل حر يعود الى الكتابه

فانظر حسن هذه التورية العجيبة انتهى * ولابن خاتمة يخاطب ابن جزي يا أخي الذي سماوده أن يجازى وسيدي الذي علا مجده عن أن يوازى وصل الله تعالى لك أسباب الاعتلاء والاعتزاز وكافأ مالك من الاختصاص بالفضائل والامتياز أما انه لو وسع التخلف عن جواب أخ أعز ولم يجب التكلف باجابة من ابان فاعجز لغطيت عجزي عن عين تعجيزك ولما تعاطيت المثول بين يدى مناهزك أو مجيزك لكنه في حكم الود المكنون

المكنوز

الغائب فانضاف اليهم هزيمة السلطان وغلمانه وحرس السلطان الاتراك والديلم والجيل ونفر من القرامطة وكل ذلك
م توورون وكان تورون من رفقاء بجكم والخواص من أصحابه فانحدر تورون الى واسط لحرب البريديين وكانوا ملكوا واسط
غلبوا عليها فكانت بينهم سجالا والمتقى لله لا أمر له ولا نهى فكاتب المتقى أبا محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان ناصر الدولة
خاه أبا الحسن على بن عبد الله سيف الدولة أن يمدوه ويستنقذوه مما هو فيه ويفوض اليهما الملك والتدبير وقد كان قبل
ث خرج اليهم وتورون فى جملتهم منضاف وغيره من الاتراك والديلم وذلك عند قتلهم محمد بن رائق فى سنة ثلاثين وثلثمائة
نحدارهم الى مدينة السلام واستيلائهم على الملك والقيام له وحربهم البريديين وما كان بينهم من الوقائع الى أن توجه عليهم
ذكرنا فى كتابينا أخبار الزمان من خروج أبى محمد الحسن بن عبد الله من الحضرة الى الموصل ولحوق أخيه أبى الحسن على بن
عبد الله وخلاصه مما دبره عليه تورون وجحجح التركى فخرج المتقى الى الموصل فلما بلغ تورون ذلك رجع الى بغداد وقصد بنى
ان فكان التقاؤهم بعكبرا فكانت بينهم سجالا ثم كانت لتورون عليهم فرجع الى بغداد ثم جمعوا له أيضا ورجعوا اليه
هم حتى قربوا الى بغداد فخرج عليهم فلقيهم فهزمهم بعد مواقعات كانت بينهم وسار وحتى دخل الموصل وخرج عنها الى
ة بلد فصالحوه على مال حملوه اليه فرجع الى بغداد وهو مستظهر عن معه من الاتراك والجيل والديلم وكمال العدة
كراع وسار المتقى الى نصيبين ورجع عنها الى الرقة فنزلها وذلك لايام بقين من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة
ب الاخشيد محمد بن طغج فسار الى الرقة وحمل اليه مالا كثيرا وأهدى اليه غلمانا وأثاثا وضم اليه
قائدا من قواده وحمل أ.
وزاد فى حاله وبر جميع من
معه من وزيره أبى الحسن
على بن مقلة وقاضى القضاة
أحمد بن عبد الله بن اسحق
الحرقى وسلام الحاجب
المعروف بأخى نجح الطولونى
وجماعة الوجوه والغلمان
ثم لم يعبر الاخشيد محمد بن
طغج الى الرقة ولا الى شئ
من جانب الجزيرة وديار
مضر وعبر المتقى وسار الى
كره من الجانب الشامى فكانت بينهم خطوب وأيمان وعهود وأبو الحسن على بن عبد الله بن حمدان مقيم بحران طول
المتقى بالرقة وقد كان أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان سار عن حلب وبلاد حمص عند مسير الاخشيد الى بلاد قنسرين
اصم فانفض جمعه وتفرق جنده عنه وانضافوا الى الحسن بن على بن عبد الله واتصلت كتب تورون بالمتقى وتواترت رسله
الرجوع الى الحضرة وأشهد تورون من حضره من القضاة والفقهاء والشهود وأعطى العهود والمواثيق بالسمع
عة للمتقى والتصرف له بين أمره ونهيه وترك الخلاف عليه وأنفذ اليه كتب القضاة والشهود بما بذل من الأيمان وأعطى
العهود وأشار بنو حمدان على المتقى أن لا ينحدر وخوفوه من تورون وحذروه أمره فانه لا يأمنه على نفسه فأبى الا الخالفتهم
والثقة بما ورد عليه من تورون وقد كان بنو حمدان أنفقوا على المتقى نفقة واسعة عظيمة طول مقامه عندهم واجتيازه بهم
يكثر وصفها ويعسر علينا فى التحصيل ايرادها باكثار المخبرين لنا بتحديدها وانصرف الاخشيد عن الفرات متوجها نحو مصر
وانحدر المتقى فى الفرات فتلقاه أبو جعفر بن سيرار كاتب تورون بأحسن لقاء وأقام الاتراك ومضى فى انحداره حتى دخل النهر
المعروف بنهر عيسى وسار الى الضيعة المعروفة بالسندية على شاطئ هذا النهر فتلقاه تورون هنالك وترجل له ومشى بين يديه
فأقسم عليه أن يركب ففعل حتى وافى به الى المضرب الذى كان ضربه له على الشط من نهر عيسى وذلك على شوط من مدينة
السلام فأقام هنالك وأنفذ رسلا الى دار طاهر ليحضر المستكفى فلما حصل المستكفى فى المضرب قبض على المتقى ونهب جميع

كنوز مما لا يحل ولا يجوز فالكم الفضل فى الاغضاء عن عاجز دعاه حكم التكلف الى
قيام قيام متاخر وان لم يكن ذلك عند الانصاف وجيد الاوصاف من السائغ الجائز
ن جهد ما بلغ وليك الى هذه الاحواز ولم يحصل الحقيقة الا على المجاز وأما ماذهبتم اليه
ن تخميس القصيدة التى أعجزت وبلغت من البلاغة الغاية التى عزت مناهضتها وأعوزت
كن لا استهدف ثانيا للمناضلة الاعجاز واسجل على نفسى بالافلاس والاعواز انتهى
وكتب قبلها قصيدة زائيه أجابه بها عن قصيدة رائيه التزم فيها ابن جزى ترك الراء
كان ألثغ يبدلها غينا رحم الله تعالى الجميع * وقال لسان الدين فى ترجمة ابن خاتمة
كور انه الصدر المتفنن المشارك القوى الادراك السديد النظر الثاقب الذهن الكثير
جتهاد الموفور الادوات المعين الطبع الجيد القريحة الذى هو حسنة من حسنات
ندلس أحمد بن على بن خاتمة من أهل المرية الى أن قال ومما خاطبنى به بعد المقام الركاب
لطانى ببلده وأنا صحبته ولقائه اياى بما يلق به مثله من تانيس وبر وتودد وتردد

ما كان معه وقبض على وزيره أبى الحسن على بن محمد بن مقلة وعلى قاضيه أحمد بن عبد الله بن اسحق ونهب جميع العسكر وانصرف القائد الذى كان آل الاخشيد ضمه الى المتقى ومن معه الى صاحبهم وأحضر المستكفى فبويع له وبكى المتقى وصاح النساء والخدم لصياحه فامر توزون بضرب الدبادب حول المضرب لتخفى صراخ الخدم وأدخل الى الحضرة مسمول العينين وأخذ منه البردة والقضيب والخاتم وسلم الى المستكفى بالله وبلغ ذلك القاهر فقال قد صرنا بالحقيق نحتاج الى صدر يعرض بالمستكفى بالله (وحدث) محمد بن عبد الله الدمشقى قال لما نزل المتقى الرقة كنت فيمن يتصرف بين يديه وأقرب منه فى الخدمة لطول صحبته فقال لى فى بعض الايام فى الرقة وهو جالس فى داره على الفرات اطلب لى رجلا أخباريا يحفظ أيام الناس أتفرج اليه فى خلواتى وأستريح به فى الاوقات قال فسألت بالرقة عن رجل بهذا الوصف فارشدت الى رجل بالرقة كهل لازم لمنزله فصرت اليه ورغبته فى الدخول الى المتقى لله فقام معى كالمكره وصرنا الى المتقى فاعلمته احضارى للرجل الذى طلبه فلما خلا وجهه دعا به واستدناه فوجد عنده ما أراد فكان معه أيام مقامه بالرقة فلما انحدر كان معه فى الزورق فلما صار الى نهر سعيد وذلك بين الرقة والرحبة أرق المتقى ذات ليلة فقال للرجل ما تحفظ من أشعار المبيضة وأخبارها فمر الرجل فى أخبار آل أبى طالب الى أن صار الى أخبار الحسن بن زيد وأخيه محمد بن زيد بن الحسن وما كان من أمرهما ببلاد طبرستان وذكر كثيرا من محاسنهما وقصد أهل العلم والادب اياهما وما قالت الشعراء فيهما فقال له المتقى أتحفظ شعر أبى المقاتل نصر بن نصر الحلوانى فى محمد بن زيد الحسنى الداعى قال لا يا أمير المؤمنين لكن معى غلام لى قد حفظ بحداثة سنه وحدة مزاجه وغلبة الهمة لطلب العلم والادب عليه ما لم أحفظ من أخبار الناس وأيامهم وأشعارهم قال أحضره ولم أخفيت عنى خبر مثل هذا فيكون حضوره زيادة فى أنسنا فاحضر الغلام من زورق آخر فوقف بين يديه فقال له صاحبه أتحفظ قصيدة أبى المقاتل فى ابن زيد قال نعم قال المتقى أنشدنيها فابتدأ ينشده اياها

لا تقل بشرى وقل لى بشريان * غرة الداعى ويوم المهرجان

خلقت كفاه موتا وحياة * وحوت أخلاقه كنه الجنان

فهو فصل فى زمان بدوى * وابن زيد مالك رق الزمان

فهو للكل بكل مستقل * بالعطايا والمنايا والامان

أوحد قام بتشييد المبانى * فبه استنبط أجناس المعان

مسرف فى الجود من غير اعتذار * وعظيم البر من غير امتنان

وهو من أوصى رسول الله فيه * وعليه المعتلى والحسان

سيد عرق فيه السيدان * والذى يكبر عن ذكر الحصان

محتف فكرته فى كل شئ * فهو فى كل محل ومكان

يعرف الدهر على ما غاب عنه * فيرى المضمر فى شخص العيان

تتناءى ألفاظنا عنه ولكن * هو بالاوصاف فى الاذهان دان

أخرجت ألفاظه ما فى الخفايا * وكفاه الدهر نطق الترجمان

كافر بالله جهرا والمثانى * كل من قال له فى الخلق ثان

واذا ما أسبغ الدرع عليه * وانكفت يمناه بالسيف اليمان

بعثت سطوته فى الموت رعبا * أيقن الموت بان الموت فان

يحدق الابطال بالالحاظ حتى * يترك المقدام فى شخص الجبان

ملك الموت يناديه أجرنى * منك كى تغزو بضرب وطعان

لا تكلفنى فوق الوسع وارفق * فلقد ملكك الله عنان

يا شقيق القدر المحتوم كم قد * رضت بالضيم عمادا وحران

لك يومان فيوم من لبان * يتقى يوم أرون أو رنان

أنجزت كفاك وعدا ووعيدا * وأحاطت لك بالدنيا اليدان

فاذا ما أروت اليمنى حباه * همت اليسرى بارواء السنان

جدتا فى النفع والضر بدارا * فهما فى كل حال ضرتان

يا من حصلت على الكمال عبارات * عيناى منه من الجمال الرائع

قمر بروق وفى عطافى برده * ماشئت من كرم ومجد بارع

أشكو اليك من الزمان تحاملا * فى فض شمل لى بقربك جامع

هجم البعاد عليه ضنا باللقا * حتى تقاص مثل برق لامع

فلوانى ذو مذهب لشفاعة * ناديته يا مالكى يا شافعى

شكواى الى سيدى ومعظمى أقر الله تعالى بسنائه أعين المجد وأدر بثنائه ألسن الحمد شكوى ظمآن صد عن القراح العذب لاول وروده والهيمان رد عن استرواح القرب لمعضل صدوده من زمان هجم على بابعاده على حين اسعاده ودهمنى بفراقه غب انارة أفقى به واشراقه ثم لم يكفه ما اجترم فى ترويع خياله الزاهر حتى حرم عن تشييع كماله الباهر فقطع عن توفية حقه ومنع من تادية مستحقه لا جرم انه أنف لشعاع ذكائه من هذه المطالع النائية عن شريف الانارة وبخل بالامتاع بذكائه عن هذه المسامع النائية عن

أرخت كفالك في الآفاق حتى * ما تلاقي بسواك الشفتان قد مشك المدح الفروص الت * لك أيضا في أعاديك المعان
أنت لا تحوي بعقول كتاب * لك شأن خارج عن كل شان لك أثقال أيادي مثقلات * عجزت عن حملهن الثقلان
انما مدحك وحي وزبور * والذي ضمت عليه الدفتان ها كها جوهرة تبر بها تو * لي وجوه الموت تكفين الحنان
يا امام الدين خذها من امام * ملكت أشعاره سبق الرهان واستمع للرمل الاول ممن * كشف المحنة من غير امتحان
فعلاتن فاعلاتن فاعلاتن * ستة أجزاؤها عز الوزان كرة الآفاق لا تطلع الا * صارت الريح لها كالصولجان
قيلت في صنعة الالفاظ ما * برتجيه كل ذي عقووجان أنت تحكي جنة الخلد طباعا * والقوافي فيك كالحور الحسان
بقي الشعر بقاء الشعر والشكر مع الدهر فتم الباقيان عمرو رضوى بل ثبير و شام * وأرام وشمار يخ أبان
يشهد الله على مافي ضميري * فاستمع لفظي ترجيع أذان حسنات ليس فيها سيآت * مدحة الداعي أكتبا يا كاتبان
فلم يزل المتقي كلما مر به بيت استعاده ثم أمر الغلام بالجلوس فلما كان في اليوم الذي لقيه فيه ابن سيرار الكاتب سمعه ينشد هذا
البيت لا تقل بشرى وقل لي بشريان فقال له الغلام وقد كان أنس به يا أمير المؤمنين دامت البشرى فقل لي بشريان
وقد كان أنشده أولا القصيدة لا تقل بشرى وأنشده هذا الوجه دامت البشرى فقل لي وذكر له خبر أبي المقاتل مع الداعي
فوالله ما زال المتقي يقول لا تقل بشرى ولا يختار في ذلك الوجه غير ذلك فقال له الرقي والغلام والله لتطيرنا لامير المؤمنين من
اختياره انشاد هذا البيت على هذا الوجه فكان من أمره ما ذكرنا (وحدث) محمد بن عبد الله الدمشقي قال لما

من لطيف العباره فراجع أنظاره واسترجع معاره والاعهد بغروب الشمس الى
الطلوع وان البدر يتصرف بين الاقامة والرجوع فما بال هذا النير الاسعد غرب ثم
لم يطلع من الغد ماذاك الالعدوى الايام وعدوانها وشانها في تغطية اساءتها وجه
احسانها وكما قيل عادت هيف الى أديانها أستغفر الله أن لا يعد ذلك من المغتفر في
جانب ما أولت من الاثر التي أزرى العيان فيها بالاثر وأربى الخبر على الخبر فقد سرت
متشوقات الخواطر وأقرت مستشرفات النواظر بما حوت من ذلكم الكمال الباهر
والجمال الناضر الذي قيد خطا الابصار عن التشوف والاستبصار وأخذ بازمة القلوب
عن سبيل كل مأمول ومرغوب وأنى للعين بالتحول عن كمال الزين أو للطرف بالتنقل
عن خلال الظرف أو للسمع من مراد بعد ذلكم الاصدار الادبي والايراد أو للقلب من
مراد غير تلكم الشيم الرافلة من ملابس الكرم في حلل وأبراد وهل هو الا المحسن جمع في
قالب والبدر طالع لتمام وأنواع الفضل ضمها جنس اتفاق والتئام فما ترى العين منه

انحدرنا مع المتقي من الرحبة وصرنا الى مدينة عانة دعا بالرقي وغلامه فحادثاه وتسلسل بهم القول الى فنون من الاخبار الى أن صاروا الى ذكر الخيل فقال المتقي أيكم يحفظ خبر سليمان ابن ربيعة الباهلي فقال الغلام ذكر أبو عمرو بن العلاء يا أمير المؤمنين أن سليمان ابن ربيعة الباهلي كان يهجن الخيل ويعديها في
عمر بن الخطاب فجاءه عمرو بن معديكرب بفرس كميت هجينا فاستعدى عليه عمر وشكاه اليه فقال سليمان ادع باناء وجراح
الجدر فدعا به فصب فيه ماء ثم أتى بفرس عتيق لاشك في عتقه فاسرع وثنى وشرب ثم أتى بفرس عمرو الذي كان هجين
سنبكه ومد عنقه كما فعل العتيق ثم ثنى أحد السنبكين قليلا فشرب فلما رأى ذلك عمر بن الخطاب وكان ذلك بحضرة قال
سليمان الخيل فقال المتقي فما عندكما عن الاصمعي وغيره من علماء العرب في صفاتها قال الرقي ذكر الرياشي عن الاصمعي
أن الفرس طويل أوظفة اليدين قصير أوظفة الرجلين طويل الذراعين قصير الساقين طويل الفخذين طويل العضدين
قصير الكتفين لم يكد يسبق وقال اذا سلم من الفرس شيآن لم يضره عيب سواهما مغروز عنقه في كاهله ومغروز عجزه في
صلبه واذا جادت حوافره فهو هو وأنشدنا المبرد ولقد شهدت الخيل تحمل سكبي * عنه كسرحان القضيمة منهب
فرس اذا استقبلته فكأنه * في العين جرع من أوائل مشرب واذا اعترضت له استوت أقطاره * فكأنه مستدبر المتصوب
سأل يا أمير المؤمنين معاوية مطر بن دراج أي الخيل أفضل وأوجز فقال الذي اذا استقبلته قلت نافر واذا استدبرته قلت زاخر
واذا استعرضته قلت زافر سوطه عنانه وهواه أمامه قال فاي البراذين شر قال الغليظ الرقبة الكثير الجلبة الذي اذا أرسلته قال
أمسكني واذا أمسكته قال أرسلني قال الغلام أحسن ما قيل في الفرس ووصفه قول بعضهم
بر ما يركب الشجاع اذا ما قيل يوما الاركبوا للغوار كل نهد أقب معتدل الخلق متين الشظى عتيق النجار

سلهم اللحى واسع المنخر حد الاذن وافى الدماغ والوجه عارى   ماجنه الحرار واشتد عليا
ءفاكدى محدودبا بالعوار   محضر القص مكرب الرسغ دامى الابط ساعى الجفون والاشغار
مسرف مقتل نجيب اذا أد * بر مستدبر ككر صغار   فهو فى خلقه طوال ورحب
وعراض الى سداد قصار   طال زاهيه والذراعان والاضلاع منه فتم فى اخفار
ثم طالت وأيدت فخذاه * فهو كفت الوثوب بيت الخيار   والرحيب الفروج والجلد والمشـ
ـعر قدام مخسر كالوجار   والعريض الوظيف والجنب والاو * راك والجبهة العريض الفقار
والحديد الفؤاد والسمع والعر * قوب والطرف حدة فى وقار   فهو صاف فى الاديم والعين والحا
فر غمر بديهة الاحضار   والقصير الكراع والظهر والرسـ ـغ العصيب العسيب والصلب وارى
لم تخن مثله القطاة ولم يشـ * ـكله تركيبها الى استئخار   مطمئن النسور بين خزام
كل لام أحم كالمنقار   يكفت المشى كالذى يتخطى * طبا أو يستل كالمسمار
واذا ما استمر من غير ما بأ * س به مانع من استمرار * لان فاهتز مقبلا فاذا أد
بر أهوى متابع الادبار * فى تعاقيب كالتماثيل أو كالسجن أو كالظباء أو كالحوار
فاذا ما طحا به الجرى فالعقـ * ـبان تهوى كواسر الاعسار ٤٢٢ فلما كان فى الليلة الثانية دعا بهما فقال عودا الى
ما كنتما عليه البارحة واشرعا فى أخبار الحلائب ومراتب الخيل فيها قال الغلام يا أمير المؤمنين أذكر قولا جامعا أخبرنى به كلاب بن حمزة العقيلى قال كانت العرب ترسل خيلها عشرة عشرة أو أسفل والقصب تسعة ولا يدخل الحجر المحجر من الخيل الاثمانية وهذه أسماؤها الاول السابق وهو المجلى
قال أبو المندام كلاب انما سمى المجلى لانه جلى عن صاحبه ما كان فيه من الكرب والشدة وقال
الفراء انما سمى المجلى لانه يجلى عن وجه صاحبه والثانى المصلى لانه وضع جحفلته على قطاة المجلى وهى صلاه والصلا عجب
الذنب بعينه والثالث المسلى لانه كان شريكا فى السبق وكانت العرب تعد من كل ما يحتاج ثلاثة أولانه سلى عن صاحبه بعض
همه بالسبق والرابع التالى سمى بذلك لانه تلا هذا المسلى فى حال دون غيره والخامس المرتاح وهو المفتعل من الراحة لان فى
الراحة خمس أصابع لا يعدمنها غيرهن واذا أومأت العرب من العدد الى خمس فتح الذى يومئ بها يده وفرق أصابعه الخمس
وذلك أيضا ما يومؤن به من غير عقد الحساب ثم يكون بعدها الى أن تكون عشرة فيفتح الذى يومئ بها يديه جميعا ويقابل
الخمس أصابع بالخمس فلما كان الخامس مثل خامسة الاصابع وهى الخنصر سمى مرتاحا وسمى السادس حظيا لان له حظا
وقيل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى السادس حظه وهى آخر حظوظ خيل الحلبة فله حظ وسمى السابع العاطف
لدخوله الحجرة لانه قد عطف بشئ وان قل وحسن اذ كان قد دخل الحجور وسمى الثامن المؤمل على القلب والتفاؤل كما سموا
الفلاة مفازة واللديغ سليما وكنوا الحبشى أبا البيضاء ونحو ذلك فكذلك سموا الخائب المؤمل أى أنه يؤمل وان كان خائبا لانه
قرب من بعض ذوات الحظوظ بعد والتاسع اللطيم لانه لو رام الحجرة للطم دونها لانه أعظم جرما من السابع والثامن والعاشر
السكيت لان صاحبه يعلوه خشوع وذلة ويسكت حزنا وعيا فكانوا يجعلون فى عنق السكيت حبلا ويحملون عليه قردا

فى غير مرعى خصيب ولا تستهدف الاذن بغير سهم فى حدق البلاغة مصيب ولا تستطلع
النفس سوى مطلع له فى الحسن والاحسان أوفر نصيب لقد أزرى بناظم حلاه فيما يتعاطاه
التقصير وانفسح مدى علاه بكل باع قصير وسفه حلم القائل ان الانسان عالم صغير
شكر الدهر على يد أسداها بقرب مزاره وتحفة أهداها بمطلع أنواره على تغاليه فى ادخاره
نفائسه وتحليه بنفائس ادخاره لا غرو أن يضيق عنا نطاق الذكر ولا يتسع لنا سوار
الشكر لقد عمت هذه الاقطار بما شاءت من تحف بين تحف وكرامه واجتنت أهلها ثمرة
الرحلة فى ظل الاقامه وجرى لهم الامر فى ذلك مجرى الكرامه ألا وان مفاتحتى لسيدى
ومعظمى حرس الله تعالى مجده وضاعف سعده مفاتحة من ظفر من الدهر بمطلوبه وجرى
له القدر على وفق مرغوبه فشرع له الى أهله بابا ورفع له من خجله جلبابا فهو يكلف
بالاقتحام ويانف من الاحجام غير أن الحصر عن درج قصده يقيده والبصر يبهرج نقده
فيقعده فهو يقدم رجلا ويؤخر أخرى ويجدد عزما ثم لا يتحرى فان أبطأ خطابى فلواضح
الأعذار

يدفعون القردسوطا فير كضه القرد ليعير بذلك صاحبه وأنشد فى ذلك الوليد بن حصن الكلبى

أأنت لم تسبق وكنت مخلفا * سبقت اذا لم تدع بالقرد والحبل وان تك حقا بالسكيت مخلفا * فتورث سولاك المذلة بالنبل

ماذكره النبل فان بعضهم كان يفعل ذلك ينصب فرسه ثم يرميه بالنبل حتى يتحف وقد فعل ذلك النعمان بفرسه النهب قال

لاب بن حمزة ولم نعلم أحدا من العرب فى الجاهلية والاسلام وصف خيل الحلبة العشرة باسمائها وصفاتها وذكرها على

بيها غير محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان وكان بالجزيرة بالقرية المعروفة بحصن مسلمة من أقليم بلخ من كورة

ة من ديار مضر فانه قال فى ذلك

شهدنا الرهان غداة الرهان * بجمعية ضمها الموسم

نقود اليها مقاد الجميع * ونحن بصنعتها أقوم غدونا بعقودة كالقداح * غدت بالسعود لها الانجم

مقابلة نسبة فى الصريح * فهاهن للاكرم الاكرم كست اذا ما تباطى بسل * يفوت الخطوط اذا يلجم

فمهن أحوى عمر أغر * وأجرد ذو غرة أرثم تلألأ فى وجهه فرحة * كأن تلألؤها المرزم

ففيدت لمذخور ماعندها * لمنتظرى أنها تجسم عليهن سحم صغار الشخوص * غماهم لجام انى تجسم

كأنهم فوق أشباحها * زواز برفى نفق حوم فصفت على الخيل فى محضر * يلى أمره ثقة مسلم

تراضوا به حكما بينهم * فبالحق بينهم يحكم وربك بالسيف عن ساعة * من الناس كلهم أعلم

فقلت ونحن على بهـ ـة * من الارض نيرها مظلم لقد فرغ الله عما يكون * ٤٢٣ ومهما يكن فهو لا يكتم

فأقبل فى أمرنا نافر

كما يتبل الوابل المثعم

وأتبع فوضى ومرفضة

كما ارفض من سلكه المنظم

أو السرب سرب القطا راعه

من الجو شوذانق مظلم

فواصل من كل سقط له

كأن عنا بيسها العندم

وللمرء من فرح ما تستثير

سنابكهن سنا يحزم

فجلى الاغر وصلى الكميت

وسلى فلم يذمم الادهم

وأردفها رابع تاليا * وأين من المنجد المتهم وماذم مرتاحها خامسا * وقد جاء يقدم ما تقدم

وجاء الحظى لها سادسا * فاسهمه حظه المسهم وسابعها العاطف المستجير * يكاد لحيرته يحرم

وجاء المؤمل فيها يخب * وغى له الطائر الاشيم وجاء اللطيم لها تاسعا * فمن كل ناحية يلطم

يخب السكيت على أثره * وذفراه من قبة أعظم كأن جوانبه بين ذى * جانة نيط بها مقدم

اذا قيل من رب ذا لم يجر * من الخزى بالصمت يستعصم ومن لا يعد الحلاب الجواد * وشيك لعمرك ما يندم

وماذوا قتضاب لمحمولها * كمن ينتميها ويستلزم فرحنا بسبق شهرنا به * ونيل به الفخر والمغنم

وأحرزن عن قصبات الرهان * رغائب أمثالها تقسم برود من القصب موشية * وأكسية الخز والملحم

فراحت عليهن منشورة * كأن حواشيهن الدم ومن ورق صامت بدرة * ينوء بها الاغلب الاعصم

ففضت لمن خواتيمها * وبدرتنا الدهر لا تختم نوزعها بين خدامها * ونحن لها منهم أخدم

وأنا لنرتبط المعربا * ت فى اللذات فما نرزم نعد لها المحض بعد الثلث * كما يصلح الصبية المفطم

ونخلطها بصميم العيال * بمن لم يخب وهو المحرم مشاربها الصافيات العذاب * ومطعمها فهو المطعم

فهن بأكناف أبياتنا * صوافن يصهلن أو حوم وقال محمد بن يزيد فى كلمته هذه الى انه لا حظ للثامن وجعل

الأعذار مثلكم من قبل جليات الاقدار والله سبحانه يصل لكم عوائد الاسعاد والاسعاف

ويحفظ بكم ما لمجدكم من جوانب وأكناف ان شاء الله تعالى وكتب فى عاشر ربيع الاول

عام ثمانية وأربعين وسبعمائة انتهى * ومن خاتمة رسالة من انشاء ابن خاتمة المذكور

فلنصرف عنان البطالة عن الاطالة ونسلم على السيادة الطاهرة الاصالة باطيب تسليم

ختامه مسك ومزاجه من تسنيم * ومن نظم ابن خاتمة المذكور

هو الدهر لا يبقى على عائذ به * فمن شاء عيشا يصطبر لنوائبه

فمن لم يصب فى نفسه فمصابه * بفوت أمانيه وفقد حبائبه

ومنه قوله ملاك الامر تقوى الله فاجعل * تقاه عدة لصلاح أمرك

وبادر نحو طاعته بعزم * فما تدرى متى يقضى بعمرك

وقال لسان الدين وكتب الى يعنى ابن خاتمة المذكور عقب انصرافه من غرناطة فى بعض

قدماته عليها ما نصه مما قلته بديهة عند الاشراف على جنابكم السعيد ودخوله مع النفر الذين

للسابع حظاً في السبق والمندسة اجراء الخيل وتجر بتها فيما دون الغاية وانما سميت الحلبة حلبة لان العرب تحلب اليها خيولها من كل مكان (قال المتقى) أتيتاما يجرى في هذه الاوقات ودوناه ظم يز الامعه في ذلك يجد دلهما البرالى أن كان من أمره ماقد اشتهر وقد تناهى بنا الكلام الى هذا الموضع من خلافة المتقى فلنذكر الآن بعض من اشتهر شعره في هذا الوقت واستفاض في الناس وظهر فمنهم أبو نصر القاسم بن أحمد الحرورى وهو أحد المطبوعين المجودين في البديهة المعروفين بالغزل فمن جيد شعره قوله

أضنى الهوى جسدى و بدلنى به * جسدا تكوّن من هوى متعسد
مازال ايجاد الهوى عدمى الى * أن صرت لو أعدمته لم أوجد

ومن جيد شعره ماعاتب به ابن لنكك الشاعر وهو

لم لاترى لصداقتى تصديقا * فيناولم تدع الصديق صديقا
ذو العقل لايرضى بوسم صداقة * حتى يرى لحقوقها تحقيقا
فلمن يرجى الحب أن يدعى أخا * وعلى الرفيق بان يكون رفيقا
ان غاب غاب محافظا أوحل كا * ن مداعبا أوقال كان صدوقا

وفي هذا الشعر يقول

ويكاد من علق الهوى بفؤاده * ماتفكر أن يرى زنديقا

وقوله

أعليك أعتب أم على الايام * بدأت وكنت مؤكدا بتمام
قطع التواصل قربنا بتواعد * وقطعت أنت تواصل الاقلام
هلا ألفت اذا الزمان مشتت * الالف للارواح لا الاجسام

وفي هذا الشعر يقول

عذرا أباعيسى عدى لك في القلا * عذرا وذاعلم بلا اعلام
من غابت الاخبار عنه ودينه * دين الامامة قال بالاوهام

خذ من فرائدك الذى أعطيتنى * فالدر درك والنظام نظامى
حكم معانيها معانيك التى * فصلتها الى والكلام كلامى

وشعره في الهزل وغيره أكثر من أن نأتى عليه وأكثر الغناء المحدث في وقتنا هذا من شعره وقد أشيع موته وان البزيدى غرقه لانه كان هجاه وقيل بل هرب من البصرة ولحق بهجر ولحق بأبى طاهر بن سليمان بن الحسن صاحب البحرين (قال المسعودى) وقد أتينا على أخبار المتقى وما كان في أيامه من الكوائن والاحداث على الشرح والايضاح فخم في الكتاب الاوسط الذى كتابنا هذا تال له وانما نذكر من أخبارهم في هذا الكتاب لمعا الاشتراطنا فيه على أنفسنا الاختصار والايجاز وكذلك أتينا على خبر مقتل بحكم التركى وكان مقتله في رجب سنة تسع وعشرين وثلثمائة وما كان من أمره مع الاكراد بناحية واسط وما كان من كورتكين الديلمى واستيلائه على جيش بحكم وانحدار محمد بن رائق من الشام ومحاربته كورتكين بعكبرا ومحاتلته اياه ودخوله الحضرة وما كان بينهم من الوقعة بالحضرة الى ان انهزم كورتكين واستولى محمد بن رائق على الامر وما كان من البزيديين وموافاتهم الحضرة وخروج المتقى عنها مع محمد بن رائق الموصلى في كتابنا المترجم باخبار الزمان فاغنى ذلك عن اعادته في هذا الكتاب والله الموفق للصواب

(ذكر خلافة المستكفى بالله)

و بويع المستكفى بالله وهو أبو القاسم عبد الله بن على المكتفى يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وخلع في شعبان سنة اربع وثلاثين وثلثمائة لسبع بقين من هذا الشهر فكانت خلافته سنة واربعة أشهر الا اياما وامه أم ولد

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)

قد قدمنا عند ماذكرنا خلع المتقى لله ان المستكفى بويع له بالسبق على نهر عيسى من أعمال قادور بازاء القرية المعروفة بالسندية في الوقت الذى سملت فيه عينا المتقى بايع له أبو الوفاء توزون وسائر من حضره من القواد وأهل الدولة وأهل عصره من القضاة منهم القاضى أبو الحسن محمد بن الحس

أتحفتهم سيادتكم بالاشراف عليه والدخول اليه وتنعيم الابصار في المحاسن المجموعة لديه وان كان يوما قد غابت شمسه ولم يتفق أن كمل أنسه وأنشدته حينئذ بعض من حضر ولعله لم يبلغكم وان كان قد بلغكم فقضلكم يحملنى في اعادة الحديث

أقول وعين الدمع نصب عيوننا * ولاح لبستان الوزارة جانب
أهذى سماء أم بناء سمائه * كواكب غضت عن سناها الكواكب
تناظرت الاشكال منه تقابلا * على السعد وسطى عقده والجوانب
وقد جرت الامواه فيه مجرة * مذانبها شهب لهن ذوائب
وأشرف من عليائه بهو تحفه * شماسى زجاج وشيها متناسب
يطل على ماء به الآس دائرا * كما افتر ثغر أو كما اخضر شارب
هنالك ماشاء العلا من جلالة * بها يزدهى بستانها والمراتب

ولما أحضر الطعام هنالك دعى شيخنا القاضى أبو البركات فاعتذر أنه صائم قد بيته من الليل

نى أن قلت

دعونا الخطيب أبا البركات * لاكل طعام الوزير الاجل
وقد ضمنا فى نداه جنان * به احتفل الحسن حتى كمل
فاعرض عنا لعذر الصيام * وما كل عذر له مستقل
فان الجنان محل الجزاء * وليس الجنان محل العمل

ما فرغنا من الطعام أنشدت الابيات شيخنا أبا البركات فقال لى لو أنشدتنيها وأنتم بعد لم
نى منه لا كلت معكم برا بهذه الابيات والحوالة فى ذلك على الله تعالى انتهى * ومن نظم
ة المذكور فى فران

* رب فران جلا صفحته * لمب الفرن جلاء الصعيد
يضرم النار باحشاء الورى * مثل ما يضرم فى المستوقد
فكأن الوجه منه جمرة * فوقها الشعر كقدر أسود انتهى

لسان الدين رحمه الله تعالى ولما قدمت مالقة آيبا من السفارة الى ملك المغرب محفوفا
بالله تعالى وجميل صنعه موفى المآرب مصحبا بالاعانة لقينى على عادته مهنيا يعنى أحد
ه فوان أحد أعلام مالقة وبقية أدبائها وصدور كتابها وأنشدنى معيدا فى الود ومبديا
ن غرض اله تعجل قضاءه والحمد لله تعالى

قدمت عاسر النفوس احتلاؤه * فهنيت ما عم الجميع هناؤه
قدوما بخير وافر وعناية * وعز مشيد بالمعالى بناؤه
ورفعة قدر لا يدانى محلها * رفيع وان ضاهى السماك اعتلاؤه
عنيت بأمر المسلمين فكلهم * عار بتحبيه قد توالى دعاؤه
بلغت الذى أملته من صلاحهم * فادركت مأمولا عظيما جزاؤه
فيا واحدا أغنت عن الجمع ذاته * وقام باعباء الامور غناؤه
تشوّقك الملك الذى بك فخره * وأنت حقيقا حسنه وبهاؤه
فلا زال مزدانا بحليك جوده * ولا زال موفورا عليك اصطفاؤه
وخصصت من رب العباد بنعمة * ينيلكها تخصيصه واحتفاؤه
وعشت عزيزا فى النفوس محببا * يلبى بتبجيل وبر نداؤه
وقد جاءنى داعى السرور مؤذنا * بحق هناء فرض عين أداؤه
ولى بعد هذا مأرب متوقف * على فضلك الرحب الجناب قضاؤه
هززت له عطف البطرنى راجيا * له النجح فاستعصى وخاب رجاؤه
ولم يبد لى من علاك لمنتض * حساما كفيلا بالنجاح انتضاؤه
يصمم ان هزته كفى لمعضل * فيكفى العنا تصميمه ومضاؤه
فحقق له دامت سعودك حرمتى * لديك برحبى مطله والتواؤه
وشاركك محبا خالصا لك حبه * قديما كريما عهده ووفاؤه
وصل بجزيل الرعى حبل ذمامه * يصلك جزيل الشكر وثناؤه

وسار حتى نزل فى يوم الاحد بالشماسية فلما كان فى يوم الاثنين انحدر فى الماء راكبا فى الطيار الذى يسمى الغزالة وعليه قلنسوة طويلة محدودة ذكر أنها كانت لابيه المكتفى بالله وعلى رأسه تورون التركى ومحمد بن محمد بن يحيى شيرزاد وجماعة من غلمانه وسلم اليه المتقى ضرير أو أحمد ابن يحيى القاضى مقبوضا عليه وحضر بعد ذلك سائر القضاة والهاشميين فبايعوا له واستوزر أبا الفرج محمد ابن على السامرى مدة ثم غضب عليه وغاب على أمره محمد بن شيرزاد وجلس للناس وسال عن القضاة وكشف عن أمر شهود الحضرة فامر باسقاط بعضهم وأمر باستتابة بعضهم من الكذب وقبول بعضهم لاشياء كان قد علمها منهم قبل الخلافة فامتثل القضاة ما أمر به من ذلك واستقضى على الجانب الشرقى محمد بن عيسى المعروف بابن أبى موسى الحنفى وعلى الجانب الغربى محمد بن الحسن بن أبى الشوارب الاموى الحنفى فقالت العامة الى ههنا انتهى سلطانه وانتهى فى الخلافة أمره ونهيه وقد كان بينه وبين الفضل بن

المقتدر الذى يسمى بالمطيع قبل ذلك محاورة فى دار ابن طاهر وعداوة فى اللعب بالحمام وتطيرها والاعب

بقيت وصنع الله يدنى لك المنى * و يوليك من مصنوعه ما تشاؤه
بحرمة من حقت سيادته على * بنى آدم والخير منه ابتداؤه

و جمعت ديوان شعره أيام مقامى بمالقة عند توجهى صحبة الركاب السلطانى الى اصراح الخضراء عام أربعة وأربعين وسبعمائة وقدمت صدره خطبة وسميت الجزء بالدرر الفاخرة واللجج الزاخرة وطلبت منه أن يجيزنى وولدى عبد الله رواية ذلك عنه فكتب بخطه الرائق بظهر المجموع ما نصه الحمد لله مستحق الحمد أجبت سؤال الفقيه الاجل الافضل السرى الماجد الاوحد الاحفل الاديب البارع الطالع فى أفق المعرفة والنباهة والرفعة المكينة والوجاهة بأبهى المطالع المصنف الحافظ العلامة الحائز فى النظم والنثر واسلوبى الكتابة والشعر رتبة الرياسة والامامة محلى جيد العصر بتآليفه الباهرة الرواء ومجلى محاسن بديه الرائقة على منصة الاشارة والانباء ابى عبد الله بن الخطيب وصل الله تعالى سعادته وحرس مجادته وسنى من الخير الاوفر والصنع الابهر مقصده وارادته وبلغه فى نجله الاسعد وابنه الراقى بجده الفاصل ومنشئه الاطهر محل الفرقد افضل ما يؤمل نجاته اياه من المكرمات وافادته واجزت له ولابنه عبد الله المذكور أبقاهما الله تعالى فى عزة سنية الخلال وعافية ممتدة الافياء وارفة الظلال رواية جميع ما تقيد فى الاوراق الملتف على ظهر اول ورقة منها من نظمى ونثرى وما توليت انشاءه واعتمدت بالارتحال والرواية اختياره وانتقاءه ايام عمرى وجميع مالى من تصنيف وتقييد ومقطوعة وقصيد وجميع ما حمله عن اشياخى رضى الله تعالى عنهم من العلوم وفنون المنثور والمنظوم باى وجه تادى ذلك الى وصح حمله لى وثبت اسناده لدى اجازة تامة فى ذلك كله عامة على سنن الاجازات الشرعى وشرطها المأثور عند اهل الحديث المرعى والله ينفعنى واياهما بالعلم وحمله و ينظمنا جميعا فى سلك حزبه المفلح واهله ويفيض علينا من انوار بركته وفضله قال ذلك وكتبه بخط يده الفانية العبد الفقير الى الله الغنى به احمد ابن ابراهيم بن احمد بن صفوان ختم الله تعالى له بخير حامدا الله تعالى ومصليا ومسلما على نبيه المصطفى الكريم وعلى آله الطاهرين ذوى المنصب العظيم وصحابته البررة أولى الاثرة والتقديم فى سادس ربيع الآخر عام أربعة وأربعين وسبعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل انتهى * وكتب الفقيه ابو جعفر بن عبد الملك العذرى من اهل بلنسية الى لسان الدين رحمه الله تعالى فى بعض الاغراض

انى بمجدك لم ازل مستيقنا * ان لا يهدم بالتغير ما بنى
اذ انت اعظم ماجد يعزى له * صفح واكرم من عفا عمن جنى

وكتب ايضا

ان كان دهرى قد اساء وجارا * فذمام مجدك لا يضيع جارا
ولانت اعظم ملجأ يحمى اذا * ما الدهر انجد موعدا واغارا

وقال لسان الدين رحمه الله تعالى خاطبت الشيخ الشريف الفاضل اباعبد الله بن نفيس صحبة غمن سكن اشتريته منه وكان قد أهدانى فرسا عتيقا

المطيع من داره وعلم أنه سياتى عليه فلما استقرت للمستكفى طلب المطيع فلم يقف له على خبر فهدم داره وأتى على جميع ما قدر عليه من بستان وغيره (وذكر) أبو الحسن على ابن أحمد الكاتب البغدادى قال لما استخلف المستكفى ضم اليه تورون غلاما تركيا من غلمانه يقف بين يديه وكان للمستكفى غلام قد وقف على أخلاقه ونشأ فى خدمته فكان المستكفى يميل الى غلامه وكان تورون يريد من المستكفى ان يقدم المضموم اليه على غلامه الاول فكان المستكفى يبعث بالغلام التركى فى حوائجه ابتغاء لمرضاة تورون فلا يبلغه ما يبلغ غلامه (قال) وأقبل المستكفى يوما على محمد بن محمد بن يحيى بن شير زاد الكاتب فقال له أتعرف خبر الحجاج بن يوسف مع أهل الشام قال لا يا أمير المؤمنين قال ذكروا أن الحجاج بن يوسف كان قد اجتبى قوما من أهل العراق وجد عندهم من الكفاية مالم يجد عند مختصيه من الشاميين فشق ذلك على الشاميين وتكلموا فيه فبلغ اليه كلامهم فركب فى جماعة من الفريقين وأوغل بهم فى الصحراء فلاح لهم من بعد قطار ابل فدعا برجل من أهل الشام فقال له امض

جزيت يا ابن رسول الله أفضل ما * جزى الاله شريف البيت يوم جزى
ان أعجزالشكر مني منة ضعفت * عن بعض حقك شكر الله ما عجزا

سيدي أبقى الله شرفك تشهد به الطباع اذا بعدت المعاهد المقدسة والرباع وتعترف به الابصار والاسماع وان جحدت عارضها الاجماع باى لسان أثني أم أى الافنان أهصر وأجني أم أى المقاصد الكريمة أعني أمطيت جوادك المبارك وأسكنت دارك واوسعت مطاي اصطبارك وهضمت حقك وبوأت جوارك ووصلت للغرباء ايثارك أشهد بانك الكريم ابن الكريم لا أقف في تعدادها عند حد الى خير جد فان أعان الدهر على مجاراه وان ترفع كرمك عن موزاه فحاجة نفس قضيت وأحكام آمال أمضيت وان اتصل العجز فعين على القذى اغضيت ومناصل عزم ما انتضيت وعلى كل حال فالثناء ذائع والحمد شائع واللسان والحمد لله طائع والله مشترما أنت بائع وقد وجهت من يحاول لسيدي ثمن ما كتب به مجده وسفر عنه جده والعقيدة بعد التراضي وكمال التقاضي وجميل الصبر وسعة التغاضي وكونه الخصم والقاضي انه هبة سوغها انعامه وأكله هنا ها مطعامه نسأل الله تعالى أن يعلي ذكره ويتولى شكره وينمي ماله ويرفع قدره والولد جاره الغريب الذي برز الى مقارعة الايام عن خبرة قاصره وتجربة غير منجدة على الدهر وناصره قد جعلته وديعة في كرم جواره ووصعته في حرايثاره فان زاغ فيده العليا في تبصيره ومؤاخذته بتقصيره ومن نبه مثله نام ومن استنام اليه بهمه أكرم عن اليه استنام وان تشوف سيدي لحال محبه فطلق للدنيا من عقال ورافض أثقال ومؤمل اعتياض بخدمة الله تعالى وانتقال انتهى (وقال) رحمه الله تعالى مما خاطبت به صدر الفضلاء الفقيه المعظم أبا القاسم بن رضوان بما يظهر داعيته من فحواه

مرضت فأيامي لديك مريضة * وبرؤك مقرون ببرء اعتلالها
فلا راع تلك الذات للضر رائع * ولا وسمت بالسقم غرخلالها

وردت على من قذفني اليها في معرك الدهر أتحيز وبفضل فضلها في الاقدار المشتركة أعتز سحاءة سرت وساءت وبلغت من القصدين ما شاءت أطلع بها سيدي صنيعة وده من شكواه على كل عابث في السويداء موجب اقتحام البيداء مضرم نار الشفقة في فؤاد لم يبق من صبره الا القليل ولا من افصاح لسانه الا الانين والاليل ونوى مدت لغير ضرورة رضاها الخليل فلا تسال عن ضنين تطرقت اليد الى رأس ماله أو عابد توزع متقبل أعماله أو آمل ضويق في فذلكة آماله لكنني رجحت دليل المفهوم على دليل المنطوق وعارضت القواعد الموحشة بالفروق ورأيت الخط يبهر والحمد لله تعالى ويروق واللفظ الحسن تومض في حبره للمعنى الاصيل بروق فقلت ارتفع الوصب وردمن الصحة المغتصب آلة الحس والحركة هي العصب واذا أشرق سراج الادراك دل على سلامة سليطه والروح خليط البدن والمرء بخليطه وعلى ذلك فلا يقنع بليد احتياطي الا الشرح ففيه يسكن الظما البرح وعذرا عن التكليف فهو محل الاستقصاء والاستفسار والاطناب والاكثار وزند القلق في مثلها أورى والشفيق بسوء الظن مغرى وسيدي هو العمدة التي سلمت لي الايام فيها

فقال المحملة هي أم غير محملة قال لا أدري ولكني أعود وأتعرف ذلك وقد كان الحجاج أتبعه برجل آخر من أهل العراق وأمره بمثل ما كان أمر الشامي فلما رجع العراقي أقبل عليه الحجاج وأهل الشام يسمعون فقال ما هي قال ابل قال وكم عددها قال ثلاثون قال وما تحمل قال زيتا قال ومن أين صدرت قال من موضع كذا قال ومن ربها قال فلان فالتفت الى أهل الشام فقال

ألام على عمرو ولو مات أوناى
لقل الذي يغني غناءك يا عمرو

فقال ابن شيرزاد فقد قال يا أمير المؤمنين بعض أهل الادب في هذا المعنى
شر الرسولين من يحتاج مرسله
منه الى العود والامران سيان
كذلك ما قال أهل العلم في مثل
طريق كل أخي جهل طريقان
قال المستكفي ما أحسن ما وصف البحتري الرسول بالذكاء بقوله
وكأن الذكاء يبعث منه
في سواد الامور شعلة نار

وعلم ابن شيرزاد استثقال المستكفي لغلام تورون فاخبر تورون بذلك فاعفاه منه وأزاله عن خدمته

وقالت حسب آمالك ويكفيها فكيف لا أشفق ومن أتقى من مينه فأنا من عينى لا أتقى والله لا يحبط سعيى فى سؤال عصمتها ولا يخفق ويرشد الى شكره على ما وهب منها ويوفق والسلام الكريم على سيدى البر الوصول الذى زكت منه الفروع لما طابت الاصول وخلص من وده لابن الخطيب المحصول ورحمة الله تعالى وبركاته قال فراجعنى حفظ الله سيادته بما نصه

متى شئت ألفى من علائك كل ما * ينيل من الآمال خير منالها
كبرء اعتلال من دعائك زارنى * وعادات برلم ترم عن وصالها

أبقى الله ذلك الجلال الاعلى متطولا بتأكيد البر متفضلا بموجبات الحمد والشكر ووردتنى هداياته المشتملة على معهود تشريفه وفضله الغنى عن تعريفه متحفيا فى السؤال عن شرح الحال ومعلنا بما تحلى به من كرم الخلال والشرف العال والمعظم على ما يسر ذلك الجلال الوزارى الرياسى أجراه الله تعالى على أفضل ما عوده كما أعلى فى كل مكرمة يده ذلك ببركة دعائه الصالح وحبه الخيم بين الجوانح والله سبحانه المحمود على نعمه ومواهب لطفه وكرمه وهو سبحانه المسؤل أن يهنى لسيدى قرار الخاطر على ما يسره فى الباطن والظاهر بمن الله تعالى وفضله والسلام الكريم على جلاله الاعلى ورحمة الله وبركاته كتبه المعظم الشاكر الذاكر الداعى المحب ابن رضوان وفقه الله تعالى فى ذى الحجة ختام عام واحد وستين وسبعمائة انتهى (وقال) رحمه الله تعالى وفاتحته يعنى الشيخ الجنان محركا قريحته ومستثيرا ما عنده بقولى

ان كانت الآداب أضحت جنة * فلقد غدا اجنانها الجنان
أقلامه القضب اللدان بدوحها * والزهر ما رقمته منه بنان

وذكر بعد البيتين سجعا بليغا ثم قال فراجعنى الجنان بما نصه

يا خاطب الآداب مهلا فقد * ردك عن خطبتها ابن الخطيب
هل غيره فى الارض كفء لها * وشرطها الكفاة قول مصيب
أصبح للشرط بها معترسا * فاستغت فى الفتح فهل من مجيب

أيها السيد الذى يتنافس فى لقائه ويتغالى ويصادم بولائه صرف الزمان ويتعالى وتستنتج نتائج الشرف بمقدمات عرفانه وتقتنص شوارد العلوم بروايات كلامه فكيف بعدانات مبانه جلوت على من بنات فكرك عقائل نواهد وأقمت بها على معارفك الجمة دلائل وشواهد واقتنصت بشرك بديهتك من المعانى اوابد شوارد وبخرت من بلاغتك وبراعتك حياضا عذبة الموارد ثم كلفتنى من اجراء ظالعى فى ميدان ضليعها مقابلة الشمس المنيرة بسراج عند طلوعها فاخلدت اخلاد مهيض الجناح وفررت فرار الاعزل عن شاكى السلاح وعلمت انى ان أخذت نفسى بالمقابله وأدليت دلوقريحتى للمساجله كنت كمن كلف الايام مراجعة امسها أوطلب ممن علته السماء محاولة لمسها وان رضيت من القريحة بسجيتها وأظهرت القدر الذى كنت امتحت من ركيتها أصبحت مسخرة للراوين والسامعين ونبت عن اسمى دواوينهم كما تنبو عن الاشيب عيون العين ثم ان أرك

فلما كان من أمره ما اشتهر صرت فى خدمة أخيه عبد الله ابن المكتفى فلما أفضت الخلافة اليه كنت أخص الناس به فرأيته فى بعض الايام وعنده جماعة من ندمائه ممن كان يعاشرهم قبل الخلافة من جيرانه بناحية دار ابن طاهر وقد تذاكروا الخمر وأفعالها وما قال الناس فيها من المنثور والمنظوم وما وصفت به فقال بعض من حضر يا أمير المؤمنين ما رأيت أحدا وصف الخمرة بأحسن من وصف بعض من تأخر فانه ذكر فى بعض كتبه فى الشراب ووصفه أنه ليس فى العالم شئ واحد أخذ من أمهاته الاربع فضيلتها وابتزها أكرم خواصها الا الخمرة فلها لون النار وهو أحسن الالوان ولدونة الهواء وهى ألين المجسات وعذوبة الماء وهى أطيب المذاقات وبرد الارض وهى ألذ المشروبات قال وهذه الاربع وان كن فى جميع المآكل والمشارب متركبة فليس الغالب عليه ما وصفنا من الغالب على الخمر قال واصفها قد قلت فى اجتماع الصفات التى ذكرنا فيها

لست أرى كالراح فى جمعها * لاربع هن قوام الورى عذوبة الماء ولين الهواء وسخنة النار وبرد الثرى

يا سيدي لا يحل وثيق مبرمه ولا يحل نسج محكمه فامتثلته امتثال من لم يجد في نفسه حرجا من قضائك ورجوت حسن تجاوزك واغضائك أبقاك الله تعالى قطبا لفلك المكارم والمآثر وفصا لخاتم المحامد والمفاخر والسلام انتهى * والجنان المذكور مغربي من مكناسة الزيتون وهو الشيخ الفقيه العدل الاديب الاخباري المشاورك أبو جعفر أحمد بن محمد بن ابراهيم الاوسي الجنان من أهل الظرف والانطباع والفضيلة كاتب عاقل ناظم ناثر مشاورك في فنون من العلم له تصنيف حسن في ثلاث مجلدات سماه المنهل المورود في شرح المقصد المحمود شرح فيه وثائق أبي القاسم الجزيري المالكي فأربى على غيره بيانا وافادة قال في نفاضة الجراب وناولني اياها واذن لي في حملها عنه وأنشدني كثيرا من شعره فمن ذلك ما صدر به رسالة يهنئ بها ناقها من مرض

البس الصحة برداقشيبا * وارشف النعمة ثغرا شنيبا
واقطف الآمال زهرا نضيرا * واعطف الاقبال غصنا رطيبا
ان يكن ساءك وعك تقضى * تجد الاجر عظيما رحيبا
فانتعش في دهرنا ذا سرور * يصبح الحاسد منه كئيبا

أيضا لسان الدين في النفاضة قرأت بالدور والحشي في الدار التي نزلت بها بمكناسة من أبيات مقشة استحسنتها لسهولتها فاخبرني انها من نظمه وهي

انظر الى منزل متى نظرت * عيناك يعجبك كل ما فيه
ينبئ من رفعة لمالكه * وعن ذكاء الحجا لبانيه
يناسب الوشي في أسافله * ما رقم النقش في أعاليه
كأنه روضة مدبجة * جاد لها وابل عما فيه
فاظهرت للعيون زخرفها * ووافقتها على تحليه
فهو على بهجة تلوح به * ورونق للجمال يبديه
يشهد للساكنين أن لهم * من جنة الخلد ما يحاكيه

انتهى

قلت قد تذكرت هنا والشئ بالشئ يذكر ما رأيته مكتوبا على دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التي بناها أمير المسلمين ابن تاشفين الزياني وهي من بدائع الدنيا وهو

انظر بعينك بهجتي وسناتي * وبديع اتقاني وحسن بنائي
وبديع شكلي واعتبر فيما ترى * من نشأتي بل من تدفق مائي
جسم لطيف ذائب سيلانه * صاف كذوب الفضة البيضاء
قد حف بي أزهار وشي نمقت * فغدت كمثل الروض غب سماء

ومما أنشده بعض أهل العصر في المغرب بقصد أن يرسم في الاستار المذهبة المحكمة الصنعة التي جعلها السلطان المنصور أبو العباس الشريف الحسني رحمه الله تعالى لكي يستر بها النواحي الاربع من القبة الكبيرة بالبديع وتسمى هذه الستور عند أهل المغرب بالحائطي ففي الجهة الاولى

متع جفونك من بديع لباسي * وأدر على حسني حيا الكاس

عما ينفع من فنون الشهوات قال فاما شعاع الخمر فانه يشبه بكل شئ نوري من شمس وقمر ونجم ونار وغير ذلك من الاشياء النورية فاما لونها فيحتمل أن يشبه بكل أحمر في العالم وأصفر من ياقوت وعقيق وذهب وغير ذلك من الجواهر النفيسة والحلي الفاخرة قال وقد شبهها الاولون بدم الذبيح ودم الجوف وشبهها غيرهم بالزيت والرازقي وغيرهما وتشبيهها بالجوهر الاكرم أفضل لها وأحسن في مدحها قال فاما صفاؤها فيحتمل ان يشبه بكل ما يقع عليه اسم الصفاء وقد قال بعض الشعراء المتقدمين في صفائها

ترى القذى من دونها وهي دونه

وهذا أحسن ما قاله الشعراء في وصف الخمر قال وقد أتى أبو نواس في وصفها ووصف طعمها وريحها وحسنها ولونها وشعاعها وفعلها في النفس وصفة آلاتها وظروفها وأدنانها وحال المنادمات عليها والاصطباح والاغتباق وغير ذلك من أحوالها بما يكاد يعلو به باب وصفها لولا اتضاع الاوصاف لها واحتمالها اياها وأنها لا تكاد تحصر ولا يبلغ الى غاياتها قال وقد وصف أبو نواس نورها

اذا عب فيها شارب القوم خلته
يقبل فى داج من الليل كوكبا
ترى حيثما كانت من البيت مشرقا
ومالم تكن فيه من البيت مغربا

(وقال أيضا)

وكأن شاربها لفرط شعاعها
فى الكاس يكرع فى ضيا مقباس

(وقال أيضا)

فقلت له ترفق بى فانى
رأيت الصبح من خلل الديار
فقال تعجبا منى أصبح
ولا صبح سوى ضوء العقار
وقام الى الدنان فسدفاها
فعاد الليل مصبوغ الازار

(وقال أيضا)

وحمراء قبل المزج صفراء دونه
كأن شعاع الشمس يلقاك دونها

(وقال)

كأن نارابها محرشة
تهابها تارة وتخشاها

(وقال أيضا)

جراء لولا انكسار الماء لاختطفت
نور النواظر من بين الحماليق

(وقال أيضا)

ينقض منها شعاع كلما

هذى الربا والروض من جرعائها * ما اغتذى بالعارض البجاس
أنى لروض أن يروق بهاؤه * مثلى وأن يجرى على مقياس
فالروض تغشاه السوام وانما * تأوى الى كنفى ظباء كناس

وعلى الجهة الثانية

من كل حسنا كالقضيب اذا انثنى * تزرى بغصن البانة المياس
ولقد نشرت على السماك ذوائبى * وتطرت من شزر الى الكناس
وجررت ذيلى بالمجرة عابثا * فخرا بمعتبرى أبى العباس
مانيط مثلى فى القباب ولا ازدهت * بفتى سواه مراتب وكراسى

وعلى الجهة الثالثة

ملك تقاصرت الملوك لعزه * ورماهم بالذل والاتعاس
غيث المواهب بحر كل فضيلة * ليث الحروب مسعر الاوطاس
فرد المحاسن والمفاخر كلها * قطب الجمال أخو الندى والباس
ملك اذا وافى البلاد تارجت * منه الوهاد بعاطر الانفاس

وعلى الجهة الرابعة

واذا تطلع بدره من هالة * يغشى سناه نواظر الجلاس
أيامه غرر تجلت كلها * أبهى من الاعياد والاعراس
لازال للمجد السنى يشيده * ويقيم مبناه على الآساس
مامال بالغصن النسيم وحبيت * درر الندى فى جيده المياس

وما أنشدنيه بعض العصر بين من المغاوبة لصاحبنا المرحوم الفقيه الكاتب المحقق أبى محمد الحسن بن أحمد المفسيوى المراكشى أحد مشاهير الكتاب بباب أمير المؤمنين المنصور بالله أبى العباس الشريف الحسنى ملك المغرب صب الله تعالى على الجميع أمطار الرضوان مما كتب فى بعض مبانى صاحبنا الوزير العلامة الاجل سيدى عبد العزيز القشتالى رحمه الله تعالى وهو

أجل المعلى من قداح سرورى * وأدر كؤس الانس دون شرور
خلعت على عطف البهاء محاسنى * فكست به الآفاق ثوب حبور
وتناسق الوشى المفوف حلتى * نسق الشذور على نحور الحور
شأو القصور قصورها عن رتبة * لى بالسنا الممدود فى المقصور
فى المبتنى المراكشى وافقه * ازرى على الزوراء والخابور
اعلى مقامى البارع الاسمى الذى * قد حاز سبق النظم والمنثور
فاذا اقل بنانه اقلامه * نفثت عقود السحر بين سطور
عبد العزيز أخو الجلالة كاتب * سر الخليفة احمد المنصور
لازال فى يمن وأمن ماشدت * ورق بروض بالندى ممطور انتهى

وبعضه كتبته بالمعنى من حفظى لطول العهد والغاية فى هذا الباب ما أنشدنيه لنفسه الوزير أبو

ن عبد العزيز القشتالي المذكور وهي جملة من قصائد بيت في المباني الملوكية المنصورية
ضرة المراكشية حاطها الله تعالى فمنها ما كتب خارج القبة الخمسينية أي التي فيها خمسون
عابا العمل وذلك قوله رحمه الله تعالى على لسان القبة

سموت فخر البدر دوني وانحطا * وأصبح قرص الشمس في أذني قرطا
وصغت من الاكليل تاجا لمفرقي * ونيطت بي الجوزاء في عنقي سمطا
ولاحت باطواقي الثريا كأنها * تشير جمان قد تتبعته لقطا
وعديت عن زهر النجوم لانني * جعلت على كيوان رحلي مخطا
وأجريت من فيض السماحة والندى * خليجا على نهر المجرة قد غطى
عقدت عليه الجسر للفخر فارتمت * اليه وفود البحر تغرق ما أعطى
أضى ما بين الغروس كأنه * وقد فرقت حصباؤه حية رقطا
واليه من دوح الرياض خرائد * وغيد تجرر من خمائلها مرطا
ا أرسلت لدن الفروع وتفتت * جنى الزهر لاح في ذوائبها وخطا
حمام النسيم اذا سرى * كأمال نشوان تشرب اسفنطا
ي رياض جادها الجود والندى * سواء لديها الغيث أسكب أم أخطا
ت بسلسال اللجين حياضه * بحارا غدا مرض البسيط لها شطا
لم منها وسط وسطاه دمية * هي الشمس لا تخشى كسوفا ولا غمطا
حكت وحباب الماء في جنباتها * سنى البدر حل من نجوم السماء وسطا
اذا غازلتها الشمس ألقى شعاعها * على جسمها الفضي نهرا بها لطا
توسمت فيها من صفاء أديمها * نقوشا كأن المسك ينقطها نقطا
اذا اتسقت بيض القباب قلادة * فاني لها في الحسن درتها الوسطى
تكنفني بيض الدمى فكأنها * عذارى نضت عنها القلائد والربطا
قدود ولكن راقها الحسن عريها * وأجمل في تنعيمها النحت والخرطا
نمت صعدا تيجانها فتكسرت * قوارير أفلاك السماء بها ضغطا
فيالك شاوا بالسعادة آهلا * يا كنافه رحل العلا والهدى حطا
وكعبة مجد شادها العز فانبرت * تطوف بمغناها أماني الورى شوطا
ومسرح غزلان الصريم كناسها * حنايا قباب لا الكثيب ولا السقطا
فلكس به ما طاب لا الأثل والخمطا * ووسدن فيه الوشي لا السدر والأرطى
نراه من المسك الفتيت مدبرا * اذا مازجته السحب عادبها خلطا
وان باكرته نسمة لسرى بها * الى كل انف عرف عنبره قسطا
اقرت له الزهراء والخلد وانتقت * أواوين كسرى الفرس تغبطه غبطا
حنانا بوراق المجد فيه مطنب * على خير من يعزى لخير الورى سبطا
امام يسير الدهر تحت لوائه * وترى سفان للعلا حيثما وطا
وفتاح أقطار البلاد بفيلق * يفلق هامات العدا بالظبا خبطا

(وقال) عقفت في الدنان حتى استفادت * نور شمس الضحى وبرد الظلام

(وقال)
عودها حتى عيانا يرى لها
الى الشرف الاعلى شعاعا مطنبا

(وقال)
قال ابغني المصباح قلت له اتئد
حسبي وحسبك ضوؤها مصباحا
فسكبت منها في الزجاجة شربة
كانت لنا حتى الصباح صباحا

قال وله في هذا الفن أشياء كثيرة قد وصفها في مشابهة النار ومخالفة الانوار والرفع للظلام وتصيير الليل نهارا والظلم أنوارا مما هو اغراق الواصف واشتطاط المادح قال وانس الى صفة لونها ونورها ما هو أحسن مما وصفها اذ ليس بعد الانوار شئ في الحسن قال فداخل المستكفي سرور وفرح وابتهاج بما وصف فقال ويحك فرجت عني من هذا الوصف قال نعم يا سيدي (قال) عبد الله بن محمد الناشي وقد كان المستكفي ترك النبيذ حتى أفضت الخلافة اليه فدعا بها من وقته ودعا الى شربها وقد كان المستكفي حين أفضت الخلافة اليه طلب الفضل

ابن المقتدر على حسب ما قدمنا لما كان بينهما من العداوة فيما ذكرنا وغير ذلك مما عنه اعرضنا

مات تورون ودخل الديلمى الى بغداد وخرج الاتراك عنها صاروا الى ناصر الدولة أبى محمد الحسن بن عبد الله ابن حمدان وانحدر معه هو وابن عمه أبو عبد الله بن العلاء فكان بينه وبين ابن بويه الديلمى من الحرب ما قد اشتهر وانحاز الديلمى الى الجانب الغربى ومعه المستكفى والمطيع مختف ببغداد والمستكفى يطلبه أشد الطلب وأنزل المستكفى فى بيعة النصارى المعروفة بدونا من الجانب الغربى فذكر أبو اسحق ابراهيم بن اسحق المعروف بابن الوكيل ومنزلته من خدمة المستكفى ما قدمنا قال كان المستكفى فى سائر أوقاته فازعا وجلا من المطيع أن يلى الخلافة ويسلم اليه فيحكم فيه بما يريد فكان صدره يضيق لذلك فيشكو ذلك فى بعض الاوقات الى من ذكرنا ممن كان يألفه من ندمائه فيشجعونه ويهونون عليه أمر المطيع الى أن قال لهم فى بعض الايام قد اشتهيت أن نجتمع فى مكان كذا أو كذا فنتذاكر أنواع الاطعمة وما قال الناس فى ذلك منظوما فاتفق معهم على

تطلع من خرصانه الشهب فانثنت * ذوائب أرض الزنج من ضوئها شمطا
كتائب نصران جرت لملمة * جرت قبلها الاقدار تسبقها فرطا
اذا ما عقدن راية علوية * جعلن ضمان الفتح فى عقدها شرطا
فيا للسما تلك الاهلة اغا * سنابكها أبقت مثالا بها خطا
يطاوع أيدى المعلوات عنانها * فيعتاد من فيض الزمان بها بسطا
بدا لامير المؤمنين بكفها * زمام يقود الفرس والروم والقبطا
أدار جدار العلا وسرادقا * يحوط جهات الارض من رعبه حوطا

وقوله مما كتب بهو هابعرم أسود فى أبيض

لله بهو عز منه نظير * لما زها كالروض وهو نضير
رصفت نقوش حلاه رصف قلائد * قد نضدت بها فى النحور الحور
فكانها والتبر سال خلالها * وشى وفضة تربها كافور
وكأن أرض قراره ديباجة * قد زان حسن طرازها تشهير
واذا تصعد نده نوافح * أغاطه نور به معطو باسر
شاوا القصور قصورها عن وصفه * سيان فيه خورنق وسدير
فاذا أجلت اللحظ فى جنباته * يرتد وهو بحسنه محسور
وكأن موج البركتين أمامه * حركات صف صافحته دبور
صفت بصفتها تماثل فضة * ملك النفوس بحسنها تصوير
فتمد يرمن صفو الزلال معتقا * يسرى الى الارواح منه سرور
ما بين آساد يهيج زئيرها * واساود يسلى لهن صفير
ودحت من الانهار أرض زجاجة * وأظلها فلك يضىء منير
راقت فمن حصبائها وفواقع * تطفو عليها اللؤلؤ المنثور
باهى نجوم الافق وهى تنور * باحسنه من مصنع فبهاؤه
وكأنما زهر الرياض بجنبه * حيث التفت كواكب وبدور
ولدسته الاسمى تخير رصفه * فخر الورى وامامها المنصور
ملك أناف على الفراقد رتبة * واقله فوق السماك سرير
قطب الخلافة تاج مفرق دولة * رميت بجحفلها اللهام الكور
وجرى الى أقصى العراق لرعبها * جيش على جسر الفرات عبور
نجل النبى ابن الوصى سليل من * حقن الدماء وعف وهو قدير
بحر الندى لكنه متموج * سيف العلا لكنه مطرور
طود يخف لحلمه ووقاره * ولجيشه يوم النزال ثبير
دامت معاليه ودام مجده * طوق على جيد العلا مزرور
وتعاهدته عن الفتوح بشائر * يغدو عليه بها المساء ويكور
ما دام منزل سعده برتاده * نصر يرف لواؤه المنشور

ذلك فلما كان فى اليوم الذى حضر وأقبل المستكفى فقال هاتوا ما الذى أعده كل واحد منكم فقال واحد

ومشت به مرحا جياده مرة * وأدار كاس الانس فيه سمير

وقوله مما كتب بداخل القبة المذكورة

جمال بدائعي سحر العيونا * ورونق منظرى بهر الجفونا
وقد حسنت قوشى واستطارت * سنى يعشى عيون الناظرينا
وأطلع سمكى الاعلى نجوما * ثواقب لا تغور الدهر حينا
وجوّى من دخان الند ألقى * على أرضى الغياهب والدجونا
علوت دوائر الافلاك سبعا * لذاك الدهر ما ألفت سكونا
فصغت من الاهلة والحنايا * أساور والخلاخل والبرينا
تكنفني حياض مائحات * أمامي والشمال او اليمينا
يتيه حسنها الطرف انفساحا * ويجرى الفلك فيها والسفينا
تدافع نهرها نحوى فلما * تلاقى البحر فى جرى دفينا
ترى شهب السماء بهن غرقى * فتحسبها بها الدر المصونا
وقد نشر الحباب على سماها * لآلئ تزدرى العقد الثمينا
فخرت وحق لى لما اجتباني * لمجلسه امير المؤمنينا
هو المنصور حائز خصل سبق * وبانى المجد بنيانا مكينا
وليث وغى اذا زأراه تعاضا * يروع زئيره هندا وصينا
اذا امت كتائبه الاعادى * بعثن برعبه جيشا كمينا
يدير عليهم من كل حرب * تدقهم رحى أو منجنونا
امام بالمغارب لاح شمسا * بها الشرق اكتسى نورا مبينا
بقيت بذى القصور الغر بدرا * تلوح بافقهن مدى السنينا
تحف بكم عوا كف عند بابى * ملائكة كرام كاتبونا
لك البشرى امير المؤمنين اد * خلوها مع سلام آمنينا

وقوله فى بعض المبانى المنصورية

معانى الحسن تظهر فى المغانى * ظهور السحر فى حدق الحسان
مشابه فى صفات الحسن اضحت * تمس بها المغانى للغوانى
بكل عمود صبح من لجين * تكوّن فى استقامة خوط بان
مفصلة القدود منلثمات * مواصلة العناق من التدانى
تردت سابرى الحسن يزرى * بحسن السابرى الخسروانى
وتعطو الخيزرانة من دماها * بالفة القطيع البرهمانى
لمجدك تنتمى لكن نماها * الى صنعاء ما صنع اليدان
يدين لك ابن ذى يزن ويعنو * لها غمدان فى ارض اليمانى
غدت حرما ولكن حل فيها * لوفدكم الامان مع الامانى
مبان بالخلافة آهلات * بها يتلو الهدى السبع المثانى

منهم قد حضرنى يا أمير المؤمنين أبيات لابن المعتز يصف سلة سكارج كوامخ فقال

امتع بسلة قضبان اتتك وقد
حفت جوانبها الجامات أسطار
فيها سكارج أنواع مصففة
حمر وصفر وما فيهن انكار
فيهن كامخ طرخون مبوهرة
وكامخ أحمر فيها وتيار
أعطته شمس الضحى لونا فجاء به
كانه من ضياء الشمس عطار
فيهن كامخ مرزنجوش قابله
من القرنفل نوع منه مختار
وكامخ الدارصينى فليس له
فى الطعم شبه ولا فى لونه عار
كانه المسك ريحا فى تنسمه
حريف فى طعمه والريح معطار
وكامخ الزعتر البرى ان له
لونا حكاه لدينا المسك والقار
وكامخ الثوم لما أن بصرت به
أبصرت عطر الدبالاكل أمار
كان زيتونها فيها ظلام دجى
فى الجيب منه من المحضور أسفار
اذا تأملت ما فيهن من بصل
كانهن لجين حشوه نار
وسلجم مستدير القد خالطه
طعم من الخل قد حازته أسطار
كان أبيضه فيه وأحمره
دراهم صففت فيهن دينار
فى كل ناحية منها يلوح لنا
نجم الينا بصفو الفجر نظار
كانها زهرة البستان قابلها
بدر وشمس وأظلام وأنوار

ط ث قال المستكفى تحضر هذه الجونة بعينها على هذا الوصف وهاتوا فليس الا كل اليوم الا ما يصفون

هي الدنيا وساكنها امام * لاهل الارض من قاص ودانى
قصور مالها في الارض شبه * ومافي المجد للمنصور ثانى

وقوله رحمه الله تعالى مما كتب في المصرية المطلة على الرياض المرتفعة على القبة الخضراء من بديع المنصور وكان انشاها في جمادى الاولى من عام خمسة وتسعين وسبعمائة

باكر لدى من السرور كؤوسا * وارض النديم أهلة وشموسا
وامرج على غرفي المنيف سماؤها * تلق الفراقد في حماى جلوسا
واذا اطلعت باوجها قمر العلا * لاترتضى غير النجوم جليسا
شرق القصور بريقها لما اجتلت * مني على بسط الرياض عروسا
واعتضت بالمنصور أحمد ضيغما * ورد التخير من بديعي خيسا
ملك أرى كل الملوك عمالكا * لعلاه والدنيا عليه حبيسا
دامت وفود السعد وهي عواكف * تصل المقيل لديه والتعريسا
وهناك باشرف الخلافة دولة * تلقى برايتها طلائع عيسى

وقوله من جملة قصيدة من نمط ما تقدم لم استحضر أولها

سلبت تماثلها الجمال الغتدت * تزهو بحسن طرازها تذهيبا
ولقد تشامخ في العلو سماكها * تجرى على الفلك المنير جنيبا
وسما الى الشهب الزواهر فاغتدى الاكليل منها تاجها المعصوبا
هذا البديع يعز شبه بدائع * ابدعتهن به فخاء غريبا
أضحى الغزالة حسنه حسدا اذا * أبدى عليها الاصيل شحوبا
وانقضت الزهر المنيرة اذرأت * زهر الرياض به ينور عجيبا
شيدتهن مصانعا وصنائعا * أنجزن وعدك للعلا المرقوبا
وجريت في كل الفخار لغاية * أدركتها ومامسست لغوبا
فانعم علاك فيه دام مؤبدا * تجنى به فنن النعيم رطيبا
واليكها عذراء فكر أهديت * وجعلت مدحك مهرها الموهوبا
ونظمت من درر البلاغة عقدها * فغدا يروق بجيدها ترتيبا
ورفعتها لمقامكم تمشى على استحيا فيزعجها الولا ترغيبا
فأتت على شرف لكم فتوقفت * لما رأت ذاك الجلال مهيبا
شفعت اليك بحب جدك أحمد * لتنيلها منك الرضا المرغوبا
دامت ملك الدنيا بروق جمالها * والى القيامة أمركم مرهوبا
وكلاكم الله العظيم كلاءة * يرعى بها خلفاءكم وعقيبا انتهى

ومحاسن صاحبنا المذكور في النظم والنثر يضيق عنها هذا التاليف وكنت أثبت منها جملة في غير هذا الموضع ولما أحس بعزمي على الرحلة الى الحجاز واقتضائي من سلطان المغرب في وعده لي بها النجاز كتب الي من حضرة مراكش وأنا حينئذ بفاس ماصورته بعد سطر الافتتاح

متى ننشط للاكل
فقد أصلحت الجونه
وقد زينها الطاهي
لنا احسن مازينه
جفانا وهي من أطيب ما يؤكل مشحونه
فمن جدي شويناه
وعصبناه صارينه
ونضدنا عليه نعنع الفلفل وطرخونه
وفرخ وافر الزور
أجدنا لك تسفينه
وطيهوج وفروج
أجدنا لك تطجينه
وسنبوسجة مقلوة في آثر طريونه
وحمراء من البيض
الى جانب زيتونه
وأوساط سطيرات
بزيت الماء مدهونه
يولدن لذي التخمة جوعا ويشهينه
ربوع بكسور الند بالعنبر معجونه
وجريف من الخبز
به الاوساط مقرونه
وطلع كاللآلي في
سموط العيد مكنونه
ونخل ترعف الآنا
ف منه وهي مختونه
وباذنجان بوران
به نفسك مفتونه
وهليون وهندبا
تك تعذب هليونه
ولوزينجة في الدهن والسكر مدفونه

يانسمة عطست بها أنف الصبا * فتضمخت بعبيرها فـنن الربا
هبي على ساحات أحمد واشرحي * شـوقي الى لقيـاه شرحا مطنبا
وصـفي له بالمنحنى من أضلعي * قلبـا عـلى جمر الغضى متقلبـا
بان الاحبة عنه حتى قد توى * منهـم وآخر قد نأى وتغيبـا
فعساك تسعد يازمان بقربهم * فاقول أهـلا باللقـاه ومرحبـا

السيادة التى سواها الله من طينة الشرف والحسب وغرس دوحتها الطيبة بمعدن العلم الزاكى المحتد والنسب سيادة العالم الذى تمشى تحت علم فتياه العلماء الاعلام وتخضع لفصاحته وبلاغته صيارفة النثر والنظام وحملة الاقلام كلما خط أو كتب واذا استطار بفكره الوقاد سواجم السحب انثالت عليه من كل أوكارها ونسلت من كل حدب وحكت بانسجامها السيل والقطر فى صبب الفقيه العالم العلم والمحصل الذى ساجلت العلماء لتدرك فى مجال الادراك شأوه فلم سيدنا الفقيه الحافظ حامل لواء الفتيا ومالك المملكة فى المنقول والمعقول من غير شرط ولا ثنيا أبو العباس سيدى أحمد بن محمد المقرى أبقاه الله تعالى للعلم يفتض أبكاره ويجنى من روضه اليانع ثماره سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته كتبه المحب الشاكر عن ود راسخ العماد ثابت الاوتاد مزهو الاغوار والانجاد ولا جديد الا الشوق الذى تحن الى لقيا كم ركائبه وترتاح وتحوم على مورد الانس بكم حوم ذات الجناح على العذب القراح جمع الله تعالى الارواح المؤتلفة على بساط السرور وأسرة المنا وأتاح للنفوس من حسن محاضرتكم نطف المشتهى وهو غض الجنى وقد اتصل بالمحب الودود الرقيم الذى راقت من سواد النقش وبياض الطرس شياته وأرانا معجز أحمد فبهرت آياته وخبا سقط الزند لما أشرقت من سماء فكركم آياته فاطربنا بتغريد طيوره هزاته على أغصان ألفاته وعوذنا بالسبع المثانى بنانا أجادت نثر زهراته على صفحاته ثم مر بنا بتضاعيفه بسوق الرقيق فرمنا السلوك على متفاهافعمى علينا الطريق وقلنا واها على سوق ابن نباتة وكساد رقيقها واستلاب البهجة عن نفيس دررها وأنيقها لا كسوق نفق فيها سوق الغزل وعلا كعب الرامح والاعزل وتظافر على سحر النفوس والالباب هاروت الجد وماروت الهزل وقد ألقينا السلاح وجنحنا للسلم وتهيأنا للسباحة فوقفنا بساحل اليم وسلمنا لمن استوت به سفينة البلاغة على الجودى فابنا والحمد لله على السلامة بالفهاهة والعى وقلنا ما لنا وللانشاء فهو فضل الله يؤتيه من يشاء وعذرا أيها الشيخ عن البيت الذى عطست به أنف الصبا فقذفت به البديهة من الفم وشرقت به صدر قناة القلم كما شرقت صدر القناة من الدم وأما ما تحمل الرسول من كلام فى صورة ملام لا بل مدام أترع به من سلاف المحبة كاس وجام فلا وربك ماهى الا نفعة نفعت لا سموم لفحت هز زنا بها جذع ادبكم كى يتساقط علينا رطبا جنيا ويهمى ودقه على الربع المحيل من أفكارنا وسميا ووليا فجاد وأروى وأجاد فيما روى وأحيا من القرائح ميتا كان حديثا يروى وطرسا بين أنامل الايام ينشر ويطوى أحيا الله تعالى قلوبنا بمعرفته ونواسم رحمته وعرج بارواحنا عند الممات الى المحل الاخص بالمؤمن من حضرته وأهدى السلام المزرى بعبق الختام الى

وساق واعدبالوصـل منه عطفة النونه له شدة الحائط وفى القائطه لينه ٤٣٠ وقرى يغنيك بحوناغيره لمونه
الايام من لمحزون
نأى عن دار محزونه
فـاعذرك فى آن لا
ترى من سكره طينه
فقال المستكفى احسنت
واحسـن القـائل فيما
وصف ثم امر باحضـار كل
مايجرى فى وصفه مما يمكن
احضاره ثم قال هاتوا من
معه شئ فى هذا المعنى فقال
آخر فى هـذا المعنى لابن
الرومى فى صفة وسط
ياسائلى عن مجمع اللذات
سألت عنه أنعت النعات
فهاك ماانشأته من قصه
مسلما من سوئه ونقصه
خذ يامريد المـا كل اللذيذ
جردقتى خبز من السميذ
لم ترعينا ناظر مثليهما
فقشر الحرفين عن وجهيهما
حتى اذا ماصار تاطفا طفا
فضف على احداهما تأنقا
من لحم فروج ولحـم فرخ
تذوب جوذا باهما بالنفخ
واجعل عليها أسطرا من لوز
معارضات أسطرا من جوز
اكفاحها الجبن مع الزيتون
وشكلها النعنع بالطرخون
حتى ترى بينهما مثل اللبن
مقسومة كأنها وشى اليمن
واعمد الى البيض السليق
الاحمر
فدرهم الوسط به ودنر
وترب الاسطر بالملح ولا * تكثر ولا ترل معتدلا وردد العينين فيه لحظا * فان للعينين منه حظا

الفقيهين الامجدين الصدرين الانجدين الفذين التوأمين الفاضلين المجيدين فارسي البراعة والبراعه ورئيسي الجماعة في هذه الصناعه رضيعي لبان الادب واسطى عقده ومجيلي قدحه المعلى ومورى زنده المتعين بشميم عراره ورنده الكارعين بالبحر الفياض من هزله وجده الآتيين بالجنس والفصل من رسمه وحده الكاتب البارع أبي الحسن سيدي علي بن أحمد الشامي والكاتب البليغ أبي عبد الله سيدي محمد بن علي الوجدي وأقر لهما الود المستحكم المعاقد الصافي المناهل العذب الموارد واني قائم بورد الثناء عليكم وعليهما الذي المقام العلي الامامي الناصري دام سلطانه وتمهدت أوطاره وأوطانه وننهي اليكم أن الفقيه المحب الاستاذ سيدي محمد بن يوسف طلق اللسان بالشكر صادح على أيك الثناء عن تلكم السيادة بما أوليتموه به من جزيل الاحسان وقابلتموه به عند الورود والصدر من البشر والكرامة وجميل الامتنان والسلام التام معاد عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبه وجب الكتب اليكم والله سبحانه يرعاكم في يوم الخميس موفي عشرين من محرم الحرام فاتح سبعة وعشرين وألف المحب الودود الشاكر عبد العزيز بن محمد القشتالي لطف الله تعالى به وخار له بمنه وكرمه انتهى ومن أراد شيأ من اخباره فعليه بكتابي الموسوم بروضة الآس العاطر الانفاس في ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس وقد بلغتني وفاته رحمه الله تعالى وأنا في مصر بعد عام ثلاثين وألف رحمه الله تعالى فلقد كان أوحد عصره حتى ان سلطان المغرب كان يقول ان القشتالي نفتخر به على ملوك الارض ونباري به لسان الدين بن الخطيب رحم الله تعالى الجميع والشامي الذي أشار اليه هو من أعيان أهل فاس وذوي البيوت بها وجده قدم من الشام على حضرة فاس فشهر بنوه بالنسبة الى الشام وقد بلغتني وفاته أيضا بعد الثلاثين بعد الالف وقد أجاب عن الابيات البائية التي خاطبني بها الوزير سيدي عبد العزيز القشتالي المذكور رحم الله تعالى الجميع بقوله

نمت نوافح عرف أنفاس الصبا * فنما بها روض الوداد وأخصبا
نثرت جواهر سلكها فتتوج الـ * غصن النضير بدرها وتعصبا
ورمت محاجر مخنى ذات الحمى * فغدا بها خيف القلوب محصبا
وروت أحاديث الغرام صحيحة * فشفت فؤادا من بعادك موصبا
لاغرو أن طارت حشاشة لبه * طربا فخالو الغرام كن صبا
لازلتم والزهر ينشق عرفكم * والزهر يحسد من كمالك منصبا انتهى

ولنمسك عنان البنان ونرجع الى ما كنا بصدده من شان لسان الدين بن الخطيب المريح منه عزن البلاغة والفصاحة جنان الجنان فنقول والله سبحانه ولي التوفيق والامداد وليس الاعليه الاعتماد وقال ابن الصباغ العقيلي كان أبو الحسن بن الجياب رئيس كتاب الاندلس وهم رؤساء غيرهم واختص به ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب اختصاصا تاما وأورثه رتبته من بعده وعهد بها اليه مشيرا بذلك على من استشاره من أعلام الحجاب عند حضور عمره وتدرب بذكائه حتى استحق أزمته فانسي بحسن سياسته شيخه المذكور ونال التي لا فوقها من الحظوة بعد الصيت وسعادة البخت اتفق له يوما بعد ما عزم

طاو ارتري حلقة الدولاب
سروفه ودوره كالداب
ونار مثل الرحى بلاسغب
قد شذبت عنها بنابيك الشذب
لمن عليها وأنا الزعيم
بعدة شيطانها رجيم
وقال آخر يا أمير المؤمنين
لاسحق بن ابراهيم الموصلي
في صفة سنبوسج
يا سائلي عن أطيب الطعام
سألت عنه أبصر الانام
اعمد الى اللحم اللطيف الاحمر
فدقه بالشحم غير مكثر
واطرح عليه بصلا مدورا
وكرنبا طرحا جنيا أخضرا
وألق السذاب بعده موفرا
ودارصيني وكف كزبرا
وبعده شئ من القرنفل
وزنجبيل صالح وفلفل
وكف كمون وشئ من مرى
وملء كفين بملح تدم
فدقه يا سيدي شديدا
ثم أوقد النار له وقودا
واجعله في القدر وصب الماء
من فوقه واجعل له غطاء
حتى اذا الماء فنى وقلا
ونشفته النار عنك كلا
فانه ان شئت فرقاق
ثم احكم الاطراف بالالزاق
او شئت خذ جزأ من العجين
معتدل التقريك مستكين

فابسطه بالسوبق مستديراه ثم اطفرن اطرافه تطفيرا وصب في الطابق زيتا طيبا * ثم اقله بالزيت قليا عجبا التصراني

النصرانى على ورود البلد وضاقت به الصدور فانشد ابن الجياب بديها بعض الكتاب

هذا العدوّ قد طغى * وقد تعدى و بغى

وقال لابن الخطيب أجز يا أبا عبد الله فانشد بديها

وأظهر السلم وقد * أسر حسوا فى ارتغا
فبلغ الرحمن سيـ ـف النصر فيه ما ابتغى
ورده رد ثمو * د والفصيل قد رغا
حتى يرى ولمية * لكل مرهوب الثغا

فقال ابن الجياب هكذا والا فلا وعجب الحاضرون من هذه البديهة انتهى ومما خوطب به لسان الدين قول الفقيه أبى يحيى البلوى المرى رحم الله الجميع

علانى ولو بوعد محال * وصلونى ولو بطيف خيال
واعلموا أننى أسير هواكم * لست أنفك دائما من عقال
قد موعى من بينكم فى انسكاب * وفؤادى من هجركم فى اشتعال
يا أهيل الحمى كفانى غرامى * لا تزيدوا حسبى بما قد جرى لى
من مجيرى من لحظ ريم ظلوم * حال الهجر بعد طيب الوصال
ناعس الطرف أسهر الجفن منى * طال منه الجفا بطول الليالى
بابلى اللحاظ أصمى فؤادى * و رماه من غنجه بنبال
وكسا الجسم من هواه نحولا * قصده فى النوى بذاك انتقالى
ما ابتدا فى الوصال يوما بعطف * مذروى فى الغرام باب اشتغالى
ليس لى منه فى الهوى من مجير * غير تاج العلا وقطب الكمال
علم الدين عزه وسناه * ذروة المجد بدر أفق الجلال
هو غيث الندى وبحر العطايا * هو شمس الهدى فريد المعالى
ان وشى فى الرقاع بالنقش قلنا * صفحة الطرس حليت باللآلى
أو دجا الخطب فهو فيه شهاب * زانه الصبح فى ظلام الضلال
أو نبا الامر فهو فى الامر عضب * صادق العزم عند ضيق المجال
لست تلقى مثاله فى زمان * جل فى الدهر يا أخى عن مثال
قد نأى بى حى له عن ديارى * لا لجدوى ولا لنيل نوال
لكن اشتقت أن أرى منه وجها * نوره فاضح لنور الهلال
وكما همت فيه ألثم كفا * جاد لى بالنوال قبل السؤال
ها كها ابن الخطيب عذراء جاءت * تلثم الارض قبل شسع النعال
وتوفى حق الوزارة عنى * هو ملاك لها على كل حال

ومن نظامه قوله يخاطبه مهنئا فى اعذاره أولاده بعد نثر نصه يعتذر عن خدمة الاعذار و يصل المدح والثناء على بعد الدار بتاريخ الوسط من شهر شعبان عام تسعة وأربعين وسبعمائة

لا عذر لى عن خدمة الاعذار * ولئن نأى وطنى وشط مزارى

فقال آخر يا أمير المؤمنين لمحمود بن الحسين بن السندى كشاجم الكاتب فى وصف هليون

لنا رماح فى أعاليها اود
مثقلات الجسم قتلا كالمسد
مستحسنات ليس فيها من عقد
لها رؤس طالعات فى جسد
مكسورة من صنعة الفرد الصمد
منتصبات كالقداح فى العمد
ثوب من السندس من فوق برد
قد اشربت حمرة لون يتقد
كانها مزوجة حمر تقد
قد فرضت حمرته كف حرد
خالطه حمر قحدويد
كانها فى صحن جام او برد
منضدات كتناضيد الزرد
نسائج العسجد حسنا منتضد
كانها مطرف خز قد نضد
لو أنها تبقى على طول الابد
كانت فصوصا بخواتيم الخرد
من فوقها مودى عليها يطرد
يجول فى جانبها جود مرد
مكشوفة من فوقها ثوب زبد
كانه من فوقه حين لبد
شراك تبر أو لجين قد مسد
فلو رآها عابد أو مجتهد
أفطر عما يشتهيها وسعد

فلما فرغ منها قال له المستكفى هذا مما يتعذر وجوده فى هذا الوقت بهذا الوصف فى هذا البلد الا ان نكتب الى الاخشيد محمد بن طغج يحمل الينا من ذلك البر من دمشق فانشدونا فيما يمكن وجوده قال آخر يا أمير المؤمنين

أوعاقني عنه الزمان وصرفه * تقضي الاماني عادة الأعصار
قد كنت أرغب أن أفوز بخدمتي * وأحط رحلي عند باب الدار
بادي المسرة بالصنيع وأهله * متشمرا فيه بفضل ازاري
من شاء أن يلقى الزمان وأهله * ويرى جلال الاشاع في الاقطار
فليأت حي ابن الخطيب مليا * فيفوز بالاعظام والاكبار
كم ضم من صيد كرام قدرهم * يسمو ويعلو في ذوي الأقدار
ان جئت ناديه فنب عني وقل * نلت المنى بتلطف ووقار
يامن له الشرف القديم ومن له الحسب الصميم الى يوم فخار
يهنيك ماقد نلت من أمل به * في الفرقدين النير ين لسارى
نجلاك قطبا كل مجد باذخ * أملان مرجوان في الاعسار
عبد الاله وصنوه قمر العلا * فرعان من أصل زكا ونجار
ناهيك من قمرين في أفق العلا * ينميهما نور من الانوار
زاكي الارومة معرق في مجده * جم الفضائل طيب الاخبار
رقت طبائعه وراق جماله * فكأنما خلقا من الازهار
وحلت شمائل حسنه فكأنما * خلعت عليه رقة الأسحار
فاذا تكلم قلت طل ساقط * أووقع در من نحور جواري
أوفت حبر المسك في قرطاسه * فالروض غب الواكف المدرار
تتبسم الاقلام بين بنانه * فتريك نظم الدر في الاسطار
فتخال من تلك البنان كأنما * طلت تفتح ناضر النوار
تلقاه فياض الندى متهللا * يلقاك بالبشرى والاستبشار
بحر البلاغة قسها وايادها * سحبانها حبر من الاحبار
ان ناظر العلماء فهو امامهم * شرف المعارف واحد النظار
أربى على العلماء بالصيت الذي * قد طار في الآفاق كل مطار
ماضره أن لم يجئ متقدما * بالسبق يعرف آخر المضمار
ان كان أخره الزمان لحكمة * ظهرت وماخفيت كضوء نهار
الشمس تحجب وهي أعظم نير * وترى من الآفاق اثر دراري
ياابن الخطيب خطبتها العلا كم * بكرا تزف لكم من الافكار
جاءتك من خجل على قدم الحيا * قد طيبت بثنائك المعطار
وأتت تؤدي بعض حق واجب * عن نازح الاوطان والاوطار
مدت يد التطفيل نحو علاكم * فتوشحت من حليكم بنضار
فابذل لها في النقد صفحك انها * تشكو من التقصير في الاشعار
لازلت في دعة وعز دائم * ومسرة تترى مع الاعمار

قال لسان الدين في حق المذكور في الاحاطة هو محمد بن محمد بن عبد الواحد بن محمد البلوي

أتى من الثلج المضاعف سمكه
من صنعة الاهواء والانداء
وكأنها في صحفة مقدودة
بيضاء مثل الدرة البيضاء
بهرت عيون الناظرين بضوئها
وتريك ضوء البدر وقت مساء
وكأن سكرها على أكنافها
نور تجسد فوقها بضياء
فقال آخر يا أمير المؤمنين
أنشدت لبعض المتأخرين في
هريسة
ألذ ما يأكله الانسان
اذا أتى من صيفه نيسان
وكانت الجديان والخرفان
هريسة يصنعها النسوان
لمن طيب الكف والاتقان
يجمعن فيه الطير والجلان
وتلتقي في قدرها الادهان
واللحم والالية والشحمان
وبعده أرزة السمان
والحنطة البيضاء والجلبان
وبعده الارز واللبان
جودها بطحنه الطحان
وبعده الملح وخولنجان
كأنها بدو ترسان
تخجل من رؤيتها الالوان
اذا بدت يحملها الغلمان
تضمها الصحفة والخوان
وفوقها كالقنو خيزران
عسكه سقف له حيطان
مقبب وماله أركان

أبرزها للآكل الولدان * يفترمن لهيبها العينان والمرء فيها فله مكان * يؤثرها الجائع والشبعان من

من أبناء النعم وذوي البيوتات كثير السكون والحياء آل به ذلك أخيرا الى لوثة لم يستفق منها لطف الله به حسن الخط مطبوع الادب سيال الطبع معينه وناب عن بعض القضاة وهو الآن رهين ماذكر يتمنى أهله موته والله ولي المعافاة وجرى ذكره في الاكليل بما نصه من أولي الاتصال بأولي الخلال البارعة والخصال خطار اتقا ونظاما مثله لاتقا ودعابة يسترها تجهم وسكونا في طيه ادراك وتفهم عني بالدراية والتقييد ومال في النظم الى بعض التوليد وله اصالة نبتت في السرعروقها وتألقت في سماء الجادة بروقها وتصرف بين النيابة في الاحكام الشرعيه و بين الشهادات العلمية المرعيه انتهى ورأيت بخط أبي الحسن علي بن لسان الدين على هامش هذا المحل من الاحاطة ما صورته رحمة الله عليه ما أعذب حلاوته وأعظم مروءته وأكرم أصالته و بنو البلوي ذوو حسب وأهل نعيم وتربيه ملوكية حياهم الله وبياهم قال ذلك حبيبهم وأخوهم علي بن الخطيب انتهى وقال لسان الدين رحمه الله تعالى عند ذكر الخطيب الرئيس أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني ما صورته ولما قدمت على مدينة فاس في غرض الرسالة خاطبني بمنزل الشاطبي على مرحلة منها بما نصه

باقادما وافى بكل نجاح * أبشر بما تلقاه من أفراح
هذا ذرا ملك الملوك فلذ بها * تنل المنى وتفز بكل سماح
مغنى الامام أبي عنان يمن * تظفر ببحر في العلا طفاح
من قاس جود أبي عنان في الندى * بسواه قاس البحر بالضحضاح
ملك يفيض على العفاة نواله * قبل السؤال وقبل بسطة راح
فلجود كعب وابن سعدى في الندى * ذكر محاه عن نداه ماحي
ما ان سمعت ولا رأيت بمثله * من أريحي للندى مرتاح
بسط الامان على الانام فأصبحوا * قد ألحفوا منه بظل جناح
وهمى على العافين سيب نواله * حتى حكى سح الغمام الساحي
فنواله وجلاله وفعاله * فاقت وأعيت ألسن المداح
وبه الدنا أضحت تروق وأصبحت * كل المنى تنقاد بعد جماح
من كان ذا ترح فرؤ يه وجهه * متلافة الاحزان والاتراح
فانهض أبا عبد الاله تفز بما * تبغيه من أمل ونيل نجاح
لازلت ترتشف الاماني راحة * من راحة المولى بكل صباح

فالحمد لله يا سيدي وأخي على نعمه التي لا تحصى حمدا يؤم به جميعنا المقصد الاسنى فيبلغ الامد الاقصى فطالما كان معظم سيدي للاسى في خبال وللاسف بين اشتغال بال واشتعال بلبال ولقدومكم على هذا المحل المولوي في ارتقاب ولمواعيدكم بذلك في تحقق وقوعه من غير شك ولا ارتياب فها أنت تجتلي من هذا المقام العلي بتشيعك وجوه المسرة صباحا وتتلقى أحاديث مكارمه ومواهبه مسندة صحاحا بحول الله تعالى ولسيدي الفضل في قبول مركوبه الواصل اليه بسرجه ولجامه فهو من بعض مالدى المعظم من احسان مولاه وانعامه

أبدعها في عصرها ساسان
وأعجبت كسرى أنوشروان
اذا رآها الجائع الغرثان
لم يعط صبرا معها الجيعان
وقال آخر بأمير المؤمنين
لبعض المتأخرين في صفة المضيرة

ان المضيرة في الطعام
كالبدر في ليل التمام
اشراقها فوق الموا
ئد كالضياء على الظلام
مثل الهلال اذا بدا
للناس في خلل الغمام
في صحفة مملوءة
للناس من جرع الهمام
قد أعجبت لابي هريـ
ـرة اذ أتت بين الطعام
حتى لقد مال الهوى
بهواه عن طلب الصيام
ولقد رأى في أكلها
حظا فبادر بالقيام
ولقد تمكب ان يكو
نوا كلا عند الامام
اذ ليس ثم مضيرة
تشفي السقيم من السقام
لاعذر في اتيانها
من غير اتيان الحرام
فهي اللذيذة والغريـ
ـبة والعجيبة في الانام
فقال آخر بأمير المؤمنين
لمحمود بن الحسن في صفة جوزابة

جوزابة من أرزفائق
مصفر في اللون كالعاشق

بسكر الاهواز مصنوعة * فطعمها أحلى من الرائق
غرقة فى الدهن وجاجة * تزود بالنفخ من الرائق

ولعمرى لقد كان وافدا على سيدى فى مستقره مع غيره فالحمد لله الذى يسر فى ايصاله على أفضل أحواله فراجعته بما نصه

راحت تذكرنى كؤس الراح * والقرب يخفض للجنوح جناحى
وسرت تدل على القبول كأنما * دل النسيم على انبلاج صباح
حسناء قد غنيت بحسن صفاتها * عن دملج وقلادة ووشاح
أمست تحض على الليالى بن جوت * بسعوده الاقلام فى الالواح
بخليفة الله المؤيد فارس * شمس المعالى الازهر الوضاح
ماشئت من شيم ومن همم غدت * كالزهر أو كالزهر فى الادواح
فضل الملوك فليس يدرك شاوه * أنى يقاس الغمر بالضحضاح
أسنى بنى عباسهم بلوائه المنصور أو بحسامه السفاح
وغدت معانى الملك لما حلها * تزرى ببدرهدى وبحر سماح
وحباء من أهداك تحفة قادم * فى العرف منها راحة الارواح
مازلت أجعل ذكره وثناءه * روحى وريحانى الاريج وراحى
ولقد تمازج حبه بجوارحى * كتمازج الاجسام بالارواح
ولو انى أبصرت يوما فى يدى * أمرى لطرت اليه دون جناح
فالآن ساعدنى الزمان وأيقنت * من قربه نفسى بفوز قداحى
ايه أبا العباس الاله وانه * لنداه ودفى علاك صراح
أما اذا استعبدتنى من بعدما * ركدت لما خبت الخطوب رياحى
فاليكها مهزولة وأنا امرؤ * قررت عجزى واطرحت سلاحى

سيدى أبقاك الله لعهد تحفظه وولاء بعين الوفاء تلحظه وصلتنى رقعتك التى أبدعت وبالحق من مولى الخليقة صدعت والقتنى وقد سطت بى الاوحال حتى كادت تتلف الرحال والحاجة الى الغذاء قد شمرت كشح البطين وثانية العجماوين قد توقع فوات وقتها وان كانت صلاتها صلاة الطين والفكر قد غاض معينه وضعف وعلى الله جزاء المولى الذى يعينه فغزتنى بكتيبة بيان اسدها هصور وعلمها منصور وألفاظها ليس فيها قصور ومعانيها عليها الحسن مقصور واعتراف مثلى بالعجز فى المضايق حول ومنه وقول لا أدرى للعالم فكيف لغيره جنه لكنها بشرتنى بما يقل لمؤديه بذل النفوس وان جلت وأطلعتنى من السراء على وجه تحسده الشمس اذا تجلت بما أعلمتنى به من جميل اعتقاد مولانا أمير المؤمنين أيده الله فى عبده وصدق المخيلة فى كرم مجده وهذا هو الجود المحض والفضل الذى شكره هو الفرض وتلك الخلافة المولوية تتصف بصفات من يبدأ بالنوال من قبل الضراعة والسؤال من غير اعتبار للاسباب ولا مجازاة للاعمال نسأل الله تعالى أن يبقى منها على الاسلام أوفى الظلال و يبلغها من فضله أقصى الآمال و وصل ما بعثه سيدى صحبتها من الهديه والتحفة الوديه وقبلتها امتثالا واستجليت منها عتقا وجمالا وسيدى فى الوقت أنسب لاتخاذ ذلك الجنس وأقدر على الاستكثار من

لينة ملمسها زبدة
وريحها كالعنبر الفائق
كأنها فى جامها اذ بدت
تزهر كالكوكب فى الغاسق
عقيقة صفرتها فاقع
فى جيد خود بضة عاتق
أحلى من الامن أتى موهنا
الى فؤاد قلق خافق

(وقال آخر يا أمير المؤمنين وهى لبعض المحدثين فى صفة جوزابة أخرى)

وجوزابة مثل لون العقيق
وفى الطعم عندى كطعم الرحيق
من السكر المحض معمولة
ومن خالص الزعفران السحيق
مغرقة بشحوم الدجاج
وبالشحم أكرم بها من غريق
لذيذة طعم اذا استعملت
وفى اللون منها كلون الخلوق
عليها اللآلئ من فوقها
تضم جوانبها ضم ضيق
يرددها فى الانا نفحه
وما فى حلاوتها من مطيق

(وقال آخر يا أمير المؤمنين لمحمود بن الحسين كشاجم فى صفة قطائف)

عندى أصحابى اذا اشتد السغب
قطائف مثل أضابير الكتب
كأنه اذا ابتدى من كثب
كوافر النحل بياضا قد ثقب

تدمج دهن اللوز مما قد شرب * وابتل مما عام فيه ورسب
وجاء ماء الورد فيه وذهب * فهى عليه حبب فوق حبب
اناث

م والانس وأنا ضعيف القدره غير مستطيع على ذلك الا في الندره فلو رأى سيدى ورأيه سداد وقصده فضل ووداد أن ينقل القضية الى باب العارية من باب الهبة مع وجود الحقوق المترتبة لبسط خاطرى وجهه وعمل في رفع المؤنة على شاكلة حالى معه وقد استصحبت مركوبا شق على هجره ويناسب مقامى شكله ونجره وسيدى في الاسعاف على الله أجره وهذا أمر عرض وفرض فرض وعلى نظره المعوّل واعتماد اغضائه هو المعقول الاوّل والسلام على سيدى من معظم قدره وملتزم بره ابن الخطيب في ليلة الاحد السابع والعشرين لذى قعدة خمس وخمسين وسبعمائة والسماء قد جادت بمطر سهرت منه الاجفان وظن انه طوفان والاعاق في غدها بالباب المولوى مؤمل بحول الله انتهى * وكتب القاضى أبو القاسم البرجى للسان الدين في غرض الشفاعة لبعض قرابته قوله

أيا سابقا في مجال البراعه * وفارس ميدان أهل اليراعه
ومن بدره في سماء المعالى * يزين بوصف الكمال ارتفاعه
علاك في الفضل من حجة * ومن أمره في ذويه مطاعه
قضاؤك في معمر حل دين * عليه فأرجاؤه قد أضاعه
وقد كان يبغى لديكم شفيعا * توسط عندكم في شفاعه
على انه في اقتضاء الوداد * يوفى موازينه أو صواعه
وما هو في سوق تقريظكم * ونشر علاكم بمزجى البضاعه

كتبت يا سيدى أدام الله تعالى علاكم وحرس مجدكم الطاهر وسناكم وأنا بين حجل مفحم ووجل مقحم أتذكر تسويفى بلقائكم حين سمع الدهر باقترابكم فأحجم وأفكر في أن احجامى عند ذلك بارجائى عسى أن يكون وفق رجائى أفاتى المقصود فأرى الحزم في أن أقدم وموقعها بين يديكم فلان يطالبنى مطالبة الغريم وأروم مطاله فلا يبرح ولا يريم والانقياد في زمام طاعته مما توجبه المروّه بعدما أوجبه الشارع ان جعل له حظا في الابوّه وقد أعلقته من ذمام علائكم بالحبل المتين وأنزلته من حماكم بربوة ذات قرار ومعين فان أعرتموه من لحظكم الجميل طرف اقبال وأقبلتموه من اعتنائكم الجزيل وجه اقبال فقد عاد دهره بعد النفار مواتيا ونزل على أهل المهلب شاتيا ومجدكم كفيل بتبليغ أمله وتوسيع جذله وذلكم يد على معظمكم شكرها وعلى الله أجرها انتهى * والبرجى المذكور هو محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن على بن ابراهيم الغسانى البرجى يكنى أبا القاسم من أهل غرناطة قال في الاحاطة هو فاضل مجمع على فضله صالح الابوّة طاهر النشاة بادى الصيانة والعفة طرف في الخير والحشمة صدر في الادب جم المشاركة ثاقب الفهم جميل العشرة ممتع المجالسة حسن الشعر والخط والكتابة فذ في الانطباع صناع اليدين محكم العمل الكثير من الآلات العلمية ويجيد تفسير الكتب رحل الى العدوة ولقى جلة وتوسل الى ملكها بمجدد الرسم ومقام أولى الشهرة وعام دست الشعر والكتابة أمير المسلمين أبى عنان فاشتمل عليه وقربه وملأ بالخير يديه فاقتنى جدة وحظوة وذكرا

أطيب منه أن تراه ينتهب
كل امرئ لذته فيما أحب
فاقبل المستكفى على معلم
كان يعلمه في صباه طيب
النفس وكان يضحك منه
ويستظرفه فقال له أنشدنا
ما سمعت فقال أنشدنا أنت
قال لا أدرى ما قال
هؤلاء وما أنشدوا غير
انى مضيت في أمس يومنا هذا
أدور حتى أتيت باطرنجا
فرأيت رياضها فذكرت
من أمرها فقلت
نوم عينيك يا ابن وهب
غرار
ولنار الهوى بقلبك نار
من حديث انى مررت بها و
ما وقلبى من الهوى مستطار
وبها ترجعن ينادى علانا
قف فقد أدركت لديها
العقار
وتغنى دراج واستطار الله
-وو جادت بنورها الازهار
فانثنينا الى رياض عيون
ناظرات ما ان بهن احورار
ومكان الجفون منها ابيضاض
ومكان الاحداق منها
اصفرار
بينما نحن عندها صرح الور
د الينا يا معشر السمار
عندنا قهوة تغافل عنها
دهرها فالوجوه منها احمرار
وانثنينا للورد من غير أن تد
-بوعن النرجس المضاعف دار
فرأى النرجس الذى صنع الور * د فنادى مستصرخا بابهار

وشهرة وانقبض مع استرسال الملك لفضل عقله حتى تشكى الى سلطانه بث ذلك عند قدومي عليه وآثر الراحة وجهد فى التماس الرحلة الحجازية ونبذ الكل وقصر الخطوة وسلا الحظوة فاسعفه سلطانه بغرضه وجعل حبل همه على غاربه وأصحبه الى النبي الكريم صلوات الله عليه رسالة من انشائه وقصيدة من نظمه وكلاهما يعلن فى الخلفاء بعد شاوه ورسوخ قدم علمه وعراقة البلاغة فى نسب خصله ولما هلك وولى ابنه ملكه وضاعف له التنويه فاجرى الخطة على سبيل من السداد والنزاهة ثم لما ولى السلطان أبو سالم عمه أجراه على الرسم المذكور واستجلى المشكلات بصدقه وهو الآن بحاله الموصوفة مغرى من مفاخر ذلك الباب السلطانى على تعدد مفاخره (شعره) ثبت فى كتاب نفاضة الجراب من تاليفنا عند ذكر المدعى الكبير بباب ملك المغرب ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر من أنشد ليلتئذ من الشعراء ما نصه وتلاه الفقيه الكاتب الحاج القاضى حلة السداجة وكرم الخلق وطيب النفس وخدن العافية وابن الصلاح والعبادة ونشاة القرآن المتحيز الى حزب السلامة المنقبض عن الغمار العزوف عن فضول القول والعمل جامع المحاسن من عقل رصين وطلب عتم وأدب نقاوة ويد صناع أبو القاسم بن أبي زكريا البرجى فانشدت له على الرسم المذكور هذه القصيدة الفريدة

أصغى الى الوجد لما جد عاتبه * صب له شغل عمن يعاتبه
لم يعط للصبر من بعد الفراق يدا * فصل من ظل ارشادا يخاطبه
لولا النوى لم يبت حران مكتئبا * يغالب الوجد كتما وهو غالبه
يستودع الليل أسرار الغرام وما * تمليه أشجانه فالدمع كاتبه
لله عصر بشرقى الحمى سمحت * بالوصل أوقاته لو عاد ذاهبه
ياجيرة أودعوا اذ ودعوا حرقا * يصلى بها من صميم القلب ذائبه
ياهل ترى تجمع الايام فرقتنا * كعهدنا أو يرد القلب سالبه
وياأهيل ودادى والنوى قذف * والقرب قد أبهمت دونى مذاهبه
هل ناقض العهد بعد البعد حافظه * وصادع الشمل يوم الشعب شاعبه
ويا ربوع الحمى لازلت ناعمة * يبكى عهودك مضنى الجسم شاحبه
يامن لقلب مع الاهواء منعطف * فى كل أوب له شوق يجاذبه
يسمو الى طلب الباقى بهمته * والنفس بالميل للفانى تطالبه
وفتنة المرء بالمألوف معضلة * والانس بالالف نحو الالف جاذبه
أبكى لعهد الصبا والشيب يضحك بى * بالارتحال سبت جدى ملاعبه
ولن ترى كالهوى اشجاه سالفه * ولا كوعد المنى أحلاه كاذبه
وهمة المرء تغليه وترخصه * من عز نفسا لقد عزت مطالبه
ما هان كسب المعالى أو تناولها * بل هان فى ذاك ما يلقاه طالبه
لولا سرى الفلك السامى لما ظهرت * آثاره ولما لاحت كواكبه
فى ذمة الله ركب للعلا ركبوا * ظهر السرى فاجابتهم نجائبه

ورأى الورد عسكرين من الصفـر فنادى بجاهه الجلنار * واستغاثا تفاح لبنان لما * حميت من وطيسها الاوتار
واستعاش البهار جيشا من الاتـ
ـرج فيه صغاره والكبار
فرأيت الربيع فى عسكر الصفـ
ـر وقلبى يشفه الاحمرار
ليس الابحمرة من خدود
من أناس بغوا علينا وجاروا
فلم أر المستكفى منذ ولى الخلافة أشد سرورا منه فى ذلك اليوم وأجاز جميع من حضر من الجلساء والمغنين والملهين ثم أحضر ما حضره فى وقته من عين وورق عن ضيق الامر اليه فوالله ما رأيت له بعد ذلك يوما مثله حتى قبض عليه أحمد ابن بويه الديلمى وسمل عينيه وذلك أن الحرب لما طالت بين أبى محمد الحسن ابن عبد الله بن حمدان وكان فى الجانب الشرقى ومعه الاتراك وابن عمه الحسين بن سعيد بن حمدان وابن أحمد بن بويه الديلمى فى الجانب الغربى والمستكفى معه اتهم الديلم المستكفى بمماله بنى حمدان ومكاتبتهم باخباره واطلاعهم على أسراره مع ما كان قد تقدم له فى نفسه فسمل عينيه وولى المطيع وأعمل الديلمى الحيلة فى البيات بالديلم بحملهم فى السفن مع بوقات ودبادب فى الليل وألقاهم فى مواضع كثيرة من الشارع الى الجانب

برمون

برمون عرض الفلا بالسير عن غرض * على السهل اذا ما جد كاتبه
كأنهم فى فؤاد الليل سر هوى * لولا الضرام لما خفت جوانبه
شدوا على لهب الرمضاء وطأتهم * فغاص فى لجة الظلماء راسبه
وكلفوا الليل من طول السرى شططا * فخلفوه وقد شابت ذوائبه
حتى اذا أبصروا الاعلام مائلة * بجانب الحرم المحمى جانبه
بحيث يأمن من مولاه خائفه * من ذنبه وينال القصد راغبه
فيها وفى طيبة الغراء لى أمل * يصاحب القلب منه ما يصاحبه
لم أنس لا أنس أياما بظلهما * سقى ثراه عميم الغيث ساكبه
شوقى اليها وان شط المزار بها * شوق المقيم وقد سارت حبائبه
ان رد ها الدهر يوما بعد ما عبثت * فى الشمل منا يداه لا نعاتبه
معاهد شرفت بالمصطفى فلها * من فضله شرف تعلو مراتبه
محمد المجتبى الهادى الشفيع الى * رب العباد أمين الوحى عاقبه
أوفى الورى ذمما أسماهم هِمما * أعلاهم كرما جلت مناقبه
هو المكمل فى خلق وفى خلق * زكت حلاه كما طابت مناسبه
عناية قبل بدء الخلق سابقة * من أجلها كان آتيه وذاهبه
جاءت تبشرنا الرسل الكرام به * كالصبح تبدو تباشيرا كواكبه
أخباره سر علم الاولين وسل * بدير تيماء ما أبداه راهبه
تطابق الكون فى البشرى بمولده * وطبق الارض أعلاما تجاوبه
فالجن تهتف اعلانا هواتفه * والجن تقذف احراقا ثواقبه
ولم يزل عصمة التأييد تكنفه * حتى انجلى الحق وانزاحت شوائبه
سرى وجنح ظلام الليل منسدل * والنجم لا يهتدى فى الافق ساربه
يسمو ولكل سماء منه منفرد * عن الانام وجبرائيل صاحبه
لمنتهى وقف الروح الامين به * وامتاز قربا فلا خلق يقاربه
لقاب قوسين أو أدنى فما علمت * نفس بمقدار ما أولاه واهبه
أراه أسرار ما قد كان أودعه * فى الخلق والامر باديه وغائبه
وآب والبدر فى بحر الدجى غرق * والصبح لما يؤب للشرق آيبه
فأشرقت بسناه الارض واتبعت * سبل النجاة بما أبدت مذاهبه
وأقبل الرشد والتاحت زواهره * وأدبر الغى فانجابت غياهبه
وجاء بالذكر آيات مفصلة * يهدى بها من صراط الله لاحبه
نور من الحكم لا تخبو سواطعه * بحر من العلم لا تفنى عجائبه
له مقام الرضا المحمود شاهده * فى موقف الحشر اذ نابت نوائبه
والرسل تحت لواء الحمد يقدمها * محمد أحمد السامى مراتبه
له الشفاعات مقبولا وسائلها * اذا دهى الامر واشتدت مصاعبه

الشرقى فتوجهت له على بنى حمدان الحيلة فخرجوا نحو الموصل من بعد
أحداث كثيرة بين الاتراك وبينهم ببلاد تكريت واستوثق الامر لاحمد بن بويه الديلمى وشرع فى عمارة البلد وسد البثوق على حسب ما نمى الينا من أخباره واتصل بنا من أفعاله على بعد الدار وفساد السبل وانقطاع الاخبار وكوننا ببلاد مصر والشام (قال المسعودى) ولم يتأت لنا من أخبار المستكفى مع قصر أيامه غير ما ذكرنا والله الموفق للصواب

(ذكر خلافة المطيع لله)*

وبويع المطيع لله وهو أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر لسبع بقين من شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وقيل انه بويع فى جمادى الاولى من هذه السنة وغلب على الامر ابن بويه والمطيع فى يده لا أمر له ولا نهى ولا خلافة تعرف ولا وزارة تذكر وقد كان أبو جعفر محمد بن يحيى ابن شيرزاد يدبر الامر بحضرة الديلمى فيما يأمر الوزارة برسم الكتبة ولم يخاطب بالوزارة الى أن استأمن الحسين بن على بن حمدان الى الجانب الغربى وخرج معه عند خروجه الى ناحية الموصل الى أن اتهمه
بتغرته الاتراك عليه فسمل عينيه وقد قيل ان أبا الحسن محمد بن على بن مقلة يعرض الكتب

والحوض يروي الصدى من عذب مورده * لا يشتكي غلة الظما شاربه
محامد المصطفى لا ينتهي أبدا * تعدادها هل يعد القطر حاسبه
فضل تكفل بالدارين يوسعها * نعمى ورحمى فلا فضل يناسبه
حسبي التوسل منها بالذي سمحت * به القوافي وجلتها غرائبه
حياه من صلوات الله صوب حيا * تحدى الى قبره الزاكي نجائبه
وخلد الله ملك المستعين به * مؤيد الامر منصورا كتائبه
امام عدل بتقوى الله مشتمل * في الأمر والنهي يرضيه يراقبه
مسدد الحكم ميمون نقيبته * مظفر العزم صدق الرأي صائبه
مشمر للتقى أذيال مجتهد * جرار أذيال سحب الجود ساحبه
قد أوسعت أمل الراجي مكارمه * وأحسنت رغبة العافي رغائبه
وفاز بالامن مجبور اسالمه * وباء بالخزي مقهورا محاربه
كم وافد آمل معهود نائله * أثنى وأثنت بما أولى حقائبه
ومستجير بعز من مثابته * عزت مراميه وانقادت مآربه
وجاءه الدهر يسترضيه معتذرا * مستغفرا من وقوع الذنب تائبه
لولا الخليفة ابراهيم لانبهمت * طرق المعالي ونال الملك غاصبه
سمت لنيل تراث المجد همته * والملك ميراث مجد وهو عاصبه
ينميه للعز والعليا أبو حسن * سمح الخلائق محمود ضرائبه
من آل يعقوب حسب الملك مفتخرا * بباب عزهم السامي تعاقبه
أطواد حلم رسا بالارض محتده * وزاحمت منكب الجوزاء مناكبه
تحفها من مرين أبحر زخرت * أمواجها وغمام ثار صائبه
بكل نجم لدى الهيجاء ملتهب * ينقض وسط سماء النقع ثاقبه
أكفهم في دياجيها مطالعه * وفي نحور أعاديهم مغاربه
يا خير من خلعت لله نيته * في الملك أو خطب العلياء خاطبه
جردت والفتنة الشعواء ملبسة * سيفا من العزم لا تنبو مضاربه
وخضتها غير هياب ولا وكل * وقلما أدرك المطلوب هائبه
صبرت نفسا لعقبى الصبر حامدة * والصبر مذ كان محمود عواقبه
فليهن دين الهدى اذ كنت ناصره * أمن يواليه أو خوف يجانبه
لازال ملكك والتأييد يخدمه * تقضي بخفض مناويه قواضبه
ودمت في نعم تضفو ملابسها * في ظل عز علا تصفو مشاربه
ثم الصلاة على خير البرية ما * سارت اليه بتشتاق ركائبه

ومن شعره ما قيدته بخطه صاحب قلم الانشاء بالحضرة المرينية الفقيه الرئيس الصدر المتفنن أبو زيد بن خلدون

صحا القلب عما تعلمين فأقلعا * وعطل من تلك المعاهد أربعا

سنة ست وثلاثين وثلثمائة ولم نفرد لجوامع تاريخ المطيع بابا مفصلا عن أخباره كافرادنا لغيره مما سلف ذكره في هذا الكتاب لأنا في خلافته بعد (قال المسعودي) وقد كنا شرطنا في صدر كتابنا هذا أن نذكر مقاتل آل أبي طالب ومن ظهر منهم في أيام بني أمية وبني العباس وما كان من أمرهم من قتل أو حبس أو ضرب ثم ذكرنا ما تأتى لنا ذكره من أخبارهم من قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه (وبقي) علينا من ذلك ما لم نورده وقد ذكرناه في هذا الموضع وفاء بما تقدم من شرطنا في هذا الكتاب (فمن) ذلك أنه قام بصعيد مصر أحمد بن عبد الله بن ابراهيم ابن اسمعيل بن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فقتله أحمد بن طولون بعد أقاصيص قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وذلك نحو سنة سبعين ومائتين وكان خروج ابن عبد الرحمن العمري على أحمد بن طولون بصعيد مصر وما كان من أمره الى أن قتل (ومن ذلك) ظهور ابن الرضا وهو محمد بن جعفر بن علي بن موسى بن جعفر

وأمج لايلوى على حد منزل * ولايتبع الطرف الخلى المودعا
وأضحى من السلوان فى حرز معقل * بعيد عن الايام أن يتضعضعا
يرد الجفان النجل عن شرفاته * وان لحظت عن كل أجيد أتلعا
عزيز على داعى الغرام انقياده * وكان اذا ناداه للوجد أطمعا
اهاب به الشيب أنصح واعظ * أصاخ له قلبا منيبا ومسمعا
وسافر فى أفق التفكر والحجا * زواهره لاتبرح الدهر طلعا
لعمرى لقد أنضيت عزمى تطلبا * وقضيت عمرى رقبة وتطلعا
وخضت عباب البحر أخضر مزبدا * ودست أديم الارض أغبر أسفعا

وقال حسبما قيده المذكور

نهاه النهى بعد طول التجارب * ولاح له منهج الرشد لاحب
وخاطبه دهره ناصحا * بألسنة الوعظ من كل جانب
فاضحى الى نصحه واعيا * والغى حديث الامانى الكواذب
وأصبح لاتستبيه الغوانى * ولا تزدريه حظوظ المناصب

ثم قال فى الاحاطة واحسانه كثير فى النثر والنظم والقصار والمطولات واستعمل فى السفارة الى ملك مصر وملك قشتالة وهو الآن قاضى حضرة الملك نسيج وحده فى السلامة والتخصص واجتناب فضول القول والعمل كان الله له انتهى *(وكتب)* ابن المصنف بهامش ترجمة المذكور من الاحاطة ماصورته سيدى وشيخى علامة المغرب اليوم وحائز رتبه العلية من خطابة وقضاء وعلامة وهو أحق بها الخلاله الحميدة أبقاه الله تعالى قاله محبه على بن الخطيب انتهى * وكتب على القصيدة الميلادية المتقدمة مانصه رويتها عنه وسمعتها من لفظه وأجازنى اياها بتلمسان انتهى وكتب على حاشية قصيدته صحا القلب الى أخره ماصورته سمعتها من لفظ سيدى وشقيق روحى الامام العلامة الرئيس أبى زيد بن خلدون بالاندلس امتع الله به تعالى قال ذلك أخوه على بن الخطيب انتهى * وقال فى الاحاطة فى ترجمة ابن زمرك ماصورته وشعره مترام الى هدف الاجادة خفاجى النزعة كلف بالمعانى البديعة والالفاظ الصقيلة غزير المادة فمن ذلك ماخاطبنى به وهى من أول نظمه قصيدة مطلعها * أماو انصداع النور من مطلع الفجر * يقول فيها بعد أبيات

لك الله من فذ الجلالة أوحد * تطاوعه الآمال فى النهى والامر
لك القلم الاعلى الذى طال فخره * على المرهفات البيض والاسل السمر
يقلد أجياد الطروس تمائما * بصنفى لآلى من نظام ومن نثر
تهيك القرطاس فاجر اذغدا * يقبل بحورا من أنامل العشر
كان رياض الطرس خد مورد * يطرزه وشى العذار من الحبر
فشارة هذا الملك رائقة الحلى * بالوية حمر وبالصحف الحمر
ونار وصنعناه عاهدها الحيا * تحوك بها وشى الربيع يد القطر
تغنى قيان الطير فى جنباتها * فيرقص غصن البان فى حلل خضر

له مع أميرها أحمد بن كيلة فقتل صبرا وقيل قتل فى المعركة وحمل رأسه الى مدينة السلام فنصب على الجسر الجديد بالجانب الغربى (وظهر) ببلاد طبرستان والديلم الاطروش وهو الحسن بن على بن محمد ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وأخرج عنها المسودة وذلك فى سنة احدى وثلثمائة وقد كان أقام فى الديلم والجبل سنين وهم جاهلية ومنهم مجوس فدعاهم الى الله تعالى فاستجابوا وأسلموا الاقليلا منهم فى مواضع من بلاد الجبل والديلم فى جبال شاهقة وقلاع وأودية ومواضع خشنة على الشرك الى هذه الغاية وبنى فى بلادهم مساجد وقد كان للمسلمين بازائهم ثغور مثل قزوين وسالوس وغيرهما من بلاد طبرستان وقد كان بمدينة شالس حصن منيع و بنيان عظيم بنته ملوك فارس يسكن فيه الرجال المرابطون بازاء الديلم ثم جاء الاسلام فكان كذلك الى أن هدمه الاطروش والحسن بن القاسم الحسنى الداعى وافى الرى وذلك

سنة سبع عشرة وثلثمائة فى جيوش كثيرة من الجبل والديلم ووجوههم فاخرج عساكر أحمد بن اسمعيل

تمدلا كواس العـــرار أناملا * من السوسن الغض المختم بالتبر
ويحرس خد الورد صارم نهرها * ويمنع ثغر النور بالذابل النضر
يفاخر آهال السماء محاسنا * وتزرى بنجوم الزهر منها على الزهر
اذا مسحت كف الصبا جفن نورها * تنفس ثغر الزهر عن عنبر الشحر
بأعطر من ريا ثنائك فى السرى * وأبهر حسنا من شمائلك الغر
عجبت له يحكى خلالك جيلة * وتفرق منه الاسد فى موقف الذعر
اذا أضرمت من بأسها الحرب جاحما * تاجج منه العضب فى لجة البحر
وان كلع الابطال فى حومة الوغى * ترقرق ماء البشر فى صفحة البدر
لك الحسب الوضاح والسودد الذى * يضيق نطاق الوصف فيه عن الحصر
تشرف أفق أنت بدر كماله * فغرناطة تختال تيها على مصر
تكال تاج الملك منك بحاسنا * وفاخرت الاملاك منك بنو نصر
بعزمة مضمون السعادة أوحد * وغرة وضاح المكارم والفجر
طوى الحيف منشور اللواء مؤيدا * فعز حمى الاسلام بالطى والنشر
ومد ظلال الامن اذ قصر العدا * فيتلى سناء الملك بالمد والقصر
اذا احتفل الايوان يوم مشورة * وتضطرب الآراء من كل ذى حجر
صدعت بفصل القول غير منازع * وأطلعت آراء قبسن من الفجر
فان تظفر الخيل المغيرة بالضحى * فعن رأيك الميمون تظفر بالنصر
فلا زلت للعلياء تحمى ذمارها * وتسحب أذيال الفخار على النسر
وللعلم فخر الدين والعلك بالعدا * بأوت به يا ابن الخطيب على الفخر
فيهنيك عيد الفطر من أنت عيده * ويثنى بما أوليت من نعم غمر
جبرت مهيضا من جناحى وريشه * وسهلت لى من جانب الزمن الوعر
وبوأتنى من ذروة العز معقلى * وشرفتنى من حيث أدرى ولا أدرى
وسوغتنى الآمال عذبا مسلسلا * وأسميت من ذكرى ورفعت من قدرى
فدهرى عيد بالسرور وبالمنى * وكل ليالى العمر لى ليلة القدر
فاصبحت مغبوطا على خير نعمة * يقل لاد ناها الكثير من الشكر

وهى طويلة انتهى قلت هذا الرئيس ابن زمرك صرح هنا بانه بجاه لسان الدين بن الخطيب أدرك من العز ما أدرك ثم انقلب عليه مع الدهر وكفر نعمته وبهم الشرك وحرك من دواعى قتله ما حرك وكم من صديق للشضرك وعقك بعد ما برك وساءك اثر ما سرك ولذا رأيت بخط ابن لسان الدين على هامش قوله فى هذه القصيدة ومد ظلال الامن الخ ما صورته هذا مدحه لحماه الله وعلى قوله وبوأتنى من ذروة العز الخ ما مثاله هكذا شهادتك لحقه ثم تحوّلك عنه وكفر نعمته أغرب أخزاك الله انتهى * وكتب بهامش أول ترجمته من الاحاطة ما نصه أتبعه الله خزيا وعامله بما يستحقه فهذا ترجمه والدى مولاه الذى رفع من قدره فيه ولم يقتله أحد غيره كفانا الله تعالى شر من أحسنا اليه وكتب أيضا تحت هذا

فكتب المقتدر كتابا الى نصر بن أحمد بن اسمعيل ابن أحمد صاحب خراسان ينكر عليه ذلك ويقول انى ضمنتك المال والدم فاهملت أمر الرعية وأضعفت البلد حتى دخلته المبيضة والزمه اخراجهم عنه فوقع اختيار نصر صاحب خراسان على انفاذ رجل من أصحابه بالجبل يقال له اسفار بن شيرويه وأخرج معه ابن النساج وهو أمير من أمراء خراسان فى جيش كبير ليحارب من مع الداعى وما كان بن كالكى من الديلم لما بين الجبل والديلم من الضغائن والتنافر فسار اسفار بن شيرويه الجبلى فيمن معه من الجيوش الى حدود الرى فكانت الوقعة بين اسفار ابن شيرويه الجبلى وبين ما كان بن كالكى الديلمى فاستأمن أكثر أصحاب ما كان بن كالكى الديلمى وقواده مثل مسبر وتاجين وسليمان بن سلكة والاسكرى ومرداد الاشكرى وهشونه بن أومكن فى آخرين من قواد الجبلى فحمل عليهم ما كان فى نفر يسير من غلمانه نسبع عشرة حملة ومدت له عسا كر خراسان ومن معه من الاتراك فولى ما كان ودخل بلاد طبرستان وانهزم الداعى

مثاله هذا الوغد ابن زمرك من شياطين الكتاب ابن حداد البياز بن قتل أباه بيده وجعله ضروبا فمات من ذلك وهو أخس عباد الله تربية وأحقرهم صورة وأجهلهم شكلا استعمله أبي في الكتابة السلطانية فجنينا أيام تحوّلنا عن الاندلس منه كل شر وهو كان السبب في قتل أبي مصنف هذا الكتاب الذي رباه وأدبه واستخدمه حسبما هو معروف وكفانا الله شرّ من أحسنا اليه وأساء الينا انتهى * وقد ألممنا بترجمته في هذا الكتاب في باب تلامذة لسان الدين فلتراجع هنالك * ومما كتب به ابن زمرك المذكور الى لسان الدين ابن الخطيب جوابا عن رسالة قوله

حنت صباحا فاحمت ساكني القصبه * واسترجعت أنفسا بالشوق مغتصبه
قضى البيان لها أن لا نظير لها * فأحرزت من معاني خصله قصبه
ناجت طائر سري لا يستفيق لها * هدت جوارحه واستوهنت عصبه
فحركته على قتل الكلال به * وأذهبت بسرور الملتقى نصبه
وإذ كرت عهد مهديها على شحط * فعاود القلب من تذكاره وصبه
ما كنت أسمع من دهري بجوهره * لو كان يسمح لي بالقلب من غصبه
سل أدمع الصب من أعدى السحاب بها * وقلبه بجمار الشوق من حصبه
فالله يحفظ مهديها ويشكره * فوجهها بعصاب الحسن قد عصبه
من كان وارث آداب يشعشعها * بالفرض اني في ارثي لها عصبه
هو الملاذ ملاذ الناس قاطبة * سبحان من لغيات الخلق قد نصبه

وخاطبه كذلك بقوله

يكلفني مولاي رجع جوابه * وما لتعاطي المعجزات وماليا
أجيبك للفضل الذي أنت أهله * وأكتب مما قد أفدت الأماليا
فأنت الذي طوقتني كل منة * وأحسبت آمالي وأكسبت ماليا
وأنت الذي أعدى الزمان كماله * وصيرت أحرار الزمان مواليا
فلا زلت للفعل الجميل مواصلا * ولا زلت للشكر الجزيل مواليا

وخاطبه كذلك بقوله

طالعتها دون الصباح صباحا * لما جلت غرر البيان صباحا
ولقد رأيت وما رأيت كحسنها * وجها أغر ومبسما وضاحا
عذراء أرضعها البيان لبانه * وأطال مغتدى عندها ومراحا
فأتت كما شاءت وشاء نجيها * تذكي الحجا وتنعم الارواحا
لا بل كمثل الروض باكره الحيا * وسقى به زهر الكمام فقاحا
وطوت بساط الشوق مني بعدما * نشرت علي من القبول جناحا

وخاطبه كذلك بقوله

ذروني فاني بالعلاء خبير * أسير فان النيرات تسير
وكم بت أطوي الليل في طلب العلا * كأني الى نجم السماء سفير

ن يديه وما كان على حاميته فطرقته خيول خراسان والجبل والديلم والاتراك فيهم اسفار بن شيرويه ومضى ما كان لكثرة الخيول وانحاز الداعي وقد لحق بقرب بلاد طبرستان الى ناحية هنالك وقد تخلى عنه من كان معه من الانصار فقتل هنالك ولحق ما كان بالديلم واستولى اسفار بن شيرويه على بلاد طبرستان والري وجرجان وقزوين وزنجان وأبهر وقم وهمذان والكرج ودعا لصاحب خراسان واستوثقت له الامور وعظمت جيوشه وكثرت عدته فتجبر وطغى وكان لا يدين بملة الاسلام وعصى صاحب خراسان وخالف عليه وأراد أن يعقد التاج على رأسه وينصب بالري سريرا من ذهب للملك ويتملك ما في يده مما قد ذكرنا من البلاد ويحارب السلطان وصاحب خراسان فسير المقتدر هرون بن غريب في الحال نحو قزوين فكانت له معه حروب فانكشف هرون وقتل من أصحابه خلق كثير وذلك بباب قزوين وقد كان أصحاب قزوين عاونوا أصحاب السلطان فقتلوا منهم عدة فكانت لهم بعد هزيمة هرون بن غريب مع الديلم حروب وسار اليهم اسفار بن شيرويه فأتى على خلق عظيم بها وملك القلعة التي في وسط قزوين وتدعى بالفارسية

بالرجال لان الديلم والجبل مذ كانوا لم ينقادوا الى ملة ولا استجيبوا شرعا ثم جاء الاسلام وفتح الله على المسلمين البلاد فجعلت قزوين للديلم ثغرا هي وغيرها مما أطاف ببلاد الديلم والجبل وقصدها المطوعة والغزاة فرابطوا وغزوا ونفروا منها الى أن كان من أمر الحسن بن علي العلوي الداعي الاطروش واسلام من ذكرنا من ملوك الجبل والديلم على يديه ما تقدم ذكره في صدر هذا الباب من خبره والآن فقد فسدت مذاهبهم وتغيرت آراؤهم وألحد أكثرهم وقد كان قبل ذلك جماعة من ملوك الديلم ورؤسائهم يدخلون في الاسلام وينصرون من ظهر ببلاد طبرستان من آل أبي طالب مثل الحسن ابن محمد بن زيد الحسيني وخرب أسفار بن شيرويه قزوين لما كان من فعل أهلها ومعاونتهم أصحاب السلطان على رجاله وقلع أبوابها وسباو أباح الفروج وسمع المؤذن يؤذن على صومعة الجامع فأمر أن ينكس منها على أم رأسه

بعزم اذا ما الليل مد رواقه * يكر على ظلمائه فينير
أخو كاف بالمجد لا يستفزه * مهاد اذا جن الظلام وثير
اذا ما طوى يوما على السر كشحه * فليس له حتى المات نشور
واني وان كنت المدمنع جاره * لتسبي فؤادي أعين وثغور
وما تعتريني فترة في مدى العلا * الى أن أرى لحظا عليه فتور
وفي السرب من نجد تعلقت ظبية * تصول على الباس وتغير
وتمنع مسور الكلام أخا الهدى * وتبخل حتى بالخيال يزور
أسكان نجد جادها وأكف الحيا * هوا كم بقلبي منجد ومغير
وباسكي بالاجرع الفرد من منى * وأيسر حظ من رضاك كثير
ذكرتك فوق البحر والبعد بيننا * فدته من فيض الدموع بحور
وأومض خفاق الذؤابة بارق * فطارت بقلبي أنة وزفير
ويهفو فؤادي كلما هبت الصبا * أما الفؤادي في هواك نصير
ووالله ما أدرى أذكرك هزني * أم الكاس ما بين الخيام تدور
فمن مبلغ عني النوى ما يسوءها * وللبين حكم يعتدي ويجور
بأنا غدا أو بعده سوف نلتقي * ونمسى ومنا زائر ومزور
الى كم أرى أكني ووجدي مصرح * وأخفي اسم من أهواه وهو شهير
أمجد آمالي ومغلي كاسدي * ومصدر جاهي والحديث كثير
أأنسى ولا أنسى مجالسك التي * بها تلتقي في نضرة وسرور
نزورك في جنح الظلام وننثني * وبين يدينا من حديثك نور
على أنني ان غبت عنك فلم تغب * لطائف لم يحجب لهن سفور
نروح ونغدو كل يوم وعندها * رواح علينا دائم وبكور
فظلك فوقي حيثما كنت وارف * ومورد آمالي لديك غدير
وعذرا فاني ان اطلت فانما * قصاراي من بعد البيان قصور

وكتب اليه خاتمة رسالة كذلك

وحقك ما استطعمت بعدك غمضة * من النوم حتى آذن النجم بالغروب
وعارضت مسرى الريح قلت لعلها * تمر بنا منك عاطرة الهبوب
الى أن بدا وجه الصباح كأنه * محياك اذ يجلو بغرته الخطوب
فقلت لقلبي استشعر الانس وابتهج * فان تبعد الاجسام لم تبعد القلوب
وسر في ضمان الله حيث توجهت * ركابك لا تخشى الحوادث أن تنوب

قلت هذه غاية في معناها لولا خروجها عن القواعد في ترتيب قافيتها ومبناها فانظر الى تحوله عن لسان الدين بعد هذه المدائح ونسبته اليه بعد ذه القبائح والانسان خوان الا النادر من الاخوان ولا حول ولا قوة الا بالله * قال في الاحاطة في ترجمة ابن سلبطور ما نصه ومما خاطبني به

وخرب المساجد ومنع الصلوات فاستغاث الناس في المساجد في أمصار المشرق واستفحل أمر موسا وصاحب ثالثه

تالله ما أورى زناد القلق * سوى بريق لاح لي بالابرق
أيقنت بالحين فلولا نفحة * نجدية منكم تلافت رمقي
لكنت أقضي بتلظي زفرة * وحسرة بين الضلوع تلتقي
فآه من هول النوى وما جنى * على القلوب موقف التفرق
يا حاكي الغصن انثنى متوجا * بالبدر تحت لمة من غسق
الله في نفس معنى أقصدت * من لاعج الشوق بما لم تطق
أني على أكثرها برح الاسى * دع ما مضى منها وأدرك ما بقي
ولو بالمام خيال في الكرى * ان ساعد الجفن رقيب الارق
فربما زور من خيال زائر * أقر عيني وان لم يصدق
شفيت من برح الاسى لو أن من * أصبح رقي في يديه معتقي
ففي معاناة الليالي عائق * عن التصابي وفنون القلق
وفي ضمان ما يعاني المرء من * نوائب الدهر مشيب المفرق
هذا لعمري مع أني لم أبت * منها بشكوى روعة أو فرق
فقد أخذت من خطوب غدرها * بابن الخطيب الامن مما أتقي
فخر الوزارة الذي ما مثله * بدره لاقى مغرب أو مشرق
ومذ أرانيه زماني لم أبل * من صرفه بعارض أو مبرق
لا سيما منذ حططت في حمى * مقامه الامنع رحل أينقي
أيقنت أني في رجائي لم أخب * وأن مسعى بغيتي لم يخفق
ندب له في كل حسن آية * تناسبت في الخلق أو في الخلق
في وجهه ممدحه بشر ان بدت * تبهرجت أنوار شمس الافق
تعتبر الابصار في اللألاء ما * عليه من نور السماح المشرق
كالدهر في استيناثه وبطشه * كالسيف في حد الظبا والرونق
ان بخل الغيث استهلت يده * بوابل من غيث جود غدق
وان وشت صفحة طرس انجلى * ليل دجاها عن سنى مؤتلق
بمثلها من حبرات أخجلت * حواشي الروض خدود المهرق
ما راق في الآذان أشناف سوى * ملتقطات لفظه المفترق
تود أجياد الغواني أن ترى * حليها من در ذاك المنطق
فسل به هل آده الامر الذي * حل في شرخ الشباب المونق
اذا رأى الرأي فلا يخطئه * يمن اختيار للطريق الاوفق
اليه أبا عبد الاله هاكها * عذراء تحنو في وجوه السبق
خذها اليك بكر فكر يزدري * لديك بالاعشى لدى المحلق
لازلت مرهوب الجناب مرتجى * موصول عز في سعود ترتقي
مبلغ الآمال فيما تبتغي * مؤمن الاغراض عما تتقي

مدينة بخارى وهي دار مملكة صاحب خراسان في هذا الوقت وعبر نهر بلخ فنزل مدينة نيسابور وسار اسفار بن شيرويه الى الري وجمع عساكره وضم اليه رجاله من الاطراف وعزم على محاربة صاحب خراسان فأشار عليه وزيره وهو مطرف الجرجاني وكان يخاطب بالوزير الرئيس أن يلاطف صاحب خراسان ويراسله ويطمعه في المال واقامة الدعوة فان الحرب تارات وأوقاتها سجال والانفاق عليها من رأس المال فان جنح الى ما دعوته وراسلته به والا فالحرب بين يديك لان معك من الاتراك وأكثر فرسان خراسان انما هم رجاله وانما تقدر تملكهم بالاحسان اليهم ولا يدري عليه اذا قرب منك صاروا مع صاحبهم فقبل قوله وأمر بمكاتبته فلما وردت الكتب على صاحب خراسان أبى أن يقبل شيأ من ذلك وعزم على المسير اليه فأشار عليه وزراؤه أن يقبل منه وأن يرضى منه بما يحمل من الاموال واقامة الدعوة فان الحرب عثراتها لا تقال ولا يدرى الى ما تؤول لان الرجل قوي بالمال والرجال فان هزم لم يكن في ذلك كبير فتح اذ كان رجلا من رجالك اشتد بسببه لحرب عدوك

وابن سلبطور هو محمد بن محمد بن أحمد بن سلبطور الهاشمي قال في الاحاطة من أهل المرية يكنى أبا عبد الله من وجوه بلده وأعيانه نشأ نبيه البيت ساحبا بنفسه وبماله ذيل الحظوة متحليا بخصل من خط وأدب وزير امعتمدا ظرفا دربا على ركوب البحر وقيادة الاساطيل ثم انحط في هواه انحطاطا أضاع مروءته واستهلك عقاره وهد بيته وألجأه أخيرا الى اللحاق بالعدوة فهلك بها * وجرى ذكره في الاكليل بما نصه مجموع شعر وخط وذكاء عن درجة الظرفاء غير منحط الى مجادة أثيلة البيت شهيرة الحي والميت نشأ في حجر الترف والنعمه محفوفا بالمالة الجمه فلما عقل عن ذاته وترعرع بين لداته أجرى خيول لذاته فلم يدع منهار بعا الا أقفره ولا عقارا الا عقره حتى حط بساحلها واستولى بسفر الانفاق على جميع مراحلها الا أنه خلص بنفس طيبه وسراوة عماؤها صيبه وتمتع ما شاء من زيروبم وتأنس لم يعط القياد لهم وفي عفو الله سعه وليس مع التوكل عليه ضعه شعره من شعره قوله يمدح السلطان وأنشدها اياه بالمضارب من وادي الغيران عند قدومه المرية

أثغرك أم سمط من الدر ينظم * وريقك أم مسك به الراح تختم
ووجهك أم باد من الصبح نير * وفرعك أم داج من الليل مظلم
أعلل منك الوجد والليل ملتق * وهل ينفع التعليل والخطب مؤلم
وأقنع من طيف الخيال بزورة * لو ان جفوني بالمنام تنعم

ثم سرد لسان الدين القصيدة وهي طويلة ثم قال ومن شعره مذيلا على البيت الاخير حسبما نسب اليه ببلده

نامت جفونك يا سؤلي ولم أنم * ماذاك الا لفرط الوجد والسقم
أشكو الى الله مالي من محبتكم * فهو العليم بما ألقى من الالم
ان كان سفك دمي أقصى مرادكم * فما غلت نظرة منكم بسفك دمي

ومما ينسب اليه كذلك

قف بي وناد بين تلك الطلول * أين الالى كانوا عليها نزول
أين ليالينا بهم والمنى * تجنيه غضا بالرضا والقبول
لا جهلوا بعض الذي حملوا * يوم تولت بالقباب الحمول
ان غبتم يا أهل نجد ففي * قلبي أنتم وضلوعي حلول

ثم قال ناب في القيادة البحرية عن خاله القائد أبي علي الرنداحي وولي أسطول المركب برهة وتوفي بمراكش عام خمسة وخمسين وسبعمائة رحمه الله تعالى انتهى * وقال لسان الدين كتب الى أبو عبد الله بن راجع التونسي بما يظهر من أبياته وهي

أما والذي لي في حلاك من الحمد * وما لك من لاكي لدي من الرفد
لقد أشعرتني النفس انك معرض * عن المسرف الآتي لفضلك يستجدي
فان زلة مني بدت لك جهرة * فصفحا فوالله أذنبت عن قصد

فراجعته بقولي

أجلك عن عتب بغض من الود * وأكرم وجه العذر منك عن الرد

صاحب خراسان ذوي الرأي من قواده وأصحابه فيما قالو زيره فسددوا رأيه وصوبوا قوله فجنح الى قولهم وما أشير عليه فاجاب اسفار بن شيرويه الى ماسأل وأعطاه ما طلب من بعد شروط اشترطها عليه من حمل أموال وغير ذلك فلما وردوا الكتاب على اسفار ابن شيرويه قال لوزيره هذه أموال عظيمة قد اشترط علينا حملها ولا سبيل الى اخراجها من بيت المال فالواجب أن نستفتح خراج هذه البلاد فقال له وزيره ان في استفتاح الخراج في غير وقته مضرة على أرباب الضياع وخراب البلاد وخللا لكثير من أهل الخراج قبل ادراك غلاتهم قال له اسفار فما الوجه قال الوزير الخراج انما يخص بعض الناس من أرباب الضياع خاصة وههنا وجه يعم سائر الناس من أرباب الضياع وغيرهم من المسلمين وسائر الملل من أهل هذه البلاد وغيرهم من الغرباء من غير ضرر عليهم ولا كثير مؤنة بل اعطاء شئ يسير وهو أن تجعل على كل رأس دينارا فيكون في ذلك

ولكنني أهدي اليك نصيحتي * وان كنت قد أهديتها ثم لم تجدي
اذا مقول الانسان جاوز حده * تحولت الاغراض منه الى الضد
فاصبح منه الحمد هزلا مذمما * وأصبح منه الهزل فى معرض الجد
فما اسطعت قبضا للعنان فانه * أحق السجايا بالعلاء وبالحمد

وقال فى الاحاطة فى حق ابن راجع المذكور ما محصله محمد بن على بن الحسن بن راجع الشريف الحسني باعترافه ولا تزر وازرة وزر أخرى تونسي أبو عبد الله يعرف بابن راجع صاحب رواء وأبهة نظيف البزة فاره المركب مطفف مكيال الاطراء جموح فى ايجاب الحقوق مترام الى أقصى آماد التوغل سخي اللسان بالثناء ثرثاره مرسل لعنانه فى كل المحافل متواضع متودد فكه مطبوع حسن الخلق عذب الفكاهة مخصوص حيث حل من الملوك والامراء بالاثرة ومن دونهم بالمداخلة والصحبة ينظم الشعر ويحاضر بالابيات ويقوم على تاريخ بلده ويثابر على لقاء أهل المعرفة والاخذ عن أولي الرواية قدم الاندلس عام خمسين وسبعمائة مفلتا من الوقيعة بالسلطان أبى الحسن فهدله سلطانها كنف بره وآواه الى سعة رعيه وتأكدت بيني وبينه صحبة كتبت اليه أول قدومه مهانئه أحذو حذو أبيات ذكر أن شيخنا أبا محمد الحضرمي خاطبه بها

أمن جانب الغربي نفحة بارح * سرت منه أرواح الجوى فى الجوانح
قدحت بها زند الغرام وانما * تجافيت فى دين السلو لقادح
وما هي الا نسمة حاجرية * رمى الشوق منها كل قلب بفادح
وجدنا لها من غير شك كأنها * شمائل أخلاق الشريف ابن راجح
فتى هاشم سبقا الى كل غاية * وصبرا مغار الفتل فى كل فادح
أصيل العلا جم السيادة ذكره * طراز نضار فى برود المدائح
وفرقان مجد يصدع الشك نوره * حبا الله منه كل صدر بشارح
وفارس ميدان البيان اذا انتضى * صحائفه أنست مضاء الصفائح
رقيق كما راقتك نغمة ساجع * وجزل كما راعتك صولة جارح
اذا ما احتبى مستحضرا فى بلاغة * وخوض خضم القول منه بسابح
وقد شرعت فى مجمع الحفل نحوه * أسنة حرب للعيون اللوامح
فاضعضعت منه لصولة صادع * ولا ذهبت منه بحكمة ناصح
تذكرت قسا قائما فى عكاظه * وقد غص بالشم الانوف الجحاجح
ليهنك شمس الدين ما حزت من علا * خواتمه موصولة بالفواتح
رعى الله ركبا أطلع الصبح مسفرا * لمرآك من فوق الربا والبطائح
ولله ما أهدته كوماء أوضعت * برحلك فى قفر عن الانس نازح
أقول لقومي عندما حط كورها * وساعدها السعدان وسط الاباطح
ذروها وأرض الله لا تعرضوا لها * بعرض سوء فهي ناقة صالح
اذا ما أردنا القول فيه فمن لنا * بطوع القوافي وانبعاث القرائح

وأهل الذمة حتى استوفى الاحصاء الى من فى الفنادق والخانات من الغرباء من التجار وغيرهم وحشر الناس الى دار الخراج بالري وسائر أعمالها فطولبوا بهذه الجزية فمن أدى كتب له براءة بالاداء مختومة على حسب ما تكتب براءة أهل الذمة عند أدائهم الجزية فى سائر الامصار فاخبرني جماعة من أهل الري وغيرهم ممن طرأ عليهم من الغرباء والتجار والكتاب وغيرهم وأنا يومئذ بالاهواز وفارس أنهم أدوا هذه الجزية وأخذوا هذه البراءة باداتها فاجتمع من ذلك أموال عظيمة حمل منها ما اشترط حم[illegible] وكان الباقي من ذلك ألف ألف دينار ونيفا وقيـ[illegible] اضعاف ما ذكرنا على حسب الخلائق الذين [illegible] بالري وأعمالها ورجع صاحب خراسان الى بخارى وعظم أمر اسفار على خلاف ما عهد وبعث برجل من أصحابه يقال له مرداويج بن زيار الى ملك من ملوك الديلم مما يلي قزوين وهو صاحب الطرم من أرض الديلم وهو ابن اسوار المعروف بسلام الذي ولده فى هذا الوقت صاحب أذربيجان وغيرها ليأخذ عليه البيعة لاسفار بن شيرويه والعهد والدخول فى طاعته فسار مرداويج الى سلام فتشاكيا ما نزل بالاسلام من اسفار بن شيرويه واخرابه البلاد وقتله الرعية وتركه

بقيت مني نفس وتحفة قادم * ومورد ظماً ن وكعبة مادح
ولازلت تلقى البر والرحب حيثما * أرحت السرى من كل غاد ورائح

فاجابني بما نصه

أمن مطلع الانوار لمحة لامح * تعاد لمفؤود عن الحي نازح
وهل بالمنى من مورد الوصل يرتوي * غليل عليل للتواصل جانح
فيا فيض عين الدمع مالك والحمى * ورند الحمى والشيح شيح الاباطح
مرابع آرامي ومسرى دنا قتي * فسقيا لها سقيا الناقة صابح
سقى الله ذاك الحي ودقا فانه * حمى لمهات العين عن لمع لامح
وأبدى لنا حور الخيام ترفى * حلى الحسن والحسنا وحلى الملامح
ترى حي تلك الحور للعور مهيج * بدل وهل جسم لداء التبارح
و يادوحة الريحان هل لي عودة * لمغنى عفار الانس بين الاباطح
وهل أنت الاحلة حاتمية * تغص نواديها بغاد ورائح
أقام بها الفخر الخطيب منابرا * لترتيل آيات الندى والمنائح
وشفع بالانجيل حمد مديحه * وأوتر بالتوراة شفع المدائح
وفرق بالفرقان كل فريقة * نأت عن رشاد فيه محض النصائح
وهل هو الا البرية مرشد * لكل هدى هاد لأرجح راجح
فبشرى لسان الدين ساد بك الورى * وأورى الهدى للرشد أوضح واضح
متى قلت لم يترك مقالا لقائل * وان لم تقل لم يغن مدح لمادح
فمن حام بالحي الذي أنت ربه * وعام بحر من عطايا ك طافح
يحق له أن يشفع الحمد بالثنا * ويغدو بذاك البحر أسبح سابح
ويا فوزملك دمت صدر صدوره * وبشرى له قد راح أرجح راجح
بآرائك اللاتي تدل على الهدى * وتبدي لمن خصصت سبل المناجح
ملكت خصال السبق في كل غاية * وملكت ما ملكت يا ابن الجحاجح
مطامح آمال لاشرف همة * أقل مراميها أجل المطامح
فدونكها يا مهدي المدح مدحة * أجبت بها عن مدح أشرف مادح
تهنيك بالعام الذي عم مدحه * مواهب هاتيك البحار الطوافح
فخذها سمي الفخر يا خير مسبل * على الخلق اغضاء ستور التسامح
ودم خاطب العليا بها خير خاطب * وأتوق تواق وأطمح طامح

ثم قال لسان الدين توفي يوم الخميس ثالث شعبان سنة خمسة وستين وسبعمائة وقد ناهز السبعين ودفناه بروضتنا بباب البيرة واعفي شارب الشعر من ثاني مقصه عفا الله تعالى عنا وعنه انتهى * قلت رأيت بخط البدر البشتكي في اختصاره لاحاطة لسان الدين وسماه مركز الاحاطة في هذا المحل مانصه قال كاتبه لو وفق الله تعالى هذا الرجل لم يجب عن مثل تلك الحائية بهذا الهذاء ولعل ما في كتاب أبي البركات الذي اسمه شعر من لاشعر له أنزل من هذه

بسا كره الى قزوين وقرب من نحو الديلم من أرض الطرم من مملكة ابن اسوار منتظر الصاحبه مرداويج بن زيار وانه ان لم ينقد ابن اسوار الى طاعته ورجع اليه رسوله بالايجاب وطئ بلاده وسلام هذا هو خال علي بن وهشوذان المعروف بابن حسان ملك آخر من ملوك الديلم وهو الذي قتل بالري قتله ابن اسوار هذا في خبر يطول ذكره فلما قرب مرداويج من عساكر اسفار راسل قواده وكاتبهم في معاونته على الفتك باسفار وأعلمهم مظاهرة سلام عليه وقد كان القواد وسائر أصحابه سئموا وملوا دولته وكرهوا سيرته فاجابوا مرداويج الى ذلك فلما دنا من الجيش استشعر اسفار بن شيرويه البلاء وعلم توجه الحيلة عليه وان لا ناصر له من أصحابه ولا غيرهم لما تقدم من سوء سيرته فهرب في نفر من غلمانه فوافى مرداويج وقد فاته اسفار فاستولى على الجيش وحاز الخزائن والاموال وأحضروز ير اسفار المعروف بمطرف الجرجاني فاستخرج منه الاموال وأخذ البيعة على

الطبقة انتهى وقد أشار لسان الدين لهذا بقوله السابق وأعني شارب الشعر من ثاني مقصه فلله دره من لوذعي زان خاتم البراعة بفصه فلكم له من عبارة وجيزة يقضي بها مالم يستطع غيره أن يعبر عنه باطنابه فعلى كل من يروم التعبير عما في الضمير أن يتمسك بأطنابه * وقال ابن خاتمة حدثني الشريف الاديب أبو عبد الله بن راجح التونسي مقدمه علينا بالمرية قال سجن القاضي أبو عبد الله بن عبد السلام شابا وسيما لحق تعين عليه فانشدته مداعبا

أقاضي المسلمين حكمت حكما * غدا وجه الزمان له عبوسا
سجنت على الدراهم ذا جمال * ولم تسجنه اذ غصب النفوسا

فأجابني بان قال انما شكاه لي أرباب الدراهم دون أرباب النفوس انتهى (رجع) الى ما خوطب به لسان الدين رحمه الله تعالى ومما خاطبه به أبو عبد الله العتاب التونسي في بعض الاعياد قوله

بيمن أبي عبد الاله محمد * تيمن هذا الفطر وانسجم القطر
أفاض علينا من جزيل عطائه * بحورا تديم المد ليس لها جزر
وآنس منا ما عدمنا مغانيا * اذا ذكرت في القلب ليس لها ذعر
هنيئا بعيد الفطر يا خير ماجد * كريم به تسمو السيادة والفخر
ودمت مدى الايام في ظل نعمة * تطيع لك الدنيا ويعنو لك الدهر

وقال لسان الدين في ترجمة ابن عبد الملك المراكشي ما صورته وخاطبني بقوله

وليت ولاية أحسنت فيها * ليعلم أنها شرفت بقدرك
وكم وال أساء فقيل فيه * دني القدر ليس لها بقدرك

وقال أيضا يخاطبني في المعنى

وليت فقيل أحسن خير وال * ففاق مدى مداركها بفضله
وكم وال أساء فقيل فيه * دناءتها محاسنها بفعله انتهى

وفي الاحاطة ما محصله ان المذكور محمد بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الانصاري الاوسي كان شديد الانقباض محجوب المحاسن تنبو العين عنه جهامة ووحشة ظاهرة وغرابة شكل وفي طي ذلك أدب غض ونفس حرة وحديث ممتع وأبوة كريمة أحد الصابرين على الجهد المستمسكين بأسباب الحشمة الراضين بالخصاصة وأبوه قاضي القضاة نسيج وحده الامام العالم النافر يحيى المتبحر في الآداب تقلبت به أيدي الليالي بعد وفاته لتبعة سلطت على نشبه فاستقر بمالقة مقدورا عليه لا يتسدى لمكان فضله الامن عثر عليه ومن شعره قوله

من لم يصن في أمل وجهه * عندك فصن وجهك عن رده
واعرف له الفضل وعرف به * حيث أحل النفس من قصده

ثم قال توفي في ذي القعدة عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة انتهى * ومما مدح به لسان الدين قول أبي عبد الله محمد المكودي الفاسي رحمه الله تعالى

رحماك بي فلقد خلدت في خلدي * هوى أكابد منه حرقة الكبد
حللت عقد سلوي من فؤادي اذ * حللت منه محل الروح من جسدي

ملجأ يقصده وخاف في أمره فرجع يريد قلعة من قلاع الديلم منيعة تعرف بقلعة الموت وكان فيها شيخ من شيوخ الديلم يعرف بابي موسى مع عدة من الرجال قبله ذخائر اسفار بن شيرويه من خزائنه وأمواله وكان مرداويج لما توجه له ذلك وملك الجيش والاموال خرج يتصيد على أميال من قزوين نحو الطريق الذي سلكه اسفار ليستعلم أمره وأي البلاد سلك والى أي القلاع لجأ فمال الى القلعة فنظر الى خيل يسيرة في بعض الاودية فاسرع أصحابه نحوها ليأخذوا خبرها فوجدوا اسفار بن شيرويه في عدة يسيرة من غلمانه يؤم القلعة ليأخذ ماله فيها من الاموال ويجمع الرجال والديلم والجبل ويعود الى حرب مرداويج بن زيار فأتى عليه مرداويج فلما وقعت عينه عليه نزل فذبحه من ساعته وأقبل رجال الديلم والجبل نحو مرداويج لما ظهر من بذله واحسانه الى جنده وتسامع الناس بادراره الارزاق على جنده فقصدوه من سائر الامصار فعظمت عساكره وكثرت جيوشه واشتد أمره ولم يسعه ما في يديه من الامصار ولا كفى رجاله ما فيها من الاموال ففرق قواده الى بلاد تهونج أبو دلف الى البرج وهمذان

وكان بها جيش السلطان مع أبى عبد الله محمد بن خلف الدينورى السرمانى ومعه خفيفا غلام أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان فى جماعة من قواد السلطان فكانت لهم مع الديلم حروب متصلة ووقائع كثيرة وعاون أهل همذان أصحاب السلطان فقتل من رجال مرداويج خلق كثير من الديلم والجبل أربعة آلاف وقتل ابن أخت مرداويج صاحب الجيش المعروف بابى الكراديس بن على الفلهى وكان من وجوه قواد مرداويج وولت الديلم نحو مرداويج أوحش هزيمة فلما أتاه الخبر وضعت أخته وراى ما نزل بها من أمر ولدها سار عن الرى فى جيوشه حتى نزل مدينة همذان على الباب المعروف بباب الاسد واغا سمى هذا الباب بباب الاسد لان أسدا من حجارة كان على أعمدة من هذا الباب على الطريق المؤدية الى الرى وجادة خراسان أعظم ما يكون من الاسد كالثور العظيم كانه أسد حى يدنو الانسان منه فيعلم أنه حجر قد صور أحسن صورة ومثل أقرب ما يكون من تمثيل الاسد فكان أهل همذان به

مر الكبدرى وذكراك التذاذ فى * ودين حبك اضمارى ومعتقدى
ومن جمالك نور لاح فى بصرى * ومن ودادك روح حل فى خلدى
لا تحسبن فؤادى عنك مصطبرا * فقيل حبك كان الصبر طوع يدى
وهالك جسمى قد أودى النحول به * فلو طلبت وجودا منه لم تجد
بما بطرفك من غنج ومن حور * وما بثغرك من در ومن برد
كن بين طرفى وقلبى منصفا فلقد * جاءت بعضهما فاعدل ولا تحد
فقال لى قد جعلت القلب لى وطنا * وقد قضيت على الاجفان بالسهد
وكيف تطلب عدلا والهوى حكم * وحكمه قط لم يعدل على أحد
من لى بأغيد لا يرثى لذى شجن * وليس يعرف ما يلقاه ذو كمد
ما كنت من قبل اذعانى لسطوته * اخال أن الرشا يسطو على الاسد
ان جاء بالوعد لم تصدق مواعده * فان قنعت بزور الوعد لم يعد
شكوته علتى منه فقال ألا * سر للطبيب فبار الضنى بيدى
فقلت ان شئت برئى أو شفا ألمى * فبارتشاف لمالك الكوثرى جد
وان بخلت فلى مولى يجود على * ضعفى ويبرئ ما أضنيت من جسدى

وخرج بعد هذا الى مدح لسان الدين فاطال وأطاب وكيف لا وقد ملأ من احسانه الوطاب رحم الله تعالى الجميع * وقال لسان الدين كتبت الى أبى عبد الله اليتيم أسأل منه ما أثبت فى كتاب التاج من شعره فكتب الى بهذه الابيات

اما الغرام فلم أخلل بمذهبه * فلم حرمت فؤادى نيل مطلبه
يا معرضا عن فؤاد لم يزل كلفا * بحبه ذا حذار من تجنبه
قطعت عنه الذى عودته فغدا * وحظه من رضاه برق خلبه
أيام وصلك مبذول وبرك بى * مجدد قد صفا لى عذب مشربه
وسمع ودك عن افك العواذل فى * شغل وبدر الدجى ناس لمغربه
لا انت تمنعنى نيل الرضا كرما * ولا فؤادى يوان فى تطلبه
لله عرفك ما أذكى تنسمه * لو كنت تمنحنى استنشاق طيبه
أنت الحبيب الذى لم أتخذ بدلا * منه وحاشى لقلبى من تقلبه
يا ابن الخطيب الذى قد فقت كل سنى * أزال عن ناظرى اظلام غيهبه
محمد الحسن فى خلق وفى خلق * أكملت باسمك معنى الحسن فازه به
حضرت أو غبت مالى عن هواك غنى * لا ينقص البدر حسنا فى تغيبه
سيان حال التدانى والبعاد وهل * لمبصر البدر نيل فى ترقبه
يا من أحسن ظنى فى رضاه وما * ينفك يهدى قبيحا من تغضبه
ان كان ذنبى الهوى فالقلب منى لا * يصغى لسمع ملام من مؤنبه

فاجبته بهذه الرسالة وهى ظريفة فى معناها يا سيدى الذى اذا رفعت راية ثنائه تلقيتها باليدين واذا قسمت سهام وداده على ذوى اعتقاده كنت صاحب الفريضة والدين دام

يقاؤك لطرفة تبديها وغريبة تردفها بأخرى تليها وعقيلة بيان تجليها ونفس أخذ الحزن بكظمها وكلف الدهر بشت نظمها تؤنسها وتسليها لم أزل أشد على يدائعك يد الضنين وأقتني درر كلامك ونفثات أقلامك اقتناء الدر الثمين والايام بلقائك تعد ولا تسعد وفي هذه الايام انثالت على سماؤك بعد قحط وتواترت لدى آلاؤك على شحط وزارتني من عقائل بيانك كل فاتنة الطرف عاطرة العرف رافلة في حلل البيان والظرف لو ضربت بيوتها بالحجاز لاقرت لها العرب العاربة بالاعجاز ماشئت من رصف المبنى ومطاوعة اللفظ لغرض المعنى وطيب الاسلوب والتشبث بالقلوب غيران سيدى أفرط في التنزل وخلط المخاطبة بالتغزل وراجع الالتفات ورام استدراك ما فات ويرحم الله تعالى شاعر المعرة فلقد أجاد في قوله وأنكر مناجاة الشوق بعد انصرام حوله

أبعد حول تناجي الشوق ناجية * هلا ونحن على عشر من العشر

ولقد تجاوزت في الامد وأنسيت أخبار صاحبك عبد الصمد فاقسم بالفات القدود وهمزات الجفون السود وحامل الارواح مع الالواح بالغدو والرواح لولا بعد مزارك ماأمنت غائلة ما تحت ازارك ثم انى حققت الغرض وبحثت عن المشكل الذى عرض فقلت للخواطر انتقال ولكل مقام مقال وتختلف الحوائج باختلاف الاوقات ثم رفع اللبس خبر الثقات * (ومنها) وتعرفت ماكان من مراجعة سيدى لحرفة التكتيب والتعليم والحنين الى العهد القديم فسررت باستقامة حاله وفضل ماله وان لاحظ اللاحظ ماقال الجاحظ فاعتراض لا يرد وقياس لا يطرد حبذا والله عيش التأديب فلا بالضنك ولا بالجديب معاهدة الاحسان ومشاهدة الصور الحسان يمينا ان المعلمين لسادة المسلمين وانى لانظر منهم كلما خطرت على المكاتب أمراء فوق المراتب من كل مسيطر الدره منقطب الاسره متنمر للوارد تنمر الهره يغدو الى مكتبه كالامير في موكبه حتى اذا استقل في فرشه واستوى على عرشه وترنم بتلاوة قالونه وورشه أظهر للخلق احتقارا وأزرى بالجبال وقارا ورفعت اليه الخصوم ووقف بين يديه الظالم والمظلوم فتقول كسرى في ايوانه والرشيد في أوانه أو الحجاج بين أعوانه فاذا استولى على البدر السرار وتبين لشهر الغرار تحرك الى الخرج تحرك العود الى الفرج استغفر الله مما يشق على سيدى سماعه وتشمئز من ذكره طباعه شيم اللسان خلط الاساءة بالاحسان والغفلة من صفات الانسان فاى عيش كهذا العيش وكيف حال أمير هذا الجيش طاعة معروفه ووجوه اليه مصروفه فان أشار بالانصات لتحقق القصات فكأنما طمس على الافواه ولأم بين الشفاه وان أمر بالافصاح وتلاوة الالواح علا الضجيج والعجيج وحف به كما حف بالبيت الحجيج وكم بين ذلك من رشوة تدس وغمزة لا تحس ووعد يستنجز وحاجة تستعجل وتحفز هنأ الله سيدى ماخوله وأنساه بطيب آخره أوله وقد بعثت بدعابتي هذه مع اجلال قدره والتقيد بصدره فليتلقها بيمينه وبقسح لها في المرتبة بينه وبين خدينه ويفرغ لمراجعتها وقتا من أوقاته عملا بمقتضى دينه وفضل يقينه والسلام ثم قال ومن المداعبة التى وقعت اليها الاشارة ما كتب به صديقه اليه أبو عبد السلام

يتوارثون أخبارهم عن أسلافهم مستفيضا فيها أن الاسكندر بن فيلبش بنى همذان حين انصرف من بلاد خراسان ورجوعه من مطافه من الهند والصين وغيرهما وأن ذلك الاسد جعل طلسما للمدينة وسورها وأن خراب البلد وفناء أهله وهدم سوره والقتل الذريع يكون عند كسر ذلك الاسد وقلعه من موضعه وأن ذلك من وجه الديلم والجبل وكان أهل همذان يمنعون من يجتاز بهم من العساكر والسابلة والمتألفة من أحداثهم أن يقلبوا ذلك الاسد أو يكسروا شيأ منه ولم يكن يقلب لعظمه وصلابة حجره الا بالخلق الكثير من الناس وقد كان عسكر مرداويج الذى سير مع ابن أخته نزلوا على هذا الباب وانبسطوا فى تلك الصحراء قبل الوقعة بينهم وبين أصحاب السلطان فقلب على ماذكر هذا الاسد فكسر فكان من أمر الوقعة ماذكرنا وذلك على طريق الوارد من الديلم فلما سار مرداويج ونزل على هذا الباب ونظر الى مصارع أصحابه وقتل أهل همذان لابن أخته اشتد غضبه لذلك فكانت بينه وبين أهل همذان نورة ثم ولى القوم وقد أسلمهم قبل ذلك أصحاب السلطان

أباعبد الاله نداء خل * وفي طيه عضك النصيحه
الى كم تألف الشبان غيا * وخذلانا أما تخشى الفضيحه

فأجابه بقوله

فديتك صاحب السمة المليحه * ومن طابت أرومته الصريحه
ومن قلبي وضعت له محلا * فما عنه يحول بأن أزيحه
نأيت فدمع عيني في انسكاب * وأكبادي لفرقتكم قريحه
وطرفي لا يتاح له رقاد * وهل نوم لأجفان جريحه
وزاد تشوقي أبيات شعر * أتت منكم بألفاظ فصيحه
ولم تقصد بها جدا ولكن * قصدت بها مداعبة وقيحه
فقلت أتألف الشبان غيا * وخذلانا أما تخشى الفضيحه
ففيهم حرفتي وقوام عيشي * وأحوالي بخلطتهم نجيحه
وأمري فيهم أمر مطاع * وأوجههم مصابيح صبيحه
وتعلم أنني رجل حصور * وتعرف ذاك معرفة صحيحه

ثم قال لسان الدين بعد ايراده ما مر ما صورته ولما اشتهر المشيب بعارضه ولمته وخفر الدهر بعهود صباه وأذمته أقلع واسترجع وتألم لما افرط وتوجع وهو الآن من جلة الخطباء طاهر العرض والثوب خالص من الشوب بادعليه قبول قابل التوب وتوفي في أخريات صفر سنة خمسين وسبعمائة في الطاعون رحمه الله تعالى وغفر له انتهى * واليتيم المذكور هو أبو عبد الله محمد بن علي العبدري المالقي وفي حقه يقول لسان الدين في التاج ما مثاله هو مجموع أدوات حسان من خط ونغمة لسان اخلاقه روض تتضوع نسماته وبشره صبح تتألق قسماته ولا تخفى سماته يقرطس اغراض الدعابة ويصميها ويفوق سهام الفكاهة الى مراميها فكلما صدرت في عصره قصيدة هازله أو أبيات مخطة عن الاجادة نازله خمس أبياتها وذيلها وصرف معانيها وسيلها وتركها سمر الندمان وأضحوكة الازمان وهو الآن خطيب المسجد الاعلى بمالقة متحل بوقار وسكينه حال من أهلها بمكانة مكينه لسهولة جانبه واتضاح مقاصده في الخير ومذاهبه واشتغل لأول أمره بالتكتيب وبلغ الغاية في التعليم والترتيب والشباب لم يتصل خضابه ولا سلت للشيب عضابه ونفسه بالمحاسن كلفة صبه وشأنه كله هوى ومحبه ولذلك ما خاطبه بعض أوداته وكلاهما رمى أخاه بدائه حسبما يأتي خلال هذا القول وفي أثنائه انتهى وذكر نحو ما تقدم ذكره سامح الله الجميع بفضله * وقال لسان الدين في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الكرسوطي الفاسي نزيل مالقة ما صورته وأنشدني وأنا بمالقة أحاول لوث العامة واستعين بالغير على الاحكام لها

أمعمما قرأت كامل حسنه * أربى على الشمس المنيرة في البها
لا تلتمس عمر لديك زيادة * فالبدر لا يمتار من نور السها انتهى

قال لسان الدين وهو فقيه محدث متكلم ألف كتبا منها الغرر في تكميل الطرر طرر أبي

فدخلوا فاقتتلوا في اليوم الاول في قول المقال من الناس على ما أدركه الاحصاء ممن حمل السلاح في المعركة نحوا من اربعين الفا وأقام السيف يعمل فيها ثلاثة أيام والنار والسبي ثم نادى برفع السيف في اليوم الثالث وأمن بقيتهم ونادى أن تخرج شيوخ البلد ومستوروه اليه فلما سمعوا النداء أملوا الفرج فخرج من وثق بنفسه من الشيوخ وأهل الستر ومن لحق بهم فخرجوا الى المصلى فدخل اليه صاحب عذابه وكان يقال له الشقطيني فسأله عن أمره فيهم فأمره أن يطوف بهم الديلم والجبل بحرابهم وخناجرهم فيؤتى عليهم فطافت بهم الرجال من الديلم فأتى على القوم جميعا ولحقوا بمن مضى منهم وبعث منها بقائد من قواده يعرف بابن علان القزويني وكان يلقب بخواجه وذلك أن أهل خراسان اذا عظموا الشيخ فيهم سموه خواجه في عسكر من عساكره الى مدينة الدينور ومن همذان اليها ثلاثة أيام فدخلها بالسيف وقتل من أهلها في اليوم الاول سبعة عشر ألفا في قول المقلل والمكثر يقول خمسة وعشرين ألفا فخرج اليه رجل من مشهوري أهل الدينور موصوفين بالزهادة يقال له عشاد

ابراهيم

براهيم الاعرج ثم كتاب الدرر في اختصار الطرر المذكور وتقييد ان على الرسالة كبير وصغير ولخص التهذيب لابن بشير وحذف أسانيد المصنفات الثلاثة والتزم اسقاط التكرار واستدرك الصحاح الواقعة في الترمذي على البخاري ومسلم وقيد على مختصر الطليطلي وشرع في تقييد على قواعد الامام أبي الفضل عياض بن موسى برسم ولدي يصدر منه الشعر مصدر الاتكيف منه العناية وكانت له اليد الطولى في عبارة الرؤيا مولده بفاس عام تسعين وستمائة انتهى ملخصا *وقال في ترجمة أبي عمرو بن الزبير ما صورته ومما خاطبني به منتدبا لي من العدوة في غرض الرسالة قوله

نوالي الشكر للرحمن فرضا * على نعم كست طولا وعرضا
وكم لله من لطف خفي * لنا منه الذي قد شاء وأمضى
بمقدمك السعيد أتى سعود * تنال بها نعيم الدهر محضا
فيا بشرى لاندلس بما قد * به والاك بارينا وأرضى
وبالله من سفر سعيد * قد اقرضك المهيمن فيه قرضا
وروحت بنية أخلصت فيها * فأبت بكل ما يبغي ويرضى
وثبت لنصرة الاسلام لما * اليك علمت أن الامر أفضى
لقد أحييت بالتقوى رسوما * كما أرضيت بالتمهيد أرضا
وقت بسنة المختار فينا * تمهد سنة وتقيم فرضا
وروضت من العلوم الصعب حتى * جنيت ثمارها رطبا وغضا
فرأيك راجح فيما تراه * وعزمك من مواضي الهند أمضى
تدبر أمر مولانا فيلقى الشمس لديك اشفاقا وأغضى
فأعقبنا شفاء وانبساطا * وقد كانت قلوب الناس مرضى
ومن أضحى على ظما وأمسى * يردان شاء من نعماك حوضا
أبا عبد الاله اليك أشكو * زماني حين زاد الفقر عضا
ومن نعماك أستجدي لباسا * تفيض به على الجاه فيضا
بقيت مؤملا ترجى وتخشى * ومثلك من اذا ما جاد أرضى انتهى

وأبو عمرو المذكور هو محمد بن أحمد بن ابراهيم بن الزبير أبوه الاستاذ أبو جعفر بن الزبير أستاذ الزمان شيخ أبي حيان وغيره وقال في الاحاطة في حقه انه فكه حسن الحديث ركض طرف الشبيبة في ميدان الراحة متكئا على سن أبيه وقومه مع شفوف ادراك وجودة حفظ كان مطمعا ان والده في نجابته فلم يعدم قادحا شرف فنال حظوة وجرت عليه خطوب ثم عاد الى الاندلس فتطور بها وهو الآن قد نال منه الكبر جي لوقته بما لقه منه للارتق من بعض الخدم المخزونية استجازله والده العلم والرمن أهل المغرب والمشرق وبضاعته في الشعر مزجاة ثم قال مات تاسع المحرم عام خمسة وستين وسبعمائة انتهى *وقال في ترجمة أبي يحيى محمد بن أحمد بن محمد بن الاكحل ما صورته شيخ هدوري الذقن خدوع الظاهر خلوب اللفظ شديد الهوى الى الصوفية والكلف باطراء أهل الخير من بيت صون وحشمة متقدم في

الله وارفع السيف عن هؤلاء المسلمين فبلا ذنب لهم ولا جناية يستحقون ما قد نزل بهم فقام بأخذ المصحف من يده فضرب به وجهه ثم أمر به فذبح وسبي وأباح الاموال والدماء والفروج وبلغت عساكر مرداويج وجنوده الى الموضع المعروف بالسحوس وهو فرز بين الجبل واعمال حلوان مما يلي العراق وذلك من بلاد طرز والطامير ومرج القلعة قتلا وسبيا وغنم الاموال ثم ولت جيوشه راجعة وقد غنمت الاموال وقتلت الرجال وملكت الاولاد وأخذوا الغلمان وتملكوهم وسبوا من بلاد الدينور وقد ساسين والرندة الى حيث ما بلغوا مما وصفنا من البلاد مما أدركه الاحصاء من الجواري العتق العواتق والغلمان في قول المقلل خمسين ألفا وفي قول المكثر مائة ألف فلما تم لمرداويج ما وصفنا وحملت اليه الاموال والغنائم بعث بها الى اصبهان بجماعة من قواده في قطعة من عساكره فلكوها وأقيمت لهم

الانزال والعلوفات وعمرت لهم قصور أحمد بن أبي دلف العجلي وهي مشتملة البساتين والرياض وزرع

معرفة الامور العلمية خائض في غمار التصوف وانتحال كيمياء السعادة راكب متن
دعوى عريضة في مقام التوحيد تكذبها أحواله الراهنة لمعاصاة خلقه على الرياضة
واستيلاء الشره وغلبة سلطان الشهوة والمشاحة أيام الولاية والسباب الشاهد بالشدة
والحلف المتصل بياض اليوم في ثمن الخردلة باليمين التي فيها افساد الانكحة والغضب
الذي يقلب العين خاطبني بين يدي نكبته ولما كن أظن الشعر مما تلوكه بجفلته ولكنه
من أهل الكفاية

رجوتك يا عبد الله يا خير منجد * وأكرم مأمول وأعظم مرفد
وأفضل من أملت للحادث الذي * فقدت به صبري وما ملكت يدي
وحاشا وكلا أن يخيب مؤملي * وقد علقت بابن الخطيب محمد
وما أنا إلا عبد نعمته التي * عهدت بها يمني وانجاح مقصدي
وأشرف من حض الملوك على التقى * وأبدى لهم رشدا نصيحة مرشد
وساس الرعايا الآن خير سياسة * مباركة في كل غيب ومشهد
وأعرض عن دنياه زهدا وانها * لمظهرة طوعا له عن تودد
وما هو إلا الليث والغيث ان أتى * له خائف أو جاء مغناه مجتدي
وبحر علوم دره كلماته * اذا رددت في الحفل أي تردد
صقيل مرائي الفكر رب لطائف * محاسنها تجلى بحسن تعبد
بديع عروج النفس للملا الذي * تجلت له الاسرار في كل مصعد
شفيق رفيق دائم الحلم راحم * ورأي جميل للجميل معود
صفوح عن الجاني على حين قدرة * مواصل تقوى الله في اليوم والغد
أيا سيدي يا عمدتي عند شدتي * ويا مشربي مهما ظمئت وموردي
حنانيك والطف بي وكن لي راحما * ورفقا على شيخ ضعيف منكد
رجاك رجاء للذي أنت أهله * ووافاك يهدي للثناء المجدد
وأملك مضطر الرجاء شاكيا * بحال كحر الشمس حال توقد
وعندي افتقار لا يزال مواصلا * لأكرم مولى حاز أجرا وسيد
ترفق بأولاد صغار بكاؤهم * يزيد لوقع الحادث المتزيد
وليس لهم إلا اليك تطلع * اذا مسهم ضر أليم التعهد
أنلهم أيا مولاي نظرة مشفق * وجد بالرضا وانظر لشمل مبدد
وعامل أخا الكرب الشديد برحمة * وأسعف بغفران الذنوب وأسعد
ولا تنظرن إلا لفضلك لا إلى * جريمة شيخ عن محلك مبعد
وان كنت قد أذنبت اني تائب * فعود لي الفعل الجميل وجدد
بقيت بخير لا يزال وعزة * وعيش هني كيف شئت وأسعد
ويشكرك الرحمن للعبد انه * لمثن وداع للعلى المجدد

ثم قال وهو الآن من مسطري الاعمال على تهور واقتحام كبره من خطل انتهاية وراءه في

له فيها أنواع الرياحين على حسب ما كان في آل عبد العزيز بن فسار مرداويج الى اصبهان فنزلها وهو في نحو
من خمسين ألفا وقيل
أربعين سوى ماله بالري
وقم وهمذان وسائر أعماله
من العساكر وقد كان
أنفذ جماعة من قواده
وعساكره مع أبي الحسن
محمد بن وهبان الصنعاني
وهو الذي استأمن بعد
ذلك الى السلطان ثم قصد
الى محمد بن رائق وهو
بالرقة من بلاد ديار مضر
قبل دخول الشام
ومحاربته الاخشيد محمد
ابن طغج فاحتال عليه
رافع القرمطي وكان من
قواد ابن رائق حتى فرق
بينه وبين عسكره وغرقه
في الفرات وذلك نحو
رحبة مالك بن طوق وقد
أتينا على خبره وما كان
من الحيلة في أمر مودة
بقائه في الماء مقيدا الى أن
خرج ثم قتل بعد ذلك في
الكتاب الاوسط في
أخبار محمد بن رائق وسار
ابن وهبان فيمن معه من
العساكر الى أوسع كور
الاهواز وذلك على طريق
مناذر والعسكر ونوح
واحتوى على هذه البلاد
وجبى أموالها وحمل ذلك
الى مرداويج فتكبر
ر... وشه وأمواله
وعشرين ألفا بسرير من الذهب مرصع له بالجوهر وعملت له بدلة وتاج من الذهب وجمع

الركاكة

الركاكة كما قال المعرى

تمشت فوقه حمر المنايا * ولكن بعد ما مسخت نعالا

وقال فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن على بن عياش بن مشرف الامى انه من أهل الاصالة والحسب ظهرت منه على حداثة السن أبيات ونسب اليه شعر توسل به وتصرف فى الاشراف فحمدت سيرته وكتب الى بقوله

سفرت شموس اليمن والاقبال * وبدت بدور السعد ذات كمال
لقدوم سيدنا الوزير محمد * أعزز به من سيد مفضال
قمر تجلى بين زهر تجتلى * يهدى لفعل الخير لا الاضلال
سر آمنا لا تنكرت فلا انت فى * حفظ الاله الواحد المتعالى
براو بحر الانتحاف ملمة * وعدو ذاتك خلف ظهرك صالى
لا يستقر له قرار بعدكم * مما يحل به من الاوجال
والآن ترجع سالما ومبشرا * ببلوغ كل مسرة ومنال

وهى طويلة نظمها تخلف عن الاجادة وهى من مثله مما يستظرف انتهى * وقال فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن محمد العراقى الوادى آشى فاضل الابوة بادى الاستقامة حسن الاخلاق تولى أعمالا كتب الى وقد أبى عملا عرض عليه بقوله

أأصمت ألقائم أنطق بالخلف * وأقعد القائم آنس بالحلف
وأمسك دهرى ثم أفطر علقما * ويمحق بدرى ثم ألحق بالخسف
وعز كم لا كنت بالذل عاملا * ولو أن ضعفى ينتهى بى الى الحتف
فان تعملونى فى تصرف عزة * وعدل والا فاحسموا علة الصرف
بقيت وسحب العفو منكم تظلنى * وحظ شنانى دائما ثانى العطف انتهى

وقال فى ترجمة أبى محمد عبد الله بن ابراهيم الازدى ماصورته وخاطبنى لما وليت خطة الانشاء وغيرها فى أواخر عام تسعة وأربعين وسبعمائة بما نصه

حشاشة نفس أعلنت لمذيبها * بتذكار أيام الوصال وطيبها
ونادته رجى أختها نفس مدنف * تموت اذا لم تحيها بوجيبها
فداو بقرب منك لاعج وجدها * وفيض أماقيها وطول نحيبها
وقد بلغت حدا به صح فى الهوى * وأحكامه ثوب الضنى فى نصيبها
وهل يتداوى داء نفس تعيسة * اذا كان يوما داؤها من طبيبها
لعل أوار الوجد تخمد ناره * فيبرد عنها ما بها من لهيبها
اليك حداها الشوق يا بدرها الذى * يعز عليها منه طول مغيبها
سلكت بها سبل الهوى فهى تبتغى * لقاءك وتبغى غفلة من رقيبها
أجبها بابقاء عليها فانها * ستفنى اذا ما لم تكن بمجيبها
ومل نحوها بالود فهى قد اذعنت * كما اذعن الاقلام لابن خطيبها
وحيد الزمان الماهر الباهر الحلى * وجهبذ آداب العلا وأديبها

له وصلت فاحصا رمها باتج أنوشروان بن قباذ (وكان) نمى اليه من كتابه ومن أطاف به من أتباعه من دهاة العالم وشياطينه أن الكوا كب ترى شعاعاتها الى بلاد أصبهان فيظهر بها دابة وينصب بها سرير ملك ويجبى له كنوز الارض وأن الملك الذى يليها يكون مصغر الرجلين ويكون من صفته كيت وكيت وأن مدة عمره فى الملك كذا وكذا ثم يتلوه من بعده فى هذه المملكة أربعون ملكا وقربوا له الزمان فى ذلك وحددوه وتقربوا اليه بأشياء من هذه المعانى مما مال اليه هواه واستدعاه منهم واستهواه وأنه المصغر الرجلين الذى يتملك الارض وكان معه من الاتراك نحو أربعة آلاف عليك دون من فى عسكره من الاتراك مع ما عنده من الامراء والاتراك وكان سيئ العهد فلم كثير القتل فيهم فعملوا على قتله وتحالفوا وقد كان على المسير الى مدينة السلام والقبض على الملك وتولية أصحابه مدن الاسلام باسرها فى شرق البلاد وغربها ما فى يد ولد العباس وغيرهم فاقطع الدور ويفسد أهلها ولم يشك أن الامر فى يده وأن الملك له فخرج ذات يوم

امام معاليها وبحر علومها * وبدر دياجيها وصدر شعوبها
مصرفها كيف انثنت ومعيدها * ومبديها حيث انتهت ومصيبها
ورافع أعلام البلاغة والذى * أتى ناثرا أوناظما بعجيبها
وحامل رايات الرياسة رفعة * قضى المجد تخصيصا له بوجوبها
من الغر من أوجبت لشبابها * معاليهم الفضل العظيم وشيبها
من ابناء أرباب الزمان الالى بها * سما فخرهم بين الورى بركوبها
خلال ابن عبد الله طود الحجا أبى * محمد باحسنها من ضروبها
أجاد وأجدى فاسأل عن ذكر طيبها * وحاتمها زهوا به وحبيبها
ففى كل ما يبدى محمد عبرة * محاسنها تنبى بسر غيوبها
تجيب القوافى ان دعا بيعيدها * وتنقاد طوعا ان دعا بقريبها
تخير أخلاق الكرام فلم يكن * نهى ولها يرضى بغير رحيبها
تقدم فى دار الخلافة حاجبا * ليحجبها فى سلمها وحروبها
وقام لها فى ساحة العز كاتبا * يحضرها أسرارها ومغيبها
فابدى من انواع الفضائل أوجها * تقر لها بالحسن عين لبيبها
هنيأ بها يمينا باسعد مائل * لغرناطة قاض بصرف خطوبها
فلله قد تأثير يجيء اذا جرى * به قدر كالريح عند هبوبها
امو قد بار الفكر يقدح زندها * فيسبى به الالباب سحر نسيبها
حدانى اليك الحب قدما ومالى * حديث لآمال خلت عن غريبها
فقدمتها ظما قوافى قصرت * لديك بذاوى فكرتى ورطيبها
وكنت كن وافى لدى الدر بالحصى * برقم منها ساهيا عن عيوبها
فصلها وخذ بالعفو فيها فلم أصل * لابلغ منها فاغتفر من ذنوبها انتهى

وصاحب هذا النظم من اهل باش وله اقتدار على النظم والنثر قال فى الاحاطة ما محصله ومما وقع له أثناء مقامات وأغراض تشهد باقتداره مهملا

رعى الله عهدا حوى ما حوى * لاهل الوداد وأهل الهوى
أراهم أمورا حلا وردها * وأعطاهم السؤل كلا سوى
ولما حلا الوصل صال الاله * وراموه مأوى وماء روى
وأوردهم سر أسرارهم * ورد الى كل داء دوا
وما أمل طال الاوهى * وما أمل صال الا هوى

وقال معجمة

بث بينى يبثنى فيض جفنى * شغفى شفنى فشتت بينى
فتنتى بغنج ظبى تجنى * تبتغى نقض نيتى بتجنى
بزة زينت قضيب تثنى * قضبت بغيتى ففزت بظن
خفت تشتيت بنيتى بجفنى * تقية تثنى تغيب ظنى

الى الصيد وهو فرح أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف العجلى باصبهان فدخل اليه غلام من وجوه الاتراك وهو بجكم وكان من خواص الغلمان ومعه ثلاثة نفر من وجوه الاتراك أرى أحدهم تورون مدبر الدولة بعد بجكم فقتلوه فخرج بجكم ومن معه وقد كان أعلم الاتراك بذلك فكانوا له متاهبين فركبوا من فورهم وذلك فى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة فى خلافة الراضى وتفرق الجيش عند وقوع الضجة ونهب بعض الناس بعضا وأخذت الخزائن وانتهبت الاموال ثم ان الجبل والديلم ثابوا واجتمعوا وتشاوروا وقالوا ان بقينا على ما نحن عليه من التحزب بغير رئيس نتقاد اليه هلكنا فاجتمع أمرهم على مبايعة وشمكير أخى مرداويج وتفسير مرداويج معلق الرجال وقد يكتب مرادويج بالزاى فبايعوا وشمكير بعد أن تفرق كثير من الجيش ففرق فيهم كثيرا مما بقى من الاموال وأحسن اليهم وتوجه فيمن معه من العساكر الى الرى فنزلها وسار بجكم التركى فيمن معه من الاتراك وقد جمعوا أنفسهم الى أن يخلصوا من الديلم وسار الى بلاد

وقال

وقال كلة وكلة

الهوى شفني وأهمل جفني * أدمعا تنثني دما بتثني
أحور شب حر بئي لما * نقض العهد بين طول تجني
حاكم يتقي ولاذنب الا * شغف لم يخب لسعاه ظني
ماله ينقض العهود فيشجى * ولها ينثني مسهد جفن
لم يجز وصله فبت محالا * يقتضي حل بغيتي كل فن

وقال يرثي ديكا فقده ويصف الوجد الذي وجده ويبكي عدم اداته الى غير ذلك من مستظرف شانه

أودى به الحتف لما جاءه الاجل * ديكا فلاعوض منه ولابدل
قد كان لي امل في ان يعيش فلم * يثبت مع الحتف في بقياه لي أمل
فقدته فلعمري انه لعظة * وبالمواعظ تذرى دمعها المقل
ما كان ابدع مرآه ومنظره * وصفابه كل حين يضرب المثل
كأن مطرف وشي فوق ملبسه * عليه من كل حسن باهر حلل
كأن اكليل كسرى فوق مفرقه * وتاجه فهو عالي الشكل محتفل
موقت لم يكن يعزى له خطا * فيما رتب من ورد ولاخلل
كأن زرقال فيما علمه * علم المواقيت عما رتب الاول
يرحل الليل يحيي بالصراخ فما * يصده كسل عنه ولامال
رأيته تدوهت منه القوى فهوى * للارض فعلا ربه الشارب الثمل
لو يفتدى بدولك الارض قل له * ذاك الفداء ولكن فاجأ الاجل
قالوا الدواء فلم يغن الدواء ولم * ينفعه من ذاك ماقالوا وما فعلوا
أملت فيه ثوابا أجر محتسب * ان نلت ذلك صح القول والعمل انتهى

وأمره السلطان أبو عبد الله سادس الملوك النصريين وقد نظر الى شلير وقد تردى بالثلج وتعمم وتكلل ما أراد من برنه وتمم أن ينظم في وصفه فقال بديها

وشيخ جليل القدر قدمال عمره * ومامنده علم بطول ولاقصر
عليه لباس أبيض باهر السنى * وليس شوب أحكمته يد البشر
فطورا تراه كله كاسيابه * وكونه فيها لاهل النهى عبر
وطورا تراه عاريا ليس يكتسي * بحر ولابرد من الشمس والقمر
وكم مرت الايام وهو كما ترى * على حاله لم يشك ضعفا ولاكبر
وذاك شلير شيخ غرناطة التي * لبهجتها في الارض ذكر قد اشتهر
بها ملك سامي المراقي أطاعه * كبار ملوك الارض في حالة الصغر
تولاه رب العرش منه بعصمة * تقيه مدى الايام من كل ماضرر

وتوفي المذكور في بلده باش في طاعون عام خمسين وسبعمائة انتهى * وقال في الاحاطة في ترجمة صاحب القلم الاعلى بالمغرب أبي القاسم بن رضوان النجاري ما صورته ولما ولي الانشاء بباب ملك المغرب ظهر لسلطاننا بعض قصور في المراجعات فكتبت اليه

السلام فراسل الراضي وكان الغالب على أمر الساحة وعدة من الغلمان الحجرية فابوا أن يتركوه يصل الى الحضرة خوفا أن يغلب على الدولة فمضى بجكم لما منع من الحضرة الى واسط الى محمد بن رائق وكان مقيما بها فادناه وحباه وغلب عليه وقوى أمر بجكم واصطنع الرجال وضعف أمر ابن رائق عنه فكان من أمره ما قد اشتهر وقد قدمنا ذكره فيما سلف من كتبنا من اختفائه وخروج بجكم مع الراضي الى الموصل ومعهم علي بن خلف بن طباب الى ديار بني حمدان من بلاد الموصل وديار بيعة وظهور محمد ابن رائق ببغداد ومعاونة الغوغاء له ومسيره الى دار السلطان وقتله لابن بدر الشرابي وخروجه من الحضرة ومن تبعه من الجبل والقرامطة مثل راشح وعمارة وغيرهما وكانوا أنصاره ومسيره الى ديار مضر ونزوله الرقة وما كان بينه وبين غيره ودخول يانس المؤنسي وجلسته ومسيره الى جند قنسرين والعواصم واخراجه طريفا الشكري عنها وتوليه الثغر الشامي (وقد أتينا) في الكتاب الاوسط الذي كتابنا هذا تال له والاوسط لكتابنا أخبار الزمان ومن

أباقاسم لازلت للفضل قاسما * بميزان عدل ينصر الحق من نصر
مدادك وهو المسك طيبا ومنظرا * والاسواد القلب والغودوالبصر
عهدناه في كل المعارف مطنبا * فما باله في حرمة الود مختصر
أطلك من ليل الوصال انتجبته * الينا وذاك الليل يوصف بالقصر
أردنا لك العذر الذى أنت أهله * ومثلك لايرمى بعى ولاحصر

فراجعنى ولا أدرى أهى من نظمه أم نظم غيره

حقيق أباعبد الاله بك الذى * لمذهبه فى البر يتضح الاثر
وان الذى نبهت منى لم يكن * نوما وحاشى الود أن أغمط الاثر
ورب اختصار لم يشن نظم ناظم * ورب اقتصار لم يعب نثر من نثر
وعذرك عنى من محاسنك التى * نظام حلاها فى المدائح ما انتثر
ومن عرف الوصف المناسب منصفا * تاتى له نهج من العذر مادثر

وهو عبد الله بن يوسف بن رضوان النجارى من أهل مالقة صاحب العلامة العلية والقلم الاعلى بالمغرب قرأ على جماعة منهم بتونس قاضى الجماعة ابن عبد السلام قال فى التاج فيه أيام لم يفهق حوضه ولا أزهر روضه ماتصه أديب أحسن ماشاء ومنع قليبه فلا الدلو وبل الرشاء وعانى على حداثته الشعر والانشاء وله ببلده بيت معمور بفضل وأمانة ومجد وديانة ونشأ هذا الفاضل على أتم العفاف والصون فمال الى فساد بعد الكون وله خط بارع وفهم الى الغوامض مسارع وقد أثبت من كلامه ونفثات أقلامه كل محكم العقود زاربابنة العنقود فن ذلك قوله

لعلكما ان ترعيالى مسائلا * فبالله عوجا بالركاب وسائلا
(ومنها) لقد خار دهرى اذ نأى بعطالى * وظل بما أبغى من القرب ماطلا
عتبت عليه فاغتدى لى عاتبا * وقال أصخ لى لاتكن قط عاذلا
أتعتبنى أن قد أفدتك موقفا * لدى أعظم الاملاك حلما ونائلا
مليك حباه الله بالخلق الرضا * وأعلى له فى المكرمات المنازلا

وهى طويلة ومن نظم ابن رضوان المذكور

تبرأت من حولى الى الله واثقا * برحماك آمالى أصح يقين
فلا أرهب الايام اذ كنت ملجأ * وحسبى يقينى باليقين يقينى

وكلفه أبو عنان وصف صيد من غدير فقال من أبيات

ورب يوم فى جمالك شهدته * والسرح ناشرة عليك ظلالها
حيث الغدير يريك من صفحاته * درعا تجيد به الرياح صقالها
والمنشآت به تدير حبائلا * للصيد فى حبل تدير حبالها
وتريك اذ يلقى بها اليم الذى * أخفت جوانحه وغاب خلالها
فحسبتها زردا وأن عواليا * تركت به عند الطعان نصالها

وقال فيه أيضا

محمد بن طغج بالعريش من بلاد مصر وانكشافه ورجوعه الى دمشق وما كان من قتله لاخيه الاخشيد محمد بن طغج باللجون من بلاد الاردن وما كان قبل وقعة العريش بينهم وبين عبد الله بن طغج ومن كان معه من القواد وانكشافهم عنه واستئمان من استأمن منهم اليه مثل محمد بن بكسين الخاصة وبكير الخاقانى غلام خاقان المفلحى وغيرهما وغير ذلك من أخباره وأخبار غيره وذكرنا مقتل ظريف اليشكرى فى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة على باب طرسوس وما كان من وقيعته مع التميلية وهم غلمان نميل الخادم فاغنى ذلك عن اعادته مبسوطا فى هذا الكتاب وانما تغلغل بنا الكلام فى التصنيف فيما ذكرنا من أخبار الديلم والجيل وما كان من أمر اسفار بن شيرويه ومرداويج عند ذكرنا لآل أبى طالب وأمر الداعى الحسن بن القاسم الحسنى صاحب طبرستان ومقتله وخبر الاطروش الحسن ابن على بن الحسن (قال المسعودى) وقد أتينا على

ذكر سائر الاحداث والكوائن فى أيام من ذكرنا من الخلفاء والملوك فى كتابنا أخبار الزمان

أبصرت في يوم الغدير عجائبا * جاءت بآيات العجائب مبصره
سمكا لدى شبك فقل ليل بدت * فيه الزواهر للنواظر نيره
فكأن ذا زرد تضاعف نسجه * وكأن تلك أسنة متكسره

وعما نظمه عن أمر الخلافة المستعينية ليكتب في طرة قبة رياض الغزلان من حضرته

هذا محل المنى بالامن مغمور * من حله فهو بالآمال مجبور
مأوى النعيم به ماشئت من ترف * تهوى محاسنه الولدان والحور
ويطلع الروض منه مصنعا عجبا * يضاحك النور من لألائه النور
ويسطع الزهر من أرجائه أرجا * ينافح الند نشر منه منشور
مغنى السرور سقاه الله ما حملت * غر الغمام وحلته الازاهير
انظر الى الروض تنظر كل معجبة * مما ارتضاه لرأى العين تحبير
مر النسيم به يبغى القرى فقرى * دراهم النور تبديد وتنثير
وهامت الشمس في حسن الظلال به * ففرقت فوقها منه دنانير
والدوح ناعمة تهتز من طرب * همسا وصوت غناء الطير مجهور
كانما الطير في أفنانها صدحت * بشكر مالكها والفضل مشكور
والنهر شق بساط الروض تحسبه * سيفا ولكنه في السلم مشهور
ينساب للجنة الخضراء أزرقه * كالايم جدا نسياب وهو مذعور
هذى مصانع مولانا التي جمعت * شمل السرور وأمر السعد مأمور
وهذه القبة الغراء ما نظرت * لشكلها العين الا عز تنظير
ولا يصورها في الفهم ذو فكر * الا ومنه لكل الحسن تصوير
ولا يرام بحصر وصف ما جمعت * من المحاسن الا صد تقصير
فيها المقاصير تحميها مهابته * لله ما جمعت تلك المقاصير
كانها الافق تبدو النيرات به * ويستقيم بها في السعد تسيير
وينشا المزن في ارجائه وله * من عنبر الشحر انشاء وتسخير
وينهمي القطر منه وهو منسكب * ماء من الورد يذكو منه تقطير
وتخفق الريح منه وهي ناسمة * مما أهب به مسك وكافور
ويشرق الصبح منه وهو من غرر * غر تلألأ منهن الاسارير
وتطلع الشمس فيه من بني ملك * تبسم الدهر منه وهو مسرور
لله منه امام عادل بهرت * أوصافه فهي للامداح تحبير
غيث السماح وليث الباس فالق به * محيي المدى وهو للعادين تدمير
قل للمبارى وان لم تلقه أبدا * ورب فرض محال وهو تقدير
فخر الانام أحل الفخر منزله * فكل مدح على علياه مقصور
اذا أبو سالم مولى الملوك بدا * بدر تضيء بمرآه الدياجير
فأي خطب يخاف الدهر آمله * وأي سؤل له في النيل تعذير

الاوسط وذكرنا في هذا الكتاب ما يكتفي به الناظر فيه وانتهى التصنيف فيه الى هذا الوقت وهو جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ونحن بفسطاط مصر والغالب على أمر الدولة والحضرة أبو الحسن أحمد ابن بويه الديلمي المسمى معز الدولة وأخوه الحسن ابن بويه صاحب بلاد أصبهان وكور الاهواز وغيرها المسمى ركن الدولة وأخوهما الاكبر والرئيس المعظم علي بن بويه الملقب بعميد الدولة المقيم بارض فارس والمدبر منهم لامر المطيع أحمد بن بويه معز الدولة وهو المحارب للبريديين بارض البصرة والمطيع معه على حسب ما ينمو الينا من أخبارهم ودللنا في كتابنا هذا بالقليل على الكثير وبالجزء القليل على الجليل الخطير وذكرنا في كل كتاب من هذه الكتب ما لم نذكره في الآخر الا ما لا يسع تركه ولم نجد بدا من ايراده لما دعت الحاجة الى وصفه وأتينا على أخبار أهل كل عصر وما حدث فيه من الاحداث وما كان فيه من الكوائن الى وقتنا هذا مع ما أسلفنا في هذا الكتاب من ذكر البر والبحر والعامر منهما والغامر والملوك وسيرها والامم وأخبارها وارجو أن يفسح الله تعالى لنا في البقاء ويمدنا بالعمر ويسعدنا بطول الايام فنعقب تاليف هذا

بشراك بشراك ياتجل الخلافة ما * خولت من نيلها والصدّ مقهور

لك الخلود بعز الملك في نعم * لا يعتري صفوها في الدهر تكدير

فانعم هنيئاً بلذات مواصلة * لا تأتلي بين المنام وتكرير

لا زلت تلقى المنى في غبطة أبدا * مادام لله تهليل وتكبير

وقال وكتب به على قلم فضة

اذا شهدت بالنصر خطية القنا * فلا كت أمر الفتح من غير ما شرط

كفى شاهداً مني بفضلك ناطقا * لساني مهما أفصحت ألسن الخطي

وقال وكتب به على سكين

أروح بأمر المنتعين وأغتدي * لاذهاب طغيان اليراع الرواقم

ويفعل في الاقلام حدي مصلحا * كفعل ظبا أسيافه في الاقالم

قال ومما كتب به على قصيدة عيدية

لما رأيت هدايا العيد أعظمها * هدية الطيب في حسن وتعجيب

ولم أجد في ضروب العاطرات شذى * يحكي ثناءك في نشر وفي طيب

أهديت نحوك منه كل ذي أرج * أنفاسه بين تشريق وتغريب

وفي القبول مثال السعد فالق به * تلق الاماني بتاهيل وترحيب

وقال في رجل يلقب بالبعير

وذي لقب عنت له عند صحبه * مآرب لم يسعد عليهن مسعد

دعوه بعيرا فاستشاط فقال مه * أبا أحمد وا وتدعنهم يهدهد

فقلت له عد نحوهم لتعود من * مرامك بالمطلوب توفي وتحمد

فقال وقد غص الفضاء بصوته * وقد هدرت منه الشقاشق تزبد

لئن عدت نادوني بعيرا كمثلها * فقلت له لا تمش والعود أحمد

وقال

وبخيل لما دعوه لسكنى * منزل بالجنان ضن بذلك

قال لي مخزن بداري فيه * كل مالي فلست للدار تارك

قلت وفقت للصواب فحاذر * قول خل مرغب في انتقالك

لا تعرج على الجنان بسكنى * ولتكن ساكنا بمخزن مالك

وقال رحمه الله تعالى في مركب

يارب منشاة عجبت لشانها * وقد احتوت في البحر أعجب شان

سكنت بجنبيها عصابة شدة * حلت محل الروح في الجثمان

فتحركت بارادة مع أنها * في جنسها ليست من الحيوان

وجرت كما قد شاءه سكانها * فعلمت أن السر في السكان

وقال رحمه الله تعالى

وذي خدع دعوه لاشتغال * وما عرفوه غثا من سمين

فاظهر زهده وغنى عال * وجيش الحرص منه في كمين

الكتاب بكتاب آخر تضمنه فنونا من الاخبار وأنواعا من طرائف الآثار على غير نظم من التاليف ولا ترتيب من التصنيف على حسب ما يسنح من فوائد الاخبار ونترجمه بكتاب وصل المجالس بجوامع الاخبار ومخالط الآثار تاليا لما سلف من كتبنا ولاحقا بما تقدم من تصنيفنا وجميع ما أوردناه في هذا الكتاب لا يسع ذوي الدراية جهله ولا يعذر في تركه والتغافل عنه فمن عد أبواب كتابي هذا ولم يمعن النظر في قراءة كل باب منه لم يبلغ حقيقة ما قلنا ولا عرف للعلم مقداره ولقد جمعنا فيه في عدة السنين باجتهاد وتعب عظيم وجولان في الاسفار وطواف في البلدان من الشرق والغرب وكثير من الممالك غير مملكة الاسلام فمن قرأ كتابنا هذا فليتدبره بعين المحبة وليتفضل هو باصلاح ما أنكر منه مما غيره الناسخ وصحفه الكاتب وليرع لي نسبة العلم وحرمة الادب وموجبات الرواية عما تجشمت من التعب فيها فان منزلتي فيه وفي نظمه وتاليفه بمنزلة من وجد جوهرا منثورا ذا أنواع مختلفة وفنون متباينة فنظم منها سلكا واتخذ عقدا نفيسا ثمينا باقيا لطالبه وليعلم من تظرفيه أني لم أتصرف فيه لمذهب ولا تحيزت الى قول ولا حكيت عن الناس الا محاسن أخبارهم ولم أعرض واقسم

وأقسم لا فعلت يمين خب * فيا عجبا لحلاف مهين
يقر بيسره ويمين حنث * ليأكل باليسار وباليمين

وهو الآن بحالة الموصوفة انتهى * وقال لسان الدين رحمه الله تعالى خاطبني أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الملك مستدعيا الى اعذار ولده بقوله

أريد من سيدي الاعلى تكلفه * الى الوصول الى داري صباح غد
يزيدني شرفا منه ويصرلي * صناعة القاطع الحجام في ولدي

فاجبته

ياسيدي الاوحد الاسمى ومعتمدي * وذا الوسيلة من أهلي ومن بلدي
دعوتني في يوم الاثنين الصباح ضحى * وفيه ما ليس في سبت ولا أحد
يوم السلام على المولى وخدمته * فاصفح وان عثرت رجلي فخذ بيدي
والعذر أوضح من نار على علم * فمذ ان غبت عن لوم وعن فند
بقيت في ظل عيش لا نفاد له * مصاحبا غير محصور الى أمد انتهى

وأبو بكر المذكور أصله من باغة ونشأ بلوشة وهو محسوب من الغرناطيين * وفي التاج في حقه ماصورته مادح هاجي مداهن مداجي أخبث من نظر من طرف خفي وأغدر من تلبس بشعار وفي الى مكيدة مبثوثة الحبائل واغراء يقطع بين الشعوب والقبائل من شيوخ طريقة العمل المتقلبين من أحوالها بين الصحو والثمل المتعللين برسومها حين اختلاط المرعي بالهمل وهو ناظم أرجاز ومستعمل حقيقة ومجاز نظم مختصر السيرة في الالفاظ اليسيرة ونظم رجزا في الزجر والفال نبه به تلك الطريقة بعد الاغفال انتهى قال ومن شعره

ان الولاية رفعة لكنها * أبدا اذا حققتها تتنقل
فانظر فضائل من مضى من أهلها * تجد الفضائل كلها لا تعزل

توفي بالطاعون بغرناطة عام خمسين وسبعمائة انتهى * وقال في ترجمة أبي سلطان عبد العزيز بن علي الغرناطي بن يشت ماصورته ومما خاطبني به قوله

أطلت عتب زمان فل من أملي * وسمته الذم في حل ومرتحل
عاتبته ليلين العتب جانبه * فما تراجع عن مطل ولا بخل
فعدت أمنحه العتبى ليشفق لي * فقال لي ان سمعي عنك في شغل
فالعتب عندي كالعتبى فلست أرى * أصغي لمدحك اذ لم أصغ للعذل
فقلت للنفس كفي عن معاتبة * لا تنقضي وجواب صيغ من وجل
من يعتلق في الدنا بابن الخطيب فقد * سما عن الذل واستولى على الجذل
قالت فن لي بتقريبي لخدمته * فقد أجاب قريبا من جوابك لي
فقال للناس كفوا عن معاداتي * فليس ينفعكم حولي ولا حيلي
قد اشتغلت عن الدنيا بآخرتي * وكان ما كان من أيامي الاول
وقد وعيت بما أهملت من مثل * فكيف يختلط المرعى بالهمل

الوعد بايراده في صدر هذا الكتاب

(ذكر جامع التاريخ الباقي من الهجرة الى هذا الوقت)

وهو جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة الذي فيه انتهينا من الفراغ من هذا الكتاب قد افردنا فيما سلف من هذا الكتاب بابا للتاريخ في تاريخ العالم والانبياء والملوك الى مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه الى هجرته ثم ذكرنا هجرته الى وفاته وأيام الخلفاء والملوك الى هذا الوقت على حسب ما يوجبه الحساب وما في كتب السير وأصحاب التواريخ من عني بأخبار الخلفاء والملوك ولم نعرض فيما ذكرنا من ذلك لما في كتب الزيجات مما ذكره أصحاب النجوم على حسب ما يوجبه تاريخهم فلنذكر في هذا الباب جميع ما أثبتوه في كتب زيجات النجوم من الهجرة الى هذا الوقت المؤرخ ليكون ذلك أكثر لفائدة الكتاب وأجمع لمعرفة تباين أصحاب التواريخ من الاخباريين والمنجمين وما اتفقوا عليه من ذلك فالذي وجدناه من ذلك في كتاب الزيجات

 أن الابتداء في يوم الجمعة مستهل المحرم سنة احدى للتروية وذلك يوم ستة عشر من تموز سنة

ولست أرجع للدنيا وزخرفها * من بعد شيب غدا في الرأس مشتعل
ألست تبصر أطماري وبعدي عن * نيل الحظوظ واغدا ذي الى اجلي
فقلت ذلك قول صح مجمله * لكن من شانه التفصيل للجمل
ما أنت جالب أمر تستعين به * على المظالم في حال ومقتبل
ولا تحلل حراما أو تحرّم ما * أحل ربك في قول ولا عمل
ولا تبع آجل الدنيا بعاجلها * كما الولاة تبيع اليم بالوشل
وأين عنك الرشا ان ظلت تطلبها * هذا العمري أمر غير منفعل
هل أنت تطلب الآن تعود الى * كتب المقام الرفيع القدر في الدول
فالا وحدهذا الكون قاطبة * وأسمع الخلق من حاف ومنتعل
لم يلتفت نحو ما تبغيه من وطر * ولم يسد الذي قد بان من خلل
ان لم تقع نظرة منه عليك فما * يصفو لديك الذي أملت من أمل
فدونك السيد الاعلى فطالبكم * قد نيط منه بفضل غير منفصل
فقد خبرت بني الدنيا بأجمعهم * من عالم وحكيم عارف وولي
فما رأيت له في الناس من شبه * قل النظير له عندي فلا تسل
وقد قصدتك يا أسمى الورى هم‍ما * وليس لي عن حمى علياك من حول
فسوالك لما أملت من أمل * وليس لي عنك من زيغ ولا ميل
فانظر لحالي فقد دق الحسود لها * واحسم زمانة ما قد ساء من علل
ودم لنا ولدين الله ترفعه * ما أعقبت بكر الاصباح بالاصل
لا زلت معتليا عن كل حادثة * كما علت ملة الاسلام في الملل انتهى

والمذكور هو عبد العزيز بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز بن يشتمس غرناطة يكنى أبا سلطان قال في الاحاطة في حقه فاضل حي حسن الصورة بادي الحشمة فاضل البيت سربه كتب في ديوان الاعمال فاتقن وترقى الى الكتابة السلطانية وسفر في بعض الاغراض الغربية ولازم الشيخ أبا بكر عتيق بن مقدم من مشيخة الصوفية بالحضرة فظهرت عليه آثار ذلك في نظمه ومقاصده فمن نظمه ما أنشده ليلة الميلاد المعظم

القلب يعشق والمدامع تنطق * برح الخفاء فكل عضو منطق
ان كنت أكتم ما أكن من الجوى * فشحوب لوني في الغرام مصدق
وتذللي عند اللقا وتملقي * ان المحب اذا دنا يتملق
فلكم سترت عن الوجود محبتي * والدمع يفضح ما يسر المنطق
ولكم أموه بالطلول وبالكني * وأخوض بحر الكتم وهو الاليق
ظهر الحبيب فلست أبصر غيره * فبكل مرئي أرى متحقق
ما في الوجود تكثر لمكثر * ان المكثر بالاباطل يعلق
فمتى نظرت فانت موضع نظرتي * ومتى نطقت فبغيرك أنطق
يا سائلي عن بعض كنه صفاته * كل اللسان وكل عنه المنطق

بعد أن مضى منها شهران وثمانية أيام فمكث بها حتى قبض صلى الله عليه وسلم تسع سنين وأحد عشر شهرا واثنين وعشرين يوما فذلك عشر سنين وشهران (أبو بكر الصديق) رضي الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وثمانية أيام فذلك اثنتا عشرة سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه عشر سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوما فذلك اثنتان وعشرون سنة (عثمان بن عفان) رضي الله عنه احدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا وتسعة عشر يوما (علي بن أبي طالب) رضي الله عنه أربع سنين وسبعة أشهر فذلك تسع وثلاثون سنة وثمانية أشهر وسبعة عشر يوما والى بيعة معاوية بن أبي سفيان ستة أشهر وثلاثة أيام فذلك أربعون سنة وشهران وعشرون يوما (معاوية بن أبي سفيان) رضي الله عنه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوما فذلك تسع وخمسون سنة وستة أشهر وخمسة وعشرون يوما (يزيد بن معاوية) ثلاث سنين وثمانية أشهر (معاوية بن يزيد بن معاوية) ثلاثة أشهر واثنين

فاسلك مقامات الرجال محققا * ان المحقق شأوه لا يلحق
خرق حجاب الوهم لا تحفل به * فالوهم يستر ما العقول تحقق
واخلص اذا شئت الوصول ولا تسل * فالعجز عن طلب المعارف موبق
ان التحلي في التخلي فاقتصد * ذاك الجناب فبابه لا يغلق
واقتبس نار الكليم ولا تخف * والغ السوى ان كنت منها تفرق
ومتى تجلى فيك سرجاله * وصعقت خوفا فالمكلم يصعق
دع رتبة التقليد عنك ولا تنه * الا الذي قيدت وهو المطلق
واقطع حبال علائق وعوائق * ان العوائق بالمكاره تطرق
جرد حسام النفس عن جفن الهوى * ان العوائد بالتجرد تخرق
فاذا فهمت السر منك فلا تبح * فالسيف من بث الحقائق أصدق
بالذوق لا بالعلم يدرك علمنا * سر تمكنون الكتاب مصدق
وبما أتى عن خير من وطئ الثرى * سر الوجود وغيثه المتدفق
خير الورى وابن الذبيحين الذي * أنواره في هديها تتألق
من أخبر الانباء قبل بعثه * ولنصه سر الكتاب يصدق
رفعت له الحجب التي لم ترتفع * الا اليه فكل ستر يخرق
ورقى مقاما قصرت عن كنهه * رتب الوجود وكم عنه السبق
وطئ البساط تدللا وجرى الى * أمد تناهى ما اليه مسبق
انسان عين الكون مبلغ سره * قطب الكمال وغيثه المتدفق
سر الوجود ونكتة الدهر الذي * كل الوجود بجوده يتعلق
من جاء بالآيات يسطع نورها * والذكر فهو عن الهوى لا ينطق
ياسيد الارسال غير مدافع * وأجلهم سبقا وان هم أعنقوا
بالفقر جئتك موئلي لا بالغني * فالذل والاذعان عندك ينفق
فاجبر كسير جرائر وجرائم * فالقلب من عظم الخطايا يقلق
أرجوك ياغوث الانام فلا تدع * باب الرضا دوني يسد ويغلق
حاشاك تطرد من أتاك مؤملا * فلأنت لي مني أحن وأرفق
وعجبت تقضي بامك مسقذي * عما أخاف فما بغيرك أعلق
ياهل تساعدني الاماني والمنى * وأحل حيث سنى الرسالة يشرق
ان كان ثبطني القضا بقيده * فعنان عزمي نحو مجدك مطلق
ولئن نوى شخصي باقصى مغرب * فتشوقي مني اليك يشرق
فعليك يا أسنى الوجود تحية * من طيب نفحتها البسيطة تعبق
وعلى صحابتك الذين تانقوا * رتب الكمال ومثلهم يتأنق
وعلى الالى آووك في أوطانهم * نالوا بذلك رتبة لا تلحق
أعظم بانصار النبي وحزبه * وبمن أتى بعلاة يتعلق

(عبد الملك بن مروان) حتى قتل ابن الزبير سنة وشهرين وستة أيام

(ذكر أيام بني مروان)

(عبد الملك بن مروان ابن الحكم) اثنتي عشرة سنة وأربعة اشهر وخمسة أيام (الوليد بن عبد الملك) تسع سنين وتسعة أشهر وعشرين يوما (سليمان بن عبد الملك) سنتين وسبعة أشهر وعشرين يوما (عمر ابن عبد العزيز بن مروان) سنتين وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوما (يزيد بن عبد الملك) أربع سنين ويوما واحدا (هشام بن عبد الملك) تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام فذلك مائة سنة وأربعة وعشرون سنة وثلاثة أشهر وستة أيام (الوليد ابن يزيد بن عبد الملك) حتى قتل سنة وشهرين وعشرين يوما فذلك مائة سنة وخمسة وعشرون سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرون يوما وكانت الفتنة بعد مقتله بشهرين وخمسة وعشرين يوما فذلك مائة سنة وخمسة وعشرون سنة وثمانية أشهر واثنتان وعشرون يوما (يزيد بن الوليد بن عبد الملك) شهرين وسبعة أيام فذلك مائة وخمس وعشرون سنة وأحد عشر شهرا ويوم واحد (ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك)

من مثل سعد أو كقيس نجله * عرف السيادة من جماهم ينشق
أكرم بهم وبمن أتى من سرهم * عز النظير فبعدهم لا يلحق
من مثل نصر أو بنيه ملوكنا * كل الانام لعز هم يتملق
بمحمد نجل الخليفة يوسف * عز الهدى فحماه مالان يطرق
مولى الملوك وتاج مفرق عزهم * وأجل من تحدى اليه الاينق
ملك يرى أن التقدم مغنم * مهما تعرض موكب أو فيلق
تروى أحاديث الوغى عن باسه * فالسيف يسندو العوالي تطلق
ملك البسالة والمكارم والنهى * فعداته منه تغص وتشرق
ملئت قلوب عداه منه مهابة * فغرب من خوفه ومشرق
مولاي يا أسمى الملوك ومن غدت * عين الزمان الى سناه تحدق
لا تقطعوا عني الذي عودتم * فالعبد من قطع العوائد يشفق
لا تحرموني مطالبي فعبيدتي * تقضي لسعي أنه لا يخفق
فانعم بردي في بساطك كاتبا * وأعد لما قد كنت فهو الاليق
فالسلم أمير المسلمين لامة * أفواههم مالان بغيرك تنطق
واهنأ بها من ليلة نبوية * جاءت بأكرم من به يتعلق
صلى عليه الله ماهبت صبا * واهتز غصن في الحديقة مورق

ثم قال وهو الآن بحالته الموصوفة انتهى * ومما خوطب به لسان الدين رحمه الله تعالى ماحكاه في الاحاطة في ترجمة القاضي أبي الحسن النباهي اذ قال ما نصه وخاطبني بسبتة وأنا يومئذ بسلا بقوله يا أيتها الآية البالغة وقد طمست الاعلام والغرة الواضحة وقد تنكرت الايام والبقية الصالحة وقد ذهب الكرام أبقاكم الله تعالى لبقاء الجميل وأبلغكم غاية المراد ومنتهى التاميل أبى الله أن يتمكن المقام بالاندلس بعدكم وأن يكون سكون النفس الاعندكم سر من الكون غريب ومعنى في التشاكل عجيب أختصر لكم الكلام فأقول بعد التحية والسلام تفاقمت الحوادث وتعاظمت الخطوب الكوارث واستأسدت الذئاب الاخابث وتلك الاكثر من ولد سام وحام ويافث فلم يبق الاكاشح باحث أو مكافح عابث ويا ليت شعري من الثالث فحينئذ وجهت وجهي للفاطر الباعث ونجوت بنفسي لكن منجى الحرث وقد عبرت البحر كسير الجناح دامي الجراح واني لارجو الله سبحانه بحسن نيتكم أن يكون الفرج قريبا والصنع عجيبا فعمادي أعان الله على القيام بواجبه هو الركن الذي ما زلت أميل على جوانبه ولا تزيدني الايام الا بصيرة في الاقرار بفضله والاعتداد به وقد وصلني خطاب سيدي الذي جلى الشكوك بنور يقينه ونصح النصح اللائق بعلمه ودينه وكأنه نظر الى الغيب من وراء حجاب فأشار بما أشار به على سارية عمر بن الخطاب ومن العجب أني عملت بمقتضى اشارته قبل بلوغ أضبارته فلله ما تضمنه مكتوبكم الكريم من الدر وحروه من الكلام الحر وايم الله لو تجسم لكان ملكا ولو تنسم لكان مسكا ولو قبس لكان شهابا ولو لبس لكان شبابا

فقل

بني خلع شهرين وأحد بن محمد) حتى قتل خمس سنين وشهرين فذلك المائة سنة واحدى وثلاثون سنة وثلاثة أشهر واثنا عشر يوما

(ذكر الخلفاء من بني هاشم)

(أبو العباس عبد الله بن محمد) أربع سنين وثمانية أشهر ويومين فذلك المائة وخمس وثلاثون سنة وأحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما حتى انتهت البيعة الى المنصور أربعة عشر يوما فذلك مائة وخمس وثلاثون سنة وأحد عشر شهرا وثمانية وعشرون يوما (أبو جعفر عبد الله بن محمد المنصور) احدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وستة أيام حتى انتهى الخبر الى المهدي اثني عشر يوما فذلك المائة وسبع وخمسون سنة وأحد عشر شهرا وثمانية عشر يوما (المهدي) عشر سنين وشهرا واحدا وخمسة أيام فذلك المائة وثمان وستون سنة وثلاثة عشر يوما حتى انتهى الخبر الى الهادي ثمانية أيام فذلك المائة وثمان وستون سنة وشهر واحد ويوم واحد (الهادي) سنة وثلاثة أشهر فذلك مائة وتسع وستون سنة وشهران وستة عشر يوما (الرشيد) ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وستة عشر

قل منى علم الله تعالى محل الصبر من المريض وأعاد الانس بما تضمنه من التعريض والكلام المزرى بمقطع الروض الاريض فقبلته عن راحتكم وتخيلت أنه مقيم بساحتكم ثم وردت معينه الاصفى وكلت من بركات مواعظه بالمكيال الاوفى وليست بأول أياديكم وأما التكم صلى الله فهو الذي يجازيكم وبالجملة فالامر بيد الاقدار لا الى المراد والاختيار

وما كل ماترجو النفوس بنافع * ولا كل ماتخشى النفوس بضرار انتهى

قلت أين هذا الكتاب من الذى قدمناه عنه فى الباب الثانى حين أظلم بينه وبين لسان الدين الجو وعطفه الى مهاجاته ثانى وسفر فى أمره الى العدوة واجتهد فى ضرره بعد ان كان له به القدوة وقد قابله لسان الدين بما أذهب عن جفنه الوسن وألف فيه كما سبق خلع الرسن على انه عرف به فى الاحاطة أحسن تعريف وشرفه بحلاه أجل تشريف اذ قال ما ملخصه على بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن الحسن الجذامى المالقى أبو الحسن ويعرف بالنباهى هذا الفاضل قريع بيت مجادة وجلالة وبقية تعين وأصالة عف النشأة طاهر الثوب مؤثر للوقار والحشمة خاطب للمشيخة مستعجل للشيبة ظاهر الحياء مفترق مع السكون بعيد الغور مرهف الجوانب مع الانكماش مقتصد فى الملبس والآلة متظاهر بالسذاجة برى من التوك والغفلة يقظ للعاريض مهتد الى الملاحن طرف فى الجود حافظ مقيد طلعة اخبارى قائم على تاريخ بلده شرع فى تكميل ماصنف فيه ملازم للتقييد والنظر يقف متفرع عن الاجادات والفوائد استفدت منه فى هذا الغرض وغيره كثيرا حسن الخط ناظم ناثر نثره يشف على نظمه ذاكر للكثير استظهر محفوظات منها النوادر للقالى وناهيك به محفوظا مهجورا وسلكا غفلا فاظنك بسواه نشأ ببلده سرالطعمة فاضل الابوة وقرأبه ثم ولى القضاء بلمتماس ثم ببلش وعملها فسيح الخطة مطلق الجراية بعيد المدى فى باب النزاهة لماضيا غير هيوب حتى أربى فى الزمن القريب على المحتنكين وغبر فى وجوه أهل الدربة وجرت أحكامه مستندة الى الفتيا جارية على المسائل المشهورة ثم نقل منها الى النظر فى أمور الحل والعقد بالقلعة مضافة اليه الخطط النبيهة وصدرله منشور من املائى الى أن قال فى ترجمة نظمه قال نظمت سمح الله تعالى لى قطعتين موطئا فيهما على البيتين المشهورين احداهما

بنفسى من غزلان حزوى غزالة * جال محياها عن السلك زاجر
تصيد بلحظ الطرف من رام صيدها * ولوانه النسر الذى هو طائر
معطرة الانفاس رائقة الحلى * هواها بقلبى فى المهامه سائر
اذا رمت عنها سلوة قال شافع * من الحب ميعاد السلو المقابر

والاخرى

وقائلة لما رأت شيب لمتى * لئن ملت عن سلمى فعذرك ظاهر
زمان التصابى قد مضى لسبيله * وهل لك بعد الشيب فى الحب عاذر
فقلت لها كلا وان تلف الفتى * بها لهواها عند مثلى آمر
سيبقى لها فى مضمر القلب والحشى * سريرة ود يوم تبلى السرائر

ثلاث سنين وخمسة وعشرين يوما فذلك مائة وخمس وتسعون سنة وستة أشهر واثنا عشر يوما وأخرج وبويع له وحارب وحوصر حتى قتل سنة وستة أشهر وثلاثة عشر يوما (المأمون) عشرين سنة وخمسة أشهر واثنين وعشرين يوما فذلك مائتان وسبع عشرة سنة وستة أشهر وتسعة عشر يوما (المعتصم) ثمان سنين وثمانية أشهر ويوما فذلك مائتان وستة وعشرون سنة وشهران وتسعة عشر يوما (الواثق) خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام فذلك مائتان واحدى وثلاثون سنة وأحد عشر شهرا وأربعة وعشرون يوما (المتوكل) أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة أيام فذلك مائتان وست وأربعون سنة وتسعة أشهر ويوم واحد (المنتصر) ستة أشهر فذلك مائتان وسبعة وأربعون سنة وثلاثة أشهر ويوم واحد الى أن انحدر المستعين الى مدينة السلام سنتين وتسعة أشهر وثلاثة أيام فذلك مائتان وخمسون سنة وأربعة عشر يوما والى أن خطب للمعتز بمدينة السلام احد عشر شهرا وعشرين يوما فذلك مائتان واحدى وخمسون سنة وأربعة أيام

وسبعة وعشرون يوما والى بيعة المهتدي يومين فذلك مائتان وأربع وخمسون سنة وسبعة أشهر (المهتدي) احد عشر شهرا وثمانية وعشرين يوما فذلك مائتان وخمس وخمسون سنة وستة أشهر وسبعة عشر يوما (المعتمد) ثلاثا وعشرين سنة وثلاثة أيام فذلك مائتان وثمانون سنة وثلاثة أشهر واثنان وعشرون يوما (المقتدر) حتى خلع احدى وعشرين سنة وشهرين وخمسة أيام فذلك ثلثمائة سنة وست عشرة سنة وتسعة عشر يوما (المعتز) حتى خلع يومين فذلك ثلثمائة سنة وست عشرة سنة واحدى وعشرون يوما (المقتدر) حتى قتل ثلاث سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام فذلك ثلثمائة وتسع عشرة سنة وعشرون يوما (القاهر) حتى خلع سنة وستة أشهر واثنى عشر يوما فذلك ثلثمائة واحدى وعشرون سنة وأربعة أشهر وسبعة أيام (الراضي) ست سنين وأحد عشر شهرا وثمانية أيام فذلك ثلثمائة وثمانية وعشرون سنة وسبعة عشر يوما (المتقي) ثلاث سنين وتسعة أشهر وستة عشر يوما فذلك ثلثمائة واثنتان وثلاثون سنة وشهر واحد

وكتب على مثال النعل الكريم وأهداه لمزمع سفر

فديتك لا يهدى اليك أجل من * حديث نبي الله خاتم رسله
ومن ذلك الباب المثال الذى أتى * به الاثر المأثور فى شان نعله
ومن فضله مهما يكن عند حامل * له نال ما يهواه ساعة حله
ولا سيما ان كان ذا سفر به * فقد ظفرت يمناه بالامن كله
فدونك منه أيها العلم الرضا * مثالا كريما لا نظير لمثله

وقال مراجعا عن أبيات يظهر منها غرضها

اذا كنت بالقصد الصحيح لنا تهوى * فسلم لنا فى حكمنا ودع الشكوى
ولا تتبع أهواء نفسك والتفت * لناحيث كنا فى الرخاء وفى اللاوا
وكم من محب فى رضانا وحبنا * محا كل ما يبدو سوانا له محوا
رآما عيانا عين معنى وجوده * فعاج عن الشكوى وفوض فى البلوى
وقال تحكم كيف شئت بما ترى * رضيت بما تقضى وهمت بما تهوى
فحل لدينا بالخلوص وبالرضا * محل اختصاص نال منه المنى صفوا
فان كنت ترجو فى الصبابة والهوى * لحاقا بهم فاسلك طريقهم الاضوا
ومت فى سبيل الحب ان كنت مخلصا * لنا فى الهوى تحيا حياة أولى التقوى
هنالك تؤتى ما تريد وتقتضى * دونك منا دون مطل ولا دعوى
وتشرب من عين اليقين وتغتذى * بخمر الصفا الصرف الزلال لكى تروى

وقال لا تلجأن لمخلوق من الناس * من يافث كان أصلا أو من الياس
وأن بربك لا تأس تجد عجبا * فلا أضر على عبد من الياس

وقال فديتك لا تصحب لئيما ولا تكن * معينا له ان اللئيم خؤن
فلا عهد يرعى لا ولا نعمة يرى * ولا سر خل عن عداه يصون

وقال يخاطب أبا القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان

لك الله قلبى فى هواك رهين * وروحى عنى ان رحلت ظعين
ملكت بحكم الفضل كلى خالصا * وملكك للحر الصريح يزين
فهب لى من نطق بمقدار ما به * يترجم سر فى الفؤاد دفين
فقد شملتنا من رضاك ملابس * وسح لدينا من نداك معين
أعنت على الدهر الغشوم ولم تزل * بذيالك فى الامر المهم تعين
وقصر من لم تعلم النفس انه * خذول اذا خان الزمان يخون
وانى بحمد الله منه لفى غنى * وحسبى صبر عن سواك يصون
أبى لى مجد عن كرام ورثته * وقوفا بباب للكريم يهين
ونفس سمت فوق السماكين همة * وما كل نفس بالهوان تدين
ولما رأت عينى محياك اقسمت * بانك للفعل الجميل ضمين
وعاد لها الانس الذى كان قد مضى * بريقا نشر خال الشباب خدين

بحيث تشانا الابين حلى التقى * وكل بكل عند ذاك ضنين
اذا وسنى تلك الليالى وطيبها * ووجد غرامى والحديث شجون
وفتيان صدق كالشموس وكالحيا * حديثهم ماشئت عنه يكون
لئن نزحت تلك الديار فوجدنا * عليها له بين الضلوع أنين
اذا م حنين زاده الشوق جدة * وليس يعاب للربوع حنين
وانى عبلاها وللبين لذعة * أقل اذا ها للسليم جنون
لقد عبثت أيدى الزمان بجمعنا * وحان افتراق لم نخله يحين
وبعد التقينا فى محل تغرب * وكل الذى دون الفراق يهون
فقابلت بالفضل الذى أنت أهله * ومالك فى حسن الصنيع قرين
وعبت وما غابت مكارمك التى * على شكرها الرب العظيم يعين
عينا لقد أوليتنا منك نعمة * تلذ بها عند العيان عيون
و يقصر عنها الوصف اذ هى كلها * لها وجههم بالحياء مصون
ولما قدمت الآن زاد سرورنا * ومقدمك الاسنى بذاك قمين
لانك أنت الروح منا وكلنا * جسوم فعند البعد كيف نكون
ولو كان قدر الحب فيك لقاؤنا * اليك لكنا باللزوم ندين
ولكن قصدنا راحة المجد جهدنا * فراحته شمل الجميع تصون
هنيئا هنيئا أيها العلم الرضا * بما لك فى طى القلوب كمين
لك الحسن والاحسان والعلم والتقى * فحبك دنيا للمحب ودين
وكم لك فى باب الخلافة من يد * أقرت لها بالصدق منك مرين
وقامت عليها للملوك أدلة * فانت لديها ماحييت مكين
فلا وجه الا وهو بالبشر مشرق * ولا نطق الا عن علاك مبين
بقيت لربع الفضل تحمى ذماره * صحيحا كما قد صح منك يقين
ودونك ياقطب المعالى بنية * من الفكر عن حال المحب تبين
أتتك ابن رضوان تمت بودها * ومالسوى الاغضاء منك ركون
نخل انتقاد البحر عن هفواتها * ومهد لها بالسمع حيث تكون
وخذها على علاتها فحديثها * حديث غريب قد عراه سكون

وهو بحاله الموصوفة انتهى باختصار ولما كتب لسان الدين الى شيخه الرئيس الكاتب أبى الحسن الجياب قصيدة أولها

أمستخرجا كنز العقيق بآماق * أناشدك الرحمن فى الرمق الباقى
فقد ضعفت عن حمل صبرى طاقتى * عليك وضاقت عن زفيرى أطواقى

وهى طويلة أجابه عنها بقوله

سقانى فأهلا بالمدامة والساقى * سلافا بها قام السرور على ساق
ولا نقل الا من بدائع حكمة * ولا كأس الا من سطور وأوراق

وثلاثة أيام (المستكفى) سنة وثلاثة أشهر فذلك ثلثمائة سنة وثلاث وثلاثون سنة وسبعة أشهر واثنا عشر يوما (المطيع لله) الى غرة جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة سنة وثمانية أشهر وخمسة عشر يوما فذلك ثلثمائة وخمسة وثلاثون سنة وأربعة أشهر الاثلاث ليال (قال المسعودى) وسنو الهجرة قرية وبين هذا التاريخ وتاريخ أصحاب الاخبار والسير تفاوت من زيادات الشهور والايام ومعولنا فيما ذكرنا من التاريخ من الهجرة الى هذا الوقت على ماوجدنا فى كتب الزيجات وكان أهل هذه الصناعة يراعون هذه الاوقات ويحيطون علمها على التحديد والذى نقلناه من التاريخ فمن زيج أبى عبد الله محمد بن جابر البتانى وغيره من الزيجات الى هذا الوقت فاما ما قدمنا ذكره فى هذا الوقت من الهجرة الى هذا الوقت فانا نعيد ذكره مفصلا فى هذا الكتاب لكى يقرب تناوله على الطالب له ولا يبعد عما ذكرناه من الزيجات (فالذى صح) من تاريخ أصحاب السير والاخبار من أهل النقل والآثار أنه بعث صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة فاقام بمكة ثلاث عشرة سنة وهاجر عشرا وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة صلى الله عليه وسلم (أبو بكر) سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام

ابن ابى طالب) اربع سنين (الحسن بن على) ستة اشهر وعشرة ايام (معاوية بن ابى سفيان) سبع عشرة سنة وثمانية أشهر (يزيد بن معاوية) ثلاث سنين وثمانية أشهر الاثمان ليال (معاوية ابن يزيد) شهرا واحدا واحد عشر يوما (مروان بن الحكم) ثمانية أشهر وخمسة أيام (عبد الملك بن مروان) احدى وعشرين سنة وشهرا ونصفا (الوليد بن عبد الملك) سبع سنين وثمانية أشهر ويومين (سليمان بن عبد الملك) سنتين وسبعة أشهر وسبعة وعشرين يوما (عمر بن عبد العزيز) سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام (يزيد ابن عبد الملك) اربع سنين وشهرا ويومين (هشام ابن عبد الملك) تسع عشرة سنة وتسعة أشهر واحدى عشرة ليلة (الوليد بن يزيد) سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما (مروان ابن محمد) خمس سنين وعشرة أيام (عبد الله بن محمد السفاح) أربع سنين وتسعة أشهر (المنصور) اثنتين وعشرين سنة الاتسع ليال (المهدى) عشر سنين وشهرا وخمسة عشر يوما (الهادى) سنة وستة أشهر

فقد أنشأت لى نشوة بعد نشوة * بمدح وحانية ذات أذواق
فمن خطها الفانى متاع لناظرى * وتمحى وحظ الروح من خطها الباقى
أعادت شبابى بعد سبعين حجة * فاثوابه قد جددت بعد اخلاق
وما كنت يوما للمدامة صاحبا * ولا قبلتها قط نشأة أخلاق
ولا خالطت لحمى ولا مازجت دمى * كفى شرها مولاى فالفضل للواقى
وهذا على عهد الشباب فكيف لى * بها بعد دماء الشبيبة مهراق
تبصر فكم القهوتين تخالفا * فكم بين اثبات لعقل وازهاق
وشتان ما بين المدامة فاعتبر * فكم بين انجاح لسعى واخفاق
فتلك تهادى بين ظلم وظلمة * وهذى تهادى بين عدل واشراق
أيا عالم الاحسان غير منازع * شهادة اجماع عليها واصفاق
فضائلك الحسنى على تواترت * بمهمر من سحب فكرك غيداق
خزائن آداب بعثت بدرها * الى ولم تمنن بخشية انفاق
ولا مثل بكر حرة عربية * زكية أخلاق كريمة أعراق
فأقسم ما البيض الحسان تبرجت * تناجيك سرا بين وحى واطراق
بدور بدت من أفق أطواقها على * رياض شدت فى قطبها ذات أطواق
فناظر منها الاقحوان ثغورها * وقابل منها نرجس سحر أحداق
وناسب منها الورد خدا موردا * سقاه الشباب النضر بورك من ساق
والبسن من صنعاء وشيا منمنما * وحلين من درنفائس أعلاق
بأحلى لأفواه وأبهى لأعين * وأحلى لالباب وأشهى لعشاق
وأيت بها شهب السماء تنزلت * الى تحيينى تحية مشتاق
ألا ان هذا السحر لاسحر بابل * فقد سحرت قلبى المعنى فمن راقى
لقد أعجزت شكرى فضائل ماجد * أبر بأحباب وأوفى بعشاق
تقاضى دون الشعر منى منبها * رويدك لا تعجل على بارهاق
فلو نشر الصادان من لحديهما * لانصاف هذا الدين لا ذا باملاق
تخذ بزمام الرفق شيخا تقاصرت * خطاه وعاهده بعهود اشفاق
فلا زلت تحيى للمكارم رسمها * وقدرك فى أهل العلا والنهى راق

قال وكتبت اليه فى غرض العتاب قصيدة أولها

أدرنا وضوء الافق قد صدع الفضا * مدامة عتب بيننا نقلها الرضا
فلله عينا من رآ نا وللحيا * جنى باق فاق الشاشية أومضا
نفر الى عدل الزمان الذى أتى * ونبرأ من جور الزمان الذى مضى
ونأسو كلوم اللفظ باللفظ عاجلا * كذا قدح الصهباء داوى وأمرضا

فراجعنى عنها بهذه القصيدة

الاحبذا ذاك العتاب الذى مضى * وان جره واش بزور وعضعضا

أغارت له خيل فما ذعرت حمى * ولكنها كانت طلائع للرضا
تألق منه بارق صاب مزنه * على معهد الحب الصميم فروضا
تلألأ نورا للصداقة حافظا * وان ظن سيفا للقطيعة منتضى
فان سود الشيطان منه صحيفة * أتى ملك الرحمى عليها فبيضا
وما كان حب أحكم الصدق عهده * ليرمى بوسواس الوشاة فيرفضا
أعيذ ودادا زاكى القصد وافيا * تخلص من أدرانه فتمحضا
ونية صدق فى رضا الله أخلصت * سناها ما فاق البسيطة قد أضا
من الآفك الساعى ليغنى نورها * أيخفى شعاع الشمس قد ملأ الفضا
وكيف يحل المبطلون بافكهم * معاقد حب أحكمتها يد القضا
تعرض يبغى هدمها فكأنه * لتشييد مبناها الوثيق تعرضا
وحرض فى تغييره فكأنما * على البر والتسكين والحب حرضا
وأوقد نارا تهو يصلى جحيمها * يقلب منها القلب فى موقد الغضى
أيا واحدى المعدود بالالف وحده * ويا ولدى البر الزكى ان ارتضى
بعثت من الدر النفيس قلائدا * على ما ارتضى حكم المحبة واقتضى
نتيجة آداب وطبع مهذب * أطال مداه فى البيان وأعرضا
ولا مثل بكر باكرتنى آنفا * كزورة خل بعدما كان أعرضا
هى الروضة الغناء أينع زهرها * تناظر حسنا مذهبا ومفضضا
أو الغادة الحسناء راقت فنقضى * مدى العمر فى وصفى لها وهو ما انقضى
تطابق منها شعرها وجبينها * فذا الليل مسودا وذا الصبح أبيضا
أو الشهب منها زينة وهداية * ورجم لشيطان اذا هو قيضا
أتت بيديع الشعر طورا مصرحا * بآيآتك الحسنى وطورا معرضا
ومهدت الاعذار دون جناية * ولو أنك الجانى لكنت المغمضا
لك الله من بر وفى وصاحب * محضت له صدق الضمير فأمحضا
لسانك فى شكرى مفيض تفضلا * فيا حسن ما أهدى وأسدى وأقرضا
وقلبك فاضت فيه أنوار خلتى * فألقى بيدى تسليمه لى مفوضا
وقصدك مشكور وعهدك ثابت * وفضلك منشور وفعلك مرتضى
فهل مع هذا ريبة فى مودة * محال وان رابت فها أنا معرضا
فتى بولائى انى لك مخلص * هوى ثابتا بى فليس له انقضا
عليك سلام الله ما هبت الصبا * وما بارق جنح الدجنة أومضا

(وقال لسان الدين) من غريب ما خاطبنى به قوله

أقسم بالقيسين والنابغتين * وشاعرى طيئ المولدين
وبابن حجر وزهير وابنه * والاعشيين بعد شم الاعمين
ثم بعشاق الثريا والرقيات وعزة ومى وبثين

(المعتصم) ثمان سنين وثمانية أشهر (الواثق) خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة ايام (المتوكل) أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسع ليال (المنتصر) ستة أشهر (المستعين) ثلاث سنين وثمانية أشهر (المعتز) أربع سنين وستة أشهر (المهتدى) أحد عشر شهرا (المعتمد) ثلاثا وعشرين سنة (المعتضد) تسع سنين وتسعة أشهر ويومين (المكتفى) ست سنين وسبعة أشهر ويومين (المقتدر) أربعا وعشرين سنة واحد عشر شهرا وستة عشر يوما (القاهر) سنة وستة اشهر وستة ايام (الراضى) ست سنين واحد عشر شهرا وثمانية ايام (المتقى) ثلاث سنين وتسعة أشهر وستة عشر يوما (المستكفى) سنة وثلاثة أشهر (المطيع) الى غرة جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة سنة وثمانية أشهر وخمسة عشر يوما (ونحن) نؤمل من الله تعالى البقاء والزيادة فى العمر لتزيد فى هذا الكتاب ما يحدث فى أيامهم وما يكون فى المستقبل من دولتهم فهذا جمل التاريخ من الهجرة الى هذا الوقت وهو جمادى الاولى سنة ست

وبابى الشيص ودعبل ومن * كشاعرى خزاعة المخضرمين
وولد المعتز والرضى والسرى ثم حسن وابن الحسين
واختم بقس وبسحبان وان * أوجب حق أن يكونا أولين
وحلبتى نثرهم ونظمهم * فى مشرقى أقطارهم والمغربين
ان الخطيب بن الخطيب سابق * بنثره ونظمه الحلبتين
راقتنى الصحيفة الحسنا التى * شاهدت فيها المكرمات رأى عين
تجمع من براعة المعنى الى * براعة الالفاظ كانتا الحسنيين
اشهد أنك الذى سبقت فى * طريقى الآداب أقصى الامدين
شعر حوى جزالة ورقة * تصاغ منه حلة للشعريين
رسائل أزهارها منثورة * سرور قلب ومتاع ناظرين
يا أحوذيا نسيج وحده * شهادة تنزهت عن قول مين
بقيت فى مواهب الله التى * تقر عينيك وعلا اليدين
انتهى

(وحكى لسان الدين) أن سعيد بن محمد الغرناطى الغسانى استعار منه كتابا فأرسله اليه وعلى ظهره هذه الابيات

هذا كتاب كله معجم * أخفى معناه افحاما
أعجمه منشئه أولا * وزاده الناسخ اعجاما
أسقط من اجماله جملة * وزاد فى التفصيل أقساما
وغير الالفاظ عن وضعها * وصير الايجاد اعداما
فليس فى اصلاحه حيلة * ترجى ولو قوبل أعواما

ولم أقف على جواب لسان الدين له عنها والله تعالى أعلم * وولد سعيد المذكور سنة ٦٩٩

(ومما خوطب به لسان الدين) لما تقلد الكتابة العليا قول أبى الحسن على بن محمد بن على بن البناء الوادى آشى رحمه الله تعالى

هو العلاء جرى باليمن طائره * فكان منك على الآمال ناصره
ولو جرى بك ممتدا الى أمد * لاعجز الشمس ما آبت عساكره
لقد حباه منيع العز خالقه * بفاضل منك لاتحصى مآثره
فليزه فخرا فما خلق يعارضه * ولا علاء مدى الدنيا يفاخره
لله أوصافك الحسنى لقد عجزت * من كل ذى لسن عنها خواطره
هيهات ليس عجيبا عجز ذى لسن * عن وصف بحر رمى بالدر زاخره
هل أنت الا الخطيب بن الخطيب ومن * زانت حلى الدين والدنيا مفاخره
فان يقصر عن الاوصاف ذو أدب * فابدا منك فى التقصير عاذره
يا ابن الكرام الالى ما شب طفلهم * الا وللمجد قد شدت مآزره
مهلا عليك فما العلياء قافية * ولا العلاء بسجع أنت ناثره
ولا المكارم طرسا أنت راقمه * ولا المناقب طيبا أنت ماهره

ماذا

وثلاثين وثلثمائة وقد والطالب له ان شاء الله تعالى والتاريخ من المولد الى هذا الوقت معلوم ومن المبعث الى الوفاة معروف غير مجهول ولا يتعذر تناوله على ذى الدراية من هذا الكتاب الا أن معول الناس أن بدء التاريخ من الهجرة على حسب ما بينا فيما سلف فى كتبنا من مشاورة عمر الناس فى التاريخ عند حدوث بدئه وما قاله الناس من كل فريق منهم وأخذه بقول على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أن يؤرخ بهجرة النبى صلى الله عليه وسلم وتركه أرض الشرك وأن ذلك كان من عمر رضى الله عنه فى سنة سبع عشرة أو ثمانى عشرة على حسب التنازع فى ذلك والله أعلم

(ذكر تسمية من حج بالناس أول الاسلام الى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة)

(قال المسعودى) فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فى شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة ورجع الى المدينة واستعمل عتاب ابن أسيد بن أبى العيص بن أمية على مكة فحج بالناس سنة ثمان وقيل بل حج الناس أوزاعا ليس عليهم أحد ثم كانت سنة تسع فحج بالناس أبو بكر

ماذا على سابق يسري الى سنن * ان كان من رفقه خل يسايره
سر حيث شئت من العلياء متئدا * فما أمامك سباق تحاذره
أنت الامام لاهل الفخر ان فخروا * أنت الجواد الذى عزت أواخره
ما بعد ما حزته من عزة وعلا * شأو يغالو دفيه المجد كابره
نادت بك الدولة النصرى محتسدها * نداء مستنجد أز رأ يوازره
حليتها برداء الصبر مرتديا * وصبح يمنك خر المعد سافره
فالملك يرفل في أبراده مرحا * قد عمت الارض اشراقا بشائره
فاهنأ بها نعمة ما ان يقوم لها * من اللسان ببعض الحق شاكره
وليهنها أنها ألقت مقالدها * الى زكي زكت منه عناصره
فانه بدرتم في مطالعها * قد طبق الارض بالانوار نائره

(وقال لسان الدين) وأهدى الى قبا فب خشب جوز وكتب معها

ها كها ضمر امطايا حسانا * نشأت في الرياض قضبا لدانا
ونوت بين روضة وغدير * مرضعات من النمير لبانا
لابسات من الظلال برودا * دونها القضب رقة وليانا
ثم لما أراد اكرامها الله وسنى لها المنى والامانا
قصدت بابك العلى ابتدارا * ورجت في قبولك الاحسانا

قال فأجبته

قد قبلنا جيادك الدهم لما * أن بلونا منها العتاق الحسانا
أقبلت خلف كل جحر تبيح * خلعت وصفها عليه عيانا
فعنينا برعيها وفسحنا * في ربوع العلا لها ميدانا
وأردنا امتطاءها فاتخذنا * من شراك الاديم فيها عنانا
قدمت قبلها كتيبة سحر * من كتاب سبت به الاذهانا
مثل ما تحجب الجيوش المذاكى * عدة للقاء مهما كانا
لم يرق مقلتي ولاراق قلبي * كعلاها براعة وبيانا
من يكن مهديا فمثلك يهدي * لم أجد للثناء عليك لسانا

(وقال لسان الدين) ومن أبدع ماهز به الى اقامة سوقه ورعي حقوقه قوله

يا معدن الفضل موروثا ومكتسبا * وكل مجد الى علياته انتسبا
ببابك مجد كم الاسمى أخو أدب * مستصرخ بكم يستنجد الادبا
ذل الزمان له طورا فبلغه * من بعض آماله فوق الذى طلبا
والآن أركبه من كل نائبة * صعب الاعنة لا يالو به نصبا
فحملته دواعي حبكم وكفى * بذاك شافع صدق يبلغ الاربا
فهل سرى نسمة من جاهكم فبها * خليفة الله قيناعطر الذهبا

(وقال لسان الدين) في الاكليل في حق المذكور ماصورته فاضل يروقك وقاره وصغر

بدنة ثم أرسل على اثره علي ابن أبي طالب رضي الله عنه فادركه بالعرج ومعه سورة براءة فاذن بها يوم النحر عند العقبة فاقام أبو بكر الحج وخطب أبو بكر بمكة قبل التروية بيوم ويوم عرفة بعرفة ويوم النحر بمنى ثم كانت سنة عشر فحج بالناس سيد المرسلين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كانت سنة احدى عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم كانت سنة اثنتى عشرة فحج بالناس أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم كانت سنة ثلاث عشرة فحج بالناس عبد الرحمن بن عوف ثم كانت سنة أربع عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم كانت سنة خمس عشرة فحج بالناس ٣ ثم كانت سنة ست عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة سبع عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة ثمان عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة تسع عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة عشرين فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة احدى وعشرين فحج بالناس

بعد مطاره قدم من بلده بروم اللحاق بكتاب الانشاء وتوسل بنظم أنيق ونسب في نسب الاجادة عريق تعرب براعته عن لسان ذليق وطبع طليق وذكاء بالاثر خليق وبينما هو يلحم في ذلك الغرض ويسدى ويعيد ويبدى وقد كادت وسائله أن تفجح ولبل رجائه أن يصبح اغتاله الحمام وخانته الايام والبقاء لله تعالى والدوام توفى بالطاعون في عام واحد وخمسين وسبعمائة وسنه دون الثلاثين رحمه الله تعالى انتهى والمخوطب لسان الدين من سلطان تونس بما لم يحضرني الآن أجاب عنه بما نصه المقام الامامى الابراهيمى المولوى المستنصرى الحفصى الذى كرم فرعا وأصلا وشرف جنسا وفصلا وعلا في رعاية المجد من لدن المهد كرما وخصلا وصرفت متجردة الاقلام الى مثابة خلافته المنصورة الاعلام وجوه عبارة الكلام فاتخذ من مقام ابراهيم مصلى مقام مولانا أمير المؤمنين الخليفة الامام أبي اسحق ابن مولانا أبي يحيى أبي بكر ابن الخلفاء الراشدين أبقاه الله تعالى تهوى اليه الافئدة كلما انتشت بذكره وتتنافس الالسنة في احراز غاية حمده وشكره وتتكفل الاقدار بانفاذ نهيه وأمره وتغرى عوامل عوامله بحذف زيد عدوه وعمره ويتبرع أسمر الليل وابيض النهار باعمال بيضه وسمره ولازال حسامه الماضي يغنى يومه في النصر عن شهره والروض يحييه بمباسم زهره ويرفع اليه رقع الحمد بنان قضبه الناشئة من معصم نهره وولى الدنيا والآخرة يتعنا بهما بعد الاعانة على مهره يقبل بساطه المعود الاستلام بصفحات الخدود الراقع عماده ظل العدل الممدود عبد مقامه المحمود ووارد غمر انعامه غير المنزور ولا المثمود المثنى على نعمه العميمه ومنحه الجسيمة ثناء الروض المجود على العهود ابن الخطيب من باب المولى الموجب حقه المتأكد الفروض الثابت العهود المعتد منه بالود الجامع الرسوم والحدود والفضل المتوارث عن الآباء والجدود يسلم على مثابتها سلام متلو على مثلها ان وجد المثل في الثانى ويعود كالها بالسبع المثانى ويدعو الله تعالى لسلطانها بتشييد المبانى وتيسير الامانى وينهى الى علوم تلك الخلافة الفاروقية المقدسة بما يناسب التوحيد المستولية من مدارك الآمال على الامد البعيد ان مخاطبتها المولويه تاهت على الملوك فارعة العلا مزعفرة الحلل والحلى ذهبية الحلى تفيد العز المكين والدنيا والدين وترعى في الآباء والبنين على مر السنين صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قد جلت من مدحها الكريم ما أخفى للملوك من قرة عين ودرة زين جبين الشرف الوضاح ومستوجب الحق على مثله من الخلق بالنسب الصراح والغرر والاوضاح والارج الفواح فاقتنى دره النفيس ووجد المروع في جانب الخلافة التنفيس وقراء لما قراءه التعظيم والتقديس وقال يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم وان لم يكن بلقيس أعلى الله تعالى تلك اليد مطوقة الايادى ومخجلة الغمائم والغوادى وأبقاها عامرة النوادى غالبة الاعادى وجعل سيفها السفاح ورأيها الرشيد وعلمها الهادى ووصل ما ألفه به رعيها من أشتات برلغت وموارد فضل سوغت أمدتها سعادة المولى بعد لم يضر معه البحر الهائل ولا العدو الغائل وأقام أودها عند الشدائد الفلك المائل لابل الملك الذى له الى الله الوسائل وحسب الجفن رسالتكم الكريمة لحظا

ثلاث وعشرين فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم قتل رضى الله عنه آخر ذى الحجة ثم كانت سنة أربع وعشرين فحج بالناس عبد الرحمن بن عوف ثم كانت سنة خمس وعشرين فحج بالناس عثمان بن عفان الى سنة أربع وثلاثين ثم كانت سنة خمس وثلاثين حج بالناس عبد الله بن عباس بأمر عثمان وهو محصور ثم كانت سنة ست وثلاثين حج بالناس عبد الله بن عباس ثم كانت سنة سبع وثلاثين بعث على بن أبى طالب على الموسم عبد الله بن العباس وبعث معاوية بن أبى سفيان يحرة الرهاوى فاجتمعا بمكة وتنازعا الامارة ولم يسلم أحدهما لصاحبه فاصطلحا على أن يصلى بالناس شيبة بن عثمان الحجبى ففعل ذلك ثم كانت سنة ثمان وثلاثين حج بالناس قثم بن عباس نائب مكة ثم كانت سنة تسع وثلاثين حج شيبة بن عثمان ثم كانت سنة أربعين والتنازع مع معاوية والحسن بن على في الخلافة فحج بالناس المغيرة بن شعبة عن كتاب يقال انه افتعله فيما قيل ثم كانت سنة احدى وأربعين حج بالناس

فصان وأكرم وعوذة قعودها وتحرم وتولى المملوك تنفيق عروضها بانشراح صدره وعلى قدره فوقعت الموقع الذى لم يقع سواها فاما الخيل فاكرم مثواها وجعلت جنان الصون مأواها ولو كسيت الربيع المزهر حللا وأوردت فى نهر المجرة علا ونهلا وقلدت النجوم العواتم محلا ومسحت أعطافها بمنديل النسيم وألحفت بأردية الصباح الوسيم وانبرشت لمرابطها الحشايا وانضمت حبات القلوب بالعشايا لكان بعض مايجب لحقها الذى لايجحد ولا يحتجب وماعداها من الرقيق والقيان رعاة ذلك الغريق تتكفله الاستحسان وأطنب الاعتقاد وان قصر اللسان تولى الله تعالى تلك الخلافة بالشكر الذى يحسب العطاء والحفظ الذى يسبل الغطاء والصنع الذى يسترمن مطا الامل الامتطا وأما مايختص بالمملوك فقد حصه بقوله تبركا بتلك المقاصد التى سددها الدين وعددها الفضل المبين وأنشد الخلافة التى راق من مجدها الجبين

قلدتنى بفرائد أخرجتها * من بحر جودك وهو ملتطم اللجج

ورعيت نسبتها فان سبيكة * مما يلائم لونها قطع السبج

والمملوك بهذا الباب النصرى أعزه الله تعالى على قدم خدمه وقائم بشكر منة لكم ونعمه وحاضر فى جملة الاولياء بدعائه وحبه ومتوسل فى دوام بقاء أيامكم ونصر أعلامكم الى ربه وان بعد بجسمه فلم يبعد بقلبه والسلام الكريم الطيب البر العميم يخصها دائما متصلا ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى * ومما خوطب به لسان الدين قول أبى الحسن على بن يحيى الفزارى المالقى المعروف بابن البرزى وكان ممن يمدح الملوك والكبراء

لبابك أم الآملون ويمموا * وفى ساحتى رحماك حطوا وخيموا

ومن راحتى كفيك جدواك تنهمى * فتروى عطاش من نداك وتنعم

وأنت لما راموه كعبة حجهم * اذا شاهدوا مرآك لبوا وأحرموا

يطوفون سبعا حول بابك عندما * يلوح لهم ذاك المقام المعظم

فيمناك يمن للرعايا ومنة * ويسراك يسر للعفاة ومغنم

ولقياك بشر للنفوس وجنة * ترن بها ورق المنى وترنم

فياواحد الازمان علما ومنصبا * ويامن به الدنيا تروق وتبسم

ومن وجهه كالبدر يشرق نوره * ومن جوده كالغيث بل هو أكرم

ومن ذكره كالمسك فض ختامه * وكالشمس نورا بشره المتوسم

لقد حزت فضل السبق غير منازع * فأنت على أهل السباق مقدم

حويت من العلياء كل كريمة * بها الروض يندى والربا تتبسم

وباهت أقلام الغشام براعة * فلاقلم الا براعتك يخدم

اذا فاخر الامجاد يوما فانما * لمجدك فى حال الفخار يسلم

وان سكتوا كنت البليغ لديهم * تعبر عن سر العلا وتترجم

ومنها

فياصاحبى نجواى عوجا برامة * على ربعه حيث الندى والتكرم

وقولا له عبد ببابك يرتجى * قضاء لبانات لديك تتم

عتبة بن أبى سفيان ثم حج بعده مروان بن الحكم ثم كانت سنة أربع وأربعين حج معاوية بن أبى سفيان ثم كانت سنة خمس وأربعين حج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة ست وأربعين حج بالناس عتبة بن أبى سفيان ثم كانت سنة سبع وأربعين حج بالناس عتبة ابن أبى سفيان ثم كانت سنة ثمان وأربعين حج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة تسع وأربعين حج بالناس سعيد بن العاص ثم كانت سنة خمسين حج بالناس معاوية بن أبى سفيان ثم كانت سنة اثنتين وخمسين حج بالناس سعيد بن العاص عامين ثم كانت سنة أربع وخمسين حج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة خمس وخمسين حج بالناس مروان ابن الحكم ثم كانت سنة ست وخمسين حج بالناس عتبة بن أبى سفيان ثم كانت سنة سبع وخمسين حج بالناس الوليد بن عتبة عامين ثم كانت سنة تسع وخمسين حج بالناس عثمان بن أبى سعيد ثم كانت سنة ستين حج بالناس عمرو بن سعيد ابن العاص ثم كانت سنة احدى وستين حج بالناس الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ثم كانت سنة اثنتين وستين حج بالناس الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ثم كانت

فليس له الا علاك وسيلة * ولاشئ أسمى من علاك وأعظم
فدبالذى يرجوه منك فانه * كعقد ثمين من ثنائك ينظم
بقيت ونجم السعد عندك طالع * يضىء له بدر وتشرق أنجم

توفى المذكور بالطاعون عام خمسين وسبعمائة انتهى * ومما خوطب به قول أبى القاسم قاسم بن محمد الحرالى المالقى القاضى بانتقيرة قبل وفاته

عليك قصرت المدح ياخير ماجد * وأفضل موصوف بكل المحامد
ويا كهف ملهوف وملجأ خائف * ومورد جود قد كفى كل وارد
لقد شهرت بالمجد منك شمائل * محاسنها أزكى وأعدل شاهد
وكل الذى يبدو من الفضل بعض ما * حبيت به أعظم بها من مشاهد
اذا أملت منك المكارم الفيت * تنادى هلموا فزتم بالمساعد
عطاؤكم جزل فمن أمل الغنى * فمنكم يغنى فياسعد قاصد
وراثة مجد كابرا بعد كابر * وأصل زكى الفرع عذب الموارد

وتوفى المذكور بالطاعون عام خمسين وسبعمائة وفى حقه يقول فى الاكليل مشمر فى الطلب عن ساق مثابر على اللحاق بدرجات الحذاق منتحل للعربية حادق احصاء خلافها ومعاطاة سلافها وربما شرست فى المذاكرة أخلاقه اذا بهرجت أعلاقه ونوزع تمسكه بالحجة واعتلاقه * وقال لسان الدين فى ترجمة شعر المذكور انه ضعيف مهزول انتهى * ومما خوطب به قول أبى الحجاج يوسف بن موسى الجذامى المنتشافرى من أهل رندة ونصه

حباك فؤادى نيل بشرى وأحياكا * وحيدنا آداب نفائس حياكا
بدائع أبداها بديع زمانه * فطاب بها ياعاطر الروض رياكا
أمهديها أودعت قلبى علاقة * وان لم يزل مغرى قديما بعلياكا
اذا ما أشار العصر نحو فريده * فاياك يعنى بالاشارة اياكا
لاتخفى لقياك أسنى مؤملى * وهل تحفة فى الدهر الا بلقياكا
واعقبت اتحاف فرائدك التى * وجوب ثناها بالسانى أعياكا

ووصل هذا النظم بنثر صورته خصصتنى أيها المخصوص بمآثر أعيا عدها وحصرها ومكارم طيب أرواح الازاهر عطرها وساوت الركبان بثنائها وشملت الخواطر محبة علائها بفرائدك الانيقه وفوائدك المزرية جالاعلى أزهار الحديقه ومعارفك التى زكت حقا وحقيقة وهدت الضال عن سبيل الادب مهيعه وطريقه وسبق تحفك أعلى التحف عندى وهو مأمول لقائك والتمتع بالتماح سناك الباهر وسنائك على حين امتدت لذلكم اللقاء أشواقى وعظم من فوت استنارتى بنور محياك اشفاقى وتردد لمعى عما يلغى من معاليك ومعانيك وماشاده فكرك الوقاد من مبانيك وما أهلت به بلاغتك من دارسه وما أضفيت على الزمان من رائق ملابسه وماجمعت من أشتاته وأحييت من امواته وايقظت من سناته وماجادبه الزمان من حسناته فلتردادهذه المحاسن من أبنائك وتصرف الالسنة

بثنائك

وقتل عبدالله بن الزبير ثم كانت سنة أربع وسبعين حج بالناس الحجاج بن يوسف ثم كانت سنة خمس وسبعين حج بالناس عبد الملك بن مروان ثم كانت سنة ست وسبعين حج بالناس الى سنة ثمانين أبان بن عثمان ابن عفان ثم كانت سنة احدى وثمانين حج بالناس سليمان بن عبد الملك بن مروان ثم كانت سنة اثنتين وثمانين حج بالناس أبان بن عثمان بن عفان ثم كانت سنة ثلاث وثمانين حج بالناس الى سنة خمس وثمانين هشام بن اسمعيل ابن هشام بن الوليد بن مغيرة المخزومى ثم كانت سنة ست وثمانين حج بالناس العباس ابن الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة سبع وثمانين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ابن مروان ثم كانت سنة ثمان وثمانين حج بالناس الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة تسع وثمانين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة تسعين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة احدى وتسعين حج بالناس الوليد ابن عبد الملك ثم كانت سنة اثنتين وتسعين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة ثلاث وتسعين حج بالناس عثمان بن الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة

بثنائك علقت النفس من هواها باشد علاقه وجنحت الى لقائك بجنوح والمه مشتاقه والحوادث الجارية تصرفها والعوائق الحادثة كلما عطفت امالها اليه لا تصفها به ولا تعطفها الى ان ساعد الوقت وأسعد البخت بلقائكم فى هذه السفرة الجهاديه وجاد اسعاف الاسعاد من امنيتى باسنى هديه فلقيتكم لقيا خجل ولمحت انوار كم لمحة على وجل ومحبتى فى محاسنكم الرائقة ومعاليكم الفائقه على ما يعلمه ربنا عز وجل وتذكرت عند لقائكم المامول انشاء قائل يقول

كانت مسائلة الركبان تخبر عن * محمد بن خطيب اطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت * اذنى باحسن مما قد راى بصرى

قسم لعمرى اقوله اعتقده واعتده واعتمده فلقد بهرت منك المحاسن وفقت من يحاسن وقصر عن شاوك كل بليغ لسن وسبقت فطنتك النارية النورية بلاغة كل فطن وشهد لك الزمان انك وحيده ورئيس عصبته الادبية وفريده فبورك لك فيما انلت من الفضائل واوتيت من آيات المعارف التى بها نور الغزالة ضائل ولا زلت ترقى فى مراتب المعالى موقى صروف الايام والليالى انتهى وهذا الخطاب جواب من المذكور لكلام خاطبه به لسان الدين نصه

جمدت على فرط المشقة رحلة * أتاحت لعينى اجتلاء محياكا
وقد كنت بالتذكار فى البعد قانعا * وبالريح ان هبت بعاطر رياكا
فلات لى النعمى بما أنعمت به * على محياها الاله وحياكا

أيها الصدر الذى بمخاطبته يباهى ويتشرف والعلم الذى بالاضافة اليه يتعرف والروض الذى لم يزل على البعد بازهاره الغضة يتحف دمت تتزاحم على موارد ثنائك الالسن ويروى الرواة من أنبائك ما يصح ويحسن طالما مالت اليك النفوس مناوجنحت وزجرت الطائر الميمون من رفاعك كلما سنحت فالآن اتضح البيان وصدق الاثر العيان ولقد كنا الاقام بهذه الرحال نرمض ويجن الظلام فلا نغمض هذا يقلقه اصفار كيسه وهذا يتوجع لبعد أنيسه وهذا تروعه الاهوال وتضجره بتقلباتها الاحوال فن أنه لا تنفع وشكوى الى الله تعالى ترفع فلما ورد بقدومك البشير وأشار الى ثنية طلوعك المشير تشوفت النفوس الصدية الى جلائها وصقالها والعقول الى حل عقالها والانفس المفحمة الى فصل مقالها ثم ان الدهر راجع التفاته واستدرك ما فاته فلم يسمع من لقائك الا بلمحه ولا بعث من نسيم روضك بغير نفحه فما زاد أن هيج الاشواق فانتهبت وشن غاراتها على الجوانح فانتهبت وأعل القلوب وأمرضها ورمى ثغرة الصبر فاصاب غرضها فان رأيت أن تنفس من نفس شد الشوق مخنقها وكدر مشارب أنسها وأذهب رونقها وتتحف من آدابك بدرر تقتنى وروضة طيبة الجنى فليست ببدع فى شيمك ولا شاذة فى باب كرمك ولولا شاغل لا يبرح وعوائق أكثرها لا يشرح لنافست هذه المساعة فى القدوم عليك والمثول بين يديك فشوقى الى اجتلاء أنوارك شديد وتشيعى الى ابلاء الزمان جديد انتهى *(ووصف لسان الدين فى التاج المحلى أبا الحجاج المذكور بما صورته)* حسنة الدهر الكثير العيوب

أربع وتسعين حج بالناس مسلمة بن عبد الملك ثم كانت سنة خمس وتسعين حج بالناس الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة ست وتسعين حج بالناس أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ثم كانت سنة سبع وتسعين حج بالناس سليمان بن عبد الملك ثم كانت سنة ثمان وتسعين حج بالناس عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن العاص ابن أمية ثم كانت سنة تسع وتسعين حج بالناس أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ثم كانت سنة مائة حج بالناس أبو بكر أيضا ثم كانت سنة احدى ومائة حج بالناس عبد العزيز بن عبد الله أمير مكة ثم كانت سنة اثنتين ومائة حج بالناس عبد الرحمن ابن الضحاك الفهرى ثم كانت سنة ثلاث ومائة حج بالناس عبد الله بن كعب ابن عمير بن سبع بن عوف ابن نضر بن معاوية النضرى ثم كانت سنة أربع ومائة حج فيها أيضا ثم كانت سنة خمس ومائة حج بالناس ابراهيم بن هشام بن اسمعيل المخزومى ثم كانت سنة ست ومائة حج بالناس هشام بن عبد الملك ثم كانت سنة سبع ومائة حج بالناس ابراهيم بن هشام المخزومى الى سنة اثنتى عشرة ومائة ثم كانت سنة ثلاث عشرة ومائة حج بالناس سليمان بن هشام بن عبد الملك ثم كانت سنة أربع عشرة ومائة حج بالناس خالد بن

وتوبة الزمان الجم الذنوب ماشئت من أدب يتألق وفضل تتعطر به النسمات وتختلق ونفس كريمة الشمائل والضرائب وقريحة يقذف بحرها بدرر الغرائب الى خشية الله تعالى تحول بين القلوب وقرارها وتثنى النفوس عن اغترارها ولسان يبوح باشواقه وجفن يسخو بدرر آماقه وحرص على لقاء كل ذى علم وأدب ومن يمت الى أهل الديانة والعبادة بسبب سبق بقطره الحلبه وفرع من الادب الهضبه ورفع الرايه وبلغ فى الاحسان الغايه فطارت قصائده كل المطار وتغنى بها راكب الفلك وحادى القطار وتقلد خطة القضاء ببلده وانتهت اليه رياسة الاحكام بين أهله وولده فوضحت المذاهب بفضل مذهبه وحسن مقصده وله شيمة فى الوفاء تعلم منها الاس ومؤانسة عذبة لاتستطيعها الا كؤس وقد أثبت من كلامه ماتحلى به مراتب المهارق ويحمل طيبه فوق المفارق وكنت أتشوق الى لقائه فلقيته بالمحلة من جبل الفتح لقيا لم تبل صدا ولا شفت كدا وتعذر بعد ذلك لقاؤه فخاطبته بهذه الرقعة * جدت على فرط المشقة رحلة * فذكر لسان الدين ماقدمناه الى آخره وقد أورد جملة من مطولاته وغيرها ومؤلفاته ولنلخص بعض ذلك فنقول * ومن شعر أبي الحجاج المذكور بمدح الجهة الكريمة النبويه مصدرا بالنسيب لبسط الخواطر النفسانية قوله

لما تناهى الصب فى تشويقه * درر الدموع اعتاضها بعقيقه
متلهف وفؤاده متلهب * كيف البقا بعد احتدام حريقه
متموج بحر الدموع بخده * أنى خلاص يرتجى لغريقه
متجرع صاب النوى من هاجر * ما ان يحن للاعجاب مشوقه
يسبي الخواطر حسنه ببديعه * يصبي النفوس جماله بأنيقه
قيد النواظر اذ يلوح لرامق * لاتنثنى الاحداق عن تحديقه
للبدر لمحته كبدر ضيائه * للمسك نفحته كنشر فتيقه
سكرت خواطر لاحيه كأنهم * شربوا من الصهباء كأس رحيقه
عطشوا والثغر لاسبيل لريقه * الا كامعهم للمع بريقه
ماضر مولى عاشقوه عبيده * لو رق اشفاقا لحال رقيقه
عنه اصطبارى ما أنا بمطيعه * مثل السلو ولا أنا بمطيقه
سجع الحمام يشوق ترجيع الهوى * فأثار شجو مشوقه بمشوقه
وبكت هديلا راعها تفريقه * ويحق أن يبكى أخو تفريقه
وبكاؤها مثالى أحق لانني * لم أقض للمولى أكيد حقوقه
وغفلت فى زمن الشباب المنقضى * أقبح بنسخ بروره بعقوقه
وبدا المشيب وفيه زجر ذوى النهى * لو كنت مزدجرا الشيب بروقه
حسبى ندامة آسف مما جنى * يصل النشيج لزوره بشهيقه
ويرم ما خرم الهوى زمن الصبا * ويروم من مولاه رتق فتوقه
ويردد الشكوى لديه تذللا * عل الرضا يحبيه درك لحوقه
فيصح من سكر التصابى سكره * نصحا لحكم صبوحه وغبوقه

هشام بن اسمعيل بن الوليد ابن المغيرة ثم كانت سنة ست عشرة ومائة حج بالناس الوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو ولى عهده ثم كانت سنة سبع عشرة ومائة حج بالناس خالد بن عبد الملك ثم كانت سنة ثمان عشرة ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن اسمعيل ثم كانت سنة تسع عشرة ومائة حج بالناس مسلمة بن هشام بن عبد الملك أبو شاكر وقيل بل مسلمة بن عبد الملك ثم كانت سنة عشرين ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن اسمعيل ثم كانت سنة احدى وعشرين ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن اسمعيل الى سنة أربع وعشرين ومائة ثم كانت سنة خمس وعشرين ومائة حج بالناس يوسف ابن أخى الحجاج بن يوسف ثم كانت سنة ست وعشرين ومائة حج بالناس عمر بن عبد الله بن عبد الملك ثم كانت سنة سبع وعشرين ومائة حج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة ثمان وعشرين ومائة حج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة تسع وعشرين ومائة حج بالناس عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان

لو كنت يمت القاوصيته * وسلكت ايثارا سواه طريقه
لا فدت منه فوائدا وفرائدا * عرضت تسام لرائج في سوقه
لله أرباب القلوب فانهم * من حزب من نال الرضا وفريقه
قاموا وقد نام الانام فنورهم * هتك الدجى بضيائه وشروقه
وتانسوا بحبيبهم فلهم به * بشر لصدق الفضل في تحقيقه
قصرت عنهم عند ماسبقوا المدى * ولسابق فضل على مسبوقه
لولا رجاء تلمح من نورهم * يحيي الفؤاد بسيره وطروقه
وتأرج يستاف من أرواحهم * سبب انتعاش الروح طيب خلوقه
لعنيت من جرا جرائري التي * من خوفها قلبي حليف خفوقه
ومعي رجاء توسل أعددته * ذخرا لصدمات الزمان وضيقه
حبي ومدحي احمد الهادي الذي * فوز الانام يصح في تصديقه
أسمى الورى في منصب ومنسب * من هاشم زاكي النجار عريقه
الحق أظهره عقيب خفائه * والدين نظمه لدى تفريقه
ونفى هداه ضلالة من جائر * مستوثق يغشونه ويعوقه
سبحان مرسله الينا رحمة * يهدي ويهدي الفضل من توثيقه
والمعجزات بدت بصدق رسوله * وحقيقه بالمأثرات خليقه
كالظبي في تكليمه والجذع في * تحننه والبدر في تشقيقه
والنار اذ خمدت بنور ولادة * وأجاج ماء قد حلا من ريقه
والزاد قل فزاد من بركاته * فكفى الجيوش بتمره وسويقه
ونبوع ماء الكف من آياته * وسلام أحجار بدت بطريقه
والنخل لما أن دعاه مشى له * ذا سرعة بعذوقه وعروقه
والارض عاينها وقد زويت له * فقريب ما فيها رأى كسحيقه
وكذا ذراع الشاة قد نطقت له * نطق اللسان فصيحه وذليقه
ورمى عداه بكف حصبا فانثنت * هربا كذعر الجفان فروقه
وعليه آيات الكتاب تنزلت * تتلى بعلو جنابه وبسوقه
وأذيق من كاس المحبة صرفها * سبحان ساقيها ومذيقه
جاز السناء والبحر وجهه * جاز السماء طباقها بخروقه
ولكم له من آية من ربه * وعناية ورعاية بحقوقه
ياخيرة الارسال عند الهه * يامحرز العليا على مخلوقه
علقت آمالي بجاهك عدة * والقصد ليس يخيب في تعليقه
وعلقت من حبل اعتمادي عدة * لتمسكي بقويه ووثيقه
ولئن غدوت أخيذ ذنبي انني * أرجو بقصدك أن أرى كطليقه
وكسادسوقي مذ مجات لبابكم * يقضي حصول نفوذه ونفوقه

وكان أبو حمزة المختار بن عوف الخارجي من الازد داعية المعروف بطالب الحق قد وقف وخرج تلك السنة فكلمه الناس حتى نزل عبد الواحد يصلي بالناس ويخرج الى منزله ثم كانت سنة ثلاثين ومائة حج بالناس محمد بن عبد الملك بن مروان ثم كانت سنة احدى وثلاثين ومائة حج بالناس عروة بن محمد بن عطية السعدي بكتاب افتعله على لسان عمه عبد الملك بن محمد وهو والي الحجاز واليمن لمروان ابن محمد (قال المسعودي) فهذا آخر ما حج بنو أمية ثم كانت سنة اثنتين وثلاثين ومائة حج بالناس داود بن علي بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب ثم كانت سنة ثلاث وثلاثين ومائة حج بالناس زياد بن عبد الله الحارثي ثم كانت سنة أربع وثلاثين ومائة حج بالناس عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة خمس وثلاثين ومائة حج بالناس سليمان بن علي بن عبد الله ابن عباس ثم كانت سنة ست وثلاثين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور وفيها بويع لابي جعفر المنصور ثم كانت سنة سبع وثلاثين ومائة حج بالناس اسمعيل بن علي بن عبد الله ابن العباس ثم كانت سنة ثمان وثلاثين ومائة حج بالناس الفضل بن صالح بن علي ثم كانت سنة تسع

وثلاثين ومائة حج بالناس العباس بن محمد بن علي ثم كانت سنة أربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور

و يحن قلبي وهو في تغريبه * لمزاره لربالك في تشريقه
وتزيدلوعته مني حث السرى * حادحدا بجماله و بنوقه
وأرى تشيب العمر أمسي باليا * ومرور دهري جد في تمزيقه
وأخاف أن أقضي ولم أقض المنى * بنفوذ سهم منيتي ومروقه
فتى أحط على اللوى رحلي وقد * بلغت ركابي للعمى وعقيقه
وأمرغ الخدين في ترب غدا * كالمسك في أرج شذا منشوقه
وأعيد انشائي وانشادي الثنا * ببديع نظم قريحتي ورقيقه
حتى أميل العاشقين تطربا * كالغصن مترصبا على معشوقه
وتحية التسليم أبلغ شافع * وثنا المديح حديثه وعتيقه
ولذى الفخار وذي الحلى ووزيره * صديقه وأخي الهدى فاروقه
مني السلام عليهم كالزهر في * تأليفها والزهر في تأنيقه

وقال

هوا لم يقلبي مالا حكامه نسخ * ومن أجله جفني بمدمعه يسخو
ومن نشاتي مالان صحت منه نشوتي * سواء به عصر المشيب أو الشرخ
عليه حياتي مذ تمادت وميتتي * وبعثي اذا بالصور ينفق النفخ
ولي خلد أضحى يبيض غرامه * فلا شرك يدني اليه ولا فخ
قتلت سلوى حين أحييت لوعتي * وما الجنح بالاقرار في حالتي لطخ
وأغدو الى سعدي بكرخ علاقتي * وقصدي قصدي ليس سعدي ولا الكرخ
وناصح كتمي اذ كتب بنانه * يجول عليه من دموع الاسى نضخ
وأرجو بتحقيقي أهوا كم بان أفي * فعهد ولا نقض وعقد ولا فسخ
وما الحب الا ما استقل ثبوته * لمبناه رص في الجوانح أو رسخ
اذا مسالك لم يستقم بطريقه * سلكت اعتدالا مثل ما يسلك الرخ
بدا لضميري من سنا كم تلمح * فبح لعقل لم يطرعنده بخ
على عود ذاك الالح مازلت نادبا * كما تندب الورقاء فارقها الفرخ
يدي بأياديكم وقلبي شاغل * فمن فكرتي نسج ومن أنملي نسخ

وقال

السك تحن النجب والعيس * فهم وهي في أشواقهم شركاء
تخب بركاب تحب وصولها * لارض بها بادسني وسناء
فانفاسها ما ان تني صعداؤها * وأنفسهم من فوقها سعداء
هم وعالجوا اذ عجل السير داءهم * وأشباه مثلي مدنفون بطاء
قعدت ودوني للحبيب ترحلوا * وما قاعد والراحلون سواء
له وعليه حب قلبي وأدمعي * وقد صح لي حب وسح بكاء
بطيبة هل أرضي وتبدو سماؤها * وان تك أرضا فالحبيب سماء
شذا نفحها والج منها كأنه * ذكاء عبير والضياء ذكاء
فيا حاديا يغني وللركب حاديا * عناني بعد البعد عنك عناء

ثم كانت سنة احدى وأربعين ومائة حج بالناس صالح بن علي ثم كانت سنة اثنتين وأربعين ومائة حج بالناس اسمعيل بن علي ثم كانت سنة ثلاث وأربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ثم كانت سنة أربع وأربعين ومائة حج بالناس

٣

ثم كانت سنة خمس وأربعين ومائة حج بالناس السري بن عبد الله بن الحرث بن العباس بن عبد المطلب ثم كانت سنة ست وأربعين ومائة حج بالناس عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس ثم كانت سنة سبع وأربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور وقيل محمد بن ابراهيم الامام وقتل في سنة ثمان ثم كانت سنة تسع وأربعين ومائة حج بالناس عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن علي ثم كانت سنة خمسين ومائة حج بالناس عبد الصمد بن علي ثم كانت سنة احدى وخمسين ومائة حج بالناس محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي ثم كانت سنة اثنتين وخمسين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ثم كانت سنة ثلاث وخمسين ومائة حج بالناس المهدي محمد بن عبد الله بن محمد بن علي ثم كانت سنة أربع وخمسين ومائة حج بالناس

بلغ فسل عما أقاسي من الهوى * وسل بقباء اذ يلوح قباه
وفي عالج مني بقلبي لاعج * فهل لي علاج عنده وشفاه
وفي الرقتين أرقم الشوق لادغ * ودرياقه أن لو يباح لقاه
أما كن تمكين وأرض بها الرضا * وأرجاه فيها للمشوق رجاه

وقال
أدب الفتى في أن يرى متيقظا * لأوامر من ربه ونواهي
فاذا تمسك بالهوى يهوى به * والحبل منه لمن تيقن واهي

وقال
يامن بدنياه ظل في لجج * حقق بان النجاة في الشاطي
تطمع في أن تنال الفلاح وقد * أضعت ما قبله من اشراط
كن حذرا في الذي طمعت به * من جب نقص وجب اسقاط

وقال
ترى شعروا أني غبطت نسيمة * ذكت بتلاق الروض غب الغمائم
كما قابلت زهر الرياض وقبلت * ثغورا أقاحيه بلا لوم لائم

وقال
ورد المشيب مبيضا بوروده * ما كان من شعر الشبيبة حالكا
ياليته لو كان بيض بالتقى * ما سودته ماثم من حالكا
ان المشيب غدا رداء للردى * فاذا علاك أجد في ترحالكا

وقال
لوعة الحب في فؤادي تعاصت * أن تداوى ولو أتى الفراق
كيف يبرا من علة وعليها * زائد علة النوى والفراق
فانسكاب الدموع جار بجار * والتهاب الضلوع راق فراق

* (ومن غرائب الاتفاق) أنه قال كنت جالسا بين يدي الخطيب أبي القاسم التاكروني صبيحة يوم بعد مجلس فقال لنا في أثناء حديثه رأيت البارحة في عالم النوم كأن أبا عبد الله الجلياني يأتيني ببيتي شعر في يده وهما

كل علم يكون للمرء شغلا * بسوى الحق قادح في رشاده
فاذا كان فيه لله حظ * فهو مما يعده لمعاده

قال فلم ينفصل المجلس حتى دخل علينا الفقيه الاديب أبو عبد الله الجلياني والبيتان معه فعرضهما على الشيخ فأخبره أنه صنعهما البارحة فقال له كل من في المجلس أخبرنا بهما الشيخ قبل مجيئك فكان هذا من العجائب * ولابي الحجاج المذكور تآليف منها كتاب ملاذ المستعين في بعض خصائص سيد المرسلين أربعون حديثا وكتاب تخصيص القرب وتحصيل الارب وقبول الرأي الرشيد في تخميس الوتريات النبويه لابن رشيد وانتشاق النسمات النجديه واتساق النزعات الجديه وغرر الاماني المسفرات في نظم المكفرات والنفحات الرنديه واللمعات الزنديه مجموع شعره وحقائق بركات المنام في مرأى المصطفى خير الانام والاستشفاء بالعده والاستشفاع بالعمده في تخميس البرده وتوجع الراثي في تنوع المراثي واعتلاق السائل بافضل الوسائل ولمح البهيج ونفح الاريج في ترجيز كلام الشيخ أبي مدين من عبارات حكميه واشارات صوفيه وكتاب تجريد رؤس مسائل البيان والتحصيل لتيسير البلوغ لمطالعتها والتوصيل وفهرسة روايته

محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي ثم كانت سنة خمس وخمسين ومائة حج
بالناس عبد الصمد بن
علي ثم كانت سنة ست
وخمسين ومائة حج بالناس
العباس بن محمد بن علي ثم
كانت سنة سبع وخمسين
ومائة حج بالناس ابراهيم
ابن يحيى بن محمد بن علي ثم
كانت سنة ثمان وخمسين
ومائة حج بالناس ابراهيم
ابن يحيى أيضا ثم كانت
سنة تسع وخمسين ومائة
حج بالناس يزيد بن منصور
ابن عبد الله بن شهر بن
يزيد بن مثوب الحميري ثم
كانت سنة ستين ومائة
حج بالناس الهادي بن
موسى بن المهدي وهو ولي
عهد ثم كانت سنة اثنتين
وستين ومائة حج بالناس
ابراهيم بن جعفر بن أبي
جعفر ثم كانت سنة ثلاث
وستين ومائة حج بالناس
علي بن المهدي ثم كانت
سنة أربع وستين
ومائة حج بالناس صالح بن
أبي جعفر ثم كانت سنة
خمس وستين ومائة حج
بالناس صالح أيضا ثم
كانت سنة ست وستين
ومائة حج بالناس محمد بن
ابراهيم بن محمد بن علي ثم
كانت سنة سبع وستين
ومائة حج بالناس ابراهيم
ابن يحيى بن محمد بن علي ثم
كانت سنة ثمان وستين ومائة حج بالناس علي بن محمد المهدي ثم كانت سنة تسع وستين ومائة حج

و وجدت ذكر مشايخ أبي عمر الطنجي وكتاب أرج الارجاء في مزج الخوف والرجاء أربعون حديثا في الرجاء والخوف وكان رحمه الله تعالى حيا حين ألف لسان الدين الاحاطة رحم الله تعالى الجميع * ورأيت على ظهر أول ورقة من الريحانة بخط الامام الكبير الشهير الشيخ ابراهيم الباعوني الدمشقي رحمه الله تعالى مانصه قال كاتبه ابراهيم بن أحمد الباعوني غفر الله ذنوبه وستر عيوبه وبلغه من فضله مطلوبه صاحب كتاب الريحانة آية من آيات الله سبحانه لوجه أدبه طلاقه وللسانه ذلاقه وللقلوب به علاقه وفي خطه غلاقه يعرفها من عرف اصطلاحه ومقالته و ينفتح له باب فهمها بتكرير مراجعته فليتأمل الناظر اليه والمقبل عليه مافيه من الجواهر والنجوم الزواهر بل الآيات البواهر وليسبح الله تعالى تعجبا من قدرته جل وعلا ومواهبه التي عذب ماؤها النمير وحلا وليقل عند تأمل دره النظيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم اه وقوله رحمه الله تعالى وفي خطه غلاقه ليس المراد به الاصعوبة الخط المغربي على أهل المشرق حسبما يعلم مما بعده والا فان خط لسان الدين رحمه الله تعالى محمود عند المغاربة ولنقتصر من هذا الغرض على ماذكر فان تتبعه يطول اذهو بحر لاساحل له *وكان لسان الدين رحمه الله تعالى موثر القضاء حاجة من أمله وقصد بابه وأمله سواء كان من أوداثه أو من أعدائه وقد ذكر الوزير الرئيس الكاتب أبو يحيى بن عاصم رحمه الله تعالى عنه في ذلك حكاية في أثناء كلام رأيت أن أذكر جملته لما اشتمل عليه من الفائدة وهو أنه ذكر في ترجمة شموس العصر من ملوك بني نصر من كتابه المسمى بالروض الاريض في اسم السلطان الذي كان ابن الخطيب وزيره وهو الغني بالله محمد بن يوسف بن اسمعيل بن فرج بن نصر الخزرجي بعد كلام ما صورته كان قد جرى عليه التمحيص الذي أزعجه عن وطنه الى الدار البيضاء بالمغرب من ايالة بني مرين فأفادته الحنكة والتجربة هذه السيرة التي وقف شيوخنا على حقيقتها وانتهجوا واضح طريقتها وبلغتنا منقولة بألسنة صدقهم معبرا عنها في عرف التخاطب بالعادة فلم يكن الوزير الكيس والرئيس الجهبذ يجريان من الاستقامة على قانون ولا يطردان من الصواب على أسلوب الا بالمحافظة على مارسم من القواعد والمطابقة لما ثبت من العوائد وكان ذوو النبل من هذه الطبقة وأولو الحذق من أرباب هذه المهن السياسية يتعجبون من صحة اختياره لمارسم وجودة تمييزه لما قصد ويرون المفسدة في الخروج عنها ضربة لازب وان الاستمرار على مراسمها آكد واجب فيتحرونها بالالتزام كما تتحرى السنن ويتوخونها بالاقامة كما تتوخى الفرائض وسواء تبادر لهم معناها ففهموه أو خفي عليهم وجه رسمها فجهلوه حدثني شيخنا القاضي أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الحسني أن الرئيس أبا عبد الله بن زمرك دخل على الشيخ ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب بستة أذنه في جملة مسائل مما يتوقف عادة على اذن الوزير وكان معظمها فيما يرجع الى مصلحة الرئيس أبي عبد الله بن زمرك قال الشريف فأمضاها كلها الا ماعدا واحدة منها تضمنت نقض عادة مستمرة فقال له ذو الوزارتين ابن الخطيب لا والله يارئيس أبا عبد الله لا آذن في هذا لانا ما استقمنا في هذه الدار الا بحفظ العوائد ثم قال صاحب الروض فلما تأذن الله تعالى للدولة

بالناس سليمان بن أبي جعفر المنصور ثم كانت سنة سبعين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة احدى وسبعين ومائة حج بالناس عبد الصمد بن علي ثم كانت سنة اثنتين وسبعين ومائة حج بالناس ٣ ثم كانت سنة ثلاث وسبعين ومائة حج بالناس هرون الرشيد خرج محرما من عسكره الى مكة ثم كانت سنة أربع وسبعين ومائة حج بالناس هرون الرشيد الى سنة تسع وسبعين ومائة ثم كانت سنة ثمانين ومائة حج بالناس موسى بن عيسى ابن موسى بن محمد بن علي ثم كانت سنة احدى وثمانين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة اثنتين وثمانين ومائة حج بالناس موسى بن عيسى ثم كانت سنة ثلاث وثمانين ومائة حج بالناس العباس بن محمد المهدي ثم كانت سنة أربع وثمانين ومائة حج بالناس ابراهيم ابن المهدي ثم كانت سنة خمس وثمانين ومائة حج بالناس منصور بن المهدي ثم كانت سنة ست وثمانين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة سبع وثمانين ومائة حج بالناس عبد الله بن العباس بن علي وقيل منصور بن المهدي ثم كانت سنة ثمان وثمانين ومائة حج بالناس

بالاضطراب

بالاضطراب واستحكم الوهن بتمكن الاسباب عدل عن تلك القواعد الراسخة واستخف بتلك القوانين الثابتة فنشأ من المفاسد ما أعوز رفعه وتعدد وتره وشفعه واستحكم ضرره حتى لم يمكن دفعه وتعذر الدواء الذي يرجى نفعه وكان قد صحبه من الجد ما سنى آماله وأنجح باذن الله تعالى أقواله وأفعاله فكان يجرى الامر على رسم من السياسة واضح ونظر من الآراء السديدة راجح ثم يحفه من الجد سياج لا يفارقه الى تمام الغاية المطلوبة من حصوله وتمكن مقتضى الارادة السلطانية من فروعه وأصوله انتهى كلام ابن عاصم * واذ جرى ذكره فلا بأس أن نلم بشئ من أحواله لان أهل الاندلس كانوا يسمونه ابن الخطيب الثانى فنقول هو الامام العلامة الوزير الرئيس الكاتب الجليل البليغ الخطيب الجامع الكامل الشاعر المفلق الناثر الحجة خاتمة رؤساء الاندلس بالاستحقاق ومالك خدم البراعة بالاسترقاق أبو يحيى محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عاصم القيسى الاندلسى الغرناطى قاضى الجماعة بها كان رحمه الله تعالى من أكابر فقهائها وعلمائها ورؤسائها أخذ عن الامام المحقق أبى الحسن بن سمعت والامام القاضى أبى القاسم بن سراج والشيخ الراوية أبى عبد الله المنتورى والامام أبى عبد الله البيانى وغيرهم ومن تآليفه شرح تحفة والده وذكر فيه أنه ولى القضاء سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ومنها كتاب جنة الرضا فى التسليم لما قدر الله تعالى وقضى وكتاب الروض الاريض فى تراجم ذوى السيوف والاقلام والقريض كانه ذيل به احاطة لسان الدين بن الخطيب وله غير ذلك وقد أطلت الكلام فى ترجمته من كتابى أزهار الرياض فى أخبار عياض ومايناسبها مما يحصل للنفس به ارتياح وللعقل ارتياض ووصفه ابن فرج السبتى بانه الاستاذ العلم الصدر المفتى القاضى رئيس الكتاب ومعدن السماحة ومنبع الآداب انتهى وقد تقدم بعض كلامه فيما مر ومن بديع نثره الذى يسلك به نهج ابن الخطيب رحمه الله تعالى قوله من كلام جلبت جملته فى أزهار الرياض واقتصرت هنا على قوله بعد الحمدلة الطويلة ما صورته أما بعد فان الله على كل شئ قدير وانه بعباده لخبير بصير وهو لمن أهل نيته وأخلص طويته نعم المولى ونعم النصير بيده الرفع والخفض والبسط والقبض والرشد والغى والنشر والطى والمنح والمنع والضر والنفع والبطء والعجل والرزق والاجل والمسرة والمساءة والاحسان والاساءة والادراك والفوت والحياة والموت اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وهو الفاعل على الحقيقة وتعالى الله عما يقول الآفكون وهو الكفيل بان يظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون وان فى أحوال الوقت الداهية لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وعبرة لمن يفهم قوله تعالى ان الله يفعل ما يشاء وان الله يحكم ما يريد بينما الدسوت عامره والولاة آمره والفئة مجموعه والدعوة مسموعه والاجوبة سمعا وطاعه واذا بالنعمة قد كفرت والذمة قد خفرت الى أن قال والسعيد من اتعظ بغيره ولا يزيد المؤمن عمره الاخيرا جعلنا الله تعالى ممن قضى عمره بخيره وبينما الفرقة حاصله والقطيعة فاصله والمضرة واصله والحبل فى انبتات والوطن فى شتات والخلاف يمنع رعى متات والقلوب شتى من قوم أشتات والطاغية يتمطى لقصم الوطن

بن عيسى بن محمد بن على ثم كانت سنة تسعين ومائة حج بالناس على بن الرشيد ثم كانت سنة احدى وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن عبيد الله بن جعفر بن أبى جعفر المنصور ثم كانت سنة اثنتين وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن عبيد الله أيضا ثم كانت سنة ثلاث وتسعين ومائة حج بالناس داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على ثم كانت سنة أربع وتسعين ومائة حج بالناس على بن الرشيد ثم كانت سنة خمس وتسعين ومائة حج بالناس داود بن عيسى بن موسى ثم كانت سنة ست وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن موسى الى ثمان وتسعين ثم كانت سنة تسع وتسعين ومائة حج بالناس محمد بن داود ابن عيسى بن محمد بن على ووثب ابن الافطس العلوى بمكة فقبض عليها فتنحى محمد بن داود ولم يمض الى عرفة وخرج الناس فوقفوا بغير امام فلما كانوا بالمزدلفة طلع عليهم ابن الافطس فقام لهم باقى حجهم ثم كانت سنة مائتين حج بالناس المعتصم بن اسحق ثم كانت سنة احدى ومائتين حج بالناس اسحق بن موسى بن عيسى بن موسى بن

وقصمه ويلحظه لحظ الخائف على هضمه والا آخذ بكظمه ويتوقع الحسرة أن يأذن الله بجمع شمله ونظمه على رغم الشيطان ورغمه واذا القلوب قد ائتلفت والمتنافرة قد اجتمعت بعدما اختلفت والافئدة بالالفة قد اقتربت الى الله تعالى وازدلفت والمتضرعة الى الله تعالى قد ابتهلت في اصلاح الحالة التي سلفت فالقت الحرب أوزارها وأذنت الفرقة النافرة مزارها وجلت الالفة الدينية أنوارها وأوضحت العصمة الشرعية آثارها ورفعت الوحشة الناشبة أظفارها اعذارها وأوضت الخلافة الغلابية أنصارها وغضت الفئة المتعرضة أبصارها وأصلح الله تعالى أسرارها فجمعت الاوطان بالطاعه والتزمت نصيحة الدين باقصى الاستطاعه وتسابقت الى لزوم السنة والجماعه وألقت الى الامامة الغلابية يد التسليم والضراعه فتقبلت فيا آتهم وأحمدت جيا آتهم وأسعدت آمالهم وارتضيت أعمالهم وكملت مطالبهم وتممت مآربهم وقضيت حاجاتهم واستمعت مناجاتهم وألسنتهم بالدعاء قد انطلقت ووجهتهم في الخلوص قد صدقت وقلوبهم على جمع الكلمة قد اتفقت وأكفهم بهذه الامامة الغلابية قد اعتلقت وكانت الادالة في الوقت على عدو الدين قد ظهرت وبرقت الى أن قال وكفت القدرة القاهره والعزة الباهره من عدوان الطاغية غوائل باعزاز دين الله الموعود بظهوره على الدين كله فواتح وأوائل ومعلوم بالضرورة أن الله تعالى لطيف بعباده حسبما شهد بذلك برهان الوجود وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها دليلا على ما سوغ من الكرم والجود انتهى المقصود منه وهو كلام بليغ ومن أراد جملته فعليه بأزهار الرياض * ومن نظم ابن عاصم المذكور قوله مخاطبا شيخه قاضي الجماعة أبا القاسم بن سراج وقد طلب الاجتماع به زمن فتنة فظن انه يستخبره عن سر من أسرار السلطان فاعده معتذرا ولم يصدق الظن

فديتك لا تسأل عن السر كاتبا * فتلقاه في حال من الرشد عاطل

وتضطره اما لحالة خائن * أمانته أو خائض في الاباطل

فلا فرق عندي بين قاض وكاتب * وشى ذا بسر أو قضى ذا بباطل

ومن بديع ما نظم في مدح الرئيس أبي يحيى بن عاصم المذكور قول العلامة ابن الازرق رحمه الله تعالى

خضعت لمعطفه الغصون الميس * ورنا فهام بمقلتيه النرجس

ذو مبسم زهر الربا في كسبه * متنافس عن طيبه متنفس

ومورد من ورده أوتاره * يتنعم القلب العميد وييأس

فالورد فيه من دموعي يرتوى * والنار فيه من ضلوعي تقبس

كملت محاسنه فقد تناضر * ولواحظ نجل وثغر ألعس

صعب التعطف بالغرام حبيته * فالحب يحيي والتعطف يحبس

غرس التشوق ثم أغرى الوجد بي * فالوجد يغرى والتشوق يغرس

ما كنت أشقى لو حللت بجنة * من وصله تحيا لديها الانفس

الحائه ورضابه وعذاره * حورتها او كوثر أو سندس

وليال

محمد بن علي ثم كانت سنة اثنتين ومائتين حج بالناس ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم وهو أول طالبي أقام للناس الحج في الاسلام على انه أقام متغلبا عليه لا مولى من قبل خليفة وكان ممن سعى في الارض بالفساد وقتل أصحاب ابراهيم بن عبيد الله الحجبي وغيره في المسجد الحرام ويزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي وغيره من أهل العبادة ثم كانت سنة ثلاث ومائتين حج بالناس سليمان ابن عبد الله بن جعفر بن سليمان بن علي ثم كانت سنة أربع ومائتين حج بالناس عبيد الله بن الحسن ابن عبيد الله ثم كانت سنة خمس ومائتين حج بالناس عبيد الله بن الحسن أيضا ثم كانت سنة ست وسبع ومائتين حج بالناس أبو عيسى بن الرشيد ثم كانت سنة ثمان ومائتين حج بالناس صالح بن الرشيد ومعه زبيدة الى سنة عشر ومائتين ثم كانت سنة احدى عشرة ومائتين حج بالناس اسحق بن العباس ابن محمد بن علي ثم كانت سنة اثنتي عشرة ومائتين حج بالناس المأمون ثم كانت سنة ثلاث عشرة ومائتين حج بالناس أحمد بن العباس ثم كانت سنة أربع عشرة ومائتين حج بالناس عبيد الله بن عبد الله ثم كانت سنة خمس

وليال أنس قد أمنت بهن من * واش ينم ومن رقيب يحرس
أطلعت شمس الراح فيها فاهتدى * عاش الينا فى الدجى ومغلس
صفراء كالعقيان فى الالوان للندمان كالشهبان منها كؤس
صبت شقيقا فاستحالت نرجسا * فى مزجها فورد وورس
وحبابها يغنى باسنى جوهر * أنفى لغم المعدمين وأنفس
يجلى بها للغم منها حندسا * قرعليه من الذؤابة حندس
حتى اذا عمشت مراة البدر من * صبح بدا تلقاه اذ يتنفس
ناديته وسنى الصباح محصحص * ينجاب عنه من الظلام معسعس
يامطلع الانوار زهرا يجتنى * ومشعشع الصهباء نارا تلمس
بك مجلس الانس اطمأن وبابن عا * عاصم اطمان من الرياسة مجلس
بدر بانوار الهدى متطلع * غيث باشتات الندى متبجس
حامى فلم نوتج لخطب يعترى * ووفى فلم نخفل بدهر يحس
شيم مهذبة وعلم راسخ * ومكارم هتن ومجد أقعس
لو كان شخصا اذكره ابدا على * اعطافه من كل حمد ملبس
ذاكم أبو يحيى به تحمى العلا * وبه خلال الفخر طرّا تحرس
بيت على عمد الفخار مطنب * مجد على متن السماك مؤسس
خيم وعرس فى حماه فكم حوى * فيه المراد مخيم ومعرس
انا لنغدو هما فينيلنا * رياو يوحشنا النوى فيؤنس
حتى أقمنا والامانى منهضا * ت وابتسمنا والزمان معبس
لم ندر قبل يراعه وبنانه * ان الذوابل بالغمائم تبجس
هن اليراع بها يؤمن خائف * ويحاط مذعور ويغنى مفلس
مهما انبرت فهى السهام يرى لها * وقع لاغراض البيان مقرطس
يشفى بآمله الشكى المعترى * يحيى بآمنه الحمام المؤيس
فتقص حين تشق منها ألسن * وتسير حين تقط منها ارؤس
من كل وشاء باسرار النهى * درب باظهار السرائر يهجس
قد جمع الاضداد فى حركاته * فلذا اطرا د نجاره لا يعكس
عطشان ذو رى يبس مثمر * غضبان ذو صفح فصيح أخرس
لله من تلك اليراع جواذب * للمصر منك كانها المغنيطس
رضنا شماس القول فى أوصافها * فهى التى راضت لنا مايشمس
واليكها حللا تشابه نسجها * مثلى يفصلها ومثلك يلبس
واهنأ بعيد باسم متهلل * وافاك يجهر بالسرور ويهمس
واحبس لواء الفخر موقوفا فان الحمد موقوف عليك محبس
قلت وعندى الآن شك فى صاحب هذه القصيدة هل هو قاضى الجماعة بغرناطة محمد بن

عشرة وماتين حج بالناس عبدالله بن عبيد الله أيضا ثم كانت سنة ست

عشرة وماتين حج بالناس

٣
ثم كانت سنة سبع عشرة وماتين حج بالناس سليمان ابن عبدالله بن على ثم كانت سنة ثمان عشرة وماتين حج بالناس صالح بن العباس ابن محمد ثم كانت سنة تسع عشرة وماتين حج بالناس صالح بن العباس بن محمد ثم كانت سنة عشرين وماتين حج بالناس صالح ابن العباس أيضا ثم كانت سنة احدى وعشرين وماتين حج بالناس أيضا صالح بن العباس بن محمد ثم كانت سنة اثنتين وعشرين وماتين حج بالناس محمد ابن داود بن عيسى بن محمد ابن على بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب ثم كذلك الى سنة ست وعشرين وماتين ثم كانت سنة سبع وعشرين وماتين حج بالناس جعفر المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ثم كانت سنة ثمان وعشرين وماتين حج بالناس الى سنة خمس وثلاثين وماتين محمد بن داود بن عيسى ثم كانت سنة ست وثلاثين وماتين حج بالناس محمد المنتصر ومعه جدته شجاع ثم كانت سنة سبع وثلاثين وماتين حج بالناس على بن عيسى بن جعفر بن المنصور

ثم كانت سنة ثمان وثلاثين وماتين الى سنة احدى وأربعين وماتين حج بالناس عبدالله بن محمد بن

الازرق أو ابن الازرق الثاني القائل فيما يكتب على سيف

ان عمت الافق من نقع الوغى سحب * فشم بها بارقا من لمع ايماضي
وان نوت حركات النصر أرض عدا * فليس للفتح الا فعلي الماضي

والله سبحانه أعلم

(ومن انشاء الرئيس ابن عاصم المذكور) ما كتب به يخاطب الكاتب أبا القاسم بن طركاط وهو القضاء حفظ الله تعالى كمالك وأنجح آمالك اذا لم يحطه العدل من كلا جانبيه سبيل معوج ومذهب لا يوافق عليه مناظر ولا ينصره محتج كما انه اذا احاطه العدل جادة للنجاة وسبب في حصول رحمة الله تعالى المرتجاه وسوق النفاق بضاعة العبد المزجاه وأجل العدل ما تحلى به في نفسه الحكم وجرى على مقتضى ما شهدت به الآراء المشهورة والحكم حتى يكون عن البغي رادعا وبالقسط صادعا ولأنف الانفة من الاذعان للحق جادعا وأنت أحلك الله تعالى على سعة اطلاعك وشدة ساعد قيامك بالطريقة واضطلاعك ممن لا ينبه على ما ينبغي ولا يرد على طلبته من الانصاف المبتغي فلك في الطريقة القاضوية التبريز وأنت اذا كان غيرك الشبه الذهب الابريز ولعلمية عدلك التوشية بالنزاهة والتطريز وليتني كنت لظهرك الحكمي حاضرا ولاعلام القضاة باوائك المرتضاة محاضرا والوازع قد تمرس بالخصوم وجعل المتصدي للاذن في محل الخصوم وأنت حفظك الله تعالى قد دفعت من غلظ الحجاب بالمقام المعصوم ومثلت من سعة المنزل في الفضل والطول كالشهر المصوم والباب قد سد وداعي الشفاعة قد رد والميقات للاذن قد حد ومطلب الاجرة المتعارفة قد بلغ الاشد حتى اذا قضى الواجب وأذن في دخول الخصمين الحاجب وأولج السابقين الى الحد الذي لا يعدونه وحفز ايماؤه من تعداه أو وقف دونه وقد حصل باللحظ واللفظ التساوي وأنتج المطالب الاربعة هذا اللازم المساوي ومجلسك قد رجح وقاره برضوى ومحياك قد فضح نوره البدر الاضوا وقد امتزت عن سوالك من القضاة بمراسم لا تليق بحماتهم معارفها وتخصصت عنهم بملابس تعج عجيجا من جذامهم مطارفها بحيث تجد لخلع النعلين حدا لا يتجاوز طواه وتسد في بعض الاوقات الباب سدا لا ترفع بالحاجر كواه وتفصل بين الخصمين أحيانا بالنية دون الكلام ولكل امرئ ما نواه وهذه أعانك الله تعالى مكملات من العدل في الحكم وقف عياض دون تحقيق مناطها وأعيت ابن رشد فلم يهتد بيانه ولا تحصيله لاستنباطها فما بال النازحة عنك حسا ومعنى النازلة من تقاضي دينك بمنزلة المطول المعنى المعتقلة من ملكة رقك بحيث أقصاها الاعج الشوق المعذبة من الصبابة فيك بما شب عمره عن الطوق تتقسر الصعداء مما تشاهده منك من مبتدعات الجور وتردد البكاء على ضياع ما استعار الحسن لصفاتها من النجد والغور وتقضي العجب مما تسمع من عدلك الذي لم تجتل لمحة من نوره ومن حلمك الذي أشقاها فلم تحضر لذكه طوره وتستصوب أنظار النحاة في منع التهيئة والقطع في العامل وتستجلب اصطلاح العروضيين في المديد والبسيط دون الطويل والكامل فهلا راجعت فيها النظر وأنجزت لها الوعد المنتظر وكففت من عيونها دموعا مستهلة وابتليت من جبينها

وحج بالناس الى سنة أربع وأربعين ومائتين عبد الصمد بن موسى بن محمد بن ابراهيم الامام ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة خمس وأربعين ومائتين حج بالناس الى سنة ثمان وأربعين ومائتين محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد ابن ابراهيم الامام ثم كانت سنة تسع وأربعين ومائتين حج بالناس عبد الصمد ابن موسى بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة خمسين ومائتين حج بالناس جعفر بن الفضل بن موسى ابن عيسى بن موسى ويلقب بشاشات ثم كانت سنة احدى وخمسين ومائتين وقف بالناس اسمعيل بن يوسف العلوي المتقدم ذكره فيما مضى من هذا الكتاب وبطل الحج الا يسير الان اسمعيل هذا طلع على الحاج وهم بعرفة في جموعه فقتل من المسلمين خلقا عظيما حتى زعموا انه كان يسمع بالليل تلبية القتلى وكان شأنه في الفساد عظيما ثم كانت سنة اثنتين وخمسين ومائتين حج بالناس كعب البقر محمد بن أحمد بن عيسى

الوضاح ما أخجل بدورا مشرقة وأدله ولم تحوجها الى أن ينطق قرينها الروحاني بالشعر على لسانها ولسانك ولم تضطرها فى هذه المعاملة الى ما لا ترتضيه من كفر احسانك والعذر أظهر والبرهان أبهر وخلافك فى العالم أشهر وأنت ان لم يكن ما عصم الله تعالى منه لمقتضى الطبيعة أقهر وقد أدرجت لك وطى هذا ما يصل اليك وتلهج به فى يومك وغدك منتظرة منك اطفاء الجوى بالجواب ومحو ما سبق من الخطأ بالخطاب ان شاء الله تعالى والله تعالى يصل سعادته ويحفظ مجادته ومعاد السلام من الشاكر الذاكر ابن عاصم وفقه الله تعالى فى أوائل ذى الحجة عام خمسة وأربعين وثمانمائة انتهى وهو مما لم أذكره فى أزهار الرياض * ولنذكر هنا الظهير الذى يجليه فيها بتقديم المذكور للنظر فى أمور الفقهاء وغيرهم ونصه هذا ظهير كريم اليه انتهت الظهائر شرفا عليا وبه تقررت المآثر برهانا جليا وراقت المفاخر قلائدا وحليا وتميزت الاكابر الذين افتخرت بهم الاقلام والمحابر اختصاصا وولويا * فهو وان تكاثرت المرسومات وتعددت وتوالت المنشورات وتجددت أكرم مرسوم تم فى الاعتقاد نظرا خطيرا واحكم فى التفويض أمرا كبيرا وابرم فى الاختصاص عزما أبيا * اعتمد بمعطو ره العزيز واختص بمنشوره الذى تلقاه اليمن بالتعزيز من لم يزل بالتعظيم حقيقا وبالاكبار خليقا وبالاجلال حريا * فهو شهير لم يزل فى الشهرة سابقا هاد لم يزل بالهدى ناطقا بليغ لم يزل بالبلاغة دريا * عظيم لم يزل فى النفوس معظما علم لم يزل فى الاعلام مقدما كريم لم يزل فى الكرام سنيا * اشتملت منه محافل الملك على العقد الثمين وحلت به المشورة فى الكهف المحوط والحرم الامين فكان فى مشكاة الامور هاديا وفى ميدان المراشد جريا * فالى مقاماته تبلغ مقامات الاخلاص والى مرتبته تنتهى مراتب الاختصاص فمن حاز خصلا وزين حلا وشرف ندبا * واستكمل هما واستعمل قلما واستخدم شرفيا * لله ما أعلى قدر هذا الشرف الجامع بين المتلد والمطرف السابق فى الفضل أمدا قصيا * الحال من الاصطفاء مظهرا الفارع من العلاء منبرا الصاعد من العز كرسيا * حاز الفضل ارثا وتعصيبا واستوفى الكمال حظا ونصيبا ثناه أرجه كالروض لو لم يكن الروض ذابلا وهديا * نوره كالبدر لو لم يكن البدر آفلا ومجد علاه كالسها لو لم يكن السها خفيا * فما أشرف الملك الذى اصطفاه وكمل له حق التقريب ووفاه وأحله قرارة التمكين ومن باختصاصه بالمكان المكين فسبق فى ميدان التفويض وسما ورأى من الانظار الحميدة ما رأى صادعا بالحق اماما علما موضحا من الدين نهجا لاحبا هاديا من الواجب صراطا سويا * بانيا للمجد صرحا مشيدا مشهرا للعدل قولا مؤيدا مبرما للخير سببا قويا * فالله تعالى يصل لمقام هذا الملك الذى طلع فى سمائه بدرا دونه البدور وصدرا تلوذ به الصدور سعدا لا يعطله الايام فى تقاضيه ونصرا يمضى به نصل الجهاد فلا يزال ماضيه على الفتح مبنيا * ويوالى له عزا يذود عن حرم الدين ويحميه تأييدا يصبح فى أعناق الكفر حديث سيفه قطعيا * أمر به مرسوما عزيزا لا تبلغ المرسومات الى مداه ولا يبدى بآثار الاختصاص مثل ما أبداه عبد الله أمير المسلمين محمد الغالب بالله أيد الله تعالى مقامه ونصر أعلامه وشكر انعامه ويسر مرامه لامام الائمة وعلم

سنة أربع وخمسين ومائتين حج بالناس على بن الحسن ابن اسمعيل بن العباس بن على ثم كانت سنة خمس وخمسين ومائتين حج بالناس على ابن الحسين أيضا ثم كانت سنة ست وخمسين ومائتين حج بالناس كعب البقر محمد بن أحمد بن عيسى بن جعفر بن المنصور ثم كانت سنة سبع وخمسين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس بن الحسن بن اسمعيل بن العباس بن محمد بن على ثم كانت سنة ثمان وخمسين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضا ثم كانت سنة تسع وخمسين ومائتين حج بالناس ابراهيم بن محمد بن اسمعيل بن جعفر ابن سليمان بن على بن بويه ثم كانت سنة ستين ومائتين حج بالناس ابن بويه أيضا ثم كانت سنة أحدى وستين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس بن الحسن بن اسمعيل بن العباس بن محمد بن على ثم كانت سنة اثنتين وستين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضا ثم كانت سنة ثلاث وستين ومائتين حج

 بالناس الفضل بن العباس أيضا ثم كانت سنة أربع وستين ومائتين حج بالناس الى سنة ثمان وسبعين ومائتين

الاعلام وعماد ذوي العقول والاحلام و بركة حملة السيوف والاقلام وقدوة رجال الدين وعلماء الاسلام الشيخ الفقيه أبي يحيى ابن كبير العلماء شهير العظماء حجة الاكابر والاعيان مصباح البلاغة والبيان قاضي القضاة وامامهم أوحد الجلة وطود شمامهم الشيخ الفقيه أبي بكر بن عاصم أبقاه الله تعالى ومناطق الشكر له فصيحة اللسان ومواهب الملك به معهودة الاحسان وقلائد الايادي منه متقلدة بجيد كل انسان قد تقرر ان المفاخر لا تنسب الا لبنيها والفضائل لا تعتبر الا بمن يشيد أركانها ويبنيها والكمال لا يصفو شربه الا لمن يؤمن سربه ان هذا العلم الكبير الذي لا يفي بوصفه التعبير عليا آثاره يقتدي وبانظاره يهتدي وباشارته يستشهد وبادارته يسترشد اذ لا أمد علوا الا وقد تخطاه ولا مركب فضل الا وقد تمطاه ولا شارة هدى الا وقد جلاها ولا لبة فخر الا وقد حلاها ولا نعمة الا وقد أسداها ولا سومة الا وقد أبداها لما له في دار الملك من الخصوصية العظمى والمكانة التي تسوغ النعمى والرتب التي تسمو العيون الى مرتقاها وتستقبلها النفوس بالتعظيم وتتلقاها حيث سر الملك مكتوم وقرطاسه مختوم وأمره محتوم والاقلام قد رضت الطروس وهي ذاويه وقسمت الارزاق وهي طاويه شقت ألسنتها فنطقت وقطعت أرجلها فسبقت ويبست فاثمرت انعاما ونكست فاظهرت قواما وخطت فاعطت وكتبت فوهبت ومشقت ففرقت وأبرمت فانعمت فكم يسرت الجبر وعقرت الهزبر وشنفت المسامع وكيفت المطامع وأقلت فيما ارتفع من المواضع وأحلت لما امتنع من المراضع فهي تنجز النعم وتجزل القسم وتبث المذاهب وتحث المواهب وتروض المراد وتنهض المراد وتحرس الاكناف وتغرس الاشراف مصيخة لنداء هذا العماد الاعلى طامحة لمكانه الذي سما واستعلى فيما على عليها من البيان الذي يقر له بالتفضيل الملك الضليل ويشهد له بالاحسان لسان حسان ويحكم له ببري القوس حبيب بن اوس ويهيم عما من الاساليب عنده شاعر كنده ويستمطر سحبه النثره فصيح المعره الى منثور تزيل الفقر فقره وندر الرزق دروه لو أتى الى قس اياد لشكر في الصنيعة أياديه واستمطر سحبه وغواديه أو بلغ الى سحبان لسحره وما فارقه عشيته ولا سحره ولو رآه الصابي لابدى اليه من صبوته ما أبدى أو سمعه ابن عباد لكان له عبدا أو بلغ بديع الزمان لهجر بدائعه واستزر بضائعه أو اتحف به السني لاتخذه سنانا أو عرض على عبد الحميد لاحمد من صوبه هتانا فاعظم به من عال لا ترقى ثنيته ولا تحاز رتبته ولا يرحم أفقه ولا يكتم حقه ولا يشام له عن اكتساب الحمد ناظر ولا يقاس به في الفضل مناظر وهل تقاس الاجادل بالبغاث أو الحقائق بالاضغاث الاوان بيته هو البيت الذي طلع في أفقه كل كوكب وقاد ممن وشح به للعلوم انتقاء وانتقاد وترامى به للمدارك ذكاء وانتقاد فاعظم بهم أعلاما وصدورا وأهلة وبدورا خلدت ذكرهم الدواوين المسطره وسرت في محامدهم الانفاس المعطره الى ان نشأ في سمائهم هذا الاوحد الذي شهرة فضله لا تجحد فكان قمرهم الازهر ونيرهم الاظهر ووسيطة عقدهم الانفس ونتيجة مجدهم الاقعس فابعد في المناقب آماده ورفع الفخر وأقام عماده وبني

سنة تسع وسبعين ومائتين حج بالناس الى سنة سبع وثمانين ومائتين تسع حجج متوالية أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن داود بن عيسى بن موسى ثم كانت سنة ثمان وثمانين ومائتين حج بالناس محمد بن هرون بن العباس بن ابراهيم بن عيسى بن جعفر ابن أبي جعفر المنصور ثم كانت سنة تسع وثمانين ومائتين حج بالناس الفضل ابن عبد الملك بن عبد الله ابن العباس بن محمد بن علي ولم يزل يحج بالناس كل سنة الى سنة خمس وثلثمائة ثم كانت سنة ست وثلثمائة حج بالناس أحمد بن العباس بن محمد بن عيسى بن سليمان بن محمد ابن ابراهيم الامام وهو المعروف باخي أم موسى الهاشمية قهرمانة شغب أم المقتدر بالله ثم كانت سنة سبع وثلثمائة حج بالناس أحمد بن العباس أيضا ثم كانت سنة ثمان وثلثمائة حج بالناس الى سنة احدى عشرة وثلثمائة اسحق بن عبد الملك بن عبد الله بن عبيد الله ابن العباس بن محمد ثم كانت سنة اثنتى عشرة وثلثمائة حج بالناس الحسن

ابن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ثم كانت سنة ثلاث عشرة على

على تلك الأساس المشيده وجرى لادراك تلك الغايات البعيده فسبق وجلى وشنف
بذكره المسامع وحلى ورفع المشكل ببيانه وحو المتشبر ببرهانه الى أن أحله قضاء الجماعة
ذروة أفقه الاصعد وبوأه عزيز ذلك المقعد فشرف الخطه وأخذ على الايدى المتسلطه
لا يراقب الا ربه ولا يضمر الا العدل وحبه والمجلس السلطاني أسماه الله تعالى يختصه
بنفسه ويفرغ عليه من حلل الاصطفاء ولبسه ويستمطر فوائده ويجرب بأنظاره حقوق
الملك وعوائده فكان بين يديه حكما مقسطا ومقسما لحظوظ الانعام مقسطا الى أن خصه
بالكتابة المولوية ورأى أنه في ذلك حق الاولوية اذ كان والده المقدس نعم الله تعالى ثراه
ومنحه السعادة في أخراه مشرف ذلك الديوان ومعلى ذلك الايوان يحبر رقاع الملك فتروق
وتلوح كالشمس عند الشروق فحل ابنه هذا الكبير شرفا الشهير سلفا مرتبته التي سمت
وافترت به السعد وابتسمت فتحبت به للشرف مطارف وأحرزت به من الفخر التالد
والطارف واليوم في وجه هاعره وفي عينها قره ولله هو في ملاحظة الحقائق ووعيها
وسمع الحجج ووعيها فلقد فضل بذلك أهل الاختصاص وسبقهم في تبيين ما يشكل منها
وما يعتاص اذ المشكلة معه جلية الاغراض والآراء لديه آمنة من مآخذ الاعتراض
فكم رتبة عمرها بذويها فاكسبها تشريفا وتنويها وعلى ذلك فاعلام قضاة الوطن ومن
عبر منهم وقطن مع أقدارهم السامية ومعاليهم التي هي للزهر مسامية اعلاوتهم
وساطته التي أحسنت وزينت بهم المجالس وحسنت فيه أمضوا أحكامهم وأعلوا في
الاباطيل احتكامهم وكتبوا الرسوم وكبتوا الخصوم وحلوا دست القضاء وسلوا
سيف المضاء وفي زمانه تخرجوا وفي بستانه تأرجوا ومن خلقه اكتسبوا والى طرقه
انتسبوا وعلى موارده حاموا وحول فوائده قاموا وبتعريفه عرفوا وبتشريفه شرفوا
وبصفاته كلفوا وبعرفانه وقفوا فامتنوا مع انسكاب سحب افادته من الجداب وقاموا
بذلك الفرض بسبب ذلك الندب وهل العلماء وان عمت فوائدهم وانتظمت بجياد
الاذهان فرائدهم الا من أنواره مستمدون والى الاستفادة من أنظاره ممتدون وببركاته
معتدون وبأسبابه مشتدون فبه اجتنيت من أفنان المنابر ثمراتهم وتأرجت في روضات
المعارف زهراتهم وبه عمروا الحا[illegible] هم ما أتلق اذ كل من اصطناعه
محسوب والى بركته منسوب فهو بدرهم الاهدى ونجمهم الاجدى وعقدهم المقتنى
وروضهم المجتنى وبدرهم وصدر محافلهم و[illegible] أما أعلى المقام المولوى من مكانه
وقضى به من استمكا[نه] واعتمد من ابرامه وأبرم من اعتم[اده]
من مهاده واختص من علاه وأعلى من اختصاصه واستخلص ومهد من اكرامه وكرم
استخلاصه ووفى من تكرمه وكرم من وفائه واصطفى من مجده وحلاه وحلا من
وقدم من [illegible] وحكم من براعته وشفق من كتابته وأنطق من خطه من اصطفائه
أطايب وعجل من اختياره قد كاذكره وسطا سطره وأمعن معناه وأ[illegible] من
آثار أيده الله تعالى باستئناف خصوصيته وتجديدها واثبات مقاماته وتجديدها لتعرف
تلك المحدود فلا تخفى وتكبر تلك المراتب فلا تستخفى فاصدر له شكر الله تعالى اصداره

بن العباس بن محمد خليفة
لعمه الحسن ثم كانت سنة
أربع عشرة وثلثمائة حج
بالناس عبد الله بن عبد الله
بن سليمان بن محمد الاكبر
ثم كانت سنة خمس
عشرة وثلثمائة حج بالناس
عبد الله بن عبيد الله بن
العباس بن محمد المعروف
بأبي أحمد الازرق خليفة
الحسن بن عبد العزيز بن
العباس ثم كانت سنة ست
عشرة وثلثمائة حج بالناس
أبو أحمد الازرق أيضا ثم
كانت سنة سبع عشرة
وثلثمائة دخل سليمان بن
الحسن صاحب البحرين
مكة وقد حضر عمر بن
الحسن بن عبد العزيز
المقدم نسبه اليه لاقامة الحج
خليفة لابيه فكان من أمر
الناس ما كان فيما قدمنا
ذكره فيما سلف من هذا
الكتاب ولم يتم حج في موسم
سنة سبع عشرة وثلثمائة
هذه من أجل حادثة القرامطة
لعنهم الله الا القوم يسير غدروا
فتم حجهم دون امام وكانوا
رجالة ثم كانت سنة ثمان
عشرة وثلثمائة حج بالناس
عمر بن الحسن بن عبد
العزيز الهاشمي خليفة
لابيه الحسن بن عبد العزيز
ثم كانت سنة تسع عشرة
حج بالناس فيها
[illegible] امام

عمر بن الحسن بن عبد العزيز
خليفة الحسن بن عبد العزيز ثم كانت سنة عشرين وثلثمائة حج بالناس فيها عمر بن الحسن بن عبد العزيز

وعمر بالنصر داره هذا المنشور الذى تارج بمحامده نشره وتضمن من مناقبه البديع فراق طيبه ونشره وغدا وغرائد المآثر لديه موجدة مكنونة واصبح للفاخر مالكا لما أتى به مدونه وخصه فيه بالنظر المطلق الشروط الملازم للتفويض ملازمة الشرط للمشروط المستكمل الفروع والاصول المستوفى الاجناس والفصول فى الامور التى تختص باعلام القضاة الاكابر وكتاب القضاة ذوى الاقلام والمحابر وشيوخ العلم وخطباء المنابر وسائر أرباب الاقلام القاطنين منهم والعابر بالحضرة العليه وجميع البلاد النصريه تولى الله تعالى جميع ذلك بعهود ستره ووصل لديه ما تعود من شفع اللطف ووتره يحوط رابهم التى قطفت من روضاتها ثمرات الحكم وجنيت ويراعى أمورهم التى أقيمت على العوائد وبنيت وحقوقهم التى حفظت لهم فى المجالس السلطانية ورعيت ويحل كل واحد منهم فى منزلته التى تليق ومرتبته التى هو بها خليق على ما يقتضى ما يعلم من أدواتهم ويخبر من تباين ذواتهم ويرشح كل واحد الى ما استحقه ويؤتى كل ذى حق حقه اعتمادا على أغراضه التى عدلت وصدحت على أفنانها من الافواه طيور الشكر وهدلت واستنادا فى ذلك الى آرائه وتفويضه فى هذا الشان بين خلصاء الملك وظهرائه وذلك على مقتضى ما كان عليه أعلام الرياسة الذين سبقوا وانتهضوا بهممهم واستبقوا كالشيخ الرئيس الصالح أبى الحسن ابن الجياب والشيخ ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب رحمهما الله تعالى فليقم أبقاه الله تعالى بهذه الاعمال التى سمت واعتزت ومالت بها أعطاف العدل واهتزت وسار بها الخبر حثيث السرى وصار بها الحق مشدود العرى وعلى جميع القضاة الامضياء والعلماء الارضياء والخطباء الاولياء والمقرئين الازكياء وحملة الاقلام الاحظياء أن يعتمدوا هذا الولى العماد فى كل ما يرجع الى عوائدهم ويختص فى دار الملك من مرتباتهم وفوائدهم وما يتعلق بولاياتهم وأمنياتهم ويليق بمقاصدهم ونياتهم فهو الذى يسوغهم المشارب ويبلغهم المآرب ويستقبل العلى بالعلى والعاطل بالحلى والمشكل بالجلى والمفرق بالتاج والمقدمة بالانتاج وعلى ذلك فهذا المنشور الكريم قد أقرهم على ولاياتهم وأبقاهم ولقاهم من حفظ المراتب ما رقاهم فليجروا على ما هم بسبيله وليهتدوا بمرشد هذا الاعتناء ودليله وكتب فى صفر عام سبعة وتسعين وثمانمائة انتهى * قلت وانما أتيت به لوجوه أحدها ما تعلق بلسان الدين اذ فيه الاشارة الى مرتبته فى آخره والثانى ما اشتمل عليه من الانشاء الغريب والثالث [illegible] رفعة حال الرئيس أبى يحيى بن عاصم وتمكنه من الرياسة لانا بنينا هذا الكتاب على [illegible] يناسبه من أنباء أهل المغرب لكون أهل هذه البلاد المشرقية ليس لهم [illegible] والرابع ان بعض أكابر شيوخنا ممن ألف فى طبقات المالكية لما عرف بابى يحيى [illegible] ذكره فى نحو أسطر عشرة وقال هذا الذى حضرنى من التعريف به والخامس [illegible] ابن عاصم المذكور كما قاله الوادى آشى وغيره كان يدعى فى الاندلس بابن الخطيب الثانى ويعنون بذلك البلاغة والبراعة والرياسة والسياسة *(رجع) الى اخبار لسان الدين فنقول وأما كتب التاليف باسم لسان الدين رحمه الله تعالى فقد قال فى الاحاطة لما جرى ذكر ذلك ما صورته وأما ما رفع الى من الموضوعات العلميه والوسائل الادبيه

والرسائل

لم يزل يحج بالناس الى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وهو على قضاء مكة فى هذا الوقت وهو جمادى الآخرة [illegible] سنة ست وثلاثين وثلثمائة واليه قضاء مصر وغيرها (قال أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى رحمه الله) قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب أنواعا من الاخبار وفنونا من العلم من أخبار الانبياء عليهم الصلاة والسلام والملوك وسيرها والامم وأخبارها وأخبار الارض والبحار وما فيها من العجائب والآثار وما اتصل بذلك ليستدل به على ما سلف من كتبنا ومدخلا الى ما تقدم من تصنيفنا فى أنواع العلوم عما قدمنا ذكره ولم نترك نوعا من العلوم ولا فنا من الاخبار ولا طريقا من الآثار الا أوردناه فى هذا الكتاب مفصلا أو ذكرناه مجملا أو أشرنا اليه بضرب من الاشارات أو لوحنا اليه بفحوى من العبارات من أخبار العجم والعرب والكوائن والاحداث فى سائر الامم فمن حرف شيئا من معنى هذا الكتاب أو أزال ركنا من مبناه أو طمس واضحة من معانيه أو لبس شاهرة من تراجمه أو غيره أو بدله أو انتحله أو اختصره أو نسبه الى غيرنا أو أضافه الى سوانا أو أسقط منه ذكرنا [illegible] ان غضب [illegible] منه وفوادح بلاياه ما يعجز عنه صبره ويحار له فكره وجعله الله مثلة للعالمين وعبرة للمعتبرين وآية